الجزء الاول

كتاب ألف ليلة وليلة

طبعة أولى (بمطبعة

دار الكتب العربية الكبرى

مقابلة ومصححة على النسخة المطبوعة بمطبعة بولاق الاميرية سنة ١٢٧٩
تصحيح الشيخ محمد قطة العدوى

طبع على نفقة
مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكرى وعيسى
(بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين . سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين . وبعد فان سير الاولين صارت عبرة للآخرين لكي يرى الانسان العبر التي حصلت لغيره فيعتبر . ويطالع حديث الامم السالفة وما جرى لهم فينزجر . فسبحان من جعل حديث الاولين عبرة لقوم آخرين . فمن تلك العبر الحكايات التي تسمى ألف ليلة وليلة وما فيها من الغرائب والامثال

(حكاية الملك شهرباز وأخيه الملك شاه رمان)

حكي والله أعلم واحكم . وأعز واكرم . انه كان فيما مضى وتقدم . من قديم الزمان وسالف العصر والاوان . ملك من ملوك ساسان . بجزائر الهند والصين صاحب جند وأعوان . وخدم وحشم وكان له ولدان أحدهما كبير والآخر صغير وكانا فارسين بطلين وكان الكبير أفرس من الصغير وقد ملك البلاد وحكم بالعدل بين العباد وأحبه أهل بلاده ومملكته وكان اسمه الملك شهرباز وكان اخوه الصغير اسمه الملك شاه رمان وكان ملك سمرقند العجم ولم يزل الامر مستقيما في بلادهما وكل واحد منهما في مملكته حاكم عادل في رعيته مدة عشرين سنة وهم في غاية البسط والانشراح ولم يزالا على هذه الحالة الى ان اشتاق الملك الكبير الى أخيه الصغير فأمر وزيره ان يسافر اليه ويحضر به فأجابه بالسمع والطاعة وسافر حتى وصل بالسلامة ودخل على أخيه وبلغه السلام وأعلمه ان أخاه مشتاق اليه وقصده ان يزوره فاجابه بالسمع والطاعة وتجهز للسفر وأخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه وأعوانه وأقام وزيره حاكما في بلاده وخرج طالبا بلاد أخيه فلما كان في نصف الليل تذكر حاجة نسيها في قصره فرجع

ودخل

ودخل قصره فوجد زوجته راقدة فى فراشه معانقة عبدا اسود من العبيد فلما رأى هذا اسودّت الدنيا فى وجهه وقال فى نفسه اذا كان هذا الامر قد وقع وانا ما فارقت المدينة فكيف حال هذه العاهرة اذا غبت عند أخى مدة ثم انه سلّ سيفه وضرب الاثنين فقتلهما فى الفراش ورجع من وقته وساعته وأمر بالرحيل وسار الى ان وصل الى مدينة أخيه ففرح أخوه بقدومه ثم خرج اليه ولاقاه وسلم عليه وفرح به غاية الفرح وزين له المدينة وجلس معه يتحدث بانشراح فتذكر الملك شاه رمان ما كان من أمر زوجته فحصل عنده غمّ زائد واصفرّ لونه وضعف جسمه فلما رآه أخوه على هذه الحالة ظنّ فى نفسه ان ذلك بسبب مفارقته بلاده وملكه فترك سبيله ولم يسأل عن ذلك ثم انه قال له فى بعض الايام يا أخى انى أراك ضعف جسمك واصفرّ لونك فقال له يا أخى انا فى باطنى جرح ولم يخبره بما رأى من زوجته فقال انى أريد ان تسافر معى الى الصيد والقنص لعلك ينشرح صدرك فابى ذلك فسافر أخوه وحده الى الصيد وكان فى قصر الملك شبابيك تطلّ على بستان أخيه فنظر واذا بباب القصر قد فتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبدا وامرأة أخيه تمشى بينهم وهى فى غاية الحسن والجمال حتى وصلوا الى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم واذا بامرأة الملك قالت يا مسعود فجاءها عبد أسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك باقى العبيد فعلوا بالجوارى ولم يزالوا فى بوس وعناق ونيك ونحو ذلك حتى ولى النهار فلما رأى ذلك أخو الملك قال فى نفسه والله ان بليتى أخف من هذه البلية وقد هان ما عنده من القهر والغمّ وقال هذا أعظم مما جرى لى ولم يزل فى أكل وشرب وبعد هذا جاء أخوه من السفر فسلما على بعضهما ونظر الملك شهرباز الى أخيه الملك شاه رمان وقد ردّ لونه واحمرّ وجهه وصار يأكل بشهية بعد ما كان قليل الاكل فتعجب من ذلك وقال يا أخى كنت أراك مصفرّ اللون والوجه والآن قد ردّ اليك لونك فاخبرنى بحالك فقال له أمّا تغير لونى فأذكره لك واعف عنى من اخبارك برد لونى فقال له أخبرنى أولا بتغير لونك وضعفك حتى أسمعه فقال له يا أخى اعلم انك لما أرسلت وزيرك الى يطلبنى للحضور بين يديك جهزت حالى وقد برزت من مدينتى ثم انى تذكرت الخرزة التى أعطيتها لك فى قصرى فوجدت زوجتى معها عبد اسود وهو نائم فى فراشى فقتلتهما وجئت اليك وانا متفكر فى هذا الامر فهذا سبب تغير لونى وضعفى واما ردّ لونى فاعف عنى من أن أذكره لك فلما سمع أخوه كلامه قال له أقسمت عليك بالله ان تخبرنى بسبب ردّ لونك فاعاد عليه جميع ما رآه فقال شهرباز لاخيه شاه رمان مرادى ان انظر بعينى فقال له أخوه شاه رمان اجعل أنك مسافر للصيد والقنص واختف عندى وأنت تشاهد ذلك وتحققه عيانا فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت العساكر والخيام الى ظاهر المدينة وخرج الملك

ثم انه جلس فى الخيام وقال لغلمانه لا يدخل على أحد ثم انه تنكر وخرج مختفيا الى القصر الذى فيه أخوه وجلس فى الشباك المطل على البستان ساعة من الزمان واذا بالجوارى وسيدتهم دخلوا مع العبيد وفعلوا كما قال أخوه واستمروا كذلك الى العصر فلما رأى الملك شهر باز ذلك الامر طار عقله من رأسه وقال لاخيه شاه زمان قم بنا نسافر الى حال سبيلنا وليس لنا حاجة بالملك حتى ننظر هل جرى لاحد مثلنا أولا فيكون موتنا خيرا من حياتنا فاجابه لذلك ثم انهما خرجا من باب سر فى القصر ولم يزالا مسافرين أياما وليالى الى ان وصلا الى شجرة فى وسط مرج عندها عين ماء بجانب البحر المالح فشربا من تلك العين وجلسا يستريحان فلما كان بعد ساعة مضت من النهار واذا هم بالبحر قد هاج وطلع منه عامود اسود صاعد الى السماء وهو قاصد تلك المرجة قال فلما رأيا ذلك خافا وطلعا الى أعلى الشجرة وكانت عالية وصارا ينظران ماذا يكون الخبر واذا بجنى طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر وعلى رأسه صندوق فطلع الى البر وأتى الشجرة التى هما فوقها وجلس تحتها وفتح الصندوق وأخرج منه علبة ثم فتحها فخرجت منها صبية غراء بهية كأنها الشمس المضية كما قال الشاعر

أشرقت فى الدجى فلاح النهار * واستنارت بنورها الاسحار
من سناها الشموس تشرق لما * تتبدى وتنجلى الاقمار
تسجد الكائنات بين يديها * حين تبدو وتهتك الاستار
واذا أومضت بروق حماها * هطلت بالمدامع الامطار

قال فلما نظر اليها الجنى قال يا سيدة الحرائر التى قد اختطفتك ليلة عرسها أريد أن انام قليلا ثم ان الجنى وضع رأسه على ركبتها ونام فرفعت الصبية رأسها الى أعلى الشجرة فرأت الملكين وهما فوق تلك الشجرة فرفعت رأس الجنى من فوق ركبتها ووضعتها على الارض ووقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالاشارة انزلا ولا تخافا من هذا العفريت فقالا لها بالله عليك ان تسامحينا من هذا الامر فقالت لهما بالله عليكما ان تنزلا والا نبهت عليكما العفريت فيقتلكما شر قتلة فخافا ونزلا اليها فقامت لهما وقالت ارصعا رصعا عنيفا والا أنبه لكما العفريت فمن خوفهما قال الملك شهر باز لاخيه الملك شاه زمان يا أخى افعل ما أمرتك به فقال لا أفعل حتى تفعل أنت قبلى وأخذا يتغامزان على نيكها فقالت لهما مالى أراكما تتغامزان فان لم تتقدما وتفعلا والا نبهت لكما العفريت فمن خوفهما من الجنى فعلا ما أمرتهما به فلما فرغا قالت لهما أفيقا وأخرجت لهما من جيبها كيسا وأخرجت لهما منه عقدا فيه خمسمائة وسبعون خاتما فقالت لهما أتدرون ما هذه فقالا لها لا ندرى فقالت لهما أصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بى على غفلة قرن هذا

العفريت

العفريت فاعطياني خاتميكما أنتما الاثنان الاخوان فاعطياها من يديهما خاتمين فقالت لهما ان هذا العفريت قد اختطفني ليلة عرسي ثم انه وضعني في علبة وجعل العلبة داخل الصندوق ورمى على الصندوق سبعة أقفال وجعلني في قاع البحر العجاج المتلاطم بالامواج ولم يعلم ان المرأة منا اذا أرادت أمرا لم يغلبها شيء كما قال بعضهم

لا تأمنن الى النسا * ولا تثق بعهودهن
فرضاؤهن وسخطهن معلق بفروجهن
يبدين ودا كاذبا * والغدر حشو ثيابهن
بحديث يوسف فاعتبر * متحذرا من كيدهن
أوما ترى ابليس أخرج * آدما من اجلهن

(وقال بعضهم)

كف لوما غدا يقوي الملوما * ويزيد الغرام عشقا عظيما
ان أكن عاشقا فما آت الا * ما أتته الرجال قبلي قديما
انما يكثر التعجب ممن * كان من فتنة النساء سليما

فلما سمعا منها هذا الكلام تعجبا غاية التعجب وقالا لبعضهما اذا كان هذا عفريتا وجرى له أعظم مما جرى لنا فهذا شيء يسلينا ثم انهما انصرفا من ساعتهما عنها ورجعا الى مدينة الملك شهر باز ودخلا قصره ثم انه رمى عنق زوجته وكذلك اعناق الجواري والعبيد وصار الملك شهر باز كلما يأخذ بنتا بكرا يزيل بكارتها ويقتلها من ليلتها ولم يزل على ذلك مدة ثلاث سنوات فضجت الناس وهربت ببناتها ولم يبق في تلك المدينة بنت تتحمل الوطء ثم ان الملك أمر الوزير ان يأتيه ببنت على جري عادته فخرج الوزير وفتش فلم يجد بنتا فتوجه الى منزله وهو غضبان مقهور خائف على نفسه من الملك وكان الوزير له بنتان ذاتا حسن وجمال وبهاء وقد واعتدال الكبيرة اسمها شهرزاد والصغيرة اسمها دنيازاد وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين واخبار الامم الماضين قيل انها جمعت ألف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السالفة والملوك الخالية والشعراء فقالت لابيها مالي أراك متغيرا حامل الهم والاحزان وقد قال بعضهم في المعنى شعرا

قل لمن يحمل هما * ان هما لا يدوم
مثل ما يفنى السرور * هكذا تفنى الهموم

فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ما جرى له من الاول الى الآخر مع الملك فقالت له

بالله يا أبت زوجني هذا الملك فاما أن أعيش واما أن أكون فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهن من بين يديه فقال لها بالله عليك لا تخاطري بنفسك أبدا فقالت له لا بد من ذلك فقال اخشى عليك ان يحصل لك ما حصل للحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له وما الذى جرى لهما يا أبت

(حكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع)

قال اعلمي يا بنتي انه كان لبعض التجار أموال ومواش وكان له زوجة وأولاد وكان الله تعالى أعطاه معرفة ألسن الحيوانات والطير وكان مسكن ذلك التاجر الارياف وكان عنده فى داره حمار وثور فاتى يوما الثور الى مكان الحمار فوجده مكنوسا مرشوشا وفى معلفه شعير مغربل وتبن مغربل وهو راقد مستريح وفى بعض الاوقات يركبه صاحبه لحاجة تعرض له ويرجع على حاله فلما كان فى بعض الايام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار هنيئا لك ذلك أنا تعبان وأنت مستريح تأكل الشعير مغربلا ويخدمونك وفى بعض الاوقات يركبك صاحبك ويرجع وأنا دائما للحرث والطحين فقال له الحمار اذا خرجت الى الغيط ووضعوا على رقبتك الناف فارقد ولا تقم ولو ضربوك فان قمت فارقد ثانيا فاذا رجعوا بك ووضعوا لك الفول فلا تأكله كأنك ضعيف وامتنع من الاكل والشرب يوما أو يومين أو ثلاثة فانك تستريح من التعب والجهد وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السواق الى الثور بعلفه أكل منه شيأ يسيرا فاصبح السواق يأخذ الثور الى الحرث فوجده ضعيفا فقال له التاجر خذ الحمار وحرثه مكانه اليوم كله فرجع الرجل وأخذ الحمار مكان الثور وحرثه مكانه اليوم كله فلما رجع آخر النهار شكره الثور على تفضلاته حيث أراحه من التعب فى ذلك اليوم فلم يرد عليه الحمار جوابا وندم أشد الندامة فلما كان ثانى يوم جاء الزراع وأخذ الحمار وحرثه الى آخر النهار فلم يرجع الحمار الا مسلوخ الرقبة شديد الضعف فتأمله الثور وشكره ومجده فقال له الحمار كنت مقيما مستريحا فما ضرنى الا فضولى ثم قال اعلم أنى لك ناصح وقد سمعت صاحبنا يقول ان لم يقم الثور من موضعه أعطوه للجزار ليذبحه ويعمل جلده قطعا وأنا خائف عليك ونصحتك والسلام فلما سمع الثور كلام الحمار شكره وقال فى غد أسرح معهم ثم ان الثور أكل علفه بتمامه حتى لحس المدود بلسانه كل ذلك وصاحبهما يسمع كلامهما فلما طلع النهار خرج التاجر وزوجته الى دار البقر وجلسا فجاء السواق وأخذ الثور وخرج فلما رأى الثور صاحبه حرك ذنبه وضرط وبرطع فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه فقالت له زوجته من أى شئ تضحك فقال لها شئ رأيته وسمعته ولا أقدر ان أبوح به فأموت فقالت له لابد ان تخبرنى بذلك وما سبب ضحكك

ضحكك ولو كنت تموت فقال لها ما أقدر ان أبوح به خوفا من الموت فقالت له أنت لم تضحك الا علي ثم انها لم تزل تلح عليه وتلج في الكلام الى أن غلبت عليه وتحير فاحضر أولاده وأرسل أحضر القاضي والشهود وأراد ان يوصي ثم يبوح لها بالسر ويموت لانه كان يحبها محبة عظيمة لانها بنت عمه وام أولاده وكان قد عمر من العمر مائة وعشرين سنة ثم انه أرسل أحضر جميع أهلها وأهل حارته وقال لهم حكايته وانه متى قال لاحد على سره مات فقال لها جميع الناس ممن حضرها بالله عليك اتركي هذا الامر لئلا يموت زوجك أبو أولادك فقالت لهم لا أرجع عنه حتى يقول لي ولو يموت فسكتوا عنها ثم ان التاجر قام من عندهم وتوجه الى دار الدواب ليتوضأ ثم يرجع يقول لهم ويموت وكان عنده ديك تحته خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع التاجر الكلب وهو ينادي الديك ويسبه ويقول له أنت فرحان وصاحبنا رايح يموت فقال الديك للكلب وكيف ذلك الامر فاعاد الكلب عليه القصة فقال له الديك والله ان صاحبنا قليل العقل انا لي خمسون زوجة أرضي هذه وأغضب هذه وهو ماله الا زوجة واحدة ولا يعرف صلاح أمره معها فماله لا يأخذ لها بعضا من عيدان التوت ثم يدخل الى حجرتها ويضربها حتى تموت أو تتوب ولا تعود تسأله عن شئ قال فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب رجع الى عقله وعزم على ضربها ثم قال الوزير لابنته شهرزاد ربما فعل بك مثل ما فعل التاجر بزوجته فقالت له وما فعل قال دخل عليها الحجرة بعد ما قطع لها عيدان التوت وخبأها داخل الحجرة وقال لها تعالي داخل الحجرة حتى أقول لك ولا ينظرني أحد ثم أموت فدخلت معه ثم انه قفل باب الحجرة عليهما ونزل عليها بالضرب الى أن أغمي عليها فقالت له تبت ثم انها قبلت يديه ورجليه وتابت وخرجت هي واياه وفرح الجماعة وأهلها وقعدوا في أسر الاحوال الى الممات فلما سمعت ابنة الوزير مقالة أبيها قالت له لا بد من ذلك فجهزها وطلع الى الملك شهرباز وكانت قد أوصت أختها الصغيرة وقالت لها اذا توجهت الى الملك أرسل أطلبك فاذا جئت عندي ورأيت الملك قضى حاجته مني فقولي يا أختي حدثيني حديثا غريبا نقطع به السهر وأنا أحدثك حديثا يكون فيه الخلاص ان شاء الله ثم ان أباها الوزير طلع بها الى الملك فلما رآه فرح وقال أتيت بحاجتي فقال نعم فلما أراد ان يدخل عليها بكت فقال لها ما لك فقالت أيها الملك ان لي أختا صغيرة أريد ان أودعها فارسل الملك اليها فجاءت الى أختها وعانقتها وجلست تحت السرير فقام الملك وأخذ بكارتها ثم جلسوا يتحدثون فقالت لها أختها الصغيرة بالله عليك يا أختي حدثينا حديثا نقطع به سهر ليلتنا فقالت حبا وكرامة ان اذن لي هذا الملك المهذب فلما سمع ذلك الكلام وكان به قلق فرح بسماع الحديث

(حكاية التاجر مع العفريت)

(فلما كانت الليلة الاولى) قالت بلغني أيها الملك السعيد انه كان تاجر من التجار كثير المال والمعاملات فى البلاد قد ركب يوما وخرج يطالب فى بعض البلاد فاشتد عليه الحر فجلس تحت شجرة وحط يده فى خرجه وأكل كسرة كانت معه وتمرة فلما فرغ من أكل التمرة رمى النواة واذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف فدنا من ذلك التاجر وقال له قم حتى أقتلك مثل ماقتلت ولدى فقال له التاجر كيف قتلت ولدك قال له لما أكلت التمرة ورميت نواتها جاءت النواة فى صدر ولدى فقضى عليه ومات من ساعته فقال التاجر للعفريت اعلم أيها العفريت انى على دين ولى مال كثير وأولاد وزوجة وعندى رهون فدعنى أذهب الى بيتى وأعطى كل ذى حق حقه ثم أعود اليك ولك على عهد وميثاق انى أعود اليك فافعل بى ماتريد والله على ما أقول وكيل فاستوثق منه الجنى وأطلقه فرجع الى بلده وقضى جميع تعلقاته وأوصل الحقوق الى أهلها واعلم زوجته وأولاده بما جرى له فبكوا وكذلك جميع أهله ونسائه وأولاده وأوصى وقعد عندهم الى تمام السنة ثم توجه وأخذ كفنه تحت ابطه وودع أهله وجيرانه وجميع أهله وخرج رغما عن انفه فاقاموا عليه العياط والصراخ فمشى الى ان وصل الى ذلك البستان وكان ذلك اليوم أول السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكى على ما يحصل له واذا بشيخ كبير قد أقبل عليه ومعه غزالة مسلسلة فسلم على ذلك التاجر وحياه وقال له ماسبب جلوسك فى هذا المكان وأنت منفرد وهو مأوى الجن فأخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريت و بسبب قعوده فى هذا المكان فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال والله ياأخى مادينك الا دين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم انه جلس بجانبه وقال والله ياأخى لا أبرح من عندك حتى أنظر مايجرى لك مع ذلك العفريت ثم انه جلس عنده يتحدث معه فغشى على ذلك التاجر وحصل له الخوف والفزع والغم الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه واذا بشيخ ثان قد أقبل عليهما ومعه كلبتان سلاقيتان من الكلاب السود فسألهما بعد السلام عليهما عن سبب جلوسهما فى هذا المكان وهو مأوى الجان فأخبراه بالقصة من أولها الى آخرها فلم يستقر به الجلوس حتى أقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة زرزورية فسلم عليهم وسألهم عن سبب جلوسهم فى هذا المكان فأخبروه بالقصة من أولها الى آخرها وليس فى الاعادة افادة واذا بغبرة هاجت وزوبعة عظيمة قد أقبلت من وسط تلك البرية فانكشفت الغبرة واذا بذلك الجنى وبيده سيف مسلول وعيونه ترمى بالشرر فأتاهم وجذب ذلك التاجر من بينهم وقال له قم حتى أقتلك مثل

ماقتلت ولدى وحشاشة كبدى فانتحب ذلك التاجر و بكى وأعلن الثلاثة شيوخ بالبكاء والعويل والنحيب فانتبه منهم الشيخ الاول وهو صاحب الغزالة وقبل يد ذلك العفريت وقال له أيها الجنى وتاج ملوك الجان اذا حكيت لك حكايتى مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة تهب لى ثلث دم هذا التاجر فقال نعم أيها الشيخ اذا أنت حكيت لى الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه فقال ذلك الشيخ الاول اعلم أيها العفريت أن هذه الغزالة هى بنت عمى ومن لحمى ودمى وكنت تزوجت بها وهى صغيرة السن وأقمت معها نحو ثلاثين سنة فلم أرزق منها بولد فأخذت لى سرية فرزقت منها بولد ذكر كأنه البدر اذا بدا بعينين مليحتين وحاجبين مزججين وأعضاء كاملة فكبر شيأ فشيأ الى ان صار ابن خمس عشرة سنة فطرأت لى سفرة الى بعض المدائن فسافرت بمتجر عظيم وكانت بنت عمى هذه الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلا وسحرت الجارية أمه بقرة وسلمتهما الى الراعى ثم جئت أنا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدى وعن أمه فقالت لى جاريتك ماتت وابنك هرب ولم أعلم أين راح فجلست مدة سنة وأنا حزين القلب باكى العين الى أن جاء عيد الضحية فارسلت الى الراعى ان يخصنى ببقرة سمينة فجاءنى ببقرة سمينة وهى سريتى التى سحرتها تلك الغزالة فشمرت ثيابى وأخذت السكين بيدى وتهيأت لذبحها فصاحت و بكت بكاء شديدا فقمت عنها وأمرت ذلك الراعى بذبحها وسلخها فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحما ولا لحما غير جلد وعظم فندمت على ذبحها حيث لاينفعنى الندم وأعطيتها للراعى وقلت له ائتنى بعجل سمين فاتانى بولدى المسحور عجلا فلما رآنى ذلك العجل قطع حبله وجاءنى وتمرغ على وولول و بكى فاخذتنى الرأفة عليه وقلت للراعى ائتنى ببقرة ودع هذا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها ما أطيب حديثك وألطفه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله ما أقتلها حتى أسمع بقية حديثها ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح متعانقين فخرج الملك الى محل حكمه وطلع الوزير بالكفن تحت ابطه ثم حكم الملك وولى وعزل الى آخر النهار ولم يخبر الوزير بشئ من ذلك فتعجب الوزير غاية العجب ثم انفض الديوان ودخل الملك شهر باز قصره

﴿فلما كانت الليلة الثانية﴾ قالت دنيازاد لاختها شهرزاد يا أختى اتمى لنا حديثك الذى هو حديث التاجر والجنى قالت حبا وكرامة ان أذن لى الملك فى ذلك فقال لها الملك احكى فقالت بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد انه لما رأى بكاء العجل حن قلبه اليه وقال للراعى ابق هذا العجل بين البهائم كل ذلك والجنى يتعجب من حكاية ذلك الكلام العجيب ثم قال صاحب

الغزالة ياسيد ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمي هذه الغزالة تنظر وترى وتقول اذبح هذا العجل فانه سمين فلم يهن علي ان أذبحه وأمرت الراعي ان يأخذه فاخذه وتوجه به ففي ثاني يوم أنا جالس واذا بالراعي مقبل علي وقال ياسيدي اني أقول شيأ تسر به ولي البشارة فقلت نعم فقال أيها التاجر ان لي بنتا كانت تعلمت السحر في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كنا بالامس وأعطيتني العجل دخلت به عليها فنظرت اليه بنتي وغطت وجهها وبكت ثم انها ضحكت وقالت يا أبي قد خس قدري عندك حتى تدخل علي الرجال الاجانب فقلت لها واين الرجال الاجانب ولماذا بكيت وضحكت فقالت لي ان هذا العجل الذي معك ابن سيدي التاجر ولكنه مسحور سحرته زوجة أبيه هو وأمه فهذا سبب ضحكي وأما سبب بكائي من أجل أمه حيث ذبحها أبوه فتعجبت من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع الصباح حتى جئت اليك لاعلمك فلما سمعت أيها الجني كلام هذا الراعي خرجت معه وأنا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور الذي حصل لي الى أن أتيت الى داره فرحبت بي ابنة الراعي وقبلت يدي ثم ان العجل جاء الي وتمرغ علي فقلت لابنة الراعي أحق ما تقولينه عن ذلك العجل فقالت نعم ياسيدي انه ابنك وحشاشة كبدك فقلت لها أيتها الصبية ان أنت خلصتيه فلك عندي ما تحت يد أبيك من المواشي والاموال فتبسمت وقالت ياسيدي ليس لي رغبة في المال الا بشرطين . الاول ان تزوجني به والثاني ان أسحر من سحرته وأحبسها والا فلست آمن مكرها فلما سمعت أيها الجني كلام بنت الراعي قلت ولك فوق جميع ما تحت يد أبيك من الاموال زيادة وأما بنت عمي فدمها لك مباح فلما سمعت كلامي أخذت طاسة وملأتها ماء ثم انها عزمت عليها ورشت بها العجل وقالت له ان كان الله خلقك عجلا فدم على هذه الصفة ولا تتغير وان كنت مسحورا فعد الى خلقتك الاولى باذن الله تعالى واذا به انتفض ثم صار انسانا فوقعت عليه وقلت له بالله عليك احك لي جميع ما صنعت بك وبامك بنت عمي فحكى لي جميع ما جرى لهما فقلت يا ولدي قد قيض الله لك من خلصك وخلص حقك ثم اني أيها الجني زوجته ابنة الراعي ثم انها سحرت ابنة عمي هذه الغزالة وجئت الى هنا فرأيت هؤلاء الجماعة فسألتهم عن حالهم فاخبروني بما جرى لهذا التاجر فجلست لانظر ما يكون وهذا حديثي فقال الجني هذا حديث عجيب وقد وهبت لك ثلث دمه فعند ذلك تقدم الشيخ الثاني صاحب الكلبتين السلاقيتين وقال له اعلم ياسيد ملوك الجان ان هاتين الكلبتين اخوتي وأنا ثالثهم ومات والدي وخلف لنا ثلاثة آلاف دينار ففتحت أنا دكانا أبيع فيه وأشتري وسافر أخي بتجارته وغاب عنا مدة سنة مع القوافل ثم أتى وما معه شيء فقلت له يا أخي أما أشرت عليك بعدم السفر فبكى وقال يا أخي قدر الله عز وجل علي بهذا ولم يبق لهذا الكلام فائدة ولست أملك

شيا

شيأ فاخذته وطلعت به الى الدكان ثم ذهبت به الى الحمام وألبسته حلة من الملابس الفاخرة وأكلت أنا واياه وقلت له يا أخي انى أحسب ربح دكانى من السنة الى السنة ثم أقسمه دون رأس المال بينى وبينك ثم انى عملت حساب الدكان من ربح مالى فوجدته ألفي دينار فحمدت الله عز وجل وفرحت غاية الفرح وقسمت الربح بينى وبينه شطرين وأقمنا مع بعضنا أياما ثم ان اخوتى طلبوا السفر أيضا وأرادوا أن أسافر معهم فلم أرض وقلت لهم أى شئ كسبتم فى سفركم حتى اكسب أنا فألحوا علىّ ولم أطعهم بل أقمنا فى دكاكيننا نبيع ونشترى سنة كاملة وهم يعرضون علىّ السفر وأنا لم أرض حتى مضت ست سنوات كوامل ثم وافقتهم على السفر وقلت لهم يا اخوتى اننا نحسب ما عندنا من المال فحسبناه فاذا هو ستة آلاف دينار فقلت ندفن نصفها تحت الارض لينفعنا اذا أصابنا أمر ويأخذ كلّ واحد منا ألف دينار ونتسبب فيها فقالوا نعم الرأى فاخذت المال وقسمته نصفين ودفنت ثلاثة آلاف دينار وأما الثلاثة آلاف دينار الاخرى فاعطيت كل واحد منهم ألف دينار وجهزنا بضائع واكترينا مركبا ونقلنا فيها حوائجنا وسافرنا مدة شهر كامل الى أن دخلنا مدينة وبعنا بضائعنا فربحنا فى الدينار عشرة دنانير ثم أردنا السفر فوجدنا على شاطئ البحر جارية عليها خلق مقطع فقبلت يدى وقالت يا سيدى هل عندك احسان ومعروف أجازيك عليهما قلت نعم ان عندى الاحسان والمعروف ولو لم تجازينى فقالت يا سيدى تزوجنى وخذنى بلادك فانى قد وهبتك نفسى فافعل معى معروفا لانى ممن يصنع معه المعروف والاحسان ويجازى عليهما ولا يغرنك حالى فلما سمعت كلامها حن قلبى اليها لامر يريده الله عز وجل فاخذتها وكسوتها وفرشت لها فى المركب فرشا حسنا وأقبلت عليها وأكرمتها ثم سافرنا وقد أحبها قلبى محبة عظيمة وصرت لا أفارقها ليلا ولا نهارا واشتغلت بها عن اخوتى فغاروا منى وحسدونى على مالى وكثرة بضاعتى وطمحت عيونهم فى المال جميعه وتحدثوا بقتلى وأخذ مالى وقالوا نقتل أخانا ويصير المال جميعه لنا وزين لهم الشيطان أعمالهم فجاؤنى وأنا نائم بجانب زوجتى وحملونى أنا وزوجتى ورمونا فى البحر فلما استيقظت زوجتى انتفضت فصارت عفريتة وحملتنى وطلعتنى على جزيرة وغابت عنى قليلا وعادت الىّ عند الصباح وقالت لى أنا زوجتك التى حملتك ونجيتك من القتل باذن الله تعالى واعلم اننى جنية رأيتك فحبك قلبى وأنا مؤمنة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم فجئتك بالحال الذى رأيتنى فيه فتزوجت بى وها أنا قد نجيتك من الغرق وقد غضبت على اخوتك ولابدّ أن أقتلهم فلما سمعت حكايتها تعجبت وشكرتها على فعلها وقلت لها اما هلاك اخوتى فلا ينبغى ثم حكيت لها ما جرى لى معهم من أول الزمان الى آخره فلما سمعت كلامى قالت أنا فى هذه الليلة أطير اليهم وأغرق مركبهم وأهلكهم فقلت لها بالله عليك لا تفعلى فان صاحب

المثل يقول يا محسناً لمن أساء كفى المسيء فعله وهم اخوتي على كل حال قالت لا بد لي من قتلهم فاستعطفتها ثم انها حملتني وطارت فوضعتني على سطح داري ففتحت الابواب وأخرجت الذي خبأته تحت الارض وفتحت دكاني بعد ما سلمت على الناس واشتريت بضائع فلما كان الليل دخلت داري فوجدت هاتين الكلبتين مربوطتين فيها فلما رأياني قاما الى وبكيا وتعلقا بي فلم أشعر الا وزوجتي قالت هؤلاء اخوتك فقلت ومن فعل بهم هذا الفعل قالت انا أرسلت الى أختي ففعلت بهم ذلك وما يتخلصون الا بعد عشر سنوات فجئت وأنا سائر اليها تخلصهم بعدما اقاموا عشر سنوات في هذا الحال فرأيت هذا الفتى فاخبروني بما جرى له فاردت أن لا أبرح حتى انظر ما يجري بينك وبينه وهذه قصتي قال الجني انها حكاية عجيبة وقد وهبت لك ثلث دمه في جنايته فعند ذلك تقدم الشيخ الثالث صاحب البغلة وقال للجني أنا أحكي لك حكاية أعجب من حكاية الاثنين وتهب لي باقي دمه وجنايته فقال الجني نعم فقال الشيخ أيها السلطان ورئيس الجان ان هذه البغلة كانت زوجتي سافرت وغبت عنها سنة كاملة ثم قضيت سفري وجئت اليها في الليل فرأيت عبداً أسود راقداً معها في الفراش وهما في كلام وغنج وضحك وتقبيل وهراش فلما رأتني عجلت وقامت الى بكوز فيه ماء فتكلمت عليه ورشتني وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورة كلب فصرت في الحال كلباً فطردتني من البيت فخرجت من الباب ولم أزل سائراً حتى وصلت الى دكان جزار فتقدمت وصرت آكل من العظام فلما رآني صاحب الدكان أخذني ودخل بي بيته فلما رأتني بنت الجزار غطت وجهها مني وقالت أتجيء لنا برجل وتدخل علينا به فقال أبوها أين الرجل قالت ان هذا الكلب رجل سحرته امرأته وأنا أقدر على تخليصه فلما سمع أبوها كلامها قال بالله عليك يا بنتي خلصيه فاخذت كوزاً فيه ماء وتكلمت عليه ورشت علي منه قليلاً وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فصرت الى صورتي الاولى فقبلت يدها وقلت لها أريد أن تسحري زوجتي كما سحرتني فأعطتني قليلاً من الماء وقالت اذا رأيتها نائمة رشي هذا الماء عليها فانها تصير كما أنت طالب فوجدتها نائمة فرششت عليها الماء وقلت أخرجي من هذه الصورة الى صورة بغلة فصارت في الحال بغلة وهي هذه التي تنظرها بعينك أيها السلطان ورئيس ملوك الجان ثم التفت اليها قال أصحيح هذا فهزت رأسها وقالت بالاشارة نعم هذا صحيح فلما فرغ من حديثه اهتز الجني من الطرب ووهب له ثلث دمه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها يا أختي ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقاني الملك فقال الملك والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لانه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح فخرج الملك الى محل حكمه ودخل عليه

الوزير والعسكر واحتبك الديوان فحكم الملك وولى وعزل ونهى وأمر الى آخر النهار ثم انفض الديوان ودخل الملك شهر باز الى قصره

﴿فلما كانت الليلة الثالثة﴾ قالت لها أختها دنيازاد يا أختى أتممى لنا حديثك فقالت حبا وكرامة بلغنى أيها الملك السعيد ان الشيخ الثالث لما قال للجنى حكاية أعجب من الحكايتين تعجب الجنى غاية العجب واهتز من الطرب وقال قد وهبت لك باقى جنايته وأطلقته لكم فأقبل التاجر على الشيوخ وشكرهم وهنوه بالسلامة ورجع كل واحد الى بلده وما هذه بأعجب من حكاية الصياد فقال لها الملك وما حكاية الصياد

﴿حكاية الصياد مع العفريت﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه كان رجل صياد وكان طاعنا فى السن وله زوجة وثلاثة أولاد وهو فقير الحال وكان من عادته أنه يرمى شبكته كل يوم أربع مرات لاغير ثم انه خرج يوما من الايام فى وقت الظهر الى شاطئ البحر وحط مقطفه وطرح شبكته وصبر الى أن استقرت فى الماء ثم جمع خيطانها فوجدها ثقيلة فجذبها فلم يقدر على ذلك فذهب بالطرف الى البر ودق وتدا وربطها فيه ثم تعرى وغطس فى الماء حول الشبكة ومازال يعالج حتى أطلعها ففرح ولبس ثيابه وأتى الى الشبكة فوجد فيها حمارا ميتا فلما رأى ذلك حزن وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال ان هذا الرزق عجيب وأنشد يقول

يا خائضا فى ظلام الليل والهلكه ✻ اقصر عناك فليس الرزق بالحركه

ثم ان الصياد لما رأى الحمار الميت خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وبعد ذلك نزل البحر وقال بسم الله وطرحها فيه وصبر عليها حتى استقرت ثم جذبها فثقلت ورسخت أكثر من الاول فظن انه سمك فربط الشبكة وتعرى ونزل وغطس ثم عالج الى أن خلصها وأطلعها على البر فوجد فيها زيرا كبيرا وهو ملآن برمل وطين فلما رأى ذلك تأسف وأنشد قول الشاعر

يا حرقة الدهر كفى ✻ ان لم تكفى فعفى
فلا بحظى أعطى ✻ ولا بصنعة كفى
خرجت أطلب رزقى ✻ وجدت رزقى توفى
كم جاهل فى ظهور ✻ وعالم متخفى

ثم انه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله وعاد الى البحر ثالث مرة ورمى الشبكة وصبر

عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها اشقاقة وقوارير فأنشد قول الشاعر

هو الرزق لاحل لديك ولا ربط ✹ ولا قلم يجدي عليك ولا خط

ثم انه رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك تعلم أني لم أرم شبكتي غير أربع مرات وقد رميت ثلاثا ثم انه سمى الله ورمى الشبكة في البحر وصبر الى ان استقرت وجذبها فلم يطق جذبها واذا بها اشتبكت في الارض فقال لاحول ولا قوة الا بالله فتعرى وغطس عليها وصار يعالج فيها الى أن طلعت على البر وفتحها فوجد فيها قمقما من نحاس أصفر ملآن وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان فلما رآه الصياد فرح وقال هذا أبيعه في سوق النحاس فانه يساوي عشرة دنانير ذهبا ثم انه حركه فوجده ثقيلا فقال لابد أني أفتحه وأنظر ما فيه وأدخره في الخرج ثم أبيعه في سوق النحاس ثم انه أخرج سكينا وعالج في الرصاص الى أن فكه من القمقم وحطه على الارض وهزه لينكب ما فيه فلم ينزل منه شيء ولكن خرج من ذلك القمقم دخان صعد الى عنان السماء ومشى على وجه الارض فتعجب غاية العجب وبعد ذلك تكامل الدخان واجتمع ثم انتفض فصار عفريتا رأسه في السحاب ورجلاه في التراب برأس كالقبة وأيد كالمداري ورجلين كالصواري وفم كالمغارة وأسنان كالحجارة ومناخير كالابريق وعينين كالسراجين أشعث أغبر فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائصه وتشبكت أسنانه ونشف ريقه وعمي عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا اله الا الله سليمان نبي الله ثم قال العفريت يا نبي الله لا تقتلني فاني لاعدت أخالف لك قولا ولا أعصي لك أمرا فقال له الصياد أيها المارد أتقول سليمان نبي الله وسليمان مات من مدة ألف وثمانمائة سنة ونحن في آخر الزمان فما قصتك وما حديثك وما سبب دخولك في هذا القمقم فلما سمع المارد كلام الصياد قال لا اله الا الله ابشر يا صياد فقال الصياد بماذا تبشرني فقال بقتلك في هذه الساعة أشر القتلات قال الصياد تستحق على هذه البشارة يا قيم العفاريت زوال الستر عنك يا بعيد لاي شيء تقتلني وأي شيء يوجب قتلي وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر وطلعتك الى البر فقال العفريت تمن على أي موتة تموتها وأي قتلة تقتلها فقال الصياد ماذنبي حتى يكون هذا جزائي منك قال العفريت اسمع حكايتي يا صياد قال الصياد قل وأوجز في الكلام فان روحي وصلت الى قدمي قال اعلم اني من الجن المارقين وقد عصيت سليمان بن داود أنا وصخر الجني فأرسل لي وزيره آصف بن برخيا فأتى بي مكرها وقادني اليه وأنا ذليل على رغم أنفي وأوقفني بين يديه فلما رآني سليمان استعاذ مني وعرض علي الايمان والدخول تحت طاعته فأبيت فطلب هذا القمقم وحبسني فيه وختم علي بالرصاص وطبعه بالاسم الاعظم وأمر الجن فاحتملوني وألقوني في وسط البحر فاقمت مائة عام وقلت في قلبي كل من

خلصني

خلصني أغنيته الى الابد فمرت المائة عام ولم يخلصني أحد ودخلت على مائة أخرى فقلت كل من خلصني فتحت له كنوز الارض فلم يخلصني أحد فمر على أربعمائة عام أخرى فقلت كل من خلصني أقضي له ثلاث حاجات فلم يخلصني أحد فغضبت غضبا شديدا وقلت فى نفسى كل من خلصنى فى هذه الساعة قتلته ومنيته كيف يموت وها أنت قد خلصتني ومنيتك كيف تموت فلما سمع الصياد كلام العفريت قال يالله العجب أنا ما جئت أخاصك الا فى هذه الايام ثم قال الصياد للعفريت اعف عن قتلى يعف الله عنك ولا تهلكني يسلط الله عليك من يهلكك فقال المارد لا بد من قتلك فتمن على أى موتة تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد راجع العفريت وقال اعف عنى اكراما لما أعتقتك فقال العفريت وأنا ما أقتلك الا لاجل ما خلصتني فقال له الصياد ياشيخ العفاريت هل أصنع معك مليحا فتقابلني بالقبيح ولكن لم يكذب المثل حيث قال

فعلنا جميلا قابلونا بضده * وهذا لعمرى من فعال الفواجر

ومن يفعل المعروف مع غير أهله * يجازى كما جوزى مجير أم عامر

فلما سمع العفريت كلامه قال له لا تطمع فلا بد من موتك فقال الصياد هذا جني وأنا انسي وقد أعطاني الله عقلا كاملا وها أنا أدبر أمرا فى هلاكه بحيلتي وعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت هل صممت على قتلى قال نعم فقال له بالاسم الاعظم المنقوش على خاتم سليمان أسألك عن شئ وتصدقنى فيه قال نعم ثم ان العفريت لما سمع ذكر الاسم الاعظم اضطرب واهتز وقال له اسأل وأوجز فقال له كيف كنت فى هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك فقال له العفريت وهل أنت لا تصدق انني كنت فيه فقال الصياد لا أصدقك أبدا حتى أنظرك فيه بعيني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الصياد لما قال للعفريت لا أصدقك أبدا حتى أنظرك بعيني فى القمقم انتفض العفريت وصار دخانا صاعدا الى الجو ثم اجتمع ودخل فى القمقم قليلا قليلا حتى استكمل الدخان داخل القمقم واذا بالصياد أسرع وأخذ السدادة الرصاص المختومة وسد بها فم القمقم ونادى العفريت وقال له تمن على أى موتة تموتها لارمينك فى هذا البحر وابنى لى هنا بيتا وكل من أتى هنا أمنعه أن يصطاد وأقول له هنا عفريت وكل من طلعه يبين له أنواع الموت ويخيره بينها فلما سمع العفريت كلام الصياد أراد الخروج فلم يقدر ورأى نفسه محبوسا ورأى عليه طبع خاتم سليمان وعلم أن الصياد سجنه فى سجن أحقر العفاريت وأقذرها وأصغرها ثم ان الصياد ذهب بالقمقم الى جهة البحر فقال له العفريت لا لا فقال الصياد لا بد لا بد فالطف المارد كلامه وخضع وقال ما تريد أن تصنع بى

ياصياد قال ألقيك فى البحر ان كنت اقت فيه ألفا وثمانمائة عام فانا أجعلك تمكث فيه الى أن تقوم الساعة أما قلت لك أبقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله فابيت قولى وما أردت الا غدرى فالقاك الله فى يدى فغدرت بك فقال العفريت افتح لى حتى أحسن اليك فقال له الصياد تكذب ياملعون انا مثلى ومثلك مثل وزير الملك يونان والحكيم رويان فقال العفريت وما شأن وزير الملك يونان والحكيم رويان وما قصتهما

﴿حكاية وزير الملك يونان والحكيم رويان﴾

﴿وهى من ضمن ماقبلها﴾

قال الصياد اعلم أيها العفريت انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان فى مدينة الفرس وأرض رومان ملك يقال له الملك يونان وكان ذا مال وجنود ذو بأس وأعوان من سائر الاجناس وكان فى جسده برص قد عجزت فيه الاطباء والحكماء ولم ينفعه منهم شرب ادوية ولا سفوف ولا دهان ولم يقدر أحد من الاطباء أن يداويه وكان قد دخل مدينة الملك يونان حكيم كبير طاعن فى السن يقال له الحكيم رويان وكان عارفا بالكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية وعلم الطب والنجوم وعالما بأصول حكمتها وقواعد أمورها من منفعتها ومضرتها وعالما بخواص النباتات والحشائش والاعشاب المضرة والنافعة قد عرف علم الفلاسفة وحاز جميع العلوم الطبية وغيرها ثم ان الحكيم لما دخل المدينة واقام بها أياما قلائل سمع خبر الملك وما جرى له فى بدنه من البرص الذى ابتلاه الله به وقد عجزت عن مداواته الاطباء وأهل العلوم فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولا فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وسلمت الشمس على زين الملاح لبس أفخر ثيابه ودخل على الملك يونان وقبل الارض ودعا له بدوام العز والنعم واحسن مابه تكلم واعلمه بنفسه فقال أيها الملك بلغنى ما اعتراك من هذا الذى فى جسدك وان كثيرا من الاطباء لم يعرفوا الحيلة فى زواله وها انا اداويك أيها الملك ولا اسقيك دواء ولا أدهنك بدهن فلما سمع الملك يونان كلامه تعجب وقال له كيف تفعل فوالله ان ابرأتنى أغنيك لولد الولد وانعم عليك وكل ماتتمناه فهو لك وتكون نديمى وحبيبى ثم انه خلع عليه واحسن اليه وقال له أتبرئنى من هذا المرض بلا دواء ولا دهان قال نعم أبرئك بلا مشقة فى جسدك فتعجب الملك غاية العجب ثم قال له أيها الحكيم الذى ذكرته لى يكون فى أى الاوقات وفى أى الايام فاسرع به ياولدى قال له سمعا وطاعة ثم نزل من عند الملك واكترى له بيتا وحط فيه كتبه وادويته وعقاقيره ثم استخرج الادوية والعقاقير وجعل منها صولجانا وجوفه وعمل له قصبة وصنع له كرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها طلع الى الملك فى اليوم الثانى ودخل عليه وقبل

الارض

الارض بين يديه وأمره أن يركب الى الميدان وأن يلعب بالكرة والصولجان وكان معه الامراء والحجاب والوزراء وأرباب الدولة فما استقر به الجلوس فى الميدان حتى دخل عليه الحكيم رويان وناوله الصولجان وقال له خذ هذا الصولجان واقبض عليه مثل هذه القبضة وامش فى الميدان واضرب به الكرة بقوتك حتى يعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسرى فى سائر جسدك فاذا فرغت وأثر الدواء فيك فارجع الى قصرك وادخل بعد ذلك الحمام واغتسل ونم فقد برئت والسلام فعند ذلك أخذ الملك يونان ذلك الصولجان من الحكيم وأمسكه بيده وركب الجواد ورميت الكرة بين يديه وساق خلفها حتى لحقها وضربها بقوة وهو قابض بكفه على قصبة الصولجان ومازال يضرب به الكرة حتى عرق كفه وسائر بدنه وسرى له الدواء من القبضة وعرف الحكيم رويان أن الدواء سرى فى جسده فأمره بالرجوع الى قصره وأن يدخل الحمام من ساعته فرجع الملك يونان من وقته وأمر أن يخلوا له الحمام فأخلوه له وتسارعت الفراشون وتسابقت المماليك وأعدوا للملك قماشه ودخل الحمام واغتسل غسلا جيدا ولبس ثيابه داخل الحمام ثم خرج منه وركب الى قصره ونام فيه هذا ما كان من أمر الملك يونان وأما ما كان من أمر الحكيم رويان فانه رجع الى داره وبات فلما أصبح الصباح طلع الى الملك واستأذن عليه فأذن له فى الدخول فدخل وقبل الارض بين يديه وأشار الى الملك بهذه الابيات

زهت الفصاحة اذ ادعيت لها أبا * واذا ادعت يوما سواك لها أبى
ياصاحب الوجه الذى أنواره * تمحو من الخطب الكريه غياهبا
مازال وجهك مشرقا متهللا * كى لاترى وجه الزمان مقطبا
أوليتنى من فضلك المنن التى * فعلت بنا فعل السحاب مع الربا
وصرفت جل المال فى طلب العلا * حتى بلغت من الزمان مآربا

فلما فرغ من شعره نهض الملك قائما على قدميه وعانقه وأجلسه بجنبه وخلع عليه الخلع السنية ولما خرج الملك من الحمام نظر الى جسده فلم يجد فيه شيأ من البرص وصار جسده نقيا مثل الفضة البيضاء ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فلما أصبح الصباح دخل الديوان وجلس على سرير ملكه ودخلت عليه الحجاب وأكابر الدولة ودخل عليه الحكيم رويان فلما رآه قام اليه مسرعا وأجلسه بجانبه واذا بموائد الطعام قدمت فأكل صحبته ومازال عنده ينادمه طول نهاره فلما أقبل الليل أعطى الحكيم ألفى دينار غير الخلع والهدايا وأركبه جواده وانصرف الى داره والملك يونان يتعجب من صنعه ويقول هذا داوانى من ظاهر جسدى ولم يدهنى بدهان فوالله ماهذه الا حكمة بالغة فيجب على لهذا الرجل الانعام والاكرام وأن أتخذه جليسا وأنيسا

مدى الزمان وبات الملك يونان مسرورا فرحانا بصحة جسمه وخلاصه من مرضه فلما أصبح خرج الملك وجلس على كرسيه ووقفت أرباب دولته بين يديه وجلست الامراء والوزراء على يمينه ويساره ثم طلب الحكيم رويان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه فقام له الملك وأجلسه بجانبه وأكل معه وحياه وخلع عليه وأعطاه ولم يزل يتحدث معه الى أن أقبل الليل فرسم له بخمس خلع وألف دينار ثم انصرف الحكيم الى داره وهو شاكر للملك فلما أصبح الصباح خرج الملك الى الديوان وقد أحدقت به الامراء والوزراء والحجاب وكان له وزير من وزرائه بشع المنظر نحس الطالع لئيم بخيل حسود مجبول على الحسد والمقت فلما رأى ذلك الوزير ان الملك قرب الحكيم رويان وأعطاه هذا الانعام حسده عليه وأضمر له الشر كما قيل في المعنى ما خلا جسد من حسد وقيل في المعنى الظلم كمين في النفس القوة تظهره والعجز يخفيه ثم ان الوزير تقدم الى الملك يونان وقبل الارض بين يديه وقال له يا ملك العصر والاوان أنت الذي شمل الناس احسانك ولك عندي نصيحة عظيمة فان أخفيتها عنك أكون ولد زنا فان أمرتني أن أبديها أبديتها لك فقال الملك وقد أزعجه كلام الوزير وما نصيحتك فقال أيها الملك الجليل قد قالت القدماء من لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب وقد رأيت الملك على غير صواب حيث أنعم على عدوه وعلى من يطلب زوال ملكه وقد أحسن اليه وأكرمه غاية الاكرام وقربه غاية القرب وأنا أخشى على الملك من ذلك فانزعج الملك وتغير لونه وقال له من الذي تزعم أنه عدوي وأحسن اليه فقال له أيها الملك ان كنت نائما فاستيقظ فانا أشير الى الحكيم رويان فقال له الملك ان هذا صديقي وهو أعز الناس عندي لانه داواني بشيء قبضته بيدي وأبرأني من مرضي الذي عجزت فيه الاطباء وهو لا يوجد مثله في هذا الزمان في الدنيا غربا وشرقا فكيف أنت تقول عليه هذا المقال وأنا من هذا اليوم أرتب له الجوامك والجرايات وأعمل له في كل شهر ألف دينار ولو قاسمته في ملكي لكان قليلا عليه وما أظن أنك تقول ذلك الا حسدا كما بلغني عن الملك السندباد ثم قال الملك يونان ذكر والله أعلم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها يا أختي ما أحلى حديثك وأطيبه والذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة المقبلة ان عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لانه حديث عجيب ثم انهم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح ثم خرج الملك الى محل حكمه واحتبك الديوان فحكم وولى وعزل وأمر ونهى الى آخر النهار ثم انفض الديوان فدخل الملك قصره وأقبل الليل وقضى حاجته من بنت الوزير شهرزاد

﴿فلما كانت الليلة الخامسة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك يونان قال لوزيره أيها

الوزير

الوزير رأيت دخلك الحسد من أجل هذا الحكيم فتريد ان أقتله وبعد ذلك أندم كما ندم الملك السندباد على قتل البازفقال الوزير وكيف كان ذلك فقال الملك ذكر أنه كان ملك من ملوك الفرس يحب الفرجة والتنزه والصيد والقنص وكان له بازرباه ولا يفارقه ليلا ولا نهارا ويبيت طول الليل حامله على يده واذا طلع الى الصيد يأخذه معه وهو عامل له طاسة من الذهب معلقة فى رقبته يسقيه منها فبينما الملك جالس واذا بالوكيل على طير الصيد يقول يا ملك الزمان هذا أوان الخروج الى الصيد فاستعد الملك للخروج وأخذ البازعلى يده وساروا الى أن وصلوا الى واد ونصبوا شبكة الصيد واذا بغزالة وقعت فى تلك الشبكة فقال الملك كل من فاتت الغزالة من جهته قتلته فضيقوا عليها حلقة الصيد واذا بالغزالة أقبلت على الملك وشبت على رجليها وحطت يديها على صدرها كأنها تقبل الارض للملك فطأطأ الملك للغزالة ففرت من فوق دماغه وراحت الى البر فالتفت الملك الى العسكر فرآهم يتغامزون عليه فقال يا وزير ماذا يقول العساكر فقال يقولون انك قلت كل من فاتت الغزالة من جهته يقتل فقال الملك وحياة رأسى لأتبعها حتى أجىء بها ثم طلع الملك فى أثر الغزالة ولم يزل وراءها وصار البازى يلطشها على عينيها الى أن أعماها ودوخها فسحب الملك دبوسا وضربها فقلبها ونزل ذبحها وسلخها وعلقها فى قربوص السرج وكانت ساعة حر وكان المكان قفرا لم يوجد به ماء فعطش الملك وعطش الحصان فالتفت الملك فرأى شجرة ينزل منها ماء مثل السمن وكان الملك لابسا فى كفه جلدا فاخذ الطاسة من رقبة البازى وملأها من ذلك الماء ووضع الماء قدامه واذا بالبازى لطش الطاسة فقلبها فاخذ الملك الطاسة ثانيا وملأها وظن ان البازى عطشان فوضعها قدامه فلطشها ثانيا وقلبها فغضب الملك من البازى وأخذ الطاسة ثالثا وقدمها للحصان فقلبها البازى بجناحه فقال الملك الله يخيبك يا أشأم الطيور أحرمتنى من الشرب وأحرمت نفسك وأحرمت الحصان ثم ضرب البازى بالسيف فرمى أجنحته فصار البازى يقيم رأسه ويقول بالاشارة انظر الذى فوق الشجرة فرفع الملك عينه فرأى فوق الشجرة حية والذى يسيل سمها فندم الملك على قص أجنحة البازى ثم قام وركب حصانه وسار ومعه الغزالة حتى وصل الى مكانه الاول فألقى الغزالة الى الطباخ وقال له خذها واطبخها ثم جلس الملك على الكرسى والبازى على يده فشهق البازى ومات فصاح الملك حزنا وأسفا على قتل البازى حيث خلصه من الهلاك وهذا ما كان من حديث الملك السندباد فلما سمع الوزير كلام الملك يونان قال له أيها الملك العظيم الشأن وما الذى فعلته من الضرورة ورأيت منه سوأ انما أفعل معك هذا شفقة عليك وستعلم صحة ذلك فان قبلت منى نجوت والا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك • كان لذلك الملك ولد مولع بالصيد والقنص وكان له وزير فأمر

الملك ذلك الوزير ان يكون مع ابنه أينما توجه فخرج يوما من الايام الى الصيد والقنص وخرج معه وزير أبيه فسارا جميعا فنظر الى وحش كبير فقال الوزير لابن الملك دونك هذا الوحش فاطلبه فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين وغاب عنه الوحش فى البرية وتحير ابن الملك فلم يعرف أين يذهب واذا بجارية على رأس الطريق وهى تبكى فقال لها ابن الملك من أنت قالت بنت ملك من ملوك الهند وكنت فى البرية فأدركنى النعاس فوقعت من فوق الدابة ولم أعلم بنفسى فصرت منقطعة حائرة فلما سمع ابن الملك كلامها رق لحالها وحملها على ظهر دابته وأردفها وسار حتى مر بجزيرة فقالت له الجارية ياسيدى أريد أن أزيل ضرورة فأنزلها الى الجزيرة ثم تعوقت فاستبطأها فدخل خلفها وهى لاتعلم به فاذا هى غولة وهى تقول لاولادها ياأولادى قد أتيتكم اليوم بغلام سمين فقالوا لها ائتينا به ياأمنا نأكله فى بطوننا فلما سمع ابن الملك كلامهم أيقن بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشى على نفسه ورجع فخرجت الغولة فرأته كالخائف الوجل وهو يرتعد فقالت له مابالك خائفا فقال لها ان لى عدوا وأنا خائف منه فقالت الغولة انك تقول أنا ابن الملك قال لها نعم قالت له مالك لاتعطى عدوك شيأ من المال فترضيه به فقال لها انه لايرضى بمال ولا يرضى الا بالروح وأنا خائف منه وأنا رجل مظلوم فقالت له ان كنت مظلوما كما تزعم فاستعن بالله عليه فانه يكفيك شره وشر جميع ماتخافه فرفع ابن الملك رأسه الى السماء وقال يامن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء انصرنى على عدوى واصرفه عنى انك على ماتشاء قدير فلما سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنه وانصرف ابن الملك الى أبيه وحدثه بحديث الوزير وانت أيها الملك متى أمنت لهذا الحكيم فتلك أقبح القتلات وان كنت أحسنت اليه وقربته منك فانه يدبر فى هلاكك أما ترى انه أبرأك من المرض من ظاهر الجسد بشئ أمسكته بيدك فلا تأمن ان يهلكك بشئ تمسكه أيضا فقال الملك يونان صدقت فقد يكون كما ذكرت أيها الوزير الناصح فلعل هذا الحكيم أتى جاسوسا فى طلب هلاكى واذا كان أبرأنى بشئ أمسكته بيدى فانه يقدر أن يهلكنى بشئ أشمه ثم ان الملك يونان قال لوزيره أيها الوزير كيف العمل فيه فقال له الوزير أرسل اليه فى هذا الوقت واطلبه فان حضر فاضرب عنقه فتكفى شره وتستريح منه واغدر به قبل ان يغدر بك فقال الملك يونان صدقت أيها الوزير ثم ان الملك أرسل الى الحكيم فحضر وهو فرحان ولا يعلم ماقدره الرحمن كما قال بعضهم فى المعنى

ياخائفا من دهره كن آمنا * وكل الامور الى الذى بسط الثرى
ان المقدر كائن لايمتحى * ولك الامان من الذى ماقدرا

وأنشد الحكيم مخاطبا للملك قول الشاعر

اذا

اذا لم أقم يوما بحقك بالشكر * فقل لى لمن أعددت نظمى مع النثر
لقد جدت لى قبل السؤال بأنعم * أتتنى بلا مطل لديك ولا عذر
فمالى لا أعطى ثناءك حقه * وأثنى على علياك فى السر والجهر
سأشكر ما أوليتنى من صنائع * يخف لها فمى وان أثقلت ظهرى

(وأيضا فى المعنى)

كن عن همومك معرضا * وكل الامور الى القضا
وابشر بخير عاجل * تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط * لك فى عواقبه رضى
الله يفعل ما يشا * ء فلا تكن متعرضا

(وأيضا فى المعنى)

سلم أمورك للحكيم العالم * وأرح فؤادك من جميع العالم
واعلم بأن الامر ليس كما تشا * بل ما يشاء الله أحكم حاكم

(وأيضا فى المعنى)

لا تبتئس وانس الهموم جميعها * ان الهموم تزيل لب الحازم
لا ينفع التدبير عبدا عاجزا * فاتركه تسلم فى نعيم دائم *

فلما حضر الحكيم رويان قال له الملك أتعلم لماذا أحضرتك فقال الحكيم لا يعلم الغيب الا الله تعالى فقال له الملك أحضرتك لاقتلك وأعدمك روحك فتعجب الحكيم رويان من تلك المقالة غاية العجب وقال أيها الملك لماذا تقتلنى وأى ذنب بدا منى فقال له الملك قد قيل لى انك جاسوس وقد أتيت لتقتلنى وها أنا أقتلك قبل أن تقتلنى ثم ان الملك صاح على السياف وقال له اضرب رقبة هذا الغدار وأرحنا من شره فقال الحكيم أبقنى يبقك الله ولا تقتلنى يقتلك الله ثم انه كرر عليه القول مثل ما قلت لك أيها العفريت وأنت لا تدعنى بل تريد قتلى فقال الملك يونان للحكيم رويان انى لا آمن الا ان قتلتك فانك أبرأتنى بشئ أمسكته بيدى فلا آمن أن تقتلنى بشئ أشمه أو غير ذلك فقال الحكيم أيها الملك أهذا جزائى منك تقابل المليح بالقبيح فقال الملك لا بد من قتلك من غير مهلة فلما تحقق الحكيم ان الملك قاتله ولا محالة بكى وتأسف على ما صنع من الجميل مع غير أهله كما قيل فى المعنى

ميمونة من سمات العقل عارية * لكن أبوها من الالباب قد خلق
لم يمش فى يابس يوما ولا وحل * الا بنور هداه يتقى الزلق

و بعد ذلك تقدم السياف وغمى عينيه وشهر سيفه وقال ائذن والحكيم يبكي و يقول للملك أبقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله وأنشد قول الشاعر

نصحت فلم أفلح وغشوا فأفلحوا * فاوقعني نصحي بدار هوان
فان عشت لم أنصح وان مت فانع لي * ذوى النصح من بعدى بكل لسان

ثم ان الحكيم قال للملك أيكون هذا جزائي منك فتجازيني مجازاة التمساح قال الملك وما حكاية التمساح فقال الحكيم لا يمكنني ان أقولها وأنا في هذا الحال فبالله عليك أبقني يبقك الله ثم ان الحكيم بكى بكاء شديدا فقام بعض خواص الملك وقال أيها الملك هب لي دم هذا الحكيم لاننا ما رأيناه فعل معك ذنبا وما رأيناه الا أبرأك من مرضك الذى أعيا الاطباء والحكماء فقال لهم الملك لم تعرفوا سبب قتلي لهذا الحكيم وذلك لاني ان أبقيته فانا هالك لا محالة ومن أبرأني من المرض الذى كان بي بشيء أمسكته بيدى فيمكن ان يقتلني بشيء أشمه فانا أخاف أن يقتلني و يأخذ عليّ جعالة لانه ربما كان جاسوسا وما جاء الا ليقتلني فلا بد من قتله و بعد ذلك آمن على نفسى فقال الحكيم أبقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله فلما تحقق الحكيم أيها العفريت ان الملك قاتله لا محالة قال له أيها الملك ان كان لا بد من قتلي فامهلني حتى أنزل الى دارى فأخلص نفسى وأوصى أهلي وجيراني ان يدفنوني وأهب كتب الطب وعندى كتاب خاص الخاص أهبه لك هدية تدخره في خزانتك فقال الملك للحكيم وما هذا الكتاب قال فيه شيء لا يحصى وأقل ما فيه من الاسرار أنك اذا قطعت رأسي وفتحته وعددت ثلاث ورقات ثم تقرأ ثلاثة أسطر من الصحيفة التي على يسارك فان الرأس تكلمك وتجاوبك عن جميع ما سألتها عنه فتعجب الملك غاية العجب واهتز من الطرب وقال له أيها الحكيم وهل اذا قطعت رأسك تكلمت فقال نعم أيها الملك وهذا أمر عجيب ثم ان الملك أرسله مع المحافظة عليه فنزل الحكيم الى داره وقضى أشغاله في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني ثم طلع الحكيم الى الديوان وطلعت الامراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة جميعا وصار الديوان كزهر البستان واذا بالحكيم دخل الديوان ووقف قدام الملك ومعه كتاب عتيق ومكحلة فيها ذرور وجلس وقال ائتوني بطبق فأتوه بطبق وكب فيه الذرور وفرشه وقال أيها الملك خذ هذا الكتاب ولا تعمل به حتى تقطع رأسي فاذا قطعتها فاجعلها في ذلك الطبق وأمر بكبسها على ذلك الذرور فاذا فعلت ذلك فان دمها ينقطع ثم أفتح الكتاب ففتحه الملك فوجده ملصوقا فحط أصبعه في فمه و بله بريقه وفتح أول ورقة والثانية والثالثة والورق ما ينفتح الا بجهد ففتح الملك ست ورقات ونظر فيها فلم يجد فيها كتابة فقال الملك أيها الحكيم ما فيه شيء مكتوب فقال الحكيم قلب زيادة على ذلك فقلب فيه زيادة فلم يكن الا قليلا

من

من الزمان حتى سرى فيه السم لوقته وساعته فان الكتاب كان مسموما فعند ذلك تزحزح الملك وصاح وقال قد سرى فى السم فانشد الحكيم رويان يقول

تحكموا فاستطالوا فى حكومتهم * وعن قليل كأن الحكم لم يكن
لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى * عليهم الدهر بالآفات والمحن
وأصبحوا ولسان الحال ينشدهم * هذا بذاك ولا عتب على الزمن

فلما فرغ رويان الحكيم من كلامه سقط الملك ميتا من وقته فاعلم أيها العفريت ان الملك يونان لو أبقى الحكيم رويان لابقاه الله ولكن أبى وطلب قتله فقتله الله وأنت أيها العفريت لو أبقيتنى لابقاك الله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها دنيازاد ما أحلى حديثك فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقانى الملك و باتوا تلك الليلة فى نعيم وسرور الى الصباح ثم طلع الملك الى الديوان ولما انفض الديوان دخل قصره واجتمع باهله

﴿فلما كانت الليلة السادسة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الصياد لما قال للعفريت لو أبقيتنى كنت أبقيتك لكن ما أردت الا قتلى فانا أقتلك محبوسا فى هذا القمقم وألقيك فى هذا البحر صرخ المارد وقال بالله عليك أيها الصياد لا تفعل وأبقنى كرما ولا تؤاخذنى بعملى فاذا كنت أنا مسيئا كن أنت محسنا وفى الامثال السائرة يا محسنا لمن أساء كفى المسىء فعله ولا تعمل كما عمل أمامة مع عاتكة قال الصياد وما شأنهما فقال العفريت ما هذا وقت حديث وأنا فى السجن حتى تطلعنى منه وأنا أحدثك بشأنهما فقال الصياد لا بد من القائك فى البحر ولا سبيل الى اخراجك منه فانى كنت أستعطفك وأتضرع اليك وأنت لا تريد الا قتلى من غير ذنب استوجبته منك ولا فعلت معك سوأ قط ولم أفعل معك الا خيرا لكونى أخرجتك من السجن فلما فعلت معى ذلك علمت انك ردىء الاصل واعلم اننى مارميتك فى هذا البحر الا لاجل ان كل من طلعك أخبره بخبرك وأحذره منك فيرميك فيه ثانيا فتقيم فى هذا البحر الى آخر الزمان حتى ترى أنواع العذاب قال له العفريت أطلقنى فهذا وقت المروآت وأنا أعاهدك انى لم أسؤك أبدا بل أنفعك بشىء يغنيك دائما فاخذ الصياد عليه العهد انه اذا أطلقه لا يؤذيه أبدا بل يعمل معه الجميل فلما استوثق منه بالايمان والعهود وحلفه باسم الله الاعظم فتح له الصياد فتصاعد الدخان حتى خرج وتكامل فصار عفريتا مشوه الخلقة ورفس القمقم فرماه فى البحر فلما رأى الصياد رمى القمقم فى البحر أيقن بالهلاك وبال فى ثيابه وقال هذه ليست علامة خير ثم انه قوى قلبه وقال أيها العفريت قال الله تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وأنت قد عاهدتنى

وحلفت أنك لا تغدر بي فان غدرت بي يجزك الله فانه غيور يمهل ولا يهمل وانا قلت لك مثل ما قال الحكيم رويان للملك يونان أبقني يبقك الله فضحك العفريت ومشى قدامه وقال أيها الصياد اتبعني فمشى الصياد وراءه وهو لم يصدق بالنجاة الى أن خرجا من ظاهر المدينة وطلعا على جبل ونزلا الى برية متسعة واذا في وسطها بركة ماء فوقف العفريت عليها وأمر الصياد أن يطرح الشبكة ويصطاد فنظر الصياد الى البركة وفيها السمك ألوان الابيض والاحمر والازرق والاصفر فتعجب الصياد من ذلك ثم انه طرح شبكته وجذبها فوجد فيها أربع سمكات كل سمكة بلون فلما رآها الصياد فرح فقال له العفريت ادخل بها الى السلطان وقدمها اليه فانه يعطيك ما يغنيك وبالله اقبل عذري فانني في هذا الوقت لم أعرف طريقا وأنا في هذا البحر مدة ألف وثمان مائة عام ما رأيت ظاهر الدنيا الا في هذه الساعة ولا تصطد منها كل يوم الا مرة واحدة واستودعتك الله ثم دق الارض بقدميه فانشقت وابتلعته ومضى الصياد الى المدينة وهو متعجب مما جرى له مع هذا العفريت ثم أخذ السمك ودخل به منزله وأتى بماجور ثم ملأه ماء وحط فيه السمك فاختبط السمك من داخل الماجور في الماء ثم حمل الماجور فوق رأسه وقصد به قصر الملك كما أمره العفريت فلما طلع الصياد الى الملك وقدم له السمك تعجب الملك غاية العجب من ذلك السمك الذي قدمه اليه الصياد لانه لم ير في عمره مثله صفة ولا شكلا فقال القوا هذا السمك للجارية الطباخة وكانت هذه الجارية قد أهداها له ملك الروم منذ ثلاثة أيام وهو لم يجربها في طبيخ فأمرها الوزير أن تقليه وقال لها يا جارية ان الملك يقول لك ما ادخرت دمعتي الا لشدتي ففرجينا اليوم على طهيك وحسن طبيخك فان السلطان جاء اليه واحد بهدية ثم رجع الوزير بعدما أوصاها فأمره الملك أن يعطي الصياد أربعمائة دينار فاعطاه الوزير اياها فأخذها في حجره وتوجه الى منزله لزوجته وهو فرحان مسرور ثم اشترى لعياله ما يحتاجون اليه هذا ما كان من أمر الصياد وأما ما كان من أمر الجارية فانها أخذت السمك ونظفته ورصته في الطاجن ثم انها تركت السمك حتى استوى وجهه وقلبته على الوجه الثاني واذا بحائط المطبخ قد انشقت وخرجت منها صبية رشيقة القد أسيلة الخد كاملة الوصف كحيلة الطرف بوجه مليح وقد رجيح لابسة كوفية من خز أزرق وفي أذنيها حلق وفي معاصمها أساور وفي أصابعها خواتم بالفصوص المثمنة وفي يدها قضيب من الخيزران فغرزت القضيب في الطاجن وقالت يا سمك هل أنت على العهد مقيم فلما رأت الجارية هذا غشي عليها وقد أعادت الصبية القول ثانيا وثالثا فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال نعم نعم ثم قال جميعه هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا * وان هجرت فانا قد تكافينا

فعند

فعند ذلك قلبت الصبية الطاجن وخرجت من الموضع الذى دخلت منه والتحمت حائط المطبخ ثم أفاقت الجارية فرأت الاربع سمكات محروقة مثل الفحم الاسود فقالت تلك الجارية من أول غزوته حصل كسر عصيته فبينما هى تعاتب نفسها واذا بالوزير واقف على رأسها وقال لها هات السمك للسلطان فبكت الجارية وأعلمت الوزير بالحال وبالذى جرى فتعجب الوزير من ذلك وقال ماهذا الا أمر عجيب ثم انه أرسل الى الصياد فأتوا به اليه فقال له أيها الصياد لابدّ أن تجى ءلنا بأربع سمكات مثل التى جئت بها أولا فخرج الصياد الى البركة وطرح شبكته ثم جذبها واذا بأربع سمكات فاخذها وجاء بها الى الوزير فدخل بها الوزير الى الجارية وقال لها قومى اقليها قدامى حتى أرى هذه القضية فقامت الجارية وأصلحت السمك ووضعته فى الطاجن على النار فما استقرّ الاقليلا واذا بالحائط قد انشقت والصبية قد ظهرت وهى لابسة ملبسها وفى يدها القضيب فغرزته فى الطاجن وقالت ياسمك ياسمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفعت السمكات رؤسها وأنشدت هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا ۞ وان هجرت فانا قد تكافينا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

۞ فلما كانت الليلة السابعة ۞ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه لما تكلم السمك قلبت الصبية الطاجن بالقضيب وخرجت من الموضع الذى جاءت منه والتحم الحائط فعند ذلك قام الوزير وقال هذا أمر لا يمكن اخفاؤه عن الملك ثم انه تقدم الى الملك وأخبره بما جرى قدامه فقال لابدّ أن أنظر بعينى فأرسل الى الصياد وأمره أن يأتى بأربع سمكات مثل الاولى وأمهله ثلاثة أيام فذهب الصياد الى البركة وأتاه بالسمك فى الحال فأمر الملك أن يعطوه أربعمائة دينار ثم التفت الملك الى الوزير وقال له سوّ أنت السمك ههنا قدامى فقال الوزير سمعا وطاعة فأحضر الطاجن ورمى فيه السمك بعد أن نظفه ثم قلبه واذا بالحائط قد انشقت وخرج منها عبد أسود كأنه ثور من الثيران أومن قوم عاد وفى يده فرع من شجرة خضراء وقال بكلام فصيح مزعج ياسمك ياسمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال نعم نعم وأنشد هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا ۞ وان هجرت فانا قد تكافينا

ثم أقبل العبد على الطاجن وقلبه بالفرع الى ان صار فحما أسود ثم ذهب العبد من حيث أتى فلما غاب العبد عن أعينهم قال الملك هذا أمر لا يمكن السكوت عنه ولابد أن هذا السمك له شأن غريب فأمر باحضار الصياد فلما حضر قال له من أين هذا السمك فقال له من بركة بين أربع

جبال وراء هذا الجبل الذى بظاهر مدينتك فالتفت الملك الى الصياد وقال له مسيرة كم يوم قال له يامولانا السلطان مسيرة نصف ساعة فتعجب السلطان وأمر بخروج العسكر من وقته مع الصياد فصار الصياد يلعن العفريت وساروا الى أن طلعوا الجبل ونزلوا منه الى برية متسعة لم يروها مدة أعمارهم والسلطان وجميع العسكر يتعجبون من تلك البرية التى نظروها بين أربع جبال والسمك فيها على أربعة ألوان أحمر وأبيض وأصفر وأزرق فوقف الملك متعجبا وقال للعسكر ولمن حضر هل أحد منكم رأى هذه البركة فى هذا المكان فقالوا كلهم لا فقال الملك والله لا أدخل مدينتى ولا أجلس على تخت ملكى حتى أعرف حقيقة هذه البركة وسمكها ثم أمر الناس بالنزول حول هذه الجبال فنزلوا ثم دعا بالوزير وكان وزيرا خبيرا عاقلا لبيبا عالما بالامور فلما حضر بين يديه قال له انى أردت أن أعمل شيأ فاخبرك به وذلك أنه خطر ببالى أن أنفرد بنفسى فى هذه الليلة وأبحث عن خبر هذه البركة وسمكها فاجلس على باب خيمتى وقل للامراء والوزراء والحجاب ان السلطان متشوش وأمرنى أن لا آذن لاحد فى الدخول عليه ولا تعلم أحدا بقصدى فلم يقدر الوزير على مخالفته ثم ان الملك غير حالته وتقلد سيفه وانسل من بينهم ومشى بقية ليله الى الصباح فلم يزل سائرا حتى اشتد عليه الحر فاستراح ثم مشى بقية يومه وليلته الثانية الى الصباح فلاح له سواد من بعد ففرح وقال لعلى أجد من يخبرنى بقضية البركة وسمكها فلما قرب من السواد وجده قصرا مبنيا بالحجارة السود مصفحا بالحديد وأحد شقى بابه مفتوح والآخر مغلوق ففرح الملك ووقف على الباب ودق دقا لطيفا فلم يسمع جوابا فدق ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فدق رابعا دقا مزعجا فلم يجبه أحد فقال لاشك انه خال فشجع نفسه ودخل من باب القصر الى دهليزه ثم صرخ وقال يا أهل القصر انى رجل غريب وعابر سبيل هل عندكم شئ من الزاد وأعاد القول ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فقوى قلبه وثبت نفسه ودخل من الدهليز الى وسط القصر فلم يجد فيه أحدا غير أنه مفروش وفى وسطه فسقية عليها أربعة سباع من الذهب الاحمر تلقى الماء من أفواهها كالدرر والجواهر وفى دائره طيور وعلى ذلك القصر شبكة تمنعها من الطلوع فتعجب من ذلك وتأسف حيث لم ير فيه أحدا يستخبر منه عن تلك البركة والسمك والجبال والقصر ثم جلس بين الابواب يتفكر واذا هو بأنين من كبد حزين فسمعه يترنم بهذا الشعر

لما خفيت ضنى ووجدى قد ظهر * والنوم من عينى تبدل بالسهر
ناديت وجدا قد تزايد بى الفكر * ياوجد لاتبقى على ولا تذر
* ها مهجتى بين المشقة والخطر *

فلما سمع السلطان ذلك الانين نهض قائما وقصد جهته فوجد سترا مسبولا على باب مجلس فرفعه

فرأى

فرأى خلف الستر شابا جالسا على سرير مرتفع عن الارض مقدار ذراع وهو شاب مليح بقد رجيح ولسان فصيح وجبين أزهر وخد أحمر وشامة على كرسي خده كترس من عنبر كما قال الشاعر

ومهفهف من شعره وجبينه * مشت الورى فى ظلمة وضياء
ماأبصرت عيناك أحسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الـ * ـحمراء تحت المقلة السوداء

ففرح به الملك وسلم عليه والصبى جالس وعليه قباء حرير بطراز من ذهب لكن عليه أثر الحزن فرد السلام على الملك وقال له ياسيدى اعذرنى فى عدم القيام فقال الملك أيها الشاب أخبرنى عن هذه البركة وعن سمكها الملون وعن هذا القصر وسبب وحدتك فيه وماسبب بكائك فلما سمع الشاب هذا الكلام نزلت دموعه على خده وبكى بكاء شديدا فتعجب الملك وقال له مايبكيك أيها الشاب فقال كيف لاأبكى وهذه حالتى ومد يده الى أذياله فرفعها فاذا نصفه التحتانى الى قدميه حجر ومن سرته الى شعر رأسه بشر ثم قال الشاب اعلم أيها الملك ان لهذا السمك أمرا عجيبا لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وذلك ياسيدى انه كان والدى ملك هذه المدينة وكان اسمه محمودا صاحب الجزائر السود وصاحب هذه الجبال الاربعة فأقام فى الملك سبعين عاما ثم توفى والدى وتسلطنت بعده وتزوجت بابنة عمى وكانت تحبنى محبة عظيمة بحيث اذا غبت عنها لاتأكل ولا تشرب حتى ترانى فمكثت فى عصمتى خمس سنين الى أن ذهبت يوما من الايام الى الحمام فأمرت الطباخ أن يجهز لنا طعاما لاجل العشاء ثم دخلت هذا القصر ونمت فى الموضع الذى أنا فيه وأمرت جاريتين أن يروحا على وجهى فجلست واحدة عند رأسى والاخرى عند رجلى وقد قلقت لغيابها ولم يأخذنى نوم غير أن عينى مغمضة ونفسى يقظانة فسمعت التى عند رأسى تقول للتى عند رجلى يامسعودة ان سيدنا مسكين شبابه وياخسارته مع سيدتنا الخبيثة الخاطئة فقالت الاخرى لعن الله النساء الزانيات ولكن مثل سيدنا وأخلاقه لايصلح لهذه الزانية التى كل ليلة تبيت فى غير فراشه فقالت التى عند رأسى ان سيدنا مغفل حيث لم يسأل عنها فقالت الاخرى ويلك وهل عند سيدنا علم بحالها أوهى تخليه باختياره بل تعمل له عملا فى قدح الشراب الذى يشربه كل ليلة قبل المنام فتضع فيه البنج فينام ولم يشعر بما يجرى ولم يعلم أين تذهب ولا بما تصنع لانها بعدما تسقيه الشراب تلبس ثيابها وتخرج من عنده فتغيب الى الفجر وتأتى اليه وتبخره عند أنفه بشىء فيستيقظ من منامه فلما سمعت كلام الجوارى صار الضياء فى وجهى ظلاما وماصدقت ان الليل أقبل وجاءت بنت عمى من الحمام فمدينا السماط وأكلنا وجلسنا ساعة

زمانية نتنادم كالعادة ثم دعوت بالشراب الذي أشرب به عند المنام فناولتني الكاس فتزاوغت عنه وجعلت أني أشربه مثل عادتي ودلقته في عبي ورقدت في الوقت والساعة واذا بها قالت ثم ليتك لم تقم والله كرهتك وكرهت صورتك وملت نفسي من عشرتك ثم قامت ولبست أفخر ثيابها وتبخرت وتقلدت سيفا وفتحت باب القصر وخرجت فقمت وتبعتها حتى خرجت من القصر وشقت في أسواق المدينة الى أن انتهت الى أبواب المدينة فتكلمت بكلام لا أفهمه فتساقطت الاقفال وانفتحت الابواب وخرجت وأنا خلفها وهي لا تشعر حتى انتهيت الى ما بين الكيمان وأتت حصنا فيه قبة مبنية بطين لها باب فدخلته هي وصعدت أنا على سطح القبة وأشرفت عليها واذا بها قد دخلت على عبد أسود احدى شفتيه غطاء وشفته الثانية وطاء وشفاهه تلقط الرمل من الحصى وهو مبتلى وراقد على قليل من قش القصب فقبلت الارض بين يديه فرفع ذلك العبد رأسه اليها وقال لها ويلك ما سبب قعودك الى هذه الساعة كان عندنا السودان وشربوا الشراب وصار كل واحد بعشيقته وأنا ما رضيت أن أشرب من شانك فقالت يا سيدي وحبيب قلبي أما تعلم اني متزوجة بابن عمي وأنا أكره النظر في صورته وأبغض نفسي في صحبته ولولا أني أخشى على خاطرك لكنت جعلت المدينة خرابا يصيح فيها البوم والغراب وانقل حجارتها الى خلف جبل قاف فقال العبد تكذبين يا عاهرة وأنا أحلف وحق فتوة السودان والا تكون مروأتنا مروأة البيضان ان بقيتي تقعدي الى هذا الوقت من هذا اليوم لا أصاحبك ولا أضع جسدي على جسدك يا خائنة أتغيبين علي من أجل شهوتك يا منتنة يا أخس البيضان قال الملك فلما سمعت كلامهما وأنا أنظر بعيني ما جرى بينهما صارت الدنيا في وجهي ظلاما ولم أعرف روحي في أي موضع وصارت بنت عمي واقفة تبكي عليه وتتذلل بين يديه وتقول له يا حبيبي وثمرة فؤادي ما أحد غيرك بقي لي فان طردتني يا ويلي يا حبيبي يا نور عيني وما زالت تبكي وتتضرع له حتى رضي عليها ففرحت وقامت وقلعت ثيابها ولباسها وقالت له يا سيدي هل عندك ما تأكله جاريتك فقال لها اكشفي اللقان فان تحتها عظام فيران مطبوخة فكليها ومرمشيها وقومي لهذه القوارة تجدي فيها بوظة فاشربيها فقامت وأكلت وشربت وغسلت يديها وجاءت فرقدت مع العبد على قش القصب وتعرت ودخلت معه تحت الهدمة والشراميط فلما نظرت الى هذه الفعال التي قد فعلتها بنت عمي غبت عن الوجود فنزلت من فوق أعلى القبة ودخلت وأخذت السيف من بنت عمي وهممت أن أقتل الاثنين فضربت العبد أولا على رقبته فظننت أنه قد قضي عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فلما أصبح الصباح دخل الملك الى محل الحكم واحتبك الديوان الى آخر النهار ثم طلع الملك قصره فقالت لها أختها دنيازاد أتمي لنا حديثك

قالت

قالت حبا وكرامة

﴿فلما كانت الليلة الثامنة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب المسحور قال للملك لما ضربت العبد لاقطع رأسه قطعت الحلقوم والجلد واللحم فظننت انى قتلته فشخر شخيرا عاليا فتحركت بنت عمى وقامت بعد ذهابى فاخذت السيف وردته الى موضعه وأتت المدينة ودخلت القصر ورقدت فى فراشى الى الصباح ورأيت بنت عمى فى ذلك اليوم قد قطعت شعرها ولبست ثياب الحزن وقالت يا ابن عمى لا تلمنى فيما أفعله فانه بلغنى أن والدتى توفيت وأن والدى قتل فى الجهاد وأن أخوىَّ أحدهما مات ملسوعا والآخر ردبما فيحق لى أن أبكى وأحزن فلما سمعت كلامها سكت عنها وقلت لها افعلى ما بدالك فانى لم أخالفك فكثت فى حزن وبكاء وعديد سنة كاملة من الحول الى الحول وبعد السنة قالت لى أريد أن أبنى لى فى قصرك مدفنا مثل القبة وانفرد فيه بالاحزان وأسميه بيت الاحزان فقلت لها افعلى ما بدالك فبنت لها بيتا للحزن وبنت فى وسطه قبة ومدفنا مثل الضريح ثم نقلت العبد وأنزلته فيه وهو ضعيف جدا لا ينفعها بنافعة لكنه يشرب الشراب ومن اليوم الذى جرحته فيه ما تكلم الا انه حىّ لان أجله لم يفرغ فصارت كل يوم تدخل عليه القبة بكرة وعشيا وتبكى عنده وتعدد عليه وتسقيه الشراب والمساليق ولم تزل على هذه الحال صباحا ومساء الى ثانى سنة وأنا أطول بالى عليها الى أن دخلت عليها يوما من الايام على غفلة فوجدتها تبكى وتلطم وجهها وتقول هذه الابيات

عدمت وجودى فى الورى بعد بعدكم ✽ فان فؤادى لا يحب سواكم
خذوا كرما جسمى الى أين ترتموا ✽ وأين حللتم فادفنونى حداكم
وان تذكروا اسمى عند قبرى يجيبكم ✽ أنين عظامى عند صوت نداكم

فلما فرغت من شعرها قلت لها وسيفى مسلول فى يدى هذا كلام الخائنات اللاتى ينكرن العشرة ولا يحفظن الصحبة وأردت أن أضربها فرفعت يدى فى الهواء فقامت وقد علمت أنى أنا الذى جرحت العبد ثم وقفت على قدميها وتكلمت بكلام لا أفهمه وقالت جعل الله بسحرى نصفك حجرا ونصفك الآخر بشرا فصرت كما ترى وبقيت لا أقوم ولا أقعد ولا أنا ميت ولا أنا حى فلما صرت هكذا سحرت المدينة وما فيها من الاسواق والغيطان وكانت مدينتنا أربعة أصناف مسلمين ونصارى ويهودا ومجوسا فسحرتهم سمكا فالابيض مسلمون والاحمر مجوس والازرق نصارى والاصفر يهود وسحرت الجزائر الاربع أربعة جبال واحاطتها بالبركة ثم انها كل يوم تعذبنى وتضربنى بسوط من الجلد مائة ضربة حتى يسيل الدم ثم تلبسنى من تحت هذه الثياب ثوبا من الشعر على نصفى الفوقانى ثم ان الشاب بكى وأنشد هذا الشعر

صبرا لحكمك يا الهي والقضا * أنا صابر ان كان فيه لك الرضا
قد ضقت بالامر الذي قد نابني * فوسيلتي آل النبي المرتضى

فعند ذلك التفت الملك الى الشاب وقال له أيها الشاب زدتني هما على همي ثم قال له وأين تلك المرأة قال في المدفن الذي فيه العبد راقد في القبة وهي تجيء له كل يوم مرة وعند مجيئها تجيء الي وتجردني من ثيابي وتضربني بالسوط مائة ضربة وأنا أبكي وأصيح ولم يكن في حركة حتى أدفعها عن نفسي ثم بعد أن تعاقبني تذهب الى العبد بالشراب والمسلوقة بكرة النهار قال الملك والله يا فتى لافعلن معك معروفا أذكر به وجميلا يؤرخونه سيرا من بعدي ثم جلس الملك يتحدث معه الى أن أقبل الليل ثم قام الملك وصبر الى أن جاء وقت السحر فتجرد من ثيابه وتقلد سيفه ونهض الى المحل الذي فيه العبد فنظر الى الشمع والقناديل ورأى البخور والادهان ثم قصد العبد وضربه فقتله ثم حمله على ظهره ورماه في بئر كانت في القصر ثم نزل ولبس ثياب العبد وهو داخل في القبة والسيف معه مسلول في طوله فبعد ساعة أتت العاهرة الساحرة وعند دخولها جردت ابن عمها من ثيابه وأخذت سوطا وضربته فقال آه يكفيني ما أنا فيه فارحميني فقالت هل كنت أنت رحمتني وأبقيت لي معشوقي ثم ألبسته اللباس الشعر والقماش من فوقه ثم نزلت الى العبد ومعها قدح الشراب وطاسة المسلوقة ودخلت عليه القبة وبكت وولولت وقالت ياسيدي كلمني ياسيدي حدثني وأنشدت تقول

فالى متى هذا التجنب والجفا * ان الذي فعل الغرام لقد كفى
كم قد تطيل الهجر لي متعمدا * ان كان قصدك حاسدي فقد اشتفى

ثم انها بكت وقالت ياسيدي كلمني وحدثني فخفض صوته وعوج لسانه وتكلم بكلام السودان وقال آه آه لا حول ولا قوة الا بالله فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح وغشي عليها ثم انها استفاقت وقالت لعل سيدي صحيح فخفض الملك صوته بضعف وقال يا عاهرة أنت لا تستحقي أن أكلمك قالت ما سبب ذلك قال سببه أنك طول النهار تعاقبين زوجك وهو يصرخ ويستغيث حتى أحرمتيني النوم من العشاء الى الصباح ولم يزل زوجك يتضرع ويدعو عليك حتى أقلقني صوته ولولا هذا لكنت تعافيت فهذا الذي منعني عن جوابك فقالت عن اذنك أخلصه مما هو فيه فقال لها الملك خلصيه وأريحينا فقالت سمعا وطاعة ثم قامت وخرجت من القبة الى القصر وأخذت طاسة ملأتها ماء ثم تكلمت عليها فصار الماء يغلي كما يغلي القدر ثم رشته منها وقالت بحق ما تلوته أن تخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فانتفض الشاب وقام على قدميه وفرح بخلاصه وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت له اخرج ولا

ولا ترجع الى هنا والا قتلتك وصرخت فى وجهه فخرج من بين يديها وعادت الى القبة ونزلت وقالت ياسيدى أخرج الىّ حتى أنظرك فقال لها بكلام ضعيف أى شئ فعلتيه أرحتينى من الفرع ولم تريحينى من الاصل فقالت ياحبيبى وماهو الاصل قال أهل هذه المدينة والاربع جزائر كل ليلة اذا انتصف الليل يرفع السمك رأسه ويدعو علىّ وعليك فهو سبب منع العافية عن جسمى فخلصيهم وتعالى خذى بيدى وأقيمينى فقد توجهت الىّ العافية فلما سمعت كلام الملك وهى تظنه العبد قالت له وهى فرحة ياسيدى على رأسى وعينى بسم الله ثم نهضت وقامت وهى مسرورة تجرى وخرجت الى البركة وأخذت من مائها قليلا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية الساحرة لما أخذت شيئا من ماء البركة وتكلمت عليه بكلام لا يفهم تحرّك السمك ورفع رأسه وصار آدميين فى الحال وانفك السحر عن أهل المدينة وصارت المدينة عامرة والاسواق منصوبة وصار كل واحد فى صناعته وانقلبت الجبال جزائر كما كانت ثم ان الصبية الساحرة رجعت الى الملك فى الحال وهى تظن أنه العبد وقالت له ياحبيبى ناولنى يدك الكريمة أقبلها فقال الملك بكلام خفى تقربى منى فدنت منه وقد أخذ صارمه وطعنها به فى صدرها حتى خرج من ظهرها ثم ضربها فشقها نصفين وخرج فوجد الشاب المسحور واقفا فى انتظاره فهناه بالسلامة وقبل الشاب يده وشكره فقال له الملك أتقعد فى مدينتك أم تجئ معى الى مدينتى فقال الشاب ياملك الزمان أتدرى ما بينك وبين مدينتك فقال الملك يومان ونصف فعند ذلك قال له الشاب أيها الملك ان كنت نائما فاستيقظ انّ بينك وبين مدينتك سنة للمجدّ وما أتيت فى يومين ونصف الا لان المدينة كانت مسحورة وأنا أيها الملك لا أفارقك لحظة عين ففرح الملك بقوله ثم قال الحمد لله الذى منّ علىّ بك فأنت ولدى لانى طول عمرى لم أرزق ولدا ثم تعانقا وفرحا فرحا شديدا ثم مشيا حتى وصلا الى القصر وأخبر الملك الذى كان مسحورا أرباب دولته أنه مسافر الى الحج الشريف فهيؤا له جميع ما يحتاج اليه ثم توجه هو والسلطان وقلب السلطان ملتهب على مدينته حيث غاب عنها سنة ثم سافر ومعه خمسون مملوكا ومعه الهدايا ولم يزالا مسافرين ليلا ونهارا سنة كاملة حتى أقبلا على مدينة السلطان فخرج الوزير والعساكر لملاقاته بعد ما قطعوا الرجاء منه وأقبلت العساكر وقبلت الارض بين يديه وهنوه بالسلامة فدخل وجلس على الكرسى ثم أقبل على الوزير وأعلمه بكل ما جرى على الشاب فلما سمع الوزير ما جرى على الشاب هناه بالسلامة ولما استقرّ الحال أنعم السلطان على ناس كثيرة ثم قال للوزير علىّ بالصياد الذى أتى بالسمك فأرسل الى ذلك

الصياد الذى كان سببا لخلاص أهل المدينة فأحضره وخلع عليه وسأله عن حاله وهل له أولاد فأخبره أن له ابنا وبنتين فتزوج الملك باحدى بنتيه وتزوج الشاب بالاخرى وأخذ الملك الابن عنده وجعله خازندارا ثم أرسل الوزير الى مدينة الشاب التى هى الجزائر السود وقلده سلطنتها وأرسل معه الخمسين مملوكا الذين جاؤا معه وأرسل معه كثيرا من الخلع لسائر الامراء فقبل الوزير يديه وخرج مسافرا واستقر السلطان والشاب وأما الصياد فانه قد صار أغنى أهل زمانه وبناته زوجات الملوك الى أن أتاهم الممات وما هذا بأعجب مما جرى للحمال

﴿حكاية الحمال مع البنات﴾

فانه كان انسان من مدينة بغداد وكان أعزب وكان حمالا فبينما هو فى السوق يوما من الايام متكئا على قفصه اذ وقفت عليه امرأة ملتفة بازار موصلى من حرير مزركش بالذهب وحاشيتاه من قصب فرفعت قناعها فبان من تحته عيون سود بأهداب وأجفان وهى ناعمة الاطراف كاملة الاوصاف وبعد ذلك قالت بحلاوة لفظها هات قفصك واتبعنى فما صدق الحمال بذلك وأخذ القفص وتبعها الى أن وقفت على باب دار فطرقت الباب فنزل لها رجل نصرانى فأعطته دينارا وأخذت منه مقدارا من الزيتون ووضعته فى القفص وقالت له احمله واتبعنى فقال الحمال هذا والله نهار مبارك ثم حمل القفص وتبعها فوقفت على دكان فكهانى واشترت منه تفاحا شاميا وسفرجلا عثمانيا وخوخا عمانيا وياسمينا حلبيا وبنوفرا دمشقيا وخيارا نيليا وليمونا مصريا وأترجا سلطانيا ومرسينا وريحانيا وتمر حنا والحوانا وشقائق النعمان وبنفسجا وجلنارا ونسرينا ووضعت الجميع فى قفص الحمال وقالت احمل فحمل وتبعها حتى وقفت على جزار وقالت له اقطع عشرة أرطال لحما فقطع لها ولفت اللحم فى ورق موز ووضعته فى القفص وقالت احمل يا حمال فحمل وتبعها ثم وقفت على النقلى وأخذت من سائر النقل وقالت للحمال احمل واتبعنى فحمل القفص وتبعها الى أن وقفت على دكان الحلوانى واشترت طبقا وملأته من جميع ما عنده من مشبك وقطائف بالمسك محشية وصابونية واقراص ليمونية وميمونية وأمشاط وأصابع ولقيمات القاضى ووضعت جميع أنواع الحلاوة فى الطبق ووضعته فى القفص فقال الحمال لو أعلمتينى لجئت معى ببغل نحمل عليه هذه الامور فتبسمت ثم وقفت على العطار واشترت منه عشرة مياه ماء ورد وماء زهر وماء خلاف وغير ذلك وأخذت قدرا من السكر وأخذت مرش ماء ورد ممسك وحصى لبان ذكر وعودا وعنبرا ومسكا وأخذت شمعا اسكندرانيا ووضعت الجميع فى القفص وقالت احمل قفصك واتبعنى فحمل القفص وتبعها به الى أن أتت دارا مليحة وقدامها رحبة فسيحة

وهي عالية البنيان مشيدة الاركان بابها بشقتين من الابنوس مصفح بصفائح الذهب الاحمر فوقفت الصبية على الباب ودقت دقا لطيفا واذا بالباب انفتح بشقتيه فنظر الحمال الى من فتح لها الباب فوجدها صبية رشيقة القد قاعدة النهد ذات حسن وجمال وقد واعتدال وجبين كغرة الهلال وعيون كعيون الغزلان وحواجب كهلال رمضان وخدود مثل شقايق النعمان وفم كخاتم سليمان ووجه كالبدر في الاشراق ونهدين كرمانتين باتفاق و بطن مطوي تحت الثياب كطي السجل للكتاب فلما نظر الحمال اليها سلبت عقله وكاد القفص أن يقع من فوق رأسه ثم قال ما رأيت عمري أبرك من هذا النهار فقالت الصبية البوابة للدلالة والحمال مرحبا وهي من داخل الباب ومشوا حتى انتهوا الى قاعة فسيحة مزركشة مليحة ذات تراكيب وشاذروانات ومصاطب وسدلات وخزائن عليها الستور مرخيات وفي وسط القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر منصوب عليه ناموسية من الاطلس الاحمر ومن داخله صبية بعيون بابلية وقامة ألفية ووجه يخجل الشمس المضية فكأنها بعض الكواكب الدرية أو عقيلة عربية كما قال فيها الشاعر

من قاس قدك بالغصن الرطيب فقد * أضحى القياس به زورا وبهتانا

الغصن أحسن ما نلقاه مكتسيا * وأنت أحسن ما نلقاك عريانا

فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير وخطرت قليلا الى أن صارت في وسط القاعة عند أختيها وقالت ما وقوفكم حطوا عن رأس هذا الحمال المسكين فجاءت الدلالة من قدامه والبوابة من خلفه وساعدتهما الثالثة وحططن عن الحمال وفرغن ما في القفص وصفوا كل شيء في محله وأعطين الحمال دينارين وقلن له توجه يا حمال فنظر الى البنات وما هن فيه من الحسن والطبائع الحسنات فلم ير أحسن منهن ولكن ليس عندهن رجال ونظر ما عندهن من الشراب والفواكه والمشمومات وغير ذلك فتعجب غاية العجب ووقف عن الخروج فقالت له الصبية مالك لا تروح هل أنت استقللت الاجرة والتفتت الى أختها وقالت لها اعطيه دينارا آخر فقال الحمال والله يا سيداتي ان أجرتي نصفان وما استقللت الاجرة وانما اشتغل قلبي وسري بكن وكيف حالكن وأنتن وحدكن وما عندكن رجال ولا أحد يؤانسكن وأنتن تعرفن أن المنارة لا تثبت الا على أربعة وليس لكن رابع وما يكمل حظ النساء الا بالرجال كما قال الشاعر

انظر الى أربع عندي قد اجتمعت * جنك وعود وقانون ومزمار

وأنتن ثلاثة فتفتقرن الى رابع يكون رجلا عاقلا لبيبا حاذقا وللاسرار كاتما فقلن له نحن بنات ونخاف أن نودع السر عند من لا يحفظه وقد قرأنا في الاخبار شعرا

صن عن سواك السر لا تودعه * من أودع السر فقد ضيعه

فلما سمع الحمال كلامهن قال وحياتكن انى رجل عاقل أمين قرأت الكتب وطالعت التواريخ أظهر الجميل وأخفى القبيح وأعمل بقول الشاعر

لا يكتم السر الا كل ذى ثقة * والسر عند خيار الناس مكتوم
السر عندى فى بيت له غلق * ضاعت مفاتيحه والباب مختوم

فلما سمع البنات الشعر والنظام وما أبداه من الكلام قلن له أنت تعلم أننا غرمنا على هذا المقام جملة من المال فهل معك شئ تجازينا به فنحن لا ندعك تجلس عندنا حتى تغرم مبلغا من المال لان خاطرك أن تجلس عندنا وتصير نديمنا وتطلع على وجوهنا الصباح الملاح فقالت صاحبة الدار اذا كانت بغير المال محبة فلا تساوى وزن حبة وقالت البوابة ان لم يكن معك شئ رح بلا شئ فقالت الدلالة يا أختى نكف عنه فوالله ما قصر اليوم معنا ولو كان غيره ما طول روحه علينا ومهما جاء عليه أغرمه عنه ففرح الحمال وقال والله ما استفتحت بالدراهم الا منك فقلن له اجلس على الرأس والعين وقامت الدلالة وشدت وسطها وصفت القنانى وروقت المدام وعملت الخضرة على جانب البحر وأحضرت ما يحتاجون اليه ثم قدمت المدام وجلست هى وأختاها وجلس الحمال بينهن وهو يظن أنه فى المنام ثم قدمت باطية المدام وملأت أول قدح وشربته والثانى والثالث ثم ملأت وناولت أختها والاخرى ثم ملأت وناولت الحمال فأخذ الحمال منها الكأس وأنشد هذا الشعر

اشرب الراح فائزا بالعوافى * ان هذا الشراب للداء شافى

(وقال أيضا هذا البيت)

لا يشرب الراح الا من به طرب * يكون بالسكر فى أفراحه راقى

وبعد هذا الشعر قبل أيديهن وشرب معهن ثم نزل عند صاحبة المحل وقال يا سيدتى أنا عبدك ومملوكك وخدامك وأنشد يقول

على الباب عبد من عبيدك واقف * بجودك والاحسان والشكر عارف

فقالت اشرب هنيئا وعافية فى مجارى الصحة فأخذ الكأس وقبل يدها وترنم بقول الشاعر

ناولتها شبه خديها مشعشعة * حمراء يحكى سناها ضوء مقباس
فقبلتها وقالت وهى ضاحكة * فكيف تسقى خدود الناس للناس
قلت اشربى فهى من دمعى وحمرتها * دمى ومازجها فى الكأس أنفاسى

فأخذت الصبية القدح وشربته ونزلت عند أختها ولا زلن والحمال بينهن فى رقص وغناء ومشمومات

ومشمومات ولم يزل الحمال معهن فى عناق وتقبيل وهذه تكلمه وهذه تجذبه وهذه بالمشموم تضربه وهو معهن حتى لعبت الخمرة بعقولهم فلما تحكم الشراب معهم قامت البوابة وتجردت من ثيابها وصارت عريانة ثم رمت نفسها فى تلك البحيرة ولعبت فى الماء وأخذت الماء فى فمها وبخت الحمال ثم غسلت أعضاءها وما بين فخذيها ثم طلعت من الماء ورمت نفسها فى حجر الحمال وقالت له يا حبيبى ما اسم هذا وأشارت الى فرجها فقال الحمال رحمك الله فقالت بوه بوه أما تستحى ومسكته من رقبته وصارت تصكه فقال فرجك فقالت غيره فقال كسك فقالت غيره فقال زنبورك فلم تزل تصكه حتى ذاب قفاه ورقبته من الصك ثم قال لها وما اسمه فقالت له حبق الجسور فقال الحمال الحمد لله على السلامة يا حبق الجسور ثم انهم أداروا الكأس والطاس فقامت الثانية وخلعت ثيابها ورمت نفسها فى تلك البحيرة وعملت مثل الاولى وطلعت ورمت نفسها فى حجر الحمال وأشارت الى فرجها وقالت يا نور عينى ما اسم هذا قال فرجك قالت أما يقبح عليك هذا الكلام وصكته كفا طن له سائر ما فى القاعة فقال حبق الجسور فقالت لا والضرب والصك على قفاه فقال لها وما اسمه فقالت له السمسم المقشور ثم قامت الثالثة وخلعت ثيابها ونزلت تلك البحيرة وفعلت مثل من قبلها ثم لبست ثيابها وألقت نفسها فى حجر الحمال وقالت له أيضا ما اسم هذا وأشارت الى فرجها فصار يقول لها كذا وكذا الى أن قال لها وهى تضربه وما اسمه فقالت خان أبى منصور فقال الحمد لله على السلامة يا خان أبى منصور ثم بعد ساعة قام الحمال ونزع ثيابه ونزل فى البحيرة وذكره يسبح فى الماء وغسل مثل ما غسلن ثم طلع ورمى نفسه فى حجر سيداتهن ورمى ذراعيه فى حجر البوابة ورمى رجليه فى حجر الدلالة ثم أشار الى ايره وقال يا سيدتى ما اسم هذا فضحك الكل على كلامه حتى انقلبن على ظهورهن وقلن زبك قال لا وأخذ من كل واحدة عضة قلن ايرك قال لا وأخذ من كل واحدة حضنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة العاشرة﴾ قالت لها أختها دنيازاد يا أختى أتمى لنا حديثك قالت حبا وكرامة قد بلغنى أيها الملك السعيد انهن لم يزلن يقلن زبك ايرك وهو يقبل ويعض ويعانق وهن يتضاحكن الى أن قلن له وما اسمه قال اسمه البغل الجسور الذى يرعى حبق الجسور ويعلق بالسمسم المقشور ويبيت فى خان أبى منصور فضحكن حتى استلقين على ظهورهن ثم عادوا الى منادمتهم ولم يزالوا كذلك الى أن أقبل الليل عليهم فقلن للحمال توجه وأرنا عرض أكتافك فقال الحمال والله خروج الروح أهون من الخروج من عندكن دعونا نصل الليل بالنهار وكل منا يروح الى حال سبيله فقالت الدلالة بحياتى عندكن تدعنه ينام

عندنا نضحك عليه فانه خليع ظريف فقلن له تبيت عندنا بشرط أن تدخل تحت الحكم ومهما رأيته لا تسأل عنه ولا عن سببه فقال نعم فقلن قم واقرأ ما على الباب مكتوبا فقام الى الباب فوجد مكتوبا عليه بماء الذهب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك فقال الحمال اشهدوا انى لا أتكلم فيما لا يعنينى ثم قامت الدلالة جهزت لهم مأكولا فأكلوا ثم أوقدوا الشمع والعود وقعدوا فى أكل وشرب واذا هم سمعوا دق الباب فلم يختل نظامهم فقامت واحدة منهم الى الباب ثم عادت وقالت قد كمل صفانا فى هذه الليلة لانى وجدت بالباب ثلاثة أعجام ذقونهم محلوقة وهم عور بالعين الشمال وهذا من أعجب الاتفاق وهم ناس غرباء قد حضروا من أرض الروم ولكل واحد منهم شكل وصورة مضحكة فان دخلوا نضحك عليهم ولم تزل تتلطف بصاحبتيها حتى قالتا لها دعيهم يدخلون واشرطى عليهم أن لا يتكلموا فيما لا يعنيهم فيسمعوا ما لا يرضيهم ففرحت وراحت ثم عادت ومعها الثلاثة العور ذقونهم محلوقة وشوار بهم مبرومة ممشوقة وهم صعاليك فسلموا وتأخروا فقام لهم البنات وقعدوهم فنظر الثلاثة رجال الى الحمال فوجدوه سكران فلما عاينوه ظنوا أنه منهم وقالوا هو صعلوك مثلنا يؤانسنا فلما سمع الحمال هذا الكلام قام وقلب عينيه وقال لهم اقعدوا بلا فضول أما قرأتم ما على الباب فضحك البنات وقلن لبعضهن اننا نضحك على الصعاليك والحمال ثم وضعن الاكل للصعاليك فأكلوا ثم جلسوا يتنادمون والبوابة تسقيهم ولما دار الكأس بينهم قال الحمال للصعاليك يا اخواننا هل معكم حكاية أو نادرة تسلوننا بها فدبت فيهم الحرارة وطلبوا آلات اللهو فأحضرت لهم البوابة دفا موصليا وعودا عراقيا وجنكا عجميا فقام الصعاليك واقفين وأخذ واحد منهم الدف وأخذ واحد العود وأخذ واحد الجنك وضربوا بها وغنت البنات وصار لهم صوت عال فبينما هم كذلك واذا بطارق يطرق الباب فقامت البوابة لتنظر من بالباب وكان السبب فى دق الباب أن فى تلك الليلة نزل الخليفة هرون الرشيد لينظر ويسمع ما يتجدد من الاخبار هو وجعفر وزيره ومسرور سياف نقمته وكان من عادته أن يتنكر فى صفة التجار فلما نزل تلك الليلة ومشى فى المدينة جاءت طريقهم على تلك الدار فسمعوا آلات الملاهى فقال الخليفة لجعفر انى أريد أن ندخل هذه الدار ونشاهد صاحب هذه الاصوات فقال جعفر هؤلاء قوم قد دخل السكر فيهم ونخشى أن يصيبنا منهم شر فقال لابد من دخولنا وأريد أن تتحيل حتى ندخل عليهم فقال جعفر سمعا وطاعة ثم تقدم جعفر وطرق الباب فخرجت البوابة وفتحت الباب فقال لها يا سيدتى نحن تجار من طبرية ولنا فى بغداد عشرة أيام ومعنا تجارة ونحن نازلون فى خان التجار وعزم علينا تاجر فى هذه الليلة فدخلنا عنده وقدم لنا طعاما فأكلنا ثم تنادمنا عنده ساعة ثم أذن لنا بالانصراف

بالانصراف فخرجنا بالليل ونحن غرباء فتهنا عن الخان الذى نحن فيه فنرجو من مكارمكم أن تدخلونا هذه الليلة نبيت عندكم ولكم الثواب فنظرت البوابة اليهم فوجدتهم بهيئة التجار وعليهم الوقار فدخلت لصاحبتيها وشاورتهما فقالتا لها أدخليهم فرجعت وفتحت لهم الباب فقالوا لها أندخل باذنك قالت ادخلوا فدخل الخليفة وجعفر ومسرور فلما رأتهم البنات قمن لهم وخدمنهم وقلن مرحبا وأهلا وسهلا بأضيافنا ولنا عليكم شرط أن لا تتكلموا فيما لا يعنيكم فتسمعوا ما لا يرضيكم قالوا نعم وبعد ذلك جلسوا للشراب والمنادمة فنظر الخليفة الى الثلاثة الصعاليك فوجدهم عورا بالعين الشمال فتعجب منهم ونظر الى البنات وما هم فيه من الحسن والجمال فتحير وتعجب واستمروا فى المنادمة والحديث وأتين للخليفة بشراب فقال أنا حاج وانعزل عنهم فقامت البوّابة وقدمت له سفرة مزركشة ووضعت عليها باطية من الصينى وسكبت فيها ماء الخلاف وأرخت فيه قطعة من الثلج ومزجته بسكر فشكرها الخليفة وقال فى نفسه لابد أن اجازيها فى غد على فعلها من صنيع الخير ثم اشتغلوا بمنادمتهم فلما تحكم الشراب قامت صاحبة البيت وخدمتهم ثم أخذت بيد الدلالة وقالت يا أختى قومى لنقضى ديننا فقالت لها نعم فعند ذلك قامت البوّابة وأطلعت الصعاليك خلف الابواب قدامهن وذلك بعد أن أخلت وسط القاعة ونادين الحمال وقلن له ما أقل مودتك ما أنت غريب بل أنت من أهل الدار فقام الحمال وشد وسطه وقال ما تردن فقلن قف مكانك ثم قامت الدلالة وقالت للحمال ساعدنى فرأى كلبتين من الكلاب السود فى رقبتيهما جنازير فأخذهما الحمال ودخل بهما الى وسط القاعة فقامت صاحبة المنزل وشمرت عن معصمها وأخذت سوطا وقالت للحمال قدم كلبة منهما فجرها فى الجنزير وقدمها والكلبة تبكى وتحرك رأسها الى الصبية فنزلت الصبية عليها بالضرب على رأسها والكلبة تصرخ ولا زالت تضربها حتى كلت سواعدها فرمت السوط من يدها ثم ضمت الكلبة الى صدرها ومسحت دموعها وقبلت رأسها ثم قالت للحمال ردها وهات الثانية فجاء بها وفعلت بها مثل ما فعلت بالاولى فعند ذلك اشتغل قلب الخليفة وضاق صدره وغمز جعفر أن يسألها فقال له بالاشارة اسكت ثم التفتت صاحبة البيت للبوّابة وقالت لها قومى لقضاء ما عليك قالت نعم ثم ان صاحبة البيت صعدت على سرير من المرمر مصفح بالذهب والفضة وقالت للبوابة والدلالة ائتيا بما عندكما فأما البوّابة فانها صعدت على سرير بجانبها وأما الدلالة فانها دخلت مخدعا وأخرجت منه كيسا من الاطلس بأهداب خضر ووقفت قدام الصبية صاحبة المنزل ونفضت الكيس وأخرجت منه عودا وأصلحت أوتاره وأنشدت هذه الابيات

ردوا على جفنى النوم الذى سلبا * وخبرونى بعقلى أية ذهبا
علمت لما رضيت الحب منزلة * أن المنام على جفنى قد غضبا
قالوا عهدناك من أهل الرشاد فما * أغواك قلت اطلبوا من لحظه السببا
انى له عن دمى المسفوك معتذر * أقول حملته فى سفكه تعبا
ألقى بمرآة فكرى شمس صورته * فعكسها شب فى أحشائى اللهبا
من صاغه الله من ماء الحياة وقد * أجرى بقيته فى ثغره شنبا
ماذا ترى فى محب ماذكرت له * الا شكا أو بكى أوحن أو طربا
يرى خيالك فى الماء الزلال اذا * رام الشراب فيروى وهو ماشربا

(وأنشدت أيضا)

سكرت من لحظه لامن مدامته * ومال بالنوم عن عينى تمايله
فما السلاف سلتنى بل سوالفه * وما الشمول شلتنى بل شمائله
لوى بعزمى أصداغ لوين له * وغال عقلى بما تحوى غلائله

فلما سمعت الصبية ذلك قالت طيبك الله ثم شقت ثيابها ووقعت على الارض مغشيا عليها فلما انكشف جسدها رأى الخليفة عليه أثر ضرب المقارع والسياط فتعجب من ذلك غاية العجب فقامت البوابة ورشت الماء على وجهها وأتت اليها بحلة وألبستها اياها فقال الخليفة لجعفر أما تنظر الى هذه المرأة وما عليها من أثر الضرب فأنا لا أقدر أن أسكت على هذا ولا أستريح الا ان وقفت على حقيقة خبر هذه الصبية وحقيقة خبر هاتين الكلبتين فقال جعفر يا مولانا قد شرطوا علينا شرطا وهو أن لا نتكلم فيما لا يعنينا فنسمع مالا يرضينا ثم قامت الدلالة فأخذت العود وأسندته الى نهدها وغمزته بأناملها وأنشدت تقول

ان شكونا الهوى فماذا نقول * أو تلفنا شوقا فماذا السبيل
أو بعثنا رسولنا يترجم عنا * ما يؤدى شكوى المحب رسول
أو صبرنا فمالنا من بقاء * بعد فقد الاحباب الاقليل
ليس الا تأسفا ثم حزنا * ودموعا على الخدود تسيل
أيها الغائبون عن لمح عينى * وهم فى الفؤاد منى حلول
هل حفظتم لدى الهوى عهد صب * ليس عنه مدى الزمان يحول
أم نسيتم على التباعد صبا * شفه فيكم الضنى والنحول
واذا الحشر ضمنا أتمنى * من لدن ربنا حسابا يطول

فلما

فلما سمعت المرأة الثانية شعر الدلالة شقت ثيابها كما فعلت الاولى وصرخت ثم ألقت نفسها على الارض مغشيا عليها فقامت الدلالة وألبستها حلة ثانية بعد أن رشت الماء على وجهها ثم قامت المرأة الثالثة وجلست على سرير وقالت للدلالة غنى لى لأوفى دينى فما بقى غير هذا الصوت فأصلحت الدلالة العود وأنشدت هذه الابيات

فالى متى هذا الصدود وذا الجفا * فلقد جرى من أدمعى ماقد كفى
كم قد أطلت الهجر لى متعمدا * ان كان قصدك حاسدى فقد اشتفى
لو أنصف الدهر الخؤن لعاشق * ماكان يوما للعواذل منصفا
فلمن أبوح بصبوتى ياقاتلى * ياخيبة الشاكى اذا فقد الوفا
و يزيد وجدى فى هواك تلهفا * فمتى وعدت ولا رأيتك مخلفا
يامسلمون خذوا بثار متيم * ألف السهاد لديه طرف ماغفا
أيحل فى شرع الغرام تذللى * ويكون غيرى بالوصال مشرفا
ولقد كلفت بحبكم متلذذا * وغدا عذولى فى الهوى متكلفا

فلما سمعت المرأة الثالثة قصيدتها صرخت وشقت ثيابها وألقت نفسها على الارض مغشيا عليها فلما انكشف جسدها ظهر فيه أثر ضرب المقارع مثل من قبلها فقال الصعاليك ليتنا ماد خلنا هذه الدار وكنا بتنا على الكيمان فقد تكدر مبيتنا هنا بشئ يقطع الصلب فالتفت الخليفة اليهم وقال لهم لم ذلك قالوا قد اشتغل سرنا بهذا الامر فقال الخليفة أما أنتم من هذا البيت قالوا لا ولا ظننا هذا الموضع الا للرجل الذى عندكم فقال الحمال والله مارأيت هذا الموضع الا هذه الليلة وليتنى بت على الكيمان ولم أبت فيه فقال الجميع نحن سبعة رجال وهن ثلاث نسوة وليس لهن رابعة فنسألهن عن حالهن فان لم يجبننا طوعا أجبننا كرها واتفق الجميع على ذلك فقال جعفر ماهذا رأى سديد دعوهن فنحن ضيوف عندهن وقد شرطن علينا شرطا فنوفى به ولم يبق من الليل الا القليل وكل منا يمضى الى حال سبيله ثم انه غمز الخليفة وقال مابقى غير ساعة وفى غد نحضرهن بين يديك فتسألهن عن قصتهن فأبى الخليفة وقال لم يبق لى صبر عن خبرهن وقد كثر بينهن القيل والقال ثم قالوا ومن يسألهن فقال بعضهم الحمال ثم قال لهم النساء يا جماعة فى أى شئ تتكلمون فقام الحمال لصاحبة البيت وقال لها ياسيدتى سألتك بالله وأقسم عليك به أن تخبرينا عن حال الكلبتين وبأى سبب تعاقبينهما ثم تعودين تبكين وتقبلينهما وأن تخبرينا عن سبب ضرب أختك بالمقارع وهذا سؤالنا والسلام فقالت صاحبة المكان للجماعة أصحيح مايقوله عنكم فقال الجميع نعم الا جعفر فانه سكت فلما سمعت

الصبية كلامهم قالت والله لقد آذيتمونا ياضيوفنا الاذية البالغة وتقدم لنا أننا شرطنا عليكم أن من تكلم فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه أما كفى أننا أدخلنا كم منزلنا وأطعمنا كم زادنا ولكن لا ذنب لكم وانما الذنب لمن أوصلكم الينا ثم شمرت عن معصمها وضربت الارض ثلاث ضربات وقالت عجلوا واذا بباب خزانة قد فتح وخرج منه سبعة عبيد وبأيديهم سيوف مسلولة فقالت كتفوا هؤلاء الذين كثر كلامهم واربطوا بعضهم ببعض ففعلوا وقالوا أيتها المخدرة ائذنى لنا فى ضرب رقابهم فقالت أمهلوهم ساعة حتى أسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم فقال الحمال بالله ياسيدتى لا تقتلينى بذنب الغير فان الجميع أخطؤا ودخلوا فى الذنب الا أنا والله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من هؤلاء الصعاليك الذين لو دخلوا مدينة عامرة لأخربوها ثم أنشد يقول

ما أحسن الغفران من قادر * لاسيما عن غير ذى ناصر

بحرمة الود الذى بيننا * لا تقتلى الاول بالآخر

فلما فرغ الحمال من كلامه ضحكت الصبية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية عشر﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية لما ضحكت بعد غيظها أقبلت على الجماعة وقالت أخبرونى بخبركم فما بقى من عمركم الا ساعة ولولا أنتم أعزاء أو أكابر قومكم أو حكام لعجلت جزاءكم فقال الخليفة ويلك يا جعفر عرفها بنا والا تقتلنا فقال جعفر من بعض ما نستحق فقال له الخليفة لا ينبغى الهزل فى وقت الجد كل منهما له وقت ثم ان الصبية أقبلت على الصعاليك وقالت لهم هل أنتم اخوة فقالوا لها لا والله ما نحن الا فقراء الحجام فقالت لواحد منهم هل أنت ولدت أعور فقال لا والله وانما قد جرى لى أمر عجيب حين تلفت عينى ولهذا الامر حكاية لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فسألت الثانى والثالث فقالا لها مثل الاول ثم قالوا ان كل واحد منا من بلد وان حديثنا عجيب وأمرنا غريب فالتفتت الصبية لهم وقالت كل واحد منكم يحكى حكايته وما سبب مجيئه الى مكاننا ثم يملس على رأسه ويروح الى حال سبيله فأول من تقدم الحمال فقال ياسيدتى أنا رجل حمال حملتنى هذه الدلالة وأتت بى هنا وجرى لى معكن ما جرى وهذا حديثى والسلام فقالت له ملس على رأسك ورح فقال والله ما أروح حتى أسمع حديث رفقائى فتقدم الصعلوك الاول وقال لها اعلمى ياسيدتى أن سبب حلق ذقنى وتلف عينى ان والدى كان ملكا وله أخ وكان أخوه ملكا فى مدينة أخرى واتفق أن أمى ولدتنى فى اليوم الذى ولد فيه ابن عمى ثم مضت سنون وأعوام وأيام حتى كبرنا وكنت أزور عمى فى بعض السنين وأقعد عنده أشهرا عديدة فزرته مرة فأكرمنى ابن عمى غاية الاكرام وذبح لى الاغنام وروق لى المدام وجلسنا للشراب فلما تحكم الشراب فينا قال لى ابن عمى يا ابن

عمى

عمى ان لى عندك حاجة مهمة وأريد أن لا تخالفنى فيما أريد أن أفعله فقلت له حبا وكرامة فاستوثق منى بالايمان العظام ونهض من وقته وساعته وغاب قليلا ثم عاد وخلفه امرأة مزينة مطيبة وعليها من الحلل ما يساوى مبلغا عظيما فالتفت الىّ والمرأة خلفه وقال خذ هذه المرأة واسبقنى على الجبانة الفلانية ووصفها لى فعرفتها وقال لى ادخل بها التربة وانتظرنى هناك فلم يمكننى المخالفة ولم أقدر على رد سؤاله لاجل اليمين الذى حلفته فأخذت المرأة وسرت الى أن دخلت التربة أنا وإياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن عمى ومعه طاسة فيها ماء وكيس فيه جبس وقدوم ثم انه أخذ القدوم وجاء الى قبر فى وسط التربة ففكه ونقض أحجاره الى ناحية التربة ثم حفر بالقدوم فى الارض حتى كشف عن طابق قدر الباب الصغير فبان من تحت الطابق سلم معقود ثم التفت الى المرأة بالاشارة وقال لها دونك وما تختارين فنزلت المرأة على ذلك السلم ثم التفت الىّ وقال يا ابن عمى تمم المعروف اذا نزلت أنا فى ذلك الموضع فرد الطابق ورد عليه التراب كما كان وهذا تمام المعروف وهذا الجبس الذى فى الكيس وهذا الماء الذى فى الطاسة اعجن منه الجبس وجبس القبر فى دائر الاحجار كما كان أولا حتى لا يعرفه أحد ولا يقول هذا فتح جديد وبطنه عتيق لان لى سنة كاملة وأنا أعمل فيه وما يعلم به الا الله وهذه حاجتى عندك ثم قال لى لا أوحش الله منك يا ابن عمى ثم نزل على السلم فلما غاب عن عينى قمت ورددت الطابق وفعلت ما أمرنى به حتى صار القبر كما كان ثم رجعت الى قصر عمى وكان عمى فى الصيد والقنص فنمت تلك الليلة فلما أصبح الصباح تذكرت الليلة الماضية وما جرى فيها بينى وبين ابن عمى وندمت على ما فعلت معه حيث لا ينفع الندم ثم خرجت الى المقابر وفتشت على التربة فلم أعرفها ولم أزل أفتش حتى أقبل الليل ولم أهتد اليها فرجعت الى القصر ولم آكل ولم أشرب وقد اشتغل خاطرى بابن عمى من حيث لا أعلم له حالا فاغتممت غما شديدا وبت ليلتى مغموما الى الصباح فجئت ثانيا الى الجبانة وأنا أتفكر فيما فعله ابن عمى وندمت على سماعى منه وقد فتشت فى الترب جميعا فلم أعرف تلك التربة ولازمت التفتيش سبعة أيام فلم أعرف له طريقا فزاد بى الوسواس حتى كدت أن أجن فلم أجد فرجا دون أن سافرت ورجعت الى أبى فساعة وصولى الى مدينة أبى نهض الىّ جماعة على باب المدينة وكتفونى فتعجبت كل العجب لانى ابن سلطان المدينة وهم خدم أبى وغلمانى ولحقنى منهم خوف زائد فقلت فى نفسى يا ترى ما جرى على والدى وصرت أسأل الذين كتفونى عن سبب ذلك فلم يردوا على جوابا ثم بعد حين قال لى بعضهم وكان خادما عندى ان أباك قد غدر به الزمان وخانته العساكر وقتله الوزير ونحن نترقب وقوعك فأخذونى وأنا غائب عن الدنيا بسبب هذه الاخبار التى سمعتها عن أبى فلما تمثلت بين يدى الوزير الذى قتل أبى وكان بينى وبينه عداوة

قديمة وسبب تلك العداوة أني كنت مولعا بضرب البندق فاتفق أني كنت واقفا يوما من الايام على سطح قصري واذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير وكان واقفا هناك فأردت أن أضرب الطير واذا بالبندقة أخطأت الطير وأصابت عين الوزير فأتلفتها بالقضاء والقدر كما قال الشاعر

دع الاقدار تفعل ماتشاء * وطب نفسا بما فعل القضاء
ولاتفرح ولاتحزن بشيء * فان الشيء ليس له بقاء

(وكما قال الآخر)

مشيناها خطى كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كانت منيته بارض * فليس يموت في أرض سواها

ثم قال ذلك الصعلوك فلما أتلفت عين الوزير لم يقدر أن يتكلم لان والدي كان ملك المدينة فهذا سبب العداوة بيني و بينه فلما وقفت قدامه وأنا مكتف أمر بضرب عنقي فقلت له أتقتلني بغير ذنب فقال أي ذنب أعظم من هذا وأشار الى عينه المتلفة فقلت له فعلت ذلك خطأ فقال ان كنت فعلته خطأ فانا أفعله بك عمدا ثم قال قدموه بين يدي فقدموني بين يديه فد اصبعه في عيني الشمال فأتلفها فصرت من ذلك الوقت أعور كما تروني ثم كتفني ووضعني في صندوق وقال للسياف تسلم هذا وأشهر حسامك وخذه واذهب به الى خارج المدينة واقتله ودعه للوحوش تأكله فذهب بي السياف وسار حتى خرج من المدينة وأخرجني من الصندوق وأنا مكتوف اليدين مقيد الرجلين وأراد أن يغمي عيني و يقتلني فبكيت وأنشدت هذه الابيات

جعلتكم درعا حصينا لتمنعوا * سهام العدا عني فكنتم نصالها
وكنت أرجي عند كل ملمة * تخص يميني ان تكونوا شمالها
دعوا قصة العذال عني بمعزل * وخلوا العدا ترمي الى نبالها
اذا لم تقوا نفسي مكابدة العدا * فكونوا سكوتا لاعليها ولا لها

وأنشدت أيضا هذه الابيات

واخوان تخذتهمو دروعا * فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهمو سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادي
وقالوا قد سعينا كل سعي * لقد صدقوا ولكن في فسادي

فلما سمع السياف شعري وكان سياف أبي ولي عليه الاحسان قال ياسيدي كيف أفعل وأنا عبد مأمور ثم قال لي فز بعمرك ولاتعد الى هذه الارض فتهلك وتهلكني معك كما قال الشاعر

وضع

ونفسك فز بها ان خفت ضيما * وخل الدار تنعى من بناها
فانك واجد أرضا بأرض * ونفسك لم تجد نفسا سواها
عجبت لمن يعيش بدار ذل * وأرض الله واسعة فلاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سواها
وما غلظت رقاب الاسد حتى * بأنفسها تولت ما عناها

فلما قال لى ذلك قبلت يديه وما صدقت بالنجاة حتى فررت وهان على تلف عينى بنجاتى من القتل وسافرت حتى وصلت الى مدينة عمى فدخلت عليه وأعلمته بما جرى لوالدى و بما جرى لى من تلف عينى فبكى بكاء شديدا وقال لقد زدتنى هما على همى وغما على غمى فان ابن عمك قد فقد منذ أيام ولم أعلم ما جرى له ولم يخبرنى أحد بخبره و بكى حتى أغمى عليه فلما استفاق قال ياولدى قد حزنت على ابن عمك حزنا شديدا وأنت زدتنى بما حصل لك ولابيك غما على غمى ولكن ياولدى بعينك ولا بروحك ثم انى لم يمكنى السكوت عن ابن عمى الذى هو ولده فأعلمته بالذى جرى له كله ففرح عمى بما قلته له فرحا شديدا عند سماع خبر ابنه وقال أرنى التربة فقلت والله ياعمى لم أعرف مكانها لانى رحت بعد ذلك مرات لأفتش عليها فلم أعرف مكانها ثم ذهبت أنا وعمى الى الجبانة ونظرت يمينا وشمالا فعرفتها ففرحت أنا وعمى فرحا شديدا ودخلت أنا واياه التربة وأزحنا التراب ورفعنا الطابق ونزلت أنا وعمى مقدار خمسين درجة فلما وصلنا الى آخر السلم واذا بدخان طلع علينا فغشى أبصارنا فقال عمى الكلمة التى لايخاف قائلها وهى لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ثم مشينا واذا نحن بقاعة ممتلئة دقيقا وحبوبا ومأكولا وغير ذلك ورأينا فى وسط القاعة ستارة مسبولة على سرير فنظر عمى الى السرير فوجد ابنه هو والمرأة التى قد نزلت معه صارا فحما أسود وهما متعانقان كأنهما ألقيا فى جب نار فلما نظر عمى ذلك بصق فى وجهه وقال تستحق ياخبيث فهذا عذاب الدنيا وبقى عذاب الآخرة وهو أشد وأبقى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية عشر﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية والجماعة والخليفة وجعفر يستمعون الكلام ثم ان عمى ضرب ولده بالنعال وهو راقد كالفحم الاسود فتعجبت من ضربه وحزنت على ابن عمى حيث صار هو والصبية فحما أسود ثم قلت بالله ياعمى خفف الهم عن قلبك فقد اشتغل سرى وخاطرى بما قد جرى لولدك وكيف صار هو والصبية فحما أسود أما يكفيك ما هو فيه حتى تضربه بالنعال فقال يا ابن أخى ان ولدى هذا كان من صغره مولعا بحب أخته وكنت أنهاه عنها وأقول فى نفسى انهما صغيران فلما كبرا وقع

بينهما القبيح وسمعت بذلك ولم أصدق ولكنى زجرته زجرا بليغا وقلت له احذر من هذه الفعال القبيحة التى لم يفعلها أحد قبلك ولا يفعلها أحد بعدك والا تبقى بين الملوك بالعار والنقصان الى الممات وتشيع أخبارنا مع الركبان واياك أن تصدر منك هذه الفعال فانى أسخط عليك وأقتلك ثم حجبته عنها وحجبتها عنه وكانت الخبيثة تحبه محبة عظيمة وقد تمكن الشيطان منهما فلما رآنى حجبته فعل هذا المكان الذى تحت الارض خفية ونقل فيه المأكول كما تراه واستغفلنى لما خرجت الى الصيد وأتى هذا المكان فغار عليه وعليها الحق سبحانه وتعالى وأحرقهما ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ثم بكى وبكيت معه وقال لى أنت ولدى عوضا عنه ثم انى تفكرت ساعة فى الدنيا وحوادثها من قتل الوزير والدى وأخذه مكانه وتلف عينى وماجرى لابن عمى من الحوادث الغريبة فبكيت ثم اننا صعدنا ورددنا الطابق والتراب وعملنا القبر كما كان ثم رجعنا الى منزلنا فلم يستقر بنا الجلوس حتى سمعنا دق طبول وبوقات ورمحت الابطال وامتلأت الدنيا بالعجاج والغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر فسأل الملك عن الخبر فقيل ان وزير أخيك قتله وجمع العسكر والجنود وجاء بعسكره ليهجموا على المدينة فى غفلة وأهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا اليه فقلت فى نفسى متى وقعت أنا فى يده قتلنى وتراكمت على الاحزان وتذكرت الحوادث التى حدثت لابى وأمى ولم أعرف كيف العمل فان ظهرت عرفنى أهل المدينة وعسكر أبى فيسعون فى قتلى وهلاكى فلم أجد شيأ أنجو به الاحلق ذقنى فحلقتها وغيرت ثيابى وخرجت من المدينة وقصدت هذه المدينة والسلام لعل أحدا يوصلنى الى أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين حتى أحكى له قصتى وماجرى لى فوصلت الى هذه المدينة فى هذه الليلة فوقفت حائرا ولم أدر أين أمضى واذا بهذا الصعلوك واقف فسلمت عليه وقلت له أنا غريب فقال وأنا غريب أيضا فبينما نحن كذلك واذا برفيقنا هذا الثالث جاءنا وسلم علينا وقال أنا غريب فقلنا له ونحن غريبان فمشينا وقد هجم علينا الظلام فساقنا القدر اليكم وهذا سبب حلق ذقنى وتلف عينى فقالت الصبية ملس على رأسك ورح فقال لها لا أروح حتى أسمع خبر غيرى فتعجبوا من حديثه فقال الخليفة لجعفر والله أنا ما رأيت مثل الذى جرى لهذا الصعلوك ثم تقدم الصعلوك الثانى وقبل الارض وقال ياسيدتى أنا ما ولدت أعور وانما لى حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فأنا ملك ابن ملك وقرأت القرآن على سبع روايات وقرأت الكتب على أربابها من مشايخ العلم وقرأت علم النجوم وكلام الشعراء واجتهدت فى سائر العلوم حتى فقت أهل زمانى فعظم حظى عند سائر الكتبة وشاع ذكرى فى سائر الاقاليم والبلدان وشاع خبرى عند سائر الملوك فسمع بى ملك الهند فأرسل يطلبنى من أبى

وارسل

وأرسل اليه هدايا وتحفا تصلح للملوك فجهزني أبي في ست مراكب وسرنا في البحر مدة شهر كامل حتى وصلنا الى البر وأخرجنا خيلا كانت معنا في المركب وحملنا عشرة جمال هدايا ومشينا قليلا واذا بغبار قد علا وثار حتى سد الاقطار واستمر ساعة من النهار ثم انكشف فبان من تحته ستون فارسا وهم ليوث عبوس فتأملناهم واذا هم عرب قطاع طريق فلما رأونا ونحن نفر قليل ومعنا عشرة أحمال هدايا لملك الهند رمحوا علينا وأشرعوا الرماح بين أيديهم نحونا فأشرنا اليهم بالاصابع وقلنا لهم نحن رسل الى ملك الهند المعظم فلا تؤذونا فقالوا نحن لسنا في أرضه ولا تحت حكمه ثم انهم قتلوا بعض الغلمان وهرب الباقون وهربت أنا بعد أن جرحت جرحا بليغا واشتغلت عنا العرب بالمال والهدايا التي كانت معنا فسرت لا أدري أين أذهب وكنت عزيزا فصرت ذليلا وسرت الى أن أتيت رأس الجبل فدخلت مغارة حتى طلع النهار ثم سرت منها حتى وصلت الى مدينة عامرة بالخير قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها الربيع بورده ففرحت بوصولي اليها وقد تعبت من المشي وعلاني الهم والاصفرار فتغيرت حالتي ولا أدري أين أسلك فملت الى خياط في دكان وسلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي وباسطني وسألني عن سبب غربتي فأخبرته بما جرى لي من أوله الى آخره فاغتم لاجلي وقال يافتى لا تظهر ما عندك فاني أخاف عليك من ملك هذه المدينة لانه أكبر أعداء أبيك وله عنده ثار ثم أحضر لي مأكولا ومشروبا فأكلت وأكل معي وتحادثت معه في الليل وأخلى لي محلا في جانب حانوته وأتاني بما أحتاج اليه من فراش وغطاء فأقمت عنده ثلاثة أيام ثم قال لي أما تعرف صنعة تكتسب بها فقلت له اني فقيه طالب علم كاتب حاسب فقال ان صنعتك في بلادنا كاسدة وليس في مدينتنا من يعرف علما ولا كتابة غير المال فقلت والله لا أدري شيئا غير الذي ذكرته لك فقال شد وسطك وخذ فاسا وحبلا واحتطب من البرية حطبا تتقوت به الى أن يفرج الله عليك ولا تعرف أحدا بنفسك فيقتلوك ثم اشترى لي فاسا وحبلا وأرسلني مع بعض الحطابين وأوصاهم علي فخرجت معهم واحتطبت فأتيت بحمل على رأسي فبعته بنصف دينار فأكلت ببعضه وأبقيت بعضه ودمت على هذا الحال مدة سنة ثم بعد السنة ذهبت يوما على عادتي الى البرية لأحتطب منها ودخلتها فوجدت فيها خميلة أشجار فيها حطب كثير فدخلت الخميلة وأتيت شجرة وحفرت حولها وأزلت التراب عن جدارها فاصطكت الفاس في حلقة نحاس فنظفت التراب واذا هي في طابق من خشب فكشفته فبان تحته سلم فنزلت الى أسفل السلم فرأيت بابا فدخلته فرأيت قصرا محكم البنيان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفي عن القلب كل هم وغم وبلية فلما نظرت اليها سجدت لخالقها لما أبدع فيها من الحسن والجمال فنظرت الي وقالت لي أنت انسي أم جني فقلت لها انسي

فقالت ومن أوصلك الى هذا المكان الذى لى فيه خمسة وعشرون سنة ما رأيت فيه انسيا أبدا فلما سمعت كلامها وجدت له عذوبة وقلت لها ياسيدتى أوصلنى الله الى منزلك ولعله يزيل همى وغمى وحكيت لها ماجرى لى من الاول الى الآخر فصعب عليها حالى وبكت وقالت أنا الاخرى أعلمك بقصتى فاعلم أنى بنت ملك أقصى الهند صاحب جزيرة الابنوس وكان قد زوجنى بابن عمى فاختطفنى ليلة زفافى عفريت اسمه جرجريس بن رجموس بن ابليس فطار بى ونزل فى هذا المكان ونقل فيه كل ما أحتاج اليه من الحلى والحلل والقماش والمتاع والطعام والشراب وفى كل عشرة أيام يجيئنى مرة فيبيت هنا ليلة وعاهدنى اذا عرضت لى حاجة ليلا أونهارا ان ألمس بيدى هذين السطرين المكتوبين على القبة فما أرفع يدى حتى أراه عندى ومنذ كان عندى له اليوم أربعة أيام وبقى له ستة أيام حتى يأتى فهل لك أن تقيم عندى خمسة أيام ثم تنصرف قبل مجيئه بيوم فقلت نعم ففرحت ثم نهضت على أقدامها وأخذت بيدى وأدخلتنى من باب مقنطر وانتهت بى الى حمام لطيف ظريف فلما رأيته خلعت ثيابى وخلعت ثيابها ودخلت فجلست على مرتبة وأجلستنى معها وأتت بسكر ممسك وسقتنى ثم قدمت لى مأكولا فأكلنا وتحادثنا ثم قالت لى نم واسترح فانك تعبان فنمت ياسيدتى وقد نسيت ماجرى لى وشكرتها فلما استيقظت وجدتها تكبس رجلى فدعوت لها وجلسنا نتحادث ساعة ثم قالت والله انى كنت ضيقة الصدر وأنا تحت الارض وحدى ولم أجد من يحدثنى خمسة وعشرين سنة فالحمد لله الذى أرسلك الىّ ثم أنشدت

لوعلمنا مجيئكم لفرشنا ✱ مهجة القلب أوسواد العيون
وفرشنا خدودنا والتقينا ✱ ليكون المسير فوق الجفون

فلما سمعت شعرها شكرتها وقد تمكنت محبتها فى قلبى وذهب عنى همى وغمى ثم جلسنا فى منادمة الى الليل فبت معها ليلة ما رأيت مثلها فى عمرى وأصبحنا مسرورين فقلت لها هل أطلعك من تحت الارض وأريحك من هذا الجنى فضحكت وقالت اقنع واسكت ففى كل عشرة أيام يوم للعفريت وتسعة لك فقلت وقد غلب علىّ الغرام فانا فى هذه الساعة أكسر هذه القبة التى عليها النقش المكتوب لعل العفريت يجىء حتى أقتله فانى موعود بقتل العفاريت فلما سمعت كلامى أنشدت تقول

ياطالبا للفراق مهلا ✱ بحيلة قد كفى اشتياق
اصبر فطبع الزمان غدر ✱ وآخر الصحبة الفراق

فلما سمعت شعرها لم ألتفت لكلامها بل رفست القبة رفسا قويا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت

فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة عشر﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك الثانى قال للصبية ياسيدتى لما رفست القبة رفساقويا قالت لى المرأة ان العفريت قدوصل الينا أماحذرتك من هذا والله لقد آذيتنى ولكن انج بنفسك واطلع من المكان الذى جئت منه فمن شدة خوفى نسيت نعلى وفاسى فلما طلعت درجتين التفت لانظرهما فرأيت الارض قد انشقت وطلع منها عفريت ذومنظر بشع وقال ماهذه الزعجة التى أرعشتينى بها فما مصيبتك فقالت ما أصابنى شئ غيران صدرى ضاق فأردت أن أشرب شرابا يشرح صدرى فنهضت لاقضى أشغالى فوقعت على القبة فقال لها العفريت تكذبين يافاجرة ونظر فى القصر يمينا وشمالا فرأى النعل والفاس فقال لها ماهذا الامتاع الانس من جاء اليك فقالت مانظرتهما الافى هذه الساعة ولعلهما تعلقا معك فقال العفريت هذا كلام محال لاينطلى على ياعاهرة ثم انه أعراها وصلبها بين أربعة أوتاد وجعل يعاقبها ويقررها بما كان فلم يهن على أن أسمع بكاءها فطلعت من السلم مذعورا من الخوف فلما وصلت الى أعلى الموضع رددت الطابق كما كان وسترته بالتراب وندمت على مافعلت غاية الندم وتذكرت الصبية وحسنها وكيف يعاقبها هذا الملعون وهى لها معه خمسة وعشرون سنة وماعاقبها الا بسببى وتذكرت أبى ومملكته وكيف صرت حطابا فقلت هذا البيت

اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة ✻ فيوما ترى يسرا و يوما ترى عسرا

ثم مشيت الى أن أتيت رفيقى الخياط فلقيته من أجلى على مقالى النار وهولى فى الانتظار فقال أنى بت البارحة وقلبى عندك وخفت عليك من وحش أوغيره فالحمد لله على سلامتك فشكرته على شفقته على ودخلت خلوتى وجعلت أتفكر فيما جرى لى وألوم نفسى على رفسى هذه القبة واذا بصديقى الخياط دخل على وقال لى فى الدكان شخص أعجمى يطلبك ومعه فاسك ونعلك قد جاء بهما الى الخياطين وقال لهم انى خرجت وقت أذان المؤذن لاجل صلاة الفجر فعثرت بهما ولم أعلم لمن هما فدلونى على صاحبهما فدله الخياطون عليك وها هو قاعد فى دكانى فاخرج اليه واشكره وخذ فاسك ونعلك فلما سمعت هذا الكلام اصفر لونى وتغير حالى فبينما أنا كذلك واذا بأرض محلى قد انشقت وطلع منها الاعجمى واذا هو العفريت وقد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشئ فأخذ الفاس والنعل وقال لها ان كنت جرجيس من ذرية ابليس فانا أجئ بصاحب هذه الفاس والنعل ثم جاء بهذه الحيلة الى الخياطين ودخل على ولم يمهلنى بل اختطفنى وطار وعلا بى ونزل بى وغاص فى الارض وأنا لاأعلم بنفسى ثم طلع بى القصر الذى كنت فيه فرأيت الصبية عريانة والدم يسيل من جوانبها فقطرت عيناى بالدموع فأخذها العفريت

وقال لها ياعاهرة هذا عشيقك فنظرت الىّ وقالت له لا أعرفه ولا رأيته الا فى هذه الساعة فقال لها العفريت أهذه العقوبة ولم تقرّى فقالت ما رأيته عمرى وما يحلّ من الله أن أكذب عليه فقال لها العفريت ان كنت لا تعرفينه فخذى هذا السيف واضربى عنقه فأخذت السيف وجاءتنى ووقفت على رأسى فأشرت لها بحاجبى ودمعى يجرى على وجنتى فهمت وغمزتنى وقالت أنت الذى فعلت بنا هذا كله فأشرت لها ان هذا وقت العفو ولسان حالى يقول

يترجم طرفى عن لسانى لتعلموا * ويبدو لكم ما كان صدرى يكتم
ولما التقينا والدموع سواجم * خرست وطرفى بالهوى يتكلم
تشير لنا عما تقول بطرفها * وأومى اليها بالبنان فتفهم
حواجبنا تقضى الحوائج بيننا * فنحن سكوت والهوى يتكلم

فلما فهمت الصبية اشارتى رمت السيف من يدها يا سيدتى فناولنى العفريت السيف وقال لى اضرب عنقها وأنا أطلقك ولا أنكد عليك فقلت نعم وأخذت السيف وتقدمت بنشاط ورفعت يدى فقالت لى بحاجبها أنا ما قصرت فى حقك فهملت عيناى بالدموع ورميت السيف من يدى وقلت أيها العفريت الشديد والبطل الصنديد اذا كانت امرأة ناقصة عقل ودين لم تستحلّ ضرب عنقى فكيف يحلّ لى أن أضرب عنقها ولم أرها عمرى فلا أفعل ذلك أبدا ولو سقيت من الموت كأس الردى فقال العفريت أنتما بينكما مودّة ثم أخذ السيف وضرب يد الصبية فقطعها ثم ضرب الثانية فقطعها ثم قطع رجلها اليمين ثم قطع رجلها اليسار حتى قطع أربعها بأربع ضربات وأنا أنظر بعينى فأيقنت بالموت ثم أشارت الىّ بعينها فرآها العفريت فقال لها قد زنيت بعينك ثم ضربها فقطع رأسها والتفت الىّ وقال يا انسى نحن فى شرعنا اذا زنت الزوجة يحلّ لنا قتلها وهذه الصبية اختطفتها ليلة عرسها وهى بنت اثنتى عشرة سنة ولم تعرف أحدا غيرى وكنت أجيئها فى كل عشرة أيام ليلة واحدة فى زىّ رجل أعجمى فلما تحققت أنها خانتنى قتلتها وأما أنت فلم أتحقق أنك خنتنى فيها ولكن لا بدّ أنى ما أخليك فى عافية فتمنّ علىّ أىّ ضرر ففرحت يا سيدتى غاية الفرح وطمعت فى العفو وقلت له وما أتمناه عليك قال تمنّ علىّ أىّ صورة أسحرك فيها اما صورة كلب واما صورة حمار واما صورة قرد فقلت له وقد طمعت انه يعفو عنى والله ان عفوت عنى يعفو الله عنك بعفوك عن رجل مسلم لم يؤذك وتضرعت اليه غاية التضرع وبقيت بين يديه وقلت له أنا مظلوم فقال لا تطل علىّ الكلام أما القتل فلا تخف منه وأما العفو عنك فلا تطمع فيه واما سحرك فلا بدّ منه ثم شقّ الارض وطار بى الى الجوّ حتى نظرت الى الدنيا تحتى كأنها قصعة ماء ثم حطنى على جبل وأخذ قليلا من التراب وهمهم عليه

وتكلم

وتكلم ورشني وقال اخرج من هذه الصورة الى صورة قرد فمن ذلك الوقت صرت قردا ابن مائة سنة فلما رأيت نفسي في هذه الصورة القبيحة بكيت على روحي وصبرت على جور الزمان وعلمت ان الزمان ليس لاحد وانحدرت من أعلى الجبل الى أسفله وسافرت مدة شهر ثم ذهبت الى شاطئ البحر المالح فوقفت ساعة واذا أنا بمركب في وسط البحر قد طاب ريحها وهي قاصدة البر فاختفيت خلف صخرة على جانب البحر وسرت الى ان أتيت وسط المركب فقال واحد منهم أخرجوا هذا المشؤم من المركب وقال واحد منهم نقتله وقال آخر أقتله بهذا السيف فأمسكت طرف السيف وبكيت وسالت دموعي فحن على الريس وقال لهم يا تجار ان هذا القرد استجار بي وقد أجرته وهو في جواري فلا أحد يتعرض له ولا يشوش عليه ثم ان الريس صار يحسن الي ومهما تكلم به أفهمه وأقضي حوائجه كلها وأخدمه في المركب وقد طاب لها الريح مدة خمسين يوما فرسينا على مدينة عظيمة وفيها عالم كثير لا يحصي عددهم الا الله تعالى فساعة وصولنا أوقفنا مركبنا فجاءتنا مماليك من طرف ملك المدينة فنزلوا المركب وهنوا التجار بالسلامة وقالوا ان ملكنا يهنيكم بالسلامة وقد أرسل اليكم هذا الدرج الورق وقال كل واحد منكم يكتب فيه سطرا فقمت وأنا في صورة القرد وخطفت الدرج من أيديهم فخافوا أني أقطعه وأرميه في الماء فنهروني وأرادوا قتلي فأشرت لهم أني أكتب فقال لهم الريس دعوه يكتب فان لخبط الكتابة طردناه عنا وان أحسنها اتخذته ولدا فاني ما رأيت قردا أفهم منه ثم أخذت القلم واستمددت الحبر وكتبت سطرا بقلم الرقاع ورقمت هذا الشعر

لقد كتب الدهر فضل الكرام * وفضلك للآن لا يحسب
فلا أيتم الله منك الورى * لانك للفضل نعم الاب

وكتبت بالقلم الريحاني هذا الشعر

له قلم عم الاقاليم نفعه * لتوقيعه للعالمين منافع
وخمسة أنهار أنامله التي * تسيل على الاقطار خمس أصابع

وكتبت بقلم الثلث هذين البيتين

وما من كاتب الا سيفنى * ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء * يسرك في القيامة أن تراه

وكتبت تحته بقلم المشق هذين البيتين

اذا فتحت دواة العز والنعم * فاجعل مدادك من جود ومن كرم
واكتب بخير اذا ما كنت مقتدرا * بذاك شرفت فضلا نسبة القلم

ثم ناولتهم ذلك الدرج الورق فطلعوا به الى الملك فلما تأمل الملك ما فى ذلك الدرج لم يعجبه خط أحد الا خطى فقال لاصحابه توجهوا الى صاحب هذا الخط وألبسوه هذه الحلة واركبوه بغلة وهاتوه بالنوبة وأحضروه بين يدى فلما سمعوا كلام الملك تبسموا فغضب منهم ثم قال كيف آمركم بأمر فتضحكون على فقالوا أيها الملك ما نضحك على كلامك بل الذى كتب هذا الخط قرد وليس هو آدميا وهو مع ريس المركب فتعجب الملك من كلامهم واهتز من الطرب وقال أريد أن أشترى هذا القرد ثم بعث رسلا الى المركب ومعهم البغلة والحلة وقال لابد أن تلبسوه هذه الحلة وتركبوه البغلة وتأتوا به فساروا الى المركب وأخذونى من الريس وألبسونى الحلة فاندهش الخلائق وصاروا يتفرجون على فلما طلعوا بى الى الملك ورأيته قبلت الارض بين يديه ثلاث مرات فأمرنى بالجلوس فجلست على ركبتى فتعجب الحاضرون من أدبى وكان الملك أكثرهم تعجبا ثم ان الملك أمر الخلق بالانصراف فانصرفوا ولم يبق الا الملك والطواشى ومملوك صغير وأنا ثم أمر الملك بطعام فقدموا سفرة طعام فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فأشار الى الملك أن كل فقمت وقبلت الارض بين يديه سبع مرات وجلست آكل معه وقد ارتفعت السفرة وذهبت فغسلت يدى وأخذت الدواة والقلم والقرطاس وكتبت هذين البيتين

أمانج الضأن ترياق من العلل * وأصحن الحلو فيها منتهى أملى
يالهف قلبى على مد السماط اذا * ماجت كنافته بالسمن والعسل

وكتبت أيضا هذين البيتين

اليك اشتياقى يا كنافة زائد * وليس غنى لى عنك كلا ولا صبر
فلا زلت أكلى كل يوم وليلة * ولا زال منهلا بجرعانك القطر

ثم قمت وجلست بعيدا فنظر الملك الى ما كتبته وقرأه فتعجب وقال هل يكون عند قرد هذه الفصاحة وهذا الخط والله ان هذا من أعجب العجب ثم قدم للملك شطرنج فقال الملك أتلعب قلت برأسى نعم فتقدمت وصففت الشطرنج ولعبت معه مرتين فغلبته فحار عقل الملك وقال لو كان هذا آدميا لفاق أهل زمانه ثم قال لخادمه اذهب الى سيدتك وقل لها كلمى الملك حتى تجىء فتتفرج على هذا القرد العجيب فذهب الطواشى وعاد ومعه سيدته بنت الملك فلما نظرت الى غطت وجهها وقالت يا أبى كيف طاب على خاطرك أن ترسل الى فيرانى الرجال الاجانب فقال يابنتى ما عندى سوى المملوك الصغير والطواشى الذى رباك وهذا القرد وأنا أبوك فممن تغطين وجهك فقالت ان هذا القرد ابن ملك واسم أبيه ايمار صاحب جزائر الابنوس الداخلة وهو مسحور سحره العفريت جرجريس الذى هو من ذرية ابليس وقد قتل زوجته بنت ملك

اقناموس

اقناموس وهـذا الذى تزعم أنه قرد انما هو رجل عالم عاقل فتعجب الملك من ابنته ونظر الىّ وقال أحق ما تقول عنك فقلت برأسى نعم وبكيت فقال الملك لبنته من أين عرفت أنه مسحور فقالت يا أبت كان عنـدى وأنا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة علمتنى صناعة السحر وقـد حفظته وأتقنته وعرفت مائة وسبعين بابا من أبوابه أقل باب منها أنقل به حجارة مدينتك خلف جبل قاف وأجعلها لجة بحر وأجعل أهلها سمكا فى وسطه فقال أبوها بحق اسم الله عليك أن تخلصى لنا هـذا الشاب حتى أجعله وزيرى وهل فيك هـذه الفضيلة ولم أعلم خلصيه حتى أجعله وزيرى لانه شاب ظريف لبيب فقالت له حبا وكرامة ثم أخـذت بيـدها سكينا وعملت دائرة وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة عشر﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الصعلوك قال للصبية ياسيدتى ثم ان بنت الملك أخذت بيدها سكينا مكتوبا عليها أسماء عبرانية وخطت بها دائرة فى وسط القصر وكتبت فيها أسماء وطلاسم وعزمت بكلام وقرأت كلاما لا يفهم فبعد ساعة أظلمت علينا جهات القصر حتى ظننا ان الدنيا قد انطبقت علينا واذا بالعفريت قـد تدلى علينا فى أقبح صفة بأيد كالمدارى ورجلين كالصوارى وعينين كشعلين يوقدان نارا ففزعنا منه فقالت بنت الملك لا أهلا بك ولا سهلا فقال العفريت وهو فى صورة أسد يا خائنـة كيف خنت اليمين اما تحالفنا على أنه لا يتعرض أحد للآخر فقالت له يا لعين ومن أين لك يمين فقال العفريت خـذى ما جاءك ثم انقلب أسـدا وفتح فاه وهجم على الصبية فأسرعت وأخذت شعرة من شعرها بيدها وهمهمت بشفتيها فصارت الشعرة سيفا ماضيا وضربت ذلك الاسـد فصار نصفين فصارت رأسـه عقربا وانقلبت الصبية حية عظيمة وهمت على هـذا اللعين وهو فى صفة عقرب فتقاتلا قتالا شـديدا ثم انقلب العقرب عقابا فانقلبت الحية نسرا وصارت وراء العقاب واستمرت ساعة زمانية ثم انقلب العقاب قطا أسود فانقلبت الصبية ذئبا فتشاحنا فى القصر ساعة زمانية وتقاتلا قتالا شديدا فرأى القط نفسـه مغلوبا فانقلب وصار رمانة حمراء كبيرة ووقعت تلك الرمانة فى بركة فقصدها الذئب فارتفعت فى الهواء ووقعت على بلاط القصر فانكسرت وانتثر الحب كل حبة وحدها وامتلأت أرض القصر حبا فانقلب ذلك الذئب ديكا لاجـل ان يلتقط ذلك الحب حتى لم يترك منـه حبـة فبالامر المقدر تدارت حبة فى جانب الفسقية فصار الديك يصيح ويرفرف بأجنحته ويشير الينا بمنقاره ونحن لا نفهم ما يقول ثم صرخ علينا صرخة تخيل لنا منها ان القصر قـد انقلب علينا ودار فى أرض القصر كلها حتى رأى الحبة الذى تدارت فى جانب الفسقية فانقض عليها ليلتقطها واذا بالحبة سقطت فى وسط الماء الذى فى البركة فصارت سمكة وغاصت فى الماء فانقلب الديك

حوتا كبيرا ونزل خلفها وغاب ساعة واذا بنا قد سمعنا صراخا عاليا فارتجفنا فبعد ذلك طلع العفريت وهو شعلة نار فألقى من فمه نارا ومن عينيه ومنخريه نارا ودخانا وانقلبت الصبية لجة نار فأردنا أن نغطس فى ذلك الماء خوفا على أنفسنا من الحريق والهلاك فما نشعر الا والعفريت قد صرخ من تحت النيران وصار عندنا فى الليوان ونفخ فى وجوهنا بالنار فلحقته الصبية ونفخت فى وجهه بالنار أيضا فأصابنا الشرر منها ومنه فأما شررها فلم يؤذنا وأما شرره فلحقنى منه شرارة فى عينى فأتلفتها وأنا فى صورة القرد ولحق الملك شرارة منه فى وجهه فأحرقت نصفه التحتانى بذقنه وحنكه ووقعت أسنانه التحتانية ووقعت شرارة فى صدر الطواشى فاحترق ومات من وقته وساعته فأيقنا بالهلاك وقطعنا رجاءنا من الحياة فبينما نحن كذلك واذا بقائل يقول الله أكبر الله أكبر قد فتح ونصر وخذل من كفر بدين محمد سيد البشر واذا بالقائل بنت الملك قد أحرقت العفريت فنظرنا اليه فرأيناه قد صار كوم رماد ثم جاءت الصبية الينا وقالت الحقونى بطاسة ماء فجاؤا بها اليها فتكلمت عليها بكلام لا نفهمه ثم رشتنى بالماء وقالت اخلص بحق الحق وبحق اسم الله الاعظم الى صورتك الاولى فصرت بشرا كما كنت أولا ولكن تلفت عينى فقالت الصبية النار النار ياوالدى أنا ما بقيت أعيش لانى موعودة بالقتل ولو كان من الانس لقتلته من أول الامر وما تعبت الا وقت فرط الرمانة حين لقطت حبها ونسيت الحبة التى فيها روح الجنى فلو لقطتها لمات من ساعته ولكن ما رأيتها بالقضاء والقدر ولم أشعر الا وهو قد أتى وجرى لى معه حرب شديد تحت الارض وفى الهواء والماء وكلما افتتح على بابا فتحت عليه بابا أعظم منه الى أن فتح على باب النار وقل من فتح عليه باب النار ونجا منه وانما ساعدنى عليه القدر حتى أحرقته قبلى وكنت أعهد منه التدين بدين الاسلام وها أنا ميتة والله خليفتى عليكم ثم انها لم تزل تستغيث من النار واذا بشرر أسود قد طلع الى صدرها وطلع الى وجهها فلما وصل الى وجهها بكت وقالت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم نظرنا اليها ورأيناها كوم رماد بجانب كوم العفريت فحزنا عليها وتمنيت لو كنت مكانها ولا أرى ذلك الوجه المليح الذى عمل فى هذا المعروف يصير رمادا لكن حكم الله لا يرد فلما رأى الملك ابنته صارت كوم رماد نتف بقية لحيته ولطم على وجهه وشق ثيابه وفعلت كما فعل وبكينا عليها ثم جاء الحجاب وأرباب الدولة فوجدوا السلطان فى حالة العدم وعنده كومان رماد فتعجبوا وداروا حول الملك ساعة فلما أفاق أخبرهم بما جرى لابنته مع العفريت فعظمت مصيبتهم وصرخ النساء والجوارى وعملوا العزاء سبعة أيام ثم ان الملك أمر أن يبنى على رماد ابنته قبة عظيمة وأوقدوا فيها الشموع والقناديل وأما رماد العفريت فانهم أذروه فى الهواء الى لعنة الله ثم مرض السلطان مرضا أشرف منه على الموت

الموت واستمر مرضه شهرا وعادت اليه العافية فطلبني وقال لي يافتى قد قضينا زماننا في أهنى عيش آمنين من نوائب الزمان حتى جئتنا فأقبلت علينا الاكدار فليتنا ما رأيناك ولا رأينا طلعتك القبيحة التي بسببها صرنا في حالة العدم فأولا عدمت ابنتي التي كانت تساوي مائة رجل وثانيا جرى لي من الحريق ماجرى وعدمت أضراسي ومات خادمي ولكن ما بيدك حيلة بل جرى قضاء الله علينا وعليك والحمد لله حيث خلصتك ابنتي وأهلكت نفسها فاخرج ياولدي من بلدي وكفى ماجرى بسببك وكل ذلك مقدر علينا وعليك فاخرج بسلام فخرجت ياسيدتي من عنده وما صدقت بالنجاة ولا أدري أين أتوجه وخطر على قلبي ماجرى لي وكيف خلوني في الطريق سالما منهم ومشيت شهرا وتذكرت دخولي في المدينة غريبا واجتماعي بالخياط واجتماعي بالصبية تحت الارض وخلاصي من العفريت بعد ان كان عازما على قتلي وتذكرت ماحصل لي من المبتدا الى المنتهى فحمدت الله وقلت بعيني ولا بروحي ودخلت الحمام قبل أن أخرج من المدينة وحلقت ذقني وجئت ياسيدتي وفي كل يوم أبكي وأتفكر المصائب التي عاقبتها تلف عيني وكلما أتذكر ماجرى لي أبكي وأنشد هذه الابيات

تحيرت والرحمن لاشك في أمري ✽ وحلت بي الاحزان من حيث لاأدري
سأصبر حتى يعلم الناس انني ✽ صبرت على شيء أمر من الصبر
وما أحسن الصبر الجميل مع التقى ✽ وماقدر المولى على خلقه يجري
سرائر سري ترجمان سريرتي ✽ اذا كان سر السر سرك في سري
ولو أن مابي بالجبال لهدمت ✽ وبالنار أطفاها وبالريح لم يسر
ومن قال ان الدهر فيه حلاوة ✽ فلابد من يوم أمر من المر

ثم سافرت الاقطار ووردت الامصار وقصدت دار السلام بغداد لعلي أتوصل الى أمير المؤمنين وأخبره بماجرى لي فوصلت الى بغداد هذه الليلة فوجدت أخي هذا الاول واقفا متحيرا فقلت السلام عليك وتحدثت معه واذا بأخينا الثالث قد أقبل علينا وقال السلام عليكم أنا رجل غريب فقلنا له ونحن غريبان وقد وصلنا هذه الليلة المباركة فمشينا نحن الثلاثة ومافينا أحد يعرف حكاية أحد فساقتنا المقادير الى هذا الباب ودخلنا عليكم وهذا سبب حلق ذقني وتلف عيني فقالت له ان حكايتك غريبة فامسح على رأسك واخرج الى حال سبيلك فقال لاأخرج حتى أسمع حديث رفيقي فتقدم الصعلوك الثالث وقال أيتها السيدة الجليلة ماقصتي مثل قصتهما بل قصتي أعجب وذلك ان هذين جاءهما القضاء والقدر وأما أنا فسبب حلق ذقني وتلف عيني انني جلبت القضاء لنفسي والهم لقلبي وذلك اني كنت ملكا ابن ملك ومات والدي وأخذت

الملك من بعده وحكمت وعدلت وأحسنت للرعية وكان لى محبة فى السفر فى البحر وكانت مدينتى على البحر والبحر متسع وحوالينا جزائر معدة للقتال فأردت أن أتفرج على الجزائر فنزلت فى عشرة مراكب وأخذت معى مؤنة شهر كامل وسافرت عشرين يوما ففى ليلة من الليالى هبت علينا رياح مختلفة الى أن لاح الفجر فهدأ الريح وسكن البحر حتى أشرقت الشمس ثم اننا أشرفنا على جزيرة وطلعنا على البر وطبخنا شيأ نأكله فأكلنا ثم أقمنا يومين وسافرنا عشرين يوما فاختلفت علينا المياه وعلى الريس واستغرب الريس البحر فقلنا للناظور انظر البحر بتأمل فطلع الصارى ثم نزل ذلك الناظور وقال للريس ياريس رأيت عن يمينى سمكا على وجه الماء ونظرت الى وسط البحر فرأيت سوادا من بعيد يلوح تارة اسود وتارة أبيض فلما سمع الريس كلام الناظور ضرب الارض بعمامته ونتف لحيته وقال للناس ابشروا بهلاكنا جميعا ولم يسلم منا أحد وشرع يبكى وكذلك نحن الجميع نبكى على أنفسنا فقلت أيها الريس أخبرنا بما رأى الناظور فقال ياسيدى اعلم أننا تهنا يوم جاءت علينا الرياح المختلفة ولم يهدأ الريح الا بكرة النهار ثم أقمنا يومين فتهنا فى البحر ولم نزل تائهين أحد عشر يوما من تلك الليلة وليس لنا ريح يرجعنا الى ما نحن قاصدون آخر النهار وفى غد نصل الى جبل من حجر اسود يسمى حجر المغناطيس وتجرنا المياه غصبا الى جهته فتتمزق المراكب ويروح كل مسمار فى المركب الى الجبل ويلتصق به لان الله وضع فى حجر المغناطيس سرا وهو أن جميع الحديد يذهب اليه وفى ذلك الجبل حديد كثير لا يعلمه الا الله تعالى حتى انه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة بسبب ذلك الجبل ويلى ذلك البحر قبة من النحاس الاصفر معقودة على عشرة أعمدة وفوق القبة فارس على فرس من نحاس وفى يد ذلك الفارس رمح من نحاس ومعلق فى صدر الفارس لوح من رصاص منقوش عليه أسماء وطلاسم فيها أيها الملك ما دام هذا الفارس راكبا على هذه الفرس تنكسر المراكب التى تفوت من تحته ويهلك ركابها جميعا ويلتصق جميع الحديد الذى فى المركب بالجبل وما الخلاص الا اذا وقع هذا الفارس من فوق تلك الفرس ثم ان الريس ياسيدتى بكى بكاء شديدا فتحققنا اننا هالكون لا محالة وكل منا ودع صاحبه فلما جاء الصباح قربنا من ذلك الجبل وساقتنا المياه اليه غصبا فلما صارت المراكب تحته انفتحت وفرت المسامير منها وكل حديد فيها نحو حجر المغناطيس ونحن دائرون حوله فى آخر النهار وتمزقت المراكب فمنا من غرق ومنا من سلم ولكن أكثرنا غرق والذين سلموا لم يعلموا ببعضهم لان تلك الامواج واختلاف الرياح أدهشتهم وأما أنا ياسيدتى فنجانى الله تعالى لما أراده من مشقتى وعذابى وبلوتى فطلعت على لوح من الالواح فألقاه الريح والامواج الى جبل فأصبت طريقا متطرقا الى

أعلاه على هيئة السلالم منقورة فى الجبل فسميت الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة عشر﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الصعلوك الثالث قال للصبية والجماعة مكتفون والعبيد واقفون بالسيوف على رؤسهم ثم انى سميت الله ودعوته وابتهلت اليه وحاولت الطلوع على الجبل وصرت أتمسك بالنقر التى فيه حتى أسكن الله الريح فى تلك الساعة وأعانني على الطلوع فطلعت سالما على الجبل وفرحت بسلامتى غاية الفرح ولم يكن لى دأب الا القبة فدخلتها وصليت فيها ركعتين شكر الله على سلامتى ثم انى نمت تحت القبة فسمعت قائلا يقول يا ابن خصيب اذا انتبهت من منامك فاحفر تحت رجليك تجد قوسا من نحاس وثلاث نشابات من رصاص منقوشا عليها طلاسم فخذ القوس والنشاب وارم الفارس الذى على القبة وأرح الناس من هذا البلاء العظيم فاذا رميت الفارس يقع الفارس فى البحر ويقع القوس من يدك فخذ القوس وادفنه فى موضعه فاذا فعلت ذلك يطفو البحر ويعلو حتى يساوى الجبل ويطلع عليه زورق فيه شخص غير الذى رميته فيجيء اليك وفى يده مجذاف فاركب معه ولا تسم الله تعالى فانه يحملك ويسافر بك مدة عشرة أيام الى أن يوصلك الى بحر السلامة فاذا وصلت هناك تجد من يوصلك الى بلدك وهذا انما يتم لك اذا لم تسم الله ثم استيقظت من نومى وقمت بنشاط وقصدت الماء كما قال الهاتف وضربت الفارس رميته فوقع فى البحر ووقع القوس من يدى فأخذت القوس ودفنته فهاج البحر وعلا حتى ساوى الجبل الذى أنا عليه فلم ألبث غير ساعة حتى رأيت زورقا فى وسط البحر يقصدنى فحمدت الله تعالى فلما وصل الى الزورق وجدت فيه شخصا من النحاس فى صدره لوح من الرصاص منقوش باسماء وطلاسم فنزلت فى الزورق وأناساكت لا أتكلم فحملنى الشخص أول يوم والثانى والثالث الى تمام عشرة أيام حتى رأيت جزائر السلامة ففرحت فرحا عظيما ومن شدة فرحى ذكرت الله وسميت وهللت وكبرت فلما فعلت ذلك قذفنى من الزورق فى البحر ثم رجع فى البحر وكنت أعرف العوم فعمت ذلك اليوم الى الليل حتى كلت سواعدى وتعبت أكتافى وصرت فى الهلكات ثم تشهدت وأيقنت بالموت وهاج البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعة العظيمة فحملتنى وقذفتنى قذفة صرت بها فوق البر لما يريد الله فطلعت البر وعصرت ثيابى ونشفتها على الارض وبت فلما أصبحت لبست ثيابى وقمت أنظر أين أمشى فوجدت غوطة فجئتها ودرت حولها فوجدت الموضع الذى أنا فيه جزيرة صغيرة والبحر محيط بها فقلت فى نفسى كلما أخلص من بلية أقع فى أعظم منها فبينما أنا متفكر فى أمرى وأتمنى الموت اذ نظرت مركبا فيها ناس فقمت وطلعت على شجرة واذا

بالمركب التصقت بالبر وطلع منها عشرة عبيد معهم مساحي فمشوا حتى وصلوا الى وسط الجزيرة وحفروا في الارض وكشفوا عن طابق فرفعوا الطابق وفتحوا بابه ثم عادوا الى المركب و نقلوا منها خبزا ودقيقا وسمنا وعسلا وأغناما وجميع ما يحتاج اليه الساكن وصار العبيد مترددين بين المركب و باب الطابق وهم يحولون من المركب وينزلون في الطابق الى أن نقلوا جميع ما في المركب ثم بعد ذلك طلع العبيد ومعهم ثياب أحسن ما يكون وفي وسطهم شيخ كبير هرم قد عمر زمنا طويلا وأضعفه الدهر حتى صار فانيا وبيد ذلك الشيخ في يد صبي قد أفرغ في قالب الجمال وألبس من الحسن حلة الكمال حتى انه يضرب بحسنه الامثال وهو كالقضيب الرطب يسحر كل قلب بجماله ويسلب كل لب بكماله فلم يزالوا يا سيدتي سائرين حتى أتوا الى الطابق ونزلوا فيه وغابوا عن عيني فلما توجهوا قمت ونزلت من فوق الشجرة ومشيت الى موضع الردم ونبشت التراب ونقلته وصبرت نفسي حتى أزلت جميع التراب فانكشف الطابق فاذا هو خشب مقدار حجر الطاحون فرفعته فبان من تحته سلم معقود من حجر فتعجبت من ذلك ونزلت في السلم حتى انتهيت الى آخره فوجدت شيأ نظيفا ووجدت بستانا وثانيا وثالثا الى تمام تسعة وثلاثين وكل بستان أرى فيه ما يكل عنه الوصف من أشجار وأنهار وأثمار وذخائر ورأيت بابا فقلت في نفسي ما الذي في هذا المكان فلا بد أن أفتحه وأنظر ما فيه ثم فتحته فوجدت فيه فرسا مسرجا ملجما مربوطا ففككته وركبته فطار بي الى أن حطني على سطح وأنزلني وضربني بذيله فأتلف عيني وفر مني فنزلت من فوق السطح فوجدت عشرة شباب عور فلما رأوني قالوا لا مرحبا بك فقلت لهم أتقبلوني أجلس عندكم فقالوا والله لا تجلس عندنا فخرجت من عندهم حزين القلب باكي العين وكتب الله لي السلامة حتى وصلت الى بغداد فحلقت ذقني وصرت صعلوكا فوجدت هذين الاثنين الاعورين فسلمت عليهما وقلت لهما أنا غريب فقالا ونحن غريبان فهذا سبب تلف عيني وحلق ذقني فقالت له امسح على رأسك ورح فقال والله لا أروح حتى أسمع قصة هؤلاء ثم ان الصبية التفتت الى الخليفة وجعفر ومسرور وقالت لهم اخبروني بخبركم فتقدم جعفر وحكى لها الحكاية التي قالها للبوابة عند دخولهم فلما سمعت كلامه قالت وهبت بعضكم لبعض فخرجوا الى أن صاروا في الزقاق فقال الخليفة للصعاليك يا جماعة الى أين تذهبون فقالوا وما ندري أين نذهب فقال لهم الخليفة سيروا وباتوا عندنا وقال لجعفر خذهم وأحضرهم لي غدا حتى ننظر ما يكون فامتثل جعفر ما أمره به الخليفة ثم ان الخليفة طلع الى قصره ولم يجئه نوم في تلك الليلة فلما أصبح جلس على كرسي المملكة ودخلت عليه أرباب الدولة فالتفت الى جعفر بعد أن طلعت أرباب الدولة وقال ائتني بالثلاث صبايا

والكلبتين

والكابتين والصعاليك فنهض جعفر وأحضرهم بين يديه فأدخل الصبايا تحت الاستار والتفت لهن جعفر وقال لهن قد عفونا عنكم لما أسلفتن من الاحسان الينا ولم تعرفننا فها أنا أعرفكن وأنتن بين يدي الخامس من بني العباس هرون الرشيد فلا تخبرنه الاحقا فلما سمع الصبايا كلام جعفر عن لسان أمير المؤمنين تقدمت الكبيرة وقالت يا أمير المؤمنين ان لي حديثا لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة عشر﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن كبيرة الصبايا لما تقدمت بين يدي أمير المؤمنين قالت ان لي حديثا عجيبا وهو ان هاتين الصبيتين اختاى من أبي من غير أمي فمات والدنا وخلف خمسة آلاف دينار وكنت أنا أصغرهن سنا فتجهز اختاى وتزوجت كل واحدة برجل ومكثتا مدة ثم ان كل واحد من أزواجهما هيأ متجرا وأخذ من زوجته ألف دينار وسافروا مع بعضهم وتركوني فغابوا أربع سنين وضيع زوجاهما المال وخسرا وتركاهما في بلاد الناس فجاءتاني في هيئة الشحاتين فلما رأيتهما ذهلت عنهما ولم أعرفهما ثم اني لما عرفتهما قلت لهما ما هذا الحال فقالتا يا أختنا ان الكلام لم يفد الآن وقد جرى القلم بما حكم الله فأرسلتهما الى الحمام وألبست كل واحدة حلة وقلت لهما يا أختي أنتما الكبيرتان وأنا الصغيرة وأنتما عوض عن أبي وأمي والارث الذي نابني معكما قد جعل الله فيه البركة فكلا من زكاته وأحوالي جليلة وأنا وأنتما سواء وأحسنت اليهما غاية الاحسان فمكثتا عندي مدة سنة كاملة وصار لهما مال من مالي فقالتا ان الزواج خير لنا وليس لنا صبر عنه فقلت لهما يا اختاي لم تريا في الزواج خيرا فان الرجل الجيد قليل في هذا الزمان وقد جربتما الزواج فلم يقبلا كلامي وتزوجا بغير رضاي فزوجتهما من مالي وسترتهما ومضتا مع زوجيهما فأقاموا مدة يسيرة ولعب عليهما زوجاهما وأخذا ما كان معهما وسافرا وتركاهما فجاءتا عندي وهما عريانتان واعتذرتا وقالتا لا تؤاخذينا فأنت أصغر منا سنا وأكمل عقلا وما بقينا نذكر الزواج أبدا فقلت مرحبا بكما يا أختي ما عندي أعز منكما وقبلتهما وزدتهما اكراما ولم نزل على هذه الحالة سنة كاملة فأردت أن أجهز لي مركبا الى البصرة فجهزت مركبا كبيرة وحملت فيها البضائع والمتاجر وما أحتاج اليه في المركب وقلت يا أختي هل لكما ان تقعدا في المنزل حتى أسافر وأرجع أو تسافرا معي فقالتا نسافر معك فانا لا نطيق فراقك فأخذتهما وسافرنا وكنت قسمت مالي نصفين فأخذت النصف وخبأت النصف الثاني وقلت ربما يصيب المركب شيء ويكون في العمر مدة فاذا رجعنا نجد شيأ ينفعنا ولم نزل مسافرين أياما وليالي فتاهت بنا المركب وغفل الريس عن الطريق ودخلت المركب بحرا غير البحر الذي نريده ولم نعلم بذلك مدة وطاب لنا الريح عشرة أيام فلاحت لنا مدينة على بعد فقلنا

للريس ما اسم هذه المدينة التي أشرفنا عليها فقال والله لا أعلم ولا رأيتها قط ولا سلكت عمري هذا البحر ولكن جاء الامر بسلامة فما بقي الآن تدخلوا هذه المدينة وتخرجوا بضائعكم فان حصل لكم بيع بيعوا وتصرفوا فيها وان لم يحصل لكم بيع نرتاح يومين ونتزود ونسافر فدخلنا المدينة وطلع الريس اليها وغاب ساعة ثم جاءنا وقال قوموا اطلعوا الى المدينة وتعجبوا من صنع الله في خلقه واستعيذوا من سخطه فطلعنا المدينة فوجدنا كل من فيها ممسوخا حجارة سودا فاندهشنا من ذلك ومشينا في الاسواق فوجدنا البضائع باقية والذهب والفضة باقيين على حالهما ففرحنا وقلنا لعل هذا يكون له أمر عجيب وتفرقنا في شوارع المدينة وكل واحد اشتغل عن رفيقه بما فيها من المال والقماش وأما أنا فطلعت الى القلعة فوجدتها محكمة فدخلت قصر الملك فوجدت جميع الاواني من الذهب والفضة ثم رأيت الملك جالسا وعنده حجابه ونوابه ووزراؤه وعليه من الملابس شيء يتحير فيه الفكر فلما قربت من الملك وجدته جالسا على كرسي مرصع بالدر والجوهر فيه كل درة تضيء كالنجمة وعليه حلة من زركشة بالذهب وواقفا حوله خمسون مملوكا لابسين أنواع الحرير وفي أيديهم السيوف مجردة فلما نظرت لذلك دهش عقلي ثم مشيت ودخلت قاعة الحريم فوجدت في حيطانها استائر من الحرير ووجدت الملكة عليها حلة من زركشة باللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تاج مكلل بأنواع الجواهر وفي عنقها قلائد وعقود وجميع ما عليها من الملبوس والمصاغ باق على حاله وهي ممسوخة حجرا اسود ووجدت بابا مفتوحا فدخلته ووجدت فيه سلما بسبع درج فصعدته فرأيت مكانا مرخما مفروشا بالبسط المذهبة ووجدت فيه سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر ونظرت نورا لامعا في جهة فقصدتها فوجدت فيها جوهرة مضيئة قدر بيضة النعامة على كرسي صغير وهو يضيء كالشمعة ونورها ساطع ومفروش على ذلك السرير من أنواع الحرير ما يحير الناظر فلما نظرت الى ذلك تعجبت ورأيت في ذلك المكان شموعا موقدة فقلت في نفسي لابد أن أحدا أوقد هذه الشموع ثم اني مشيت حتى دخلت موضعا غيره وصرت أفتش في الاماكن ونسيت نفسي مما أدهشني من التعجب من تلك الاحوال واستغرق فكري الى أن دخل الليل فأردت الخروج فلم أعرف الباب وتهت عنه فعدت الى الجهة التي فيها الشموع الموقدة وجلست على السرير وتغطيت بلحاف بعد أن قرأت شيئا من القرآن وأردت النوم فلم أستطع ولحقني القلق فلما انتصف الليل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن رقيق فالتفت الى مخدع فرأيت بابه مفتوحا فدخلت الباب ونظرت المكان فاذا هو معبد وفيه قناديل معلقة موقدة وفيه سجادة مفروشة جالس عليها شاب حسن المنظر فتعجبت كيف هو سالم دون أهل المدينة فدخلت وسلمت عليه فرفع بصره ورد علي السلام

فقال

فقلت له أسألك بحق ما تتلوه من كتاب الله أن تجيبني عن سؤالي فتبسم وقال اخبريني أنت عن سبب دخولك هذا المكان وأنا أخبرك بجواب ما تسأليني عنه فأخبرته بخبري فتعجب من ذلك ثم انني سألته عن خبر هذه المدينة فقال أمهليني ثم طبق المصحف وأدخله في كيس من الاطلس وأجلسني بجنبه فنظرت اليه فاذا هو كالبدر حسن الاوصاف لين الاعطاف بهي المنظر رشيق القد أسيل الخد زهي الوجنات كأنه المقصود من هذه الابيات

رصد المنجم ليله فبدا له * قد المليح يميس في برديه
وأمده زحل سواد ذوائب * والمسك هادى الخال في خديه
وغدت من المريخ حمرة خده * والقوس يرمي النبل من جفنيه
وعطارد أعطاه فرط ذكائه * وأبى السها نظر الوشاة اليه
فغدا المنجم حائراً مما رأى * والبدر باس الارض بين يديه

فنظرت له نظرة أعقبتني ألف حسرة وأوقدت بقلبي كل جمرة فقلت له يا مولاي أخبرني عما سألتك فقال سمعاً وطاعة اعلمي ان هذه المدينة مدينة والدي وجميع أهله وقومه وهو الملك الذي رأيتيه على الكرسي ممسوخاً حجراً وأما الملكة التي رأيتيها فهي أمي وقد كانوا مجوساً يعبدون النار دون الملك الجبار وكانوا يقسمون بالنار والنور والظل والحرور والفلك الذي يدور وكان أبي ليس له ولد فرزق بي في آخر عمره فرباني حتى نشأت وقد سبقت لي السعادة وكان عندنا عجوز طاعنة في السن مسلمة تؤمن بالله ورسوله في الباطن وتوافق أهلي في الظاهر وكان أبي يعتقد فيها لما يرى عليها من الامانة والعفة وكان يكرمها ويزيد في اكرامها وكان يعتقد انها على دينه فلما كبرت سلمني أبي اليها وقال خذيه وربيه وعلميه أحوال ديننا وأحسني تربيته وقومي بخدمته فأخذتني العجوز وعلمتني دين الاسلام من الطهارة وفرائض الوضوء والصلاة وحفظتني القرآن فلما أتممت ذلك قالت لي يا ولدي أكتم هذا الامر عن أبيك ولا تعلمه به لئلا يقتلك فكتمته عنه ولم أزل على هذا الحال مدة أيام قلائل وقد ماتت العجوز وزاد أهل المدينة في كفرهم وعتوهم وضلالهم فبينما هم على ما هم فيه اذ سمعوا مناديا ينادي بأعلى صوت مثل الرعد القاصف سمعه القريب والبعيد يقول يا أهل هذه المدينة ارجعوا عن عبادة النار واعبدوا الملك الجبار فحصل عند أهل المدينة فزع واجتمعوا عند أبي وهو ملك المدينة وقالوا له ما هذا الصوت المزعج الذي سمعناه فاندهشنا من شدة هوله فقال لهم لا يهولنكم الصوت ولا يفزعكم ولا يردكم عن دينكم فمالت قلوبهم الى قول أبي ولم يزالوا مكبين على عبادة النار واستمروا على طغيانهم مدة سنة حتى جاء ميعاد ما سمعوا الصوت الاول فظهر لهم ثانيا فسمعوه

ثلاث مرات على ثلاث سنين فى كل سنة مرة فلم يزالوا عاكفين على ماهم عليه حتى نزل عليهم المقت والسخط من السماء بعد طلوع الفجر فسخوا حجارة سودا وكذلك دوابهم وأنعامهم ولم يسلم من أهل هذه المدينة غيرى ومن يوم جرت هذه الحادثة وأنا على هذه الحالة فى صلاة وصيام وتلاوة قرآن وقد سئمت من الوحدة وما عندى من يؤانسنى فعند ذلك قلت له يا أيها الشاب هل لك ان تروح معى الى مدينة بغداد وتنظر الى العلماء والى الفقهاء فتزداد علما وفقها وأكون أنا جاريتك مع انى سيدة قومى وحاكمة على رجال وخدم وغلمان وعندى مركب مشحونة بالمتجر وقد رمتنا المقادير على هذه المدينة حتى كان ذلك سببا فى اطلاعنا على هذه الامور وكان النصيب فى اجتماعنا ولم أزل أرغبه فى التوجه حتى أجابنى اليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة عشر﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية مازالت تحسن للشاب التوجه معها حتى غلب عليها النوم فنامت تلك الليلة تحت رجليه وهى لا تصدق بما هى فيه من الفرح ثم قالت فلما أصبح الصباح قمنا ودخلنا الى الخزائن وأخذنا ماخف حمله وغلا ثمنه ونزلنا من القلعة الى المدينة فقابلنا العبيد والريس وهم يفتشون على فلما رأونى فرحوا بى وسألونى عن سبب غيابى فأخبرتهم بما رأيت وحكيت لهم قصة الشاب وسبب مسخ أهل هذه المدينة وماجرى لهم فتعجبوا من ذلك فلما رآنى اختياى ومعى ذلك الشاب حسدتانى عليه وصارتا فى غيظ وأضمرتا المكر لى ثم نزلنا المركب وانا بغاية الفرح وأكثر فرحى بصحبة هذا الشاب وأقمنا ننتظر الريح حتى طاب لنا الريح فنشرنا القلوع وسافرنا فقعد أختاى عندنا وصارتا يتحدثان فقالتالى يا أختنا ما تصنعين بهذا الشاب الحسن فقلت لهما قصدى أن أتخذه بعلا ثم التفت اليه وأقبلت عليه وقلت ياسيدى قصدى أن أقول لك شيأ فلا تخالفنى فيه فقال سمعا وطاعة ثم التفت الى أختى وقلت لهما يكفينى هذا الشاب وجميع هذه الاموال لكما فقالتا نعم مافعلت ولكنهما أضمرتا الى الشر ولم نزل سائرين مع اعتدال الريح حتى خرجنا من بحر الخوف ودخلنا بحر الامان وسافرنا أياما قلائل الى أن قربنا من مدينة البصرة ولاحت لنا ابنيتها فأدركنا المساء فلما أخذنا النوم قامت اختاى وحملتانى أنا والغلام بفرشنا ورمتانا فى البحر فأما الشاب فانه كان لا يحسن العوم فغرق وكتبه الله من الشهداء وأما أنا فكتبت من السالمين فلما سقطت فى البحر رزقنى الله بقطعة خشب فركبتها وضربتنى الامواج الى أن رمتنى على ساحل جزيرة فلم أزل أمشى فى الجزيرة باقى ليلتى فلما أصبح الصباح رأيت طريقا فيه أثر مشى على قدر قدم ابن آدم وتلك الطريق متصلة من الجزيرة الى البر وقد طلعت الشمس فنشفت ثيابى

فيها وسرت فى الطريق ولم أزل سائرة الى أن قربت من البرّ الذى فيه المدينة واذا أنا بحية تقصدنى وخلفها ثعبان يريد هلاكها وقد تدلى لسانها من شدة التعب فأخذتنى الشفقة عليها فعمدت الى حجر وألقيته على رأس الثعبان فمات من وقته فنشرت الحية جناحين وطارت فى الجو فتعجبت من ذلك وقد تعبت فنمت فى موضعى ساعة فلما أفقت وجدت تحت رجلى جارية وهى تكبس رجلى فجلست واستحيت منها وقلت لها من أنت وما شأنك فقالت ما أسرع ما نسيتنى أنت التى فعلت معى الجميل وقتلت عدوى فانا الحية التى خلصتينى من الثعبان فانى جنية وهذا الثعبان جنى وهو عدوى وما نجانى منه الا أنت فلما نجيتينى منه طرت فى الريح وذهبت الى المركب التى رماك منها أختاك ونقلت جميع ما فيها الى بيتك وأغرقتها وأما أختاك فانى سحرتهما كلبتين من الكلاب السود فانى عرفت جميع ما جرى لك معهما وأما الشاب فانه غرق ثم حملتنى أنا والكلبتين وألقتنا فوق سطح دارى فرأيت جميع ما كان فى المركب من الاموال فى وسط بيتى ولم يضع منه شئ ثم ان الحية قالت لى وحق النقش الذى على خاتم سليمان اذا لم تضربى كل واحدة منهما فى كل يوم ثلثمائة سوط لآتين وأجعلنك مثلهما فقلت سمعا وطاعة فلم أزل يا أمير المؤمنين أضربهما ذلك الضرب وأشفق عليهما فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال للصبية الثانية وأنت ما سبب الضرب الذى على جسدك فقالت يا أمير المؤمنين انى كان لى والد فمات وخلف مالا كثيرا فأقمت بعده مدة يسيرة وتزوجت برجل أسعد أهل زمانه فأقمت معه سنة كاملة ومات فورثت منه ثمانين ألف دينار بمقتضى ما خصنى بالفريضة الشرعية فعملت عشر بدلات كل بدلة بألف دينار فبينما أنا جالسة فى يوم من الايام اذ دخلت علىّ عجوز بوجه مسعوط وحاجب ممعوط وعيونها مفجرة وأسنانها مكسرة ومخاطها سائل وعنقها مائل كما قال فيها الشاعر

عجوز النحس ابليس يراها * تعلمه الخديعة من سكوت
تقود من السياسة ألف بغل * اذا نفروا بخيط العنكبوت

(وكما قال الآخر)

وعجوز لها الكهانة طبع * حللت فى الحرام مالن يجوزا
بعبصت طفلة وليطت فتاة * وزنت كهلة وقادت عجوزا

فلما دخلت العجوز سلمت علىّ وقالت ان عندى بنتا يتيمة والليلة عملت عرسها وأنا قصدى لك الاجر والثواب فاحضرى عرسها فانها مكسورة الخاطر ليس لها الا الله تعالى ثم بكت وقبلت رجلى فأخذتنى الرحمة والرأفة فقلت سمعا وطاعة فقالت جهزى نفسك فانى وقت العشاء أجىء

وآخذ ذلك ثم قبلت يدى وذهبت فقمت وهيأت نفسي وجهزت حالى واذا بالعجوز قد أقبلت وقالت ياسيدتى ان سيدات البلد قد حضرن وأخبرتهن بحضورك ففرحن وهن فى انتظارك فقمت وتهيأت وأخذت جوارىّ معى وسرت حتى أتينا الى زقاق هبّ فيه النسيم وراق فرأينا بوابة مقنطرة بقبة من الرخام مشيدة البنيان وفى داخلها قصر قد قام من التراب وتعلق بالسحاب فلما وصلنا الى الباب طرقته العجوز ففتح لنا ودخلنا فوجدنا دهليزا مفروشا بالبسط معلقا فيه قناديل موقدة وشموع مضيئة وفيه الجواهر والمعادن معلقة فمشينا فى الدهليز الى أن دخلنا قاعة لا يوجد لها نظير مفروشة بالفراش الحرير معلقا فيها القناديل الموقدة والشموع المضيئة وفى صدر القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وعليه ناموسية من الاطلس واذا بصبية خرجت من الناموسية مثل القمر فقالت لى مرحبا وأهلا وسهلا يا أختى آنستنى وجبرت خاطرى وأنشدت تقول

لو تعلم الدار من قد زارها فرحت * واستبشرت ثم باست موضع القدم
وأعلنت بلسان الحال قائلة * أهلا وسهلا باهل الجود والكرم

ثم جلست وقالت لى يا أختى ان لى أخا وقد رآك فى بعض الافراح وهو شاب أحسن منى وقد أحبك قلبه حبا شديدا وأعطى هذه العجوز دراهم حتى أتتك وعملت هذه الحيلة لاجل اجتماعى بك ويريد أخى أن يتزوجك بسنة الله ورسوله وما فى الحلال من عيب فلما سمعت كلامها ورأيت نفسى قد انحجزت فى الدار قلت للصبية سمعا وطاعة ففرحت وصفقت بيديها وفتحت بابا فخرج منه شاب مثل القمر كما قال الشاعر

قد زاد حسنا تبارك الله * جلّ الذى صاغه وسوّاه
قد حاز كل الجمال منفردا * كل الورى فى جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته * اشهد أن لا مليح الاهو

فلما نظرت اليه مال قلبى له ثم جاء وجلس واذا بالقاضى قد دخل ومعه أربعة شهود فسلموا وجلسوا ثم انهم كتبوا كتابى على ذلك الشاب وانصرفوا فالتفت الشاب الىّ وقال ليلتنا مباركة ثم قال ياسيدتى انى شارط عليك شرطا فقلت ياسيدى وما الشرط فقام وأحضر لى مصحفا وقال احلفى لى انك لا تختارى أحدا غيرى ولا تميلى اليه فحلفت له على ذلك ففرح فرحا شديدا وعانقنى فأخذت محبته بمجامع قلبى وقدموا لنا السماط فأكلنا وشربنا حتى اكتفينا ودخل علينا الليل فأخذنى ونام معى على الفراش وبتنا فى عناق الى الصباح ولم نزل على هذه الحالة مدة شهر ونحن فى هناء وسرور وبعد الشهر استأذنته فى أنى أسير الى السوق وأشترى بعض قماش

قماش فأذن لي في الرواح فلبست ثيابي وأخذت العجوز معي ونزلت في السوق فجلست على دكان شاب تاجر تعرفه العجوز وقالت لي هذا ولد صغير مات أبوه وخلف له مالا كثيرا ثم قالت له هات أعز ما عندك من القماش لهذه الصبية فقال سمعا وطاعة فصارت العجوز تثني عليه فقلت مالنا حاجة بثنائك عليه لان مرادنا أن نأخذ حاجتنا منه ونعود الى منزلنا فأخرج لنا ما طلبناه وأعطيناه الدراهم فأبى أن يأخذ شيأ وقال هذه ضيافتكم اليوم عندي فقلت للعجوز ان لم يأخذ الدراهم أعطيه قماشه فقال والله لا آخذ منك شيأ والجميع هدية من عندي في قبلة واحدة فانها عندي أحسن من جميع ما في دكاني فقالت العجوز ما الذي يفيدك من القبلة ثم قالت يا بنتي قد سمعت ما قال هذا الشاب وما يصيبك شيء اذا أخذ منك قبلة وتأخذين ما تطلبينه فقلت لها اما تعرفين اني حالفة فقالت خليه يقبلك وأنت ساكتة ولا عليك شيء وتأخذين هذه الدراهم ولا زالت تحسن لي الامر حتى أدخلت رأسي في الجراب ورضيت بذلك ثم اني غطيت عيني وداريت بطرف ازاري من الناس وحط فمه تحت ازاري على خدي فلما قبلني عضني عضة قوية حتى قطع اللحم من خدي فغشي علي ثم أخذتني العجوز في حضنها فلما أفقت وجدت الدكان مقفولة والعجوز تظهر لي الحزن وتقول ما دفع الله كان أعظم ثم قالت لي قومي بنا الى البيت واعملي نفسك ضعيفة وانا أجيء اليك بدواء تداوين به هذه العضة فتبرئين سريعا فبعد ساعة قمت من مكاني وأنا في غاية الفكر واشتد بي الخوف ومشيت حتى وصلت الى البيت وأظهرت حالة المرض واذا بزوجي داخل وقال ما الذي أصابك يا سيدتي في هذا الخروج فقلت له ما أنا طيبة فنظر الي وقال لي ما هذا الجرح الذي بخدك وهو في المكان الناعم فقلت اني لما استأذنتك وخرجت في هذا النهار لاشتري القماش زاحمني جمل حامل حطبا فشرمط نقابي وجرح خدي كما ترى فان الطريق ضيق في هذه المدينة فقال غدا أروح للحاكم وأشكو له فيشنق كل حطاب في المدينة فقلت بالله عليك لا تتحمل خطيئة أحد فاني ركبت حمارا فنفر بي فوقعت على الارض فصادفني عود فخدش خدي وجرحني فقال غدا أطلع لجعفر البرمكي وأحكي له الحكاية فيقتل كل حمار في هذه المدينة فقلت هل أنت تقتل الناس كلهم بسببي وهذا الذي جرى لي بقضاء الله وقدره فقال لا بد من ذلك وشدد علي ونهض قائما وصاح صيحة عظيمة فانفتح الباب وطلع منه سبعة عبيد سود فسحبوني من فرشي ورموني في وسط الدار ثم أمر عبدا منهم أن يمسكني من أكتافي ويجلس على رأسي وأمر الثاني أن يجلس على ركبتي ويمسك رجلي وجاء الثالث وفي يده سيف فقال يا سيدي أضربها بالسيف فأقسمها نصفين وكل واحد يأخذ قطعة يرميها في بحر الدجلة فيأكلها السمك وهذا جزاء من يخون الايمان والمودة وأنشد هذا الشعر

اذا كان لى فيمن أحب مشارك * منعت الهوى روحى ليتلفنى وجدى
وقلت لها يانفس موتى كريمة * فلاخير فى حب يكون مع الضد

ثم قال للعبد اضربها ياسعد فجرد السيف وقال اذكرى الشهادة وتذكرى ما كان لك من الحوائج وأوصى فان هذا آخر حياتك فقلت له ياعبد الخير تمهل على قليلا حتى أتشهد وأوصى ثم رفعت رأسى ونظرت الى حالى وكيف صرت فى الذل بعد العز فجرت عبرتى و بكيت وأنشدت هذه الابيات

أقمتم فراقى فى الهوى وقعدتم * وأسهرتم جفنى القريح ونمتم
ومنزلكم بين الفؤاد وناظرى * فلا القلب يسلوكم ولا الدمع يكتم
وعاهدتمونى أن تقيموا على الوفا * فلما تملكتم فؤادى غدرتم
ولم ترحموا وجدى بكم وتلهفى * أأنتم صروف الحادثات أمنتم
سألتكم بالله ان مت فاكتبوا * على لوح قبرى ان هذا متيم
لعل شجيا عارفا لوعة الهوى * يمر على قبر المحب فيرحم

فلما فرغت من شعرى بكيت فلما سمع الشعر ونظر الى بكائى ازداد غيظا على غيظه وأنشد هذين البيتين

تركت حبيب القلب لاعن ملالة * ولكن جنى ذنبا يؤدى الى الترك
أراد شريكا فى المحبة بيننا * وايمان قلبى لايميل الى الشرك

فلما فرغ من شعره بكيت واستعطفته وقلت فى نفسى أتواضع له وألين له الكلام لعله يعفو عنى من القتل ولوكان يأخذ جميع ماأملك ثم شكوت اليه ماأجده وأنشدته هذه الابيات

وحقك لوأنصفتنى ماقتلتنى * ولكن حكم البين مافيه منصف
وحملتنى ثقل الغرام واننى * لاعجز عن حمل القميص وأضعف
وماعجب اتلاف روحى وانما * عجبت لجسمى بعدكم كيف يعرف

فلما فرغت من شعرى بكيت فنظر فى ونهرنى وشتمنى وأنشد هذه الابيات

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * وأظهرتم الهجران ماهكذا كنا
سنترككم لما تركتم مرامنا * ونصبر عنكم مثل صبركم عنا
ونهوى سواكم مذجنحتم لغيرنا * ونجعل قطع الوصل منكم ولامنا

فلما فرغ من شعره صرخ على العبد وقال له اشطرها نصفين فليس لنا فيها فائدة فلما تقدم العبد الى أيقنت بالموت ويئست من الحياة وسلمت أمرى لله تعالى واذا بالعجوز قد دخلت ورمت نفسها

نفسها على أقدام الشاب وقبلتهما وقالت ياولدي بحق تربيتي لك تعفو عن هذه الصبية فانها مافعلت ذنبا يوجب ذلك وأنت شاب صغير فأخاف عليك من دعائها ثم بكت العجوز ولم تزل تلح عليه حتى قال قد عفوت عنها ولكن لابد أن أعمل فيها أثرا يظهر عليها بقية عمرها ثم أمر العبيد فجذبوني من ثيابي وأحضر قضيبا من سفرجل ونزل به على جسدي بالضرب ولم يزل يضربني ذلك الشاب على ظهري وجنبي حتى غبت عن الدنيا من شدة الضرب وقد يئست من حياتي ثم أمر العبيد أنه اذا دخل الليل يحملونني ويأخذون العجوز معهم ويرمونني في بيتي الذي كنت فيه سابقا ففعلوا ما أمرهم به سيدهم ورموني في بيتي فتعهدت نفسي وداويت جسمي فلما شفيت بقيت أضلاعي كأنها مضروبة بالمقارع كما ترى فاستمريت في مداواة نفسي أربعة أشهر حتى شفيت ثم جئت الى الدار التي جرى لي فيها ذلك الامر فوجدتها خربة ووجدت الزقاق مهدوما من أوله الى آخره ووجدت في موضع الدار كيمانا ولم أعلم سبب ذلك فجئت الى أختي هذه التي من أبي فوجدت عندها هاتين الكلبتين فسلمت عليها وأخبرتها بخبري وبجميع ماجرى لي فقالت لي من ذا الذي من نكبات الزمان سلم الحمد لله الذي جعل الامر بسلامة ثم أخبرتني بخبرها وبجميع ماجرى لها مع أختيها وقعدت أنا وهي لانذكر خبر الزواج على ألسنتنا ثم صاحبتنا هذه الصبية الدلالة وفي كل يوم تخرج فتشتري لنا مانحتاج اليه من المصالح واستمرينا على هذه الحالة الى هذه الليلة التي مضت فخرجت أختنا تشتري لنا مانحتاج اليه من المصالح على جري عادتها فوقع لنا ماوقع من مجيء الحمال والصعاليك ومن مجيئكم في صفة تجار فلما صرنا في هذا اليوم لم نشعر الا ونحن بين يديك وهذه حكايتنا فتعجب الخليفة من هذه الحكاية وجعلها تاريخا مثبتا في خزانته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة عشر﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة أمر أن تكتب هذه القصة في الدواوين ويجعلوها في خزانة الملك ثم انه قال للصبية الاولى هل عندكم خبر بالعفريتة التي سحرت أختيك قالت ياأمير المؤمنين انها أعطتني شيأ من شعرها وقالت متى أردت حضوري فاحرقي من هذا الشعر شيأ فأحضر اليك عاجلا ولو كنت خلف جبل قاف فقال الخليفة احضري لي الشعر فأحضرته الصبية فأخذه الخليفة وأحرق منه شيأ فلما فاحت رائحته اهتز القصر وسمعوا دويا وصلصلة واذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة فقالت السلام عليك ياخليفة الله فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالت اعلم ان هذه الصبية زرعت معي جميلا ولاأقدر أن أكافئها عليه فهي أنقذتني من الموت وقتلت عدوي ورأيت مافعله معها أختاها فرأيت الا أني أنتقم منهما فسحرتهما كلبتين بعد أن أردت قتلهما فخشيت أن يصعب عليها وان أردت

خلاصهما يا أمير المؤمنين أخلصهما كرامة لك ولهما فانى من المسلمين فقال لها خلصيهما وبعد ذلك نشرع فى أمر الصبية المضروبة ونفحص عن حالها فاذا ظهر لى صدقها أخذت ثارها ممن ظلمها فقالت العفريتة يا أمير المؤمنين أنا أدلك على من فعل بهذه الصبية هذا الفعل وظلمها وأخذ مالها وهو أقرب الناس اليك ثم ان العفريتة أخذت طاسة من الماء وعزمت عليها ورشت وجه الكلبتين وقالت لهما عودا الى صورتكما الاولى البشرية فعادتا صبيتين سبحان خالقهما ثم قالت يا أمير المؤمنين ان الذى ضرب الصبية ولدك الامين فانه كان يسمع بحسنها وجمالها وحكت له العفريتة جميع ما جرى للصبية فتعجب وقال الحمد لله على خلاص هاتين الكلبتين على يدى ثم ان الخليفة أحضر ولده الامين بين يديه وسأله عن قصة الصبية الاولى فأخبره على وجه الحق فأحضر الخليفة القضاة والشهود والصعاليك الثلاثة وأحضر الصبية الاولى وأختيها اللتين كانتا مسحورتين فى صورة كلبتين وزوج الثلاثة للثلاثة الصعاليك الذين أخبروهم أنهم كانوا ملوكا وعملهم حجابا عنده وأعطاهم ما يحتاجون اليه وأنزلهم فى قصر بغداد ورد الصبية المضروبة لولده الامين وأعطاها مالا كثيرا وأمر أن تبنى الدار أحسن ما كانت ثم ان الخليفة تزوج بالدلالة ورقد فى تلك الليلة معها فلما أصبح أفرد لها بيتا وجوارى يخدمنها ورتب لها راتبا وشيد لها قصرا ثم قال لجعفر ليلة من الليالى انى أريد أن تنزل فى هذه الليلة الى المدينة ونسأل عن أحوال الحكام والمتولين وكل من شكا منه أحد عزلناه فقال جعفر سمعا وطاعة فلما نزل الخليفة وجعفر ومسرور وساروا فى المدينة ومشوا فى الاسواق مروا بزقاق فرأوا شيخا كبيرا على رأسه شبكة وقفة وفى يده عصا وهو ماش على مهله وينشد هذه الابيات

يقولون لى أنت بين الورى * بعلمك كالليلة المقمرة
فقلت دعونى من قولكم * فلا علم الامع المقدره
فلو رهنونى وعلمى معى * وكل الدفاتر والمحبره
على قوت يوم لما أدركوا * قبول الرهان الى الآخره
فأما الفقير وحال الفقير * وعيش الفقير فما أكدره
وفى الصيف يعجز عن قوته * وفى البرد يدفا على المجمره
تليه الكلاب اذا ما مشى * ذليلا مهانا فما أحقره
اذا ما شكا حاله لامرئ * و بين عذرا فلن يعذره
اذا كان هذا حياة الفقير * فأصلح ما كان فى المقبره

فلما سمع الخليفة انشاده قال لجعفر انظر هذا الرجل الفقير وانظر هذا الشعر فانه يدل على احتياجه

احتياجه ثم ان الخليفة تقدم اليه وقال له ياشيخ ماحرفتك قال ياسيدي صياد وعندي عائلة وخرجت من بيتي من نصف النهار الى هذا الوقت ولم يقسم الله لي شيأ أقوت به عيالي وقد كرهت نفسي وتمنيت الموت فقال له الخليفة هل لك ان ترجع معنا الى البحر وتقف على شاطىء الدجلة وترمي شبكتك على بختي وكل ماطلع أشتريه منك بمائة دينار ففرح الرجل لما سمع هذا الكلام وقال على رأسي أرجع معكم ثم ان الصياد رجع الى البحر ورمى شبكته وصبر عليها ثم انه جذب الخيط وجر الشبكة اليه فطلع في الشبكة صندوق مقفول ثقيل الوزن فلما نظره الخليفة جسه فوجده ثقيلا فأعطى الصياد مائة دينار وانصرف وحمل الصندوق مسرور هو وجعفر وطلعا به مع الخليفة الى القصر وأوقدوا الشموع والصندوق بين يدي الخليفة فتقدم جعفر ومسرور وكسروا الصندوق فوجدوا فيه قفة خوص مخيطة بصوف أحمر فقطعوا الخياطة فرأوا فيها قطعة بساط فرفعوها فوجدوا تحتها ازارا فرفعوا الازار فوجدوا تحته صبية كأنها سبيكة فضة مقتولة ومقطعة فلما نظرها الخليفة جرت دموعه على خده والتفت الى جعفر وقال يا كلب الوزراء أتقتل القتلى في زمني ويرمون في البحر ويصيرون متعلقين بذمتي والله لا بد أن أقتص لهذه الصبية ممن قتلها وأقتله وقال لجعفر وحق اتصال نسبي بالخلفاء من بني العباس ان لم تأتني بالذي قتل هذه لانصفها منه لاصلبنك على باب قصري أنت وأربعين من بني عمك واغتاظ الخليفة فقال جعفر أمهلني ثلاثة أيام قال أمهلتك ثم خرج جعفر من بين يديه ومشى في المدينة وهو حزين وقال في نفسه من أين أعرف من قتل هذه الصبية حتى أحضره للخليفة وان أحضرت له غيره يصير معلقا بذمتي ولا أدري ما أصنع ثم ان جعفرا جلس في بيته ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أرسل اليه الخليفة يطلبه فلما تمثل بين يديه قال له أين قاتل الصبية قال جعفر يا أمير المؤمنين هل أنا أعلم الغيب حتى أعرف قاتلها فاغتاظ الخليفة وأمر بصلبه على باب قصره وأمر مناديا أن ينادي في شوارع بغداد من أراد الفرجة على صلب جعفر البرمكي وزير الخليفة وصلب أولاد عمه على باب قصر الخليفة فليخرج ليتفرج فخرجت الناس من جميع الحارات ليتفرجوا على صلب جعفر وصلب أولاد عمه ولم يعلموا سبب ذلك ثم أمر بنصب الخشب فنصبوه وأوقفوهم تحته لاجل الصلب وصاروا ينتظرون الاذن من الخليفة وصار الخلق يتباكون على جعفر وعلى أولاد عمه فبينما هم كذلك واذا بشاب حسن نقي الاثواب يمشي بين الناس مسرعا الى أن وقف بين يدي الوزير وقال له سلامتك من هذه الوقفة ياسيد الامراء وكهف الفقراء أنا الذي قتلت القتيلة التي وجدتموها في الصندوق فاقتلني فيها واقتص لها مني فلما سمع جعفر كلام الشاب وما أبداه من الخطاب فرح بخلاص نفسه وحزن على الشاب فبينما هم في الكلام واذا بشيخ كبير يفسح الناس و يمشي بينهم

بسرعة الى أن وصل الى جعفر والشاب فسلم عليهما ثم قال أيها الوزير لا تصدق كلام هذا الشاب فانه ماقتل هذه الصبية الا أنا فاقتص لها مني فقال الشاب أيها الوزير ان هذا شيخ كبير خرفان لايدري مايقول وأنا لذي قتلتها فاقتص لها مني فقال الشيخ ياولدي أنت صغير تشتهي الدنيا وأنا كبير شبعت من الدنيا وأنا أفديك وأفدي الوزير وبني عمه وماقتل الصبية الا أنا فبالله عليك أن تعجل بالاقتصاص مني فلما نظر الى ذلك الامر تعجب منه وأخذ الشاب والشيخ وطلع بهما عند الخليفة وقال يا أمير المؤمنين قد حضر قاتل الصبية فقال الخليفة أين هو فقال ان هذا الشاب يقول أنا القاتل وهذا الشيخ يكذبه و يقول لابل أنا القاتل فنظر الخليفة الى الشيخ والشاب وقال من منكما قتل هذه الصبية فقال الشاب ماقتلها الا أنا وقال الشيخ ماقتلها الا أنا فقال الخليفة لجعفر خذ الاثنين واصلبهما فقال جعفر اذا كان القاتل واحدا فقتل الثاني ظلم فقال الشاب وحق من رفع السماء و بسط الارض اني أنا الذي قتلت الصبية وهذي امارة قتلها ووصف ماوجده الخليفة فتحقق عند الخليفة ان الشاب هو الذي قتل الصبية فتعجب الخليفة وقال ماسبب قتلك هذه الصبية بغير حق وماسبب اقرارك بالقتل من غير ضرب وقولك اقتصوا لها مني فقال الشاب اعلم يا أمير المؤمنين ان هذه الصبية زوجتي و بنت عمي وهذا الشيخ أبوها وهو عمي وتزوجت بها وهي بكر فرزقني الله منها ثلاثة أولاد ذكور وكانت تحبني وتخدمني ولم أر عليها شيئا فلما كان أول هذا الشهر مرضت مرضا شديدا فأحضرت لها الاطباء حتى حصلت لها العافية فأردت أن أدخلها الحمام فقالت اني أريد شيئا قبل دخول الحمام لاني اشتهيته فقلت لها وماهو فقالت اني أشتهي تفاحة أشمها وأعض منها عضة فطلعت من ساعتي الى المدينة وفتشت على التفاح ولو كانت الواحدة بدينار فلم أجده فبت تلك الليلة وأنا متفكر فلما أصبح الصباح خرجت من بيتي ودرت على البساتين واحدا واحدا فلم أجده فيها فصادفني خولي كبير فسألته عن التفاح فقال ياولدي هذا شيء قل أن يوجد لانه معدوم ولا يوجد الا في بستان أمير المؤمنين الذي في البصرة وهو عند الخولي يدخره للخليفة فجئت الى زوجتي وقد حملتني محبتي اياها على أن هيأت نفسي وسافرت خمسة عشر يوما ليلا ونهارا في الذهاب والاياب وجئت لها بثلاث تفاحات اشتريتها من خولي البصرة بثلاثة دنانير ثم اني دخلت وناولتها اياها فلم تفرح بها بل تركتها في جانبها وكان مرض الحمى قد اشتد بها ولم تزل في ضعفها الى أن مضى لها عشرة أيام و بعد ذلك عوفيت فخرجت من البيت وذهبت الى دكاني وجلست في بيعي وشرائي فبينما أنا جالس في وسط النهار واذا بعبد اسود مر علي وفي يده تفاحة يلعب بها فقلت له من أين أخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها فضحك وقال أخذتها من حبيبتي وأنا كنت غائبا وجئت

فوجدتها

فوجدتها ضعيفة وعندها ثلاث تفاحات فقالت ان زوجي الديوث سافر من شأنها الى البصرة فاشتراها بثلاثة دنانير فأخذت منها هذه التفاحة فلما سمعت كلام العبد يا أمير المؤمنين اسودت الدنيا في وجهي وقفلت دكاني وجئت الى البيت وأنا فاقد العقل من شدة الغيظ فلم أجد التفاحة الثالثة فقلت لها أين الثالثة فقالت لا أدري ولا أعرف أين ذهبت فتحققت قول العبد وقمت أخذت سكينا وركبت على صدرها ونحرتها بالسكين وقطعت رأسها وأعضاءها وحطيتها في القفة بسرعة وغطيتها بالازار وحطيت عليها شقة بساط وأنزلتها في الصندوق وقفلته وحملتها على بغلتي ورميتها في الدجلة بيدي فبالله عليك يا أمير المؤمنين أن تعجل بقتلي قصاصا لها فاني خائف من مطالبتها يوم القيامة فاني لما رميتها في بحر الدجلة ولم يعلم بها أحد رجعت الى البيت فوجدت ولدي الكبير يبكي ولم يكن له علم بما فعلت في أمه فقلت له ما يبكيك فقال اني أخذت تفاحة من التفاح الذي عند أمي ونزلت بها الى الزقاق ألعب مع اخواني واذا بعبد اسود طويل خطفها مني وقال لي من أين جاءتك هذه فقلت له هذه سافر أبي وجاء بها من البصرة من أجل أمي وهي ضعيفة واشترى ثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فأخذها مني وضربني وراح بها فخفت من أمي أن تضربني من شأن التفاحة فلما سمعت كلام الولد علمت ان العبد هو الذي افترى الكلام الكذب على بنت عمي وتحققت أنها قتلت ظلما ثم اني بكيت بكاء شديدا واذا بهذا الشيخ وهو عمي والدها قد أقبل فأخبرته بما كان فجلس بجانبي وبكى ولم نزل نبكي الى نصف الليل وأقمنا العزاء خمسة أيام ولم نزل الى هذا اليوم ونحن نتأسف على قتلها فبحرمة أجدادك أن تعجل بقتلي واقتص لها مني فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب وقال والله لا أقتل الا العبد الخبيث وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة عشر﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الخليفة أقسم أنه لا يقتل الا العبد لان الشاب معذور ثم ان الخليفة التفت الى جعفر وقال له احضر لي هذا العبد الخبيث الذي كان سببا في هذه القضية وان لم تحضره فانت تقتل عوضا عنه فنزل يبكي و يقول من أين أحضره ولا كل مرة تسلم الجرة وليس لي في هذا الامر حيلة والذي سلمني في الاول يسلمني في الثاني والله ما بقيت أخرج من بيتي ثلاثة أيام والحق سبحانه يفعل ما يشاء ثم أقام في بيته ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أحضر القاضي وأوصى وودع أولاده وبكى واذا برسول الخليفة أتى اليه وقال له ان أمير المؤمنين في أشد ما يكون من الغضب وأرسلني اليك وحلف أنه لا يمر هذا النهار الا وأنت مقتول ان لم تحضر له العبد فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى و بكت أولاده فلما فرغ من التوديع تقدم الى بنته الصغيرة ليودعها وكان يحبها أكثر من أولاده جميعا فضمها الى صدره

وبكى على فراقها فوجد في جيبها شيأ مكبباً فقال لها ما الذي في جيبك فقالت له يا أبت تفاحة جاء بها عبدنا ريحان ولطامعي أربعة أيام وما أعطاها لي حتى أخذ مني دينارين فلما سمع جعفر بذلك العبد والتفاحة فرح وقال يا قريب الفرج ثم انه أمر باحضار العبد فحضر فقال له من أين هذه التفاحة فقال يا سيدي من مدة خمسة أيام كنت ماشياً فدخلت في بعض أزقة المدينة فنظرت صغاراً يلعبون ومع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه وضربته فبكى وقال هذه لامي وهي مريضة واشتهت على أبي تفاحاً فسافر الى البصرة وجاء لها بثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فأخذت هذه ألعب بها ثم بكى فلم ألتفت اليه وأخذتها وجئت بها هنا فأخذتها سيدتي الصغيرة بدينارين فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لكون الفتنة وقتل الصبية من عبده وأمر بسجن العبد وفرح بخلاص نفسه ثم أنشد هذين البيتين

ومن كانت رزيته بعبد * فالنفس نجعله فداها
فانك واجد خدما كثيرا * ونفسك لم تجد نفساً سواها

ثم انه قبض على العبد وطلع به الى الخليفة فأمر أن تؤرخ هذه الحكاية وتجعل سيراً بين الناس فقال له جعفر لا تعجب يا أمير المؤمنين من هذه القصة فما هي بأعجب من حديث الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه فقال الخليفة وأي حكاية أعجب من هذه الحكاية فقال جعفر يا أمير المؤمنين لا أحدثك الا بشرط أن تعتق عبدي من القتل فقال قد وهبت لك دمه

(حكاية الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه)

فقال جعفر اعلم يا أمير المؤمنين انه كان في مصر سلطان صاحب عدل واحسان وله وزير عاقل خبير له علم بالامور والتدبير وكان شيخاً كبيراً وله ولدان كأنهما قمران وكان اسم الكبير شمس الدين واسم الصغير نور الدين وكان الصغير أميز من الكبير في الحسن والجمال وليس في زمانه أحسن منه حتى انه شاع ذكره في البلاد فكان بعض أهلها يسافر من بلاده الى بلده لاجل رؤية جماله فاتفق ان والدهما مات فحزن عليه السلطان وأقبل على الولدين وقربهما وخلع عليهما وقال لهما أنتما في مرتبة أبيكما ففرحا وقبلا الارض بين يديه وعملا العزاء لابيهما شهراً كاملاً ودخلا في الوزارة وكل منهما يتولاها جمعة واذا أراد السلطان السفر يسافر مع واحد منهما فاتفق في ليلة من الليالي ان السلطان كان عازماً على السفر في الصباح وكانت النوبة للكبير فبينما الاخوان يتحدثان في تلك الليلة اذ قال الكبير يا أخي قصدي أن أتزوج أنا وأنت في ليلة واحدة فقال الصغير افعل يا أخي ما تريد فاني موافقك على ما تقول واتفقا على ذلك ثم ان الكبير قال لاخيه

لاخيه ان قدر الله وخطبنا بنتين ودخلنا في ليلة واحدة ووضعتا في يوم واحد وأراد الله وجاءت زوجتك بغلام وجاءت زوجتي ببنت نزوجهما لبعضهما لانهما أولاد عم فقال نور الدين يا أخي ما تأخذ من ولدي في مهر بنتك قال آخذ من ولدك في مهر بنتي ثلاثة آلاف دينار وثلاثة بساتين وثلاث ضياع فان عقد الشاب عقده بغير هذا لا يصح فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال ما هذا المهر الذي شرطته على ولدي أما تعلم اننا اخوان ونحن الاثنان وزيران في مقام واحد وكان الواجب عليك ان تقدم ابنتك لولدي هدية من غير مهر فانك تعلم ان الذكر أفضل من الانثى وولدي ذكر ويذكر به بخلاف ابنتك فقال وما لها قال لانذكر بها بين الامراء ولكن أنت تريد أن تفعل معي على رأي الذي قال ان أردت أن تطرده فاجعل الثمن غاليا وقيل ان بعض الناس قدم على بعض أصحابه فقصده في حاجة فغلى عليه الثمن فقال له شمس الدين أراك قد قصرت لانك تعمل ابنك أفضل من بنتي ولا شك انك ناقص عقل وليس لك أخلاق حيث تذكر شركة الوزارة وأنا ما أدخلتك معي في الوزارة الا شفقة عليك ولأجل ان تساعدني وتكون لي معينا ولكن قل ما شئت وحيث صدر منك هذا القول والله لا أزوج بنتي لولدك ولو وزنت ثقلها ذهبا فلما سمع نور الدين كلام أخيه اغتاظ وقال وأنا لا أزوج ابني ابنتك فقال شمس الدين أنا لا أرضاه لها بعلا ولولا انني أريد السفر لكنت عملت معك العبر ولكن لما أرجع من السفر يفعل الله ما يريد فلما سمع نور الدين من أخيه ذلك الكلام امتلأ غيظا وغاب عن الدنيا وكتم ما به وبات كل واحد في ناحية فلما أصبح الصباح برز السلطان للسفر وعدى الى الجزيرة وقصد الاهرام وصحبته الوزير شمس الدين وأما أخوه نور الدين فبات في تلك الليلة في أشد ما يكون من الغيظ فلما أصبح الصباح قام وصلى الصبح وعمد الى خزانته وأخذ منها خرجا صغيرا وملأه ذهبا وتذكر قول أخيه واحتقاره اياه وافتخاره عليه فأنشد هذه الابيات

سافر تجد عوضا عمن تفارقه * وانصب فان لذيذ العيش في النصب
ما في المقام لذي لب وذي أدب * معزة فاترك الاوطان واغترب
اني رأيت وقوف الماء يفسده * فان جرى طاب أولم يجر لم يطب
والبدر لولا أفول منه ما نظرت * اليه في كل حين عين مرتقب
والاسد لولا فراق الغاب ما قنصت * والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والتبر كالترب ملقى في أماكنه * والعود في أرضه نوع من الحطب
فان تغرب هذا عز مطلبه * وان أقام فلا يعلو الى رتب

فلما فرغ من شعره أمر بعض غلمانه ان يشد له بغلة زرزورية عالية سريعة المشي فشدها ووضع

عليها سرجاً مذهباً بركابات هندية وعباآت من القطيفة الاصبهانية فصارت كأنها عروس مجلية وأمر أن يجعل عليها بساط حرير وسجادة وان يضع الخرج من تحت السجادة ثم قال للغلام والعبيد قصدي أن أتفرج خارج المدينة وأروح نواحي القليوبية وأبيت ثلاث ليال فلا يتبعني منكم أحد فان عندي ضيق صدر ثم أسرع وركب البغلة وأخذ معه شيئاً قليلا من الزاد وخرج من مصر واستقبل البر فما جاء عليه الظهر حتى دخل مدينة بلبيس فنزل عن بغلته واستراح وأراح البغلة وأكل شيئاً وأخذ من بلبيس ما يحتاج اليه وما يعلق به على بغلته ثم استقبل البر فما جاء عليه الظهر بعد يومين حتى دخل مدينة القدس فنزل عن بغلته واستراح وأراح بغلته وأخرج شيئاً أكله ثم حط الخرج تحت رأسه وفرش البساط ونام في مكان والغيظ غالب عليه ثم انه بات في ذلك المكان فلما أصبح الصباح ركب وصار يسوق البغلة الى أن وصل الى مدينة حلب فنزل في بعض الخانات وأقام ثلاثة أيام حتى استراح وأراح البغلة وشم الهواء ثم عزم على السفر وركب بغلته وخرج مسافراً ولا يدري أين يذهب فلم يزل سائراً الى أن وصل الى مدينة البصرة ليلا ولم يشعر بذلك حتى نزل في الخان ونزل الخرج عن البغلة وفرش السجادة وأودع البغلة بعدتها عند البواب وأمره أن يسيرها فأخذها وسيرها فاتفق ان وزير البصرة جالس في شباك قصره فنظر البغلة ونظر ما عليها من العدة المثمنة فظنها بغلة وزير من الوزراء أو ملك من الملوك فتأمل في ذلك وحار عقله وقال لبعض غلمانه ائتني بهذا البواب فذهب الغلام الى البواب وأتى به الى الوزير فتقدم البواب وقبل الارض بين يديه وكان الوزير شيخاً كبيراً فقال للبواب من صاحب هذه البغلة وما صفاته فقال البواب يا سيدي ان صاحب هذه البغلة شاب صغير ظريف الشمائل من أولاد التجار عليه هيبة ووقار فلما سمع الوزير كلام البواب قام على قدميه وركب وسار الى الخان ودخل على الشاب فلما رأى نور الدين الوزير قادما عليه قام على قدميه ولاقاه واحتضنه ونزل الوزير من فوق جواده وسلم عليه فرحب به وأجلسه عنده وقال له يا ولدي من أين أقبلت وماذا تريد فقال نور الدين يا مولاي اني قدمت من مدينة مصر وكان أبي وزيراً فيها وقد انتقل الى رحمة الله وأخبره بما جرى من المبتدا الى المنتهى ثم قال وقد عزمت في نفسي اني لا أعود أبداً حتى أنظر جميع المدن والبلدان فلما سمع الوزير كلامه قال له يا ولدي لا تطاوع النفس فترميك في الهلاك فان البلاد خراب وأنا أخاف عليك من عواقب الزمان ثم انه أمر بوضع الخرج على البغلة والبساط والسجادة وأخذ نور الدين معه الى بيته وأنزله في مكان ظريف وأكرمه وأحسن اليه وحبه حباً شديداً وقال له يا ولدي أنا بقيت رجلا كبيراً ولم يكن لي ولد ذكر وقد رزقني الله بنتاً تقاربك في الحسن ومنعت عنها خطاباً كثيرة وقد وقع حبك في

قلبي

قلبي فهل لك ان تأخذ ابنتي جارية لخدمتك وتكون لها بعلا فان كنت تقبل ذلك اطلع الى سلطان البصرة وأقول له انه ولد أخي وأوصلك اليه حتى أجعلك وزيرا مكاني وألزم أنا بيتي فاني بقيت رجلا كبيرا فلما سمع نور الدين كلام وزير البصرة أطرق برأسه ثم قال سمعا وطاعة ففرح الوزير بذلك وأمر غلمانه ان يصنعوا له طعاما وان يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة المعدة لحضور أكابر الامراء ثم جمع أصحابه ودعا أكابر الدولة وتجار البصرة فحضروا بين يديه وقال لهم انه كان لي أخ وزير بالديار المصرية ورزقه الله ولدين وأنا كما تعلمون رزقني الله بنتا وكان أخي أوصاني أن أزوج بنتي لاحد أولاده فأجبته الى ذلك فلما استحقت الزواج أرسل الى أحد أولاده وهو هذا الشاب الحاضر فلما جاءني أحببت أن أكتب كتابه على بنتي ويدخل بها عندي فقالوا نعم ما فعلت ثم شربوا السكر ورشوا ماء الورد وانصرفوا وأما الوزير فانه أمر غلمانه أن يأخذوا نور الدين ويدخلوا به الحمام وأعطاه الوزير بدلة من خاص ملبوسه وأرسل اليه الفوط والطاسات ومجامر البخور وما يحتاج اليه فلما خرج من الحمام لبس البدلة فصار كالبدر ليلة تمامه ثم ركب بغلته ولم يزل سائرا حتى وصل الى قصر الوزير فنزل عن البغلة ودخل على الوزير فقبل يده ورحب به الوزير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للعشرين﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير قام له ورحب به وقال له قم ادخل هذه الليلة على زوجتك وفي غد أطلع بك الى السلطان وأرجو لك من الله كل خير فقام نور الدين ودخل على زوجته بنت الوزير هذا ما كان من أمر نور الدين وأما ما كان من أخيه فانه غاب مع السلطان مدة في السفر ثم رجع فلم يجد أخاه فسأل عنه الخدام فقالوا له من يوم سافرت مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب وقال أنا متوجه الى جهة القليوبية فأغيب يوما أو يومين فان صدري ضاق ولا يتبعني منكم أحد ومن يوم خروجه الى هذا اليوم لم نسمع له خبرا فتشوش خاطر شمس الدين على فراق أخيه واغتم غما شديدا لفقده وقال في نفسه ما سبب ذلك الا اني أغلظت عليه في الحديث ليلة سفري مع السلطان فلعله تغير خاطره وخرج مسافرا فلا بد أن أرسل خلفه ثم طلع وأعلم السلطان بذلك فكتب بطاقات وأرسل بها الى نوابه في جميع البلاد ونور الدين قطع بلادا بعيدة في مدة غياب أخيه مع السلطان فذهبت الرسل بالمكاتيب ثم عادوا ولم يقفوا له على خبر ويئس شمس الدين من أخيه وقال لقد أغظت أخي بكلامي له من جهة زواج الاولاد فليت ذلك لم يكن وما حصل ذلك الا من قلة عقلي وعدم تدبيري ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر وكتب كتابه عليها ودخل بها وقد اتفق ان ليلة دخول شمس الدين على زوجته كانت

ايلة دخول نور الدين على زوجته بنت وزير البصرة وذلك بارادة الله تعالى حتى ينفذ حكمه فى خلقه وكان الامر كما قالاه فاتفق ان الزوجتين حملتا منهما وقد وضعت زوجة شمس الدين وزير مصر بنتا لا يرى فى مصر أحسن منها ووضعت زوجة نور الدين ولدا ذكرا لا يرى فى زمانه أحسن منه كما قال الشاعر

ومهفهف يغنى النديم بريقه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

﴿وقال آخر﴾

ان جاء الحسن كى يقاس به * ينكس الحسن رأسه خجلا
أوقيل ياحسن هل رأيت كذا * يقول أما نظير ذاك فلا

فسموه حسنا وفى سابع ولادته صنعوا الولائم وعملوا أسمطة تصلح لاولاد الملوك ثم ان وزير البصرة أخذ معه نور الدين وطلع به الى السلطان فلما صار قدامه قبل الارض بين يديه وكان نور الدين فصيح اللسان ثابت الجنان صاحب حسن واحسان فانشد قول الشاعر

هذا الذى عم الانام بعدله * وسطا فمهد سائر الآفاق
اشكر صنائعه فلسن صنائعا * لكنهن قلائد الاعناق
والثم أنامله فلسن أناملا * لكنهن مفاتح الارزاق

فأكرمهما السلطان وشكر نور الدين على ما قال وقال لوزيره من هذا الشاب فحكى له الوزير قصته من أولها الى آخرها وقال له هذا ابن أخى فقال له وكيف يكون ابن أخيك ولم نسمع به فقال يامولانا السلطان انه كان لى أخ وزير بالديار المصرية وقد مات وخلف ولدين فالكبير جلس فى مرتبة والده وزيرا وهذا ولده الصغير جاء عندى وحلفت انى لا أزوج بنتى الا له فلما جاء زوجته بها وهو شاب وأنا صرت شيخا كبيرا وقل سمعى وعجز تدبيرى والقصد من مولانا السلطان ان يجعله فى مرتبتى فانه ابن أخى وزوج ابنتى وهو أهل للوزارة لانه صاحب رأى وتدبير فنظر السلطان اليه فأعجبه واستحسن رأى الوزير بما أشار عليه من تقديمه فى رتبة الوزارة فأنعم عليه بها وأمر له بخلعة عظيمة وبغلة من خاص مركوبه وعين له الرواتب والجوامك فقبل نور الدين يد السلطان ونزل هو وصهره الى منزلهما وهما فى غاية الفرح وقالا ان قدوم هذا المولود مبارك ثم ان نور الدين توجه ثانى يوم الى الملك وقبل الارض وأنشد هذين البيتين

سعادات تجدد كل يوم * واقبال وقد رغم الحسود
فلازالت لك الايام بيضا * وأيام الذى عاداك سود

فأمر

فأمره السلطان بالجلوس فى مرتبة الوزارة فجلس وتعاطى أمور خدمته ونظر بين الناس فى أمورهم ومحا كانهم كما جرت به عادة الوزراء وصار السلطان ينظر اليه ويتعجب من أمره وذكاء عقله وحسن تدبيره وتبصر فى أحواله فحبه وقربه اليه ولما انفض الديوان نزل نور الدين الى بيته وحكى لصهره ماوقع ففرح ولم يزل الوزير يربى المولود المسمى حسنا الى أن مضت عليه أيام ولم يزل نور الدين فى الوزارة حتى انه لايفارق السلطان فى ليل ولا فى نهار وزاد له الجوامك والجرايات الى أن اتسع عليه الحال وصار له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر وغيرها وعمر أملاكا كثيرة ودواليب و بساتين الى أن بلغ عمر ولده حسن أربع سنين فتوفى الوزير الكبير والد زوجة نور الدين فأخرجه خرجة عظيمة وواراه فى التراب ثم اشتغل بعد ذلك بتربية ولده فلما بلغ أشده أحضر له فقيها يقرئه فى بيته وأوصاه بتعليمه وحسن تربيته فأقرأه وعلمه فوائد فى العلم بعد أن حفظ القرآن فى مدة سنوات ومازال حسن يزداد جمالا وحسنا واعتدالا كما قال الشاعر

قمر تكامل فى المحاسن وانتهى * فالشمس تشرق من شقائق خده
ملك الجمال بأسره فكأنما * حسن البرية كلها من عنده

وقد رباه الفقيه فى قصر أبيه ومن حين نشأته لم يخرج من قصر الوزارة الى أن أخذه والده الوزير نور الدين يوما من الايام وألبسه بدلة من أفخر ملبوسه وأركبه بغلة من خيار بغاله وطلع به الى السلطان ودخل به عليه فنظر الملك حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين فانبهر من حسنه وأما أهل المملكة فانه لما مر عليهم أول مرة وهو طالع مع أبيه الى الملك قد تحيروا من فرط حسنه وجماله ورشاقة قده واعتداله وتحققوا فيه معنى قول الشاعر

رصد المنجم ليله فبدا له * قد المليح يميس فى برديه
وتأمل الجوزاء اذ نثرت به * حب الجمان يلوح فى عطفيه
وأمده زحل سواد ذوائب * والمسك هادى الخال فى خديه
وغدت من المريخ حمرة خده * والقوس يرمى النبل من جفنيه
وعطارد أعطاه فرط ذكائه * وأبى السها نظر الوشاة اليه
فغدا المنجم حائرا مما رأى * والبدر باس الارض بين يديه

فلما رآه السلطان أحبه وأنعم عليه وقال لابيه ياوزير لابد أنك تحضره معك فى كل يوم فقال سمعا وطاعة ثم عاد الوزير بولده الى منزله ومازال يطلع به الى السلطان فى كل يوم الى أن بلغ الولد من العمر خمسة عشر عاما ثم ضعف والده الوزير نور الدين فأحضره وقال ياولدى اعلم ان الدنيا دار

فناء والآخرة دار بقاء وأريد أن أوصيك وصايا فافهم ما أقول لك وأصغ قلبك اليه وصار يوصيه بحسن عشرة الناس وحسن التدبير ثم ان نور الدين تذكر أخاه وأوطانه وبلاده وبكى على فرقة الاحباب وسحت دموعه وقال ياولدى اسمع قولى فان لى أخا يسمى شمس الدين وهو عمك ولكنه وزير بمصر قد فارقته وخرجت على غير رضاه والقصد أنك تأخذ درجا من الورق وتكتب ما أمليه عليك فأحضر قرطاسا وصار يكتب فيه كل ماقاله أبوه فأملى عليه جميع ماجرى له من أوله الى آخره وكتب له تاريخ زواجه ودخوله على بنت الوزير وتاريخ وصوله الى البصرة واجتماعه بوزيرها وكتب وصية موثقة ثم قال لولده احفظ هذه الوصية فان ورقتها فيها أصلك وحسبك ونسبك فان أصابك شيء من الامور فاقصد مصر واستدل على عمك وسلم عليه وأعلمه انى مت غريبا مشتاقا اليه فأخذ حسن بدر الدين الرقعة وطواها ولف عليها خرقة مشمعة وخاطها بين البطانة والظهارة وصار يبكى على أبيه من أجل فراقه وهو صغير ومازال نور الدين يوصى ولده حسن بدر الدين حتى طلعت روحه فأقام الحزن فى بيته وحزن عليه السلطان وجميع الامراء ودفنوه ولم يزالوا فى حزن مدة شهرين وولده لم يركب ولم يطلع الديوان ولم يقابل السلطان وأقام مكانه بعض الحجاب وولى السلطان وزيرا جديدا مكانه وأمره أن يختم على أماكن نور الدين وعلى ماله وعلى عماراته وعلى أملاكه فنزل الوزير الجديد وأخذ الحجاب وتوجهوا الى بيت الوزير نور الدين يختمون عليه ويقبضون على ولده حسن بدر الدين ويطلعون به الى السلطان ليعمل فيه مايقتضى رأيه وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير نور الدين المتوفى فلم يهن عليه ولد سيده فذهب ذلك المملوك الى حسن بدر الدين فوجده منكس الرأس حزين القلب على فراق والده فأعلمه بماجرى فقال له هل فى الامر مهلة حتى أدخل بيتى فآخذ معى شيأ من الدنيا لأستعين به على الغربة فقال له المملوك انج بنفسك فلما سمع كلام المملوك غطى رأسه بذيله وخرج ماشيا الى ان صار خارج المدينة فسمع الناس يقولون ان السلطان أرسل الوزير الجديد الى بيت وزيره المتوفى ليختم على ماله وأماكنه ويقبض على ولده حسن بدر الدين ويطلع به اليه فيقتله وصارت الناس تتأسف على حسنه وجماله فلما سمع كلام الناس خرج الى غير مقصد ولم يعلم أين يذهب فلم يزل سائرا الى أن ساقته المقادير الى تربة والده فدخل المقبرة ومشى بين القبور الى أن جلس عند قبر أبيه وأزال ذيله من فوق رأسه فبينما هو جالس عند تربة أبيه اذ قدم عليه يهودى من البصرة وقال له ياسيدى مالى أراك متغيرا فقال له انى كنت نائما فى هذه الساعة فرأيت أبى يعاتبنى على عدم زيارتى قبره فقمت وأنا مرعوب وخفت ان يفوت النهار ولم أزره فيصعب على الامر فقال له اليهودى ياسيدى ان

اباك

أباك كان أرسل مراكب تجارة وقدم منها البعض ومرادى أن أشترى منك وسق كل مركب قدمت بألف دينار ثم أخرج اليهودى كيساً ممتلئاً من الذهب وعد منه ألف دينار ودفعه الى حسن ابن الوزير ثم قال له اليهودى اكتب لى ورقة واختمها فأخذ حسن ابن الوزير ورقة وكتب فيها كاتب هذه الورقة حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين قد باع لليهودى فلان جميع وسق كل مركب وردت من مراكب أبيه المسافرين بألف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل فأخذ اليهودى الورقة وصار حسن يبكى ويتذكر ما كان فيه من العز والاقبال ثم دخل عليه الليل وأدركه النوم فنام عند قبر أبيه ولم يزل نائماً حتى طلع القمر فتدحرجت رأسه عن القبر ونام على ظهره وصار وجهه يلمع فى القمر وكانت المقابر عامرة بالجن المؤمنين فخرجت جنية فنظرت وجه حسن وهو نائم فلما رأته تعجبت من حسنه وجماله وقالت سبحان الله ما هذا الشاب الا كأنه من الحور العين ثم طارت الى الجو تطوف على عادتها فرأت عفريتاً طائراً فسلمت عليه وسلم عليها فقالت له من أين أقبلت قال من مصر فقالت له هل لك أن تروح معى حتى تنظر الى حسن الشاب النائم فى المقبرة فقال لها نعم فسارا حتى نزلا فى المقبرة فقالت له هل رأيت فى عمرك مثل هذا فنظر العفريت اليه وقال سبحان من لا شبيه له ولكن يا أختى ان أردت حدثتك بما رأيت فقالت له حدثنى فقال لها انى رأيت مثل هذا الشاب فى اقليم مصر وهى بنت الوزير وقد علم بها الملك فخطبها من أبيها الوزير شمس الدين فقال له يا مولانا السلطان اقبل عذرى وارحم عبرتى فانك تعرف أن أخى نور الدين خرج من عندنا ولا نعلم أين هو وكان شريكى فى الوزارة وسبب خروجه انى جلست أتحدث معه فى شأن الزواج فغضب منى وخرج مغضباً وحكى للملك جميع ما جرى بينهما ثم قال للملك فكان ذلك سبباً لغيظه وأنا حالف أن لا أزوج بنتى الا لابن أخى من يوم ولدتها أمها وذلك نحو ثمانية عشر سنة ومن مدة قريبة سمعت أن أخى تزوج بنت وزير البصرة وجاء منها بولد وأنا لا أزوج بنتى الا له كرامة لاخى ثم انى أرخت وقت زواجى وحمل زوجتى وولادة هذه البنت وهى باسم ابن عمها والبنات كثير فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضباً شديداً وقال له كيف يخطب مثلى من مثلك بنتاً فتمنعها منه وتحتج بحجة باردة وحياة رأسى لا أزوجها الا لاقل منى برغم أنفك وكان عند الملك سايس أحدب بحدبة من قدام وحدبة من وراء فأمر السلطان باحضاره وكتب كتابه على بنت الوزير بالقهر وأمر أن يدخل عليها فى هذه الليلة ويعمل له زفافاً وقد تركته وهو بين مماليك السلطان وهم حوله فى أيديهم الشموع موقدة يضحكون عليه ويسخرون به على باب الحمام وأما بنت الوزير فانها جالسة تبكى بين المنقشات والمواشط وهى أشبه الناس بهذا الشاب وقد حجروا على أبيها ومنعوه

ان يحضرها ومارأيت ياأختي أقبح من هذا الاحدب وأما الصبية فهي أحسن من هذا الشاب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والعشرون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الجني لما حكى للجنية حكاية بنت وزير مصر وان الملك كتب كتابها على السايس الاحدب وهي في غاية الحزن وانه لا أحد يشبهها في الجمال الا هذا الشاب قالت له الجنية تكذب فان هذا الشاب أحسن أهل زمانه فرد عليها العفريت وقال والله ياأختي ان الصبية أحسن من هذا ولكن لا يصلح لها الا هو فانهما مثل بعضهما ولعلهما أخوان أو ولدا عم فيا خسارتها مع هذا الاحدب فقالت له ياأخي دعنا ندخل تحته ونحمله ونروح به الى الصبية التي تقول عليها وننظر أيهما أحسن فقال العفريت سمعا وطاعة هذا كلام صواب وليس هناك أحسن من هذا الرأي الذي اخترتيه فأنا أحمله ثم انه حمله وطار به الى الجو وصارت العفريتة في ركابه تحاذيه الى أن نزل به في مدينة مصر وحطه على مصطبة ونبهه فاستيقظ من النوم فلم يجد نفسه على قبر أبيه في أرض البصرة والتفت يمينا وشمالا فلم يجد نفسه الا في مدينة غير مدينة البصرة فأراد أن يصيح فغمزه العفريت وقاد له شمعة وقال له اعلم اني جئت بك وأنا أريد أن أعمل معك شيأ لله فخذ هذه الشمعة وامش بها الى ذلك الحمام واختلط بالناس ولا تزل ماشيا معهم حتى تصل الى قاعة العروسة فاسبق وادخل القاعة ولا تخش أحدا واذا دخلت فقف على يمين العريس الاحدب وكل ماجاءك المواشط والمغنيات والمنقشات فحط يدك في جيبك تجده ممتلئا ذهبا فاكبش وارم لهم ولا تتوهم انك تدخل يدك ولا تجده ممتلئا بالذهب فأعط كل من جاءك بالحفنة ولا تخش من شيء وتوكل على الذي خلقك فما هذا بحولك وقوتك بل بحول الله وقوته فلما سمع حسن بدر الدين من العفريت هذا الكلام قال ياترى أي شيء هذه القضية وما وجه الاحسان ثم مشى وأوقد الشمعة وتوجه الى الحمام فوجد الاحدب راكب الفرس فدخل حسن بدر الدين بين الناس وهو على تلك الحالة مع الصورة الحسنة وكان عليه الطربوش والعمامة والفرجية المنسوجة بالذهب ومازال ماشيا في الزينة وكلما وقفت المغنيات للناس ينقطوهن يضع يده في جيبه فيلقاه ممتلئا بالذهب فيكبش ويرمي في الطار للمغنيات والمواشط فيملأ الطار دنانير فاندهشت عقول المغنيات وتعجب الناس من حسنه وجماله ولم يزل على هذا الحال حتى وصلوا الى بيت الوزير فردت الحجاب الناس ومنعوهم فقالت المغنيات والمواشط والله لا ندخل الا ان دخل هذا الشاب معنا لانه غمرنا باحسانه ولا نجلي العروسة الا وهو حاضر فعند ذلك دخلوا به الى قاعة الفرح وأجلسوه برغم أنف العريس الاحدب واصطفت جميع نساء الامراء والوزراء والحجاب صفين وكل امرأة معها شمعة كبيرة موقدة مضيئة وكلهن ملثمات

ملثمات وصرن صفوفا يمينا وشمالا من تحت المنصة الى صدر الليوان الذى عند المجلس الذى تخرج منه العروسة فلما نظر النساء حسن بدر الدين وما هو فيه من الحسن والجمال ووجهه يضيء كأنه هلال مالت جميع النساء اليه فقالت المغنيات للنساء الحاضرات اعلموا ان هذا المليح ما نقطنا الا بالذهب الاحمر فلا تقصرن فى خدمته وأطعنه فيما يقول فازدحم النساء عليه بالشمع ونظرن الى جماله فانبهرت عقولهن من حسنه وصارت كل واحدة منهن تود ان تكون فى حضنه سنة أو شهرا أو ساعة ورفعن ما كان على وجوههن من النقاب وتحيرت منهن الالباب وقلن هنيئا لمن كان هذا الشاب له أو عليه ثم دعون على ذلك السايس الاحدب ومن كان سببا فى زواجه هذه المليحة وكلما دعون لحسن بدر الدين دعون على ذلك الاحدب ثم ان المغنيات ضربن بالدفوف وأقبلت المواشط وبنت الوزير بينهن وقد طيبنها وعطرنها وألبسنها وحسن شعرها ونحرها بالحلى والحلل من لباس الملوك الاكاسرة ومن جملة ما عليها ثوب منقوش بالذهب الاحمر وفيه صور الوحوش والطيور وهو مسبول عليها من فوق حوائجها وفى عنقها عقد يساوى الالوف قد حوى كل فص من الجوهر ما حاز مثله تبع ولا قيصر وصارت العروسة كأنها البدر اذا أقمر فى ليلة أربعة عشر ولما أقبلت كانت كأنها حورية فسبحان من خلقها بهية وأحدق بها النساء فصارت كالنجوم وهى بينهن كالقمر اذا انجلى عنه الغيم وكان حسن بدر الدين البصرى جالسا والناس ينظرون اليه فخطرت العروسة وأقبلت وتمايلت فقام اليها السايس الاحدب ليقبلها فأعرضت عنه وانقلبت حتى صارت قدام حسن ابن عمها فضحكت الناس فلما رأوها مالت الى نحو حسن بدر الدين وحط يده فى جيبه وكبش الذهب ورمى فى طار المغنيات فرحوا وقالوا كنا نشتهى ان تكون هذه العروسة لك فتبسم هذا كله والسايس الاحدب وحده كأنه قرد وكلما أوقدوا له الشمعة طفئت فبهت وصار قاعدا فى الظلام يمقت فى نفسه وهؤلاء الناس محدقون به وتلك الشموع الموقدة بهجتها من أعجب العجاب يتحير من شعاعها أولوا الالباب وأما العروسة فانها رفعت كفيها الى السماء وقالت اللهم اجعل هذا بعلى وأرحنى من هذا السايس الاحدب وصارت المواشط تجلى العروسة الى آخر السبع خلع على حسن بدر الدين البصرى والسايس الاحدب وحده فلما فرغوا من ذلك أذنوا للناس بالانصراف فخرج جميع من كان فى الفرح من النساء والاولاد ولم يبق الا حسن بدر الدين والسايس الاحدب ثم ان المواشط أدخلن العروسة ليكشفن ما عليها من الحلى والحلل ويهيئنها للعريس فعند ذلك تقدم السايس الاحدب الى حسن بدر الدين وقال يا سيدى آنستنا فى هذه الليلة وغمرتنا باحسانك فلم لا تقوم تروح بيتك بلا مطرود فقال له بسم الله ثم قام وخرج من

الباب فلقيه العفريت فقال له قف يا بدر الدين فاذا خرج الاحدب الى بيت الراحة فادخل أنت واجلس فى المخدع فاذا أقبلت العروسة فقل لها أنا زوجك والملك ما عمل تلك الحيلة الا لانه يخاف عليك من العين وهذا الذى رأيته سايس من سياسنا ثم أقبل عليها واكشف وجهها ولا تخش بأسا من أحد فبينما بدر الدين يتحدث مع العفريت واذا بالسايس دخل بيت الراحة وقعد على الكرسى فطلع له العفريت من الحوض الذى فيه الماء فى صورة فار وقال زيق فقال الاحدب ما جاء بك هنا فكبر الفار وصار كالقط ثم كبر حتى صار كلبا وقال عوه عوه فلما نظر السايس ذلك فزع وقال اخسأ يا مشؤم فكبر الكلب وانتفخ حتى صار جحشا ونهق وصرخ فى وجهه هاق هاق فانزعج السايس وقال الحقونى يا أهل البيت واذا بالجحش قد كبر وصار قدر الجاموسة وسد عليه المكان وتكلم بكلام ابن آدم وقال ويلك يا أحدب يا أنتن السياس فلحق السايس البطن وقعد على الملاقى بأثوابه واشتبكت أسنانه ببعضها فقال له العفريت هل ضاقت عليك الارض فلا تتزوج الا بمعشوقتى فسكت السايس فقال له رد الجواب والا أسكنتك التراب فقال والله ما لى ذنب الا انهم غصبونى وما عرفت ان لها عشاقا من الجواميس ولكن أنا تائب الى الله ثم اليك فقال له العفريت أقسم بالله ان خرجت فى هذا الوقت من هذا الموضع أو تكلمت قبل ان تطلع الشمس لاقتلنك فاذا طلعت الشمس فاخرج الى حال سبيلك ولا تعد الى هذا البيت أبدا ثم ان العفريت قبض على السايس الاحدب وقلب رأسه فى الملاقى وجعلها الى أسفل وجعل رجليه الى فوق وقال له استمر ههنا وأنا أحرسك الى طلوع الشمس هذا ما كان من قصة الاحدب وأما ما كان من قصة حسن بدر الدين البصرى فانه خلى الاحدب والعفريت يتخاصمان ودخل البيت وجلس فى داخل المخدع واذا بالعروسة أقبلت ومعها عجوز فوقفت العجوز فى باب المخدع وقالت يا أبا شهاب قم وخذ عروستك وقد استودعتك الله ثم ولت العجوز ودخلت العروسة فى صدر المخدع وكان اسمها ست الحسن وقلبها مكسور وقالت فى قلبها والله ما أمكنه من نفسى ولو طلعت روحى فلما دخلت الى صدر المخدع نظرت بدر الدين فقالت حبيبى والى هذا الوقت أنت قاعد لقد قلت فى نفسى لعلك أنت والسايس الاحدب مشتركان فى فقال حسن بدر الدين وأى شئ أوصل السايس اليك ومن أين له ان يكون شريكى فيك فقالت ومن زوجى أأنت أم هو قال بدر الدين يا سيدتى نحن ما عملنا هذا الا سخرية به فنضحك عليه فلما نظرت المواشط والمغنيات وأهلك حسنك البديع خافوا علينا من العين فاكتراه أبوك بعشرة دنانير حتى يصرف عنا العين وقد راح فلما سمعت ست الحسن من بدر الدين ذلك الكلام فرحت وتبسمت وضحكت ضحكا لطيفا وقالت والله لقد أطفأت نارى فبالله خذنى عندك وضمنى الى حضنك

حضنك وكانت بلا لباس فكشفت ثوبها الى نحرها فبان قدامها وورا ؤها فلما نظر بدر الدين صفاء جسمها تحركت فيه الشهوة فقام وحل لباسه ثم حل الكيس الذهب الذى كان أخذه من اليهودى ووضع فيه ألف دينار ولفه فى سرواله وحطه تحت ذيل الطراحة وقلع عمامته ووضعها على الكرسى وبقى بالقميص الرفيع وكان القميص مطرزا بالذهب فعند ذلك قامت اليه ست الحسن وجذبته اليها وجذبها بدر الدين اليه وعانقها وأخذ رجليها فى وسطه ثم ركب المدفع وحرره على القلعة وأطلقه فهدم البرج فوجدها درة ماثقبت ومطية لغيره ماركبت فأزال بكارتها وتملى بشبابها ولم يزل يركب المدفع ويرد الى غاية خمس عشرة مرة فعلقت منه فلما فرغ بدر الدين وضع يده تحت رأسها وكذلك الاخرى وضعت يدها تحت رأسه ثم انهما تعانقا وناما متعانقين وشرحا بعناقهما مضمون هذه الابيات

زر من تحب ودع كلام الحاسد * ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضى * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تألفت القلوب مع الهوى * فالناس تضرب فى حديد بارد
واذا صفالك من زمانك واحد * فهو المراد وعش بذاك الواحد

هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين وست الحسن بنت عمه وأما ما كان من أمر العفريت فانه قال للعفريتة قومى وادخلى تحت الشاب ودعينا نوديه مكانه لئلا يدركنا الصبح فان الوقت قريب فعند ذلك تقدمت العفريتة ودخلت تحت ذيله وهو نائم وأخذته وطارت به وهو على حاله بالقميص وهو بلا لباس ومازالت العفريتة طائرة به والعفريت يحاذيها فأذن الله الملائكة ان ترمى العفريت بشهاب من نار فاحترق وسلمت العفريتة فنزلت ببدر الدين فى موضع ما أحرق الشهاب العفريت ولم تتجاوزه به خوفا عليه وكان بالامر المقدر ذلك الموضع فى دمشق الشام فوضعته العفريتة على باب من أبوابها وطارت فلما طلع النهار وفتحت أبواب المدينة خرج الناس فنظروا شابا مليحا بالقميص والطاقية بلا عمامة ولا لباس وهو مما قاسى من السهر غرقان فى النوم فلما رآه الناس قالوا يابخت من كان هذا عنده فى هذه الليلة وياليته صبر حتى لبس حوائجه وقال الآخر مساكين أولاد الناس لعل هذا يكون فى هذه الساعة خرج من المسكرة لبعض شغله فقوى عليه السكر فتاه عن المكان الذى كان قصده حتى وصل الى باب المدينة فوجده مغلقا فنام ههنا وقد خاض الناس فيه بالكلام واذا بالهوى هب على بدر الدين فرفع ذيله من فوق بطنه فبان من تحته بطن وسرة محققة وسيقان وأفخاذ مثل البلور فصار الناس يتعجبون

فانتبه بدر الدين فوجد روحه على باب مدينة وعليها ناس فتعجب وقال أين أنا ياجماعة الخير وما سبب اجتماعكم علىّ وما حكايتي معكم فقالوا نحن رأيناك عند أذان الصبح ملقى على هذا الباب نائما ولا نعلم من أمرك غير هذا فأين كنت نائما هذه الليلة فقال حسن بدر الدين والله ياجماعة انى كنت نائما هذه الليلة فى مصر فقال واحد هل أنت تأكل حشيشا وقال بعضهم أأنت مجنون كيف تكون بائتا فى مصر وتصبح نائما فى مدينة دمشق فقال لهم والله ياجماعة الخير لم أكذب عليكم أبدا وأنا كنت البارحة بالليل فى ديار مصر وقبل البارحة كنت بالبصرة فقال واحد هذا شئ عجيب وقال الآخر هذا الشاب مجنون وصفقوا عليه بالكفوف وتحدث الناس مع بعضهم وقالوا ياخسارة شبابه والله ما فى جنونه خلاف ثم انهم قالوا له ارجع لعقلك فقال حسن بدر الدين كنت البارحة عريسا فى ديار مصر فقالوا لعلك حلمت ورأيت هذا الذى تقول فى المنام فتحير حسن فى نفسه وقال لهم والله ما هذا منام وأين السايس الاحدب الذى كان قاعدا عندنا وأين الكيس الذهب الذى كان معى وأين ثيابى ولباسى ثم قام ودخل المدينة ومشى فى شوارعها وأسواقها فازدحمت عليه الناس وزفوه فدخل دكان طباخ وكان ذلك الطباخ رجلا مسرفا فتاب الله عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ وكان أهل دمشق كلهم يخافون منه بسبب شدة بأسه فلما نظر الناس الى الشاب وقد دخل دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه فلما نظر الطباخ الى حسن بدر الدين وشاهد حسنه وجماله وقعت فى قلبه محبته فقال له من أين أنت يافتى فاحك لى حكايتك فانك صرت عندى أعز من روحى فحكى له ماجرى من المبتدا الى المنتهى فقال له الطباخ ياسيدى بدر الدين اعلم ان هذا أمر عجيب وحديث غريب ولكن ياولدى اكتم مامعك حتى يفرج الله مابك واقعد عندى فى هذا المكان وأنا مالى ولد فأتخذك ولدى فقال له بدر الدين الامر كما تريد ياعم فعند ذلك نزل الطباخ الى السوق واشترى لبدر الدين أقمشة مفتخرة وألبسه اياها وتوجه به الى القاضى وأشهد على نفسه انه ولده وقد اشتهر حسن بدر الدين فى مدينة دمشق انه ولد الطباخ وقعد عنده فى الدكان يقبض الدراهم وقد استقر أمره عند الطباخ على هذه الحالة هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين وأما ما كان من أمر ست الحسن بنت عمه فانه لما طلع الفجر وانتبهت من النوم لم تجد حسن بدر الدين قاعدا عندها فاعتقدت انه دخل المرحاض فجلست تنتظره ساعة واذا بأبيها قد دخل عليها وهو مهموم مما جرى له من السلطان وكيف غصبه وزوج ابنته غصبا لاحد غلمانه الذى هو السايس الاحدب وقال فى نفسه اقتل هذه البنت ان كانت مكنت هذا الخبيث من نفسها فمشى الى ان وصل الى المخدع ووقف على بابه وقال ياست الحسن فقالت له نعم ياسيدى ثم انها خرجت وهى تتمايل من الفرح وقبلت الارض بين يديه

وازداد

وازداد وجهها نوراً وجمالا لعناقها لذلك الغزال فلما نظرها أبوها وهي بتلك الحالة قال لها يا خبيثة هل أنت فرحانة بهذا السايس فلما سمعت ست الحسن كلام والدها تبسمت وقالت بالله يكفي ماجرى منك والناس يضحكون عليّ ويعايرونى بهذا السايس الذى ما يجيء في أصبعي قلامة ظفر ان زوجي والله مابت طول عمري ليلة أحسن من ليلة البارحة التى بتها معه فلا تهزأ بي وتذكر لي ذلك الاحدب فلما سمع والدها كلامها امتزج بالغضب وازرقت عيناه وقال لها ويلك أي شيء هذا الكلام الذى تقولينه ان السايس الاحدب قد بات عندك فقالت بالله عليك لا تذكره لي قبحه الله وقبح أباه فلا تكثر المزاح بذكره فما كان السائس الا مكترى بعشرة دنانير وأخذ أجرته وراح وجئت أنا ودخلت المخدع فنظرت زوجي قاعداً بعد ما جلتني عليه المغنيات ونقط بالذهب الاحمر حتى أغنى الفقراء الحاضرين وقد بت في حضن زوجي الخفيف الروح صاحب العيون السود والحواجب المقرونة فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاماً وقال لها يا فاجرة ما هذا الذى تقولينه أين عقلك فقالت له يا أبت لقد فتت كبدي لأي شيء تتغافل فهذا زوجي الذى أخذ وجهي قد دخل بيت الراحة واني قد علقت منه فقام والدها وهو متعجب ودخل بيت الخلا فوجد السائس الاحدب رأسه مغروزة في الملاقي ورجلاه مرتفعة الى فوق فبهت فيه الوزير وقال أما هذا هو الاحدب فخاطبه فلم يرد عليه وظن الاحدب انه العفريت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والعشرون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان السائس الاحدب لما كلمه الوزير ظن انه العفريت فلم يرد عليه لانه ظن أنه لا يكلمه الا العفريت فصرخ عليه الوزير وقال له تكلم والا أقطع رأسك بهذا السيف فعند ذلك قال الاحدب والله يا شيخ العفاريت من حين جعلتني في هذا الموضع ما رفعت رأسي فبالله عليك ان ترفق بي فلما سمع الوزير كلام الاحدب قال له ما تقول فاني أبو العروسة ما أنا عفريت فقال ليس عمري في يدك ولا تقدر ان تأخذ روحي فرح الى حال سبيلك قبل أن يأتيك الذي فعل بي هذه الفعال فانتم لا تزوجوني الا بمعشوقة الجواميس ومعشوقة العفاريت فلعن الله من زوجني بها ولعن من كان السبب في ذلك ثم ان السائس الاحدب صار يحدث الوزير والد العروسة ويقول لعن الله من كان السبب في ذلك فقال له الوزير قم واخرج من هذا المكان فقال له هل أنا مجنون حتى أروح معك بغير اذن العفريت فانه قال لي اذا طلعت الشمس فاخرج ورح الى حال سبيلك فهل طلعت الشمس أولا فاني لا أقدر أن أطلع من موضعي الا ان طلعت الشمس فعند ذلك قال له الوزير من أتى بك الى هذا المكان فقال اني جئت البارحة الى هنا لاقضي حاجتي وأزيل ضرورتي واذا

بغبار طلع من وسط الماء وصاح وصار يكبر حتى بقي قدر الجاموسة وقال لي كلاما دخل في أذني خلني ورح لعن الله العروسة ومن زوجني بها فتقدم اليه الوزير وأخرجه من المرحاض فخرج وهو يجري وما صدق ان الشمس طلعت وطلع الى السلطان وأخبره بما اتفق له مع العفريت وأما الوزير أبو العروسة فانه دخل البيت وهو حائر العقل في أمر ابنته فقال يا بنتي اكشفي لي عن خبرك فقالت ان الظريف الذي كنت أتجلى عليه بات عندي البارحة وأزال بكارتي وعلقت منه وان كنت لم تصدقني فهذه عمامته بلفتها على الكرسي ولباسه تحت الفراش وفيه شيء ملفوف لم أعرف ما هو فلما سمع والدها هذا الكلام دخل المخدع فوجد عمامة حسن بدر الدين ابن أخيه ففي الحال أخذها في يده وقلبها وقال هذه عمامة وزراء الا انها موصلية ثم نظر الى حرز مخيط في طربوشه فأخذه وفتقه وأخذ اللباس فوجد الكيس الذي فيه ألف دينار ففتحه فوجد فيه ورقة فقرأها فوجد مبايعة اليهودي واسم حسن بدر الدين بن نور الدين المصري ووجد الالف دينار فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخة وخر مغشيا عليه فلما أفاق وعلم مضمون القصة تعجب وقال لا اله الا الله القادر على كل شيء وقال يا بنتي هل تعرفين من الذي أخذ وجهك قالت لا قال انه ابن أخي وهو ابن عمك وهذه الالف دينار مهرك فسبحان الله فليت شعري كيف اتفقت هذه القضية ثم فتح الحرز المخيط فوجد فيه ورقة مكتوبا فيها بخط أخيه نور الدين المصري أبي حسن بدر الدين فلما نظر خط أخيه أنشد هذين البيتين

أرى آثارهم فاذوب شوقا * واسكب في مواطنهم دموعي
واسأل من بفرقتهم رماني * يمن عليّ يوما بالرجوع

فلما فرغ من الشعر قرأ الحرز فوجد فيه تاريخ زواجه ببنت وزير البصرة وتاريخ دخوله بها وتاريخ عمره الى حين وفاته وتاريخ ولادة ولده حسن بدر الدين فتعجب واهتز من الطرب وقابل ما جرى لاخيه على ما جرى له فوجده سواء بسواء وزواجه وزواج الآخر متوافقين تاريخا ودخولهما بزوجتيهما متوافقا وولادة حسن بدر الدين ابن أخيه وولادة بنته ست الحسن متوافقين فأخذ الورقتين وطلع بهما الى السلطان وأعلمه بما جرى من أول الامر الى آخره فتعجب الملك وأمر أن يؤرخ هذا الامر في الحال ثم أقام الوزير ينتظر ابن أخيه فما وقع له على خبر فقال والله لاعملن عملا ما سبقني اليه أحد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير قال والله لاعملن عملا ما سبقني اليه أحد ثم أخذ دواة وقلما وكتب فيه أمتعة البيت وان الخشخانة في

موضع كذا والستارة الفلانية فى موضع كذا وكتب جميع ما فى البيت ثم طوى الكتاب وأمر بخزن جميع الامتعة وأخذ العمامة والطربوش وأخذ معه الفرجية والكيس وحفظها عنده وأما بنت الوزير فانها لما كملت أشهرها ولدت ولدا مثل القمر يشبه والده فى الحسن والكمال والبهاء والجمال فقطعوا سرته وكحلوا مقلته وسلموه الى المرضعات وسموه عجيبا فصار يومه بشهر وشهره بسنة فلما مر عليه سبع سنين أعطاه جده لفقيه ووصاه ان يربيه ويحسن تربيته فأقام فى المكتب أربع سنوات فصار يقاتل أهل المكتب ويسبهم ويقول لهم من فيكم مثلى أنا ابن وزير مصر فقامت الاولاد واجتمعوا يشكون الى العريف مما قاسوه من عجيب فقال لهم العريف أنا أعلمكم شيأ تقولونه له لما يجىء فيتوب عن المجىء للمكتب وذلك انه اذا جاء غدا فاقعدوا حوله وقولوا لبعضكم والله ما يلعب معنا هذه اللعبة الا من يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه ومن لم يعرف اسم أمه واسم أبيه فهو ابن حرام فلا يلعب معنا فلما أصبح الصباح أتوا الى المكتب وحضر عجيب فاحتاطت به الاولاد وقالوا نحن نلعب لعبة ولكن ما يلعب معنا الا من يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه واتفقوا على ذلك فقال واحد منهم اسمى ماجد وأمى علوى وأبى عز الدين وقال الآخر مثل قوله وقال الآخر كذلك الى أن جاء الدور الى عجيب فقال أنا اسمى عجيب وأمى ست الحسن وأبى شمس الدين الوزير بمصر فقالوا له والله ان الوزير ما هو أبوك فقال لهم عجيب الوزير أبى حقيقة فعند ذلك ضحكت عليه الاولاد وصفقوا عليه وقالوا انت ما تعرف لك أبا فقم من عندنا فلا يلعب معنا الا من يعرف اسم أبيه وفى الحال تفرق الاولاد من حوله وتضاحكوا عليه فضاق صدره وانخنق بالبكاء فقال له العريف هل تعتقد ان أباك جدك الوزير أبو أمك ست الحسن ان أباك ما تعرفه أنت ولا نحن لان السلطان كان زوجها للسائس الاحدب وجاءت الجن فناموا عندها فان لم تعرف لك أبا يجعلوك بينهم ولد زنا الا ترى ان ابن البائع يعرف أباه فوزير مصر انما هو جدك وأما أبوك فلا نعرفه نحن ولا أنت فارجع لعقلك فلما سمع ذلك الكلام قام من ساعته ودخل على والدته ست الحسن وصار يشكى لها وهو يبكى ومنعه البكاء من الكلام فلما سمعت أمه كلامه وبكاءه التهب قلبها عليه وقالت له يا ولدى ما الذى أبكاك فاحك لى قصتك فحكى لها ما سمعه من الاولاد ومن العريف وقال لها يا والدتى من هو أبى قالت له أبوك وزير مصر فقال لها ليس هو أبى فلا تكذبى على فان الوزير أبوك انت لا أبى انا فمن هو أبى فان لم تخبرينى بالصحيح قتلت روحى بهذا الخنجر فلما سمعت والدته ذكر أبيه بكت لذكر ولد عمها وتذكرت محاسن حسن بدر الدين البصرى وما جرى لها معه وأنشدت هذه الابيات

أهاجوا الحب فى قلبي وساروا * وقد شطت بهم تلك الديار
وبان العقل مني حيث بانوا * وفارقني هجوع واصطبار
وقد ساروا ففارقني سروري * وقد عدم القرار فلا قرار
وأجروا بالفراق دموع عيني * فأدمعها تجار بها البحار
اذا ما اشتقت يوما ان أراهم * وزاد لهم حنين وانتظار
يمثل شخصهم فى وسط قلبي * غرام واشتياق وادكار
أيا من ذكرهم أضحى دثاري * ومالي غير حبهم شعار
أحبتنا الى كم ذا التمادي * وكم هذا التباعد والنفار

ثم بكت وصرخت وكذلك ولدها واذا بالوزير دخل فلما نظر الى بكائهما احترق قلبه وقال مايبكيكما فأخبرته بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكى الآخر ثم تذكر أخاه وما اتفق له معه وما اتفق لابنته ولم يعلم بما فى باطن الامر ثم قام الوزير فى الحال ومشى حتى طلع الى الديوان ودخل على الملك وأخبره بالقصة وطلب منه الاذن بالسفر الى الشرق ليقصد مدينة البصرة ويسأل عن ابن أخيه وطلب من السلطان أن يكتب له مراسيم لسائر البلاد اذا وجد ابن أخيه فى أي موضع يأخذه ثم بكى بين يدي السلطان فرق له قلبه وكتب له مراسيم لسائر الاقاليم والبلاد ففرح بذلك ودعا للسلطان وودعه ونزل فى الحال وتجهز للسفر وأخذ ما يحتاج اليه وأخذ ابنته وولدها عجيبا وسافر أول يوم وثاني يوم وثالث يوم حتى وصل الى مدينة دمشق فوجدها ذات أشجار وأنهار كما قال فيها الشاعر

من بعد يومي فى دمشق وليلتي * حلف الزمان بمثلها لا يغلط
بتنا وجنح الليل فى غفلاته * ومن الصباح عليه فرع أشمط
والطل فى تلك الغصون كأنه * در يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والغمام ينقط

فنزل الوزير فى ميدان الحصباء ونصب خيامه وقال لغلمانه نأخذ الراحة هنا يومين فدخل الغلمان المدينة لقضاء حوائجهم هذا يبيع وهذا يشتري وهذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بني أمية الذي مافى الدنيا مثله ودخل المدينة عجيب هو وخادمه يتفرجان والخادم يمشي خلف عجيب وفى يده سوط لو ضرب به جملا لسقط ولم يشر فلما نظر أهل دمشق الى عجيب وقده واعتداله وبهائه وكماله بديع الجمال رخيم الدلال ألطف من نسيم الشمال وأحلى للظمآن من الماء الزلال وألذ من العافية لصاحب الاعتلال فلما رآه أهل دمشق تبعوه وصارت الخلق تجري وراءه وتتبعه

وتقعد

وتقعد فى الطريق حتى يجيء عليهم و ينظرونه الى ان وقف العبد بالامر المقدر على دكان أبيه حسن بدر الدين الذى أجلسه فيه الطباخ الذى اعترف عند القضاة والشهود انه ولده فلما وقف عليه العبد فى ذلك اليوم وقف معه الخدام فنظر حسن بدر الدين الى ولده فأعجبه حين وجده فى غاية الحسن فحن اليه فؤاده وتعلق به قلبه وكان قد طبخ حب رمان محلى واشتدت به المحبة الالهية فنادى من الوجد وقال ياسيدى يامن ملك قلبى وفؤادى وحن اليه كبدى هل لك ان تدخل عندى وتجبر قلبى وتأكل من طعامى ثم فاضت عيناه بالدموع من غير اختياره وتذكر ما كان فيه فيما مضى وما هو فيه فى تلك الساعة فلما سمع عجيب كلام أبيه حن اليه قلبه والتفت الى الخادم وقال له ان هذا الطباخ حن قلبى اليه وكأنه قد فارق ولداً له فادخل بنا عنده لنجبر قلبه ونأكل ضيافته لعل الله يجمع شملنا بابينا بجبرنا خاطره فلما سمع الخدام كلام سيده عجيب قال والله ياسيدى لا ينبغى كيف نكون أولاد الوزير ونأكل فى دكان الطباخ ولكن أنا أحجب الناس عنك بهذه العصا خوفا ان ينظروا اليك والا فما يمكنك ان تدخل الدكان أبدا فلما سمع حسن بدر الدين كلام الخادم تعجب والتفت الى الخادم وقد سالت دموعه على خدوده وقال له ان قلبى حبه فقال له الخادم دعنا من هذا الكلام ولا تدخل فعند ذلك التفت أبو عجيب للخادم وقال له يا كبير لاى شيء لا تجبر خاطرى وتدخل عندى يامن كأنه قصطل أسود وقلبه أبيض يامن قال فيه بعض واصفيه كذا وكذا من المدح حتى ضحك الخادم وقال أى شيء تقول فبالله قل وأوجز فأنشد فى الحال هذين البيتين

لولا تأدبه وحسن ثقاته * ما كان فى دار الملوك محكما
وعلى الحريم فياله من خادم * من حسنه خدمته املاك السما

فتعجب الخادم من هذا الكلام وأخذ عجيبا ودخل دكان الطباخ فغرف حسن بدر الدين زبدية من حب الرمان وكانت بلوز وسكر فأكلوا سواء فقال لهم حسن بدر الدين آنستونا كلوا هنيئا مريئا ثم ان عجيبا قال لوالده اقعد كل معنا لعل الله يجمعنا بمن نريد فقال حسن بدر الدين ياولدى هل بليت على صغر سنك بفرقة الاحباب فقال عجيب نعم ياعم احرق قلبى بفراق الاحباب والحبيب الذى فارقنى هو والدى وقد خرجت أنا وجدى نطوف عليه البلاد فواحسرتاه على جمع شملى به وبكى بكاء شديدا وبكى والده لبكائه وتذكر فرقة الاحباب وبعده عن والده ووالدته فحن له الخادم وأكلوا جميعا الى ان اكتفوا ثم بعد ذلك قاما وخرجا من دكان حسن بدر الدين فحس ان روحه فارقت جسده وراحت معهم فما قدر ان يصبر عنهم لحظة واحدة فقفل الدكان وتبعهم وهو لا يعلم انه ولده وأسرع فى مشيه حتى لحقهم قبل ان يخرجوا من الباب الكبير فالتفت

الطواشي وقال له مالك ياطباخ فقال حسن بدر الدين لما نزلتم من عندي كأن روحي خرجت من جسمي ولي حاجة في المدينة خارج الباب فأردت أن أرافقكم حتى أقضي حاجتي وأرجع فغضب الطواشي وقال لعجيب ان هذه أكلة مشؤمة وصارت علينا مكرمة وها هو تابعنا من موضع الى موضع فالتفت عجيب فرأى الطباخ فاغتاظ واحمر وجهه ثم قال للخادم دعه يمشي في طريق المسلمين فاذا خرجنا الى خيامنا وخرج معنا وعرفنا انه يتبعنا نطرده فأطرق رأسه ومشى والخادم وراءه فتبعهم حسن بدر الدين الى ميدان الحصباء وقد قربوا من الخيام فالتفتوا ورأوه خلفهم فغضب عجيب وخاف من الطواشي ان يخبر جده فامتزج بالغضب مخافة ان يقولوا انه دخل دكان الطباخ وان الطباخ تبعه فالتفت حتى صارت عيناه في عين أبيه وقد بقي جسدا بلا روح ورأى عجيب عينه كأنها عين خائن وربما كان ولد زنا فازداد غضبا فأخذ حجرا وضرب به والده فوقع الحجر في جبينه فبطحه فوقع حسن بدر الدين مغشيا عليه وسال الدم على وجهه وسار عجيب هو والخادم الى الخيام وأما حسن بدر الدين فانه لما أفاق مسح دمه وقطع قطعة من عمامته وعصب بها رأسه ولام نفسه وقال أنا ظلمت الصبي حيث غلقت دكاني وتبعته حتى ظن اني خائن ثم رجع الى الدكان واشتغل ببيع طعامه وصار مشتاقا الى والدته التي في البصرة ويبكي عليها وأنشد هذين البيتين

لاتسأل الدهر انصافا فتظلمه * فلست فيه ترى ياصاح انصافا

خذ ماتيسر وازوالهم ناحية * لابد من كدر فيه وان صافى

ثم ان بدر الدين استمر مشتغلا ببيع في طعامه وأما الوزير عمه فانه أقام في دمشق ثلاثة أيام ثم رحل متوجها الى حمص فدخلها ثم رحل عنها وصار يفتش في طريقه أينما حل وجهه في سيره الى أن وصل الى ماردين والموصل وديار بكر ولم يزل سائرا الى مدينة البصرة فدخلها فلما استقر به المنزل دخل الى سلطانها واجتمع به فاحترمه وأكرم منزله وسأله عن سبب مجيئه فأخبره بقصته وان أخاه الوزير علي نور الدين فترحم عليه السلطان وقال له أيها الصاحب انه كان وزيري وكنت أحبه كثيرا وقد مات من مدة خمسة عشر عاما وخلف ولدا وقد فقدناه ولم نطلع له على خبر غير ان أمه عندنا لانها بنت وزيري الكبير فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك ان أم ابن أخيه طيبة فرح وقال ياملك اني أريد أن أجتمع بها فأذن له في الحال ان ينزل عندها في دار أخيه فنزل نور الدين ودخل عندها في دار أخيه وجال بطرفه في نواحيها وقبل أعتابها وتذكر أخاه نور الدين علي وكيف مات غريبا وهو مشتاق اليه فبكى وأنشد

أمر على الديار ديار ليلى * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

ثم دخل من الباب الى فسحة عظيمة فوجد بابا مقوصرا معقودا بالحجر الصوان مجزعا بأنواع الرخام من سائر الالوان فمشى فى نواحى الديار ونظرها وجال بطرفه فيها فوجد اسم أخيه نور الدين مكتوبا بالذهب على جدرانها فأتى الى الاسم وقبله وبكى وأحرقه فراقه فأنشد هذه الابيات

أستخبر الشمس عنكم كلما طلعت * واسأل البرق عنكم كلما لمعا

أبيت والشوق يطوينى وينشرنى * فى راحتيه ولا أشكوله وجعا

أحبابنا ان يكن طال المدى فلكم * قد قطع القلب منى بعدكم قطعا

فلو منتتم على طرفى برؤيتكم * لكان أحسن شئ بيننا وقعا

لا تحسبوا اننى بالغير مشتغل * ان الفؤاد لحب الغير ما وسعا

ثم انه صار يمشى الى أن وصل الى قاعة زوجة أخيه أم حسن بدر الدين البصرى وكانت فى مدة غيبة ولدها قد لزمت البكاء والنحيب بالليل والنهار فلما طالت عليها المدة عملت لولدها قبرا من الرخام فى وسط القاعة وصارت تبكى عليه ليلا ونهارا ولا تنام الا عند ذلك القبر فلما وصل الى مسكنها سمع حسها فوقف خلف الباب فسمعها تنشد على القبر هذين البيتين

بالله يا قبر هل زالت محاسنه * وهل تغير ذاك المنظر النضر

يا قبر لا أنت بستان ولا فلك * فكيف يجمع فيك الغصن والقمر

فبينما هى كذلك واذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم عليها وأعلمها انه أخو زوجها ثم أخبرها بما جرى وكشف لها عن القصة وان ابنها حسن بدر الدين بات عند ابنته ليلة كاملة ثم فقد عند الصباح وقال لها ان ابنتى حملت من ولدك وولدت ولدا وهو معى وانه ولدك وولد ولدك من ابنتى فلما سمعت خبر ولدها وانه حى ورأت أخا زوجها قامت اليه ووقعت على قدميه وقبلتهما وأنشدته هذين البيتين

لله در مبشرى بقدومهم * فلقد أتى بأطايب المسموع

لو كان يقنع بالخليع وهبته * قلبا تقطع ساعة التوديع

ثم ان الوزير أرسل الى عجيب ليحضره فلما حضر قامت له جدته واعتنقته وبكت فقال لها شمس الدين ما هذا وقت بكاء بل هذا وقت تجهيزك للسفر معنا الى ديار مصر عسى الله أن يجمع شملنا وشملك بولدك ابن أخى فقالت سمعا وطاعة ثم قامت من وقتها وجمعت جميع أمتعتها وذخائرها وجواريها وتجهزت فى الحال ثم طلع الوزير شمس الدين الى سلطان البصرة وودعه فبعث معه هدايا وتحفا الى سلطان مصر وسافر من وقته هو وزوجة أخيه ولم يزل سائرا حتى وصل الى

مدينة دمشق فنزل على القانون وضرب الخيام وقال لمن معه اننا نقيم بدمشق جمعة الى ان نشترى للسلطان هدايا وتحفا ثم قال عجيب للطواشي ياغلام انى اشتقت الى الفرجة فقم بنا ننزل الى سوق دمشق ونعتبر أحوالها وننظر ماجرى لذلك الطباخ الذى قد كنا أكلنا طعامه وشججنا رأسه مع انه قد كان أحسن الينا ونحن أسأناه فقال الطواشي سمعا وطاعة ثم ان عجيبا خرج من الخيام هو والطواشي وحركته القرابة الى التوجه لوالده ودخلا مدينة دمشق وما زالا سائرين الى أن وصلا الى دكان الطباخ فوجداه واقفا فى الدكان وكان ذلك قبل العصر وقد وافق الامر انه طبخ حب رمان فلما تقربا منه ونظره عجيب حن اليه قلبه ونظر الى أثر الضربة بالحجر فى جبينه فقال السلام عليك ياهذا اعلم ان خاطرى عندك فلما نظر اليه بدر الدين تعلقت احشاؤه به وخفق فؤاده اليه وأطرق برأسه الى الارض وأراد ان يدير لسانه فى فمه فما قدر على ذلك ثم رفع رأسه الى ولده خاضعا متذللا اليه وأنشد هذه الابيات

تمنيت من أهوى فلما رأيته * ذهلت فلم أملك لسانا ولا طرفا
وأطرقت اجلالا له ومهابة * وحاولت اخفاء الذى بى فلم يخف
وكنت معد العتاب صحائفا * فلما اجتمعنا ماوجدت ولا حرفا

ثم قال لهما اجبرا قلبى وكلا من طعامى فوالله مانظرت اليك أيها الغلام الا حن قلبى اليك وما كنت اتبعتك الا وأنا بغير عقل فقال عجيب والله انك محب لنا ونحن أكلنا عندك لقمة فلازمتنا عقبها وأردت أن تهتكنا ونحن لانأكل لك أكلا الا بشرط أن تحلف انك لاتخرج وراءنا ولا تتبعنا والا لانعود اليك من وقتنا هذا فنحن مقيمون فى هذه المدينة جمعة حتى يأخذ جدى هدايا للملك فقال بدر الدين لكم على ذلك فدخل عجيب هو والخادم فى الدكان فقدم لهما زبدية ممتلئة حب رمان فقال عجيب كل معنا لعل الله يفرج عنا ففرح بدر الدين وأكل معهم وهو لم يغض طرفه عن النظر فى وجهه وقد تعلق به قلبه وصارت كل جوارحه معه فقال له عجيب ألم تعلم انى قلت لك انك عاشق ثقيل فحسبك لاتطل النظر الى والى وجهى فلما سمع بدر الدين كلامه أنشد هذه الابيات

لك فى القلوب سريرة لاتظهر * مطوية وحديثها لاينشر
يافاضح القمر المنير بحسنه * وبوجهه افتضح الصباح المسفر
لى فى سناك امارة لاتنقضى * ومعاهد أبدا تزيد وتكثر
فأذوب من حرقى ووجهك جنتى * وأموت من ظمئى وريقك كوثر

فصار بدر الدين يلقم عجيبا ساعة ويلقم الطواشي ساعة وكب على أيديهما الماء حتى غسلا وحل فوطة

فوطة حرير من وسطه فمسح أيديهما بها ورش عليهما ماء الورد من قمقم كان عنده وخرج من الدكان ثم عاد بقلتين من شربات ممزوجة بماء الورد الممسك وقدمهما بين أيديهما وقال تمما احسانكما فأخذ عجيب وشرب وناول الخادم ولم يزالا يشربان حتى امتلأت بطونهما وشبعا شبعا على خلاف عادتهما ثم انصرفا وأسرعا فى مشيهما حتى وصلا الى خيامهما ودخل عجيب على جدته أم والده حسن بدر الدين فقبلته وتذكرت ولدها بدر الدين فتنهدت وبكت ثم انها أنشدت هذين البيتين

لولم أرجى بأن الشمل يجتمع * ما كان لى فى حياتى بعدكم طمع

أقسمت مافى فؤادى غيرحبكم * والله ربى على الأسرار مطلع

ثم قالت لعجيب ياولدى أين كنت قال فى مدينة دمشق فعند ذلك قامت وقدمت له زبدية طعام من حب الرمان وكان قليل الحلاوة وقالت للخادم اقعد مع سيدك فقال الخادم فى نفسه والله مالنا شهية فى الاكل ثم جلس الخادم وأما عجيب فانه لما جلس كان بطنه ممتلئا بما أكل وشرب فأخذ لقمة وغمسها فى حب الرمان وأكلها فوجده قليل الحلاوة لانه كان شبعانا فتضجر وقال أى شئ هذا الطعام الوحش فقالت جدته ياولدى أتعيب طبيخى وانا طبخته ولا أحد يحسن الطبيخ مثلى الا والدك حسن بدر الدين فقال عجيب والله ياسيدتى ان طبيخك هذا غير متقن نحن فى هذه الساعة رأينا فى المدينة طباخا طبخ حب الرمان ولكن رائحته ينفتح لها القلب وأما طعامه فانه يشهى نفس المتخوم ان تأكل وأما طعامك بالنسبة اليه فانه لا يساوى كثيرا ولا قليلا فلما سمعت جدته كلامه اغتاظت غيظا شديدا ونظرت الى الخادم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان جدة عجيب لما سمعت كلامه اغتاظت ونظرت الى الخادم وقالت له ويلك هل أنت أفسدت ولدى لانك دخلت به الى دكاكين الطباخين فخاف الطواشى وأنكر وقال مادخلنا الدكان ولكن جزنا جوازا فقال عجيب والله الا دخلنا وأكلنا وهو أحسن من طعامك فقامت جدته وأخبرت أخا زوجها وأغرته على الخادم فحضر الخادم قدام الوزير فقال له لم دخلت بولدى دكان الطباخ فخاف الخادم وقال مادخلنا فقال عجيب بل دخلنا وأكلنا من حب الرمان حتى شبعنا وأسقانا الطباخ شرابا بثلج وسكر فازداد غضب الوزير على الخادم وسأله فأنكر فقال له الوزير ان كان كلامك صحيحا فاقعد وكل قدامنا فعند ذلك تقدم الخادم وأراد أن يأكل فلم يقدر ورمى اللقمة وقال ياسيدى انى شبعان من البارحة فعرف الوزير انه أكل عند الطباخ فأمر الجوارى ان يطرحنه فطرحنه

ونزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث وقال ياسيدي انى شبعان من البارحة ثم منع عنه الضرب وقال له انطق بالحق فقال اعلم اننا دخلنا دكان الطباخ وهو يطبخ حب الرمان فغرف لنا منه والله ما أكلت عمري مثله ولا أقبح من هذا الذى قدامنا فغضبت أم حسن بدر الدين وقالت لا بد أن تذهب الى هذا الطباخ وتجىء لنا بزبدية حب رمان من الذى عنده وتريه لسيدك حتى يقول أيهما أحسن وأطيب فقال الخادم نعم ففى الحال أعطته زبدية ونصف دينار فمضى الخادم حتى وصل الى الدكان وقال للطباخ نحن تراهنا على طعامك فى بيت سيدنا لان هناك حب رمان طبخه أهل البيت فهات لنا بهذا النصف دينار وأدر بالك فى طهيه وأتقنه فقد أكلنا الضرب الموجع على طبيخك فضحك حسن بدر الدين وقال والله ان هذا الطعام لا يحسنه أحد الا انا ووالدتي وهي الآن فى بلاد بعيدة ثم انه غرف الزبدية وأخذها وختمها بالمسك وماء الورد فأخذها الخادم وأسرع بها حتى وصل اليهم فأخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها وجودته فعرفت طباخها فصرخت ثم وقعت مغشيا عليها فبهت الوزير من ذلك ثم رشوا عليها ماء الورد وبعد ساعة أفاقت وقالت ان كان ولدي فى الدنيا فما طبخ حب الرمان هذا الاهو وهو ولدي حسن بدر الدين لا شك فيه ولا محالة لان هذا طعامه وما أحد يطبخه غيره الا انا لانى علمته طبيخه فلما سمع الوزير كلامها فرح فرحا شديدا وقال واشوقاه الى رؤية ابن أخي أترى تجمع الايام شملنا به وما اطلب الاجتماع به الا من الله تعالى ثم ان الوزير قام من وقته وساعته وصاح على الرجال الذين معه وقال يمضي منكم عشرون رجلا الى دكان الطباخ ويهدمونها ويكتفونه بعمامته ويجرونه غصبا الى مكانى من غير ايذاء يحصل له فقالوا نعم ثم ان الوزير ركب من وقته وساعته الى دار السعادة واجتمع بنائب دمشق وأطلعه على الكتب التى معه من السلطان فوضعها على رأسه بعد تقبيلها وقال من هو غريمك قال رجل طباخ ففى الحال أمر حجابه ان يذهبوا الى دكانه فذهبوا فرأوها مهدومة وكل شيء فيها مكسور لانه لما توجه الى دار السعادة فعلت جماعته ما أمرهم به وصاروا منتظرين مجيء الوزير من دار السعادة وحسن بدر الدين يقول فى نفسه يا ترى أى شيء رأوا فى حب الرمان حتى صار لى هذا الامر فلما حضر الوزير من عند نائب دمشق وقد أذن له فى أخذ غريمه وسفره به فلما دخل الخيام طلب الطباخ فأحضروه مكتفا بعمامته فلما نظر حسن بدر الدين الى عمه بكى بكاء شديدا وقال يامولاى ما ذنبي عندكم فقال له أنت الذى طبخت حب الرمان قال نعم فهل وجدتم فيه شيئا يوجب ضرب الرقبة فقال له الوزير هذا أقل جزائك فقال له ياسيدى اما توقفني على ذنبي فقال له الوزير نعم فى هذه الساعة ثم ان الوزير صرخ على الغلمان وقال هاتوا الجمال وأخذوا حسن بدر الدين معهم وأدخلوه فى صندوق وقفلوا

عليه وساروا ولم يزالوا سائرين الى ان أقبل الليل فحطوا وأكلوا شيأ من الطعام وأخرجوا حسن بدر الدين فأطعموه وأعادوه الى الصندوق ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى مكان فأخرجوا حسن بدر الدين من الصندوق وقال له هل أنت الذى طبخت حب الرمان قال نعم ياسيدى فقال الوزير قيدوه فقيدوه وأعادوه الى الصندوق وساروا الى ان وصلوا الى مصر وقد نزلوا فى الزيدانية فأمر باخراج حسن بدر الدين من الصندوق وأمر باحضار نجار وقال اصنع لهذا لعبة خشب فقال حسن بدر الدين وماتصنع بها فقال أصلبك وأسمرك فيها ثم أدور بك المدينة كلها فقال على أى شئ تفعل بى ذلك فقال الوزير على عدم اتقان طبيخك حب الرمان كيف طبخته وهو ناقص فلفلا فقال له وهل لكونه ناقصا فلفلا تصنع معى هذا كله اما كفاك حبسى وكل يوم تطعمونى أكلة واحدة فقال له الوزير من أجل كونه ناقص فلفل ماجزاؤك الا القتل فتعجب حسن بدر الدين وحزن على روحه وصار يتفكر فى نفسه فقال له الوزير فى أى شئ تتفكر فقال له فى العقول السخيفة التى مثل عقلك فانه لو كان عندك عقل ما كنت فعلت معى هذه الفعال لاجل نقص الفلفل فقال له الوزير يجب علينا ان نؤذيك حتى لاتعود لمثله فقال حسن بدر الدين ان الذى فعلته معى أقل شئ فيه أذيتى فقال له لابد من صلبك وكل هذا والنجار يصلح الخشب وهو ينظر اليه ولم يزالوا كذلك الى ان أقبل الليل فأخذه عمه ووضعه فى الصندوق وقال فى غد يكون صلبك ثم صبر عليه حتى عرف أنه نام فقام وركب وأخذ الصندوق قدامه ودخل المدينة وسار الى ان دخل بيته ثم قال لابنته ست الحسن الحمد لله الذى جمع شملك بابن عمك قومى وافرشى البيت مثل فرشه ليلة الجلاء فأمرت الجوارى بذلك فقمن وأوقدن الشمع وقد أخرج الوزير الورقة التى كتب فيها أمتعة البيت ثم قرأها وأمر أن يضعوا كل شئ فى مكانه حتى ان الرائى اذا رأى ذلك لايشك فى أنها ليلة الجلاء بعينها ثم ان الوزير أمر أن تحط عمامة بدر الدين فى مكانها الذى حطها فيه بيده وكذلك السروال والكيس الذى تحت الطراحة ثم ان الوزير أمر ابنته ان تتحف نفسها كما كانت ليلة الجلاء وتدخل المخدع وقال لها اذا دخل عليك ابن عمك فقولى له قد أبطأت على فى دخولك بيت الخلاء ودعيه يبيت عندك وتحدثى معه الى النهار وكتب هذا التاريخ ثم ان الوزير أخرج بدر الدين من الصندوق بعد أن فك القيد من رجليه وقلع ماعليه من الثياب وصار بقميص النوم وهو رفيع من غير سروال كل هذا وهو نائم لايعلم بذلك ثم انتبه بدر الدين من النوم فوجد نفسه فى دهليز نير فقال فى نفسه هل أنا فى أضغاث الاحلام أو فى اليقظة ثم قام بدر الدين فمشى قليلا الى باب ثان ونظر واذا هو فى البيت الذى انجلت فيه العروسة ورأى المخدع والسرير ورأى عمامته وحوائجه فلما نظر ذلك بهت وصار يقدم رجلا ويؤخر رجلا وقال فى نفسه هل هذا فى المنام أو فى اليقظة وصار يمسح جبينه و يقول وهو متعجب

والله ان هذا مكان العروسة التي انجلت فيه على فاني أنا قد كنت في صندوق فبينما هو يخاطب نفسه واذا بست الحسن رفعت طرف الناموسية وقالت له ياسيدي أما تدخل فانك أبطأت عني في بيت الخلاء فلما سمع كلامها ونظر الى وجهها ضحك وقال ان هذا أضغاث أحلام ثم دخل وتنهد وتفكر فيما جرى له وتحير في أمره واشكلت عليه قضيته ولما رأى عمامته وسرواله والكيس الذي فيه الالف دينار فقال الله أعلم انى في أضغاث أحلام وصار من فرط التعجب متحيرا فعند ذلك قالت له ست الحسن مالي أراك متعجبا متحيرا ما كنت هكذا في أول الليل فضحك وقال كم عام لي غائب عنك فقالت له سلامتك اسم الله حواليك أنت انما خرجت الى الكنيف لتقضي حاجة وترجع فأي شيء جرى في عقلك فلما سمع بدر الدين ذلك ضحك وقال لها صدقت ولكنني لما خرجت من عندك غلبني النوم في بيت الراحة فحلمت انى كنت طباخا في دمشق وأقمت بها عشر سنين وكأنه جاني صغير من أولاد الاكابر ومعه خادم وحصل من أمره كذا وكذا ثم ان حسن بدر الدين مسح بيده على جبينه فرأى أثر الضرب عليه فقال والله ياسيدتي كأنه حق لانه ضربني على جبيني فشجه فكأنه في اليقظة ثم قال لعل هذا المنام حصل حين تعانقت انا وأنت ونمنا فرأيت في المنام كأني سافرت الى دمشق بلا طربوش ولا عمامة ولا سروال وعملت طباخا ثم بهت ساعة وقال والله كأني رأيت انى طبخت حب رمان وفلفله قليل والله ما كاني الانمت في بيت الراحة فرأيت هذا كله في المنام فقالت له ست الحسن بالله عليك أي شيء رأيته زيادة على ذلك فحكى لها جميع ما رآه ثم قال والله لولا اني انتبهت لكانوا صلبوني على لعبة خشب فقالت له على أي شيء فقال على قلة الفلفل في حب الرمان ورأيت كأنهم أخربوا دكاني وكسروا مواعيني وحطوني في صندوق وجاؤا بالنجار ليصنع لي لعبة من خشب لانهم أرادوا صلبي عليها فالحمد لله الذي جعل لي ذلك كله في المنام ولم يجعله في اليقظة فضحكت ست الحسن وضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم تذكر وقال والله ما كانه الا في اليقظة فانا ما عرفت أي شيء الخبر ولا حقيقة الحال ثم انه نام وهو متحير في أمره فتارة يقول رأيته في المنام وتارة يقول رأيته في اليقظة ولم يزل كذلك الى الصباح ثم دخل عليه عمه الوزير شمس الدين فسلم عليه فنظر له حسن بدر الدين وقال بالله عليك اما انت الذي أمرت بتكتيفي وتسمير دكاني من شأن حب الرمان لكونه قليل الفلفل فعند ذلك قال له الوزير اعلم ياولدي انه ظهر الحق وبان ما كان مختفيا انت ابن أخي وما فعلت ذلك حتى تحققت انك الذي دخلت على بنتي تلك الليلة وما تحققت ذلك حتى رأيتك عرفت البيت وعرفت عمامتك وسروالك وذهبك والورقتين التي كتبتهما بخطك والتي كتبها والدك أخي فاني ما رأيتك قبل ذلك وما كنت أعرفك وأما أمك فاني

جئت بها معي من البصرة ثم رمى نفسه عليه وبكى فلما سمع حسن بدر الدين كلام عمه تعجب غاية العجب وعانق عمه وبكى من شدة الفرح ثم قال له الوزير ياولدي ان سبب ذلك كله ماجرى بيني وبين والدك وحكى له جميع ماجرى بينه وبين أخيه وأخبره بسبب سفر والده الى البصرة ثم ان الوزير أرسل الى عجيب فلما رآه والده قال هذا هو الذي ضربني بالحجر فقال الوزير هذا ولدك فعند ذلك رمى نفسه عليه وأنشد هذه الابيات

ولقد بكيت على تفرق شملنا * زمنا وفاض الدمع من أجفاني
ونذرت ان جمع المهيمن شملنا * ماعدت أذكر فرقة بلساني
هجم السرور علي حتى انه * من فرط ماقد سرني أبكاني

فلما فرغ من شعره التفتت اليه والدته وألقت روحها عليه وأنشدت هذين البيتين

الدهر أقسم لايزال مكدري * حنثت يمينك يازمان فكفري
السعد وافى والحبيب مساعدي * فانهض الى داعي السرور وشمري

ثم ان والدته حكت له جميع ماوقع لها بعده وحكى لها جميع ماقاساه فشكروا الله على جمع شملهم ببعضهم ثم ان الوزير طلع الى السلطان وأخبره بما جرى له فتعجب وأمر أن يؤرخ ذلك في السجلات ليكون حكاية على ممر الاوقات ثم ان الوزير أقام مع ابن أخيه وبنته وابنها وزوجة أخيه في ألذ عيش الى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وهذا يا أمير المؤمنين ماجرى للوزير شمس الدين وأخيه نور الدين فقال الخليفة هرون الرشيد والله ان هذا الشيء عجاب ووهب للشاب سرية من عنده ورتب له مايعيش به وصار من ندمائه ثم ان البنت قالت وماهذا بأعجب من حكاية الخياط والاحدب واليهودي والمباشر والنصراني فيما وقع لهم قال الملك وما حكايتهم

(حكاية الخياط والاحدب واليهودي والمباشر والنصراني فيما وقع بينهم)

قالت بلغني أيها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف الدهر والاوان في مدينة الصين رجل خياط مبسوط الرزق يحب اللهو والطرب وكان يخرج هو وزوجته في بعض الاحيان يتفرجان على غرائب المنتزهات فخرجا يوما من أول النهار ورجعا آخره الى منزلهما عند المساء فوجدا في طريقهما رجلا أحدب رؤيته تضحك الغضبان وتزيل الهم والاحزان فعند ذلك تقدم الخياط هو وزوجته يتفرجان عليه ثم انهما عزما عليه ان يروح معهما الى بيتهما لينادمهما تلك الليلة فأجابهما الى ذلك ومشى معهما الى البيت فخرج الخياط الى السوق وكان الليل قد أقبل فاشترى سمكا مقليا وخبزا وليمونا وحلاوة يتحلون بها ثم رجع وحط السمك قدام

الاحدب وجلسوا يأكلون فاخذت امرأة الخياط جزلة سمك كبيرة ولقمتها للاحدب وسدت فمه بكفها وقالت والله ما تأكلها الا دفعة واحدة في نفس واحد ولا أمهلك حتى تمضغها فابتلعها وكان فيها شوكة قوية فتصلبت في حلقه لاجل انقضاء أجله فمات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان امرأة الخياط لما لقمت الاحدب الجزلة السمك مات لانقضاء أجله في وقته فقال الخياط لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذا المسكين ما كان موته الا هكذا على أيدينا فقالت المرأة وما هذا التواني اما سمعت قول الشاعر

مالي أعلل نفسي بالمحال على ✽ أمر يكون به همّ واحزان
ماذا القعود على نار وما خمدت ✽ انّ القعود على النيران خسران

فقال لها زوجها وما أفعله قالت له قم واحمله في حضنك وانشر عليه فوطة حرير وأخرج انا قدامك وأنت ورائي في هذه الليلة وقل هذا ولدي وهذه أمه ومرادنا ان نوديه الى الطبيب ليداويه فلما سمع الخياط هذا الكلام قام وحمل الاحدب في حضنه وزوجته تقول يا ولدي سلامتك أين محل وجعك وهذا الجدري كان لك في أيّ مكان فكل من رآهما يقول معهما طفل مصاب بالجدري ولم يزالا سائرين وهما يسألان عن منزل الطبيب حتى دلوهما على بيت طبيب يهودي فقرعا الباب فنزلت لهما جارية سوداء وفتحت الباب ونظرت واذا بانسان حامل صغيرا وأمه معه فقالت الجارية ما خبركم فقالت امرأة الخياط معنا صغير مرادنا أن ينظره الطبيب فخذي الربع دينار وأعطيه لسيدك ودعيه ينزل ليرى ولدي فقد لحقه ضعف فطلعت الجارية ودخلت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت لزوجها دع الاحدب هنا ونفوز بأنفسنا فأوقفه الخياط وأسنده الى الحائط وخرج هو وزوجته وأما الجارية فانها دخلت على اليهودي وقالت له في أسفل البيت ضعيف مع امرأة ورجل وقد أعطياني ربع دينار لك وتصف لهما ما يوافقه فلما رأى اليهودي الربع دينار فرح وقام عاجلا ونزل في الظلام فأوّل ما نزل عثرت رجله في الاحدب وهو ميت فقال يا للعزير يا للمولى والعشر كلمات يا لهرون ويوشع بن نون كاني عثرت في هذا المريض فوقع الى أسفل فمات فكيف أخرج بقتيل من بيتي فحمله وطلع به من حوش البيت الى زوجته وأعلمها بذلك فقالت له وما قعودك ههنا فان قعدت هنا الى طلوع النهار راحت أرواحنا فانا وانت نطلع به الى السطح ونرميه في بيت جارنا المسلم فانه رجل مباشر على مطبخ السلطان وكثيرا ما تأتي القطط في بيته وتأكل مما فيه من الاطعمة والفيران وان استمر فيه ليلة تنزل عليه الكلاب من السطوح

وتاكله

وتأ كله جميعه فطلع اليهودي وزوجته وهما حاملان الاحدب وأنزلاه بيديه ورجليه الى الارض وجعلاه ملاصقا للحائط ثم نزلا وانصرفا ولم يستقر نزول الاحدب الا والمباشر قد جاء الى البيت وفتحه وطلع البيت ومعه شمعة مضيئة فوجد ابن آدم واقفا في الزاوية في جانب المطبخ فقال ذلك المباشر ما هذا والله ان الذي يسرق حوائجنا ما هو الا ابن آدم فيأخذ ما وجد من لحم أو دهن ولو خبأته من القطط والكلاب وان قتلت قطط الحارة وكلابها جميعا لا يفيد لانه ينزل من السطوح ثم أخذ مطرقة عظيمة ووكزه بها فصار عنده ثم ضربه بها على صدره فوقع فوجده ميتا فحزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله وخاف على نفسه وقال لعن الله الدهن واللحم وهذه الليلة كيف فرغت منية ذلك الرجل على يدي ثم نظر اليه فاذا هو أحدب فقال اما يكفي انك أحدب حتى تكون حراميا وتسرق اللحم والدهن يا ستار استرني بسترك الجميل ثم حمله على أكتافه ونزل به من بيته في آخر الليل وما زال سائرا به الى أول السوق فأوقفه بجانب دكان في رأس عطفة وتركه وانصرف واذا بنصراني وهو سمسار السلطان وكان سكران فخرج يريد الحمام فقال له سكره ان المسيح قريب فما زال يمشي ويتمايل حتى قرب من الاحدب وجعل يريق الماء قباله فلاحت منه التفاتة فوجد واحدا واقفا وكان النصراني قد خطفوا عمامته في أول الليل فلما رأى الاحدب واقفا اعتقد انه يريد خطف عمامته فطبق كفه ولكم الاحدب على رقبته فوقع في الارض وصاح النصراني على حارس السوق ثم نزل على الاحدب من شدة سكره ضربا وصار يخنقه خنقا فجاء الحارس فوجد النصراني باركا على المسلم وهو يضربه فقال الحارس قم عنه فقام فتقدم اليه الحارس فوجده ميتا فقال كيف يقتل النصراني مسلما ثم قبض على النصراني وكتفه وجاء به الى بيت الوالي والنصراني يقول في نفسه يا مسيح يا عذراء كيف قتلت هذا وما أسرع ما مات في لكمة قد راحت السكرة وجاءت الفكرة ثم ان الاحدب والنصراني باتا في بيت الوالي وأمر الوالي السياف ان ينادي عليه ونصب للنصراني خشبة وأوقفه تحتها وجاء السياف ورمى في رقبة النصراني الحبل وأراد أن يعلقه واذا بالمباشر قد شق فرأى النصراني وهو واقف تحت المشنقة ففسح الناس وقال للسياف لا تفعل أنا الذي قتلته فقال له الوالي لاي شيء قتلته قال اني دخلت الليلة بيتي فرأيته نزل من السطح وسرق مصالحي فضربته بمطرقة على صدره فمات فحملته وجئت به الى السوق وأوقفته في موضع كذا في عطفة كذا ثم قال المباشر ما كفاني اني قتلت مسلما حتى يقتل بسببي نصراني فلا تشنق غيري فلما سمع الوالي كلام المباشر أطلق النصراني السمسار وقال للسياف اشنق هذا باعترافه فأخذ الحبل من رقبة النصراني ووضعه في رقبة المباشر وأوقفه تحت الخشبة وأراد أن يعلقه واذا باليهودي الطبيب قد شق الناس وصاح

على السياف وقال له لا تفعل فما قتله الا أنا وذلك انه جاءني في بيتي ليتداوى فنزلت اليه فعثرت فيه برجلي فمات فلا تقتل المباشر واقتلني فأمر الوالي بقتل اليهودي الطبيب فأخذ السياف الحبل من رقبة المباشر ووضعه في رقبة اليهودي الطبيب واذا بالخياط جاء وشق الناس وقال للسياف لا تفعل فما قتله الا أنا وذلك اني كنت بالنهار أتفرج وجئت وقت العشاء فلقيت هذا الاحدب سكران ومعه دف وهو يغني بفرحة فوقفت أتفرج عليه وجئت به الى بيتي واشتريت سمكا وقعدنا نأكل فأخذت زوجتي قطعة سمك ولقمة ودستهما في فمه فزور فمات لوقته فأخذته أنا وزوجتي وجئنا به لبيت اليهودي فنزلت الجارية وفتحت لنا الباب فقلت لها قولي لسيدك ان بالباب امرأة ورجلا ومعهما ضعيف تعال انظره وصف له دواء وأعطيتها ربع دينار فطلعت لسيدها وأسندت الاحدب الى جهة السلم ومضيت أنا وزوجتي فنزل اليهودي فعثر فيه فظن انه قتله ثم قال الخياط لليهودي أصحيح هذا قال نعم والتفت الخياط للوالي وقال له أطلق اليهودي واشنقني فلما سمع الوالي كلامه تعجب من أمر الاحدب وقال ان هذا أمر يؤرخ في الكتب ثم قال للسياف أطلق اليهودي واشنق الخياط باعترافه فقدمه السياف وقال هل نقدم هذا ونؤخر هذا ولا نشنق واحدا ثم وضع الحبل في رقبة الخياط فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الاحدب فقيل انه كان مسخرة للسلطان وكان السلطان لا يقدر ان يفارقه فلما سكر الاحدب غاب عنه تلك الليلة وثاني يوم الى نصف النهار فسأل عنه بعض الحاضرين فقالوا له يا مولانا طلع به الوالي وهو ميت وأمر بشنق قاتله فنزل الوالي ليشنق القاتل فحضر له ثان وثالث وكل واحد يقول ما قتله الا أنا وكل واحد يذكر للوالي سبب قتله له فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على الحاجب وقال له انزل الى الوالي وائتني بهم جميعا فنزل الحاجب فوجد السياف كاد أن يقتل الخياط فصرخ عليه الحاجب وقال لا تفعل وأعلم الوالي ان القضية بلغت الملك ثم أخذه وأخذ الاحدب معه محمولا والخياط واليهودي والنصراني والمباشر وطلع بالجميع الى الملك فلما تمثل الوالي بين يديه قبل الارض وحكى له جميع ما جرى من الجميع وليس في الاعادة افادة فلما سمع الملك هذه الحكاية تعجب وأخذه الطرب وأمر أن يكتب ذلك بماء الذهب وقال للحاضرين هل سمعتم مثل قصة هذا الاحدب فعند ذلك تقدم النصراني وقال يا ملك الزمان ان أذنت لي حدثتك بشيء جرى لي وهو أعجب وأغرب وأطرب من قصة الاحدب فقال الملك حدثنا بما عندك فقال النصراني اعلم يا ملك الزمان اني لما دخلت تلك الديار أتيت بمتجر وأوقفني المقدور عندكم وكان مولدي بمصر وأنا من قبطها وتربيت بها وكان والدي سمسارا فلما بلغت مبلغ الرجال توفي والدي فعملت سمسارا مكانه فبينما أنا قاعد يوما من الايام واذا بشاب

احسن

أحسن ما يكون وعليه أفخر ملبوس وهو راكب حمارا فلما رآني سلم علي فقمت اليه تعظيما له فأخرج منديلا وفيه قدر من السمسم وقال كم يساوي الاردب من هذا فقلت له مائة درهم فقال لي خذ التراسين والكيالين واعمد الى خان الجوالي في باب النصر تجدني فيه وتركني ومضى وأعطاني السمسم بمنديله الذي فيه العينة فدرت على المشترين فبلغ ثمن كل أردب مائة وعشرين درهما فأخذت معي أربعة تراسين ومضيت اليه فوجدته في انتظاري فلما رآني قام الى المخزن وفتحه فكيلناه فجاء جميع ما فيه خمسين أردبا فقال الشاب لك في كل أردب عشرة دراهم سمسرة واقبض الثمن واحفظه عندك وقدر الثمن خمسة آلاف لك منها خمسمائة ويبقى لي أربعة آلاف وخمسمائة فاذا فرغ بيع حواصلي جئت اليك وأخذتها فقلت له الامر كما تريد ثم قبلت يديه ومضيت من عنده فحصل لي في ذلك اليوم ألف درهم وغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي أين الدراهم فقلت ها هي حاضرة فقال احفظها حتى أجيء اليك فآخذها فقعدت أنتظره فغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي أين الدراهم فقمت وسلمت عليه وقلت له هل لك ان تأكل عندنا شيأ فأبى وقال لي احفظ الدراهم حتى أمضي وأجيء فآخذها منك ثم ولى فقمت وأحضرت له الدراهم وقعدت أنتظره فغاب عني شهرا ثم جاء وقال بعد هذا اليوم آخذها منك ثم ولى فقمت وأحضرت له الدراهم وقعدت أنتظره فغاب عني شهرا فقلت في نفسي ان هذا الشاب كامل السماحة ثم بعد الشهر جاء وعليه ثياب فاخرة وهو كالقمر ليلة البدر وكأنه قد خرج من الحمام ووجهه كالقمر وهو بخد أحمر وجبين أزهر وشامة كأنها قرص عنبر وفي مثل ذلك قال الشاعر

البدر والشمس في برج قد اجتمعا * في غاية الحسن والاقبال قد طلعا
وزاد حسنهما للناظرين هوى * فياله عند ما داعي السرور دعا
في الحسن والظرف قد زادا وقد كملا * اليهما الروح راحت والفؤاد سعى
تبارك الله مخلوقاته عجب * ماشاء رب العلا في خلقه صنعا

فلما رأيته قبلت يديه ودعوت له وقلت له يا سيدي أما تقبض دراهمك فقال مهلا علي حتى أفرغ من قضاء مصالحي وآخذها منك ثم ولى فقلت في نفسي والله اذا جاء لاضيفنه لكوني انتفعت بدراهمه وحصل لي منها مال كثير فلما كان آخر السنة جاء وعليه بدلة أفخر من الاولى فحلفت عليه أن ينزل عندي ويضيفني فقال لي بشرط ان ما تنفقه من مالي الذي عندك قلت نعم وأجلسته ونزلت فهيأت ما ينبغي من الاطعمة والاشربة وغير ذلك وأحضرته بين يديه وقلت له باسم الله فتقدم الى المائدة ومد يده الشمال وأكل معي فتعجبت منه فلما فرغنا غسل يده وناولته ما يمسحها به وجلسنا للحديث فقلت يا سيدي فرج عني كربة لاي شيء أكلت بيدك الشمال

لعل فى يدك شيأ يؤلمك فلما سمع كلامى أنشد هذين البيتين

خليلى لاتسأل على مابهجنى * من اللوعة الحرّ افتظهر اسقام
وماعن رضى فارقت سلمى معوضا * بديلا ولكن للضرورة أحكام

ثم أخرج يده من كمه واذا هى مقطوعة زند بلا كف فتعجبت من ذلك فقال لى لاتعجب ولاتقل فى خاطرك انى أكلت معك بيدى الشمال عجبا ولكن لقطع يدى اليمين سبب من العجب فقلت له وماسبب ذلك فقال اعلم انى من بغداد ووالدى من أكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون بالديار المصرية فبقى ذلك فى خاطرى حتى مات والدى فأخذت أموالا كثيرة وهيأت متجرا من قماش بغدادى وموصلى ونحو ذلك من البضائع النفيسة وحزمت ذلك وسافرت من بغداد وكتب الله السلامة لى حتى دخلت مدينتكم هذه ثم بكى وأنشد هذه الابيات

قد يسلم الاكمه من حفرة * يسقط فيها الباصر الناظر
و يسلم الجاهل من لفظة * يهلك فيها العالم الماهر
و يعسر المؤمن فى رزقه * و يرزق الكافر والفاجر
ماحيلة الانسان مافعله * هو الذى قدره القادر

فلما فرغ من شعره قال فدخلت مصر ونزلت القماش فى خان سرور وفككت أحمالى وأدخلتها وأعطيت الخادم دراهم ليشترى لنا بها شيأ نأكله ونمت قليلا فلما قمت ذهبت بين القصرين ثم رجعت وبت ليلتى فلما أصبحت فتحت رزمة من القماش وقلت فى نفسى أقوم لاشق فى بعض الاسواق وأنظر الحال فأخذت بعض القماش وحملته لبعض غلمانى وسرت حتى وصلت قيسرية جرجس فاستقبلنى السماسرة وكانوا علموا بمجيئى فأخذوا منى القماش ونادوا عليه فلم يبلغ ثمنه رأس ماله فقال لى شيخ الدلالين ياسيدى أنا أعرف لك شيأ تستفيد به وهو ان تعمل مثل مايعمل التجار فتبيع متجرك الى مدة معلومة بكاتب وشاهد وصيرفى وتأخذ ماتحصل من ذلك فى كل يوم خميس واثنين فتكسب الدراهم كل درهم اثنين وزيادة على ذلك تتفرّج على مصر ونيلها فقلت هذا رأى سديد فأخذت معى الدلالين وذهبت الى الخان فأخذوا القماش الى القيسرية فبعته الى التجار وكتبت عليهم وثيقة ودفعت الوثيقة الى الصيرفى وأخذت عليه وثيقة بذلك ورجعت الى الخان وأقمت أياما كل يوم أفطر على قدح من الشراب وأحضر اللحم الضانى والحلويات حتى دخل الشهر الذى استحقيت فيه الجباية فبقيت كل خميس واثنين أقعد على دكاكين التجار ويمضى الصيرفى والكاتب فيجيآن بالدراهم من التجار ويأتيانى بها

الى

الى ان دخلت الحمام يوما من الايام وخرجت الى الخان ودخلت موضعى وأفطرت على قدح من الشراب ثم نمت وانتبهت فأكلت دجاجة وتعطرت وذهبت الى دكان رجل تاجر يقال له بدر الدين البستانى فلما رآنى رحب بى وتحدث معى ساعة فى دكانه فبينما نحن كذلك واذا بامرأة جاءت وقعدت بجانبى وعليها عصابة مائلة وتفوح منها روائح الطيب فسلبت عقلى بحسنها وجمالها ورفعت الازار فنظرت الى أحداق سود ثم سلمت على بدر الدين فرد عليها السلام ووقف وتحدث معها فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبى فقالت لبدر الدين هل عندك تفصيلة من القماش المنسوج من خالص الذهب فأخرج لها تفصيلة فقالت للتاجر هل آخذها وأذهب ثم أرسل اليك ثمنها فقال لها التاجر لا يمكن ياسيدتى لان هذا صاحب القماش وله على قسط فقالت ويلك ان عادتى أن آخذ منك كل قطعة قماش بجملة دراهم وأربحك فيها فوق ما تريد ثم أرسل اليك ثمنها فقال نعم ولكننى مضطر الى الثمن فى هذا اليوم فأخذت التفصيلة ورمتها بها فى صدره وقالت ان طائفتكم لا تعرف لاحد قدرا ثم قامت موالية وظننت ان روحى راحت معها فقمت ووقفت وقلت لها ياسيدتى تصدقى على بالالتفات وارجعى بخطواتك الكريمة فرجعت وتبسمت وقالت لاجلك رجعت وقعدت قصادى على الدكان فقالت لبدر الدين هذه التفصيلة كم ثمنها عليك قال ألف ومائة درهم فقلت له ولك مائة درهم فائدة فهات ورقة فاكتب لك فيها بثمنها فأخذت التفصيلة منه وكتبت له ورقة بخطى وأعطيتها التفصيلة وقلت لها خذى أنت وروحى وان شئت هاتى ثمنها الى فى السوق وان شئت هى ضيافتك منى فقالت جزاك الله خيرا ورزقك مالى وجعلك بعلى فتقبل الله الدعوة وقلت لها ياسيدتى اجعلى هذه التفصيلة لك ولك أيضا مثلها ودعينى أنظر وجهك فكشفت القناع عن وجهها فلما نظرت وجهها نظرة أعقبتنى ألف حسرة وتعلق قلبى بمحبتها فصرت لا أملك عقلى ثم أرخت القناع وأخذت التفصيلة وقالت ياسيدى لا توحشنى وقد ولت وقعدت فى السوق الى بعد العصر وأنا غائب العقل وقد تحكم الحب عندى فن شدة ما حصل لى من الحب سألت التاجر عنها حين أردت القيام فقال لى ان هذه صاحبة مال وهى بنت أمير مات والدها وخلف لها مالا كثيرا فودعته وانصرفت وجئت الى الخان فقدم الى العشاء فتذكرتها فلم آكل شيأ ونمت فلم يأتنى نوم فسهرت الى الصباح ثم قمت فلبست بدلة غير التى كانت على وشربت قدحا من الشراب وأفطرت على شئ قليل وجئت الى دكان التاجر فسلمت عليه وجلست عنده فجاءت الصبية وعليها بدلة أفخر من الاولى ومعها جارية فجلست وسلمت على دون بدر الدين وقالت لى بلسان فصيح ما سمعت أعذب ولا أحلى منه أرسل معى من يقبض الالف والمائتى درهم ثمن التفصيلة فقلت لها ولاى شئ العجلة فقالت لا عدمناك

وناولتني الثمن وقعدت أتحدث معها فأومأت اليها بالاشارة ففهمت أني أريد وصالها فقامت على عجل منها واستوحشت مني وقلبي متعلق بها وخرجت أنا خارج السوق في أثرها واذا بجارية أتتني وقالت ياسيدي كلم سيدتي فتعجبت وقلت مايعرفني هنا أحد فقالت الجارية ما أسرع مانسيتها سيدتي التي كانت اليوم على دكان التاجر فلان فمشيت معها الى الصيارف فلما رأتني زوتني لجانبها وقالت ياحبيبي وقعت بخاطري وتمكن حبك من قلبي ومن ساعة رأيتك لم يطب لي نوم ولا أكل ولا شرب فقلت لها عندي أضعاف ذلك والحال يغني عن الشكوى فقالت ياحبيبي أجيء عندك أو تجيء عندي فقلت لها أنا رجل غريب ومالي مكان يأويني الا الخان فان تصدقت علي بأن أكون عندك يكمل الحظ فقالت نعم لكن الليلة ليلة الجمعة مافيها شيء الا ان كان في غد بعد الصلاة فصل واركب حمارك واسأل عن الحبانية فان وصلت فاسأل عن قاعة بركات النقيب المعروف بأبي شامة فاني ساكنة هناك ولا تبطيء فاني في انتظارك ففرحت فرحا زائدا ثم افترقنا وجئت للخان الذي أنا فيه وبت طول الليل سهران فما صدقت أن الفجر لاح حتى قمت وغيرت ملبوسي وتعطرت وتطيبت وأخذت معي خمسين دينارا في منديل ومشيت من خان مسرور الى باب زويلة فركبت حمارا وقلت لصاحبه امض بي الى الحبانية فمضى في أقل من لحظة فما أسرع ما وقف على درب يقال له درب المنقري فقلت له ادخل الدرب واسأل عن قاعة النقيب فغاب قليلا وقال انزل فقلت امش قدامي الى القاعة فمشى حتى أوصلني الى المنزل فقلت له في غد تجيئني هنا وتودّيني فقال الحمار باسم الله فناولته ربع دينار ذهبا فأخذه وانصرف فطرقت الباب فخرج لي بنتان صغيرتان بكران منهدتان كأنهما قمران فقالتا ادخل ان سيدتنا في انتظارك لم تنم الليلة لولعها بك فدخلت قاعة معلقة بسبعة أبواب وفي دائرها شبابيك مطلة على بستان فيه من الفواكه جميع الالوان وبه أنهار دافقة وطيور ناطقة وهي مبيضة بياضا سلطانيا يرى الانسان وجهه فيها وسقفها مطلي بذهب وفي دائرها طرازات مكتوبة باللازورد قد حوت أوصافا حسنة وأضاءت للناظرين وأرضها مفروشة بالرخام المجزع وفي وسطها فسقية وفي أركان تلك الفسقية الدر والجوهر مفروشة بالبسط الحرير الملونة والمراتب فلما دخلت جلست وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والعشرون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب التاجر قال للنصراني فلما دخلت وجلست لم أشعر الا والصبية قد أقبلت وعليها تاج مكلل بالدر والجوهر وهي منقشة مخططة فلما رأتني تبسمت في وجهي وحضنتني ووضعتني على صدرها وجعلت فمها على فمي وجعلت تمص لساني وأنا كذلك وقالت أصحيح أتيت عندي أم هذا منام فقلت لها أنا عبدك

فقالت

فقالت أهلا ومرحبا والله من يوم رأيتك ما لى نوم ولا طاب لى طعام فقلت وأنا كذلك ثم جلسنا نتحدث وأنا مطرق برأسى الى الارض حياء ولم أمكث الا قليلا حتى قدمت لى سفرة من أفخر الالوان من محمر ومرقق ودجاج محشى فأكلت معها حتى اكتفينا ثم قدموا الى الطشت والابريق فغسلت يدى ثم تطيبنا بماء الورد الممسك وجلسنا نتحدث فأنشدت هذين البيتين

لو علمنا قدومكم لفرشنا * مهجة القلب مع سواد العيون

ووضعنا خدودنا للقاكم * وجعلنا المسير فوق الجفون

وهي تشكو الى ما لاقت وأنا أشكو اليها ما لاقيت وتمكن حبها عندى وهان على جميع المال ثم أخذنا نلعب ونتهارش مع العناق والتقبيل الى أن أقبل الليل فقدمت لنا الجوارى الطعام والمدام فاذا هي حضرة كاملة فشربنا الى نصف الليل ثم اضطجعنا وغنا فنمت معها الى الصباح فما رأيت عمرى مثل هذه الليلة فلما أصبح الصباح قمت ورميت لها تحت الفراش المنديل الذى فيه الدنانير وودعتها وخرجت فبكت وقالت ياسيدى متى أرى هذا الوجه المليح فقلت لها أكون عندك وقت العشاء فلما خرجت أصبت الحمار الذى جاء بى بالامس على الباب ينتظرنى فركبت معه حتى وصلت خان مسرور فنزلت وأعطيت الحمار نصف دينار وقلت له تعال فى وقت الغروب قال على الرأس فدخلت الخان وأفطرت ثم خرجت أطالب بثمن القماش ثم رجعت وقد عملت لها خروفا مشويا وأخذت حلاوة ثم دعيت الحمال ووصفت له المحل وأعطيته أجرته ورجعت فى أشغالى الى الغروب فجاءنى الحمار فأخذت خمسين دينارا وجعلتها فى منديل ودخلت فوجدتهم مسحوا الرخام وجلوا النحاس وعمروا القناديل وأوقدوا الشموع وغرفوا الطعام وروقوا الشراب فلما رأتنى رمت يديها على رقبتى وقالت أوحشتنى ثم قدمت الموائد فأكلنا حتى اكتفينا ورفعت الجوارى المائدة وقدمت المدام فلم نزل فى شراب ونقل وحظ الى نصف الليل فنمنا الى الصباح ثم قمت وناولتها الخمسين دينارا على العادة وخرجت من عندها فوجدت الحمار فركبت الى الخان فنمت ساعة ثم قمت جهزت العشاء فعملت جوزا ولوزا وتحتهما أرز مفلفل وعملت قلقاسا مقليا ونحو ذلك وأخذت فاكهة ونقلا ومشموما وأرسلتها وسرت الى البيت وأخذت خمسين دينارا فى منديل وخرجت فركبت مع الحمار على العادة الى القاعة فدخلت ثم أكلنا وشربنا ونمنا الى الصباح ولما قمت رميت لها المنديل وركبت الى الخان على العادة. ولم أزل على تلك الحالة مدة الى أن بت وأصبحت لا أملك درهما ولا دينارا فقلت فى نفسى هذا من فعل الشيطان وأنشدت هذه الابيات

فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب

ان غاب لايذكر بين الورى ❋ وان أتى فماله من نصيب
يمر فى الاسواق مستخفيا ❋ وفى الفلا يبكى بدمع صبيب
والله ماالانسان فى أهله ❋ اذا ابتلى بالفقر الاغريب

ثم مشيت الى أن وصلت بين القصرين ولازلت أمشي حتى وصلت الى باب زويلة فوجدت الخلق فى ازدحام والباب منسدامن كثرة الخلق فرأيت بالامر المقدر جنديا فزاحمته بغيراختيارى فجاءت يدى على جيبه فجسيته فوجدت فيه صرة من داخل الجيب الذى يدى عليه فعمدت الى تلك الصرة فأخذتها من جيبه فحس الجندى بأن جيبه خف فحط يده فى جيبه فلم يجد شيأ والتفت نحوى ورفع يده بالدبوس وضربنى على رأسى فسقطت الى الارض واحتاط الناس بنا وأمسكوا لجام فرس الجندى وقالوا أمن أجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة فصرخ عليهم الجندى وقال هذا حرامى سارق فعند ذلك أفقت ورأيت الناس يقولون هذا شاب مليح لم يأخذ شيأ فبعضهم يصدق و بعضهم يكذب وكثرالقيل والقال وجذبنى الناس وأرادوا اخلاصى منه فبالامر المقدر جاء الوالى هو و بعض الحكام فى هذا الوقت ودخلوا من الباب فوجدوا الخلق مجتمعين علىّ وعلى الجندى فقال الوالى ماالخبر فقال الجندى والله ياأمير ان هذا حرامى وكان فى جيبى كيس أزرق فيه عشرون دينارا فأخذه وأنا فى الزحام فقال الوالى للجندى هل كان معك أحد فقال الجندى لا فصرخ الوالى على المقدّم وقال امسكه وفتشه فأمسكنى وقدزال الستر عنى فقال له الوالى أعره من جميع ماعليه فلما أعرانى وجدوا الكيس فى ثيابى فلما وجدوا الكيس أخذه الوالى وفتحه وعده فرأى فيه عشرين دينارا كما قال الجندى فغضب الوالى وصاح على اتباعه وقال قدموه فقدمونى بين يديه فقال لى ياصبى قل الحق هل أنت سرقت هذا الكيس فاطرقت برأسى الى الارض وقلت فى نفسى ان قلت ماسرقته فقد أخرجه من ثيابى وان قلت سرقته وقعت فى العناء ثم رفعت رأسى وقلت نعم أخذته فلما سمع منى الوالى هذا الكلام تعجب ودعا الشهود فحضروا وشهدوا على منطقى هذا كله فى باب زويلة فأمر الوالى السياف بقطع يدى فقطع يدى اليمين فرق قلب الجندى وشفع فى عدم قتلى وتركنى الوالى ومضى وصارت الناس حولى وسقونى قدح شراب وأما الجندى فانه أعطانى الكيس وقال أنت شاب مليح ولاينبغى ان تكون لصا فأخذته منه وأنشدت هذه الابيات

والله ماكنت لصا ياأخا ثقة ❋ ولم أكن سارقا ياأحسن الناس
لكن رمتنى صروف الدهر عن عجل ❋ فزاد همى ووسواسى وافلاسى
وما رميت ولكن الاله رمى ❋ سهما فطيرتاج الملك عن رامى

فتركنى

فتركني الجندي وانصرف بعد ان أعطاني الكيس وانصرفت أنا ولففت يدي في خرقة وأدخلتها عبي وقد تغيرت حالتي واصفر لوني مما جرى لي فمشيت الى القاعة وأنا على غير استواء ورميت روحي على الفراش فنظرتني الصبية متغير اللون فقالت لي ما وجعك ومالي أرى حالتك تغيرت فقلت لها رأسي توجعني وما أنا طيب فعند ذلك اغتاظت وتشوشت لاجلي وقالت لا تحرق قلبي ياسيدي اقعد وارفع رأسك وحدثني بما حصل لك اليوم فقد بان لي في وجهك كلام فقلت دعيني من الكلام فبكت وقالت كأنك قد فرغ غرضك منا فاني أراك على خلاف العادة فبكت وصارت تحدثني ولا أنا لا أجيبها حتى أقبل الليل فقدمت لي الطعام فامتنعت وخشيت ان تراني آكل بيدي الشمال فقلت لا أشتهي أن آكل في هذه الساعة فقالت حدثني بما جرى لك في هذا اليوم ولاي شيء أراك مهموما مكسور الخاطر والقلب فقلت في هذه الساعة أحدثك على مهلي فقدمت لي الشراب وقالت دونك فانه يزيل همك فلا بد أن تشرب وتحدثني بخبرك فقلت لها ان كان ولا بد فاسقيني بيدك فملأت القدح وشربته وملأته وناولتني اياه فتناولته منها بيدي الشمال وفرت الدمعة من جفني فأنشدت هذه الابيات

اذا أراد الله أمرا لامرئ * وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذنيه وأعمى قلبه * وسل منه عقله سل الشعر
حتى اذا أنفذ فيه حكمه * رد اليه عقله ليعتبر

فلما فرغت من شعري تناولت القدح بيدي الشمال وبكيت فلما رأتني أبكي صرخت صرخة قوية وقالت ما سبب بكائك قد أحرقت قلبي ومالك تناولت القدح بيدك الشمال فقلت لها ان بيدي حبة فقالت أخرجها حتى أفقعها لك فقلت ما هو وقت فقعها لا تطيلي علي فأخرجها في تلك الساعة ثم شربت القدح ولم تزل تسقيني حتى غلب السكر علي فنمت مكاني فأبصرت يدي بلا كف ففتشتني فرأت معي الكيس الذي فيه الذهب فدخل عليها من الحزن ما لا يدخل على أحد ولا زالت تتألم بسببي الى الصباح فلما أفقت من النوم وجدتها هيأت لي مسلوقة وقدمتها فاذا هي أربعة طيور من الدجاج وأسقتني قدح شراب فأكلت وشربت وحطيت الكيس وأردت الخروج فقالت أين تروح فقلت الى مكان كذا لازحزح بعض الهم عن قلبي فقالت لا تروح بل اجلس فجلست فقالت لي وهل بلغت محبتك اياي الى أن صرفت جميع مالك علي وعدمت كفك فأشهدك علي والشاهد الله اني لا أفارقك وسترى صحة قولي ولعل الله استجاب دعوتي بزواجك وأرسلت خلف الشهود فحضروا فقالت لهم اكتبوا كتابي على هذا الشاب واشهدوا اني قبضت المهر فكتبوا كتابي عليها ثم قالت اشهدوا ان جميع مالي الذي في هذا

الصندوق وجميع ماعندى من المماليك والجوارى لهذا الشاب فشهدوا عليها وقبلت أنا التمليك وانصرفوا بعدما أخذوا الاجرة ثم أخذتنى من يدى وأوقفتنى على خزانة وفتحت صندوقا كبيرا وقالت لى انظر هذا الذى فى الصندوق فنظرت فاذا هو ملآن مناديل فقالت هذا مالك الذى أخذته منك فكلما أعطيتنى منديلا فيه خمسون دينارا ألفه وأرميه فى هذا الصندوق فخذ مالك فقد رده الله عليك وأنت اليوم عزيز فقد جرى عليك القضاء بسببى حتى عدمت يمينك وأنا لا أقدر على مكافأتك ولو بذلت روحى لكان ذلك قليلا ولك الفضل ثم قالت لى تسلم مالك فتسلمته ثم نقلت ما فى صندوقها الى صندوقى وضممت مالها الى مالى الذى كنت أعطيتها اياه وفرح قلبى وزال همى فقمت فقبلتها وسكرت معها فقالت لقد بذلت جميع مالك ويدك فى محبتى فكيف أقدر على مكافأتك والله لو بذلت روحى فى محبتك لكان ذلك قليلا وما أقوم بواجب حقك على ثم انها كتبت لى جميع ماتملك من ثياب بدنها وصيغتها وأملاكها بحجة وما نامت تلك الليلة الا مهمومة من أجلى حين حكيت لها ماوقع لى ورقدت معها ثم أقمنا على ذلك أقل من شهر وقوى بها الضعف وزاد بها المرض ولا مكثت غير خمسين يوما ثم صارت من أهل الآخرة فجهزتها وواريتها فى التراب وعملت لها ختمات وتصدقت عليها بجملة من المال ثم نزلت من التربة فرأيت لها مالا جزيلا وأملاكا وعقارات ومن جملة ذلك تلك المخازن السمسم التى بعت لك منها ذلك المخزن وما كان اشتغالى عنك هذه المدة الا لانى بعت بقية الحواصل والى الآن لم أفرغ من قبض الثمن فأرجو منك انك لاتخالفنى فيما أقوله لك لانى أكلت زادك فقد وهبتك ثمن السمسم الذى عندك فهذا سبب أكلى بيدى الشمال فقلت له لقد أحسنت لى وتفضلت على فقال لى لابد ان تسافر معى الى بلادى فانى اشتريت متجرا مصريا واسكندرانيا فهل لك مصاحبتى فقلت نعم وواعدته على رأس الشهر ثم بعت جميع ما أملك واشتريت به متجرا وسافرت أنا وذلك الشاب الى هذه البلاد التى هى بلادكم فباع الشاب متجره واشترى متجرا عوضه من بلادكم ومضى الى الديار المصرية فكان نصيبى فى قعودى هذه الليلة حتى حصل ماحصل فى غربتى فهذا ياملك الزمان ماهو أعجب من حديث الاحدب فقال الملك لابد من شنقكم كلكم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والعشرون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان ملك الصين لما قال لابد من شنقكم فعند ذلك تقدم المباشر الى ملك الصين وقال ان أذنت لى حكيت لك حكاية اتفقت لى فى تلك المدة قبل أن أجد هذا الاحدب وان كانت أعجب من حديثه تهب لنا أرواحنا فقال الملك هات ماعندك فقال اعلم انى كنت الليلة الماضية عند جماعة عملوا ختمة وجمعوا

الفقهاء

الفقهاء فلما قرأ المقرئون وفرغوا مدوا السماط فمن جملة ما قدموا زرباجة فتقدمنا لنأكل من الزرباجة فتأخر واحد منا وامتنع من الأكل منها فحلفنا عليه فأقسم أنه لا يأكل منها فشددنا عليه فقال لا تشددوا على فكفاني ما جرى من أكلها ثم أنشد هذا البيت

اذا صديق نكرت جانبه * لم تعيني في فراقه الحيل

فلما فرغنا قلنا له بالله ما سبب امتناعك من الأكل من هذه الزرباجة فقال لأني لا آكل منها الا ان غسلت يدي أربعين مرة بالاشنان وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فجملتها مائة وعشرون مرة فعند ذلك أمر صاحب الدعوة غلمانه فأتوا بالماء وبالذي طلبه فغسل يديه كما ذكر ثم تقدم وهو متكره وجلس ومد يده وهو مثل الخائف ووضع يده في الزرباجة وصار يأكل وهو متغصب ونحن نتعجب منه غاية التعجب ويده ترتعد فنصب ابهام يده فاذا هو مقطوع وهو يأكل بأربعة أصابع فقلنا له بالله عليك ما لابهامك هكذا أهو خلقة الله أم أصابه حادث فقال يا اخواني ما هو هذا الابهام وحده ولكن ابهام الاخرى وكذلك رجلاي الاثنان ولكن انظروا ثم كشف ابهام يده الاخرى فوجدناها مثل اليمين وكذلك رجلاه بلا ابهامين فلما رأيناه كذلك ازددنا عجبا وقلنا له ما بقي لنا صبر على حديثك والاخبار بسبب قطع ابهامي يديك وابهامي رجليك وسبب غسل يديك مائة وعشرين مرة فقال اعلموا ان والدي كان تاجرا من التجار الكبار وكان أكبر تجار مدينة بغداد في أيام الخليفة هرون الرشيد وكان مولعا بشرب الخمر وسماع العود فلما مات لم يترك شيأ فجهزته وعملت له ختمات وحزنت عليه أياما وليالي ثم فتحت دكانه فما وجدته خلف الا يسيرا ووجدت عليه ديونا كثيرة فصبرت أصحاب الديون وطيبت خواطرهم وصرت أبيع وأشتري وأعطي من الجمعة الى الجمعة أصحاب الديون ولا زلت على هذه الحالة مدة الى أن وفيت الديون وزدت على رأس مالي فبينما أنا جالس يوما من الايام اذ رأيت صبية لم تر عيني أحسن منها عليها حلي وحلل فاخرة وهي راكبة بغلة وقدامها عبد ووراءها عبد فأوقفت البغلة على رأس السوق ودخلت ودخل خلفها خادم وقال يا سيدتي اخرجي ولا تعلمي أحدا فتطلق فينا النار ثم حجبها الخادم فلما نظرت الى دكاكين التجار لم تجد أفخر من دكاني فلما وصلت الى جهتي والخادم خلفها جلست على دكاني وسلمت علي فما سمعت أحسن من حديثها ولا أعذب من كلامها ثم كشفت عن وجهها فنظرتها نظرة أعقبتني ألف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها وجعلت أكرر النظر الى وجهها وأنشدت هذين البيتين

قل للمليحة في الخمار الفاختي * الموت حقا من عذابك راحتي

جودي علي بزورة أحيا بها * ها قد مددت الى نوالك راحتي

فلما سمعت انشادهما أجابتني بهذه الابيات

عدمت فؤادي في الهوى ان سلاكم * فان فؤادي لا يحب سواكم
وان نظرت عيني الى غير حسنكم * فلا سرها بعد البعاد لقاكم
حلفت يمينا لست أسلو هواكم * وقلبي حزين مغرم بهواكم
سقاني الهوى كاسا من الحب صافيا * فياليته لما سقاني سقاكم
خذوا رمقي حيث استقرت بكم نوى * وأين حللتم فادفنوني حذاكم
وان تذكروا سمي عند قبري يجيبكم * أنين عظامي عند رفع نداكم
فلو قيل لي ماذا على الله تشتهي * لقلت رضا الرحمن ثم رضاكم

فلما فرغت من شعرها قال يافتى أعندك تفاصيل ملاح فقلت ياسيدتي مملوكك فقير ولكن اصبري حتى تفتح التجار دكاكينهم وأجيء لك بما تريدينه ثم تحدثت أنا واياها وأنا غارق في بحر محبتها تائه في عشقها حتى فتحت التجار دكاكينهم فقمت وأخذت لها جميع ما طلبته وكان ثمن ذلك خمسة آلاف درهم وناولت الخادم جميع ذلك فأخذه الخادم وذهبا الى خارج السوق فقدموا لها البغلة فركبت ولم تذكر لي من أين هي واستحيت اني أذكرها ذلك والتزمت الثمن للتجار وتكلفت غرامة خمسة آلاف درهم وجئت البيت وأنا سكران من محبتها فقدموا الي العشاء فأكلت لقمة وتذكرت حسنها وجمالها فأشغلني عن الاكل وأردت أن أنام فلم يجئني نوم ولم أزل على هذه الحالة أسبوعا وطالبني التجار بأموالهم فصبرتهم أسبوعا آخر فبعد الاسبوع أقبلت وهي راكبة البغلة ومعها خادم وعبدان فسلمت علي وقالت ياسيدي أبطأنا عليك بثمن القماش فهات الصيرفي واقبض الثمن فجاء الصيرفي وأخرج له الطواشي الثمن فقبضته وصرت أتحدث واياها الى أن عمر السوق وفتحت التجار فقالت خذ لي كذا وكذا فأخذت لها من التجار ما أرادت وأخذته ومضت ولم تخاطبني في ثمن فلما مضت ندمت على ذلك وكنت أخذت الذي طلبته بألف دينار فلما غابت عن عيني قلت في نفسي أي شيء هذه المحبة أعطتني خمسة آلاف درهم وأخذت شيأ بألف دينار فخفت الافلاس وضياع مال الناس وقلت ان التجار لم يعرفوا الا أنا فما كانت هذه المرأة الا محتالة خدعتني بحسنها وجمالها ورأتني صغيرا فضحكت علي ولم أسألها عن منزلها ولم أزل في وسواس وطالت غيبتها أكثر من شهر فطالبني التجار وشددوا علي فعرضت عقاري للبيع وأشرفت على الهلاك ثم قعدت وأنا متفكر فلم أشعر الا وهي نازلة على باب السوق ودخلت علي فلما رأيتها زالت الفكرة ونسيت ما كنت فيه وأقبلت تحدثني بحديثها الحسن ثم قالت هات الميزان وزن مالك فأعطتني ثمن ما أخذته بزيادة ثم انبسطت معي في الكلام

فكدت

فكدت أن أموت فرحا وسرورا حتى قالت لى هل أنت لك زوجة فقلت لا انى لا أعرف امرأة ثم بكيت فقالت لى مالك تبكى فقلت من شئ خطر ببالى ثم انى أخذت بعض دنانير وأعطيتها للخادم وسألته ان يتوسط فى الامر فضحك وقال هى عاشقة لك أكثر منك ومالها بالقماش حاجة وانما هو لاجل محبتها لك تخاطبها بما تريد فانها لا تخالفك فيما تقول فرأتنى وأنا أعطى الخادم الدنانير فرجعت وجلست ثم قلت لها تصدقى على مملوكك واسمحى له فيما يقول ثم حدثتها بما فى خاطرى فأعجبها ذلك وأجابتنى وقالت هذا الخادم يأتى برسالتى واعمل أنت بما يقوله لك الخادم ثم قامت ومضت وقت سلمت التجار أموالهم وحصل لهم الربح الا أنا فانها حين ذهبت حصل لى الندم من انقطاع خبرها عنى ولم أنم طول ليلى فما كان الا أيام قلائل وجاءنى خادمها فأكرمته وسألته عنها فقال انها مريضة فقلت للخادم اشرح لى أمرها قال ان هذه الصبية ربتها السيدة زبيدة زوجة هرون الرشيد وهى من جواريها وقد اشتهت على سيدتها الخروج والدخول فأذنت لها فى ذلك فصارت تخرج وتدخل حتى صارت قهرمانة ثم انها حدثت بك سيدتها وسألتها ان تزوجها بك فقالت سيدتها لا أفعل حتى أنظر هذا الشاب فان كان يشبهك زوجتك به ونحن نريد فى هذه الساعة ان ندخل بك الدار فان دخلت الدار ولم يشعر بك أحد وصلت الى تزويجك اياها وان انكشف أمرك ضربت رقبتك فماذا تقول قلت نعم أروح معك واصبر على الامر الذى حدثتنى به فقال له الخادم اذا كانت هذه الليلة فامض الى المسجد الذى بنته السيدة زبيدة على الدجلة فصل فيه وبت هناك فقلت حبا وكرامة فلما جاء وقت العشاء مضيت الى المسجد وصليت فيه وبت هناك فلما كان وقت السحر رأيت الخادمين قد أقبلا فى زورق ومعهما صناديق فارغة فأدخلوها فى المسجد وانصرفوا وتأخر واحد منهما فتأملته واذا هو الذى كان واسطة بينى وبينها فبعد ساعة صعدت الينا الجارية صاحبتى فلما أقبلت قمت اليها وعانقتها فقبلتنى وبكت وتحدثنا ساعة فأخذتنى ووضعتنى فى صندوق وأغلقته على ولم أشعر الا وأنا فى دار الخليفة وجاؤا الى بشئ كثير من الامتعة بحيث يساوى خمسين ألف درهم ثم رأيت عشرين جارية أخرى وهن نهد أبكار وبينهن الست زبيدة وهى لم تقدر على المشى مما عليها من الحلى والحلل فلما أقبلت تفرقت الجوارى من حواليها فأتيت اليها وقبلت الارض بين يديها فأشارت لى بالجلوس فجلست بين يديها ثم شرعت تسألنى عن حالى وعن نسبى فأجبتها عن كل ما سألتنى عنه ففرحت وقالت والله ما خابت تربيتنا فى هذه الجارية ثم قالت لى اعلم ان هذه الجارية عندنا بمنزلة ولد الصلب وهى وديعة الله عندك فقبلت الارض قدامها ورضيت بزواجى اياها ثم أمرتنى أن أقيم عندهم عشرة أيام فأقمت عندهم هذه المدة وأنا لا أدرى من هى الجارية الا ان بعض الوصائف تأتينى بالغداء

والعشاء لاجل الخدمة و بعد هذه المدة استأذنت السيدة زبيدة زوجها أمير المؤمنين في زواج جاريتها فأذن لها وأمر لها بعشرة آلاف دينار فأرسلت السيدة زبيدة الى القاضي والشهود وكتبوا كتابي عليها و بعد ذلك عملوا الحلويات والاطعمة الفاخرة وفرقوا على سائر البيوت ومكثوا على هذا الحال عشرة أيام أخر و بعد العشرين يوما أدخلوا الجارية الحمام لاجل الدخول بها ثم انهم قدموا سفرة فيها طعام ومن جملته خافقية زرباجة محشية بالسكر وعليها ماء ورد ممسك وفيها أصناف الدجاج المحمر وغيره من سائر الالوان مما يدهش العقول فوالله حين حضرت المائدة ما أمهلت نفسي حتى نزلت على الزرباجة وأكلت منها بحسب الكفاية ومسحت يدي ونسيت أن أغسلها ومكثت جالسا الى ان دخل الظلام وأوقدت الشموع وأقبلت المغنيات بالدفوف ولم يزالوا يجلون العروسة و ينقطون بالذهب حتى طافت القصر كله و بعد ذلك أقبلوا بها علي ونزعوا ما عليها من الملبوس فلما خلوت بها في الفراش وعانقتها وأنا لم أصدق بوصالها شمت في يدي رائحة الزرباجة فلما شمت الرائحة صرخت صرخة فنزل لها الجواري من كل جانب فارتجفت ولم أعلم الخبر فقالت الجواري مالك يا أختنا فقالت لهم أخرجوا عني هذا المجنون فأنا أحسب انه عاقل فقلت لها وما الذي ظهر لك من جنوني فقالت يامجنون لاي شيء أكلت من الزرباجة ولم تغسل يدك فوالله لا أقبلك على عدم عقلك وسوء فعلك ثم تناولت من جانبها سوطا ونزلت به على ظهري ثم على مقاعدي حتى غبت عن الوجود من كثرة الضرب ثم انها قالت للجواري خذوه وامضوا به الى متولي المدينة ليقطع يده التي أكل بها الزرباجة ولم يغسلها فلما سمعت ذلك قلت لا حول ولا قوة الا بالله أتقطع يدي من أجل أكل الزرباجة وعدم غسلي اياها فدخلت عليها الجواري وقلن لها يا أختنا لا تؤاخذيه بفعله هذه المرة فقالت والله لا بد أن أقطع شيئا من أطرافه ثم راحت وغابت عني عشرة أيام ولم أرها و بعد العشرة أيام أقبلت علي وقالت لي ياأسود الوجه أنا لا أصلح لك فكيف تأكل الزرباجة ولم تغسل يدك ثم صاحت على الجواري فكتفوني وأخذت موسى ماضيا وقطعت ابهامي يدي وابهامي رجلي كما ترون ياجماعة فغشي علي ثم ذرت علي بالذرور فانقطع الدم وقلت في نفسي لا آكل الزرباجة ما بقيت حتى أغسل يدي أربعين مرة بالاشنان وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فأخذت علي ميثاقا اني لا آكل الزرباجة حتى أغسل يدي كما ذكرت لكم فلما جئتم بهذه الزرباجة تغير لوني وقلت في نفسي هذه سبب قطع ابهامي يدي ورجلي فلما غصبتم علي قلت لا بد أن أوفي بما حلفت فقلت لهو الجماعة حاضرون ما حصل لك بعد ذلك قال فلما حلفت لها طاب قلبها ونمت واياها وأقمنا مدة على هذا الحال و بعد تلك المدة قالت ان أهل دار الخلافة لم يعلموا بما حصل بيني و بينك فيها

فيما

ومادخلها أجنبي غيرك ومادخلت فيها الابغاية السيدة زبيدة ثم أعطتني خمسين ألف دينار وقالت خذ هذه الدنانير واخرج واشترلنا بها دارا فسيحة فخرجت واشتريت دارا مليحة فسيحة ونقلت جميع ماعندها من النعم وما ادخرته من الاموال والقماش والتحف الى هذه الدار التى اشتريتها فهذا سبب قطع ابهامى فأكلنا وانصرفنا وبعد ذلك جرى لى مع الاحدب ماجرى وهذا جميع حديثى والسلام فقال الملك ماهذا بأعذب من حديث الاحدب بل حديث الاحدب أعذب من ذلك ولابد من صلبكم جميعا ثم ان اليهودى تقدم وقبل الارض وقال ياملك الزمان أنا أحدثك بحديث أعجب من حديث الاحدب فقال ملك الصين هات ماعندك فقال أعجب ماجرى لى فى زمن شبابى انى كنت فى دمشق الشام وتعلمت صنعة فعملت فيها فبينما أنا أعمل فى صنعتى يوما من الايام اذ أتانى مملوك من بيت الصاحب بدمشق فخرجت له وتوجهت معه الى منزل الصاحب فدخلت فرأيت فى صدر الايوان سريرا من المرمر بصفائح الذهب وعليه آدمى مريض راقد وهو شاب لم ير أحسن منه فى زمانه فقعدت عند رأسه ودعوت له بالشفاء فأشار الى بعينه فقلت له ياسيدى ناولنى يدك فأخرج لى يده اليسرى فتعجبت من ذلك وقلت فى نفسى يالله العجب ان هذا الشاب مليح ومن بيت كبير وليس عنده أدب ان هذا هو العجب ثم جسست مفاصله وكتبت له ورقة ومكثت أتردد عليه مدة عشرة أيام حتى تعافى ودخل الحمام واغتسل وخرج فخلع على الصاحب خلعة مليحة وجعلنى مباشرا عنده فى المارستان الذى بدمشق فلما دخلت معه الحمام وقد أخلوه لنا من جميع الناس ودخل الخادم بالثياب وأخذ ثيابه التى كانت عليه من داخل الحمام فبعد ان تعرى رأيت بيده اليمين قطعا صعبا فلما رأيته أخذت أتعجب وحزنت عليه ونظرت الى جسده فوجدت عليه آثار ضرب مقارع فصرت أتعجب من أجل ذلك فنظر الى الشاب وقال لى ياحكيم الزمان لاتعجب من أمرى فسوف أحدثك بحديثى حتى تخرج من الحمام فلما خرجنا من الحمام ووصلنا الى الدار وأكلنا الطعام واسترحنا قال الشاب هل لك أن تتفرج فى الغرفة فقلت نعم فأمر العبيد ان يطلعوا الفرش الى فوق وأمرهم ان يشووا خروفا وان يأتوا الينا بفاكهة ففعل العبيد ماأمرهم به وأتوا بالفاكهة فأكلنا وأكل هو بيده الشمال فقلت له حدثنى بحديثك فقال لى ياحكيم الزمان اسمع حكاية ماجرى لى اعلم انى من أولاد الموصل وكان لى والد قد توفى أبوه وخلف عشرة أولاد ذكور من جملتهم والدى وكان أكبرهم فكبروا كلهم وتزوجوا ورزق والدى بى وأما اخوته التسعة فلم يرزقوا باولاد فكبرت أنا وصرت بين أعمامى وهم فرحون بى فرحا شديدا فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال كنت ذات يوم مع والدى فى جامع الموصل وكان اليوم يوم جمعة فصلينا الجمعة وخرج الناس

جميعا وأماوالدى وأعمامى فانهم قعدوا يتحدثون فى عجائب البلاد وغرائب المدن الى أن ذكروا مصر فقال بعض أعمامى ان المسافرين يقولون ماعلى وجه الارض أحسن من مصر ونيلها ولقد أحسن من قال فيها وفى نيلها هذين البيتين

بالله قل للنيل عنى اننى * لم أشف من ماء الفرات غليلا
ياقلب كم خلفت ثم بثينة * وأظن صبرك ان يكون جميلا

ثم انهم أخذوا يصفون مصر ونيلها فلما فرغوا من كلامهم وسمعت أنا هذه الاوصاف التى فى مصر صار خاطرى مشغولا بها ثم انصرفوا وتوجه كل واحد منهم الى منزله فبت تلك الليلة لم يأتنى نوم من شغفى بها ولم يطب لى أكل ولا شرب فلما كان بعد أيام قلائل تجهز أعمامى الى مصر فبكيت على والدى لاجل الذهاب معهم حتى جهزلى متجرا ومضيت معهم وقال لهم لاتدعوه يدخل مصر بل اتركوه فى دمشق ليبيع متجره فيها ثم سافرنا وودعت والدى وخرجنا من الموصل ومازلنا مسافرين حتى وصلنا الى حلب فأقمنا بها أياما ثم سافرنا الى أن وصلنا دمشق فرأيناها مدينة ذات أشجار وأنهار وأثمار وأطيار كأنها جنة فيها من كل فاكهة فنزلنا فى بعض الخانات واستمر بها أعمامى حتى باعوا واشتروا وباعوا بضاعتى فربح الدرهم خمسة دراهم ففرحت بالربح ثم تركنى أعمامى وتوجهوا الى مصر فكثت بعدهم وسكنت فى قاعة مليحة البنيان يعجز عن وصفها اللسان أجرتها كل شهر ديناران وصرت أتلذذ بالمآكل والمشارب حتى صرفت المال الذى كان معى فبينما أنا قاعد على باب القاعة يوما من الايام واذا بصبية أقبلت على وهى لابسة أفخر الملابس مارأت عينى أفخر منها فعزمت عليها فما قصرت بل صارت داخل الباب فلما دخلت ظفرت بها وفرحت بدخولها فرددت الباب على وعليها وكشفت عن وجهها وقلعت ازارها فوجدتها بديعة الجمال فتمكن حبها من قلبى فقمت وجئت بسفرة من أطيب المأكول والفاكهة وما يحتاج اليه المقام وأكلنا ولعبنا وبعد اللعب شربنا حتى سكرنا ثم نمت معها فى أطيب ليلة الى الصباح وبعد ذلك أعطيتها عشرة دنانير فحلفت انها لاتأخذ الدنانير منى ثم قالت ياحبيبى انتظرنى بعد ثلاثة أيام وقت المغرب أكون عندك وهيئ لنا بهذه الدنانير مثل هذا وأعطتنى هى عشرة دنانير وودعتنى وانصرفت فأخذت عقلى معها فلما مضت الايام الثلاثة أتت وعليها من المزركش والحلى والحلل أعظم مما كان عليها أولا وكنت هيأت لها ما يليق بالمقام قبل ان تحضر ثم أكلنا وشربنا ونمنا مثل العادة الى الصباح ثم أعطتنى عشرة دنانير وواعدتنى بعد ثلاثة أيام أنها تحضر عندى فهيأت لها ما يليق بالمقام وبعد ثلاثة أيام حضرت فى قماش أعظم من الاول والثانى ثم قالت لى ياسيدى هل أنا مليحة فقلت اى والله فقالت هل تأذن لى

ان

أن أجي معي بصبية أحسن مني وأصغر سنا مني حتى تلعب معنا وتضحك وإياها فانها سألتني ان تخرج معي وتبيت معنا لتضحك وإياها ثم أعطتني عشرين دينارا وقالت لي زد لنا المقام لأجل الصبية التي تأتي معي ثم انها ودعتني وانصرفت فلما كان اليوم الرابع جهزت لها ما يليق بالمقام على العادة فلما كان بعد المغرب واذا بها قد أتت ومعها واحدة ملفوفة بإزار فدخلنا وجلستا ففرحت وأوقدت الشموع واستقبلتهما بالفرح والسرور فقامتا ونزعتا ما عليهما من القماش وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها فرأيتها كالبدر في تمامه فلم أر أحسن منها فقمت وقدمت لهما الأكل والشرب فأكلنا وشربنا وصرت أقبل الصبية الجديدة وأملأ لها القدح وأشرب معها فغارت الصبية الأولى في الباطن ثم قالت بالله ان هذه الصبية مليحة أما هي أظرف مني قلت أي والله قالت خاطري ان تنام معها قلت على رأسي وعيني ثم قامت وفرشت لنا فقمت ونمت مع الصبية الجديدة الى وقت الصبح فلما أصبحت وجدت يدي ملوثة بدم ففتحت عيني فوجدت الشمس قد طلعت فنبهت الصبية فتدحرجت رأسها عن بدنها فظننت انها فعلت ذلك من غيرتها منها ففكرت ساعة ثم قمت قلعت ثيابي وحفرت في القاعة ووضعت الصبية ورددت عليها التراب وأعدت الرخام كما كان ثم لبست وأخذت بقية مالي وخرجت وجئت الى صاحب القاعة ودفعت له أجرة سنة وقلت له أنا مسافر الى أعمامي بمصر ثم سافرت الى مصر واجتمعت بأعمامي ففرحوا بي ووجدتهم قد فرغوا من بيع متجرهم ثم قالوا لي ما سبب مجيئك فقلت لهم اشتقت اليكم وخفت أن لا يبقى معي شيء من مالي فأقمت عندهم سنة وأنا أتفرج على مصر ونيلها ووضعت يدي في بقية مالي وصرت أصرف منه وآكل وأشرب حتى قرب سفر أعمامي فهربت منهم فقالوا لعله سبقنا ورجع الى دمشق فسافروا وخرجت أنا فأقمت بمصر ثلاث سنين وصرت أصرف حتى لم يبق معي من المال شيء وأنا في كل سنة أرسل الى صاحب القاعة أجرتها وبعد الثلاث سنين ضاق صدري ولم يبق معي الا أجرة السنة فقط فسافرت حتى وصلت الى دمشق ونزلت في القاعة ففرح بي صاحبها فدخلت القاعة ومسحتها من دم الصبية المذبوحة ورفعت المخدة فوجدت تحتها العقد الذي كان في عنق تلك الصبية فأخذته وتأملته وبكيت ساعة ثم أقمت يومين وفي اليوم الثالث دخلت الحمام وغيرت أثوابي وأنا ما معي شيء من الدراهم فجئت يوما الى السوق فوسوس لي الشيطان لأجل انفاذ القدر فأخذت العقد الجوهر وتوجهت به الى السوق وناولته للدلال فقام لي وأجلسني بجانبه وصبر حتى عمر السوق وأخذه الدلال ونادى عليه خفية وأنا لا أعلم واذا بالعقد مثمن بلغ ثمنه ألفي دينار فجاءني الدلال وقال لي ان هذا العقد نحاس مصنوع بصنعة الافرنج وقد وصل ثمنه الى ألف درهم فقلت له نعم هذا كنا صنعناه لواحدة نضحك عليها به وورثتها زوجتي فأردنا بيعه فرح

واقبض الالف درهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب لما قال للدلال اقبض الالف درهم وسمع الدلال ذلك عرف ان قضيته مشكلة فتوجه بالعقد الى كبير السوق وأعطاه اياه فأخذه وتوجه به الى الوالي وقال له ان هذا العقد سرق من عندي ووجدنا الحرامي لابساً لباس أولاد التجار فلم أشعر الا والظلمة قد أحاطوا بي وأخذوني وذهبوا بي الى الوالي فسألني الوالي عن ذلك العقد فقلت له ما قلته للدلال فضحك الوالي وقال ما هذا كلام الحق فلم أدر الا وحواشيه جردوني من ثيابي وضربوني بالمقارع على جميع بدني فأحرقني الضرب فقلت أنا سرقته وقلت في نفسي ان الاحسن اني أقول أنا سرقته ولا أقول ان صاحبته مقتولة عندي فيقتلوني فيها فلما قلت اني سرقته قطعوا يدي وقلوها في الزيت فغشي علي فسقوني الشراب حتى أفقت فأخذت يدي وجئت الى القاعة فقال صاحب القاعة حيث جرى لك هذا فأخل القاعة وانظر لك موضعاً آخر لانك متهم بالحرام فقلت له يا سيدي اصبر على يومين أو ثلاثة حتى أنظر لي موضعاً قال نعم ومضى وتركني فبقيت قاعداً أبكي وأقول كيف أرجع الى أهلي وأنا مقطوع اليد والذي قطع يدي لم يعلم أني بريء فلعل الله يحدث بعد ذلك أمراً وصرت أبكي بكاء شديداً فلما مضى صاحب القاعة عني لحقني غم شديد فتشوشت يومين وفي اليوم الثالث ما أدري الا وصاحب القاعة جاءني ومعه بعض الظلمة وكبير السوق وادعى علي اني سرقت العقد فخرجت لهم وقلت لهم ما الخبر فلم يمهلوني بل كتفوني ووضعوا في رقبتي جنزيرا وقالوا لي ان العقد الذي كان معك طلع لصاحب دمشق ووزيرها وحاكمها وقالوا ان هذا العقد قد ضاع من بيت الصاحب من مدة ثلاث سنين ومعه ابنته فلما سمعت هذا الكلام منهم ارتعدت مفاصلي وقلت في نفسي يقتلونني ولا محالة والله لابد انني أحكي للصاحب حكايتي فان شاء قتلني وان شاء عفا عني فلما وصلنا الى الصاحب أوقفني بين يديه فلما رآني قال أهذا الذي سرق العقد ونزل به ليبيعه انكم قطعتم يده ظلماً ثم أمر بسجن كبير السوق وقال له أعط هذا دية يده والا أشنقك وآخذ جميع مالك ثم صاح على أتباعه فأخذوه وجروه وبقيت أنا والصاحب وحدنا بعد ان فكوا الغل من عنقي باذنه وحلوا وثاقي ثم نظر الى الصاحب وقال لي يا ولدي حدثني واصدقني كيف وصل اليك هذا العقد فقلت يا مولاي اني أقول لك الحق ثم حدثته بجميع ما جرى لي مع الصبية الأولى وكيف جاءتني بالثانية وكيف ذبحتها من الغيرة وذكرت له الحديث بتمامه فلما سمع كلامي هز رأسه وحط منديله على وجهه وبكى ساعة ثم أقبل علي وقال لي اعلم يا ولدي ان الصبية الكبيرة بنتي وكنت أحجر عليها فلما بلغت أرسلتها الى ولد عمها بمصر فمات فجاءتني وقد تعلمت العهر من أولاد

مصر وجاءتك أربع مرات ثم جاءتك باختها الصغيرة والاثنتان شقيقتان وكانتا محبتين لبعضهما فلما جرى للكبيرة ماجرى أخرجت سرّها على أختها فطلبت منى الذهاب معها ثم رجعت وحدها فسألتها عنها فوجدتها تبكى عليها وقالت لا أعلم لها خبرا ثم قالت لامها سرا جميع ماجرى من ذبحها أختها فأخبرتني أمها سرا ولم تزل تبكى وتقول والله لا أزال أبكى عليها حتى أموت وكلامك ياولدى صحيح فانى أعلم بذلك قبل ان تخبرنى به فانظر ياولدى ماجرى وأنا أشتهى منك أن لا تخالفنى فيما أقول لك وهو انى أريد أن أزوجك ابنتى الصغيرة فانها ليست شقيقة لهما وهى بكر ولم آخذ منك مهرا وأجعل لكما راتبا من عندى وتبقى عندى بمنزلة ولدى فقلت له الامر كذلك ياسيدى ومن أين لى أن أصل الى ذلك فأرسل الصاحب فى الحال من عنده بريدا وأتانى بمالى الذى خلفه والدى وأنا اليوم فى أرغد عيش فتعجبت منه وأقمت عنده ثلاثة أيام وأعطانى مالا كثيرا وسافرت من عنده فوصلت الى بلدكم هذه فطابت لى فيها المعيشة وجرى لى مع الاحدب ماجرى فقال ملك الصين ماهذا بأعجب من حديث الاحدب ولابد لى من شنقكم جميعا وخصوصا الخياط الذى هو رأس كل خطيئة ثم قال ياخياط ان حدثتنى بشئ أعجب من حديث الاحدب وهبت لكم ذنوبكم

(حكاية مزين بغداد)

فعند ذلك تقدم الخياط وقال اعلم ياملك الزمان ان الذى جرى لى أعجب مما جرى للجميع لانى كنت قبل ان أجتمع بالاحدب أول النهار فى وليمة لبعض أصحابى أرباب الصنائع من خياطين وبزازين ونجارين وغير ذلك فلما طلعت الشمس حضر الطعام لنأكل واذا بصاحب الدار قد دخل علينا ومعه شاب غريب مليح من أهل بغداد وعلى ذلك الشاب أحسن ما يكون من الثياب وهو فى أحسن ما يكون من الجمال غير انه أعرج فدخل علينا وسلم فقمنا له فلما أراد الجلوس رأى فينا انسانا مزينا فامتنع من الجلوس وأراد أن يخرج من عندنا فمنعناه نحن وصاحب المنزل وشددنا عليه وحلف عليه صاحب المنزل وقال له ماسبب دخولك وخروجك فقال بالله يامولاى لا تتعرض لى بشئ فان سبب خروجى هذا المزين الذى هو قاعد فلما سمع منه صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال كيف يكون هذا الشاب من بغداد وتشوش خاطره من هذا المزين ثم التفتنا اليه وقلنا له احك لنا ماسبب غيظك من هذا المزين فقال الشاب ياجماعة انه جرى لى مع هذا المزين أمر عجيب فى بغداد بلدى وكان هو سبب عرجى وكسر رجلى وحلفت انى ما بقيت أقاعده فى مكان ولا أسكن فى بلد هو ساكن بها وقد سافرت

من بغداد ورحلت منها وسكنت فى هذه المدينة وانا الليلة لا أبيت الا مسافرا فقلنا له بالله عليك ان تحكي لنا حكايتك معه فاصفر لون المزين حين سألنا الشاب ثم قال الشاب اعلموا يا جماعة الخيران والدى من أكابر تجار بغداد ولم يرزقه الله تعالى بولد غيرى فلما كبرت و بلغت مبلغ الرجال توفى والدى الى رحمة الله تعالى وخلف لى مالا وخدما وحشما فصرت ألبس أحسن الملابس وآكل أحسن المآكل وكان الله سبحانه وتعالى بغضنى فى النساء الى ان كنت ماشيا يوما من الايام فى أزقة بغداد واذا بجماعة تعرضوا لى فى الطريق فهربت ودخلت زقاقا لا ينفذ وارتكنت فى آخره على مصطبة فلم أقعد غير ساعة واذا بطاقة قبالة المكان الذى أنا فيه فتحت وطلت منها صبية كالبدر فى تمامه لم أر فى عمرى مثلها ولها زرع تسقيه وذلك الزرع تحت الطاقة فالتفتت يمينا وشمالا ثم قفلت الطاقة وغابت عنى فانطلقت فى قلبى النار واشتغل خاطرى بها وانقلب بغضى للنساء محبة فلا زلت جالسا فى هذا المكان الى المغرب وأنا غائب عن الدنيا من شدة الغرام واذا بقاضى المدينة راكب وقدامه عبيد ووراءه خدام فنزل ودخل البيت الذى طلت منه تلك الصبية فعرفت انه أبوها ثم انى جئت منزلى وأنا مكروب ووقعت على الفراش مهموما فدخلت على جوارى وقعدن حولى ولم يعرفن مابى وانا لم أبد لهن أمرا ولم أرد لخطابهن جوابا وعظم مرضى فصارت الناس تعودنى فدخلت على عجوز فلما رأتنى لم يخف عليها حالى فقعدت عند رأسى ولاطفتنى وقالت ياولدى قل لى خبرك فحكيت لها حكايتى فقالت ياولدى ان هذه بنت قاضى بغداد وعليها الحجر والموضع الذى رأيتها فيه هو طبقتها وأبوها له قاعة كبيرة أسفل وهى وحدها وأنا كثيرا ما أدخل عندهم ولا تعرف وصالها الا منى فشد حيلك فتجلدت وقويت نفسى حين سمعت حديثها وفرح أهلى فى ذلك اليوم وأصبحت متماسك الاعضاء مترجيا تمام الصحة ثم مضت العجوز ورجعت ووجهها متغير فقالت ياولدى لا تسأل عما جرى منها لما قلت لها ذلك فانها قالت لى ان لم تسكتى يا عجوز النحس عن هذا الكلام لافعلن بك ما تستحقينه ولابد أن أرجع اليها ثانى مرة فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضى فلما كان بعد أيام أتت العجوز وقالت ياولدى أريد منك البشارة فلما سمعت ذلك منها ردت روحى الى جسمى وقلت لها لك عندى كل خير فقالت انى ذهبت بالامس الى تلك الصبية فلما نظرتنى وأنا منكسرة الخاطر باكية العين قالت ياخالتى مالى أراك ضيقة الصدر فلما قالت لى ذلك بكيت وقلت لها يابنتى وسيدتى انى أتيتك بالامس من عند فتى يهواك وهو مشرف على الموت من أجلك فقالت وقد رق قلبها ومن أين يكون هذا الفتى الذى تذكرينه قلت هو ولدى وثمرة فؤادى ورآك فى الطاقة من أيام مضت وأنت تسقين زرعك ورأى وجهك فهام بك عشقا وانا أول مرة أعلمته بما جرى لى معك

معك فزاد مرضه ولزم الوساد وماهو الاميت ولا محالة فقالت وقد اصفر لونها اهل هذا كله من أجلى قلت أى والله فاذا نأمرين قالت امضى اليه وأقرئيه منى السلام واخبريه ان عندى أضعاف ماعنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجىء الى الدار وأنا أقول افتحوا له الباب وأطلعه عندى وأجتمع واياه ساعة ويرجع قبل مجىء أبى من الصلاة فلما سمعت كلام العجوز زال ما كنت أجد من الالم واستراح قلبى ودفعت اليها ما كان على من الثياب وانصرفت وقالت لى طيب قلبك فقلت لها لم يبق فى شىء من الالم وتباشر اهل بيتى وأصحابى بعافيتى ولم أزل كذلك الى يوم الجمعة واذا بالعجوز دخلت على وسألتنى عن حالى فاخبرتها انى بخير وعافية ثم لبست ثيابى وتعطرت ومكثت أنتظر الناس يذهبون الى الصلاة حتى أمضى اليها فقالت العجوز ان معك فى الوقت اتساعا زائدا فلو مضيت الى الحمام وازلت شعرك لاسيما من أثر المرض لكان فى ذلك صلاحك فقلت لها ان هذا هو الرأى الصواب لكن أحلق رأسى أولا ثم أدخل الحمام فارسلت الى المزين ليحلق لى رأسى وقلت للغلام امض الى السوق وائتنى بمزين يكون عاقلا قليل الفضول لا يصدع رأسى بكثرة كلامه فمضى الغلام وأتى بهذا الشيخ فلما دخل سلم على فرددت عليه السلام فقال أذهب الله غمك وهمك والبؤس والاحزان عنك فقلت تقبل الله منك فقال أبشر ياسيدى فقد جاءتك العافية أتريد تقصير شعرك أو اخراج دم فانه ورد عن ابن عباس انه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء وروى عنه أيضا انه قال من احتجم يوم الجمعة لا يامن ذهاب البصر وكثرة المرض فقلت له دع عنك هذا الهذيان وقم فى هذه الساعة احلق لى رأسى فانى رجل ضعيف فقام ومد يده وأخرج منديلا وفتحه واذا فيه اصطرلاب وهو سبع صفائح فاخذه ومضى الى وسط الدار ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر مليا وقال لى اعلم أنه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة وهو عاشر صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وطالعه بمقتضى ما أوجبه علم الحساب المريخ سبع درج وستة دقائق واتفق انه قارنه عطارد وذلك يدل على ان حلق الشعر جيد جدا ودل عندى انك تريد الاقبال على شخص وهو مسعود لكن بعده كلام يقع وشىء لا أذكره لك فقلت والله لقد اضجرتنى وأزهقت روحى وفولت على وأنا ماطلبتك الا لتحلق رأسى فقم واحلق رأسى ولا تطل على الكلام فقال والله لو علمت حقيقة الامر لطلبت منى زيادة البيان وأنا أشور عليك انك تعمل اليوم بالذى آمرك به بمقتضى حساب الكواكب وكان سبيلك ان تحمد الله ولا تخالفنى فانى ناصح لك وشفيق عليك وأود أن أكون فى خدمتك سنة كاملة وتقوم بحقى ولا أريد منك أجرة على ذلك فلما سمعت ذلك منه قلت له انك قاتلى فى هذا اليوم ولا محالة وأدركه

شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب قال له انك قائل في هذا اليوم فقال ياسيدي انا الذي تسميني الناس الصامت لقلة كلامي دون اخوتي لان أخي الكبير اسمه البقبوق والثاني الهدار والثالث بقيق والرابع اسمه الكوز الاصواني والخامس اسمه العشار والسادس اسمه شقالق والسابع اسمه الصامت وهو أنا فلما زاد علي هذا المزين بالكلام رأيت ان مرارتي انفطرت وقلت للغلام أعطه ربع دينار وخله ينصرف عني لوجه الله فلا حاجة لي في حلاقة رأسي فقال هذا المزين حين سمع كلامي مع الغلام أي شيء هذا المقال يامولاي والله لا آخذ منك أجرة حتى أخدمك ولا بد من خدمتك فانه واجب علي خدمتك وقضاء حاجتك ولا أبالي اذا لم آخذ منك دراهم فان كنت لا تعرف قدري فانا أعرف قدرك وكان والدك رحمه الله تعالى له علينا الاحسان لانه كان كريما والله لقد أرسل والدك خلفي يوما مثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من أصحابه فقال لي اخرج لي دما فاخذت الاصطرلاب وأخذت له الارتفاع فوجدت طالع الساعة نحسا واخراج الدم فيها صعبا فاعلمته بذلك فامتثل وصبر الى أن أتت الساعة الجيدة وأخرجت له فيها الدم ولم يخالفني بل شكرني وكذلك شكرني الجماعة الحاضرون وأعطاني والدك مائة دينار في نظير اخراج الدم فقلت له لا رحم الله أبي الذي عرف مثلك فضحك هذا المزين وقال لا اله الا الله محمد رسول الله سبحان من يغير ولا يتغير ما كنت أظنك الا عاقلا لكنك خرفت من المرض وقد قال الله في كتابه العزيز والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وأنت معذور على كل حال وما أدري سبب عجلتك وأنت تعلم ان والدك ما كان يفعل شيأ الا بمشورتي وقد قيل ان المستشار مؤتمن وما تجد احدا اعرف مني بالامور فانا واقف على اقدامي اخدمك وما ضجرت منك فكيف ضجرت انت مني وأنا أصبر عليك لاجل مالابيك علي من الفضل فقلت له والله لقد أطلت علي الخطاب وزدت علي في المقال وانا قصدي ان تحلق رأسي وتنصرف عني وأظهرت الغضب واردت ان أقوم وان كان قد بل رأسي فقال قد علمت انه قد غلب عليك الضجر مني لكن لا أؤاخذك لان عقلك ضعيف وانت صبي ومن زمن قريب كنت أحملك على كتفي وأمضي بك الى المكتب فقلت له يا أخي بحق الله عليك انصرف عني حتى اقضي شغلي وقم الى حال سبيلك ثم مزقت أثوابي فلما رآني فعلت ذلك أخذ الموسى وسنه ولازال يسنه حتى كادت روحي ان تفارق جسمي ثم تقدم الى رأسي وحلق منها بعضا ثم رفع يده وقال يامولاي العجلة من الشيطان ثم انه أنشد هذين البيتين

ثان

تأن ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم

فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

ثم قال يامولاى ما أظنك تعرف بمنزلتى فان يدى تقع على رأس الملوك والامراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفى مثلى قال الشاعر

جميع الصنائع مثل العقود * وهذا المزين درّ السلوك

فيعلو على كل ذى حكمة * وتحت يديه رؤس الملوك

فقلت له دع مالا يعنيك فقد ضيقت صدرى وأشغلت خاطرى فقال أظنك مستعجلا فقلت له نعم نعم نعم فقال تمهل على نفسك فان العجلة من الشيطان وهى تورث الندامة والحرمان وقد قال عليه الصلاة والسلام خير الامور ما كان فيه تأنّ وأنا والله رابنى أمرك فأشتهى أن تعرفنى ما الذى أنت مستعجل من أجله ولعله خير فانى أخشى أن يكون شيأ غير ذلك وقد بقى من الوقت ثلاث ساعات ثم غضب ورمى الموسى من يده وأخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس ووقف حصة مديدة وعاد وقال قد بقى لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله عليك اسكت عنى فقد فتت كبدى فأخذ الموسى وسنه كما فعل أولا وحلق بعض رأسى وقال أنا مهموم من عجلتك فلو أطلعتنى على سببها لكان خيرا لك لانك تعلم أن والدك ما كان يفعل شيأ الا بمشورتى فلما علمت أن مالى منه خلاص قلت فى نفسى قد جاء وقت الصلاة وأريد أن أمضى قبل أن تخرج الناس من الصلاة فان تأخرت ساعة لا أدرى أين السبيل الى الدخول اليها فقلت أوجز ودع عنك هذا الكلام والفضول فانى أريد أن أمضى الى دعوة عند أصحابى فلما سمع ذكر الدعوة قال يومك يوم مبارك علىّ لقد كنت البارحة حلفت على جماعة من أصدقائى ونسيت أن أجهز لهم شيأ يأكلونه وفى هذه الساعة تذكرت ذلك وافضيحتاه منهم فقلت له لا تهتمّ بهذا الامر بعد تعريفك اننى اليوم فى دعوة فكل ما فى دارى من طعام وشراب لك ان أنجزت أمرى وعجلت حلاقة رأسى فقال جزاك الله خيرا صف لى ما عندك لاضيافى حتى أعرفه فقلت عندى خمسة أوان من الطعام وعشر دجاجات محمرات وخروف مشوى فقال أحضرها لى حتى أنظر فأحضرت اليه جميع ذلك فلما عاينه قال بقى الشراب فقلت له عندى قال أحضره فاحضرته له فقال لله درك ما أكرم نفسك لكن بقى البخور والطيب فاحضرت له درجا فيه ند وعود وعنبر ومسك يساوى خمسين دينارا وكان الوقت قد ضاق حتى صار مثل صدرى فقلت له خذ هذا واحلق لى جميع رأسى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم فقال المزين والله ما آخذه حتى أرى جميع ما فيه فأمرت الغلام ففتح له الدرج فرمى المزين الاصطرلاب من يده وجلس على الارض يقلب الطيب

والبخور والعود الذى فى الدرج حتى كادت روحى أن تفارق جسمى ثم تقدم وأخذ الموسى وحلق من رأسى شيأ يسيرا وقال والله ياولدى ما أدرى أأشكرك أم أشكر والدك لان دعوتى اليوم كلها من بعض فضلك واحسانك وليس عندى من يستحق ذلك وانما عندى زيتون الحمامى وصليع الفسخانى وعوكل الفوال وعكرشة البقال وحميد الزبال وعكارش اللبان ولكل من هؤلاء رقصة يرقصها وأبيات ينشدها وأحسن مافيهم انهم مثل الملوك وعبدك أنا لاأعرف كثرة كلام ولافضول أما الحمامى فانه يقول ان لم أذهب اليها تجئنى بيتى وأما الزبال فانه ظريف خليع كثيرا مايرقص ويقول الخبز عند زوجتى ماصار فى صندوق وكل واحد من أصحابى له لطائف لاتوجد فى الآخر وليس الخبر كالعيان فان اخترت أن تحضر عندنا كان ذلك أحب اليك والينا واترك رواحك الى أصدقائك الذين قلت لى انك تريد الذهاب اليهم فان عليك أثر المرض وربما تمضى الى أقوام كثير ين الكلام يتكلمون فيما لايعنيهم وربما يكون فيهم واحد فضولى وأنت قلقت روحك من المرض فقلت ان شاء الله يكون ذلك فى غير هذا اليوم فقال لى الانسب أن تقدم حضورك عند أصحابى لتغتنم مؤانستهم وتفوز بملحهم وتعمل بقول الشاعر

لاتؤخر لذة ان أمكنت * انما الدهر سريع العطب

فضحكت عن قلب مشحون بالغيظ وقلت له اقض شغلى وأسير أنا فى أمان الله تعالى وتمضى أنت الى أصحابك فانهم منتظرون قدومك فقال ماطلبت الا أن أعاشرك بهؤلاء الاقوام فانهم من أولاد الناس الذين مافيهم فضولى ولو رأيتهم مرة واحدة لتركت جميع أصحابك فقلت له نعم الله سرورك بهم ولابد أن أحضرهم عندى يوما فقال اذا أردت ذلك وقدمت دعوة أصحابك فى هذا اليوم فاصبر حتى أمضى بهذا الاكرام الذى أكرمتنى به وأدعه عند أصحابى يأكلون ويشربون ولاينتظرونى ثم أعود اليك وأمضى معك الى اصدقائك فليس بينى و بين اصدقائى حشمة تمنعنى عن تركهم والعود اليك عاجلا وامضى معك أينما توجهت فقلت لاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم امض أنت الى أصدقائك وانشرح معهم ودعنى أمضى الى أصدقائى وأكون معهم فى هذا اليوم فانهم ينتظرون قدومى فقال المزين لاأدعك تمضى وحدك فقلت له ان الموضع الذى أمضى اليه لايقدر أحد أن يدخل فيه غيرى فقال أظنك اليوم فى ميعاد واحدة والا كنت تأخذنى معك وأنا أحق من جميع الناس وأساعدك على ماتريد فانى أخاف أن تدخل على امرأة أجنبية فتروح روحك فان هذه مدينة بغداد لايقدر أحد أن يعمل فيها شيأ من هذه الاشياء لاسيما فى مثل هذا اليوم وهذا والى بغداد صارم عظيم فقلت ويلك ياشيخ الشر أى شئ هذا الكلام الذى تقابلنى به فسكت سكوتا طويلا وأدركنا وقت الصلاة وجاء وقت

الخطبة

الحجابة وقد فرغ من حلق رأسى فقلت له امض الى أصحابك بهذا الطعام والشراب وأنا أنتظرك حتى تعود وتمضى معى ولم أزل أخادعه لعله يمضى فقال لى انك تخادعنى وتمضى وحدك وترمى نفسك فى مصيبة لا خلاص لك منها فالله الله لا تبرح حتى أعود اليك وأمضى معك حتى أعلم ما يتم من أمرك فقلت له نعم لا تبطئ علىّ فأخذ ما أعطيته من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندى فسلمه الى الحمال ليوصله الى منزله وأخفى نفسه فى بعض الازقة ثم قمت من ساعتى وقد أعلنوا على المنارات بسلام الجمعة فلبست ثيابى وخرجت وحدى وأتيت الى الزقاق ووقفت على البيت الذى رأيت فيه تلك الصبية واذا بالمزين خلفى ولا أعلم به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت واذا بصاحب الدار عاد الى منزله من الصلاة ودخل القاعة وغلق الباب فقلت من أين علم هذا الشيطان بى فاتفق فى هذه الساعة لامر يريده الله من هتك سترى أن صاحب الدار أذنبت جارية عنده فضربها فصاحت فدخل عنده عبد ليخلصها فضربه فصاح الآخر فاعتقد المزين أنه يضربنى فصاح ومزق أثوابه وحثى التراب على رأسه وصار يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول قتل سيدى فى بيت القاضى ثم مضى الى دارى وهو يصيح والناس خلفه وأعلم أهل بيتى وغلمانى فما دريت الا وهم قد أقبلوا يصيحون واسيداه كل هذا والمزين قدامهم وهو ممزق الثياب والناس معهم ولم يزالوا يصرخون وهو فى أوائلهم يصرخ وهم يقولون واقتيلاه وقد أقبلوا نحو الدار التى أنا فيها فلما سمع القاضى ذلك عظم عليه الامر وقام وفتح الباب فرأى جمعا عظيما فبهت وقال ياقوم ما القصة فقال له الغلمان انك قتلت سيدنا فقال ياقوم وما الذى فعله سيدكم حتى أقتله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان القاضى قال للغلمان ما الذى فعله سيدكم حتى أقتله ومالى أرى هذا المزين بين أيديكم فقال له المزين أنت ضربته فى هذه الساعة بالمقارع وأنا أسمع صياحه فقال القاضى وما الذى فعله حتى أقتله ومن أدخله دارى ومن أين جاء والى أين يقصد فقال له المزين لا تكن شيخا نحسا فأنا أعلم الحكاية وسبب دخول دارك وحقيقة الامر كله فبنتك تعشقه وهو يعشقها فعلمت أنه قد دخل دارك وأمرت غلمانك فضربوه والله ما بيننا وبينك الا الخليفة أو تخرج لنا سيدنا ليأخذه أهله ولا تحوجنى الى أن أدخل وأخرجه من عندكم وعجل أنت باخراجه فالتجم القاضى عن الكلام وصار فى غاية الخجل من الناس وقال للمزين ان كنت صادقا فادخل أنت وأخرجه فنهض المزين ودخل الدار فلما رأيت المزين دخل أردت أن أهرب فلم أجد لى مهربا غير انى رأيت فى الطبقة التى أنا فيها صندوقا كبيرا فدخلت فيه ورددت الغطاء عليّ وقطعت النفس فدخل القاعة بسرعة

ولم يلتفت الى غير الجهة التى أنا فيها بل قصد الموضع الذى أنا فيه والتفت يمينا وشمالا فلم يجد الا الصندوق الذى أنا فيه فحمله على رأسه فلما رأيت ذلك غاب رشدى ثم مر مسرعا فلما علمت أنه ما يتركنى فتحت الصندوق وخرجت منه بسرعة ورميت نفسى على الارض فانكسرت رجلى فلما توجهت الى الباب وجدت خلقا كثيرا لم أر فى عمرى مثل هذا الازدحام الذى حصل فى ذلك اليوم فجعلت أنثر الذهب على الناس ليشتغلوا به فاشتغل الناس به وصرت أجرى فى أزقة بغداد وهذا المزين خلفى وأى مكان دخلت فيه يدخل خلفى وهو يقول أرادوا أن يفجعونى فى سيدى الحمد لله الذى نصرنى عليهم وخلص سيدى من أيديهم فما زلت يا سيدى مولعا بالعجلة لسوء تدبيرك حتى فعلت بنفسك هذه الافعال فلولا من الله عليك بى ما كنت خلصت من هذه المصيبة التى وقعت فيها وربما كانوا يرمونك فى مصيبة لا تخلص منها أبدا فاطلب من الله أن أعيش لك حتى أخلصك والله لقد أهلكتنى بسوء تدبيرك وكنت تريد أنك تروح وحدك ولكن ما نؤاخذك على جهلك لانك قليل العقل عجول فقلت له أما كفاك ما جرى منك حتى تجرى ورائى فى الاسواق وصرت أتمنى الموت لاجل خلاصى منه فلا أجد موتا ينقذنى منه فمن شدة الغيظ فررت منه ودخلت دكانا فى وسط السوق واستجرت بصاحبها فمنعه عنى وجلست فى مخزن وقلت فى نفسى ما بقيت أقدر أن أفترق من هذا المزين بل يقيم عندى ليلا ونهارا ولم يبق فىّ قدرة على النظر الى وجهه فأرسلت فى الوقت أحضرت الشهود وكتبت وصية لاهلى وفرّقت مالى وجعلت انسانا ناظرا عليهم وأمرته أن يبيع الدار والعقارات وأوصيته بالكبار والصغار وخرجت مسافرا من ذلك الوقت حتى أتخلص من هذا القواد ثم جئت الى بلادكم فسكنتها ولى فيها مدة فلما عزمتم علىّ وجئت اليكم رأيت هذا القبيح القواد عندكم فى صدر المكان فكيف يستريح قلبى ويطيب مقامى عندكم مع هذا وقد فعل معى هذه الفعال وانكسرت رجلى بسببه ثم ان الشاب امتنع من الجلوس فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين أحق ما قاله هذا الشاب عنك فقال والله أنا فعلت ذلك بمعرفتى ولولا انى فعلت ذلك لهلك وما سبب نجاته الا أنا ومن فضل الله عليه بسببى انه أصيب برجله ولم يصب بروحه ولو كنت كثير الكلام ما فعلت معه ذلك الجميل وها أنا أقول لكم حديثا جرى لى حتى تصدقوا أنى قليل الكلام وما عندى فضول من دون اخوتى وذلك انى كنت ببغداد فى أيام خلافة أمير المؤمنين المنتصر بالله وكان يحب الفقراء والمساكين ويجالس العلماء والصالحين فاتفق له يوما انه غضب على عشرة أشخاص فأمر المتولى ببغداد أن يأتيه بهم فى زورق فنظرتهم أنا فقلت ما جمع هؤلاء الا لعزومة وأظنهم يقطعون يومهم فى هذا الزورق فى أكل وشرب وما يكون نديمهم غيرى

فقمت

فقمت ونزلت معهم واختلطت بهم فقعدوا فى الجانب الآخر فجاءهم أعوان الوالى بالاغلال ووضعوها فى رقابهم ووضعوا فى رقبتى غلا من جلتهم فهذا يا جماعة ما هو من مروءتى وقلة كلامى لانى ما رضيت أن أتكلم فاخذونا جميعا فى الاغلال وقدمونا بين يدى المنتصر بالله أمير المؤمنين فامر بضرب رقاب العشرة فضرب السياف رقاب العشرة وقد بقيت أنا فالتفت الخليفة فرآنى فقال للسياف ما بالك لا تضرب رقاب جميع العشرة فقال ضربت رقاب العشرة كلهم فقال له الخليفة ما أظنك ضربت رقاب غير تسعة وهذا الذى بين يدى هو العاشر فقال السياف وحق نعمتك انهم عشرة قال عدوهم فعدوهم فاذا هم عشرة فنظر الى الخليفة وقال ما حملك على سكوتك فى هذا الوقت وكيف صرت مع أصحاب الدم فلما سمعت خطاب أمير المؤمنين قلت له اعلم يا أمير المؤمنين انى أنا الشيخ الصامت وعندى من الحكمة شئ كثير وأما رزانة عقلى وجودة فهمى وقلة كلامى فانه لا نهاية لها وصنعتى الزيانة فلما كان أمس بكرة النهار نظرت هؤلاء العشرة قاصدين الزورق فاختلطت بهم ونزلت معهم وظننت انهم فى عزومة فما كان غير ساعة واذا هم أصحاب جرائم فحضرت اليهم الاعوان ووضعوا فى رقابهم الاغلال ووضعوا فى رقبتى غلا من جلتهم فمن فرط مروءتى سكت ولم أتكلم فعدم كلامى فى ذلك الوقت من فرط مروءتى فساروا بنا حتى أوقفونا بين يديك فامرت بضرب رقاب العشرة وبقيت أنا بين يدى السياف ولم أعرفكم بنفسى أما هذه مروءة عظيمة التى أحوجتنى الى أن أشاركهم فى القتل ولكن طول دهرى هكذا أفعل الجميل فلما سمع الخليفة كلامى وعلم أنى كثير المروءة قليل الكلام ما عندى فضول كما يزعم هذا الشاب الذى خلصته من الاهوال قال الخليفة واخوتك الستة مثلك فيهم الحكمة والعلم وقلة الكلام قلت لاعاشوا ولا بقوا ان كانوا مثلى ولكن ذممتنى يا أمير المؤمنين ولا ينبغى لك أن تقرن اخوتى بى لانهم من كثرة كلامهم وقلة مروءتهم كل واحد منهم بعاهة فمنهم واحد أعرج وواحد أعور وواحد أفلج وواحد أعمى وواحد مقطوع الاذنين والانف وواحد مقطوع الشفتين وواحد أحول العينين ولا تحسب يا أمير المؤمنين أنى كثير الكلام ولا بد أن أبين لك انى أعظم مروءة منهم ولكل واحد حكاية اتفقت له حتى صار فيه عاهة وان شئت أن أحكى لك فاعلم يا أمير المؤمنين ان الاول وهو الاعرج كان صنعته الخياطة ببغداد فكان يخيط فى دكان استأجرها من رجل كثير المال وكان ذلك الرجل ساكنا على الدكان وكان فى أسفل دار الرجل طاحون فبينما أخى الاعور جالس فى الدكان فى بعض الايام يخيط اذ رفع رأسه فرأى امرأة كالبدر الطالع فى روشن الدار وهى تنظر الى الناس فلما رآها أخى تعلق قلبه بحبها وصار يومه ذلك ينظر اليها وترك اشتغاله بالخياطة الى وقت المساء فلما كان وقت الصباح فتح دكانه

وقعد يخيط وهو كلما غرز غرزة ينظر الى الروشن فمكث على ذلك مدة لم يخيط شيأ يساوى درهما فاتفق ان صاحب الدار جاء الى أخى يوما من الايام ومعه قماش وقال له فصل لى هذا وخيطه أقمصة فقال أخى سمعا وطاعة ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصا الى وقت العشاء وهو لم يذق طعاما ثم قال له كم أجرة ذلك فلم يتكلم أخى فاشارت اليه الصبية بعينها الا تأخذ منه شيأ وكان محتاجا الى فلس واستمر ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب الا القليل بسبب اجتهاده فى تلك الخياطة فلما فرغ من الخياطة التى لهم أتى اليهم بالاقمصة وكانت الصبية قد عرفت زوجها بحال أخى وأخى لا يعلم ذلك واتفقت هى وزوجها على استعمال أخى فى الخياطة بلا أجرة بل يضحكون عليه فلما فرغ أخى من جميع أشغالهما عملا عليه حيلة وزوجاه بجاريتهما وليلة أراد أن يدخل عليها قالا له بت الليلة فى الطاحون الى غد يكون خيرا فاعتقد أخى أن لهما قصدا صحيحا فبات فى الطاحون وحده وراح زوج الصبية غمز الطحان عليه ليدوره فى الطاحون فدخل عليه الطحان فى نصف الليل وجعل يقول ان هذا الثور بطال مع ان القمح كثير وأصحاب الطحين يطلبونه فانا أعلقه فى الطاحون حتى يخلص طحين القمح فعلقه فى الطاحون الى قريب الصبح فجاء صاحب الدار فرأى أخى معلقا فى الطاحون والطحان يضربه بالسوط فتركه ومضى وبعد ذلك جاءت الجارية التى عقد عليها وكان مجيئها فى بكرة النهار فحلته من الطاحون وقالت قد شق على وعلى سيدتى ما جرى لك وقد حملنا همك فلم يكن له لسان يرد جوابا من شدة الضرب ثم ان أخى رجع الى منزله واذا بالشيخ الذى كتب الكتاب قد جاء وسلم عليه وقال له حياك الله زواجك مبارك انك بت الليلة فى النعيم والدلال والعناق من العشاء الى الصباح فقال له أخى لا سلم الله الكاذب يا ألف قواد والله ماجئت الا لاطحن فى موضع الثور الى الصباح فقال له حدثنى بحديثك فحدثه أخى بما وقع له فقال له ما وافق نجمك نجمها ولكن اذا شئت أن أغير لك عقد العقد أغيره لك باحسن منه لاجل ان يوافق نجمك نجمها فقال له انظران بقى لك حيلة أخرى ثم ان أخى تركه وأتى الى دكانه ينتظر أحدا يأتى اليه بشغل يتقوت من أجرته واذا هو بالجارية قد أتت اليه وكانت اتفقت مع سيدتها على تلك الحيلة فقالت له ان سيدتى مشتاقة اليك وقد طلعت السطح لترى وجهك من الروشن فلم يشعر أخى الا وهى قد طلعت له من الروشن وصارت تبكى وتقول لاى شئ قطعت المعاملة بيننا وبينك فلم يرد عليها جوابا فحلفت له ان جميع ما وقع له فى الطاحون لم يكن باختيارها فلما نظر أخى الى حسنها وجمالها ذهب عنه ما حصل له وقبل عذرها وفرح برؤيتها ثم سلم عليها وتحدث معها وجلس فى خياطته مدة وبعد ذلك ذهبت اليه الجارية وقالت له تسلم عليك سيدتى وتقول لك ان زوجها قد عزم على انه يبيت عند بعض أصدقائه فى هذه الليلة فاذا مضى عندهم تكون أنت

عندنا

عندنا وتبيت مع سيدتي في ألذ عيش الى الصباح وكان زوجها قد قال لها ما يكون العمل في مجيئه عندك حتى آخذه وأجره الى الوالي فقالت دعني أحتال عليه بحيلة وأفضحه فضيحة يشتهر بها في هذه المدينة وأخي لا يعلم شيأ من كيد النساء فلما أقبل المساء جاءت الجارية الى أخي وأخذته ورجعت به الى سيدتها فقالت له والله يا سيدي اني مشتاقة اليك كثيرا فقال بالله عجلي بقبلة قبل كل شيء فلم يتم كلامه الا وقد حضر زوج الصبية من بيت جاره فقبض على أخي وقال له والله لا أفارقك الا عند صاحب الشرطة فتضرع اليه أخي فلم يسمعه بل حمله الى دار الوالي فضربه بالسياط وأركبه جملا ودوره في شوارع المدينة والناس ينادون عليه هذا جزاء من يهجم على حريم الناس ووقع من فوق الجمل فانكسرت رجله فصار أعرج ثم نفاه الوالي من المدينة فخرج لا يدري أين يقصد فاغتظت أنا فلحقته وأتيت به والتزمت بأكله وشربه الى الآن فضحك الخليفة من كلامي وقال أحسنت فقلت لا أقبل هذا التعظيم منك دون أن تصغي الى حتى أحكي لك ما وقع لبقية اخوتي ولا تحسب اني كثير الكلام فقال الخليفة حدثني بما وقع لجميع اخوتك وشنف مسامعي بهذه الرقائق واسلك سبيل الاطناب في ذكر هذه اللطائف فقلت اعلم يا أمير المؤمنين ان أخي الثاني كان اسمه بقبق وقد وقع له انه كان ماشيا يوما من الايام متوجها الى حاجة له واذا هو بعجوز قد استقبلته وقالت له أيها الرجل قف قليلا حتى أعرض عليك أمرا فان أعجبك فاقضه لي فوقف أخي فقالت له أدلك على شيء وأرشدك اليه بشرط ان لا يكون كلامك كثيرا فقال لها أخي هاتي كلامك قالت له ما قولك في دار حسنة وماؤها يجري وفاكهة ومدام ووجه مليح تشاهده وخد أسيل تقبله وقد رشيق تعانقه ولم تزل كذلك من العشاء الى الصباح فان فعلت ما اشترط عليك رأيت الخير فلما سمع أخي كلامها قال لها يا سيدتي وكيف قصدتيني بهذا الامر من دون الخلق أجمعين فاي شيء أعجبك مني فقالت لاخي ما قلت لك لا تكن كثير الكلام واسكت وامض معي ثم ولت العجوز وسار أخي تابعا لها طمعا فيما وصفته له حتى دخلا دارا فسيحة وصعدت به من أدنى الى أعلى فرأى قصرا ظريفا فنظر أخي فرأى فيه أربع بنات ما رأى الراؤن أحسن منهن وهن يغنين باصوات تطرب الحجر الاصم ثم ان بنتا منهن شربت قدحا فقال لها أخي بالصحة والعافية وقام ليخدمها فمنعته من الخدمة ثم سقته قدحا فشرب وصفعته على رقبته فلما رأى أخي منها ذلك خرج مغضبا ومكثر الكلام فتبعته العجوز وجعلت تغمزه بعينها يعني ارجع فرجع وجلس ولم ينطق فاعادت الصفع على قفاه الى أن أغمى عليه ثم قام أخي لقضاء حاجته فلحقته العجوز وقالت له اصبر قليلا حتى تبلغ ما تريد فقال لها أخي الى كم أصبر قليلا فقالت له العجوز اذا سكرت بلغت مرادك فرجع أخي الى مكانه وجلس فقامت البنات كلهن

وأمرتهن العجوز أن يجردنه من ثيابه وأن يرششن على وجهه ماء ورد ففعلن ذلك وقالت الصبية البارعة الجمال منهن أعزك الله قد دخلت منزلي فان صبرت على شرطي بلغت مرادك فقال لها أخي ياسيدتي أنا عبدك وفي قبضة يدك فقالت له اعلم ان الله أشغفني بحب الطرب فمن أطاعني نال ما يريد ثم أمرت الجواري أن يغنين فغنين حتى طرب المجلس ثم قالت للجارية خذي سيدك واقضي حاجته واتيني به في الحال فأخذت الجارية أخي وهو لا يدري ماتصنع به فلحقته العجوز وقالت له اصبر مابقي الا القليل فاقبل أخي على الصبية والعجوز تقول اصبر فقد بلغت ما تريد وانما بقي شيء واحد وهو ان تحلق ذقنك فقال لها أخي وكيف أعمل في فضيحتي بين الناس فقالت له العجوز انها ما أرادت أن تفعل بك ذلك الا لاجل أن تصير أمرد بلا ذقن ولا يبقى في وجهك شيء يشكها فانها صار في قلبها لك محبة عظيمة فاصبر فقد بلغت المنى فصبر أخي وطاوع الجارية وحلق ذقنه وجاءت به الى الصبية واذا هو محلوق الحاجبين والشاربين والذقن محمر الوجه ففزعت منه ثم ضحكت حتى استلقت على قفاها وقالت ياسيدي لقد ملكتني بهذه الاخلاق الحسنة ثم حلفته بحياتها أن يقوم ويرقص فقام ورقص فلم تدع في البيت مخدة حتى ضربته بها وكذلك جميع الجواري صرن يضربنه بمثل نارنجة وليمونة وأترجة الى أن سقط مغشيا عليه من الضرب ولم يزل الصفع على قفاه والرجم في وجهه الى أن قالت له العجوز الآن بلغت مرادك واعلم أنه ما بقي عليك من الضرب شيء وما بقي الاشيء واحد وذلك ان من عادتها أنها اذا سكرت لاتمكن احدا من نفسها حتى تقلع ثيابها وسراويلها وتبقى عريانة من جميع ثيابها وأنت الآخر تقلع ثيابك وتجري وراءها وهي تجري قدامك كأنها هاربة منك ولم تزل تابعها من مكان الى مكان حتى يقوم ايرك فتمكنك من نفسها ثم قالت له قم اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه جميعا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان أخا المزين لما قالت له العجوز قم اقلع ثيابك قام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه وصار عريانا فقالت الجارية لاخي قم الآن واجر ورائي وأجري أنا قدامك واذا أردت شيأ فاتبعني فجرت قدامه وتبعها ثم جعلت تدخل من محل الى محل وتخرج من محل الى محل آخر وأخي وراءها وقد غلب عليه الشبق وايره قائم كأنه مجنون ولم تزل تجري قدامه وهو يجري وراءها حتى سمع منها صوتا رقيقا وهي تجري قدامه وهو يجري وراءها فبينما هو كذلك اذ رأى نفسه في وسط زقاق وذلك الزقاق في سوق الجلادين وهم ينادون على الجلود فرآه الناس على تلك الحالة وهو عريان قائم الاير محلوق الذقن والحواجب والشوارب محمر الوجه فصاحوا عليه وصاروا يضحكون ويقهقهون وصار بعضهم

يصفعه بالجلود وهو عريان حتى غشى عليه وحملوه على حمار حتى وصلوه الى الوالى فقال ماهذا قالوا هذا واقع لنا من بيت الوزير وهو على هذه الحالة فضربه الوالى مائة سوط وخرجت أنا خلفه وجئت به وأدخلته المدينة سرا ثم رتبت له مايقتات به فلولا مروءتى ما كنت أحتمل مثله وأما أخى الثالث فاسمه قفة ساقه القضاء والقدر الى دار كبيرة فدق الباب طامعا أن يكلمه صاحبها فيسأله شيأ فقال صاحب الدار من بالباب فلم يكلمه أحد فسمعه أخى يقول بصوت عال من هذا فلم يكلمه أخى وسمع مشيه حتى وصل الى الباب وفتحه فقال له ماتريد قال له أخى شيأ لله تعالى فقال له هل أنت ضرير قال له أخى نعم فقال له ناولنى يدك فناوله يده فادخله الدار ولم يزل يصعد به من سلم الى سلم حتى وصل الى أعلى السطوح وأخى يظن انه يطعمه شيأ أو يعطيه شيأ فلما انتهى الى أعلى مكان قال لاخى ماتريد ياضرير قال أريد شيأ لله تعالى فقال له يفتح الله عليك فقال له أخى ياهذا أما كنت تقول لى ذلك وأنا فى الاسفل فقال له يا أسفل السفلة لم تسألنى شيأ لله حين سمعت كلامى أول مرة وأنت تدق الباب فقال أخى وفى هذه الساعة ماتريد ان تصنع بى فقال له ماعندى شئ حتى أعطيك اياه قال له انزل بى الى السلالم فقال له الطريق بين يديك فقام أخى واستقبل السلالم ومازال نازلا حتى بقى بينه وبين الباب عشرون درجة فزلقت رجله فوقع ولم يزل واقعا منحدرا فى السلالم حتى انشجت رأسه فخرج وهو لا يدرى أين يذهب فلحقه بعض رفقائه العميان فقالوا له أى شئ حصل لك فى هذا اليوم فحدثهم بما وقع له ثم قال لهم يا اخوانى أريد أن آخذ شيأ من الدراهم التى بقيت معنا وانفق منه على نفسى وكان صاحب الدار مشى خلفه ليعرف حاله فسمع كلامه وأخى لايدرى بأن الرجل يسعى خلفه الى أن دخل أخى مكانه ودخل الرجل خلفه وهو لايشعر به وقعد أخى ينتظر رفقاءه فلما دخلوا عليه قال لهم اغلقوا الباب وفتشوا البيت كى لايكون أحد غريب تبعنا فلما سمع الرجل كلام أخى قام وتعلق بحبل كان فى السقف فطافوا البيت جميعه فلم يجدوا أحدا ثم رجعوا وجلسوا الى جانب أخى وأخرجوا الدراهم التى معهم وعدوها فاذا هى عشرة آلاف درهم فتركوها فى زاوية البيت وأخذ كل واحد مما زاد عنها مايحتاج اليه ودفنوا العشرة آلاف درهم فى التراب ثم قدموا بين أيديهم شيأ من الأكل وقعدوا يأكلون فاحس أخى بصوت غريب فى جهته فقال لاصحابه هل معنا غريب ثم مد يده فتعلقت بيد الرجل صاحب الدار فصاح على رفقائه وقال هذا غريب فوقعوا فيه ضربا فلما طال عليهم ذلك صاحوا يامسلمون دخل علينا لص يريد أن يأخذ مالنا فاجتمع عليهم خلق كثير فتعامى الرجل الغريب صاحب الدار الذى ادعوا عليه انه لص وأغمض عينيه وأظهر انه أعمى مثلهم بحيث لايشك فيه أحد وصاح يامسلمون انا بالله والسلطان أنا بالله والوالى أنا بالله والأمير فان

عندي نصيحة للامير فلم يشعروا الا وقد احتاط بهم جماعة الوالي فاخذوهم وأخي معهم وأحضروهم بين يديه فقال الوالي ما خبركم فقال ذلك الرجل اسمع كلامي أيها الوالي لا يظهر لك حقيقة حالنا الا بالعقوبة وان شئت فابدأ بعقوبتي قبل رفقائي فقال الوالي اطرحوا هذا الرجل واضربوه بالسياط فطرحوه وضربوه فلما وجعه الضرب فتح احدى عينيه فلما ازداد عليه الضرب فتح عينه الاخرى فقال له الوالي ما هذه الفعال يا فاجر فقال أعطني الامان وأنا أخبرك فأعطاه الامان فقال نحن أربعة نعمل أرواحنا عميانا ونمر على الناس وندخل البيوت وننظر النساء ونحتال في فسادهن واكتساب الاموال من طرفهن وقد حصلنا من ذلك مكسبا عظيما وهو عشرة آلاف درهم فقلت لرفقائي أعطوني حقي ألفين وخمسمائة فقاموا وضربوني وأخذوا مالي وأنا مستجير بالله وبك وأنت أحق بحصتي من رفقائي وان شئت أن تعرف صدق قولي فاضرب كل واحد أكثر مما ضربتني فانه يفتح عينيه فعند ذلك أمر الوالي بعقوبتهم وأول ما بدأ بأخي ولازالوا يضربونه حتى كاد أن يموت ثم قال لهم الوالي يا فسقة أتجحدون نعمة الله وتدعون انكم عميان فقال أخي الله الله الله مافينا بصير فطرحوه الى الضرب ثانيا ولم يزالوا يضربونه حتى غشي عليه فقال الوالي دعوه حتى يفيق وأعيدوا عليه الضرب ثالث مرة ثم أمر بضرب أصحابه كل واحد أكثر من ثلثمائة عصا والبصير يقول لهم افتحوا عيونكم والا جددوا عليكم الضرب ثم قال للوالي ابعث معي من يأتيك بالمال فان هؤلاء ما يفتحون أعينهم ويخافون من فضيحتهم بين الناس فبعث الوالي من أتاه بالمال فأخذه وأعطى الرجل منه ألفين وخمسمائة درهم على قدر حصته رغما عنهم ونفى أخي وباقي الثلاثة خارج المدينة فخرجت أنا يا أمير المؤمنين ولحقت أخي وسألته عن حاله فأخبرني بما ذكرته لك فأدخلته المدينة سرا ورتبت له ما يأكل وما يشرب طول عمره فضحك الخليفة من حكايتي وقال صلوه بجائزة ودعوه ينصرف فقلت له والله ما آخذ شيأ حتى أبين لامير المؤمنين ما جرى لبقية اخوتي وأوضح له اني قليل الكلام فقال الخليفة اصدع آذاننا بخرافة خبرك وزدنا من عجرك وبجرك فقلت وأما أخي الرابع يا أمير المؤمنين وهو الاعور فانه كان جزارا ببغداد يبيع اللحم ويربي الخرفان وكانت الكبار وأصحاب الاموال يقصدونه ويشترون منه اللحم فاكتسب من ذلك مالا عظيما واقتنى الدواب والدور ثم أقام على ذلك زمنا طويلا فبينما هو في دكانه يوم من الايام اذ وقف عليه شيخ كبير اللحية فدفع له دراهم وقال أعطني بها لحما فأخذ منه الدراهم وأعطاه اللحم وانصرف فتأمل أخي في فضة الشيخ فرأى دراهمه بيضاء بياضها ساطع فعزلها وحدها في ناحية وأقام الشيخ يتردد عليه خمسة أشهر وأخي يطرح دراهمه في صندوق وحدها ثم أراد أن يخرجها ويشتري غنما فلما فتح الصندوق رأى جميع

مافيه

مافيه ورقا أبيض مقصوصا فلطم وجهه وصاح فاجتمع الناس عليه فحدثهم بحديثه فتعجبوا منه ثم رجع أخي الى الدكان على عادته فذبح كبشا وعلقه داخل الدكان وقطع لحما وعلقه خارج الدكان وصار يقول فى نفسه لعل ذلك الشيخ يجيء فأقبض عليه فما كان الا ساعة وقد أقبل الشيخ ومعه الفضة فقام أخي وتعلق به وصار يصيح يا مسلمون الحقوني واسمعوا قصتي مع هذا الفاجر فلما سمع الشيخ كلامه قال له أى شيء أحب اليك أن تعرض عن فضيحتي أو افضحك بين الناس فقال له أخي بأى شيء تفضحني قال بأنك تبيع لحم الناس فى صورة لحم الغنم فقال له أخي كذبت يا ملعون فقال الشيخ ما ملعون الا الذى عنده رجل معلق فى الدكان فقال له أخي ان كان الامر كما ذكرت فمالى ودمى حلال لك فقال الشيخ يا معاشر الناس ان هذا الجزار يذبح الآدميين ويبيع لحمهم فى صورة لحم الغنم وان أردتم أن تعلموا صدق قولى فادخلوا دكانه فهجم الناس على دكان أخي فرأوا ذلك الكبش صار انسانا معلقا فلما رأوا ذلك تعلقوا بأخي وصاحوا عليه يا كافر يا فاجر وصار أعز الناس عليه يضربه ولطمه الشيخ على عينه فقلعها وحمل الناس ذلك المذبوح الى صاحب الشرطة فقال له الشيخ أيها الامير ان هذا الرجل يذبح الناس ويبيع لحمهم على انه لحم غنم وقد أتيناك به فقم واقض حق الله عز وجل فدافع أخي عن نفسه فلم يسمع منه صاحب الشرطة بل أمر بضربه خمسمائة عصا وأخذوا جميع ماله ولولا كثرة ماله لقتلوه ثم نفوا أخي من المدينة فخرج هائما لا يدرى أين يتوجه حتى دخل مدينة كبيرة واستحسن أن يعمل اسكافيا ففتح دكانا وقعد يعمل شيأ يتقوت منه فخرج ذات يوم فى حاجة فسمع صهيل خيل فبحث عن سبب ذلك فقيل له ان الملك خارج الى الصيد والقنص فخرج أخي ليتفرج على الموكب وهو يتعجب من خسة رأيه حيث انتقل من صنعة الجزارة الى صنعة الاساكفة فالتفت الملك فوقعت عينه على عين أخي فأطرق الملك رأسه وقال أعوذ بالله من شر هذا اليوم وثنى عنان فرسه وانصرف راجعا فرجع جميع العسكر وأمر الملك غلمانه أن يلحقوا أخي ويضربوه فلحقوه وضربوه ضربا وجيعا حتى كاد أن يموت ولم يدر أخي ما السبب فرجع الى موضعه وهو فى حالة العدم ثم مضى الى انسان من حاشية الملك وقص عليه ما وقع له فضحك حتى استلقى على قفاه وقال له يا أخي اعلم ان الملك لا يطيق أن ينظر الى أعور لا سيما ان كان العور شمالا فانه لا يرجع عن قتله فلما سمع أخي ذلك الكلام عزم على الهروب من تلك المدينة ثم ارتحل منها وتحول الى مدينة أخرى لم يكن فيها ملك وأقام بها زمنا طويلا ثم بعد ذلك تفكر فى أمره وخرج يوما ليتفرج فسمع صهيل خيل خلفه فقال جاء أمر الله وفر يطلب موضعا يستتر فيه فلم يجد ثم نظر فرأى بابا منصوبا فدفع ذلك الباب فوقع فدخل فرأى دهليزا طويلا فاستمر داخلا

فيه فلم يشعر الا ورجلان قد تعلقا به وقالا له الحمد لله الذى أمكننا منك يا عدو الله هذه ثلاث ليال ما أرحتنا ولا تركتنا ننام ولا يستقر لنا مضجع بل أذقتنا طعم الموت فقال أخى يا قوم ما أمركم فقالوا أنت تراقبنا وتريد أن تفضحنا وتفضح صاحب البيت أما يكفيك انك أفقرته وأفقرت أصحابك ولكن أخرج لنا السكين التى تهددنا بها كل ليلة وفتشوه فوجدوا فى وسطه السكين التى يقطع بها النعال فقال يا قوم اتقوا الله فى أمرى واعلموا أن حديثى عجيب فقالوا وما حديثك فحدثهم بحديثه طمعا ان يطلقوه فلم يسمعوا منه ما قاله ولم يلتفتوا اليه بل ضربوه ومزقوا أثوابه فلما تمزقت أثوابه وانكشف بدنه وجدوا أثر الضرب بالمقارع على جنبيه فقالوا له يا ملعون هذا أثر الضرب يشهد على جرمك ثم أحضروا أخى بين يدى الوالى فقال فى نفسه قد وقعت بذنوبى وما يخلصنى الا الله تعالى فلما حضر بين يدى الوالى قال له يا فاجر ما حملك على أن ضربت بالمقارع الا جرم عظيم ثم ضرب أخى مائة سوط ثم حملوه على جمل ونادوا عليه هذا جزاء من يهجم على بيوت الناس فلما سمعت به أنا خرجت اليه ومازلت دائرا معه وهم ينادون عليه حتى تركوه فأتيت اليه وأخذته وأدخلته المدينة سرا ورتبت له ما يأكل وما يشرب * وأما أخى الخامس فانه كان مقطوع الاذنين يا أمير المؤمنين وكان رجلا فقيرا يسأل الناس ليلا وينفق ما يحصله بالسؤال نهارا وكان والدنا شيخا كبيرا طاعنا فى السن فخلف لنا سبعمائة درهم فأخذ كل واحد منا مائة درهم وأما أخى الخامس هذا فانه لما أخذ حصته تحير ولم يدر ما يصنع بها فبينما هو كذلك اذ وقع فى خاطره انه يأخذ بها زجاجا من كل نوع ليتجر فيه ويربح فاشترى بالمائة درهم زجاجا وجعله فى قفص كبير وقعد فى موضع ليبيع ذلك الزجاج وبجانبه حائط فأسند ظهره اليها وقعد متفكرا فى نفسه وقال ان رأس مالى فى هذا الزجاج مائة درهم وأنا أبيعه بمائتى درهم ثم أشترى بالمائتى درهم زجاجا أبيعه بأربعمائة درهم ولا أزال أبيع وأشترى الى أن يبقى معى مال كثير فأشترى به من جميع المتاجر والعطريات حتى يربح ربحا عظيما وبعد ذلك أشترى دارا حسنة وأشترى المماليك والخيل والسروج المذهبة وآكل وأشرب ولا أخلى مغنية فى المدينة حتى أجىء بها فى بيتى وأسمع مغانيها هذا كله وهو يحسب فى نفسه وقفص الزجاج قدامه ثم قال وأبعث جميع الخاطبات فى خطبة بنات الملوك والوزراء وأخطب بنت الوزير فقد بلغنى انها كاملة الحسن بديعة الجمال وأمهرها بألف دينار فان رضى أبوها حصل المراد وان لم يرض أخذتها قهرا على رغم أنفه فان حصلت فى دارى اشترى عشرة خدام صغار ثم اشترى لى كسوة الملوك والسلاطين وأصوغ لى سرجا من الذهب مرصعا بالجواهر ثم أركب ومعى المماليك يمشون حولى وقدامى وخلفى حتى اذا رآنى الوزير قام اجلالا لى وأقعدنى مكانه ويقعد هو دونى لانه صهرى ويكون معى خادمان

بكيسين

بكيسين فى كل كيس ألف دينار فأعطيه ألف دينار مهر بنته وأهدى اليه الالف الثانى انعاما حتى أظهر له مروءتى وكرمى وصغر الدنيا فى عينى ثم أنصرف الى دارى فاذا جاء أحد من جهة امرأتى وهبت له دراهم وخلعت عليه خلعة وان أرسل الىّ الوزير هدية رددتها عليه ولو كانت نفيسة ولم أقبلها منه حتى يعلموا انى عزيز النفس ولا أخلى نفسى الا فى أعلى مكانة ثم أقدم اليهم فى اصلاح شانى وتعظيمى فاذا فعلوا ذلك أمرتهم بزفافها ثم أصلح دارى اصلاحا بينا فاذا جاء وقت الجلاء لبست أفخر ثيابى وقعدت على مرتبة من الديباج لا ألتفت يمينا ولا شمالا لكبر عقلى ورزانة فهمى وتجىء امرأتى وهى كالبدر فى حليها وحللها وأنا أنظر اليها عجبا وتيها حتى يقول جميع من حضر ياسيدى امرأتك وجاريتك قائمة بين يديك فانعم عليها بالنظر فقد أضربها القيام ثم يقبلون الارض قدامى مرارا فعند ذلك أرفع رأسى وأنظر اليها نظرة واحدة ثم أطرق برأسى الى الارض فيمضون بها وأقوم أنا وأغير ثيابى وألبس أحسن مما كان علىّ فاذا جاؤا بالعروسة المرّة الثانية لا أنظر اليها حتى يسألونى مرارا فأنظر اليها ثم أطرق الى الارض ولم أزل كذلك حتى يتم جلاؤها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان أخا المزين الخامس قال ثم أطرق الى الارض ولم أزل كذلك حتى يتم جلاؤها ثم انى آمر بعض الخدام أن يرمى كيسا فيه خمسمائة دينار للمواشط فاذا أخذته المواشط آمرهن أن يدخلننى عليها فاذا أدخلننى عليها لا أنظر اليها ولا أكلمها احتقارا لها لاجل أن يقال انى عزيز النفس حتى تجىء أمها تقبل رأسى ويدى وتقول لى ياسيدى انظر جاريتك فانها تشتهى قربك فاجبر خاطرها بكلمة فلا أرد عليها جوابا ولم تزل كذلك تستعطفنى حتى تقوم وتقبل يدى ورجلى مرارا ثم تقول ياسيدى ان بنتى صبية مليحة ما رأت رجلا فاذا رأت منك هذا الانقباض انكسر خاطرها فمل اليها وكلمها ثم انها تقوم وتحضر لى قدحا فيه شراب ثم ان بنتها تاخذ القدح لتعطينى فاذا جاءتنى تركتها قائمة بين يدىّ وأنا متكئ على مخدة مزركشة بالذهب لا أنظر اليها من كبر نفسى وجلالة قدرى حتى تظن فى نفسها انى سلطان عظيم الشان فتقول ياسيدى بحق الله عليك لا تردّ القدح من يد جاريتك فانى جاريتك فلا أكلمها فتلح علىّ وتقول لابدّ من شربه وتقدمه الى فمى فأنفض يدى فى وجهها وأرفسها وأعمل هكذا ثم رفس أخى برجله فجاءت فى قفص الزجاج وكان فى مكان مرتفع فنزل على الارض فتكسر كل ما فيه ثم قال أخى هذا كله من كبر نفسى ولو كان أمره الىّ يا أمير المؤمنين لضربته ألف سوط وشهرته فى البلد ثم بعد ذلك صار أخى يلطم على وجهه ومزق ثيابه وجعل يبكى ويلطم والناس ينظرون اليه وهم رائحون الى صلاة الجمعة فمنهم من يرمقه ومنهم من

لم يفكر فيه وهو على تلك الحالة وراح منه رأس المال والربح ولم يزل جالسا يبكي واذا بامرأة مقبلة الى صلاة الجمعة وهي بديعة الجمال تفوح منها رائحة المسك وتحتها بغلة برذعتها من الديباج مزركشة بالذهب ومعها عدد من الخدم فلما نظرت الى الزجاج وحال أخي وبكائه أخذتها الشفقة عليه ورق قلبها له وسألت عن حاله فقيل لها انه كان معه طبق زجاج يتعيش منه فانكسر منه فأصابه ما تنظرينه فنادت بعض الخدام وقالت له ادفع الذي معك الى هذا المسكين فدفع له صرة فأخذها فلما فتحها وجد فيها خمسمائة دينار فكاد أن يموت من شدة الفرح وأقبل أخي بالدعاء لها ثم عاد الى منزله غنيا وقعد متفكرا واذا بداق يدق الباب فقام وفتح واذا بعجوز لا يعرفها فقالت له يا ولدي اعلم ان الصلاة قد قرب زوال وقتها وأنا بغير وضوء وأطلب منك أن تدخلني منزلك حتى أتوضأ فقال لها سمعا وطاعة ثم دخل أخي وأذن لها بالدخول وهو طائر من الفرح بالدنانير فلما فرغت أقبلت الى الموضع الذي هو جالس فيه وصلت هناك ركعتين ثم دعت لاخي دعاء حسنا فشكرها على ذلك وأعطاها دينارين فلما رأت ذلك قالت سبحان الله اني لاعجب ممن أحبك وأنت بسمة الصعاليك فخذ مالك عني وان كنت غير محتاج اليه فارده الى التي أعطتك اياه لما انكسر الزجاج منك فقال لها أخي يا أمي كيف الحيلة في الوصول اليها قالت يا ولدي انها تميل اليك لكنها زوجة رجل موسر فخذ جميع مالك معك فاذا اجتمعت بها فلا تترك شيئا من الملاطفة والكلام الحسن الا وتفعله معها فانك تنال من جمالها ومن مالها جميع ما تريده فأخذ أخي جميع الذهب وقام ومشى مع العجوز وهو لا يصدق بذلك فلم تزل تمشي وأخي يمشي وراءها حتى وصلا الى باب كبير فدقته فخرجت جارية رومية وفتحت الباب فدخلت العجوز وأمرت أخي بالدخول فدخل دارا كبيرة فلما دخلها رأى فيها مجلسا كبيرا مفروشا وستائر مسبلة فجلس أخي ووضع الذهب بين يديه ووضع عمامته على ركبته فلم يشعر الا وجارية اقبلت ما رأى مثلها الراؤن وهي لابسة أفخر القماش فقام أخي على قدميه فلما رأته ضحكت في وجهه وفرحت به ثم ذهبت الى الباب وأغلقته ثم أقبلت على أخي وأخذت يده ومضيا جميعا الى أن أتيا الى حجرة منفردة فدخلاها واذا هي مفروشة بأنواع الديباج فجلس أخي وجلست بجانبه ولاعبته ساعة زمانية ثم قامت وقالت له لا تبرح حتى أجيء اليك وغابت عن أخي ساعة فبينما هو كذلك اذ دخل عليه عبد أسود عظيم الخلقة ومعه سيف مجرد يأخذ لمعانه بالبصر وقال لاخي يا ويلك من جاء بك الى هذا المكان يا أخس الانس يا ابن الزانية وتربية الخنا فلم يقدر أخي أن يرد عليه جوابا بل انعقد لسانه في تلك الساعة فأخذه العبد وأعراه ولم يزل يضربه بالسيف صفحا ضربات متعددة أكثر من ثمانين ضربة الى أن سقط من طوله على الارض فرجع العبد عنه واعتقد انه مات وصاح

صيحة

صيحة عظيمة بحيث ارتجت الارض من صوته ودوى له المكان وقال أين المليحة فأقبلت اليه جارية في يدها طبق مليح فيه ملح أبيض فصارت الجارية تأخذ من ذلك الملح وتحشو الجراحات التي في جلد أخي حتى تهورت وأخي لا يتحرك خيفة أن يعلموا انه حي فيقتلوه ثم مضت الجارية وصاح العبد صيحة مثل الاولى فجاءت العجوز الى أخي وجرته من رجله الى سرداب طويل مظلم ورمته فيه على جماعة مقتولين فاستقر في مكانه يومين كاملين وكان الله سبحانه جعل الملح سببا لحياته لانه قطع عروق الدم فلما رأى أخي في نفسه القوة على الحركة قام من السرداب وفتح طاقة في الحائط وخرج من مكان القتلى وأعطاه الله عز وجل الستر فمشى في الظلام واختفى في ذلك الدهليز الى الصبح فلما كان وقت الصبح خرجت العجوز في طلب صيد آخر فخرج أخي في أثرها وهي لا تعلم به حتى أتى الى منزله ولم يزل يعالج نفسه حتى برئ ولم يزل يتعهد العجوز وينظر اليها كل وقت وهي تأخذ الناس واحدا بعد واحد وتوصلهم الى تلك الدار وأخي لا ينطق بشئ ثم لما رجعت اليه صحته وكملت قوته عمد الى خرقة وعمل منها كيسا وملأه زجاجا وشده في وسطه وتنكر حتى لا يعرفه أحد ولبس ثياب العجم وأخذ سيفا وجعله تحت ثيابه فلما رأى العجوز قال لها بكلام العجم يا عجوز هل عندك ميزان يسع تسعمائة دينار فقالت العجوز لي ولد صغير صيرفي عنده سائر الموازين فامض معي اليه قبل أن يخرج من مكانه حتى يزن لك ذهبك فقال أخي امشي قدامي فسارت وسار أخي خلفها حتى أتت الباب فدقته فخرجت الجارية وضحكت في وجهه فقالت العجوز أتيتكم بلحمة سمينة فأخذت الجارية بيد أخي وأدخلته الدار التي دخلها سابقا وقعدت عنده ساعة وقامت وقالت لاخي لا تبرح حتى أرجع اليك وراحت فلم يستقر أخي الا والعبد أقبل ومعه السيف المجرد فقال لاخي قم يا مشؤم فقام أخي وتقدم العبد امامه وأخي وراءه ومد يده الى سيفه التي تحت ثيابه وضرب به العبد فرمى رأسه وسحبه من رجله الى السرداب ونادى أين المليحة فجاءت الجارية وبيدها الطبق الذي فيه الملح فلما رأت أخي والسيف بيده ولت هاربة فتبعها أخي وضربها فرمى رأسها ثم نادى أين العجوز فجاءت فقال لها أتعرفينني يا عجوز النحس فقالت لا يا مولاي فقال لها أنا صاحب الدنانير الذي جئت وتوضأت عندي وصليت ثم تحيلت علي حتى أوقعتني هنا فقالت اتق الله في أمري فالتفت اليها وضربها بالسيف فصيرها قطعتين ثم خرج في طلب الجارية فلما رأته طار عقلها وطلبت منه الامان فأمنها ثم قال لها ما الذي أوقعك عند هذا الاسود فقالت اني كنت جارية لبعض التجار وكانت هذه العجوز تتردد علي فقالت لي يوما من الايام ان عندنا فرحا ما رأى أحد مثله فأحب أن تنظري اليه فقلت لها سمعا وطاعة ثم قمت ولبست أحسن ثيابي وأخذت معي صرة فيها مائة دينار ومضيت معها حتى أدخلتني

هذه الدار فلما دخلت ماشعرت الا وهذا الاسود أخذني ولم أزل عنده على هذا الحال ثلاث سنين بحيلة العجوز الكاهنة فقال لها أخي هل له في الدار شيء فقالت عنده شيء كثير فان كنت تقدر على نقله فانقله فقام أخي ومشى معها ففتحت له صناديق فيها أكياس فبقي أخي متحيرا فقالت له الجارية امض الآن ودعني هنا وهات من ينقل المال فخرج واكترى عشرة رجال وجاء فلما وصل الى الباب وجده مفتوحا ولم ير الجارية ولا الاكياس وانما رأى شيئا يسيرا من المال ورأى القماش فعلم انها خدعته فعند ذلك أخذ المال الذي بقي وفتح الخزائن وأخذ جميع مافيها من القماش ولم يترك في الدار شيأ وبات تلك الليلة مسرورا فلما أصبح الصباح وجد بالباب عشرين جنديا فلما خرج اليهم تعلقوا به وقالوا له ان الوالي يطلبك فأخذوه وراحوا الى الوالي فلما رأى أخي قال له من أين لك هذا القماش فقال أخي أعطني الامان فأعطاه منديل الامان فحدثه بجميع ماوقع له مع العجوز من الاول الى الآخر ومن هروب الجارية ثم قال للوالي والذي أخذته خذ منه ماشئت ودع لي ما أتقوت به فطلب الوالي جميع المال والقماش وخاف أن يعلم به السلطان فأخذ البعض وأعطى أخي البعض وقال له اخرج من هذه المدينة والا أشنقك فقال السمع والطاعة فخرج الى بعض البلدان فخرجت عليه اللصوص فعروه وضربوه وقطعوا أذنيه فسمعت بخبره فخرجت اليه وأخذت اليه ثيابا وجئت به الى المدينة مسرورا ورتبت له ما يأكله ومايشربه

وأما أخي السادس ياأمير المؤمنين وهو مقطوع الشفتين فانه كان فقيرا جدا لايملك شيئا من حطام الدنيا الفانية فخرج يوما من الايام يطلب شيئا يسد به رمقه فبينما هو في بعض الطرق اذ رأى دارا حسنة ولها دهليز واسع مرتفع وعلى الباب خدم وأمر ونهي فسأل بعض الواقفين هناك فقال هي لانسان من أولاد الملوك فتقدم أخي الى البوابين وسألهم شيأ فقالوا ادخل باب الدار تجد ماتحب من صاحبها فدخل الدهليز ومشى فيه ساعة حتى وصل الى دار في غاية ما يكون من الملاحة والظرف وفي وسطها بستان مارأى الراؤن أحسن منه وأرضها مفروشة بالرخام وستورها مسبولة فصار أخي لايعرف أين يقصد فمضى نحو صدر المكان فرأى انسانا حسن الوجه واللحية فلما رأى أخي قام اليه ورحب به وسأله عن حاله فأخبره انه محتاج فلما سمع كلام أخي أظهر غما شديدا ومد يده الى ثياب نفسه ومزقها وقال هل أكون أنا ببلد وأنت بها جائع لاصبر لي على ذلك ووعده بكل خير ثم قال لابد ان تمالحني فقال ياسيدي ليس لي صبر واني شديد الجوع فصاح ياغلام هات الطشت والابريق ثم قال له ياضيفي تقدم واغسل يدك ثم أوما كأنه يغسل يده ثم صاح على أتباعه ان قدموا المائدة فجعلت أتباعه تغدو وتروح كأنها تهيء السفرة ثم أخذ أخي وجلس معه على تلك السفرة الموهومة وصار صاحب المنزل يومي ويحرك شفتيه كأنه يأكل

ويقول

ويقول لاخي كل ولا تستح فانك جائع وأنا أعلم ما أنت فيه من شدة الجوع فجعل أخي يومئ كأنه يأكل وهو يقول لاخي كل وانظر هذا الخبز وانظر بياضه وأخي لا يبدي شيأ ثم ان أخي قال في نفسه ان هذا رجل يحب أن يهزأ بالناس فقال له ياسيدي عمري ما رأيت أحسن من بياض هذا الخبز ولا ألذ من طعمه فقال هذا خبزته جارية لي كنت اشتريتها بخمسمائة دينار ثم صاح صاحب الدار ياغلام قدم لنا السكباج الذي لا يوجد مثله في طعام الملوك ثم قال لاخي كل ياضيفي فانك شديد الجوع ومحتاج الى الاكل فصار أخي يدور حنكه ويمضغ كأنه يأكل وأقبل الرجل يستدعي لونا بعد لون من الطعام ولا يحضر شيء الا ويأمر أخي بالاكل ثم صاح ياغلام قدم لنا الفراريج المحشوة بالفستق فكل مالم تأكل مثله قط فقال ياسيدي ان هذا الاكل لا نظير له في اللذة وأقبل يومئ بيده الى فم أخي حتى كأنه يلقمه بيده وكان يعدد هذه الالوان ويصفها لاخي بهذه الاوصاف وهو جائع فاشتد جوعه وصار بشهوة رغيف من شعير ثم قال له صاحب الدار هل رأيت أطيب من ابازير هذه الاطعمة فقال له أخي لا ياسيدي فقال أكثر الاكل ولا تستح فقال قد اكتفيت من الطعام فصاح الرجل على أتباعه أن قدموا الحلويات فحركوا أيديهم في الهواء كأنهم قدموا الحلويات ثم قال صاحب المنزل لاخي كل من هذا النوع فانه جيد وكل من هذه القطائف بحياتي وخذ هذه القطيفة قبل أن ينزل منها الجلاب فقال له أخي لاعدمتك ياسيدي وأقبل أخي يسأله عن كثرة المسك الذي في القطائف فقال له ان هذه عادتي في بيتي فدائما يضعون لي في كل قطيفة مثقالا من المسك ونصف مثقال من العنبر هذا كله وأخي يحرك رأسه وفمه يلعب بين شدقيه كأنه يتلذذ بأكل الحلويات ثم صاح صاحب الدار على أتباعه أن أحضروا النقل فحركوا أيديهم في الهواء كأنهم أحضروا النقل وقال لاخي كل من هذا اللوز ومن هذا الجوز ومن هذا الزبيب ونحو ذلك وصار يعدد له أنواع النقل ويقول له كل ولا تستح فقال له أخي ياسيدي قد اكتفيت ولم يبق لي قدرة على أكل شيء فقال ياضيفي ان أردت أن تأكل وتتفرج على غرائب المأكولات فالله الله لا تكن جائعا ثم فكر أخي في نفسه وفي استهزاء ذلك الرجل به وقال والله لأعملن فيه عملا يتوب بسببه الى الله عن هذه الفعال ثم قال الرجل لاتباعه قدموا لنا الشراب فحركوا أيديهم في الهواء حتى كأنهم قدموا الشراب ثم أومأ صاحب المنزل كأنه ناول أخي قدحا وقال خذ هذا القدح فانه أعجبك فقال له ياسيدي هذا من احسانك وأومأ أخي بيده كأنه يشربه فقال له هل أعجبك فقال له ياسيدي ما رأيت ألذ من هذا الشراب فقال له اشرب هنيأ وصحة ثم ان صاحب البيت أومأ وشرب ثم ناول أخي قدحا ثانيا فخيل انه شربه وأظهر أنه سكران ثم ان أخي غافله ورفع يده حتى بان بياض ابطه وصفعه على

رقبته صفعة رن لها المكان ثم ثنى عليه بصفعة ثانية فقال له الرجل ماهذا يا أسفل العالمين فقال يا سيدى أنا عبدك الذى أنعمت عليه وأدخلته منزلك وأطعمته الزاد واسقيته الخمر العتيق فسكر وعربد عليك ومقامك أعلى من أن تؤاخذه بجهله فلما سمع صاحب المنزل كلام أخى ضحك ضحكا عاليا ثم قال له ان لى زمانا طويلا أسخر بالناس وأهزأ بجميع أصحاب المزاح والمجون مارأيت منهم من له طاقة على أن أفعل به هذه السخرية ولا من له فطنة يدخل بها فى جميع أمورى غيرك والآن عفوت عنك فكن نديمى على الحقيقة ولا تفارقنى ثم أمر باخراج عدة من أنواع الطعام المذكورة أولا فأكل هو وأخى حتى اكتفيا ثم انتقلا الى مجلس الشراب فاذا فيه جوار كأنهن الاقمار فغنين بجميع الالحان واشتغلن بجميع الملاهى ثم شربا حتى غلب عليهما السكر وأنس الرجل بأخى حتى كأنه أخوه وأحبه محبة عظيمة وخلع عليه خلعة سنية فلما أصبح الصباح عادا لما كانا عليه من الاكل والشرب ولم يزالا كذلك مدة عشرين سنة ثم ان الرجل مات وقبض السلطان على ماله واحتوى عليه فخرج أخى من البلد هاربا فلما وصل الى نصف الطريق خرج عليه العرب فأسروه وصار الذى أسره يعذبه ويقول له اشتر روحك منى بالاموال والا أقتلك فجعل أخى يبكى ويقول أنا والله لا أملك شيأ يا شيخ العرب ولا أعرف طريق شئ من المال وأنا أسيرك وصرت فى يدك فافعل بى ماشئت فأخرج البدوى الجبار من حزامه سكينا عريضة لو نزلت على رقبة جمل لقطعتها من الوريد الى الوريد وأخذها فى يده اليمين وتقدم الى أخى المسكين وقطع بها شفتيه وشدد عليه فى المطالبة وكان للبدوى زوجة حسنة وكان اذا خرج البدوى تتعرض لاخى وتراوده عن نفسه وهو يمتنع حياء من الله تعالى فاتفق أن راودت أخى يوما من الايام فقام ولاعبها وأجلسها فى حجره فبينما هما كذلك واذا بزوجها داخل عليهما فلما نظر الى أخى قال له ياويلك ياخبيث أتريد الآن أن تفسد على زوجتى وأخرج سكينا وقطع بها ذكره وحمله على جمل وطرحه فوق جبل وتركه وسار الى حال سبيله فجاز عليه المسافرون فعرفوه فأطعموه وسقوه وأعلمونى بخبره فذهبت اليه وحملته ودخلت به المدينة ورتبت له ما يكفيه وها أنا جئت عندك يا أمير المؤمنين وخفت أن أرجع الى بيتى قبل اخبارك فيكون ذلك غلطا وورائى ستة اخوة وأنا أقوم بهم فلما سمع أمير المؤمنين قصتى وما أخبرته به عن اخوتى ضحك وقال صدقت ياصامت أنت قليل الكلام ماعندك فضول ولكن الآن اخرج من هذه المدينة واسكن غيرها ثم نفانى من بغداد فلم أزل سائرا فى البلاد حتى طفت الاقاليم الى أن سمعت بموته وخلافة غيره فرجعت الى المدينة فوجدته مات ووقعت عند هذا الشاب وفعلت معه أحسن الفعال ولولا أنا لقتل وقد اتهمنى بشئ ماهو فى وجميع مانقله عنى من الفضول وكثرة الكلام

وكثافة

وكثافة الطبع وعدم الذوق باطل ياجماعة ثم قال الخياط لملك الصين فلما سمعنا قصة المزين وتحققنا فضوله وكثرة كلامه وأن الشاب مظلوم معه أخذنا المزين وقبضنا عليه وحبسناه وجلسنا حوله آمنين ثم أكلنا وشربنا وتمت الوليمة على أحسن حالة ولم نزل جالسين الى أن أذن العصر فخرجت وجئت منزلى وغشيت زوجتى فقالت أنت طول النهار فى حظك وأنا قاعدة فى البيت حزينة فان لم تخرج بى وتفرجنى بقية النهار كان ذلك سبب فراقى منك فأخذتها وخرجت بها وتفرجنا الى العشاء ثم رجعنا فلقينا هذا الاحدب والسكر طافح منه وهو ينشد هذين البيتين

راق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

فعزمت عليه فأجابنى وخرجت لاشترى سمكا مقليا فاشتريت ورجعت ثم جلسنا نأكل فأخذت زوجتى لقمة وقطعة سمك وأدخلتهما فمه وسدته فمات فحملته وتحايلت حتى رميته فى بيت هذا الطبيب وتحايل الطبيب حتى رماه فى بيت المباشر وتحايل المباشر حتى رماه فى طريق السمسار وهذه قصة مالقيته البارحة أماهى أعجب من قصة الاحدب فلما سمع ملك الصين هذه القصة أمر بعض حجابه أن يمضوا مع الخياط ويحضروا المزين وقال لهم لابد من حضوره لاسمع كلامه ويكون ذلك سببا فى خلاصكم جميعا وندفن هذا الاحدب ونواريه فى التراب فانه ميت من أمس ثم نعمل له ضريحا لانه كان سببا فى اطلاعنا على هذه الاخبار العجيبة فما كان الاساعة حتى جاءت الحجاب هم والخياط بعد أن مضوا الى الحبس وأخرجوا منه المزين وساروا به الى أن أوقفوه بين يدى هذا الملك فلما رآه تأمله فاذا هو شيخ كبير جاوز التسعين أسود الوجه أبيض اللحية والحواجب مقرطم الاذنين طويل الانف فى نفسه كبر فضحك الملك من رؤيته وقال ياصامت اريد أن تحكى لى شيأ من حكاياتك فقال المزين ياملك الزمان ماشأن هذا النصرانى وهذا اليهودى وهذا المسلم وهذا الاحدب بينكم ميت وماسبب هذا الجمع فقال له ملك الصين وماسؤالك عن هؤلاء فقال سؤالى عنهم حتى يعلم الملك انى غير فضولى ولا أشتغل بما لايعنينى واننى برىء مما اتهمونى به من كثرة الكلام وان لى نصيبا من اسمى حيث لقبونى بالصامت كما قال الشاعر

وقلما أبصرت عيناك ذالقب * الا ومعناه ان فتشت فى لقبه

فقال الملك اشرحوا للمزين حال هذا الاحدب وماجرى له فى وقت العشاء واشرحوا له ماحكى النصرانى وماحكى اليهودى وماحكى المباشر وماحكى الخياط فحكوا له حكايات الجميع وليس فى

الاعادة افادة فحرك المزين رأسه وقال والله ان هذا الشيء عجاب اكشفوا لى عن هذا الاحدب فكشفوا له عنه فجلس عند رأسه وأخذ رأسه على حجره ونظر فى وجهه وضحك ضحكا عاليا حتى انقلب على قفاه من شدة الضحك وقال لكل موتة سبب من الاسباب وموتة هذا الاحدب من عجب العجاب يجب أن تؤرخ فى السجلات ليعتبر بما مضى من هو آت فتعجب الملك من كلامه وقال يا صامت احك لنا سبب كلامك هذا فقال يا ملك وحق نعمتك ان الاحدب فيه الروح ثم ان المزين أخرج من وسطه مكحلة فيها دهن ودهن رقبة الاحدب وغطاها حتى عرقت ثم أخرج كلبتين من حديد ونزل بهما فى حلقه فالتقطت القطعة السمك بعظمها فلما أخرجها رآها الناس بعيونهم ثم نهض الاحدب واقفا على قدميه وعطس عطسة واستفاق فى نفسه وملس بيديه على وجهه وقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجب الحاضرون من الذى رأوه وعاينوه فضحك ملك الصين حتى غشى عليه وكذلك الحاضرون وقال السلطان والله ان هذه قصة عجيبة ما رأيت أغرب منها ثم ان السلطان قال يا مسلمين يا جماعة العسكر هل رأيتم فى عمركم أحدا يموت ثم يحيا بعد ذلك ولولا رزقه الله بهذا المزين لكان اليوم من أهل الآخرة فانه كان سببا لحياته فقالوا والله ان هذا من عجب العجاب ثم ان ملك الصين أمر أن تسطر هذه القصة فسطروها ثم جعلوها فى خزانة الملك ثم خلع على اليهودى والنصرانى والمباشر وخلع على كل واحد خلعة سنية وجعل الخياط خياطه ورتب له الرواتب وأصلح بينه وبين الاحدب وخلع على الاحدب خلعة سنية مليحة ورتب له الرواتب وجعله نديمه وأنعم على المزين وخلع عليه خلعة سنية ورتب له الرواتب وجعل له جامكية وجعله مزين المملكة ونديمه ولم يزالوا فى ألذ عيش وأهناه الى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات وليس هذا بأعجب من قصة الوزيرين التى فيها ذكر أنيس الجليس قال الملك وما حكاية الوزيرين

(حكاية الوزيرين التى فيها ذكر أنيس الجليس)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقراء والصعاليك ويرفق بالرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعض واصفيه

جعل القنا أقلامه وطروسه * مهج العدى ورأى المداد دماءها
وأظن أن الاقدمين لذا رأوا * أن يجعلوا خطية أسماءها

وكان يقال لهذا الملك محمد بن سليمان الزينى وكان له وزيران أحدهما يقال له المعين بن ساوى والثانى يقال له الفضل بن خاقان وكان الفضل بن خاقان أكرم أهل زمانه حسن السيرة أجمعت

القلوب

القلوب على محبته واتفقت العقلاء على مشورته وكل الناس يدعون له بطول مدته لانه محضر خير مزيل للشر والضير وكان الوزير المعين بن ساوى يكره الناس ولا يحب الخير وكان محضر سوء كما قال فيه بعض واصفيه

تجمعت من نطف ذاته * فركبت من عنصر فاسد
ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

فلكل من هذين الوزيرين نصيب من قول الشاعر

لذ بالكرام بنى الكرام فانما * تلد الكرام بنو الكرام كراما
ودع اللئام بنى اللئام فانما * تلد اللئام بنو اللئام لئاما

وكان الناس على قدر محبتهم لفضل الدين بن خاقان يبغضون المعين بن ساوى بقدرة القادر ثم ان الملك محمد بن سليمان الزينى كان قاعدا يوما من الايام على كرسى مملكته وحوله أرباب دولته اذنادى وزيره الفضل بن خاقان وقال له انى أريد جارية لا يكون فى زمانها أحسن منها بحيث تكون كاملة فى الجمال فائقة فى الاعتدال حميدة الخصال فقال أرباب الدولة هذه لا توجد الا بعشرة آلاف دينار فعند ذلك صاح السلطان على الخازندار وقال احمل عشرة آلاف دينار الى دار الفضل بن خاقان فامتثل الخازندار أمر السلطان ونزل الوزير بعدما أمره السلطان أن يعمد الى السوق فى كل يوم ويوصى السماسرة على ما ذكره وانه لا تباع جارية ثمنها فوق الالف دينار حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضوها عليه فامتثل الوزير أمره واستمر على هذا الحال مدة من الزمان ولم تعجبه جارية فاتفق يوما من الايام أن بعض السماسرة أقبل على دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكبا متوجها الى قصر الملك فقبض على ركابه وأنشد هذين البيتين

يا من أعاد رميم الملك منشورا * أنت الوزير الذى لا زال منصورا
أحييت ما مات بين الناس من كرم * لا زال سعيك عند الله مشكورا

ثم قال يا سيدى ان الجارية التى صدر بطلبها المرسوم الكريم قد حضرت فقال له الوزير على بها فغاب ساعة ثم حضر ومعه جارية رشيقة القد قاعدة النهد بطرف كحيل وخد أسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وعليها أحسن ما يكون من الثياب ورضابها أحلى من الجلاب وقامتها تفضح غصون البان وكلامها أرق من النسيم اذا مر على زهر البستان كما قال فيها بعض واصفيها هذه الابيات

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر

وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب ماتفعل الخمر
فياحبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر
ذوائبها ليل ولكن جبينها * اذا أسفرت يوما يلوح به الفجر

فلما رآها الوزير أعجبته غاية الاعجاب فالتفت الى السمسار وقال له كم ثمن هذه الجارية فقال وقف سعرها على عشرة آلاف دينار وحلف صاحبها ان العشرة آلاف دينار لم تجيء ثمن الفراريج التي أكلتها ولا ثمن الخلع التي خلعتها على معلميها فانها تعلمت الخط والنحو واللغة والتفسير وأصول الفقه والدين والطب والتقويم والضرب بالآلات المطربة فقال الوزير علي بسيدها فأحضره السمسار في الوقت والساعة فاذا هو رجل أعجمي عاش زمنا طويلا حتى صيره الدهر عظما في جلد كما قال الشاعر

أرعشني الدهر أي رعش * والدهر ذو قوة وبطش
قد كنت أمشي ولست أعيا * واليوم أعيا ولست أمشي

فقال له الوزير أرضيت أن تأخذ في هذه الجارية عشرة آلاف من السلطان محمد بن سليمان الزيني فقال العجمي حيث كانت للسلطان فالواجب علي أن أقدمها اليه هدية بلا ثمن فعند ذلك أمر الوزير باحضار الاموال فلما حضرت وزن الدنانير للعجمي ثم أقبل النخاس على الوزير وقال عن اذن مولانا الوزير أتكلم فقال الوزير هات ما عندك فقال عندي من الرأي أن لا تطلع بهذه الجارية الى السلطان في هذا اليوم فانها قادمة من السفر واختلف عليها الهواء وأتعبها السفر ولكن خلها عندك في القصر عشرة أيام حتى تستريح فيزداد جمالها ثم أدخلها الحمام وألبسها أحسن الثياب واطلع بها الى السلطان فيكون لك في ذلك الحظ الاوفر فتأمل الوزير كلام النخاس فوجده صوابا فأتى بها الى قصره وأخلى لها مقصورة ورتب لها كل يوم ما تحتاج اليه من طعام وشراب وغيره فمكثت مدة على تلك الرفاهية وكان للوزير الفضل بن خاقان ولد كأنه البدر اذا أشرق بوجه أقمر وخد أحمر عليه خال كنقطة عنبر وفيه عذار أخضر كما قال الشاعر في مثله هذه الابيات

وردا لخدود ودونه شوك القنا * فمن المحدث نفسه أن يجتني
لا تمددوا الايدي اليه فطالما * شنوا الحروب لان مددنا الاعينا
يا قلبه القاسي ورقة خصره * هلا نقلت الى هنا من ههنا
لو كان رقة خصره في قلبه * ما جار قط على المحب ولا جنى
يا عاذلي في حبه كن عاذري * من لي بجسم قد تملكه الضنى

ما الذنب الا للفؤاد وناظرى ٭ لولاهما ما كنت فى هذا العنا

وكان الصبي لم يعرف قضية هذه الجارية وكان والده أوصاها وقال لها يابنتي اعلمى أنى ما اشتريتك الا سرية للملك محمد بن سليمان الزينى وان لى ولدا ما خلا بصبية فى الحارة الا فعل بها فاحفظى نفسك منه واحذرى أن تريه وجهك أو تسمعيه كلامك فقالت الجارية السمع والطاعة ثم تركها وانصرف واتفق بالامر المقدر ان الجارية دخلت يوما من الايام الحمام الذى فى المنزل وقد حماها بعض الجوارى ولبست الثياب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها ودخلت على زوجة الوزير فقبلت يدها فقالت لها نعيما يا أنيس الجليس كيف حالك فى هذا الحمام فقالت ياسيدتى ما كنت محتاجة الا حضورك فيه فعند ذلك قالت سيدة البيت للجوارى قوموا بنا ندخل الحمام فامتثلن أمرها ومضين وسيدتهن بينهن وقد وكلت بباب المقصورة التى فيها أنيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لهما لاتمكنا أحدا من الدخول على الجارية فقالتا السمع والطاعة فبينما أنيس الجليس قاعدة فى المقصورة واذا بابن الوزير الذى اسمه على نور الدين قد دخل وسأل عن أمه وعن العائلة فقالتا له الجاريتان دخلوا الحمام وقد سمعت الجارية أنيس الجليس كلام على نور الدين ابن الوزير وهى من داخل المقصورة فقالت فى نفسها ياترى ماشان هذا الصبي الذى قال لى الوزير عنه انه ما خلا بصبية فى الحارة الا واقعها والله انى أشتهى أن أنظره ثم انها نهضت على قدميها وهى بأثر الحمام وتقدمت جهة باب المقصورة ونظرت الى على نور الدين فاذا هو صبي كالبدر فى تمامه فأورثتها النظرة ألف حسرة ولاحت من الصبي التفاتة اليها فنظرها نظرة أورثته ألف حسرة ووقع كل منهما فى شرك هوى الآخر فتقدم الصبي الى الجاريتين وصاح عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من بعيد ينظرانه و ينظران ما يفعل واذا به تقدم الى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال لها أنت التى اشتراك لى أبى فقالت له نعم فعند ذلك تقدم الصبي اليها وكان فى حال السكر وأخذ رجليها وجعلهما فى وسطه وهى شبكت يديها فى عنقه واستقبلته بتقبيل وشهيق وغنج ومص لسانها ومصت لسانه فأزال بكارتها فلما رأى الجاريتان سيدهما الصغير دخل على الجارية أنيس الجليس صرختا وكان قد قضى الصبي حاجته وخرج هاربا وللنجاة طالبا وفر من الخوف عقب الفعل الذى فعله فلما سمعت سيدة البيت صراخ الجاريتين مضت وخرجت من الحمام والعرق يقطر منها وقالت ما سبب هذا الصراخ الذى فى الدار فلما قربت من الجاريتين اللتين أقعدتهما على باب المقصورة قالت لهما ويلكما ما الخبر فلما رأياها قالتا ان سيدى على نور الدين جاء الينا وضربنا فهربنا منه فدخل على أنيس الجليس وعانقها وما ندرى أى شئ عمل بعد ذلك فلما صحنا لك هرب فعند ذلك تقدمت

سيدة البيت الى أنيس الجليس وقالت لها ما الخبر فقالت ياسيدتى أنا قاعدة واذا بصبى جميل الصورة دخل على وقال لى أنت التى اشتراك أبى لى فقلت نعم والله ياسيدتى اعتقدت ان كلامه صحيح فعند ذلك أتى الى وعانقنى فقالت لها هل فعل بك شيأ غير ذلك قالت نعم وأخذ منى ثلاث قبلات فقالت ماتركك من غير افتضاض ثم بكت ولطمت وجهها هى والجوارى خوفا على نور الدين أن يذبحه أبوه فبينما هم كذلك واذا بالوزير دخل وسأل عن الخبر فقالت له زوجته احلف ان ماقلته لك تسمعه قال نعم فأخبرته بما فعله ولده فحزن ومزق ثيابه ولطم على وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لا تقتل نفسك أنا أعطيك من مالى عشرة آلاف دينار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه اليها وقال لها ويلك أنا مالى حاجة بثمنها ولكن خوفى أن تروح روحى ومالى فقالت له ياسيدى ماسبب ذلك قال لها أما تعلمين ان وراءنا هذا العدو الذى يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير قال لزوجته أما تعلمين ان وراءنا عدوا يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له ان وزيرك الذى تزعم أنه يحبك أخذ منك عشرة آلاف دينار واشترى بها جارية ما رأى أحد مثلها فلما أعجبته قال لابنه خذها أنت أحق بها من السلطان فأخذها وأزال بكارتها وها هى الجارية عنده فيقول الملك تكذب فيقول للملك عن اذنك أهجم عليه وآتيك بها فيأذن له فى ذلك فيهجم على الدار ويأخذ الجارية ويحضرها بين يدى السلطان ثم يسألها فما تقدر أن تنكر فيقول له ياسيدى أنت تعلم انى ناصح لك ولكن مالى عندكم حظ فيمثل بى السلطان والناس كلهم يتفرجون على وتروح روحى فقالت له زوجته لا تعلم أحدا وهذا الامر حصل خفية وسلم أمرك الى الله فى هذه القضية فعند ذلك سكن قلب الوزير وطاب خاطره هذا ما كان من أمر الوزير وأما ما كان من أمر على نور الدين فانه خاف عاقبة الامر فكان يقضى نهاره فى البساتين ولا يأتى الا فى آخر الليل لامه فينام عندها ويقوم قبل الصبح ولا يراه أحد ولم يزل كذلك شهرا وهو لم ير وجه أبيه فقالت أمه لابيه ياسيدى هل تعدم الجارية وتعدم الولد فان طال هذا الامر على الولد هج قال لها وكيف العمل قالت له اسهر هذه الليلة فاذا جاء فأمسكه واصطلح أنت واياه واعطه الجارية فانها تحبه وهو يحبها واعطيك ثمنها فسهر الوزير طول الليل فلما أتى ولده أمسكه وأراد نحره فأدركته أمه وقالت له أى شئ تريد أن تفعل معه فقال لها أريد أن أذبحه فقال الولد لأبيه هل أهون عليك فتغرغرت عيناه بالدموع وقال له ياولدى كيف

هان

هان عليك ذهاب مالي وروحي فقال الصبي اسمع يا والدي ما قال الشاعر

هبني جنيت فلم تزل أهل النهى * يهبون للجاني سماحا شاملا
ماذا عسى يرجو عدوك وهوفي * درك الحضيض وأنت أعلى منزلا

فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده وشفق عليه وقام الصبي وقبل يد والده فقال يا ولدي لو عملت انك تنصف أنيس الجليس كنت وهبتها لك فقال يا والدي كيف لا أنصفها قال أوصيك يا ولدي انك لا تتزوج عليها ولا تضاررها ولا تبيعها قال له يا والدي أنا أحلف لك انى لا أتزوج عليها ولا أبيعها ثم حلف له أيمانا على ما ذكر ودخل على الجارية فأقام معها سنة وأنسى الله تعالى الملك قصة الجارية وأما المعين ابن ساوى فانه بلغه الخبر ولكنه لم يقدر أن يتكلم لعظم منزلة الوزير عند السلطان فلما مضت السنة دخل الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج وهو عرقان فأصابه الهواء فلزم الوساد وطال به السهاد وتسلسل به الضعف فعند ذلك نادى ولده على نور الدين فلما حضر بين يديه قال له يا ولدي ان الرزق مقسوم والاجل محتوم ولا بد لكل نسمة من شرب كأس المنون وأنشد هذه الابيات

من فاته الموت يوما لم يفته غدا * والكل منا على حوض الردى وردا
سوى العظيم بمن قد كان محتقرا * ولم يدع هيبة بين الورى أحدا
لم يبق من ملك كلا ولا ملك * ولا نبي بعيش دائم أبدا

ثم قال يا ولدي مالي عندك وصية الا تقوى الله والنظر فى العواقب وأن تستوصى بالجارية أنيس الجليس فقال له يا أبت ومن مثلك وقد كنت معروفا بفعل الخير ودعاء الخطباء لك على المنابر فقال له يا ولدي أرجو من الله تعالى القبول ثم نطق بالشهادتين وشهق شهقة فكتب من أهل السعادة فعند ذلك امتلأ القصر بالصراخ ووصل الخبر الى السلطان وسمعت أهل المدينة بوفاة الفضل ابن خاقان فبكت عليه الصبيان فى مكاتبها ونهض ولده على نور الدين وجهزه وحضرت الامراء والوزراء وأرباب الدولة وأهل المدينة مشهده وكان ممن حضر الجنازة الوزير المعين بن ساوى وأنشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار هذه الابيات

قد قلت للرجل المولى غسله * هلا أطاع وكنت من نصحائه
جنبه ماءك ثم غسله بما * أذرت عيون المجد عند بكائه
وأزل مجاميع الحنوط ونحها * عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بحمله * شرفا ألست تراهمو بازائه
لا توه أعناق الرجال بحمله * يكفى الذى حملوه من نعمائه

ثم مكث على نور الدين شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هو جالس يوما من الايام في بيت والده اذ طرق الباب طارق فنهض على نور الدين وفتح الباب واذا برجل من ندماء والده وأصحابه فقبل يد نور الدين وقال ياسيدي من خلف مثلك ما مات وهذا مصير سيد الاولين والآخرين ياسيدي طب نفسا ودع الحزن فعند ذلك نهض على نور الدين الى قاعة الجلوس ونقل اليها ما يحتاج اليه واجتمع عليه أصحابه وأخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من أولاد التجار ثم انه أكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقاما بعد مقام وصار يعطي و يتكرم فعند ذلك دخل عليه وكيله وقال له ياسيدي على نور الدين أما سمعت قول بعضهم من ينفق ولم يحسب افتقر ولقد أحسن من قال هذه الابيات

أصون دارهمي وأذب عنها * لعلمي أنها سيفي وترسي
أبذلها الى أعدى الاعادي * وأبدل في الورى سعدي بنحسي
فيأكلها ويشربها هنيأ * ولا يسخو الى أحد بفلس
وأحفظ درهمي عن كل شخص * لئيم الطبع لا يصفو لانسي
أحب الي من قولي لنذل * أنلني درهما لغد بخمس
فيعرض وجهه ويصد عني * فتبقى مثل نفس الكلب نفسي
فياذل الرجال بغير مال * ولو كانت فضائلهم كشمس

ثم قال ياسيدي النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفني المال فلما سمع على نور الدين من وكيله هذا الكلام نظر اليه وقال له جميع ما قلته لا اسمع منه كلمة فما أحسن قول الشاعر

اذا ما ملكت المال يوما ولم أجد * فلا بسطت كفي ولا نهضت رجلي
فهاتوا بخيلا نال مجدا ببخله * وهاتوا أروني باذلا مات من بذل

ثم قال اعلم أيها الوكيل اني أريد اذا فضل عندك ما يكفيني لغدائي ان لا تحملني هم عشائي فانصرف الوكيل من عنده الى حال سبيله وأقبل على نور الدين على ما هو فيه من مكارم الاخلاق وكل من يقول له من ندمائه ان هذا الشيء مليح يقول هو لك هبة أو يقول ياسيدي ان الدار الفلانية مليحة يقول هي لك هبة ولم يزل على نور الدين يعقد لندمائه وأصحابه في أول النهار مجلسا وفي آخره مجلسا ومكث على هذا الحال سنة كاملة فبينما هو جالس يوما واذا بالجارية تنشد هذين البيتين

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر

فلما فرغت من شعرها اذا بطارق يطرق الباب فقام على نور الدين فتبعه بعض جلسائه من غير أن يعلم به فلما فتح الباب رآه وكيله فقال له على نور الدين ما الخبر فقال له ياسيدى الذى كنت أخاف عليك منه قد وقع لك قال وكيف ذلك قال اعلم أنه ما بقى لك تحت يدى شئ يساوى درهما ولا أقل من درهم وهذه دفاتر المصروف الذى صرفته ودفاتر أصل مالك فلما سمع على نور الدين هذا الكلام أطرق برأسه الى الارض وقال لا حول ولا قوة الا بالله فلما سمع الرجل الذى تبعه خفية وخرج ليقسل عليه ما قاله له الوكيل رجع الى أصحابه وقال لهم انظروا أى شئ تعملون فان على نور الدين قد أفلس فلما رجع اليهم على نور الدين ظهر لهم الغم فى وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر الى على نور الدين وقال له ياسيدى انى أريد أن تأذن لى بالانصراف فقال على نور الدين لماذا الانصراف فى هذا اليوم فقال ان زوجتى تلد فى هذه الليلة ولا يمكننى أن أتخلف عنها وأريد أن أذهب اليها وأنظرها فأذن له ونهض آخر وقال له ياسيدى نور الدين أريد اليوم أن أحضر عند أخى فانه يطاهر ولده وكل واحد يستأذنه بحيلة ويذهب الى حال سبيله حتى انصرفوا كلهم وبقى على نور الدين وحده فعند ذلك دعا جاريته وقال يا أنيس الجليس أما تنظرين ما حل بى وحكى لها ما قاله الوكيل فقالت ياسيدى من منذ ليال هممت أن أقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد هذين البيتين

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها * على الناس طرا قبل أن تتفلت

فلا الجود يفنيها اذا هى أقبلت * ولا الشح يبقيها اذا هى ولت

فلما سمعتك تنشدهما سكت ولم أبد لك خطابا فقال لها على نور الدين يا أنيس الجليس أنت تعرفين انى ما صرفت مالى الا على أصحابى وأظنهم لا يتركوننى من غير مواساة فقالت أنيس الجليس والله ما ينفعونك بنافعة فقال نور الدين فأنا فى هذه الساعة أقوم وأروح اليهم وأطرق أبوابهم لعلى أنال منهم شيأ فأجعله فى يدى رأس مال وأتجر فيه وأترك اللهو واللعب ثم انه نهض من وقته وساعته وما زال سائرا حتى أقبل على الزقاق الذى فيه أصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين فى ذلك الزقاق فتقدم الى أول باب وطرقه فخرجت له جارية وقالت له من أنت فقال لها قولى لسيدك على نور الدين واقف على الباب ويقول لك مملوكك يقبل أياديك ومنتظر فضلك فدخلت الجارية وأعلمت سيدها فصاح عليها وقال لها ارجعى وقولى له ما هو هنا فرجعت الجارية الى على نور الدين وقالت له ياسيدى ان سيدى ما هو هنا فتوجه على نور الدين وقال فى نفسه ان كان هذا ولد زنا وأنكر نفسه فغيره ما هو ولد زنا ثم تقدم الى الباب الثانى وقال كما قال أولا فأنكر الآخر نفسه فعند ذلك أنشد هذا البيت

ذهب الذين اذا وقفت ببابهم * منوا عليك بما تريد من الندى

فلما فرغ من شعره قال والله لا بد أن أمتحنهم كلهم عسى ان يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميع فدار على العشرة فلم يجد أحداً منهم فتح الباب ولا أراه نفسه ولا أمر له برغيف فانشد هذه الابيات

المرء فى زمن الاقبال كالشجره * فالناس من حولها مادامت الثمره

حتى اذا أسقطت كل الذى حملت * تفرقوا وأرادوا غيرها شجره

تباً لابناء هذا الدهر كلهم * فلم أجد واحداً يصفو من العشره

ثم انه رجع الى جاريته وقد تزايد همه فقالت له ياسيدى أما قلت لك انهم لا ينفعونك بنافعة فقال والله مافيهم من أرانى وجهه فقالت له ياسيدى بع من أثاث البيت شيأ فشيأ وانفق فباع الى ان باع جميع مافى البيت ولم يبق عنده شىء فعند ذلك نظر الى أنيس الجليس وقال لها ماذا نفعل الآن فقالت له ياسيدى عندى من الرأى ان تقوم فى هذه الساعة وتنزل بى السوق فتبيعنى وأنت تعلم ان والدك كان اشترانى بعشرة آلاف دينار فلعل الله يفتح عليك ببعض هذا الثمن واذا قدر الله باجتماعنا نجتمع فقال لها يا أنيس الجليس مايهون على فراقك ساعة واحدة فقالت له ولا أنا لكن للضرورة أحكام كما قال الشاعر

تلجى الضرورات فى الامور الى * سلوك مالا يليق بالادب

ماحامل نفسه على سبب * الا لامر يليق بالسبب

فعند ذلك أخذ أنيس الجليس ودموعه تسيل على خده ثم أنشد هذين البيتين

قفوا زودونى نظرة قبل بينكم * اعلل قلبا كاد بالبين يتلف

فان كان تزويدى بذلك كلفة * دعونى فى وجدى ولا تتكلفوا

ثم مضى وسلمها الى الدلال وقال له اعرف مقدار ماتنادى عليه فقال له الدلال ياسيدى على نور الدين الاصول محفوظة ثم قال له أما هى أنيس الجليس الذى كان اشتراها والدك منى بعشرة آلاف دينار قال نعم فعند ذلك طلع الدلال الى التجار فوجدهم لم يجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار وامتلأ السوق بسائر أجناس الجوارى من تركية ورومية وشركسية وجرجية وحبشية فلما نظر الدلال الى ازدحام السوق نهض قائما وقال ياتجار يا أرباب الاموال ما كل مدورة جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة ولا كل صهباء خمرة ولا كل سمراء تمرة ياتجار هذه الدرة اليتيمة التى لا تفى الاموال لها بقيمة بكم تفتحون باب الثمن فقال واحد من التجار بأربعة آلاف دينار وخمسمائة واذا بالوزير المعين ابن ساوى فى

السوق

السوق فنظر على نور الدين واقفا فى السوق فقال فى نفسه ما باله واقفا فانه ما بقى عنده شئ يشترى به جوارى ثم نظر بعينه فسمع المنادى وهو واقف ينادى فى السوق والتجار حوله فقال الوزير فى نفسه ما أظنه الا أفلس ونزل بالجارية ليبيعها ثم قال فى نفسه ان صح ذلك فما أبرده على قلبى ثم دعا المنادى فأقبل عليه وقبل الارض بين يديه فقال انى أريد هذه الجارية التى تنادى عليها فلم يمكنه المخالفة فجاء بالجارية وقدمها بين يديه فلما نظر اليها وتأمل محاسنها من قامتها الرشيقة وألفاظها الرقيقة أعجبته فقال له الى كم وصل ثمنها فقال له أربعة آلاف وخمسمائة دينار فلما سمع ذلك التجار ما قدر واحد منهم أن يزيد درهما ولا دينارا بل تأخروا جميعا لما يعلمون من ظلم ذلك الوزير ثم نظر المعين ابن ساوى الى الدلال وقال له ما سبب وقوفك رح والجارية على بأربعة آلاف دينار ولك خمسمائة دينار فراح الدلال الى على نور الدين وقال له يا سيدى راحت الجارية عليك بلا ثمن فقال له وما سبب ذلك قال له نحن فتحنا باب سعرها بأربعة آلاف دينار وخمسمائة فجاء هذا الظالم المعين بن ساوى ودخل السوق فلما نظر الى الجارية أعجبته وقال لى شاور على أربعة آلاف دينار ولك خمسمائة وما أظنه الا عرف ان الجارية لك فان كان يعطيك ثمنها فى هذه الساعة يكون ذلك من فضل الله لكن أنا أعرف من ظلمه انه يكتب لك ورقة حوالة على بعض عملائه ثم يرسل اليهم ويقول لا تعطوه شيأ فكلما ذهبت اليهم لتطالبهم يقولون فى غد نعطيك ولا يزالون يعدونك ويخلفون يوما بعد يوم وأنت عزيز النفس وبعد ان يضجوا من مطالبتك اياهم يقولون أعطنا ورقة الحوالة فاذا أخذوا الورقة منك قطعوها وراح عليك ثمن الجارية فلما سمع على نور الدين من الدلال هذا الكلام نظر اليه وقال له كيف يكون العمل فقال له أنا أشور عليك بمشورة فان قبلتها منى كان لك الحظ الاوفر قال وما هى قال تجىء فى هذه الساعة عندى وأنا واقف فى وسط السوق وتأخذ الجارية من يدى وتلكمها وتقول لها ويلك قد فديت يمينى التى حلفتها ونزلت بك السوق حيث حلفت عليك انه لابد من اخراجك الى السوق ومناداة الدلال عليك فان فعلت ذلك ربما تدخل عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون انك ما نزلت بها الا لاجل ابرار اليمين فقال هذا هو الرأى الصواب ثم ان الدلال فارقه وجاء الى وسط السوق ومسك يد الجارية وأشار الى الوزير المعين بن ساوى وقال يا مولاى هذا مالكها قد أقبل ثم جاء على نور الدين الى الدلال ونزع الجارية من يده ولكمها وقال لها ويلك قد نزلت بك الى السوق لاجل ابرار يمينى روحى الى البيت وبعد ذلك لا تخالفينى فلست محتاجا الى ثمنك حتى أبيعك أنا لو بعت أثاث البيت وأمثاله مرات عديدة ما بلغ قدر ثمنك فلما نظر المعين بن ساوى الى نور الدين قال له ويلك وهل بقى عندك شئ يباع أو يشترى ثم ان المعين بن ساوى أراد أن يبطش به فعند ذلك نظر التجار الى

نور الدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم هذا ما بين أيديكم وقد عرفتم ظلمه فقال الوزير والله لولا أنتم لقتلته ثم رمز وا كلهم لبعضهم بعين الاشارة وقالوا ما أحد منا يدخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم علي نور الدين الى الوزير بن ساوى وكان نور الدين شجاعا فجذب الوزير من فوق سرجه فرماه على الارض وكان هناك معجنة طين فوقع الوزير في وسطها وجعل على نور الدين يلكمه فجاءت لكمة على أسنانه فاختضبت لحيته بدمه وكان مع الوزير عشرة مماليك فلما رأوا نور الدين فعل بسيدهم هذه الافعال وضعوا أيديهم على مقابض سيوفهم وأرادوا أن يهجموا على نور الدين ويقطعوه واذا بالناس قالوا للمماليك هذا وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحا بعضهما وتكونون مبغوضين عند كل منهما وربما جاءت فيه ضربة فتموتون جميعا أقبح الموتات ومن الرأى أن لا تدخلوا بينهما فلما فرغ على نور الدين من ضرب الوزير أخذ جاريته ومضى الى داره وأما الوزير ابن ساوى فانه قام من ساعته وكان قماش ثيابه أبيض فصار ملونا بثلاثة ألوان لون الطين ولون الدم ولون الرماد فلما رأى نفسه على هذه الحالة أخذ برشا وجعله في رقبته وأخذ في يده حزمتين من حلفة وسار الى ان وقف تحت القصر الذى فيه السلطان وصاح يا ملك الزمان مظلوم فأحضروه بين يديه فتأمله فرآه وزيره المعين بن ساوى فقال له من فعل بك هذه الفعال فبكى وانتحب وأنشد هذين البيتين

أيظلمنى الزمان وأنت فيه ✽ وتأكلنى الكلاب وأنت ليث

ويروى من حياضك كل صاد ✽ وأعطش في حماك وأنت غيث

ثم قال يا سيدى أهكذا كل من كان يحبك ويخدمك تجرى له هذه المشاق قال له ومن فعل بك هذه الفعال فقال الوزير اعلم انى خرجت اليوم الى سوق الجوارى لعلى أشترى جارية طباخة فرأيت في السوق جارية ما رأيت في طول عمرى مثلها فقال الدلال انها لعلى بن خاقان وكان مولانا السلطان أعطى أباه سابقا عشرة آلاف دينار ليشترى له بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فأعجبته فأعطاها ولده فلما مات أبوه سلك طريق الاسراف حتى باع جميع ما عنده من الاملاك والبساتين والاوانى فلما أفلس ولم يبق عنده شئ نزل بالجارية الى السوق على ان يبيعها ثم سلمها الى الدلال فنادى عليها وتزايدت فيها التجار حتى بلغ ثمنها أربعة آلاف دينار فقلت لعلى أشترى هذه لمولانا السلطان فان أصل ثمنها كان من عنده فقلت يا ولدى خذ ثمنها أربعة آلاف دينار فلما سمع كلامى نظر الىّ وقال يا شيخ النحس أبيعها لليهود والنصارى ولا أبيعها لك فقلت أنا ما أشتريها لنفسى وانما أشتريها لمولانا السلطان الذى هو ولىّ نعمتنا فلما سمع منى هذا الكلام اغتاظ وجذبنى ورمانى عن الجواد وأنا شيخ كبير وضربنى ولم يزل يضربنى حتى

تركنى كما ترانى وأنا ما أوقعنى فى هذا كله الا اننى جئت لاشترى هذه الجارية لسعادتك ثم ان الوزير رمى نفسه على الارض وجعل يبكى ويرتعد فلما نظر السلطان حالته وسمع مقالته قام عرق الغضب بين عينيه ثم التفت الى من بحضرته من أرباب الدولة واذا بأربعين ضارب سيف وقفوا بين يديه فقال لهم السلطان انزلوا فى هذه الساعة الى دار على بن خاقان وانهبوها واهدموها وائتونى به وبالجارية مكتفين واسحبوهما على وجوههما واتوا بهما بين يدى فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم نزلوا وقصدوا المسير الى على نور الدين وكان عند السلطان حاجب يقال له علم الدين سنجر وكان أولا من مماليك الفضل بن خاقان والد على نور الدين فلما سمع أمر السلطان ورأى الاعداء تهيئوا الى قتل ابن سيده لم يهن عليه ذلك فركب جواده وسار الى أن أتى بيت على نور الدين فطرق الباب فخرج له على نور الدين فلما رآه عرفه وأراد أن يسلم عليه فقال ياسيدى ما هذا وقت سلام ولا كلام واسمع ما قال الشاعر

ونفسك فز بها ان خفت ضيما * وخل الدار تنعى من بناها
فانك واجد أرضا بأرض * ونفسك لم تجد نفسا سواها

فقال نور الدين ياعلم الدين ما الخبر فقال له انهض وفز بنفسك أنت والجارية فان المعين بن ساوى نصب لكما شركا ومتى وقعتما فى يده قتلكما وقد أرسل اليكما السلطان أربعين ضاربا بالسيف والرأى عندى ان تهربا قبل ان يحل الضرر بكما ثم ان سنجر مد يده الى نور الدين بدنانير فعدها فوجدها أربعين دينارا وقال له ياسيدى خذ هذه ولو كان معى أكثر من ذلك لاعطيتك اياه لكن ما هذا وقت معاتبة فعند ذلك دخل نور الدين على الجارية وأعلمها بذلك فتحيرت ثم خرج الاثنان فى الوقت الى ظاهر المدينة وأسبل الله عليهما ستره ومشيا الى ساحل البحر فوجدا مركبا تجهزت للسفر والريس واقف فى وسط المركب يقول من بقى له حاجة من وداع أو زواد أو نسى حاجة فليأت بها فاننا متوجهون فقالوا كلهم لم يبق لنا حاجة ياريس فعند ذلك قال الريس لجماعته هيا حلوا الطرف واقلعوا الاوتاد فقال على نور الدين الى أين ياريس فقال الى دار السلام بغداد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الريس لما قال لعلى نور الدين الى دار السلام مدينة بغداد نزل على نور الدين ونزلت معه الجارية وعوموا ونشروا القلوع فاندفعت المركب كأنها طير بجناحيه كما قال فيها بعضهم هذين البيتين

انظر الى مركب يسبيك منظره * تسابق الريح فى سير بسراء
كأنه طائر قد مد أجنحة * أتى من الجو منقضا على الماء

فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما جرى للاربعين الذين أرسلهم السلطان فانهم جاؤا الى بيت على نور الدين فكسروا الابواب ودخلوا وطافوا جميع الاماكن فلم يقعوا لهما على خبر فهدموا الدار ورجعوا واعلموا السلطان فقال اطلبوهما من أى مكان كانا فيه فقالوا السمع والطاعة ثم نزل الوزير المعين بن ساوى الى بيته بعد ان خلع عليه السلطان خلعة وقال له لا يأخذ بثارك الا أنا فدعا له بطول البقاء واطمأن قلبه ثم ان السلطان أمر ان ينادى فى المدينة يامعاشر الناس كافة قد أمر مولانا السلطان ان من عثر بعلى نور الدين بن خاقان وجاء به الى السلطان خلع عليه خلعة وأعطاه ألف دينار ومن أخفاه أو عرف مكانه ولم يخبر به فانه يستحق ما يجرى له من النكال فصار جميع الناس فى التفتيش على نور الدين فلم يعرفوا له أثرا هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر على نور الدين وجاريته فانهما وصلا بالسلامة الى بغداد فقال الريس هذه بغداد وهى مدينة أمينة قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بورده وأزهرت أشجارها وجرت انهارها فعند ذلك طلع على نور الدين هو وجاريته من المركب وأعطى الريس خمسة دنانير ثم سارا قليلا فرمتهما المقادير بين البساتين فجا آ الى مكان فوجداه مكنوسا مرشوشا بمصاطب مستطيلة وقواديس معلقة ملآنة بالماء وفوقه مكعب من القصب بطول الزقاق وفى صدر الزقاق باب بستان الا انه مغلوق فقال على نور الدين للجارية والله ان هذا المحل مليح فقالت ياسيدى اقعد بنا ساعة على هذه المصاطب فطلعا وجلسا على المصاطب ثم غسلا وجوههما وأيديهما واستلذا بمرور النسيم فناما وجل من لا ينام وكان هذا البستان يسمى بستان النزهة وهناك قصر يقال له قصر الفرجة وهو للخليفة هرون الرشيد وكان الخليفة اذا ضاق صدره يأتى الى هذا البستان ويدخل ذلك القصر فيقعد فيه وكان القصر له ثمانون شباكا ومعلقا فيه ثمانون قنديلا وفى وسطه شمعدان كبير من الذهب فاذا دخله الخليفة أمر الجوارى أن تفتح الشبابيك وأمر اسحق النديم والجوارى أن يغنوا فينشرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولى شيخ كبير يقال له الشيخ ابراهيم واتفق انه خرج ليقضى حاجة من أشغاله فوجد المتفرجين معهم النساء أهل الريبة فغضب غضبا شديدا فصبر الشيخ ابراهيم حتى جاء عنده الخليفة فى بعض الايام فأعلمه بذلك فقال الخليفة كل من وجدته على باب البستان فافعل به ما أردت فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ ابراهيم الخولى لقضاء حاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين على باب البستان مغطيين بازار واحد فقال أما عرفا ان الخليفة أعطانى اذنا ان كل من لقيته هنا أقتله ولكن أنا أضرب هذين ضربا خفيفا حتى لا يتقرب أحد من باب البستان ثم قطع جريدة خضراء وخرج اليهما ورفع

يده

يده فبان بياض ابطه وأراد ضربهما فتفكر في نفسه وقال يا ابراهيم كيف تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين أو من أبناء السبيل ورمتهما المقادير هنا فأنا أكشف وجوههما وانظر اليهما فرفع الازار عن وجوههما وقال هذان حسنان لا ينبغي أن أضربهما ثم غطى وجوههما وتقدم الى رجل على نور الدين وجعل يكبسها ففتح عينيه فوجده شيخا كبيرا فاستحى على نور الدين ولم رجليه واستوى قاعدا وأخذ يد الشيخ ابراهيم وقبلها فقال له يا ولدي من أين أنتم فقال له يا سيدي نحن غرباء وفرت الدمعة من عينه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدي اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى باكرام الغريب ثم قال له يا ولدي أما تقوم وتدخل البستان وتتفرج فيه فينشرح صدرك فقال له نور الدين يا سيدي هذا البستان لمن قال يا ولدي هذا البستان ورثته من أهلي وما كان قصد الشيخ ابراهيم بهذا الكلام الا ان يطمئنا ويدخلا البستان فلما سمع نور الدين كلامه شكره وقام هو وجاريته والشيخ ابراهيم قدامهما فدخلوا البستان فاذا هو بستان بابه مقنطر عليه كروم وأعنابه مختلفة الالوان الاحمر كانه ياقوت والاسود كانه ابنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الاثمار صنوانا وغير صنوان والاطيار تغرد بالالحان على الاغصان والهزار يترنم والقمري ملأ بصوته المكان والشحرور كانه في تغريده انسان والفاخت كانه شارب نشوان والاشجار قد أينعت أثمارها من كل مأكول ومن كل فاكهة زوجان والمشمش ما بين كافوري ولوزي ومشمش خراسان والبرقوق كانه لون الحسان والقراصية تذهل عقل كل انسان والتين ما بين أحمر وأبيض وأخضر من أحسن الالوان والزهر كانه اللؤلؤ والمرجان والورد يفضح بحمرته خدود الحسان والبنفسج كانه كبريت دنا من النيران والآس والمنثور والخزامى مع شقائق النعمان وتكللت تلك الاوراق بمدامع الغمام وضحك ثغر الاقحوان وصار النرجس ناظرا الى الورد بعيون السودان والاترج كانه أكواب والليمون كبنادق من ذهب وفرشت الارض بالزهر من سائر الالوان وأقبل الربيع فأشرق ببهجته المكان والنهر في خرير والطير في هدير والريح في صفير والزمان في اعتدال والنسيم في اعتلال ثم دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المعلقة فابتهجوا بحسن تلك القاعة وما فيها من اللطائف الغريبة وجلسوا في بعض الشبابيك فتذكر نور الدين المقامات التي مضت له فقال والله ان هذا المكان في غاية الحسن لقد ذكرني بما مضى واطفأ من كربي جمر الغضا ثم ان الشيخ ابراهيم قدم لهما الاكل فأكلا كفايتهما ثم غسلا أيديهما وجلس نور الدين في شباك من تلك الشبابيك وصاح على جاريته فأتت اليه فصارا ينظران الى الاشجار وقد حملت سائر الاثمار ثم التفت على نور الدين الى الشيخ ابراهيم

وقال له ياشيخ ابراهيم أما عندك شيء من الشراب لان الناس يشربون بعد ان يأكلوا فجاءه الشيخ ابراهيم بماء حلو بارد فقال له نور الدين ماهذا الشراب الذي أريده فقال له أتريد الخمر فقال نور الدين نعم فقال أعوذ بالله منها ان لي ثلاثة عشر عاما مافعلت ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لعن شاربه وعاصره وحامله فقال له نور الدين اسمع مني كلمتين قال قل ماشئت قال اذا لم تكن عاصر الخمر ولا شاربه ولا حامله هل يصيبك من لعنهم شيء قال لا قال خذ هذين الدينارين وهذين الدرهمين واركب هذا الحمار وقف بعيدا وأي انسان وجدته يشتري فصح عليه وقل له خذ هذين الدرهمين واشتر بهذين الدينارين خمرا واحمله على الحمار وحينئذ لا تكون شاربا ولا حاملا ولا عاصرا ولا مشتريا ولا يصيبك شيء مما أصاب الجميع فقال الشيخ ابراهيم وقد ضحك من كلامه والله مارأيت أظرف منك ولا أحلى من كلامك فقال له نور الدين نحن صرنا محسوبين عليك وما عليك الا الموافقة فات لنا بجميع مانحتاج اليه فقال الشيخ ابراهيم ياولدي هذا كراري قدامك وهو الحاصل المعد لامير المؤمنين فادخله وخذ منه ماشئت فان فيه فوق ماتريد فدخل نور الدين الحاصل فرأى فيه أواني من الذهب والفضة والبلور مرصعة باصناف الجواهر فأخرج منها ما أراد وسكب الخمر في البواطي والقناني وصار هو وجاريته يتعاطيان واندهشا من حسن مارأيا ثم ان الشيخ ابراهيم جاء لهما بالمشموم وقعد بعيدا عنهما فلم يزالا يشربان وهما في غاية الفرح حتى تحكم معهما الشراب واحمرت خدودهما وتغازلت عيونهما واسترخت شعورهما فقال الشيخ ابراهيم مالي أقعد بعيدا عنهما كيف لا أقعد عندهما وأي وقت أجتمع في حضرة مثل هذين الاثنين اللذين كأنهما قمران ثم ان الشيخ ابراهيم تقدم وقعد في طرف الايوان فقال له علي نور الدين ياسيدي بحياتي عليك ان تتقدم عندنا فتقدم الشيخ ابراهيم عندهما فملأ نور الدين قدحا ونظر الى الشيخ ابراهيم وقال له اشرب حتى تعرف مالذة طعمه فقال الشيخ ابراهيم أعوذ بالله ان لي ثلاث عشرة سنة مافعلت شيأ من ذلك فتغافل عنه نور الدين وشرب القدح ورمى نفسه في الارض وأظهر انه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت اليه أنيس الجليس وقالت له ياشيخ ابراهيم انظر هذا كيف عمل معي قال لها ياسيدتي ماله قالت دائما يعمل معي هكذا فيشرب ساعة وينام وأبقى أنا وحدي لا أجد لي نديما ينادمني على قدحي فاذا شربت فمن يعاطيني واذا غنيت فمن يسمعني فقال لها الشيخ ابراهيم وقد حنت أعضاؤه ومالت نفسه اليها من كلامها وقال لا ينبغي من النديم ان يكون هكذا ثم ان الجارية ملأت قدحا ونظرت الى الشيخ ابراهيم وقالت له بحياتي ان تأخذه وتشربه ولا ترده فاقبله واجبر خاطري فمد الشيخ ابراهيم يده وأخذ القدح وشربه وملأت له ثانيا ومدت اليه يدها به وقالت له ياسيدي بقي لك هذا

فقال

فقال لها والله لا أقدر أن أشرب به فقد كفاني الذي شربته فقالت له والله لا بد منه فأخذ القدح وشربه ثم اعطته الثالث فأخذه وأراد ان يشرب به واذا بنور الدين هم قاعدا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عليا نور الدين هم قاعدا فقال له ياشيخ ابراهيم أي شيء هذا أما حلفت عليك من ساعة فأبيت وقلت ان لي ثلاثة عشر عاما ما فعلته فقال الشيخ ابراهيم وقد استحي والله مالي ذنب وانما هي شددت علي فضحك نور الدين وقعد والمنادمة فالتفتت الجارية وقالت لسيدها اسر ياسيدي اشرب ولا تحلف على الشيخ ابراهيم حتى أفرجك عليه فجعلت الجارية تملأ وتسقي سيدها وسيدها يملأ و يسقيها ولم يزالا كذلك مرة بعد مرة فنظر لهما الشيخ ابراهيم وقال لهما أي شيء هذا وما هذه المنادمة لم لا تسقياني وقد صرت نديمكما فضحكا من كلامه الى أن أغمي عليهما ثم شربا وسقياه ولا زالوا في المنادمة الى ثلث الليل فعند ذلك قالت الجارية ياشيخ ابراهيم عن اذنك هل أقوم وأوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقال لها قومي ولا توقدي الا شمعة واحدة فنهضت على قدميها وابتدأت من أول الشمع الى أن أوقدت ثمانين شمعة ثم قعدت و بعد ذلك قال نور الدين ياشيخ ابراهيم وأنا أي شيء حظي عندك أما تخليني أوقد قنديلا من هذه القناديل فقال له الشيخ ابراهيم قم وأوقد قنديلا واحدا ولا تتثاقل أنت الآخر فقام وابتدأ من أولها الى أن أوقد ثمانين قنديلا فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ ابراهيم وقد غلب عليه السكر أنتما أخرع مني ثم انه نهض على قدميه وفتح الشبابيك جميعا وجلس معهما يتنادمون و يتناشدون الاشعار وابتهج بهم المكان فقدر الله السميع العليم الذي جعل لكل شيء سببا أن الخليفة كان في تلك الساعة جالسا في الشبابيك المطلة على ناحية الدجلة في ضوء القمر فنظر الى تلك الجهة فرأى ضوء القناديل والشموع في البحر ساطعا فلاحت من الخليفة التفاتة الى القصر الذي في البستان فرآه يرهج من تلك الشموع والقناديل فقال علي بجعفر البرمكي فما كان الالحظة وقد حضر جعفر بين يدي أمير المؤمنين فقال له يا كلب الوزراء أتخدمني ولم تعلمني بما يحصل في مدينة بغداد فقال له جعفر وما سبب هذا الكلام فقال لولا أن مدينة بغداد أخذت مني ما كان قصر الفرجة مبتهجا بضوء القناديل والشموع وانفتحت شبابيكه و يلك من الذي يكون له قدرة على هذه الفعال الا اذا كانت الخلافة أخذت مني فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه ومن أخبرك بأن قصر الفرجة أوقدت فيه القناديل والشموع وفتحت شبابيكه فقال له تقدم عندي وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظر ناحية البستان فوجد القصر كأنه شعلة نار نورها غالب على نور القمر

فاراد جعفر أن يعتذر عن الشيخ ابراهيم الخولى ربما يكون هذا الامر باذنه لما رأى فيه من المصلحة فقال يا أمير المؤمنين كان الشيخ ابراهيم فى الجمعة التى مضت قال لى ياسيدى جعفر انى أريد أن أفرح أولادى فى حياتك وحياة أمير المؤمنين فقلت وما مرادك بهذا الكلام فقال لى مرادى أن تأخذ لى اذنا من الخليفة بأنى أطاهر أولادى فى القصر فقلت له افعل ماشئت من فرح أولادك وان شاء الله أجتمع بالخليفة وأعلمه بذلك فراح من عندى على هذا الحال ونسيت أن أعلمك فقال الخليفة ياجعفر كان لك عندى ذنب واحد فصار لك عندى ذنبان لانك أخطأت من وجهين الوجه الاول انك ما أعلمتنى بذلك الوجه الثانى انك مابلغت الشيخ ابراهيم مقصوده فانه ماجاء اليك وقال لك هذا الكلام الا تعريضا بطلب شئ من المال يستعين به على مقصوده فلم تعطه شيأ ولم تعلمنى حتى أعطيه فقال جعفر يا أمير المؤمنين نسيت فقال الخليفة وحق آبائى وأجدادى ما أتمم بقية ليلتى الا عنده فانه رجل صالح يتردد الى المشايخ ويحتفل بالفقراء ويواسى المساكين وأظن أن الجميع عنده فى هذه الليلة فلابد من الذهاب اليه لعل واحدا منهم يدعو لنا دعوة يحصل لنا بها خير فى الدنيا والآخرة وربما يحصل له نفع فى هذا الامر بحضورى ويفرح بذلك هو وأحبابه فقال جعفر يا أمير المؤمنين ان معظم الليل قد مضى وهم فى هذه الساعة على وجه الانفضاض فقال الخليفة لابد من الرواح عندهم فسكت جعفر وتحير فى نفسه وصار لا يدرى فنهض الخليفة على قدميه وقام جعفر بين يديه ومعهم مسرور الخادم ومشى الثلاثة متفكرين ونزلوا من القصر وجعلوا يشقون فى الازقاء وهم فى زى التجار الى أن وصلوا الى باب البستان المذكور فتقدم الخليفة فرأى البستان مفتوحا فتعجب وقال انظر الشيخ ابراهيم كيف خلى الباب مفتوحا الى هذا الوقت وماهى عادته ثم انهم دخلوا الى أن انتهوا الى آخر البستان ووقفوا تحت القصر فقال الخليفة ياجعفر أريد أن أتسلل عليهم قبل أن أطلع عندهم حتى أنظر ما عليه المشايخ من النفحات وواردات الكرامات فان لهم شؤنا فى الخلوات والجلوات لاننا الآن لم نسمع لهم صوتا ولم نر لهم أثرا ثم ان الخليفة نظر فرأى شجرة جوز عالية فقال ياجعفر أريد أن أطلع على هذه الشجرة فان فروعها قريبة من الشبابيك وأنظر اليهم ثم ان الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق من فرع الى فرع حتى وصل الى الفرع الذى يقابل الشباك وقعد فوقه ونظر من شباك القصر فرأى صبية وصبيا كأنهما قمران سبحان من خلقهما ورأى الشيخ ابراهيم قاعدا وفى يده قدح وهو يقول ياسيدة الملاح الشرب بلا طرب غير فلاح ألم تسمعى قول الشاعر

أدرها بالكبير وبالصغير * وخذها من يد القمر المنير

ولا

ولا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

فلما عاين الخليفة من الشيخ ابراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب بين عينيه ونزل وقال يا جعفر أنا ما رأيت شيأ من كرامات الصالحين مثل ما رأيت فى هذه الليلة فاطلع أنت الآخر على هذه الشجرة وانظر لئلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام أمير المؤمنين صار متحيرا فى أمره وصعد الى أعلى الشجرة واذا به نظر فرأى نور الدين والشيخ ابراهيم والجارية وكان الشيخ ابراهيم فى يده القدح فلما عاين جعفر تلك الحالة أيقن بالهلاك ثم نزل فوقف بين يدى أمير المؤمنين فقال الخليفة يا جعفر الحمد لله الذى جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة المطهرة وكفانا شر تلبيسات الطريقة المزورة فلم يقدر جعفر أن يتكلم من شدة الخجل ثم نظر الخليفة الى جعفر وقال يا ترى من أوصل هؤلاء الى هذا المكان ومن أدخلهم قصرى ولكن مثل هذا الصبى وهذه الصبية ما رأت عينى حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فقال جعفر وقد استرجى رضا الخليفة صدقت يا أمير المؤمنين فقال يا جعفر اطلع بنا على هذا الفرع الذى هو مقابلهم لنتفرج عليهم فطلع الاثنان على الشجرة ونظراهما فسمعا الشيخ ابراهيم يقول يا سادتى قد تركت الوقار بشرب العقار ولا يلذ ذلك الا بنغمات الاوتار فقالت له أنيس الجليس يا شيخ ابراهيم والله لو كان عندنا شئ من آلات الطرب لكان من سرورنا كاملا فلما سمع الشيخ ابراهيم كلام الجارية نهض قائما على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا ترى ماذا يريد أن يعمل فقال جعفر لا أدرى فغاب الشيخ ابراهيم وعاد ومعه عود فتأمله الخليفة فاذا هو عود اسحق النديم فقال الخليفة والله ان غنت الجارية ولم تحسن الغناء صلبتكم كلكم وان غنت وأحسنت الغناء فانى أعفو عنهم وأصلبك أنت فقال جعفر اللهم اجعلها لا تحسن الغناء فقال الخليفة لاى شئ فقال لاجل أن تصلبنا كلنا فيؤانس بعضنا بعضا فضحك الخليفة واذا بالجارية أخذت العود وأصلحت أوتاره وضربت ضربا يذيب الحديد ويفطن البليد وجعلت تنشد هذه الابيات

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر آمينا
ما الخوف أن تقتلونا فى منازلكم * وانما خوفنا أن تأثموا فينا

فقال الخليفة والله يا جعفر عمرى ما سمعت صوتا مطربا مثل هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهب ما عنده من الغيظ قال نعم ذهب ثم نزل من الشجرة هو وجعفر ثم التفت الى جعفر وقال أريد

أن أطلع وأجلس عندهم وأسمع الصبية تغنى قدامى فقال يا أمير المؤمنين اذا اطلعت عليهم ربما تكدروا وأما الشيخ ابراهيم فانه يموت من الخوف فقال الخليفة يا جعفر لا بد أن تعرفني حيلة أحتال بها على معرفة حقيقة هذا الامر من غير أن يشعروا باطلاعنا عليهم ثم ان الخليفة هو وجعفر ذهبا الى ناحية الدجلة وهما متفكران فى هذا الامر واذا بصياد واقف يصطاد وكان الصياد تحت شبابيك القصر فرمى شبكته ليصطاد ما يقتات به وكان الخليفة سابقا صاح على الشيخ ابراهيم وقال له ما هذا الصوت الذى سمعته تحت شبابيك القصر فقال له الشيخ ابراهيم صوت الصيادين الذين يصطادون السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنعت الصيادون من ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد يسمى كريما ورأى باب البستان مفتوحا فقال فى نفسه هذا وقت غفلة لعلى استغنم فى هذا الوقت صيدا ثم أخذ شبكته وطرحها فى البحر وصار ينشد هذه الابيات

يا راكب البحر فى الاهوال والهلكه * اقصر عناك فليس الرزق بالحركه
أما ترى البحر والصياد منتصب * فى ليله ونجوم الليل محتبكه
قد مد أطنابه والموج يلطمه * وعينه لم تزل فى كلكل الشبكه
حتى اذا بات مسرورا بها فرحا * والحوت قد حط فى فخ الردى حنكه
وصاحب القصر أمسى فيه ليلته * منعم البال فى خير من البركه
وصار مستيقظا من بعد رقدته * لكن فى ملكه ظبيا وقد ملكه
سبحان ربى يعطى ذا ويمنع ذا * بعض يصيد وبعض يأكل السمكه

فلما فرغ من شعره واذا بالخليفة وحده واقف على رأسه فعرفه الخليفة فقال له يا كريم فالتفت اليه لما سمعه سماه باسمه فلما رأى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال والله يا أمير المؤمنين ما فعلته استهزاء بالمرسوم ولكن الفقر والعيلة قد حملانى على ما ترى فقال الخليفة اصطد على بختى فتقدم الصياد وقد فرح فرحا شديدا وطرح الشبكة وصبر الى أن أخذت حدها وثبتت فى القرار ثم جذبها اليه فطلع فيها من أنواع السمك ما لا يحصى ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وفيها من القمل الذى له أذناب ومن البراغيث ما يكاد أن يسير بها على وجه الارض وقلع عمامته من فوق رأسه وكان له ثلاث سنين ما حلها وانما كان اذا رأى خرقة لفها عليها فلما قلع الجبة والعمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين من الحرير الاسكندرانى والبعلبكى وملوطة وفرجية ثم قال للصياد خذ هذه والبسها ثم لبس الخليفة جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاما ثم قال للصياد رح أنت الى شغلك فقبل رجل

الخليفة

الخليفة وشكره وأنشد هذين البيتين

أوليتني مالا أقوم بشكره ❊ وكفيتني كل الامور بأسرها

فلأشكرنك ماحييت وان أمت ❊ شكرتك مني أعظمي في قبرها

فلما فرغ الصياد من شعره حتى جال القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشمال من على رقبته ويرمي ثم قال ياصياد ويلك ماهذا القمل الكثير في هذه الجبة فقال ياسيدي انه في هذه الساعة يؤلمك فاذا مضت عليك جمعة فانك لاتحس به ولاتفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك كيف أخلي هذه الجبة على جسدي فقال الصياد اني أشتهي أن أقول لك كلاما ولكن أستحي من هيبة الخليفة فقال له قل ماعندك فقال له قد خطر ببالي يا أمير المؤمنين انك أردت أن تتعلم الصيد لاجل أن تكون في يدك صنعة تنفعك فان أردت ذلك يا أمير المؤمنين فان هذه الجبة تناسبك فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولى الصياد الى حال سبيله وأخذ الخليفة مقطف السمك ووضع فوقه قليلا من الحشيش وأتى به الى جعفر ووقف بين يديه فاعتقد جعفر انه كريم الصياد فخاف عليه وقال يا كريم ماجاء بك هنا انج بنفسك فان الخليفة ههنا في هذه الليلة فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك حتى استلقى على قفاه فقال له جعفر لعلك مولانا أمير المؤمنين فقال الخليفة نعم ياجعفر وأنت وزيري وجئت أنا واياك هنا وما عرفتني فكيف يعرفني الشيخ ابراهيم وهو سكران فكن مكانك حتى أرجع اليك فقال جعفر سمعا وطاعة ثم ان الخليفة تقدم الى باب القصر ودقه فقام الشيخ ابراهيم وقال من بالباب فقال له أنا ياشيخ ابراهيم قال له من أنت قال أنا كريم الصياد وسمعت أن عندك أضيافا فجئت اليك بشئ من السمك فانه مليح وكان نور الدين هو والجارية يحبان السمك فلما سمعا ذكر السمك فرحا به فرحا شديدا وقالا ياسيدي افتح له ودعه يدخل لنا بالسمك الذي معه ففتح الشيخ ابراهيم الباب فدخل الخليفة وهو في صورة الصياد وابتدأ بالسلام فقال له الشيخ ابراهيم أهلا باللص السارق المقامر تعال أرنا السمك الذي معك فأراهم اياه فلما نظروه فاذا هو حي يتحرك فقالت الجارية والله ياسيدي ان هذا السمك مليح ياليته مقلي فقال الشيخ ابراهيم والله صدقت ثم قال للخليفة ياصياد ليتك جئت بهذا السمك مقليا قم فاقله لنا وهاته فقال الخليفة على الرأس أقليه وأجئ به فقالوا له عجل بقليه والاتيان به فقام الخليفة يجري حتى وصل الى جعفر وقال ياجعفر طلبوا السمك مقليا فقال ياأمير المؤمنين هاته وأنا أقليه فقال الخليفة وتربة آبائي وأجدادي مايقليه الا أنا بيدي ثم ان الخليفة ذهب الى خص الخولي وفتش فيه فوجد فيه كل شئ يحتاج اليه من آلة القلي حتى الملح والزعتر وغير ذلك فتقدم للكانون وعلق الطاجن وقلاه قليا مليحا فلما استوى جعله على ورق

الموز وأخذ من البستان ليمونا وطلع بالسمك ووضعه بين أيديهم فتقدم الصبي والصبية والشيخ ابراهيم وأكلوا فلما فرغوا غسلوا أيديهم فقال نور الدين والله يا صياد انك صنعت معنا معروفا في هذه الليلة ثم وضع يده في جيبه وأخرج له ثلاثة دنانير من الدنانير التي أعطاه اياها سنجر وقت خروجه للسفر وقال يا صياد اعذرني فوالله لو عرفتك قبل الذي حصل لي سابقا لكنت نزعت مرارة الفقر من قلبك لكن خذ هذا بحسب الحال ثم رمى الدنانير للخليفة فأخذها الخليفة وقبلها ووضعها في جيبه وما كان مراد الخليفة بذلك الا السماع من الجارية وهي تغني فقال له الخليفة أحسنت وتفضلت لكن مرادي من تصدقاتك العميمة أن هذه الجارية تغني لنا صوتا حتى أسمعها فقال علي نور الدين يا أنيس الجليس قالت نعم قال لها وحياتي أن تغني لنا شيأ من شأن خاطر هذا الصياد لانه يريد أن يسمعك فلما سمعت كلام سيدها أخذت العود وغمزته بعد أن عركت أذنه وأنشدت هذين البيتين

وغادة لعبت بالعود أنملها * فعادت النفس عند الجس تختلس
قد أسمعت بالاغاني من به صمم * وقال أحسنت مغني من به خرس

ثم انها ضربت ضربا غريبا الى أن أذهلت العقول وأنشدت تقول هذين البيتين

وانه شرفنا اذ نزلتم أرضنا * ومحاسنا كم ظلمة الديجور
فيحق لي اني أخلق منزلي * بالمسك والماورد والكافور

فعند ذلك اضطرب الخليفة وغلب عليه الوجد فلم يملك نفسه من شدة الطرب وصار يقول طيبك الله طيبك الله طيبك الله فقال نور الدين يا صياد هل أعجبتك الجارية وتحريكها الاوتار فقال الخليفة أي والله فقال نور الدين هي هبة مني اليك هبة كريم لا يرجع في عطائه ثم ان نور الدين نهض قائما على قدميه وأخذ ملوطة ورماها على الخليفة وهو في صورة الصياد وأمره أن يخرج ويروح بالجارية فنظرت الجارية اليه وقالت يا سيدي هل أنت رائح بلا وداع ان كان ولا بد فقف حتى أودعك وأنشدت هذين البيتين

لئن غبتموا عني فان محلكم * لفي مهجتي بين الجوانح والحشا
وأرجو من الرحمن جمعا لشملنا * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

فلما فرغت من شعرها أجابها نور الدين وهو يقول

ودعتني يوم الفراق وقالت * وهي تبكي من لوعة وفراق
ما الذي أنت صانع بعد بعدي * قلت قولي هذا لمن هو باق

ثم ان الخليفة لما سمع ذلك صعب عليه التفريق بينهما والتفت الى الصبي وقال له يا سيدي هل

انت

أنت خائف من جناية أولأحد عليك دين فقال نور الدين والله ياصياد انه جرى لى ولهذه الجارية حديث عجيب وأمر غريب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الخليفة أما تحدثنا بحديثك وتعرفنا بخبرك عسى أن يكون لك فيه فرج فان فرج الله قريب فقال نور الدين ياصياد هل تسمع حديثنا نظما او نثرا فقال الخليفة النثر كلام والشعر نظام فعند ذلك أطرق نور الدين رأسه الى الارض وأنشأ يقول هذه الابيات

ياخليلى انى هجرت رقادى * وهمومى نمت لبعد بلادى
كان لى والد على شفيق * غاب عنى مجاور الالحاد
وجرت لى من بعد ذاك أمور * صرت منها مفتت الاكباد
اشترى لى من الحسان فتاة * مثل غصن بقدها المياد
فصرفت الذى ورثت عليها * وتحيرتها على الاجواد
سمتها البيع اذ تزايد همى * وجوى البين لم يكن بمرادى
واذا مادعا اليها مناد * زاد فيها شيخ كثير الفساد
فلهذاك اغتظت غيظا شديدا * وللكى جذبتها بأياد
فتردى ذاك اللئيم بقبح * ثم قادت فيه لظى الالحاد
من غرامى لكمته بيمينى * وشمالى حتى شفيت فؤادى
ومن الخوف قد أتيت لدارى * وتيقنت سطوة الاضداد
فهدى مالك البلاد لحبسى * فأتى الحاجب الرشيد السداد
رامزا الى أنى أسير بعيدا * عن ذراهم مكمدا حسادى
فطلعنا من دارنا جنح ليل * طالبين المقام فى بغداد
ليس شئ من الذخائر عندى * دونها منحة الى الصياد
غير أنى أعطيك محبوب قلبى * فتيقن انى وهبت فؤادى

فلما فرغ من شعره قال الخليفة ياسيدى نور الدين اشرح لى أمرك فأخبره نور الدين بحاله من أوله الى آخره فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له أين تقصد فى هذه الساعة قال له بلاد الله فسيحة فقال له الخليفة أنا أكتب لك ورقة توصلها الى السلطان محمد بن سليمان الزينى فاذا قرأها لايضرك بشئ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة لما قال لعلى نور الدين أنا أكتب لك ورقة توصلها الى السلطان محمد بن سليمان الزينى فاذا قرأها لايضرك

بشيء فقال له على نور الدين وهل فى الدنيا صياد يكاتب الملوك ان هذا شيء لا يكون أبدا فقال له الخليفة صدقت ولكن أنا أخبرك بالسبب اعلم انى قرأت أنا واياه فى مكتب واحد عند فقيه وكنت أنا عريفه ثم أدركته السعادة وصار سلطانا وجعلنى الله صيادا ولكنى لم أرسل اليه فى حاجة الا قضاها ولو أرسلت اليه فى كل يوم من شأن ألف حاجة لقضاها فلما سمع نور الدين كلامه قال له اكتب حتى أنظر فأخذ دواة وقلما وكتب بعد البسملة أما بعد فان هذا الكتاب من هرون الرشيد بن المهدى الى حضرة محمد بن سليمان الزينبى المشمول بنعمتى الذى جعلته نائبا عنى فى بعض مملكتى وأعرفك أن الواصل اليك هذا الكتاب صحبة نور الدين بن خاقان الوزير فساعة وصوله عندكم تنزع نفسك من الملك وتجلسه مكانك فانى قد وليته على ما كنت وليتك عليه سابقا فلا تخالف أمرى والسلام ثم أعطى على نور الدين بن خاقان الكتاب فأخذه نور الدين وقبله وحطه فى عمامته ونزل فى الوقت مسافرا هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر الخليفة فان الشيخ ابراهيم نظر اليه وهو فى صورة الصياد وقال له يا أحقر الصيادين قد جئت لنا بسمكتين تساويان عشرين نصفا فأخذت ثلاثة دنانير وتريد أن تأخذ الجارية أيضا فلما سمع كلامه صاح عليه وأومأ الى مسرور فأشهر نفسه وهجم عليه وكان جعفر قد أرسل رجلا من صبيان البستان الى بواب القصر يطلب منه بدلة لامير المؤمنين فذهب الرجل وطلع بالبدلة وقبل الارض بين يدى الخليفة فخلع عليه الخليفة ما كان عليه ولبس تلك البدلة وكان الشيخ ابراهيم جالسا على كرسى والخليفة واقف ينظر ما يجرى فعند ذلك بهت الشيخ ابراهيم وصار يعض فى أنامله من الخجل ويقول يا ترى هل أنا نائم أم يقظان فنظر اليه الخليفة وقال يا شيخ ابراهيم ما هذا الحال الذى أنت فيه فعند ذلك أفاق من سكره ورمى نفسه على الارض وأنشد هذين البيتين

هب لى جناية ما زلت به القدم * فان للعبد من ساداته كرم
فعلت ما يقتضيه الذنب معترفا * فأين ما يقتضيه العفو والكرم

فعفا عنه الخليفة وأمر بالجارية أن تحمل الى القصر فلما وصلت الى القصر أفرد لها الخليفة منزلا وحدها ووكل بها من يخدمها وقال لها اعلمى انى أرسلت سيدك سلطانا على البصرة فان شاء الله نرسل اليه خلعة ونرسلك اليه صحبتها هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما جرى لنور الدين على بن خاقان فانه لا زال مسافرا حتى دخل البصرة وطلع قصر السلطان ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما حضر بين يديه قبل الارض قدامه ثم أخرج الورقة وأعطاه اياها فلما رأى عنوان الكتاب بخط أمير المؤمنين قام واقفا على قدميه وقبلها ثلاث مرات وقال السمع والطاعة

لله تعالى ولأمير المؤمنين ثم أحضر القضاة الاربعة والامراء وأراد أن يخلع نفسه من الملك واذا بالوزير المعين بن ساوى قد حضر فأعطاه السلطان ورقة أمير المؤمنين فلما قرأها قطعها عن آخرها وأخذها فى فمه ومضغها ورماها فقال له السلطان وقد غضب ويلك ما الذى حملك على هذه الفعال قال له هذا ما اجتمع بالخليفة ولا بوزيره وانما هو علق شيطان مكار وقع بورقة فيها خط الخليفة فزورها وكتب فيها ما أراد فلأى شئ تعزل نفسك من السلطنة مع أن الخليفة لم يرسل اليك رسولا بخط شريف ولو كان هذا الامر صحيحا لارسل معه حاجبا أو وزيرا لكنه جاء وحده فقال له وكيف العمل قال له ارسل معى هذا الشاب وأنا آخذه وأسلمه منك وأرسله صحبة حاجب الى مدينة بغداد فان كان كلامه صحيحا يأتينا بخط شريف وتقليد وان كان غير صحيح يرسلوه الينا مع الحاجب وأنا آخذ حقى من غريمى فلما سمع السلطان كلام الوزير ودخل عقله صاح على الغلمان فطرحوه وضربوه الى أن أغمى عليه ثم أمر أن يضعوا فى رجليه قيدا وصاح على السجان فلما حضر قبل الارض بين يديه وكان هذا السجان يقال له قطيط فقال له يا قطيط أريد أن تأخذ هذا وترميه فى مطمورة من المطامير التى عندك فى السجن وتعاقبه بالليل والنهار فقال السجان سمعا وطاعة ثم ان السجان أدخل نور الدين فى السجن وقفل عليه الباب ثم أمر بكنس مصطبة وراء الباب وفرشها بسجادة ومخدة وأقعد نور الدين عليها وفك قيده وأحسن اليه وكان كل يوم يرسل الى السجان ويأمره بضربه والسجان يظهر أنه يعاقبه وهو يلاطفه ولم يزل كذلك مدة أربعين يوما فلما كان اليوم الحادى والاربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما رآها السلطان أعجبته فشاور الوزراء فى أمرها فقال بعض لعل هذه الهدية كانت للسلطان الجديد فقال الوزير المعين بن ساوى انما كان المناسب قتله وقت قدومه فقال السلطان والله انك ذكرتنى به انزل هاته واضرب عنقه فقال الوزير سمعا وطاعة فقام وقال له ان قصدى أن أنادى فى المدينة من أراد أن يتفرج على ضرب رقبة نور الدين على بن خاقان فليأت الى القصر فيأتى جميع الناس ليتفرجوا عليه لأشفى فؤادى وأكمد حسادى فقال له السلطان افعل ما تريد فنزل الوزير وهو فرحان مسرور وأقبل على الوالى وأمره أن ينادى بما ذكرناه فلما سمع الناس المنادى حزنوا وبكوا جميعا حتى الصغار فى المكاتب والسوقة فى دكاكينهم وتسابق الناس يأخذون لهم أماكن ليتفرجوا فيها وذهب بعض الناس الى السجن حتى يأتى معه ونزل الوزير ومعه عشرة مماليك الى السجن فقال قطيط السجان ما تطلب يا مولانا الوزير فقال أحضر لى هذا العلق فقال السجان انه فى أقبح حال من كثرة ما ضربته ثم دخل السجان فوجده ينشد هذه الابيات

من لى يساعدنى على بلوائى * فقد اعتلى دائى وعز دوائى
والهجر أضنى مهجتى وحشاشتى * والدهر ردّ أحبتى أعدائى
ياقوم هل فيكم رفيق مشفق * يرثى لحالى أو يجيب ندائى
فالموت هان علىّ مع سكراته * وقطعت من طيب الحياة رجائى
يارب ّبالهادى البشير المصطفى * بحر المكارم سيد الشفعاء
أدعوك تنقذنى وتغفر زلتى * وتزيل عنى شقوتى وعنائى

فعند ذلك نزع عنه السجان ثيابه النظاف وألبسه ثوبين وسخين ونزل به الى الوزير فنظره نور الدين فرآه عدوه الذى لازال يطلب قتله فلما رآه بكى وقال له هل أمنت الدهر أما سمعت قول الشاعر

تحكموا فاستطالوا فى تحكمهم * وعن قريب كان الحكم لم يكن

ثم قال ياوزير اعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد فقال له ياعلى أتخوفنى بهذا الكلام فأنا فى هذا اليوم أضرب رقبتك على رغم أنف أهل البصرة ولا ألتفت الى نصحك وانما ألتفت الى قول الشاعر

دع الايام تفعل ماتشاء * وطب نفسا اذا فعل القضاء

وما أحسن قول الآخر

من عاش بعد عدوه * يوما فقد بلغ المنى

ثم ان الوزير أمر غلمانه أن يحملوه على ظهر بغل فقال الغلمان لعلى نور الدين وقد صعب عليهم دعنا نرجمه ونقطعه ولو تروح أرواحنا فقال لهم على نور الدين لا تفعلوا ذلك أبدا أما سمعتم قول الشاعر

لابد لى من مدة محتومة * فاذا انقضت أيامها مت
لو أدخلتنى الاسد فى غاباتها * لم تفنها مادام لى وقت

ثم انهم نادوا على نور الدين هذا أقل ّجزاء من يزور مكتوبا على الخليفة الى السلطان ولازالوا يطوفون به فى البصرة الى أن أوقفوه تحت شباك القصر وجعلوه فى منقع الدم وتقدم اليه السياف وقال له أنا عبد مأمور فان كان لك حاجة فأخبرنى بها حتى أقضيها لك فانه مابقى من عمرك الاقدر مايخرج السلطان وجهه من الشباك فعند ذلك نظر يمينا وشمالا وأنشد هذه الابيات

فهل فيكم خل ّشفيق يعيننى * سألتكم بالله ردّ جوابى
مضى الوقت من عمرى وحانت منيتى * فهل راحم لى كى ينال ثوابى

وينظر في حالي ويكشف كربتي * بشربة ماء كي يهون عذابي

فتباكت الناس عليه وقام السياف وأخذ شربة ماء يناوله اياها فنهض الوزير من مكانه وضرب قلة الماء بيده فكسرها وصاح على السياف وأمره بضرب عنقه فعند ذلك عصب عيني على نور الدين فصاح الناس على الوزير وأقاموا عليه الصراخ وكثر بينهم القيل والقال فبينما هم كذلك واذا بغبار قد علا وعجاج ملأ الجو والخلا فلما نظر اليه السلطان وهو قاعد في القصر قال لهم انظروا ما الخبر فقال الوزير حتى نضرب عنق هذا قبل فقال له السلطان اصبر أنت حتى تنظر الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر وزير الخليفة ومن معه وكان السبب في مجيئهم أن الخليفة مكث ثلاثين يوما لم يتذكر قصة علي بن خاقان ولم يذكرها له أحد الى أن جاء ليلة من الليالي الى مقصورة أنيس الجليس فسمع بكاءها وهي تنشد بصوت رقيق قول الشاعر

خيالك في التباعد والتداني * وذكرك لا يفارقه لساني

وتزايد بكاؤها واذا بالخليفة قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى أنيس الجليس وهي تبكي فلما رأت الخليفة وقعت على قدميه وقبلتهما ثلاث مرات ثم أنشدت هذين البيتين

أيا من زكا أصلا وطاب ولادة * وأثمر غصنا يانعا وزكا جنسا

اذكرك الوعد الذي سمحت به * محاسنك الحسنا وحاشاك أن تنسى

فقال الخليفة من أنت قالت أنا هدية علي بن خاقان اليك وأريد انجاز الوعد الذي وعدتني به من أنك ترسلني اليه مع التشريف والآن لي هنا ثلاثون يوما لم أذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفر البرمكي وقال من منذ ثلاثين يوما لم أسمع بخبر علي بن خاقان وما أظن الا أن السلطان قتله ولكن وحياة رأسي وتربة آبائي وأجدادي ان كان جرى له أمر مكروه لاهلكن من كان سببا فيه ولو كان أعز الناس عندي وأريد أن تسافر أنت في هذه الساعة الى البصرة وتأتي باخبار الملك محمد بن سليمان الزيني مع علي بن خاقان فامتثل أمره وسافر فلما أقبل جعفر نظر ذلك الهرج والمرج والازدحام فقال الوزير جعفر ما هذا الازدحام فذكروا له ما هم فيه من أمر علي نور الدين بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم أسرع بالطلوع الى السلطان وسلم عليه وأعلمه بما جاء فيه وانه اذا كان وقع لعلي نور الدين أمر مكروه فان السلطان يهلك من كان السبب في ذلك ثم انه قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوي وأمر باطلاق علي نور الدين بن خاقان وأجلسه سلطانا في مكان السلطان محمد بن سليمان الزيني وقعد ثلاثة أيام في البصرة مدة الضيافة فلما كان صبح اليوم الرابع التفت علي بن خاقان الى جعفر وقال له اني اشتقت الى رؤية أمير المؤمنين فقال جعفر للملك محمد بن سليمان تجهز للسفر فاننا نصلي الصبح ونتوجه الى

بغداد فقال السمع والطاعة ثم انهم صلوا الصبح وركبوا جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوى وصار يتندم على مافعله وأما على نور الدين بن خاقان فانه ركب بجانب جعفر ومازالوا سائرين الى أن وصلوا الى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا على الخليفة فلما دخلوا عليه حكوا له قصة نور الدين فعند ذلك أقبل الخليفة على على بن خاقان وقال له خذ هذا السيف واضرب به رقبة عدوك فأخذه وتقدم الى المعين بن ساوى فنظر اليه وقال له أنا عملت بمقتضى طبيعتى فاعمل أنت بمقتضى طبيعتك فرمى السيف من يده ونظر الى الخليفة وقال يا أمير المؤمنين انه خدعنى وأنشد قول الشاعر

خدعته بخديعة لما أتى * والحر يخدعه الكلام الطيب

فقال له الخليفة اتركه أنت ثم قال لمسرور يامسرور قم أنت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلى بن خاقان تمن على فقال ياسيدى أنا مالى حاجة بملك البصرة وما أريد الا مشاهدة وجه حضرتك فقال الخليفة حبا وكرامة ثم ان الخليفة دعا بالجارية فحضرت بين يديه فأنعم عليهما وأعطاهما قصرا من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه ومازال مقيما عنده الى أن أدركه الممات وليس هذا بأعجب من حكاية التاجر وأولاده قال الملك وكيف ذلك

(حكاية التاجر أيوب وابنه غانم و بنته فتنة)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان تاجر من التجار له مال وله ولد كأنه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمى غانم بن أيوب المتيم المسلوب وله أخت اسمها فتنة من فرط حسنها وجمالها فتوفى والدهما وخلف لهما مالا جزيلا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن ذلك التاجر خلف لهما مالا جزيلا ومن جملة ذلك مائة حمل من القز والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الاحمال هذا بقصد بغداد وكان مراده أن يسافر الى بغداد فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة أخذ ولده هذه الاحمال وسافر بها الى بغداد وكان ذلك فى زمن هرون الرشيد وودع أمه وأقاربه وأهل بلدته قبل سيره وخرج متوكلا على الله تعالى وكتب الله له السلامة حتى وصل الى بغداد وكان مسافرا صحبة جماعة من التجار فاستأجر له دارا حسنة وفرشها بالبسط والوسائد وأرخى عليها الستور ونزل فيها تلك الاحمال والبغال والجمال وجلس حتى استراح وسلم عليه تجار بغداد وأكابرها ثم

أخذ بقجة فيها عشرة تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها أثمانها ونزل بها الى سوق التجار فلاقوه وسلموا عليه وأكرموه وتلقوه بالترحيب وأنزلوه على دكان شيخ السوق وباع التفاصيل فربح فى كل دينار دينارين ففرح غانم وصار يبيع القماش والتفاصيل شيأ فشيأ ولم يزل كذلك سنة كاملة وفى أول السنة الثانية جاء الى ذلك السوق فرأى بابه مقفولا فسأل عن سبب ذلك فقيل له انه توفى واحد من التجار وذهب التجار كلهم يمشون فى جنازته فهل لك أن تكسب أجرا وتمشى معهم قال نعم ثم سأل عن محل الجنازة فدلوه على المحل فتوضأ ثم مشى مع التجار الى أن وصلوا الى المصلى وصلوا على الميت ثم مشى التجار جميعهم قدام الجنازة الى المقبرة فتبعهم غانم الى أن وصلوا بالجنازة الى المقبرة خارج المدينة ومشوا بين المقابر حتى وصلوا الى المدفن فوجدوا أهل الميت نصبوا على القبر خيمة وأحضروا الشموع والقناديل ثم دفنوا الميت وجلس القراء يقرؤن القرآن على ذلك القبر فجلس التجار ومعهم غانم بن أيوب وهو غالب عليه الحياء فقال فى نفسه أنا لم أقدر أن أفارقهم حتى أنصرف معهم ثم انهم جلسوا يسمعون القرآن الى وقت العشاء فقدموا لهم العشاء والحلوى فأكلوا حتى اكتفوا وغسلوا أيديهم ثم جلسوا مكانهم فاشتغل خاطر غانم ببضاعته وخاف من اللصوص وقال فى نفسه أنا رجل غريب ومتهم بالمال فان بت الليلة بعيدا عن منزلى سرق اللصوص ما فيه من المال والاحمال وخاف على متاعه فقام وخرج من بين الجماعة واستأذنهم على أنه يقضى حاجة فصار يمشى ويتبع آثار الطريق حتى جاء الى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلوقا ولم ير أحدا غاديا ولا رائحا ولم يسمع صوتا سوى نبيح الكلاب وعوى الذئاب فقال لا حول ولا قوة الا بالله كنت خائفا على مالى وجئت من أجله فوجدت الباب مغلوقا فصرت الآن خائفا على روحى ثم رجع ينظر له محلا ينام فيه الى الصباح فوجد تربة محوطة بأربع حيطان وفيها نخلة ولها باب من الصوان مفتوح فدخلها وأراد أن ينام فلم يجئه نوم وأخذته رجفة ووحشة وهو بين القبور فقام واقفا على قدميه وفتح باب المكان ونظر فرأى نورا يلوح على بعد فى ناحية باب المدينة فمشى قليلا فرأى النور مقبلا فى الطريق التى توصل الى التربة التى هو فيها فخاف غانم على نفسه وأسرع برد الباب وتعلق حتى طلع فوق النخلة وتدارى فى قلبها فصار النور يتقرب من التربة شيأ فشيأ حتى قرب من التربة فتأمل النور فرأى ثلاثة عبيد اثنان حاملان صندوقا وواحد فى يده فاس وفانوس فلما قربوا من التربة قال أحد العبدين الحاملين للصندوق مالك يا صواب فقال العبد الآخر منهما مالك يا كافور فقال أما كنا هنا وقت العشاء وخلينا الباب مفتوحا فقال نعم هذا الكلام صحيح فقال ها هو مغلوق متربس فقال لهما الثالث وهو حامل الفاس والنور وكان

اسمه بخيتا ما أقل عقلكما أما تعرفان أن أصحاب الغيطان يخرجون من بغداد ويترددون هنا فيمسى عليهم المساء فيدخلون هنا ويغلقون عليهم الباب خوفا من السودان الذين هم مثلنا أن يأخذوهم ويشووهم ويأكلوهم فقالوا له صدقت وما فينا أقل عقلا منك فقال لهم انكم لم تصدقونى حتى ندخل التربة ونجد فيها أحدا وأظن أنه اذا كان فيها أحد ورأى النور هرب فوق النخلة فلما سمع غانم كلام العبد قال فى نفسه ما أمكر هذا العبد فقبح الله السودان لما فيهم من الخبث واللؤم ثم قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما الذى يخلصنى من هذه الورطة ثم ان الاثنين الحاملين للصندوق قالا لمن معه الفاس تعلق على الحائط وافتح لنا الباب يا صواب لاننا تعبنا من حمل الصندوق على رقابنا فاذا فتحت لنا الباب لك علينا واحد من الذين نمسكهم ونقليه لك قليا جيدا بحيث لا يضيع من دهنه نقطة فقال صواب أنا خائف من شئ تذكرته من قلة عقلى وهو اننا نرمى الصندوق وراء الباب لانه ذخيرتنا فقالا له ان رميناه ينكسر فقال أنا خائف أن يكون فى داخل التربة الحرامية الذين يقتلون الناس ويسرقون الاشياء لانهم اذا أمسى عليهم الوقت يدخلون فى هذه الاماكن ويقسمون ما يكون معهم فقال له الاثنان الحاملان للصندوق يا قليل العقل هل يقدرون أن يدخلوا هنا ثم حملا الصندوق وتعلقا على الحائط ونزلا وفتحا الباب والعبد الثالث الذى هو بخيت واقف لهما بالنور والمقطف الذى فيه بعض من الجبس ثم انهم جلسوا وقفلوا الباب فقال واحد منهم يا اخوتى نحن تعبنا من المشى والشيل والحط وفتح الباب وقفله وهذا الوقت نصف الليل ولم يبق فينا قوة لفتح التربة ودفن الصندوق ولكننا نجلس هنا ثلاث ساعات لنستريح ثم نقوم ونقضى حاجتنا ولكن كل واحد منا يحكى لنا سبب تطويشه وجميع ما وقع له من المبتدا الى المنتهى لاجل فوات هذه الليلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العبيد الثلاثة لما قالوا لبعضهم كل واحد يحكى جميع ما وقع له قال الاول وهو الذى كان حامل النور أنا أحكى لكم حكايتى فقالوا له تكلم قال لهم اعلموا يا اخوتى انى لما كنت صغيرا جاء بى الجلاب من بلدى وعمرى خمس سنين فباعنى لواحد جاويش وكان له بنت عمرها ثلاث سنين فتربيت معها وكانوا يضحكون على وأنا الاعب البنت وأرقص لها وأغنى لها الى ان صار عمرى اثنى عشرة سنة وهى بنت عشر سنين ولا يمنعونى عنها الى أن دخلت عليها يوما من الايام وهى جالسة فى محل خلوة وكأنها خرجت من الحمام الذى فى البيت لانها كانت معطرة مبخرة ووجهها مثل القمر فى ليلة أربعة عشر فلاعبتنى ولاعبتها فنفرا حليلى حتى صار مثل المفتاح الكبير فدفعتنى على الارض

فوقعت

فوقعت على ظهري وركبت فوق صدري وصارت تتمرغ على فانكشف احليلي فلما رأته وهو نافر أخذته بيدها وصارت تحك به على شفار فرجها من فوق لباسها فهاجت الحرارة عندي وحضنتها فشبكت يديها في عنقي وقرطت على بجهدها فما أشعر الا واحليلي فتق لباسها ودخل فرجها فأزال بكارتها فلما عاينت ذلك هربت عند بعض أصحابي فدخلت عليها أمها فلما رأت حالها غابت عن الدنيا ثم تداركت أمرها وأخفت حالها عن أبيها وكتمته وصبرت عليها مدة شهرين كل هذا وهم ينادونني ويلاطفونني حتى أخذوني من المكان الذي كنت فيه ولم يذكروا شيأ من هذا الامر لابيها لانهم كانوا يحبونني كثيرا ثم ان أمها خطبت لها شابا مزينا كان يزين أباها وأمهرتها من عندها وجهزتها له كل هذا وأبوها لا يعلم بحالها وصاروا يجتهدون في تحصيل جهازها ثم انهم أمسكوني على غفلة وخصوني ولما زفوها للعريس جعلوني طواشيا لها أمشي قدامها أينما راحت سواء كان رواحها الى الحمام أو الى بيت أبيها وقد ستروا أمرها وليلة الدخلة ذبحوا على قميصها حمامة ومكثت عندها مدة طويلة وأنا أتملى بحسنها وجمالها على قدر ما أمكنني من تقبيل وعناق الى أن ماتت هي وزوجها وأمها وأبوها ثم أخذني بيت المال وصرت في هذا المكان وقد ترافقت بكم وهذا سبب قطع احليلي والسلام فقال العبد الثاني اعلموا يا اخوتي اني كنت في ابتداء أمري ابن ثمان سنين ولكن كنت أكذب على الجلابة في كل سنة كذبة حتى يقعوا في بعضهم فقلق مني الجلاب وأنزلني في يد الدلال وأمر أن ينادي من يشتري هذا العبد على عيبه فقيل له وما عيبه قال يكذب في كل سنة كذبة واحدة فتقدم رجل تاجر الى الدلال وقال له كم أعطوا في هذا العبد من الثمن على عيبه قال أعطوا ستمائة درهم قال ولك عشرون فجمع بينه وبين الجلاب وقبض منه الدراهم وأوصلني الدلال الى منزل ذلك التاجر وأخذ دلالته فكساني التاجر ما يناسبني ومكثت عنده باقي سنتي الى ان هلت السنة الجديدة بالخير وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات فصار التجار يعملون العزومات وكل يوم على واحد منهم الى أن جاءت العزومة على سيدي في بستان داخل البلد فراح هو والتجار وأخذ لهم ما يحتاجون اليه من أكل وغيره فجلسوا يأكلون ويشربون ويتنادمون الى وقت الظهر فاحتاج سيدي الى مصلحة من البيت فقال يا عبد اركب البغلة ورح الى المنزل وهات من سيدتك الحاجة الفلانية وارجع سريعا فامتثلت أمره ورحت الى المنزل فلما اقتربت من المنزل صرخت وأرخيت الدموع فاجتمع أهل الحارة كبارا وصغارا وسمعت صوتي زوجة سيدي وبناته ففتحوا الى الباب وسألوني عن الخبر فقلت لهم ان سيدي كان جالسا تحت حائط قديمة هو وأصحابه فوقعت عليهم فلما رأيت ما جرى لهم ركبت البغلة وجئت مسرعا لاخبركم فلما سمع أولاده وزوجته

ذلك الكلام صرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا على وجوههم فأتت اليهم الجيران وأما زوجة سيدي فانها قلبت متاع البيت بعضه على بعض وخلعت رفوفه وكسرت طيقانه وشبابيكه وسخمت حيطانه بطين ونيلة وقالت ويلك يا كافور تعال ساعدني وأخرب هذه الدواليب وكسر هذه الاواني والصيني فجئت اليها وأخربت معها رفوف البيت وأتلفت ما عليها ودواليبه وأتلفت ما فيها ودرت على السقوف وعلى كل محل حتى أخربت الجميع وأنا أصيح واسيداه ثم خرجت سيدتي مكشوفة الوجه بغطاء رأسها لا غير وخرج معها البنات والاولاد وقالوا يا كافور امش قدامنا وأرنا مكان سيدك الذي هو ميت فيه تحت الحائط حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله في تابوت ونجيء به الى البيت فنخرجه خرجة مليحة فمشيت قدامهم وأنا أصيح واسيداه وهم خلفي مكشوفو الوجوه والرؤس يصيحون وامصيبتاه وانكبتاه فلم يبق أحد من الرجال ولا من النساء ولا من الصبيان ولا صبية ولا عجوز الا جاء معنا وصاروا كلهم يلطمون وهم في شدة البكاء فمشيت بهم في المدينة فسأل الناس عن الخبر فاخبروهم بما سمعوا مني فقال الناس لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اننا نمضي للوالي ونخبره فلما وصلوا الى الوالي أخبروه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم لما وصلوا الى الوالي وأخبروه قام الوالي وركب وأخذ معه الفعلة بالمساحي والقفف ومشوا تابعين أثري ومعهم كثير من الناس وأنا قدامهم أبكي وأصيح وأحثو التراب على رأسي وألطم على وجهي فلما دخلت عليهم ورآني سيدي وأنا ألطم وأقول واسيدتاه من يحن علي بعد سيدتي ياليتني كنت فداءها فلما رآني سيدي بهت واصفر لونه وقال مالك يا كافور ما هذا الحال وما الخبر فقلت له انك لما أرسلتني الى البيت لاجيء لك بالذي طلبته رحت الى البيت ودخلته فرأيت الحائط التي في القاعة وقعت فانهدمت القاعة كلها على سيدتي وأولادها فقال لي وهل سيدتك لم تسلم فقلت له لا ما سلم منهم أحد وأول من مات منهم سيدتي الكبيرة فقال وهل سلمت بنتي الصغيرة فقلت له لا فقال لي وما حال البغلة التي أركبها هل هي سالمة فقلت له لا يا سيدي فان حيطان البيت وحيطان الاصطبل انطبقت على جميع ما في البيت حتى على الغنم والاوز والدجاج وصاروا كلهم كوم لحم وصاروا تحت الردم ولم يبق منهم أحد فقال لي ولا سيدك الكبير فقلت له لا فلم يسلم منهم أحد وفي هذه الساعة لم يبق دار ولا سكان ولم يبق من ذلك كله أثر وأما الغنم والاوز والدجاج فان الجميع أكلها القطط والكلاب فلما سمع سيدي كلامي صار الضياء في وجهه ظلاما ولم يقدر أن يتمالك نفسه ولا عقله ولم يقدر أن يقف على قدميه بل جاءه الكساح وانكسر ظهره ومزق أثوابه ونتف لحيته ولطم

على

على وجهه ورمى عمامته من فوق رأسه ولازال يلطم على وجهه حتى سال منه الدم وصار يصيح آه وا أولاداه آه وزوجتاه آه وا مصيبتاه من جرى له مثل ما جرى لى فصاحت التجار رفقاؤه لصياحه وبكوا معه ورثوا لحاله وشقوا أثوابهم وخرج سيدى من ذلك البستان وهو يلطم من شدة ما جرى له وأ كثر اللطم على وجهه وصار كأنه سكران فبينما الجماعة خارجون من باب البستان واذا هم انظروا غبرة عظيمة وصياحا باصوات مزعجة فنظروا الى تلك الجهة فرأوا الجماعة المقبلين وهم الوالى وجماعته والخلق والعالم الذين يتفرجون وأهل التاجر وراءهم يصرخون ويصيحون وهم فى بكاء شديد وحزن زائد فأول من لاقى سيدى زوجته وأولاده فلما رآهم بهت وضحك وقال لهم ما حالكم أنتم وما حصل لكم فى الدار وما جرى لكم فلما رأوه قالوا الحمد لله على سلامتك أنت ورموا أنفسهم عليه وتعلقت أولاده به وصاحوا وا أبتاه الحمد لله على سلامتك يا أبانا وقالت له زوجته الحمد لله الذى أرانا وجهك بسلامة وقد اندهشت وطار عقلها لما رأته وقالت له كيف كانت سلامتك أنت وأصحابك فقال لها وكيف كان حالكم فى الدار فقالوا نحن طيبون بخير وعافية وما أصاب دارنا شىء من الشر غير أن عبدك كافورا جاء الينا مكشوف الرأس ممزق الأثواب وهو يصيح واسيداه واسيداه فقلنا له ما الخبر يا كافور فقال ان سيدى جلس تحت حائط فى البستان ليقضى حاجة فوقعت عليه فمات فقال لهم سيدى والله انه أتانى فى هذه الساعة وهو يصيح واسيدتاه وا أولاد سيدتاه وقال ان سيدتى وأولادها ماتوا جميعا ثم نظر الى جانبه فرآنى وعمامتى ساقطة فى رأسى وأنا أصيح وأبكى بكاء شديدا وأحثو التراب على رأسى فصرخ على فاقبلت عليه فقال لى ويلك يا عبد النحس يا ابن الزانية يا ملعون الجنس ما هذه الوقائع التى عملتها ولكن والله لاسلخن جلدك عن لحمك وأقطعن لحمك عن عظمك فقلت له والله ما تقدر أن تعمل معى شيأ لانك قد اشتريتنى على عيبى بهذا الشرط والشهود يشهدون عليك حين اشتريتنى على عيبى وأنت عالم به وهو أنى أكذب فى كل سنة كذبة واحدة وهذه نصف كذبة فاذا أكملت السنة كذبت نصفها الآخر فتبقى كذبة كاملة فصاح على يا ألعن العبيد هل هذا كله نصف كذبة وانما هو داهية كبيرة اذهب عنى فأنت حر فقلت والله ان أعتقتنى أنت ما أعتقك حتى تكمل السنة وأكذب نصف الكذبة الباقى وبعد أن أتمها فانزل بى السوق وبعنى بما اشتريتنى به على عيبى ولا تعتقنى فاننى مالى صنعة أقتات منها وهذه المسئلة التى ذكرتها لك شرعية ذكرها الفقهاء فى باب العتق فبينما نحن فى الكلام واذا بالخلائق والناس وأهل الحارة نساء ورجالا قد جاؤا يعملون العزاء وجاء الوالى وجماعته فراح سيدى والتجار الى الوالى وأعلموه بالقضية وان هذه نصف كذبة فلما سمع الحاضرون ذلك منه استعظموا تلك الكذبة

وتعجبوا غاية العجب فلعنونى وشتمونى فبقيت واقفا أضحك وأقول كيف يقتلنى سيدى وقد
اشترانى على هذا العيب فلما مضى سيدى الى البيت وجده خرابا وأنا الذى أخربت معظمه
وكسرت فيه شيأ يساوى جملة من المال فقالت له زوجته ان كافورا هو الذى كسر الاوانى والصينى
فازداد غيظه وقال والله عمرى ما رأيت ولد زنا مثل هذا العبد ويقول انها نصف كذبة فكيف
لو كانت كذبة كاملة فحينئذ كان أخرب مدينة أو مدينتين ثم ذهب من شدة غيظه الى الوالى
فضربنى علقة شديدة حتى غبت عن الدنيا وغشى علىّ فاتانى بالمزين فى حال غشيتى فخصانى
وكوانى فلما استفقت وجدت نفسى خصيا وقال لى سيدى مثل ما أحرقت قلبى على أعز الشئ
عندى أحرقت قلبك على أعز الشئ عندك ثم أخذنى فباعنى باغلى ثمن لانى صرت طواشيا
ومازلت ألقى الفتن فى الاماكن التى أباع فيها وأنتقل من أمير الى أمير ومن كبير الى كبير بالبيع
والشراء حتى دخلت قصر أمير المؤمنين وقد انكسرت نفسى وضعفت قوتى وعدمت خصاى
فلما سمع العبدان كلامه ضحكا عليه وقالا له انك خبيث ابن خبيث قد كذبت كذبا شنيعا ثم
قالوا للعبد الثالث احك لنا حكايتك قال لهم يا أولاد عمى كل ما حكى هذا بطال فانا أحكى لكم سبب
قطع خصاى وقد كنت أستحق أكثر من ذلك لانى كنت نكت سيدتى وابن سيدى
والحكاية معى طويلة وما هذا وقت حكايتها لان الصباح يا أولاد عمى قريب وربما يطلع علينا
الصباح ومعنا هذا الصندوق فنفتضح بين الناس وتروح أرواحنا دونكم فتح الباب فاذا
فتحناه ودخلنا محلنا قلت لكم على سبب قطع خصاى ثم تعلق ونزل من الحائط وفتح الباب
فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا حفرة على قدر الصندوق بين أربعة قبور وصار كافور يحفر
وصواب ينقل التراب بالقفف الى أن حفروا نصف قامة ثم حطوا الصندوق فى الحفرة وردّوا
عليه التراب وخرجوا من التربة وردوا الباب وغابوا عن عين غانم بن أيوب فلما خلا لغانم المكان
وعلم أنه وحده اشتغل سره بما فى الصندوق وقال فى نفسه يا ترى أى شئ فى الصندوق ثم صبر حتى
برق الفجر ولاح وبان ضياؤه فنزل من فوق النخلة وأزال التراب بيده حتى كشف الصندوق
وخلصه ثم أخذ حجرا وضرب به القفل فكسره وكشف الغطاء ونظر فيه فرأى صبية نائمة مبنجة
ونفسها طالع نازل الا أنها ذات حسن وجمال وعليها حلى ومصاغ من الذهب وقلائد من الجواهر
تساوى ملك السلطان ما يفى بثمنها مال فلما رآها غانم بن أيوب عرف انهم تغامزوا عليها فلما تحقق
ذلك الامر عالج فيها حتى أخرجها من الصندوق ورقدها على قفاها فلما استنشقت الارياح ودخل
الهواء فى مناخرها ومنافسها عطست ثم شرقت وسعلت فوقع من حلقها قرص بنج لو شمه
الفيل لرقد من الليل الى الليل ففتحت عينيها وأدارت طرفها وقالت بكلام فصيح ويلك يا ريح

ما

مافيك رى للعطشان ولا انس لمريان أين زهر البستان فلم يجاوبها أحد فالتفتت وقالت صبيحة شجرة الدر نور الهدى نجمة الصبح أنت فى شهر نزهة حلوة ظريفة تكلموا فلم يجبها أحد فجالت بطرفها وقالت ويلى عند انزالى فى القبور يامن يعلم مافى الصدور ويجازى يوم البعث والنشور من جاء بى من بين الستور والخدور ووضعنى بين أربعة قبور هذا كله وغانم واقف على قدميه فقال لها ياسيدتى لا خدور ولا قصور ولا قبور ماهذا الا عبدك غانم بن أيوب ساقه الملك علام الغيوب حتى ينجيك من هذه الكروب ويحصل لك غاية المطلوب وسكت فلما تحققت الامر قالت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله والتفتت الى غانم وقد وضعت يديها على صدرها وقالت له بكلام عذب أيها الشاب المبارك من جاء بى الى هذا المكان فها أنا قد أفقت فقال ياسيدتى ثلاثة عبيد خصيون أتوا وهم حاملون هذا الصندوق ثم حكى لها جميع ماجرى وكيف أمسى عليه المساء حتى كان سبب سلامتها والا كانت ماتت بغصتها ثم سألها عن حكايتها وخبرها فقالت له أيها الشاب الحمد لله الذى رمانى عند مثلك فقم الآن وحطنى فى الصندوق واخرج الى الطريق فاذا وجدت مكاريا أو بغالا فاكتره لحمل هذا الصندوق ووصلنى الى بيتك فاذا صرت فى دارك يكون خيرا وأحكى لك حكايتى وأخبرك بقصتى ويحصل لك الخير من جهتى ففرح وخرج الى البرية وقد شعشع النهار وطلعت الشمس بالانوار وخرجت الناس ومشوا فاكترى رجلا ببغل وأتى به الى التربة فحمل الصندوق بعدما حط فيه الصبية ووقعت محبتها فى قلبه وسار بها وهو فرحان لانها جارية تساوى عشرة آلاف دينار وعليها حلى وحلل تساوى مالا جزيلا وماصدق أن يصل الى داره ونزل الصندوق وفتحه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للاربعين﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان غانم بن أيوب وصل الى داره بالصندوق وفتحه وأخرج الصبية منه ونظرت فرأت هذا المكان محلا مليحا مفروشا بالبسط الملونة والالوان المفرحة وغير ذلك ورأت قماشا محزوما وأحمالا وغير ذلك فعلمت أنه تاجر كبير صاحب أموال ثم انها كشفت وجهها ونظرت اليه فاذا هو شاب مليح فلما رأته أحبته وقالت له هات لنا شيأ نأكله فقال لها غانم على الرأس والعين ثم نزل السوق واشترى خروفا مشويا وصحن حلاوة وأخذ معه نقلا وشمعا وأخذ معه نبيذا ومايحتاج اليه الامر من آلة المشموم وأتى الى البيت ودخل بالحوائج فلما رأته الجارية ضحكت وقبلته واعتنقته وصارت تلاطفه فازدادت عنده المحبة واحتوت على قلبه ثم أكلا وشربا الى أن أقبل الليل وقد حب بعضهما بعضا لانهما كانا فى سن واحد وحسن واحد فلما أقبل الليل قام المتيم المسلوب غانم بن أيوب وأوقد الشموع

والقناديل فأضاء المكان وأحضر آلة المدام ثم نصب الحضرة وجلس هو وإياها وكان يملأ ويسقيها وهي تملأ وتسقيه وهما يلعبان ويضحكان وينشدان الاشعار وزادبهما الفرح وتعلقا بحب بعضهما فسبحان مؤلف القلوب ولم يزالا كذلك الى قريب الصبح فغلب عليهم النوم فنام كل منهما في موضعه الى أن أصبح الصباح فقام غانم بن أيوب وخرج الى السوق واشترى ما يحتاج اليه من خضرة ولحم وخمر وغيره وأتى به الى الدار وجلس هو وإياها يأكلان فأكلا حتى اكتفيا وبعد ذلك أحضر الشراب وشربا ولعبا مع بعضهما حتى احمرت وجناتهما واسودت أعينهما واشتاقت نفس غانم بن أيوب الى تقبيل الجارية والنوم معها فقال لها ياسيدتي ائذني لي بقبلة من فيك لعلها تبرد نار قلبي فقالت ياغانم اصبر حتى أسكر وأغيب وأسمح لك سرا بحيث لم أشعر انك قبلتني ثم انها قامت على قدميها وخلعت بعض ثيابها وقعدت في قميص رفيع وكوفية فعند ذلك تحركت الشهوة عند غانم وقال ياسيدتي أما تسمحين لي بما طلبته منك فقالت والله لا يصح لك ذلك لانه مكتوب على دكة لباسي قول صعب فانكسر خاطر غانم بن أيوب وزاد عنده الغرام لما عز المطلوب فأنشد هذه الابيات

سألت من أمرضني * في قبلة تشفي السقم
فقال لا لا أبدا * قلت له نعم نعم *
فقال خذها بالرضى * من الحلال وابتسم
فقلت غصبا قال لا * الا على رأس علم
فلا تسل عما جرى * واستغفر الله ونم
فظن ماشئت بنا * فالحب يحلو بالتهم
ولا أبالي بعد ذا * ان باح يوما أو كتم

ثم زادت محبته وانطلقت النيران في مهجته هذا وهي تمتنع منه وتقول مالك وصول ولم يزالا في عشقهما ومنادمتهما وغانم بن أيوب غريق في بحر الهيام وأما هي فانها قد ازدادت قسوة وامتناعا الى أن دخل الليل بالظلام وأرخى عليها ذيل المنام فنام غانم وأشعل القناديل وأوقد الشموع وزاد بهجة المقام وأخذ رجليها وقبلهما فوجدهما مثل الزبد الطري فمرغ وجهه عليهما وقال ياسيدتي ارحمي أسير هواك ومن قتلت عيناك كنت سليم القلب لولاك ثم بكى قليلا فقالت له والله ياسيدي ونور عيني أنا والله لك عاشقة وبك واثقة ولكن أنا أعرف انك لا تصل الي فقال لها وما المانع فقالت له سأحكي لك في هذه الليلة قصتي حتى تقبل عذري ثم انها ترامت عليه وطوقت على رقبته بيدها وصارت تقبله وتلاطفه ثم وعدته بالوصال ولم يزالا يلعبان ويضحكان

حتى

حتى تمكن حب بعضهما من بعض ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى كل ليلة ينامان على فرش واحد وكلما طلب منها الوصال تتعزز عنه مدة شهر كامل وتمكن حب كل واحد منهما من قلب الآخر ولم يبق لهما صبر عن بعضهما الى أن كانت ليلة من الليالى وهو راقد معها والاثنان سكرانان فمد يده على جسدها وملس ثم مر بيده على بطنها ونزل الى سرتها فانتبهت وقعدت وتعهدت اللباس فوجدته مربوطا فنامت ثانيا فلمس عليها بيده ونزل بها الى سروالها ودكتها وجذبها فانتبهت وقعدت وقعد غانم الى جانبها فقالت له ما الذى تريد قال أريد أن أنام معك وأتصافى أنا وأنت فعند ذلك قالت له أنا لآن أوضح لك أمرى حتى تعرف قدرى وينكشف لك سرى ويظهر لك عذرى قال نعم فعند ذلك شقت ذيل قميصها ومدت يدها الى تكة لباسها وقالت ياسيدى اقرأ الذى على هذا الطرف فأخذ طرف الدكة فى يده ونظره فوجده مرقوما عليه بالذهب أنا لك وأنت لى يا ابن عم النبى فلما قرأه نثر يده وقال لها اكشفى لى عن خبرك قالت نعم اعلم انى محظية أمير المؤمنين واسمى قوت القلوب وان أمير المؤمنين لما ربانى فى قصره وكبرت نظر الى صفاتى وما أعطانى ربى من الحسن والجمال فأحبنى محبة زائدة وأخذنى وأسكننى فى مقصورة وأمر لى بعشر جوار يخدمننى ثم انه أعطانى ذلك المصاغ الذى تراه معى ثم ان الخليفة سافر يوما من الايام الى بعض البلاد فجاءت السيدة زبيدة الى بعض الجوارى التى فى خدمتى وقالت اذا نامت سيدتك قوت القلوب فحطى هذه القطعة البنج فى أنفها أو فى شرابها ولك على من المال ما يكفيك فقالت لها الجارية حبا وكرامة ثم ان الجارية أخذت البنج منها وهى فرحانة لاجل المال ولكونها كانت فى الاصل جاريتها فجاءت الى ووضعت البنج فى جوفى فوقعت على الارض وصارت رأسى عند رجلى ورأيت نفسى فى دنيا أخرى ولما تمت حيلتها حطتنى فى ذلك الصندوق وأحضرت العبيد سرا وأنعمت عليهم وعلى البوابين وأرسلتنى مع العبيد فى الليلة التى كنت نائما فيها فوق النخلة وفعلوا معى ما رأيت وكانت نجاتى على يديك وأنت أتيت بى الى هذا المكان وأحسنت الى غاية الاحسان وهذه قصتى وما أعرف الذى جرى للخليفة فى غيبتى فاعرف قدرى ولا تشهر أمرى فلما سمع غانم بن أيوب كلام قوت القلوب وتحقق انها محظية الخليفة تأخر الى ورائه خيفة من هيبة الخليفة وجلس وحده فى ناحية من المكان يعاتب نفسه ويتفكر فى أمره وصار متحيرا فى عشق التى ليس له اليها وصول فبكى من شدة الغرام ولوعة الوجد والهيام وصار يشكو الزمان وماله من العدوان فسبحان من أشغل قلوب الكرام بالمحبة ولم يعط الانذال منها وزن حبة وأنشد هذين البيتين

قلب المحب على الاحباب متعوب ✽ وعقله مع بديع الحسن منهوب

وقائل قال لى ما الحب قلت له * الحب عذب ولكن فيه تعذيب

فعند ذلك قامت اليه قوت القلوب واحتضنته وقبلته وتمكن حبه فى قلبها و باحت له بسرها وما عندها من المحبة وطوقت على رقبته بيديها وقبلته وهو يمتنع عنها خوفا من الخليفة ثم تحدثا ساعة من الزمان وهما غريقان فى بحر محبة بعضهما الى أن طلع النهار فقام غانم ولبس أثوابه وخرج الى السوق على عادته وأخذ ما يحتاج اليه الامر وجاء الى البيت فوجد قوت القلوب تبكى فلما رأته سكتت عن البكاء وتبسمت وقالت له أوحشتنى يا محبوب قلبى والله ان هذه الساعة التى غبتها عنى كسنة فانى لا أقدر على فراقك وها أنا قد بينت لك حالى من شدة ولعى بك فقم بنا الآن ودع ما كان واقض أربك منى قال أعوذ بالله ان هذا شئ لا يكون كيف يجلس الكلب فى موضع السبع والذى لمولاى يحرم على أن أقربه ثم جذب نفسه منها وجلس فى ناحية وزادت هى محبة بامتناعه عنها ثم جلست الى جانبه ونادمته ولاعبته فسكرا وهامت بالافتضاح به فغنت منشدة هذه الابيات

قلب المتيم كاد أن يتفتتا * فالى متى هذا الصدود الى متى
يامعرضا عنى بغير جناية * فعوائد الغزلان أن تتلفتا
صد وهجر زائد وصبابة * ما كل هذا الامر يحمله الفتى

فبكى غانم بن أيوب و بكت هى لبكائه ولم يزالا يشربان الى الليل ثم قام غانم وفرش فرشين كل فرش فى مكان وحده فقالت له قوت القلوب لمن هذا الفرش الثانى فقال لها هذا لى والآخر لك ومن الليلة لا ننام الا على هذا النمط وكل شئ للسيد حرام على العبد فقالت يا سيدى دعنا من هذا وكل شئ يجرى بقضاء وقدر فأبى فانطلقت النار فى قلبها وزاد غرامها فيه وقالت والله ما ننام الا سواء فقال معاذ الله وغلب عليها ونام وحده الى الصباح فزادبها العشق والغرام واشتدبها الوجد والهيام وأقاما على ذلك ثلاثة أشهر طوال وهى كلما تقرب منه يمتنع عنها و يقول كل ما هو مخصوص بالسيد حرام على العبد فلما طال بها المطال مع غانم بن أيوب المتيم المسلوب وزادت بها الشجون والكروب أنشدت هذه الابيات

بديع الحسن كم هذا التجنى * ومن أغراك بالاعراض عنى
حويت من الرشاقة كل معنى * وحزت من الملاحة كل فن
وأجريت الغرام لكل قلب * ووكلت السهاد بكل جفن
واعرف قبلك الاغصان تجنى * فيا غصن الاراك أراك تجنى
وعهدى بالظبا صيد افمالى * أراك تصيد أرباب المجن

وأعجب

وأعجب ما أحدث عنك أني * فتنت وأنت لم تعلم بأني
فلا تسمح بوصلك لي فاني * اغار عليك منك فكيف مني
ولست بقائل مادمت حيا * بديع الحسن كم هذا التجني

وأقاموا على هذا الحال مدة والخوف يمنع غانماً عنها فهذا ما كان من أمر المتيم المسلوب غانم بن أيوب وأما ما كان من أمر زبيدة فانها في غيبة الخليفة فعلت بقوت القلوب ذلك الامر ثم صارت متحيرة تقول في نفسها ماذا أقول للخليفة اذا جاء وسأل عنها وما يكون جوابي له فدعت بعجوز كانت عندها وأطلعتها على سرها وقالت لها كيف أفعل وقوت القلوب قد فرط فيها الفرط فقالت لها العجوز لما فهمت الحال اعلمي ياسيدتي انه قرب مجيء الخليفة ولكن ارسلي الى نجار وأمريه أن يعمل صورة ميت من خشب ويحفروا له قبراً وتوقد حوله الشموع والقناديل وأمري كل من في القصر أن يلبسوا الاسود وأمري جواريك والخدام اذا علموا أن الخليفة أتى من سفره أن يشيعوا الحزن في الدهاليز فاذا دخل وسأل عن الخبر يقولون له ان قوت القلوب ماتت ويعظم الله أجرك فيها ومن معزتها عند سيدتنا دفنتها في قصرها فاذا سمع ذلك يبكي ويعز عليه ثم يسهر القراء على قبرها القراءة الختمات فان قال في نفسه ان بنت عمي زبيدة من غيرتها سعت في هلاك قوت القلوب أو غاب عليه الهيام فأمر باخراجها من القبر فلا تفزعي من ذلك ولو حفروا على تلك الصورة التي على هيئة ابن آدم وأخرجوها وهي مكفنة بالاكفان الفاخرة فان أراد الخليفة ازالة الاكفان عنها لينظرها فامنعيه أنت من ذلك والاخرى تمنعه وتقول له رؤية عورتها حرام فيصدق حينئذ انها ماتت ويردها الى مكانها ويشكرك على فعلك وتخلصين ان شاء الله من هذه الورطة فلما سمعت السيدة زبيدة كلامها رأت أنه صواب فخلعت عليها خلعة وأمرتها أن تفعل ذلك بعدما أعطتها جملة من المال فشرعت العجوز في ذلك الامر حالاً وأمرت النجار أن يعمل لها صورة كما ذكرنا وبعد تمام الصورة جاءت بها الى السيدة زبيدة فكفنتها وأوقدت الشموع والقناديل وفرشت البسط حول القبر ولبست السواد وأمرت الجواري أن يلبسن السواد واشتهر الامر في القصر أن قوت القلوب ماتت ثم بعد مدة أقبل الخليفة من غيبته وطلع الى قصره ولكن ماله شغل الا قوت القلوب فرأى الغلمان والخدام والجواري كلهم لابسين السواد فارتجف فؤاده فلما دخل القصر على السيدة زبيدة رآها لابسة الاسود فسأل عن ذلك فأخبروه بموت قوت القلوب فوقع مغشياً عليه فلما أفاق سأل عن قبرها فقالت له السيدة زبيدة اعلم يا أمير المؤمنين أني من معزتها عندي دفنتها في قصري فدخل الخليفة بثياب السفر الى القصر ليزور قوت القلوب فوجد البسط

مفروشة والشموع والقناديل موقدة فلما رأى ذلك شكرها على فعلها ثم انه صار حائرا فى أمره ولم يزل ما بين مصدق ومكذب فلما غلب عليه الوسواس أمر بحفر القبر واخراجها منه فلما رأى الكفن وأراد أن يزيله عنها ليراها خاف من الله تعالى فقالت العجوز ردّوها الى مكانها ثم ان الخليفة أمر فى الحال باحضار الفقهاء والمقرئين وقرؤا الختمات على قبرها وجلس بجانب القبر يبكى الى أن غشى عليه ولم يزل قاعدا على قبرها شهرا كاملا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والاربعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة لم يزل يتردد على قبرها مدة شهر فاتفق أن الخليفة دخل الحريم بعد انفضاض الامراء والوزراء من بين يديه الى بيوتهم ونام ساعة فجلست عند رأسه جارية وعند رجليه جارية وبعد أن غلب عليه النوم تنبه وفتح عينيه فسمع الجارية التى عند رأسه تقول للتى عند رجليه ويلك يا خيزران قالت لها لاى شئ يا قضيب قالت لها ان سيدنا ليس عنده علم بما جرى حتى انه يسهر على قبر لم يكن فيه الا خشبة منجرة صنعة النجار فقالت لها الاخرى وقوت القلوب أى شئ أصابها فقالت اعلمى أن السيدة زبيدة أرسلت مع جارية بنجا و بنجتها فلما تحكم البنج منها وضعتها فى صندوق وأرسلتها مع صواب وكافور وأمرتهما أن يرمياها فى التربة فقالت خيزران ويلك يا قضيب هل السيدة قوت القلوب لم تمت فقالت سلامة شبابها من الموت ولكن أنا سمعت السيدة زبيدة تقول ان قوت القلوب عند شاب تاجر اسمه غانم الدمشقى وان لها عنده بهذا اليوم أربعة أشهر وسيدنا هذا يبكى ويسهر الليالى على قبر لم يكن فيه ميت وصارتا يتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما فلما فرغ الجاريتان من الحديث وعرف القضية وان هذا القبر زور وان قوت القلوب عند غانم بن أيوب مدة أربعة أشهر غضب غضبا شديدا وقام وأحضر أمراء دولته فعند ذلك أقبل الوزير جعفر البرمكى وقبل الارض بين يديه فقال له الخليفة بغيظ انزل يا جعفر بجماعة واسأل عن بيت غانم بن أيوب واهجموا على داره وائتونى بجاريتى قوت القلوب ولابد لى أن أعذبه فأجابه جعفر بالسمع والطاعة فعند ذلك نزل جعفر هو واتباعه والوالى صحبته ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى دار غانم وكان غانم خرج فى ذلك الوقت وجاء بقدرة لحم وأراد أن يمد يده ليأكل منها هو وقوت القلوب فلاحت منها التفاتة فوجدت البلاء أحاط بالدار والوزير والوالى والظلمة والمماليك بسيوف مجرّدة وداروا به كما يدور بالعين السواد فعند ذلك عرفت أن خبرها وصل الى الخليفة سيدها فأيقنت بالهلاك واصفر لونها وتغيرت محاسنها ثم انها نظرت الى غانم وقالت له يا حبيبى فز بنفسك فقال لها كيف

أعمل وأين أذهب ومالى ورزقى فى هذه الدار فقالت له لا تحك لئلا تهلك ويذهب مالك فقال لها يا حبيبتى ونور عينى كيف أصنع فى الخروج وقد أحاطوا بالدار فقالت له لا تخف ثم انها نزعت ماعليه من الثياب وألبسته خلقانا بالية وأخذت القدرة التى كان فيها اللحم ووضعتها فوق رأسه وحطت فيها بعض خبز وزبدية طعام وقالت له اخرج بهذه الحيلة ولا عليك منى فأنا أعرف أى شئ فى يدى من الخليفة فلما سمع غانم كلام قوت القلوب وما أشارت عليه به خرج من بينهم وهو حامل القدرة وستر عليه الستار ونجا من المكايد والاضرار ببركة نيته فلما وصل الوزير جعفر الى ناحية الدار ترجل عن حصانه ودخل البيت ونظر الى قوت القلوب وقد تزينت وتبهرجت وملأت صندوقا من ذهب ومصاغ وجواهر وتحف مما خف حمله وغلا ثمنه فلما دخل عليها جعفر قامت على قدميها وقبلت الارض بين يديه وقالت له ياسيدى جرى القلم بما حكم الله فلما رأى ذلك جعفر قال لها والله ياسيدتى انه ما أوصانى الا بقبض غانم بن أيوب فقالت اعلم انه حزم تجارات وذهب بها الى دمشق ولا علم لى بغير ذلك وأريد أن تحفظ لى هذا الصندوق وتحمله الى قصر أمير المؤمنين فقال جعفر السمع والطاعة ثم أخذ الصندوق وأمر بحمله وقوت القلوب معهم الى دار الخلافة وهى مكرمة معززة وكان هذا بعد أن نهبوا دار غانم ثم توجهوا الى الخليفة فحكى له جعفر جميع ما جرى فأمر الخليفة لقوت القلوب بمكان مظلم وأسكنها فيه وألزم بها عجوز القضاء حاجتها لانه ظن أن غانما فحش بها ثم كتب مكتوبا للامير محمد بن سليمان الزينى وكان نائبا فى دمشق ومضمونه ساعة وصول المكتوب الى يديك تقبض على غانم بن أيوب وترسله الىّ فلما وصل المرسول اليه قبله ووضعه على رأسه ونادى فى الاسواق من أراد أن ينهب فعليه بدار غانم بن أيوب فجاؤا الى الدار فوجدوا أم غانم وأخته قد صنعتا لهما قبرا وقعدتا عنده يبكيان فقبضوا عليهما ونهبوا الدار ولم يعلماما الخبر فلما أحضروهما عند السلطان سألهما عن غانم بن أيوب فقالتا له من مدة سنة ما وقفنا له على خبر فردوهما الى مكانهما هذا ما كان من أمرهما وأما ما كان من أمر غانم بن أيوب المتيم المسلوب فانه لما سلبت نعمته تحير فى أمره وصار يبكى على نفسه حتى انفطر قلبه وسار ولم يزل سائرا الى آخر النهار وقد ازداد به الجوع وأضر به المشى حتى وصل الى بلد فدخل المسجد وجلس على برش وأسند ظهره الى حائط المسجد وارتمى وهو فى غاية الجوع والتعب ولم يزل مقيما هناك الى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وركب جلده القمل وصارت رائحته منتنة وتغيرت أحواله فأتى أهل تلك البلدة يصلون الصبح فوجدوه مطروحا ضعيفا من الجوع وعليه آثار النعمة لائحة فلما أقبلوا عليه وجدوه بردانا جائعا فألبسوه ثوبا عتيقا قد بليت أكمامه وقالوا له من أين أنت ياغريب

وماسبب ضعفك ففتح عينه ونظر اليهم و بكى ولم يرد عليهم جوابا ثم ان بعضهم عرف شدة جوعه فذهب وجاءله بسكرجة عسل ورغيفين فأكل وقعدوا عنده حتى طلعت الشمس ثم انصرفوا لاشغالهم ولم يزل على هذه الحالة شهرا وهو عندهم وقد تزايد عليه الضعف والمرض فتعطفوا عليه وتشاوروا مع بعضهم فى أمره ثم اتفقوا على أن يوصلوه الى المارستان الذى ببغداد فبينماهم كذلك واذا بامرأتين سائلتين قد دخلتا عليه وهما أمه وأخته فلما رآهما أعطاهما الخبز الذى عند رأسه وناما عنده تلك الليلة ولم يعرفهما فلما كان ثانى يوم أتاه أهل القرية وأحضروا جملا وقالوا لصاحبه احمل هذا الضعيف فوق الجمل فاذا وصلت الى بغداد فانزله على باب المارستان لعله يتعافى فيحصل لك الاجر فقال لهم السمع والطاعة ثم انهم أخرجوا غانم بن أيوب من المسجد وحملوه بالبرش الذى هو نائم عليه فوق الجمل وجاءت أمه وأخته يتفرجان عليه من جملة الناس ولم يعلما به ثم نظرتا اليه وتأملتاه وقالتا انه يشبه غانما ابننا فياترى هل هو هذا الضعيف أولا وأما غانم فانه لم يفق الا وهو محمول فوق الجمل فصار يبكى و ينوح وأهل القرية ينظرون وأمه وأخته يبكيان عليه ولم يعرفاه ثم سافرت أمه وأخته الى أن وصلتا الى بغداد وأما الجمال فانه لم يزل سائرا به حتى أنزله على باب المارستان وأخذ جمله ورجع فمكث غانم راقدا هناك الى الصباح فلما درجت الناس فى الطريق نظروا اليه وقد صار رق الخلال ولم يزل الناس يتفرجون عليه حتى جاء شيخ السوق ومنع الناس عنه وقال أنا أكسب الجنة بهذا المسكين لانهم متى أدخلوه المارستان قتلوه فى يوم واحد ثم أمر صبيانه بحمله فحملوه الى بيته وفرش له فرشا جديدا ووضع له مخدة جديدة وقال لزوجته اخدميه بنصح فقالت على الرأس ثم تشمرت وسخنت له ماء وغسلت يديه ورجليه و بدنه وألبسته ثوبا من لبس جواريها وأسقته قدح شراب ورشت عليه ماء ورد فأفاق وتذكر محبوبته قوت القلوب فزادت به الكروب هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر قوت القلوب فانه لما غضب عليها الخليفة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والاربعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان قوت القلوب لما غضب عليها الخليفة وأسكنها فى مكان مظلم استمرت فيه على هذا الحال ثمانين يوما فاتفق ان الخليفة مر يوما من الايام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب تنشد الاشعار فلما فرغت من انشادها قالت ياحبيبى ياغانم ما أحسنك وما أعف نفسك قد أحسنت لمن أساءك وحفظت حرمة من انتهك حرمتك وسترت حريمه وهو سباك وسبى أهلك ولا بد أن تقف أنت وأمير المؤمنين بين يدى حاكم عادل وتنتصف عليه فى يوم يكون القاضى هو الله والشهود هم الملائكة

فلما

فلما سمع الخليفة كلامها وفهم شكواها علم انها مظلومة فدخل قصره وأرسل الخادم لها فلما حضرت بين يديه أطرقت وهي باكية العين حزينة القلب فقال ياقوت القلوب أراك تتظلمين مني وتنسبينني الى الظلم وتزعمين انى أسأت الى من أحسن الى فمن هو الذى حفظ حرمتى وانتهكت حرمته وستر حريمى وسبيت حريمه فقالت له غانم بن أيوب فانه لم يقربنى بفاحشة وحق نعمتك يا أمير المؤمنين فقال الخليفة لا حول ولا قوة الا بالله ياقوت القلوب تمنى على فأنا أبلغك مرادك فقالت تمنيت عليك محبوبى غانم بن أيوب فلما سمع كلامها قال أحضره ان شاء الله مكرماً فقالت يا أمير المؤمنين ان أحضرته تهبنى له فقال ان أحضرته وهبتك له هبة كريم لا يرجع فى عطائه فقالت يا أمير المؤمنين ائذن لى أن أدور عليه لعل الله يجمعنى به فقال لها افعلى مابدالك ففرحت وخرجت ومعها ألف دينار فزارت المشايخ وتصدقت عنه وطلعت ثانى يوم الى سوق التجار وأعطت عريف السوق دراهم وقالت له تصدق بها على الغرباء ثم طلعت ثانى جمعة ومعها ألف دينار ودخلت سوق الصاغة وسوق الجوهرية فطلبت عريف السوق فحضر فدفعت له ألف دينار وقالت له تصدق بها على الغرباء فنظر اليها العريف وهو شيخ السوق وقال لها هل لك أن تذهبى الى دارى وتنظرى الى هذا الشاب الغريب ما أظرفه وما أكمله وكان هو غانم بن أيوب المتيم المسلوب ولكن العريف ليس له به معرفة وكان يظن انه رجل مسكين مديون سلبت نعمته أو عاشق فارق أحبته فلما سمعت كلامه خفق قلبها وتعلقت به أحشاؤها فقالت له ارسل معى من يوصلنى الى دارك فأرسل معها صبيا صغيرا فأوصلها الى الدار التى فيها الغريب فشكرته على ذلك فلما دخلت تلك الدار وسلمت على زوجة العريف قامت زوجة العريف وقبلت الارض بين يديها لانها عرفتها فقالت لها قوت القلوب أين الضعيف الذى عندكم فبكت وقالت ها هو ياسيدتى الا انه ابن ناس وعليه أثر النعمة فالتفتت الى الفرش الذى هو راقد عليه وتأملته فرأته كأنه هو بذاته ولكنه قد تغير حاله وزاد نحوله ورق الى أن صار كالخلال وانبهم عليها أمره فلم تتحقق انه هو ولكن أخذتها الشفقة عليه فصارت تبكى وتقول ان الغرباء مساكين وان كانوا أمراء فى بلادهم ورتبت له الشراب والادوية ثم جلست عند رأسه ساعة وركبت وطلعت الى قصرها وصارت تطلع فى كل سوق لاجل التفتيش على غانم ثم ان العريف قد أتى بأمه وأخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب وقال ياسيدة المحسنات قد دخل مدينتنا فى هذا اليوم امرأة وبنت وهما من وجوه الناس وعليهما أثر النعمة لائح لكنهما لابستان ثيابا من الشعر وكل واحدة منهما معلقة فى رقبتها مخلاة وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة وها أنا أتيت بهما اليك لتأويهما وتصونيهما عن ذل السؤال لانهما ليستا أهلا لسؤال اللئام وان شاء الله

تدخل بسببهما الجنة فقالت والله ياسيدى لقد شوقتنى اليهما واين هما فأمرهما بالدخول فعند ذلك دخلت فتنة وأمها على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذاتا جمال بكت عليهما وقالت والله انهما أولاد نعمة ويلوح عليهما أثر الغنى فقال العريف ياسيدتى انا نحب الفقراء والمساكين لاجل الثواب وهؤلاء ربما جار عليهم الظلمة وسلبوا نعمتهم وأخربوا ديارهم ثم ان المرأتين بكتا بكاء شديدا وتفكرتا غانم بن أيوب المتيم المسلوب فزاد نحيبهما فلما بكتا بكت قوت القلوب لبكائهما ثم ان أمه قالت نسأل الله أن يجمعنا بمن نريده وهو ولدى غانم بن أيوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت أن هذه المرأة أم معشوقها وان الاخرى أخته فبكت حتى غشى عليها فلما أفاقت أقبلت عليهما وقالت لهما لا بأس عليكما فهذا اليوم أول سعادتكما وآخر شقاوتكما فلا تحزنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن قوت القلوب قالت لهما لا تحزنا ثم أمرت العريف أن يأخذهما الى بيته ويخلى زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثيابا حسنة وتتوصى بهما وتكرمهما غاية الاكرام وأعطته جملة من المال وفى ثانى يوم ركبت قوت القلوب وذهبت الى بيت العريف ودخلت عند زوجته فقامت اليها وقبلت يديها وشكرت احسانها ورأت أم غانم وأخته وقد أدخلتهما زوجة العريف الحمام ونزعت ما عليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة فجلست تحادثهما ساعة ثم سألت زوجة العريف عن المريض الذى عندها فقالت هو بحاله فقالت قوموا بنا نطل عليه ونعوده فقامت هى وزوجة العريف وأم غانم وأخته ودخلن عليه وجلسن عنده فلما سمعهن غانم بن أيوب المتيم المسلوب يذكرن قوت القلوب وكان قد انتحل جسمه ورق عظمه ردت له روحه ورفع رأسه من فوق المخدة ونادى ياقوت القلوب فنظرت اليه وتحققته فعرفته وصاحت بقولها نعم ياحبيبى فقال لها اقربى منى فقالت له لعلك غانم بن أيوب المتيم المسلوب فقال لها نعم أنا هو فعند ذلك وقعت مغشيا عليها فلما سمعت أخته وأمه كلامهما صاحتا بقولهما وافرحتاه ووقعتا مغشيا عليهما وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد لله الذى جمع شملنا بك وبأمك وأختك وتقدمت اليه وحكت له جميع ماجرى لها مع الخليفة وقالت انى قلت له قد أظهرت لك الحق ياأمير المؤمنين فصدق كلامى ورضى عنك وهو اليوم يتمنى أن يراك ثم قالت لغانم ان الخليفة وهبنى لك ففرح بذلك غاية الفرح فقالت لهم قوت القلوب لا تبرحوا حتى أحضر ثم انها قامت من وقتها وساعتها وانطلقت الى قصرها وحملت الصندوق الذى أخذته من داره وأخرجت منه دنانير وأعطت العريف اياها وقالت له خذ هذه الدنانير واشتر لكل شخص منهم أربع بدلات كوامل من أحسن القماش

القماش وعشرين منديلا وغير ذلك مما يحتاجون اليه ثم انها دخلت بهما وبغانم الحمام وأمرت بغسلهم وعملت لهم المساليق وماء الخولنجان وماء التفاح بعد ان خرجوا من الحمام ولبسوا الثياب وأقامت عندهم ثلاثة أيام وهي تطعمهم لحم الدجاج والمساليق وتسقيهم السكر المكرر وبعد الثلاثة أيام ردّت لهم أرواحهم وأدخلتهم الحمام ثانيا وخرجوا وغيرت عليهم الثياب وخلتهم في بيت العريف وذهبت الى الخليفة وقبلت الارض بين يديه وأعلمته بالقصة وانه قد حضر سيدها غانم بن أيوب المتيم المسلوب وان أمه وأخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام عليّ بغانم فنزل جعفر اليه وكانت قوت القلوب قد سبقته ودخلت على غانم وقالت له ان الخليفة قد أرسل اليك ليحضرك بين يديه فعليك بفصاحة اللسان وثبات الجنان وعذوبة الكلام وألبسته حلة فاخرة وأعطته دنانير بكثرة وقالت له اكثر البذل الى حاشية الخليفة وأنت داخل عليه واذا بجعفر أقبل عليه وهو على بغلته فقام غانم وقابله وحياه وقبل الارض بين يديه وقد ظهر كوكب سعده وارتفع طالع مجده فأخذه جعفر ولم يزالا سائرين حتى دخلا على أمير المؤمنين فلما حضر بين يديه نظر الى الوزراء والامراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة وأصحاب الصولة وكان غانم فصيح اللسان ثابت الجنان رقيق العبارة أنيق الاشارة فأطرق برأسه الى الارض ثم نظر الى الخليفة وأنشد هذه الابيات

أفديك من ملك عظيم الشان * متتابع الحسنات والاحسان
متوقد العزمات فياض الندى * حدّث عن الطوفان والنيران
لا يلهجون بغيره من قيصر * في ذا المقام وصاحب الايوان
تضع الملوك على ثرى أعتابه * عند السلام جواهر التيجان
حتى اذا شخصت له أبصارهم * خرّوا لهيبته على الاذقان
ويفيدهم ذاك المقام مع الرضى * رتب العلا وجلالة السلطان
ضاقت بعسكرك الفيافي والفلا * فاضرب خيامك في ذرى كيوان
واقر الكواكب بالمواكب محسنا * لشريف ذاك العالم الروحاني
وملكت شامخة الصياصي عنوة * من حسن تدبير وثبت جنان
ونشرت عدلك في البسيطة كلها * حتى استوى القاصي بها والداني

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة من محاسن رونقه وأعجبته فصاحة لسانه وعذوبة منطقه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان غانم بن أيوب لما أعجب

الخليفة فصاحته ونظمه وعذوبة منطقه قال له ادن منى فدنا منه ثم قال له اشرح لى قصتك وأطلعنى على حقيقة خبرك فقعد وحدث الخليفة بما جرى له من المبتدا الى المنتهى وليس فى الاعادة افادة فلما علم الخليفة انه صادق خلع عليه وقربه اليه وقال له ابرئ ذمتى فأبرأ ذمته وقال له يا أمير المؤمنين ان العبد وما ملكت يداه لسيده ففرح الخليفة بذلك ثم أمر أن يفرد له قصر ورتب له من الجوامك والجرايات شيأ كثيرا فنقل أمه وأخته اليه وسمع الخليفة بأن أخته فتنة فى الحسن فتنة فخطبها منه فقال له غانم انها جاريتك وأنا مملوكك فشكره وأعطاه مائة ألف دينار وأتى بالقاضى والشهود وكتبوا الكتاب ودخل هو وغانم فى نهار واحد فدخل الخليفة على فتنة وغانم بن أيوب على قوت القلوب فلما أصبح الصباح أمر الخليفة أن يؤرخ جميع ما جرى لغانم من أوله الى آخره وان يدون فى السجلات لاجل أن يطلع عليه من يأتى بعده فيتعجب من تصرفات الاقدار ويفوض الامر الى خالق الليل والنهار وليس هذا بأعجب من حكاية الملك عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وما جرى لهم من العجائب والغرائب قال الملك وما حكايتهم

(حكاية الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه كان بمدينة دمشق قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر النعمان وكان من الجبابرة الكبار قد قهر الملوك الاكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلى له بنار ولا يجاريه أحد فى مضمار واذا غضب يخرج من منخريه لهيب النار وكان قد ملك جميع الاقطار ونفذ حكمه فى سائر القرى والامصار وأطاع الله له جميع العباد ووصلت عساكره الى أقصى البلاد ودخل فى حكمه المشرق والمغرب وما بينهما من الهند والسند والصين واليمن والحجاز والحبشة والسودان والشام والروم وديار بكر وجزائر البحار وما فى الارض من مشاهير الانهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وأرسل رسله الى أقصى العمار ليأتوه بحقيقة الاخبار فرجعوا وأخبروه بأن سائر الناس اذعنت لطاعته وجميع الجبابرة خضعت لهيبته وقد عمهم بالفضل والامتنان وأشاع بينهم العدل والامان لانه كان عظيم الشان وحملت اليه الهدايا من كل مكان وجبى اليه خراج الارض فى طولها والعرض وكان له ولد قد سماه شركان لانه نشأ آفة من آفات الزمان وقهر الشجعان وأباد الاقران فأحبه والده حبا شديدا ما عليه من مزيد وأوصى له بالملك من بعده ثم ان شركان هذا حين بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرون سنة أطاع الله له جميع العباد لما به من شدة البأس والعناد وكان والده عمر النعمان له أربع نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن بغير شركان وهو من احداهن والباقى عواقر لم يرزق من واحدة

واحدة منهن بولد ومع ذلك كان له ثلثمائة وستون سرية على عدد أيام السنة القبطية وتلك السراري من سائر الاجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهن مقصورة وكانت المقاصير من داخل القصر فانه بنى اثني عشر قصرا على عدد شهور السنة وجعل في كل قصر ثلاثين مقصورة فكانت جملة المقاصير ثلثمائة وستين مقصورة وأسكن تلك الجواري في هذه المقاصير وفرض لكل سرية منهن ليلة يبيتها عندها ولا يأتيها الا بعد سنة كاملة فأقام على ذلك مدة من الزمان ثم ان ولده شركان اشتهر في سائر الآفاق ففرح به والده وازداد قوة فطغى وتجبر وفتح الحصون والبلاد واتفق بالامر المقدر ان جارية من جواري عمر النعمان قد حملت واشتهر حملها وعلم الملك بذلك ففرح فرحا شديدا وقال لعل ذريتي ونسلي تكون كلها ذكورا فأرخ يوم حملها وصار يحسن اليها فعلم شركان بذلك فاغتم وعظم عليه الامر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان لما علم ان جارية أبيه قد حملت اغتم وعظم عليه ذلك وقال قد جاءني من ينازعني في المملكة فأضمر في نفسه أن هذه الجارية ان ولدت ولدا ذكرا قتلته وكتم ذلك في نفسه هذا ما كان من أمر شركان وأما ما كان من أمر الجارية فانها كانت رومية وكان قد بعثها اليه هدية ملك الروم صاحب قيسارية وأرسل معها تحفا كثيرة وكان اسمها صفية وكانت أحسن الجواري أجملهن وجها وأصونهن عرضا وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر وكانت تخدم الملك ليلة مبيته عندها وتقول له أيها الملك كنت أشتهي من اله السماء أن يرزقك مني ولدا ذكرا حتى أحسن تربيته لك وأبالغ في أدبه وصيانته فيفرح الملك ويعجبه ذلك الكلام فلا زالت كذلك حتى كملت أشهرها فجلست على كرسي الطلق وكانت على صلاح تحسن العبادة فتصلي وتدعو الله أن يرزقها بولد صالح ويسهل عليها ولادته فتقبل الله منها دعاءها وكان الملك قد وكل بها خادما يخبره بما تضعه هل هو ذكر أو أنثى وكذلك ولده شركان أرسل من يعرفه بذلك فلما وضعت صفية ذلك المولود تأملته القوابل فوجدته بنتا بوجه أبهى من القمر فأعلمن الحاضرين بذلك فرجع رسول الملك وأخبره بذلك وكذلك رسول شركان أخبره بذلك ففرح فرحا شديدا فلما انصرف الخدام قالت صفية للقوابل امهلوا علي ساعة فاني أحس بأن أحشائي فيها شيء آخر ثم تأوهت وجاءها الطلق ثانيا وسهل الله عليها فوضعت مولودا ثانيا فنظرت اليه القوابل فوجدته ولدا ذكرا يشبه البدر بجبين أزهر وخد أحمر مورد ففرحت به الجارية والخدام والحشم وكل من حضر ورمت صفية الخلاص وقد أطلقوا الزغاريت في القصر فسمع بقية الجواري بذلك فحسدنها وبلغ عمر النعمان الخبر ففرح واستبشر وقام ودخل عليها وقبل رأسها ونظر الى المولود ثم انحنى اليه وقبله وضربت

الجوارى بالدفوف ولعبت بالآلات وأمر الملك أن يسموا المولود ضوء المكان وأخته نزهة الزمان فامتثلوا أمره وأجابوا بالسمع والطاعة وأفرد لهم الملك من يخدمهم من المراضع والخدام والحشم والدايات ورتب لهم الرواتب من السكر والاشربة والادهان وغير ذلك مما يكل عن وصفه اللسان وسمعت أهل دمشق بما رزق الله الملك من الاولاد فزينت المدينة وأظهرت الفرح والسرور وأقبلت الامراء والوزراء وأرباب الدولة وهنوا الملك عمر النعمان بولده ضوء المكان وبنته نزهة الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع عليهم وزاد فى اكرامهم من الانعام وأحسن الى الحاضرين من الخاص والعام ومازال على تلك الحالة الى أن مضى أربعة أعوام وهو بعد كل قليل من الايام يسأل عن صفية وأولادها وبعد الاربعة أعوام أمر أن ينقل اليها من المصاغ والحلى والحلل والاموال شئ كثير وأوصاهم بتربيتهما وحسن أدبهما كل هذا وابن الملك شركان لايعلم ان والده عمر النعمان رزق ولداذكرا ولم يعلم انه رزق سوى نزهة الزمان وأخفوا عليه خبر ضوء المكان الى أن مضت أيام وأعوام وهو مشغول بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما عمر النعمان جالس يومامن الايام اذدخلت عليه الحجاب وقبلوا الارض بين يديه وقالوا أيها الملك قد وصلت الينا رسل من ملك الروم صاحب القسطنطينية العظمى وانهم يريدون الدخول عليك والتمثل بين يديك فان أذن لهم الملك بذلك ندخلهم والافلامرد لامره فعند ذلك أمر لهم بالدخول فلما دخلوا عليه مال اليهم وأقبل عليهم وسألهم عن حالهم وماسبب اقبالهم فقبلوا الارض بين يديه وقالوا أيها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اعلم أن الذى أرسلنا اليك الملك أفريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر النصرانيه المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك انه اليوم فى حرب شديد مع جبار عنيد وهو صاحب قسارية والسبب فى ذلك ان بعض ملوك العرب اتفق انه وجد فى بعض الفتوحات كنزا من قديم الزمان من عهد اسكندر فنقل منه أموالا لاتحصى ومن جملة ماوجد فيه ثلاث خرزات مدورات على قدر بيض النعام وتلك الخرزات من أعلى الجوهر الابيض الخالص الذى لايوجد له نظير وكل خرزة منقوش عليها بالقلم اليونانى أمور من الاسرار ولهن منافع وخواص كثيرة ومن خواصهن ان كل مولود علقت عليه خرزة منهن لم يصبه ألم مادامت الخرزة معلقة عليه ولايحم ولايسخن فلما وضع يده عليها ووقع بها وعرف مافيها من الاسرار أرسل الى الملك افريدون هدايا من التحف والمال ومن جملتها الثلاث خرزات وجهز مركبين واحد فيهما مال والاخرى فيها رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها فى البحر وكان يعرف من نفسه انه لاأحد يقدر أن يتعدى على مراكبه لكونه ملك العرب لاسيما وطريق المراكب التى فيها الهدايا فى البحر الذى فى مملكة القسطنطينية

وهي متوجهة اليه وليس في سواحل ذلك البحر الارعاياه فلما جهز المركبين سافرا الى أن قربا من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الارض وفيهم عساكر من عند صاحب قيسارية فأخذوا جميع ما في المركبين من التحف والمال والذخائر والثلاث خرزات وقتلوا الرجال فبلغ ذلك ملكنا فأرسل اليهم عسكرا فهزموه فأرسل اليهم عسكرا أقوى من الاول فهزموه أيضا فعند ذلك اغتاظ الملك وأقسم انه لا يخرج اليهم الا بنفسه في جميع عسكره وانه لا يرجع عنهم حتى يخرب قيسارية ويترك أرضها وجميع البلاد التي يحكم عليها ملكها خرابا والمراد من صاحب القوة والسلطان الملك عمر النعمان أن يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد أرسل اليك ملكنا معنا شيأ من أنواع الهدايا ويرجو من انعامك قبولها والتفضل عليه بالاسعاف ثم ان الرسل قبلوا الارض بين يدي الملك عمر النعمان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والاربعون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان رسل ملك القسطنطينية قبلوا الارض بين يدي الملك عمر النعمان بعد ان حكوا له ثم أعلموه ما هي الهدية وكانت الهدية خمسين جارية من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكا عليهم أقبية من الديباج بمناطق من الذهب والفضة وكل مملوك في أذنه حلقة من الذهب فيها لؤلؤة تساوي ألف مثقال من الذهب والجواري كذلك وعليهم من القماش ما يساوي مالا جزيلا فلما رآهم الملك قبلهم وفرح بهم وأمر باكرام الرسل وأقبل على وزرائه يشاورهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير وكان شيخا كبيرا يقال له دندان فقبل الارض بين يدي الملك عمر النعمان وقال أيها الملك ما في الامر أحسن من انك تجهز عسكرا جرارا وتجعل قائدهم ولدك شركان ونحن بين يديه غلمان وهذا الرأي أحسن لوجهين الاول ان ملك الروم قد استجار بك وأرسل اليك هدية فقبلتها والوجه الثاني ان العدو لا يجسر على بلادنا فاذا منع عسكرك عن ملك الروم وهزم عدوه ينسب هذا الامر اليك ويشيع ذلك في سائر الاقطار والبلاد ولا سيما اذا وصل الخبر الى جزائر البحر وسمع بذلك أهل المغرب فانهم يحملون اليك الهدايا والتحف والاموال فلما سمع الملك هذا الكلام من وزيره دندان أعجبه واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره الملوك وينبغي أن تكون أنت في مقدم العسكر وولدي شركان في ساقة العسكر ثم ان الملك أمر باحضار ولده فلما حضر قص عليه القصة وأخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير دندان وأوصاه بأخذ الاهبة والتجهيز للسفر وانه لا يخالف الوزير دندان فيما يشور به عليه وأمره أن ينتخب من عسكره عشرة آلاف فارس كاملين العدة صابرين على الشدة فامتثل شركان ما قاله والده عمر النعمان وقام في الوقت واختار من عسكره عشرة آلاف فارس ثم دخل قصره وأخرج مالا عظيما

وانفق عليهم المال وقال لهم قد أمهلتكم ثلاثة أيام فقبلوا الارض بين يديه مطيعين لامره ثم خرجوا من عنده وأخذوا فى الاهبة واصلاح الشأن ثم ان شركان دخل خزائن السلاح وأخذ ما يحتاج اليه من العدد والسلاح ثم دخل الاصطبل واختار منه الخيل المسومة وأخذ غير ذلك وبعد ذلك أقاموا ثلاثة أيام ثم خرجت العساكر الى ظاهر المدينة وخرج عمر النعمان لوداع ولده شركان فقبل الارض بين يديه وأهدى له سبع خزائن من المال وأقبل على الوزير دندان وأوصاه بعسكر ولده شركان فقبل الارض بين يديه وأجابه بالسمع والطاعة وأقبل الملك على ولده شركان وأوصاه بمشاورة الوزير دندان فى سائر الامور فقبل ذلك ورجع والده الى أن دخل المدينة ثم ان شركان أمر كبار العسكر بعرضهم عليه وكانت عدتهم عشرة آلاف فارس غير ما يتبعهم ثم ان القوم حملوا ودقت الطبول وصاح النفير وانتشرت الاعلام والرايات وركب ابن الملك شركان والى جانبه وزيره دندان والاعلام تخفق على رؤسهم ولم يزل الواسائرين والرسل تقدمهم الى أن ولى النهار وأقبل الليل فنزلوا واستراحوا وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح ركبوا وساروا ولم يزالوا سائرين والرسل يدلونهم على الطريق مدة عشرين يوما ثم أشرفوا فى اليوم الحادى والعشرين على واد واسع الجهات كثير الاشجار والنبات وكان وصولهم الى ذلك الوادى ليلا فأمرهم شركان بالنزول والاقامة فيه ثلاثة أيام فنزل العساكر وضربوا الخيام وافترق العسكر يمينا وشمالا ونزل الوزير دندان وصحبته رسل افريدون صاحب القسطنطينية فى وسط ذلك الوادى وأما الملك شركان فانه كان فى وقت وصول العسكر وقف بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقوا فى جوانب الوادى ثم أنه أرخى عنان جواده وأراد أن يكشف ذلك الوادى ويتولى الحرس بنفسه لاجل وصية والده اياه فانهم فى أول بلاد الروم وأرض العدو فسار وحده بعد ان أمر مماليكه وخواصه بالنزول عند الوزير دندان ثم انه لم يزل سائرا على ظهر جواده فى جوانب الوادى الى أن مضى من الليل ربعه فتعب وغلب عليه النوم فصار لا يقدر أن يركض الجواد وكان له عادة انه ينام على ظهر جواده فلما هجم عليه النوم نام ولم يزل الجواد سائرا به الى نصف الليل فدخل به فى بعض الغابات وكانت تلك الغابة كثيرة الاشجار فلم ينتبه شركان حتى دق الجواد بحافره فى الارض فاستيقظ فوجد نفسه بين الاشجار وقد طلع عليه القمر وأضاء فى الخافقين فاندهش شركان لما رأى نفسه فى ذلك المكان وقال كلمة لا يخجل قائلها وهى لا حول ولا قوة الا بالله فبينما هو كذلك خائف من الوحش متحير لا يدرى أين يتوجه فلما رأى القمر أشرف على مرج كأنه من مروج الجنة فسمع كلاما مليحا وصوتا عاليا وضحكا يسبى عقول الرجال فنزل الملك شركان عن

جواده

جواده في الاشجار ومشى حتى أشرف على نهر فرأى فيه الماء يجري وسمع كلام امرأة تتكلم بالعربي وهي تقول وحق المسيح ان هذا مكان غير مليح ولكن كل من تكلمت بكلمة صرعتها وكتفتها بزنارها كل هذا وشركان يمشي الى جهة الصوت حتى انتهى الى طرف المكان ثم نظر فاذا بنهر يسبح وطيور تمرح وغزلان تسنح ووحوش ترتع والطيور بلغاتها المعاني الحظ تشرح وذلك المكان مزركش بأنواع النبات كما قيل في أوصاف مثله هذان البيتان

ماتحسن الارض الاعند زهرتها * والماء من فوقها يجري بارسال

صنع الاله العظيم الشان مقتدرا * معطي العطايا ومعطي كل مفضال

فنظر شركان الى ذلك المكان فرأى فيه ديرا ومن داخل الدير قلعة شاهقة في الهواء في ضوء القمر وفي وسطها نهر يجري الماء منه الى تلك الرياض وهناك امرأة بين يديها عشر جوار كأنهن الاقمار وعليهن من أنواع الحلي والحلل مايدهش الابصار وكلهن أبكار بديعات كما قيل فيهن هذه الابيات

يشرق المرج بما فيه من البيض العوالي

زاد حسنا وجمالا * من بديعات الخلال

كل هيفاء قواما * ذات غنج ودلال

راخيات لشعور * كعناقيد الدوالي

فاتنات بعيون * راميات بالنبال

مائسات قاتلات * لصناديد الرجال

فنظر شركان الى هؤلاء العشر جوار فوجد بينهن جارية كأنها البدر عند تمامه بحاجب مزجج وجبين أبلج وطرف أهدب وصدغ معقرب كاملة في الذات والصفات كما قال الشاعر في مثلها هذه الابيات

تزهو علي بالحاظ بديعات * وقدها مخجل للسمهريات

تبدو الينا وخداها موردة * فيها من الظرف أنواع الملاحات

كأن طرتها في نور طلعتها * ليل بلوح على صبح المسرات

فسمعها شركان وهي تقول للجواري تقدموا حتى أصارعكم قبل أن يغيب القمر ويأتي الصباح فصارت كل واحدة منهن تتقدم اليها فتصرعها في الحال وتكتفها بزنارها فلم تزل تصارعهن وتصرعهن حتى صرعت الجميع ثم التفتت الى الجارية عجوز كانت بين يديها وقالت لها وهي كالمغضبة عليها يافاجرة أتفرحين بصرعك للجواري فها أنا عجوز وقد صرعتهن أربعين مرة

فكيف تعجبين بنفسك ولكن ان كان لك قوة على مصارعتى فصارعينى فان أردت ذلك وقت مصارعتى أقوم لك وأجعل رأسك بين رجليك فتبسمت الجارية ظاهرا وقد امتلأت غيظا منها باطنا وقامت اليها وقالت لها ياسيدتى ذات الدواهى بحق المسيح أتصارعينى حقيقة أو تمزحين معى قالت لها بل أصارعك حقيقة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة السابعة والاربعون ﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الجارية لما قالت لذات الدواهى بحق المسيح أتصارعينى حقيقة قالت لها أصارعك حقيقة قالت لها قومى للصراع ان كان لك قوة فلما سمعت العجوز منها ذلك اغتاظت غيظا شديدا وقام شعر بدنها كأنه شعر قنفذ وقامت لها الجارية فقالت لها العجوز وحق المسيح لم أصارعك الا وأنا عريانة يافاجرة ثم ان العجوز أخذت منديل حرير بعد ان فكت لباسها وأدخلت يديها تحت ثيابها ونزعتها من فوق جسدها ولمت المنديل وشدته فى وسطها فصارت كأنها عفريتة معطاء أوحية رقطاء ثم انحنت على الجارية وقالت لها افعلى كفعلى كل هذا وشركان ينظر اليهما ثم ان شركان صار يتأمل فى تشويه صورة العجوز ويضحك ثم ان العجوز لما فعلت ذلك قامت الجارية على مهل وأخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت سراويلها فبان لها ساقان من المرمر وفوقهما كثيب من البلور ناعم مربرب وبطن يفوح المسك من أعكانه كأنه مصفح بشقائق النعمان وصدر فيه نهدان كفحلى رمان ثم انحنت عليها العجوز وتماسكا ببعضهما فرفع شركان رأسه الى السماء ودعا الله ان الجارية تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز ووضعت يدها الشمال فى شقتها ويدها اليمين فى رقبتها مع حلقها ورفعتها على يديها فانفلتت العجوز من يديها وأرادت الخلاص فوقعت على ظهرها فارتفعت رجلاها الى فوق فبانت شعرتها فى القمر ثم ضرطت ضرطتين عفرت احداهما فى الارض ودخنت الاخرى فى السماء فضحك شركان منهما حتى وقع على الارض ثم قام وسل حسامه والتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا غير العجوز مرمية على ظهرها فقال فى نفسه ما كذب من سماك ذات الدواهى ثم تقرب منهما ليسمع ما يجرى بينهما فأقبلت الجارية ورمت على العجوز ملاءة من حرير رفيعة وألبستها ثيابها واعتذرت اليها وقالت لها ياسيدتى ذات الدواهى ما أردت الا صرعك لاجميع ما حصل لك ولكن انت انفلت من بين يدى فالحمد لله على السلامة فلم ترد عليها جوابا وقامت تمشى من خجلها ولم تزل ماشية الى أن غابت عن البصر وصارت الجوارى مكتفات مرميات والجارية واقفة وحدها فقال شركان فى نفسه لكل رزق سبب ماغلب على النوم وسار بى الجواد الى هذا المكان الا لبختى فلعل هذه الجارية ومامعها تكون غنيمة لى ثم ركب جواده ولكزه ففر به كالسهم اذا فر من القوس وبيده حسامه مجرد

من

من علافه ثم صاح الله أكبر فلما رأته الجارية نهضت قائمة وحطت قدميها على جانب النهر وكان عرضه ستة أذرع ووثبت فصارت على جانبه الآخر ثم قامت على رجليها ونادت برفيع صوتها من أنت يا هذا الانك قطعت سرورنا وحين جردت حسامك صرت كأنك قد حملت في عسكر من أين أنت والى أين تذهب فاصدق في مقالك فان الصدق أنفع لك ولا تكذب فان الكذب من أخلاق اللئام ولا شك انك تهت في هذه الليلة عن الطريق حتى جئت الى هذا المكان الذي خلاصك فيه أكبر الغنيمات واعلم انك في مرج لو صرخنا فيه صرخة واحدة لجاء الينا أربعة آلاف بطريق فقل لنا ما الذي تريد فان أردت أن نرشدك الى الطريق أرشدناك وان أردت الرفد أرفدناك فلما سمع شركان كلامها قال لها أنا رجل غريب من المسلمين وقد سرت في هذه الليلة منفردا بنفسي اطلب غنيمة أغتنمها فلم أجد غنيمة أحسن من هؤلاء الجواري العشرة في هذه الليلة المقمرة فآخذهم وارجع بهم الى أصحابي فقالت له الجارية اعلم أن الغنيمة ما وصلت اليها والجواري والله ماهن غنيمتك أما قلت لك ان الكذب شين فقال لها ان السعيد الذي يكتفي بالله عن غيره فقالت له وحق المسيح لولا اني أخاف أن يكون هلاكك على يدي لكنت صحت صيحة ملأت عليك الارض خيلا ورجالا ولكن أنا أشفق على الغرباء وان أردت الغنيمة فأنا أطلب منك أن تنزل عن جوادك وتحلف لي بدينك انك لا تتقرب الي بشيء من السلاح وأتصارع أنا وأنت فان صرعتني فضعني على جوادك وخذنا كلنا غنيمة وان صرعتك أحكم فيك فاحلف لي فاني أخاف من غدرك وقد ورد في الاخبار اذا كان الغدر طباعا فان الثقة بكل أحد عجز فان حلفت لي عديت اليك وأتيتك وجئت عندك فطمع شركان في أخذها وقال في نفسه انها لم تعرف اني بطل من الابطال ثم ناداها وقال لها احلفيني بما تثقين به أني لا أقربك بشيء حتى تأخذي أهبتك وتقولي ادن مني لأصارعك فحينئذ أتقرب منك فان صرعتني فان لي من المال ما أشتري به نفسي وان صرعتك أنا فهي الغنيمة الكبرى فقالت الجارية أنا رضيت بذلك فتحير شركان في ذلك وقال وحق النبي صلى الله عليه وسلم رضيت أنا الآخر فقالت له احلف الآن بمن ركب الارواح في الاجساد وشرع لنا الشرائع فحلف لها بما وثقت به من الايمان فرضيت بذلك ثم انها وثبت فصارت في الجانب الآخر من جانبي النهر وقالت لشركان وهي تضحك يعز علي فراقك يا مولاي اذهب الى أصحابك قبل الصباح لئلا تأتيك البطارقة فيأخذوك على أسنة الرماح وأنت ما فيك قوة تدفع النسوان فكيف تدفع الرجال الفرسان فتحير شركان في نفسه وقال لها وقد ولت عنه معرضة تقصد الدير يا سيدتي أتذهبين وتتركين المتيم الغريب المسكين الكسير القلب فالتفتت اليه وهي تضحك ثم قالت له ما حاجتك فاني أجيب دعوتك

فقال كيف أطأ أرضك وأتحلى بحلاوة لطفك وأرجع بلا أكل من طعامك وقد صرت من بعض خدمك فقالت لا بأبى الكرامة الاثيم تفضل بسم الله على الرأس والعين واركب جوادك وسر على جانب النهر مقابلي فأنت فى ضيافتي ففرح شركان وبادر الى جواده وركب وما زال ماشيا مقابلها وهي سائرة قبالته الى أن وصل الى جسر معمول باخشاب من الجوز وفيه بكر بسلاسل من البولاد وعليها أقفال فى كلاليب فنظر شركان الى ذلك الجسر واذا بالجواري اللاتي كن معها فى المصارعة قائمات ينظرن اليها فلما أقبلت عليهن كلمت جارية منهن بلسان الرومية وقالت لها قومي اليه وأمسكي عنان جواده ثم سيري به الى الدير فسار شركان وهي قدامه الى أن عدى الجسر وقد اندهش عقله مما رأى وقال فى نفسه ياليت الوزير دندان كان معي فى هذا المكان وتنظر عيناه الى تلك الجواري الحسان ثم التفت الى تلك الجارية وقال لها يا بديعة الجمال قد صار لي عليك الآن حرمتان حرمة الصحبة وحرمة سيري الى منزلك وقبول ضيافتك وقد صرت تحت حكمك وفى عهدك فلو انك تنعمين علي بالمسير معي الى بلاد الاسلام وتتفرجين على كل أسد ضرغام وتعرفين من أنا فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد كنت عندي ذا عقل ورأى ولكني اطلعت الآن على ما فى قلبك من الفساد وكيف يجوز لك أن تتكلم بكلمة تنسب فيها الى الخداع كيف أصنع هذا وأنا أعلم متى حصلت عند ملككم عمر النعمان لا أخلص منه لانه ما فى قصوره مثلي ولو كان صاحب بغداد وخراسان وبنى له اثنى عشر قصرا فى كل قصر ثلثمائة وستون جارية على عدد أيام السنة والقصور عدد أشهر السنة وحصلت عنده ما تركني لان اعتقادكم انه يحل لكم التمتع بمثلي كما فى كتبكم حيث قيل فيها أو ما ملكت أيمانكم فكيف تكلمني بهذا الكلام وأما قولك وتتفرجين على شجعان المسلمين فوحق المسيح انك قلت قولا غير صحيح فاني رأيت عسكركم لما استقبلتم أرضنا وبلادنا فى هذين اليومين فلما أقبلتم لم أر تربيتكم تربية ملوك وانما رأيتكم طوائف مجتمعة وأما قولك تعرفين من أنا فأنا لا أصنع معك جميلا لاجل اجلالك وانما أفعل ذلك لاجل الفخر ومثلك لا يقول لمثلي ذلك ولو كنت شركان ابن الملك عمر النعمان الذى ظهر فى هذا الزمان فقال شركان فى نفسه لعلها عرفت قدوم العساكر وعرفت عدتهم وانهم عشرة آلاف فارس وعرفت أن والدي أرسلهم معي لنصرة ملك القسطنطينية ثم قال شركان يا سيدتي أقسمت عليك بما تعتقدين من دينك أن تحدثيني بسبب ذلك حتى يظهر لي الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبال ذلك فقالت له وحق ديني لولا اني خفت أن يشيع خبري من اني من بنات الروم لكنت خاطرت بنفسي وبارزت العشرة آلاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان وظفرت بفارسهم شركان وما كان

على في ذلك عار ولكنني قرأت الكتب وتعلمت الادب من كلام العرب واست أصف لك نفسي بالشجاعة مع انك رأيت مني العلامة والصناعة والقوة في الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك في هذه الليلة وقيل له نط هذا النهر لاذعن واعترف بالعجز واني أسأل المسيح أن يرميه بين يدي في هذا الدير حتى أخرج له في صفة الرجال وآسره واجعله في الاغلال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه أخذته النخوة والحمية وغيرة الابطال وأراد أن يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن رده عنها فرط جمالها وبديع حسنها فأنشد هذا البيت

واذا المليح أتى بذنب واحد ٭ جاءت محاسنه بألف شفيع

ثم صعدت وهو في أثرها فنظر شركان الى ظهر الجارية فرأى أردافها تتلاطم كالامواج في البحر الرجراج فأنشد هذه الابيات

في وجهها شافع يمحو اساءتها ٭ من القلوب وجيه حيثما شفعا
اذا تأملتها ناديت من عجب ٭ البدر في ليلة الاكمال قد طلعا
لو أن عفريت بلقيس يصارعها ٭ مع فرط قوته في ساعة صرعا

ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا الى دهليز طويل مقبي على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كاشتعال الشمس فلقيتها الجواري في آخر الدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهن العصايب المزركشة بالفصوص من أصناف الجواهر وسارت وهن امامها وشركان وراءها الى أن وصلوا الى الدير فوجد بدائر ذلك الدير أسرة مقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وأرض الدير مفروشة بانواع الرخام المجزع وفي وسطه بركة ماء عليها أربع وعشرون قارورة من الذهب والماء يخرج منها كاللجين ورأى في الصدر سريرا مفروشا بالحرير الملوكي فقالت له الجارية اصعد يامولاي على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت عنه فسأل عنها بعض الخدام فقالوا له انها ذهبت الى مرقدها ونحن نخدمك كما أمرت ثم انها قدمت اليه من غرائب الالوان فأكل حتى اكتفى ثم بعد ذلك قدمت اليه طشتا وابريقا من الذهب فغسل يديه وخاطره مشغول بعسكره لكونه لايعلم ماجرى لهم بعده ويتذكر أيضا كيف نسي وصية أبيه فصار متحيرا في أمره نادما على مافعل الى أن طلع الفجر وبان النهار وهو يتحسر على مافعل وصار مستغرقا في الفكر وأنشد هذه الابيات

لم أعدم الحزم ولكنني * دهيت في الامر فما حيلتي
لو كان من يكشف عني الهوى * برئت من حولي ومن قوتي
وان قلبي في ضلال الهوى * صب وأرجوالله في شدتي

فلما فرغ من شعره رأى بهجة عظيمة قد أقبلت فنظر فاذاهو بأكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهي بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها ديباج ملوكي وفي وسطها زنار مرصع بأنواع الجواهر وقد ضم خصرها وأبرز ردفها فصارا كأنهما كثيب بلور تحت قضيب من فضة ونهداها كفحلي رمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله أن يطير من الفرح ونسي عسكره ووزيره وتأمل رأسها فرأى عليها شبكة من اللؤلؤ مفصلة بأنواع الجواهر والجواري عن يمينها ويسارها يرفعن أذيالها وهي تمايل عجبا فعند ذلك وثب شركان قائما على قدميه من هيبة حسنها وجمالها فصاح واحيرتاه من هذا الزنار وأنشد هذه الابيات

ثقيلة الارداف مائلة * خرعوبة ناعمة النهد
تكتمت ما عندها من جوى * ولست أكتم الذي عندي
خدامها يمشين من خلفها * كالقيل في حل وفي عقد

ثم ان الجارية جعلت تنظر اليه زمانا طويلا وتكرر فيه النظر الى أن تحققته وعرفته فقالت له بعد أن أقبلت عليه قد أشرف بك المكان ياشركان كيف كانت ليلتك ياهمام بعد ما مضينا وتركناك ثم قالت له ان الكذب عند الملوك منقصة وعار لاسيما عند أكابر الملوك وأنت شركان ابن عمر النعمان فلا تنكر نفسك وحسبك ولا تكتم أمرك عني ولا تسمعني بعد ذلك غير الصدق فان الكذب يورث البغض والعداوة فقد نفذ فيك سهم القضا فعليك بالتسليم والرضا فلما سمع كلامها لم يمكنه الانكار فأخبرها بالصدق وقال لها أنا شركان بن عمر النعمان الذي عذبني الزمان وأوقعني في هذا المكان فمهما شئت فافعليه الآن فأطرقت برأسها الى الارض زمانا طويلا ثم التفتت اليه وقالت له طب نفسا وقر عينا فانك ضيفي وصار بيننا وبينك خبز وملح وحديث ومؤانسة فأنت في ذمتي وفي عهدي فكن آمنا وحق المسيح لو أراد أهل الارض أن يؤذوك لما وصلوا اليك الا ان خرجت روحي من أجلك فأنت في أمان المسيح وأماني وجلست الى جانبه فصارت تلاعبه الى أن زال ما عنده من الخوف وعلم انها لو كان لها أرب في قتله لقتلته في الليلة الماضية ثم انها كلمت جارية بلسان الرومية فغابت ساعة ثم رجعت اليها ومعها آلة مدام ومائدة طعام فتوقف شركان عن الاكل وقال في نفسه ربما وضعت شيأ في ذلك الطعام فعرفت ما في ضميره فالتفتت اليه وقالت وحق المسيح ليس الامر كذلك وهذا الطعام ليس فيه شيء من

الذي

الذى تتوهمه ولو كان خاطرى فى قتالك لقتلتك فى هذا الوقت ثم تقدمت الى المائدة وأكلت من كل لون لقمة فعند ذلك أكل شركان ففرحت الجارية وأكلت معه الى أن اكتفيا وبعد أن غسلا أيديهما قامت وأمرت جارية أن تأتى بالرياحين وآلات الشراب من أوانى الذهب والفضة والبلور وأن يكون الشراب من سائر الالوان المختلفة والانواع النفيسة فأتتها بجميع ماطلبته ثم ان الجارية ملأت أول قدح وشربته قبله كما فعلت فى الطعام ثم ملأت ثانيا وأعطته اياه فشرب فقالت له يامسلم انظر كيف أنت فى ألذ عيش ومسرة ولم تزل تشرب معه الى أن غاب عن رشده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الجارية مازالت تشرب وتسقى شركان الى أن غاب عن رشده من الشراب ومن سكر محبتها ثم انها قالت للجارية يامرجانة هاتى لنا شيأ من آلات الطرب فقالت سمعا وطاعة ثم غابت لحظة وأتت بعود دجلقى وجنك عجمى وناى تترى وقانون مصرى فأخذت الجارية العود وأصلحته وشدت أوتاره وغنت عليه بصوت رخيم أرق من النسيم وأعذب من ماء التسنيم وأنشدت مطربة بهذه الابيات

عفا الله عن عينيك كم سفكت دما * وكم فوقت منك اللواحظ أسهما
أجل حبيبا جائرا فى حبيبه * حرام عليه أن يرق ويرحما
هنيأ لطرف بات فيك مسهدا * وطوبى لقلب ظل فيك متيما
تحكمت فى قتلى فانك مالكى * بروحى أفدى الحاكم المتحكما

ثم قامت واحدة من الجوارى ومعها آلتها وأنشدت عليها أبياتا بلسان الرومية فطرب شركان ثم غنت الجارية سيدتهن أيضا وقالت يامسلم أمافهمت ما أقول قال لا ولكن ماطربت الا على حسن أناملك فضحكت وقالت له ان غنيت لك بالعربية ماذا تصنع فقال ما كنت أملك عقلى فأخذت آلة الطرب وغيرت الضرب وأنشدت هذه الابيات

طعم التفرق مر * فهل لذلك صبر
تعرضت لى ثلاث * صد وبين وهجر
أهوى ظريفا سبانى * بالحسن والهجر مر

فلما فرغت من شعرها نظرت الى شركان فوجدته قد غاب عن وجوده ولم يزل مطروحا بينهن ممدودا ساعة ثم أفاق وتذكر الغناء فمال طربا ثم ان الجارية أقبلت هى وشركان على الشراب ولم يزالا فى لعب ولهو الى أن ولى النهار بالرواح ونشر الليل الجناح فقامت الى مرقدها فسأل شركان عنها فقالوا له انها مضت الى مرقدها فقال فى رعاية الله وحفظه فلما أصبح الصباح أقبلت

عليه الجارية وقالت له ان سيدتى تدعوك اليها فقام معها وسار خلفها فلما قرب من مكانها زفته الجوارى بالدفوف والمغانى الى أن وصل الى باب كبير من العاج مرصع بالدر والجوهر فلما دخلوا منه وجدوا دارا كبيرة أيضا فى صدرها ايوان كبير مفروش بأنواع الحرير وبدائر ذلك الايوان شبابيك مفتحة مطلة على أشجار وأنهار وفى البيت صور مجسمة يدخل فيها الهواء فتتحرك فى جوفها آلات فيتخيل للناظر انها تتكلم والجارية جالسة تنظر اليهم فلما نظرته الجارية نهضت قائمة اليه وأخذت يده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان فقالت له أتعرف شيأ مما يتعلق بالعاشقين والمتيمين فقال نعم أعرف شيأ من الاشعار فقالت أسمعنى فأنشد هذه الابيات

لا لا أبوح بحب عزة انها * أخذت على مواثقا وعهودا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة ركعا وسجودا

فلما سمعته قالت لقد كان كثير باهر الفصاحة بارع البلاغة لانه بالغ فى وصفه لعزة حيث قال وأنشدت هذين البيتين

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها
وسعى الى بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

ثم قالت وقيل ان عزة كانت فى نهاية الحسن والجمال ثم قالت له يا ابن الملك ان كنت تعرف شيأ من كلام جميل فأنشدنا منه قال انى أعرف به من كل أحد ثم أنشد من شعر جميل هذا البيت

تريدين قتلى لا تريدين غيره * ولست أرى قصدا سواك أريد

فلما سمعت ذلك قالت له أحسنت يا ابن الملك ما الذى أرادته عزة بجميل حتى قال هذا الشطر * أى تريدين قتلى لا تريدين غيره * فقال لها شركان يا سيدتى لقد أرادت به ما تريدين منى ولا يرضيك فضحكت لما قال لها شركان هذا الكلام ولم يزالا يشربان الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقامت الجارية وذهبت الى مرقدها ونامت ونام شركان فى مرقده الى أن أصبح الصبح فلما أفاق أقبلت عليه الجوارى بالدفوف وآلات الطرب على العادة وقبلن الارض بين يديه وقلن له تفضل فان سيدتنا تدعوك الى الحضور عندها فقام شركان ومشى والجوارى حوله يضربن بالدفوف والآلات الى أن خرج من تلك الدار ودخل دارا غيرها أعظم من الدار الاولى وفيها من التماثيل وصور الطيور والوحوش مالا يوصف فتعجب شركان مما رأى من صنع ذلك المكان فأنشد هذه الابيات

أجني رقيبي من ثمار فلائد * در النحور منضدا بالعسجد
وعيون ماء من سبائك فضة * وخدود ورد في جوز برجد
فكأنما لون البنفسج قد حكى * زرق العيون وكحلت بالاثمد

فلما رأت الجارية شركان قامت له وأخذت بيده وأجلسته الى جانبها وقالت له أنت ابن الملك عمر النعمان فهل تحسن لعب الشطرنج فقال نعم ولكن لا تكوني كما قال الشاعر

أقول والوجد يطويني وينشرني * ونهلة من رضاب الحب ترويني
حضرت شطرنج من أهوى فلاعبني * بالبيض والسود لكن ليس يرضيني
كأنما الشاه عند الرخ موضعه * وقد تفقد دستا بالفرازين
فان نظرت الى معنى لواحظها * فان الحاظها يا قوم ترديني

ثم قدمت له الشطرنج ولعبت معه فصار شركان كلما أراد أن ينظر الى نقلها انظر الى وجهها فيضع الفرس موضع الفيل ويضع الفيل موضع الفرس فضحكت وقالت ان كان لعبك هكذا فأنت لا تعرف شيأ فقال هذا أول دست لا تحسبيه فلما غلبته رجع وصف القطع ولعب معها فغلبته ثانيا وثالثا ورابعا وخامسا ثم التفتت اليه وقالت له أنت في كل شئ مغلوب فقال يا سيدتي مع مثلك يحسن أن أكون مغلوبا ثم أمرت باحضار الطعام فأكلا وغسلا أيديهما وأمرت باحضار الشراب فشربا وبعد ذلك أخذت القانون وكان لها بضرب القانون معرفة جيدة فأنشدت هذه الابيات

الدهر ما بين مطوي ومبسوط * ومثله مثل مجرور ومخروط
فاشرب على حسنه ان كنت مقتدرا * أن لا تفارقني في وجه تفريط

ثم انهما لم يزالا على ذلك الى أن دخل الليل فكان ذلك اليوم أحسن من اليوم الذي قبله فلما أقبل الليل مضت الجارية الى مرقدها وانصرف شركان الى موضعه فنام الى الصباح ثم أقبلت عليه الجواري بالدفوف وآلات الطرب وأخذنه على العادة الى أن وصلوا الى الجارية فلما رأته نهضت قائمة وأمسكته من يده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها بطول البقاء ثم أخذت العود وأنشدت هذين البيتين

لا تركنن الى الفرا * ق فانه مر المذاق
الشمس عند غروبها * تصفر من ألم الفراق

فبينما هما على هذه الحالة واذا هما بضجة فالتفتا فرأيا رجالا وشبانا مقبلين وغالبهم بطارقة وبأيديهم السيوف مسلولة تلمع وهم يقولون بلسان الرومية وقعت عندنا يا شركان فأيقن بالهلاك فلما سمع

شركان هذا الكلام قال في نفسه لعل هذه الجارية الجليلة خدعتني وأمهلتني الى أن جاءت رجالها وهم البطارقة الذين خوفتني بهم ولكن أنا الذي جنيت على نفسي وألقيتها في الهلاك ثم التفت الى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير بالاصفرار ثم وثبت على قدميها وهي تقول لهم من أنتم فقال لها البطريق المقدم عليهم أيتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة أما تعرفين الذي عندك من هو قالت له لا أعرفه فمن هو فقال لها هذا مخرب البلدان وسيد الفرسان هذا شركان ابن الملك عمر النعمان هذا الذي فتح القلاع وملك كل حصن مناع وقد وصل خبره الى الملك حردوب والدك من العجوز ذات الدواهي وتحقق ذلك والدك ملكنا نقلا عن العجوز وها أنت قد نصرت عسكر الروم بأخذه هذا الاسد المشؤم فلما سمعت كلام البطريق نظرت اليه وقالت له ما اسمك قال لها اسمي ماسورة ابن عبدك موسورة بن كاشردة بطريق البطارقة قالت له وكيف دخلت علي بغير اذني فقال لها يا مولاتي اني لما وصلت الى الباب ما منعني حاجب ولا بواب بل قام جميع البوابين ومشوا بين أيدينا كما جرت به العادة انه اذا جاء أحد غيرنا يتركونه واقفا على الباب حتى يستأذنوا عليه بالدخول وليس هذا وقت اطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا اليه بهذا الملك الذي هو شرارة جمرة عسكر الاسلام لاجل أن يقتله ويرحل عسكره الى الموضع الذي جاؤا منه من غير أن يحصل لنا تعب في قتالهم فلما سمعت الجارية منه هذا الكلام قالت له ان هذا الكلام غير حسن ولكن قد كذبت العجوز ذات الدواهي فانها قد تكلمت بكلام باطل لا تعلم حقيقته وحق المسيح ان الذي عندي ما هو شركان ولا أسرته ولكنه رجل أتى الينا وقدم علينا وطلب الضيافة فأضفناه فان تحققنا انه شركان بعينه وثبت عندنا انه هو من غير شك فلا يليق بمروءتي اني أسلمكم منه لانه دخل تحت عهدي وذمتي فلا تخونوني في ضيفي ولا تفضحوني بين الانام بل ارجع انت الى الملك أبي وقبل الارض بين يديه وأخبره بأن الامر بخلاف ما قالته العجوز ذات الدواهي فقال البطريق ماسورة يا ابريزة أنا ما أقدر أن أعود الى الملك الا بغريمه فقالت له وقد اغتاظت ويلك ما يخصك بهذا الكلام ارجع أنت اليه بالجواب ولا عليك ملام فقال لها ماسورة لا أعود الا به فتغير لونها وقالت له لا تكون كثير الكلام والهذيان فان هذا الرجل ما دخل الينا الا وهو واثق من نفسه انه يحمل على مائة فارس وحده ولو قلت له أنت شركان بن عمر النعمان يقول نعم ولكن لا يمكنكم أن تتعرضوا له فان تعرضتم له لا يرجع عنكم الا ان قتل جميع من كان في هذا المكان وها هو عندي وها أنا أحضره بين أيديكم وسيفه وترسه معه فقال لها البطريق ماسورة أنا اذا أمنت من غضبك لم آمن من غضب أبيك واني اذا رأيته أشير الى البطارقة فانهم يأخذونه أسيرا ويمضون به الى الملك حقيرا فلما سمعت هذا الكلام قالت لا كان هذا الامر فانه

عنوان

عنوان السفه لان هذا رجل واحد وأنتم مائة بطريق فاذا أردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للخمسين﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملكة ابريزة قالت للبطريق هذا رجل واحد وأنتم مائة بطريق فاذا أردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم فقال البطريق ماسورة وحق المسيح لقد قلت الحق ولكن ما يخرج له أولا غيري فقالت له الجارية اصبر حتى أذهب اليه وأعرفه بحقيقة الامر وأنظر ما عنده من الجواب فان أجاب فالامر كذلك وان أبى فلا سبيل لكم اليه وأكون أنا ومن في الدير وجواري فداه ثم أقبلت على شركان وأخبرته بما كان فتبسم وعلم انها لم تخبر أحدا بأمره وانما شاع خبره حتى وصل الى الملك بغير ارادتها فرجع باللوم على نفسه وقال كيف رميت روحي في بلاد الروم ثم انه لما سمع كلام الجارية قال لها ان بروزهم الي واحدا بعد واحد اجحاف بهم فهلا يبرزون لي عشرة بعد عشرة وبعد ذلك وثب على قدميه وسار الى أن أقبل عليهم وكان معه سيفه وآلة حربه فلما رآه البطريق وثب اليه وحمل عليه فقابله شركان كأنه الاسد وضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فلما نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها وعرفت انها لم تصرعه حين صرعته بقوتها بل بحسنها وجمالها ثم ان الجارية أقبلت على البطارقة وقالت لهم خذوا بثار صاحبكم فخرج له أخو المقتول وكان جبارا عنيدا فحمل على شركان فلم يمهله شركان دون أن ضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فعند ذلك نادت الجارية وقالت يا عباد المسيح خذوا بثار صاحبكم فلم يزالوا يبرزون اليه واحدا بعد واحد وشركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقا والجارية تنظر اليهم وقد قذف الله الرعب في قلوب من بقي منهم وقد تأخروا عن البراز ولم يجسروا على البروز اليه بل حملوا عليه حملة واحدة بأجمعهم وحمل هو عليهم بقلب أقوى من الحجر الى أن طحنهم طحن الدروس وسلب منهم العقول والنفوس فصاحت الجارية على جوار يها وقالت لهن من بقي في الدير فقلن لها لم يبق أحد الا البوابين ثم ان الملكة لاقته وأخذته بالاحضان وطلع شركان معها الى القصر بعد فراغه من الحرب وكان بقي منهم قليل كامن له في زوايا الدير فلما نظرت الجارية الى ذلك القليل قامت من عند شركان ثم رجعت اليه وعليها زردية ضيقة العيون وبيدها صارم مهند وقالت وحق المسيح لم أبخل بنفسي عن ضيفي ولم أتخل عنه ولو أبقى بسبب ذلك معيرة في بلاد الروم ثم انها تأملت البطارقة فوجدته قد قتل منهم ثمانين وانهزم منهم عشرون فلما نظرت الى ما صنع بالقوم قالت له بمثلك تفتخر الفرسان فلله درك يا شركان ثم انه قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى وينشد هذه الابيات

وكم من فرقة فى الحرب جاءت * تركت كأنهم طعم السباع
سلوا عنى اذا شئتم نزالى * جميع الخلق فى يوم القراع
تركت أيوثهم فى الحرب صرعى * على الرمضاء فى تلك البقاع

فلما فرغ من شعره أقبلت عليه الجارية متبسمة وقبلت يده وقلعت الدرع الذى كان عليها فقال لها ياسيدتى لأى شئ لبست الدرع الزرد وشهرت حسامك قالت حرصا عليك من هؤلاء اللئام ثم ان الجارية دعت البوابين وقالت لهم كيف تركتم أصحاب الملك يدخلون منزلى بغير اذنى فقالوا لها أيتها الملكة ماجرت العادة اننا نحتاج الى استئذان منك على رسل الملك خصوصا البطريق الكبير فقالت لهم أظنكم ماأردتم الا هتكى وقتل ضيفى ثم أمرت شركان أن يضرب رقابهم فضرب رقابهم وقالت لباقى خدامها انهم يستحقون أكثر من ذلك ثم التفتت لشركان وقالت له الآن ظهر لك ما كان خافيا فها أنا أعلمك بقصتى اعلم انى بنت ملك الروم حردوب واسمى ابريزة والعجوز التى تسمى ذات الدواهى جدتى أم أبى وهى التى أعلمت أبى بك ولابد انها تدبر حيلة فى هلاكى خصوصا وقد قتلت بطارقة أبى وشاع انى قد تحزبت مع المسلمين فالرأى السديد اننى أترك الاقامة هنا مادامت ذات الدواهى خلفى ولكن أريد منك أن تفعل معى مثل مافعلت معك من الجميل فان العداوة قد وقعت بينى وبين أبى فلا تترك من كلامى شيأ فان هذا كله ماوقع الا من أجلك فلما سمع شركان هذا الكلام طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله لا يصل اليك أحد مادامت روحى فى جسدى ولكن هل لك صبر على فراق والدك وأهلك قالت نعم فحلفها شركان وتعاهدا على ذلك فقالت الآن طاب قلبى ولكن بقى عليك شرط آخر فقال وماهو فقالت له انك ترجع بعسكرك الى بلادك فقال لها ياسيدتى إن أبى عمر النعمان أرسلنى الى قتال والدك بسبب المال الذى أخذه ومن جملته الثلاث خرزات الكثيرة البركات فقالت له طب نفسا وقر عينا فها أنا أحدثك بحديثها وأخبرك بسبب معاداتنا لملك القسطنطينية وذلك ان لنا عيدا يقال له عيد الدير كل سنة تجتمع فيه الملوك من جميع الاقطار وبنات الاكابر والتجار ويقعدون فيه سبعة أيام وأنا من جملتهم فلما وقعت بيننا العداوة منعنى أبى من حضور ذلك العيد مدة سبع سنين فاتفق فى سنة من السنين أن بنات الاكابر من سائر الجهات قد جاءت من أماكنها الى الدير فى ذلك العيد على العادة ومن جملة من جاء اليه بنت ملك القسطنطينية وكان يقال لها صفية فأقاموا فى الدير ستة أيام وفى اليوم السابع انصرفت الناس فقالت صفية أنا ما أرجع الى القسطنطينية الا فى البحر فجهزوا لها مركبا فنزلت فيها هى وخواصها فلما حلوا القلوع وساروا فبينما هم سائرون واذا بريح قد خرج عليهم فأخرج المركب عن طريقها وكان هناك بالقضاء

والقدر

والقد مركب نصارى من جزيرة الكافور وفيها خمسمائة افرنجى ومعهم العدة والسلاح وكان لهم مدة فى البحر فلما لاح لهم قلع المركب التى فيها صفية ومن معها من البنات انقضوا عليها مسرعين فما كان غير ساعة حتى وصلوا الى تلك المركب ووضعوا فيها الكلاليب وجروها وحلوا قلوعهم وقصدوا جزيرتهم فما بعدوا غير قليل حتى انعكس عليهم الريح فجذبهم الى شعب بعد ان مزق قلوع مركبهم وقربهم منا فخرجنا فرأيناهم غنيمة قد انساقت الينا فأخذناهم وقتلناهم واغتنمنا ما معهم من الاموال والتحف وكان فى مركبهم أربعون جارية ومن جملتهن صفية بنت الملك فأخذنا الجوارى وقدمناها الى أبى ونحن لا نعرف ان من جملتهن ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية فاختار أبى منهن عشر جوار وفيهن ابنة الملك وفرق الباقى على حاشيته ثم عزل خمسة فيهن ابنة الملك من العشر جوارى وأرسل تلك الخمسة هدية الى والدك عمر النعمان مع شيء من الجوخ ومن قماش الصوف ومن القماش الحرير الرومى فقبل الهدية أبوك واختار من الخمس جوارى صفية بنت الملك افريدون فلما كان أول هذا العام أرسل أبوها الى والدى مكتوبا فيه كلام لا ينبغى ذكره وصار يهدده فى ذلك المكتوب ويوبخه ويقول له انكم أخذتم مركبنا منذ سنتين وكانت فى يد جماعة لصوص من الافرنج ومن جملة ما فيها ابنتى صفية ومعها من الجوارى نحو ستين جارية ولم ترسلوا الى أحدا يخبرنى بذلك وأنا لا أقدر أن أظهر خبرها خوفا أن يكون فى حقى عارا عند الملوك من أجل هتك ابنتى فكتمت أمرى الى هذا العام والذى بين ذلك لى اننى كاتبت هؤلاء اللصوص وسألتهم عن خبر ابنتى وأكدت عليهم أن يفتشوا عليها ويخبرونى عند أى ملك هى من ملوك الجزائر فقالوا والله ما خرجنا بها من بلادك ثم قال فى المكتوب الذى كتبه لوالدى ان لم يكن مرادكم معاداتى ولا فضيحتى وهتك ابنتى فساعة وصول كتابى اليكم ترسلوا الى ابنتى من عندكم وان أهملتم كتابى وعصيتم أمرى فلا بد أن أكافئكم على قبيح أفعالكم وسوء أعمالكم فلما وصلت هذه المكاتبة الى أبى وقرأها وفهم ما فيها شق عليه ذلك وندم حيث لم يعرف أن صفية بنت الملك فى تلك الجوارى ليردها الى والدها فصار متحيرا فى أمره ولم يمكنه بعد هذه المدة المستطيلة أن يرسل الى الملك عمر النعمان ويطلبها منه ولا سيما وقد سمعنا من مدة يسيرة انه رزق من جاريته التى يقال لها صفية بنت الملك افريدون أولادا فلما تحققنا ذلك علمنا أن هذه الورطة هى المصيبة العظمى ولم يكن لابى حيلة غير انه كتب جوابا للملك أفريدون يعتذر اليه فيه ويحلف له بالاقسام انه لم يعلم أن ابنته من جملة الجوارى التى كانت فى تلك المركب ثم ظهره على انه أرسلها الى الملك عمر النعمان وانه رزق منها أولادا فلما وصلت رسالة أبى الى أفريدون ملك القسطنطينية قام وقعد

وأرغى وأزبد وقال كيف تكون ابنتي مسبية بصفة الجواري وتتداولها أيدي الملوك ويطؤنها بلا عقد ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح انه لا يمكنني أن أتقاعد عن هذا الامر دون أن آخذ الثار وأكشف العار فلابد أن أفعل فعلا تتحدث به الناس من بعدي ومازال صابرا الى أن عمل الحيلة ونصب مكايد عظيمة وأرسل رسلا الى والدك عمر النعمان وذكر له ماسمعت من الاقوال حتى جهزك والدك بالعساكر التي معك من أجلها وصيرك اليه حتى يقبض عليك أنت ومن معك من عسكرك وأما الثلاث خرزات التي أخبروا والدك بها في مكتوبه فليس لذلك صحة وانما كانت مع صفية ابنته وأخذها أبي منها حين استولى عليها هي والجواري التي معها ثم وهبها لي وهي الآن عندي فاذهب أنت الى عسكرك وردهم قبل أن يتوغلوا في بلاد الافرنج والروم فانكم اذا توغلتم في بلادهم يضيقون عليكم الطرق ولم يكن لكم خلاص من أيديهم الى يوم الجزاء والقصاص وأنا أعرف أن الجيوش مقيمون في مكانهم لانك أمرتهم بالاقامة ثلاثة أيام مع انهم فقدوك في هذه المدة ولم يعلموا ماذا يفعلون فلما سمع شركان هذا الكلام صار مشغول الفكر بالاوهام ثم انه قبل يد الملكة ابريزة وقال الحمد لله الذي من علي بك وجعلك سببا لسلامتي وسلامة من معي ولكن يعز علي فراقك ولا أعلم ما يجري عليك بعدي فقالت له اذهب أنت الآن الى عسكرك وردهم وان كانت الرسل عندهم فاقبض عليهم حتى يظهر لكم الخبر وأنتم بالقرب من بلادكم وبعد ثلاثة أيام أنا ألحقكم وما تدخلون بغداد الا وأنا معكم فندخل كلنا سواء فلما أراد الانصراف قالت له لا تنس العهد الذي بيني وبينك ثم انها نهضت قائمة معه لاجل التوديع والعناق واطفاء نار الاشواق وبكت بكاء يذيب الاحجار وأرسلت الدموع كالامطار فلما رأى منها ذلك البكاء والدموع اشتد به الوجد والولوع وتزح في الوداع دمع العين وأنشد هذين البيتين

ودعتها وبدي اليمين لادمعي * وبدي اليسار لضمة وعناق
قالت أما تخشى الفضيحة قلت لا * يوم الوداع فضيحة العشاق

ثم فارقها شركان ونزل من الدير وقدموا له جواده فركب وخرج متوجها الى الجسر فلما وصل اليه مر من فوقه ودخل بين تلك الاشجار فلما تخلص من الاشجار ومشى في ذلك المرج واذا هو بثلاثة فوارس فأخذ لنفسه الحذر منهم وشهر سيفه وانحدر فلما قربوا منه ونظر بعضهم بعضا عرفوه وعرفهم ووجد أحدهم الوزير دندان ومعه أميران وعندما عرفوه ترجلوا له وسلموا عليه وسأله الوزير دندان عن سبب غيابه فأخبره بجميع ما جرى له مع الملكة ابريزة من أوله الى آخره فحمد الله تعالى على ذلك ثم قال شركان ارحلوا بنا من هذه البلاد لان الرسل الذين جاؤا معنا

رحلوا

رحلوا من عندنا اليه لهوا ملكهم قدومنا فربما أسرعوا الينا وقبضوا علينا ثم نادى شركان فى عسكره بالرحيل فرحلوا كلهم ولم يزالوا سائرين مجدين فى السير حتى وصلوا الى سطح الوادى وكانت الرسل قد توجهوا الى ملكهم وأخبروه بقدوم شركان فجهز اليه عسكرا ليقبضوا عليه وعلى من معه هذا ما كان من أمر الرسل وملكهم وأما ما كان من أمر شركان فانه سافر بعسكره مدة خمسة أيام ثم نزلوا فى واد كثير الاشجار واستراحوا فيه مدة وبعد ذلك ساروا ومنه ولم يزالوا سائرين مدة خمسة وعشرين يوما حتى أشرفوا على أوائل بلادهم فلما وصلوا هناك أمنوا على أنفسهم ونزلوا لاخذ الراحة فخرج اليهم أهل تلك البلاد بالضيافات وعليق البهائم ثم أقاموا يومين ورحلوا الى ديارهم وتأخر شركان بعدهم فى مائة فارس وجعل الوزير دندان أميرا على من معه من الجيش فسار الوزير دندان بمن معه مسيرة يوم ثم بعد ذلك ركب شركان هو والمائة فارس الذين معه وساروا مقدار فرسخين حتى وصلوا الى محل مضيق بين جبلين واذا أمامهم غبرة وعجاج فمنعوا خيولهم من السير قدار ساعة حتى انكشف الغبار فبان من تحته مائة فارس ليوث عوابس وفى الحديد والزرد غواطس فلما أن قربوا من شركان ومن معه صاحوا عليهم وقالوا وحق يوحنا ومريم اننا قد بلغنا ما أملناه ونحن خلفكم مجدون السير ليلا ونهارا حتى سبقناكم الى هذا المكان فانزلوا عن خيولكم وأعطونا أسلحتكم وسلموا الينا أنفسكم حتى نجود عليكم بأرواحكم فلما سمع شركان ذلك الكلام لاحت عيناه واحمرت وجنتاه وقال يا كلاب النصارى كيف تجاسرتم علينا وجئتم بلادنا ومشيتم فى أرضنا وما كفاكم ذلك حتى تخاطبونا بهذا الخطاب أظننتم انكم تخلصون من أيدينا وتعودون الى بلادكم ثم صاح على المائة فارس الذين معه وقال لهم دونكم هؤلاء الكلاب فانهم فى عددكم ثم سل سيفه وحمل عليهم وحملت معه المائة فارس فاستقبلتهم الافرنج بقلوب أقوى من الصخر واصطدمت الرجال بالرجال ووقعت الابطال فى الابطال والتحم القتال واشتد النزال وعظمت الاهوال وقد بطل القيل والقال ولم يزالوا فى الحرب والكفاح والضرب بالصفاح الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فانفصلوا عن بعضهم واجتمع شركان باصحابه فلم يجد أحدا منهم مجروحا غير أربعة أنفس حصل لهم جراحات سليمة فقال لهم شركان أنا عمرى أخوض بحر الحرب العجاج المتلاطم من السيوف بالامواج وأقاتل الرجال فوالله ما لقيت أصبر على الجلاد وملاقاة الرجال مثل هؤلاء الابطال فقالوا له اعلم أيها الملك ان فيهم فارسا افرنجيا وهو المقدم عليهم له شجاعة وطعنات نافذات غير أن كل من وقع منا بين يديه يتغافل عنه ولا يقتله فوالله لو أراد قتلنا لقتلنا باجمعنا فتحير شركان لما سمع ذلك المقال وقال فى غد نصطف ونبارزهم فها نحن مائة وهم مائة ونطلب النصر عليهم

من رب السماء و باتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق وأما الافرنج فانهم اجتمعوا عند مقدمهم وقالوا انا ما بلغنا اليوم فى هؤلاء أرباً فقال لهم فى غد نصطف ونبارزهم واحداً بعد واحد فباتوا على ذلك الاتفاق أيضاً فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وصلت على محمد زين الملاح ركب الملك شركان وركبت معه المائة فارس وأتوا الى الميدان كلهم فوجدوا الافرنج قد اصطفوا للقتال فقال شركان لأصحابه ان أعداءنا قد اصطفوا فدونكم والمبادرة اليهم فنادى مناد من الافرنج لا يكون قتالنا فى هذا اليوم الا مناوبة بان يبرز بطل منكم الى بطل منا فعند ذلك برز فارس من أصحاب شركان وساق بين الصفين وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لى اليوم كسلان ولا عاجز فلم يتم كلامه حتى برز اليه فارس من الافرنج غريق فى سلاحه وقماشه من ذهب وهو راكب على جواد أشهب وذلك الافرنجى لا نبات بعارضيه فساق جواده حتى وقف فى وسط الميدان وصادمه فى الضرب والطعان فلم يكن غير ساعة حتى طعنه الافرنجى بالرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيراً وقاده حقيراً ففرح به قومه ومنعوه أن يخرج الى الميدان وأخرجوا غيره وقد خرج اليه من المسلمين آخر وهو أخو الاسير ووقف معه فى الميدان وحمل الاثنان على بعضهما ساعة يسيرة ثم كر الافرنجى على المسلم وغالطه وطعنه بعقب الرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيراً ومازال يخرج اليهم من المسلمين واحد بعد واحد والافرنج يأسرونهم الى ان ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أسروا من المسلمين عشرين فارساً فلما عاين شركان ذلك عظم عليه الامر فجمع أصحابه وقال لهم ما هذا الامر الذى حل بنا أنا أخرج فى غد الى الميدان واطلب براز الافرنجى المقدم عليهم وانظر ما الذى حمله على أن يدخل بلادنا وأحذره من قتالنا فان أبى قاتلناه وان صالحنا صالحناه و باتوا على هذا الحال الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ثم ركب الطائفتان واصطف الفريقان فلما خرج شركان الى الميدان رأى الافرنج قد ترجل منهم أكثر من نصفهم قدام فارس منهم ومشوا قدامه الى ان صاروا فى وسط الميدان فتأمل شركان ذلك الفارس فرآه الفارس المقدم عليهم وهو لابس قباء من أطلس أزرق ووجهه فيه كالبدر اذا أشرق ومن فوقه زردية ضيقة العيون وبيده سيف مهند وهو راكب على جواد أدهم فى وجهه غرة كالدرهم وذلك الافرنجى لا نبات بعارضيه ثم انه لكز جواده حتى صار فى وسط الميدان وأشار الى المسلمين وهو يقول بلسان عربى فصيح يا شركان يا ابن عمر النعمان الذى ملك الحصون والبلدان دونك والحرب والطعان وابرز الى من قد ناصفك فى الميدان فأنت سيد قومك وأنا سيد قومى فمن غلب منا صاحبه أخذه هو وقومه تحت طاعته فما استتم كلامه

حتى

حتى برز له شركان وقلبه من الغيظ ملآن وساق جواده حتى دنا من الافرنجي في الميدان فكر عليه الافرنجي كالاسد الغضبان وصدمه صدمة الفرسان وأخذا في الطعن والضرب وصارا في حومة الميدان كأنهما جبلان يصطدمان أو بحران يلتطمان ولم يزالا في قتال وحرب ونزال من أول النهار الى أن أقبل الليل بالاعتكار ثم انفصل كل منهما من صاحبه وعاد الى قومه فلما اجتمع شركان بأصحابه قال لهم ما رأيت مثل هذا الفارس قط الا أني رأيت منه خصلة لم أرها من أحد غيره وهو انه اذا لاح له في خصمه مضرب قاتل يقلب الرمح ويضرب به بعقبه ولكن ما أدري ماذا يكون مني ومنه ومرادي أن يكون في عسكرنا مثله ومثل أصحابه وبات شركان فلما أصبح الصباح خرج له الافرنجي ونزل في وسط الميدان وأقبل عليه شركان ثم أخذا في القتال وأوسعا في الحرب والجال وامتدت اليهما الاعناق ولم يزالا في حرب وكفاح وطعن بالرماح الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ثم افترقا ورجعا الى قومهما وصار كل منهما يحكي لاصحابه ما لاقاه من صاحبه ثم ان الافرنجي قال لاصحابه في غد يكون الانفصال وباتوا تلك الليلة الى الصباح ثم ركب الاثنان وحملا على بعضهما ولم يزالا في الحرب الى نصف النهار وبعد ذلك عمل الافرنجي حيلة ولكز الجواد ثم جذبه باللجام فعثر به ورماه فانكب عليه شركان وأراد أن يضربه بالسيف خوفا أن يطول به المطال فصاح به الافرنجي وقال يا شركان ما هكذا تكون الفرسان انما هذا فعل المغلوب بالنسوان فلما سمع شركان من ذلك الفارس هذا الكلام رفع طرفه اليه وأمعن النظر فيه فوجده الملكة ابريزة التي وقع له معها ما وقع في الدير فلما عرفها رمى السيف من يده وقبل الارض بين يديها وقال لها ما حملك على هذه الفعال فقالت له أردت أن أختبرك في الميدان وأنظر ثباتك في الحرب والطعان وهؤلاء الذين معي كلهم جواري كلهن بنات أبكار وقد قهرن فرسانك في حومة الميدان ولولا أن جوادي قد عثر بي لكنت ترى قوتي وجلادي فتبسم شركان من قولها وقال لها الحمد لله على السلامة وعلى اجتماعي بك يا ملكة الزمان ثم ان الملكة ابريزة صاحت على جواريها وأمرتهن بالرحيل بعد أن يطلقن العشرين أسيرا الذين كن أسرنهم من قوم شركان فامتثلت الجواري أمرها ثم قبلن الارض بين يديها فقال لهن مثلكن من يكون عند الملوك مدخرا للشدائد ثم انه أشار الى أصحابه أن سلموا عليها فترجلوا جميعا وقبلوا الارض بين يدي الملكة ابريزة ثم ركب المائتا فارس وساروا في الليل والنهار مدة ستة أيام وبعد ذلك أقبلوا على الديار فأمر شركان الملكة ابريزة وجواريها أن ينزعن ما عليهن من لباس الافرنج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والخمسون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان شركان أمر الملكة

ابريزة وجواريها أن ينزعن ماعليهن من الثياب وأن يلبسن لباس بنات الروم ففعلن ذلك ثم انه أرسل جماعة من أصحابه الى بغداد ليعلم والده عمر النعمان بقدومه ويخبره ان الملكة ابريزة ابنة ملك الروم جاءت صحبته لاجل أن يرسل موكبا لملاقاتها ثم انهم نزلوا من وقتهم وساعتهم فى المكان الذى وصلوا اليه وباتوا فيه الى الصباح فلما أصبح الصباح ركب الملك شركان هو ومن معه وركبت أيضا الملكة ابريزة هى ومن معها واستقبلوا المدينة واذا بالوزير دندان قد أقبل فى ألف فارس من أجل ملاقاة الملكة ابريزة هى وشركان وكان خروجه باشارة الملك عمر النعمان كما أرسل اليه ولده شركان فلما قربوا منهما توجهوا اليهما وقبلوا الارض بين أيديهما ثم ركبا وركبوا معهما وساروا فى خدمتهما حتى وصلا الى المدينة وطلعا قصر الملك ودخل شركان على والده فقام اليه واعتنقه وسأله عن الخبر فأخبره بما قالته الملكة ابريزة وما اتفق له معها وكيف فارقت مملكتها وفارقت أباها وقال له انها اختارت الرحيل معنا والقعود عندنا وان ملك القسطنطينية أراد أن يعمل لنا حيلة من أجل صفية بنته لان ملك الروم قد أخبره بحكايتها وبسبب اهدائها اليك وان ملك الروم ما كان يعرف انها ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية ولو كان يعرف ذلك ما كان أهداها اليك بل كان يردها الى والدها ثم قال شركان لوالده ولم يخلصنا من هذه الحيل والمكايد الا ابريزة بنت ملك القسطنطينية ومارأينا أشجع منها ثم انه شرع يحكى لابيه ماوقع له معها من أوله الى آخره من أمر المصارعة والمبارزة فلما سمع الملك عمر النعمان من ولده شركان ذلك الكلام عظمت ابريزة عنده وصار يتمنى انه يراها ثم انه طلبها لاجل ان يسألها فعند ذلك ذهب شركان اليها وقال لها ان الملك يدعوك فأجابت بالسمع والطاعة فأخذها شركان وأتى بها الى والده وكان والده قاعدا على كرسيه وأخرج من كان عنده ولم يبق عنده غير الخدم فلما دخلت الجارية ابريزة على الملك عمر النعمان قبلت الارض بين يديه وتكلمت بأحسن الكلام فتعجب الملك من فصاحتها وشكرها على مافعلت مع ولده شركان وأمرها بالجلوس فجلست وكشفت عن وجهها فلما رآه الملك حيل بينه وبين عقله ثم انه قربها اليه وأدناها منه وأفرد لها قصرا مختصا بها وبجواريها ورتب لها ولجواريها الرواتب ثم أخذ يسألها عن تلك الخرزات الثلاث التى تقدم ذكرها سابقا فقالت له ان تلك الخرزات معى ياملك الزمان ثم انها قامت ومضت الى محلها وفتحت صندوقا وأخرجت منه علبة وأخرجت من العلبة حقا من الذهب وفتحته وأخرجت منه تلك الخرزات الثلاث ثم قبلتها وناولتها للملك وانصرفت فأخذت قلبه معها وبعد انصرافها أرسل الى ولده شركان فحضر فأعطاه خرزة من الثلاث خرزات فسأله عن الاثنين الآخرين فقال ياولدى قد أعطيت منهما واحدة لاخيك ضوء

المكان

المكان والثانية لاختك نزهة الزمان فلما سمع شركان ان له أخا يسمى ضوء المكان وما كان يعرف الاخته نزهة الزمان التفت الى والده الملك عمر النعمان وقال له يا والدي ألك ولد غيري قال نعم وعمره الآن ست سنين ثم أعلمه أن اسمه ضوء المكان واخته نزهة الزمان وانهما ولدا في بطن واحد فصعب عليه ذلك ولكنه كتم سره وقال لوالده على بركة الله تعالى ثم رمى الخرزة من يده ونفض أثوابه فقال له الملك مالى أراك قد تغيرت أحوالك لما سمعت هذا الخبر مع انك صاحب المملكة من بعدي وقد عاهدت امراء الدولة على ذلك وهذه خرزة من الثلاث خرزات فأطرق شركان برأسه الى الارض واستحى أن يكافح والده ثم قام وهو لا يعلم كيف يصنع من شدة الغيظ ومازال ماشيا حتى دخل قصر الملكة ابريزة فلما أقبل عليها نهضت اليه قائمة وشكرته على فعاله ودعت له ولوالده وجلست وأجلسته في جانبها فلما استقر به الجلوس رأت في وجهه الغيظ فسألته عن حاله وما سبب غيظه فأخبرها أن والده الملك عمر النعمان رزق من صفية ولدين ذكرا وانثى وسمى الولد ضوء المكان والانثى نزهة الزمان وقال لها انه أعطاهما خرزتين وأعطاني واحدة فتركتهما وأنا الى الآن لم أعلم بذلك الا في هذا الوقت فخنقني الغيظ وقد أخبرتك بسبب غيظي ولم أخف عنك شيأ وأخشى عليك من أن يتزوجك فاني رأيت منه علامة الطمع في انه يتزوج بك فما تقولين أنت في ذلك فقالت اعلم يا شركان ان أباك ماله حكم علي ولا يقدر أن يأخذني بغير رضاي وان كان يأخذني غصبا قتلت روحي وأما الثلاث خرزات فما كان على بالي انه ينعم على أحد من أولاده بشيء منها وما ظننت الا انه يجعلها في خزائنه مع ذخائره ولكن أشتهي من احسانك أن تهب لي الخرزة التي كان أعطاها لك والدك ان قبلتها منه فقال لها سمعا وطاعة ثم قالت له لا تخف وتحدثت معه ساعة وقالت له اني أخاف أن يسمع أبي اني عندكم فيسعى في طلبي ويتفق هو والملك افريدون من أجل ابنته صفية فيأتيان اليكم بعساكر وتكون ضجة عظيمة فلما سمع شركان ذلك قال لها يا مولاتي اذا كنت راضية بالاقامة عندنا لا تفكري فيهم فلو اجتمع علينا كل من في البر والبحر لغلبناهم فقالت ما يكون الا الخير وها أنتم ان أحسنتم الي قعدت عندكم وان أسأتموني رحلت من عندكم ثم انها أمرت الجواري باحضار شيء من الاكل فقدمن المائدة فأكل شركان شيأ يسيرا ومضى الى داره مهموما مغموما هذا ما كان من أمر شركان وأما ما كان من أمر أبيه عمر النعمان فانه بعد انصراف ولده شركان من عنده قام ودخل على جاريته صفية ومعه تلك الخرزات فلما رأته نهضت قائمة على قدميها الى أن جلس فأقبل عليه أولاده ضوء المكان ونزهة الزمان فلما رآهما قبلهما وعلق على كل واحد منهما خرزة ففرحا بالخرزتين وقبلا يديه وأقبلا على أمهما ففرحت بهما ودعت

للملك بطول الدوام فقال لها الملك يا صفية حيث انك ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية لاى شئ لم تعلميني لاجل أن أزيد فى اكرامك ورفع منزلتك فلما سمعت صفية ذلك قالت أيها الملك وماذا أريد أكثر من هذا زيادة على هذه المنزلة التى أنا فيها فأنا مغمورة بانعامك وخيرك وقد رزقنى الله منك بولدين ذكر وأنثى فأعجب الملك عمر النعمان كلامها واستظرف عذوبة ألفاظها ودقة فهمها وظرف أدبها ومعرفتها ثم انه مضى من عندها وأفرد لها ولأولادها قصرا عجيبا ورتب لهم الخدم والحشم والفقهاء والحكماء والفلكية والاطباء والجرايحية وأوصاهم بهم وزاد فى رواتبهم وأحسن اليهم غاية الاحسان ثم رجع الى قصر المملكة والمحاكمة بين الناس هذا ما كان من أمره مع صفية وأولادها وأما ما كان من أمره مع الملكة ابريزة فانه اشتغل بحبها وصار ليلا ونهارا مشغوفا بها وفى كل ليلة يدخل اليها ويتحدث عندها ويلوح لها بالكلام فلم ترد له جوابا بل تقول يا ملك الزمان أنا فى هذا الوقت مالى غرض فى الرجال فلما رأى تمنعها منه اشتد به الغرام وزاد عليه الوجد والهيام فلما أعياه ذلك أحضر وزيره دندان وأطلعه على ما فى قلبه من محبة الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب وأخبره انها لا تدخل فى طاعته وقد قتله حبها ولم ينل منها شيئا فلما سمع الوزير دندان ذلك قال للملك اذا جن الليل فخذ معك قطعة بنج مقدار مثقال وادخل عليها واشرب معها شيئا من الخمر فاذا كان وقت الفراغ من الشرب والمنادمة فاعطها القدح الاخير واجعل فيه ذلك البنج واسقها اياه فانها ما تصل الى مرقدها الا وقد تحكم عليها البنج فتبلغ غرضك منها وهذا ما عندى من الرأى فقال له الملك نعم ما أشرت به على ثم انه عمد الى خزانته وأخرج منها قطعة بنج مكرر لو شمه الفيل لرقد من السنة الى السنة ثم انه وضعها فى جيبه وصبر الى أن مضى قليل من الليل ودخل على الملكة ابريزة فى قصرها فلما رأته نهضت اليه قائمة فأذن لها بالجلوس فجلست وجلس عندها وصار يتحدث معها فى أمر الشراب فقدمت سفرة الشراب وصفت له الاوانى وأوقدت الشموع وأمرت باحضار النقل والفاكهة وكل ما يحتاجان اليه وصار يشرب معها وينادمها الى أن دب السكر فى رأس الملكة ابريزة فلما علم الملك النعمان ذلك أخرج القطعة البنج من جيبه وجعلها بين أصابعه وملأ كاسا بيده وشربه وملأه ثانيا وأسقط القطعة البنج فيه وهى لا تشعر بذلك ثم قال لها خذى اشربى هذا فأخذته الملكة ابريزة وشربته فما كان الا دون ساعة حتى تحكم البنج عليها وسلب ادراكها فقام اليها فوجدها ملقاة على ظهرها وقد كانت قلعت السراويل من رجليها ورفع الهواء ذيل قميصها فلما دخل عليها الملك ورآها على تلك الحالة ووجد عند رأسها شمعة وعند رجليها شمعة تضيء على ما بين فخذيها حيل بينه وبين عقله ووسوس له الشيطان

فما

فأتم الملك نفسه حتى قلع سراويله ووقع عليها وأزال بكارتها وقام من فوقها ودخل الى جارية من جواريها يقال لها مرجانة وقال لها ادخلي على سيدتك كلميها فدخلت الجارية على سيدتها فوجدت دمها يجرى على سيقانها وهي ملقاة على ظهرها فمدت يدها الى منديل من مناديلها وأصلحت به شأن سيدتها ومسحت عنها ذلك الدم فلما أصبح الصباح تقدمت الجارية مرجانة وغسلت وجه سيدتها ويديها ورجليها ثم جاءت بماء الورد وغسلت به وجهها وفمها فعند ذلك عطست الملكة ابريزة وتقايأت ذلك البنج فنزلت القطعة البنج من باطنها كالقرص ثم انها غسلت فمها ويديها وقالت لمرجانة أعلميني بما كان من أمري فأخبرتها انها رأتها ملقاة على ظهرها ودمها سائل على فخذيها فعرفت أن الملك عمر النعمان قد وقع بها وواصلها وتمت حيلته عليها فاغتمت لذلك غما شديدا وحجبت نفسها وقالت لجواريها امنعوا كل من أراد أن يدخل علي وقولوا له انها ضعيفة حتى أنظر ماذا يفعل الله بي فعند ذلك وصل الخبر الى الملك عمر النعمان بأن الملكة ابريزة ضعيفة فصار يرسل اليها الاشربة والسكر والمعاجين وأقامت على ذلك شهورا وهي محجوبة ثم ان الملك قد بردت ناره وانطفأ شوقه اليها وصبر عنها وكانت قد علقت منه فلما مرت عليها أشهر وظهر الحمل وكبرت بطنها ضاقت بها الدنيا فقالت لجاريتها مرجانة اعلمي أن القوم ماظلموني وانما أنا الجانية على نفسي حيث فارقت أبي وأمي ومملكتي وأنا قد كرهت الحياة وضعفت همتي ولم يبق عندي من الهمة ولا من القوة شيء وكنت اذا ركبت جوادي أقدر عليه وأنا الآن لا أقدر على الركوب ومتى ولدت عندهم صرت معيرة عند جواري وكل من في القصر يعلم انه أزال بكارتي سفاحا واذا رجعت لابي بأي وجه ألقاه وبأي وجه أرجع اليه وما أحسن قول الشاعر

بم التعلل لا أهل ولا وطن * ولا نديم ولا كأس ولا سكن

فقالت لها مرجانة الامر أمرك وأنا في طوعك فقالت أريد اليوم أن أخرج سرا بحيث لا يعلم بي أحد غيرك وأسافر الى أبي وأمي فان اللحم اذا انتن ماله الا أهله والله يفعل بي ما يريد فقالت لها نعم ما تفعلين أيتها الملكة ثم انها جهزت أحوالها وكتمت سرها وصبرت أياما حتى خرج الملك للصيد والقنص وخرج ولده شركان الى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان فأقبلت ابريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها أريد أن أسافر في هذه الليلة ولكن كيف أصنع في المقادير وقد قرب أوان الطلق والولادة وان قعدت خمسة أيام أو أربعة وضعت هنا ولم أقدر أن أروح بلادي وهذا ما كان مكتوبا على جبيني ومقدرا علي في الغيب ثم تفكرت ساعة وبعد ذلك قالت لمرجانة انظري لنا رجلا يسافر معنا ويخدمنا في الطريق فانه ليس لي قوة على حمل السلاح فقالت مرجانة والله

ياسيدتي ما أعرف غير عبد أسود اسمه الغضبان وهو من عبيد الملك عمر النعمان وهو شجاع ملازم لباب قصرنا فان الملك أمره أن يخدمنا وقد غمرناه باحساننا فها أنا أخرج اليه وأكلمه في شأن هذا الامر وأعده بشيء من المال وأقول له اذ أردت المقام عندنا أزوجك بمن شئت وكان قد ذكر لي قبل اليوم انه كان يقطع الطريق فان هو وافقنا بلغنا مرادنا ووصلنا الى بلادنا فقالت لها هاتيه عندي حتى أحدثه فخرجت له مرجانة وقالت له ياغضبان قد أسعدك الله ان قبلت من سيدتك ماتقوله لك من الكلام ثم أخذت بيده وأقبلت به على سيدتها فلما رآها قبل يديها فحين رأته نفر قلبها منه لكنها قالت في نفسها ان الضرورة لها أحكام وأقبلت عليه تحدثه وقلبها نافر منه وقالت له ياغضبان هل فيك مساعدة لنا على غدرات الزمان واذا أظهرتك على أمري تكون كاتما له فلما نظر العبد اليها وأى حسنها ملكت قلبه وعشقها لوقته وقال لها ياسيدتي ان أمرتيني بشيء لا أخرج عنه فقالت له أريد منك في هذه الساعة أن تأخذني وتأخذ جاريتي هذه وتشد لنا راحلتين وفرسين من خيل الملك وتضع على كل فرس خرجا من المال وشيئا من الزاد وترحل معنا الى بلادنا وان أقمت عندنا زوجناك من تختارها من جواري وان طلبت الرجوع الى بلادك أعطيناك ماتحب ثم ترجع الى بلادك بعد أن تأخذ مايكفيك من المال فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحا شديدا وقال ياسيدتي اني أخدمكما بعيوني وأمضي معكما وأشد لكما الخيل ثم مضى وهو فرحان وقال في نفسه قد بلغت ما أريد منهما وان لم تطاوعاني قتلتهما وأخذت مامعهما من المال وأضمر ذلك في سره ثم مضى وعاد ومعه راحلتان وثلاث من الخيل وهو راكب احداهن وأقبل على الملكة ابريزة وقدم اليها فرسا فركبتها وهي متوجعة من الطلق ولا تملك نفسها من كثرة الوجع وركبت مرجانة فرسا ثم سافر بهما ليلا ونهارا حتى وصلوا بين الجبال وبقي بينها وبين بلادها يوم واحد فجاءها الطلق فما قدرت أن تمسك نفسها على الفرس فقالت للغضبان انزلني فقد لحقني الطلق وقالت لمرجانة انزلي واقعدي تحتي وولديني فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق فرسها ونزل الغضبان من فوق فرسه وشد لجام الفرسين ونزلت الملكة ابريزة من فوق فرسها وهي غائبة عن الدنيا من شدة الطلق وحين رآها الغضبان نزلت على الارض وقف الشيطان في وجهه فشهر حسامه في وجهها وقال ياسيدتي ارحميني بوصالك فلما سمعت مقالته التفتت اليه وقالت له مابقي علي الا العبيد السود بعدما كنت لا أرضى بالملوك الصناديد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والخمسون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملكة ابريزة لما قالت للعبد الذي هو الغضبان مابقي علي الا العبيد السود ثم صارت تبكته وأظهرت له الغيظ وقالت له

ويلك

ويلك ماهذا الكلام الذي تقوله لي فلا تتكلم بشيء من هذا في حضرتي واعلم أني لا أرضى بشيء عاقلته ولو سقيت كاس الردي ولكن اصبر حتى أصلح الجنين وأصلح شأني وأرمي الخلاص ثم بعد ذلك ان قدرت علي فافعل بي ماتريد وان لم تترك فاحش الكلام في هذا الوقت فاني أقتل نفسي بيدي وأفارق الدنيا وأرتاح من هذا كله ثم أنشدت هذه الابيات

أيا غضبان دعني قد كفاني * مكابدة الحوادث والزمان
عن الفحشاء ربي قد نهاني * وقال النار مثوى من عصاني
واني لا أميل لفعل سوء * بعين النقص دعني لا تراني
ولو لم تترك الفحشاء عني * وترعى حرمتي فيمن رعاني
لاصرخ طاقتي لرجال قومي * واجاب كل قاصيها وداني
ولو قطعت بالسيف اليماني * لما خليت فاحشا يراني
من الاحرار والكبراء طرا * فكيف العبد من نسل الزواني

فلما سمع الغضبان ذلك الشعر غضب غضبا شديدا واحمرت مقلته واغبرت سحنته وانتفخت مناخره واستدات مشافره وزادت به النفرات وأنشد هذه الابيات

أيا ابريزة لا تتركيني * قتيل هواك باللحظ اليماني
فقلبي قد تقطع من جفاك * وجسمي ناحل والصبر فان
ولفظك قد سبي الالباب سحرا * فعقلي نازح والشوق دان
ولو أجلبت ملء الارض جيشا * لابلغ مأربي في ذا الزمان

فلما سمعت ابريزة كلامه بكت بكاء شديدا وقالت له ويلك ياغضبان وهل بلغ من قدرك أن تخاطبني بهذا الخطاب ياولد الزنا وتربية الخنا أتحسب أن الناس كلهم سواء فلما سمع ذلك العبد النحس هذا الكلام غضب منها غضبا شديدا وتقدم اليها وضربها بالسيف فقتلها وساق جوادها قدامه بعد ان أخذ المال وفر بنفسه آتيا في الجبال هذا ما كان من أمر الغضبان وأما ما كان من أمر الملكة ابريزة فانها صارت طريحة على الارض وكان الولد الذي ولدته ذكرا فحملته مرجانة في حجرها وصرخت صرخة عظيمة وشقت أثوابها وصارت تحثو التراب على رأسها وتلطم على خدها حتى طلع الدم من وجهها وقالت واخيبتاه كيف قتل سيدتي عبد أسود لا قيمة له بعد فروسيتها فبينما هي تبكي واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار ولما انكشف ذلك الغبار بان من تحته عسكر جرار وكانت تلك العساكر عساكر ملك الروم والد الملكة ابريزة وسبب ذلك انه لما سمع أن ابنته هربت هي وجواريها الى بغداد وانها عند الملك عمر النعمان خرج بمن معه يتشمم

الاخبار من بعض المسافرين ان كانوا رأوها عند الملك عمر النعمان فخرج بمن معه يسأل المسافرين من أين أتوا لعله يعلم بخبر بنته وكان رأى على بعد هؤلاء الثلاثة ابنته والعبد الغضبان وجاريتها مرجانة فقصدهم لينسألهم فلما قصدهم خاف العبد على نفسه فقتلها ونجا بنفسه فلما أقبلوا عليها رآها أبوها مرمية على الارض وجاريتها تبكى عليها فرمى نفسه من فوق جواده ووقع فى الارض مغشيا عليه فترجل كل من كان معه من الفرسان والامراء والوزراء وضربوا الخيام فى الجبال ونصبوا قبة للملك حردوب ووقف أرباب الدولة خارج تلك القبة فلما رأت مرجانة سيدها عرفته وزادت فى البكاء والنحيب فلما أفاق الملك من غشيته سألها عن الخبر فاخبرته بالقصة وقالت له ان الذى قتل ابنتك عبد أسود من عبيد الملك عمر النعمان وأخبرته بما فعله الملك عمر النعمان بابنته فلما سمع الملك حردوب ذلك الكلام اسودّت الدنيا فى وجهه وبكى بكاء شديدا ثم أمر باحضار محفة وحمل ابنته فيها ومضى الى قسارية وأدخلوها القصر ثم ان الملك حردوب دخل على أمه ذات الدواهى وقال لها أهكذا تفعل المسلمون ببنتى فان الملك عمر النعمان أزال بكارتها قهرا وبعد ذلك قتلها عبد أسود من عبيده فوحق المسيح لابد من أخذ ثار بنتى منه وكشف العار عن عرضى والاقتلت نفسى بيدى ثم بكى بكاء شديدا فقالت له أمه ذات الدواهى ما قتل ابنتك الا مرجانة لانها كانت تكرهها فى الباطن ثم قالت لولدها لا تحزن من جهة أخذ ثارها فوحق المسيح لا أرجع عن الملك عمر النعمان حتى أقتله وأقتل أولاده ولأعملنّ معه عملا تعجز عنه الدهاة والابطال ويتحدّث به المحدّثون فى جميع الاقطار ولكن ينبغى لك أن تمتثل أمرى فى كل ما أقوله وأنت تبلغ ما تريد فقال لها وحق المسيح لا أخالفك أبدا فيما تقولينه قالت له ائتنى بجوار نهد أبكار وائتنى بحكماء الزمان واجزل لهم العطايا وأمرهم أن يعلموا الجوارى الحكمة والأدب وخطاب الملوك ومنادمتهم والاشعار وأن يتكلموا بالحكمة والمواعظ ويكون الحكماء مسلمين لاجل أن يعلموهنّ أخبار العرب وتواريخ الخلفاء وأخبار من سلف من ملوك الاسلام ولو أننا على ذلك عشرة أعوام وطوّل روحك واصبر فان بعض الاعراب يقول ان أخذ الثار بعد أربعين عاما مدّته قليلة ونحن اذا علمنا تلك الجوارى بلغنا من عدوّنا ما نختار لانه ممتحن بحب الجوارى وعنده ثلثمائة جارية وستة وستون جارية وازددن مائة جارية من خواص جواريك التى كنّ مع المرحومة فاذا تعلم الجوارى ما أخبرتك به من العلوم فانى آخذهم بعد ذلك وأسافر بهم فلما سمع الملك حردوب كلام أمه ذات الدواهى فرح فرحا شديدا وقبل رأسها ثم أرسل من وقته وساعته المسافرين والقصاد الى أطراف البلاد ليأتوا اليه بالحكماء من المسلمين فامتثلوا أمره وسافروا الى بلاد بعيدة وأتوه بما طلبه من الحكماء والعلماء فلما حضروا بين

يديه

يديه أكرمهم غاية الاكرام وخلع عليهم الخلع ورتب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل اذا فعلوا ما أمرهم به ثم أحضر لهم الجوارى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان العلماء والحكماء لما حضروا عند الملك حردوب أكرمهم اكراما زائدا وأحضر الجوارى بين أيديهم وأوصاهم أن يعلموهن الحكمة والأدب فامتثلوا أمره هذا ما كان من أمر الملك حردوب وأما ما كان من أمر الملك عمر النعمان فانه لما عاد من الصيد والقنص وطلع القصر طلب الملكة ابريزة فلم يجدها ولم يخبره أحد عنها فعظم عليه ذلك وقال كيف تخرج هذه الجارية من القصر ولم يعلم بها أحد فان كانت مملكتى على هذا الامر فانها ضائعة المصالحة ولا ضابط لها فلا بقيت أخرج الى الصيد والقنص حتى أرسل الى الابواب من يتوكل بها واشتد حزنه وضاق صدره لفراق الملكة ابريزة فبينما هو كذلك واذا بولده شركان قد أتى من سفره فأعلمه والده بذلك وأخبره انها هربت وهو فى الصيد والقنص فاغتم شركان لذلك غما شديدا ثم ان الملك صار يتفقد أولاده كل يوم ويكرمهم وكان قد أحضر العلماء والحكماء ليعلموهم العلم ورتب لهم الرواتب فلما رأى شركان ذلك الامر غضب غضبا شديدا وحسد اخوته على ذلك الى أن ظهر أثر الغيظ فى وجهه ولم يزل متمرضا بسبب هذا الامر فقال له والده يوما من الايام مالى أراك تزداد ضعفا فى جسمك واصفرارا فى لونك فقال له شركان يا والدى كلما رأيتك تقرب اخوتى وتحسن اليهم يحصل عندى حسد وأخاف أن يزيد بى الحسد فاقتلهم وتقتلنى أنت بسببهم اذا أنا قتلتهم فمرض جسمى وتغير لونى بسبب ذلك ولكن أنا أشتهى من احسانك أن تعطينى قلعة من القلاع حتى أقيم بها بقية عمرى فان صاحب المثل يقول بعدى عن حبيبى أجمل لى وأحسن عين لا تنظر وقلب لا يحزن ثم أطرق برأسه الى الارض فلما سمع الملك عمر النعمان كلامه عرف سبب ما هو فيه من التقصير فأخذ بخاطره وقال له يا ولدى انى أجيبك الى ما تريد وليس فى ملكى أكبر من قلعة دمشق فقد ملكتك اياها من هذا الوقت ثم أحضر الموقعين فى الوقت والساعة وأمرهم بكتابة تقليد ولده شركان ولاية دمشق الشام فكتبوا له ذلك وجهزوه وأخذ الوزير دندان معه وأوصاه بالمملكة والسياسة وقلده أموره ثم ودعه والده وودعته الامراء وأكابر الدولة وسار بالعسكر حتى وصل الى دمشق فلما وصل اليها دق له أهلها الكاسات وصاحوا بالبوقات وزينوا المدينة وقابلوه بموكب عظيم سار فيه أهل الميمنة ميمنة وأهل الميسرة ميسرة هذا ما كان من أمر شركان وأما ما كان من أمر والده عمر النعمان فانه بعد سفر ولده شركان أقبل عليه الحكماء

وقالوا له يا مولانا ان أولادك تعلموا العلم والحكمة والادب فعند ذلك فرح الملك عمر النعمان فرحا شديدا وأنعم على جميع الحكماء حيث رأى ضوء المكان كبر وترعرع وركب الخيل وصار له من العمر أربعة عشر سنة وطلع مشتغلا بالدين والعبادة محبا للفقراء وأهل العلم والقرآن وصار أهل بغداد يحبونه نساء ورجالا الى أن طاف ببغداد محمل العراق من أجل الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى ضوء المكان موكب المحمل اشتاق الى الحج فدخل على والده وقال له انى أتيت اليك لاستأذنك فى أن أحج فمنعه من ذلك وقال له اصبر الى العام القابل وأنا أتوجه الى الحج وآخذك معى فلما رأى الامر يطول عليه دخل على أخته نزهة الزمان فوجدها قائمة تصلى فلما قضت الصلاة قال لها انى قد قتلنى الشوق الى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام واستأذنت والدى فمنعنى من ذلك فالمقصود أن آخذ شيأ من المال واخرج الى الحج سرا ولا أعلم أبى بذلك فقالت له أخته بالله عليك أن تأخذنى معك ولا تحرمنى من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها اذا جن الظلام فاخرجى من هذا المكان ولا تعلمى أحدا بذلك فلما كان نصف الليل قامت نزهة الزمان وأخذت شيأ من المال ولبست لباس الرجال وكانت قد بلغت من العمر مثل عمر ضوء المكان ومشت متوجهة الى باب القصر فوجدت أخاها ضوء المكان قد جهز الجمال فركب وأركبها وسارا ليلا واختلطا بالحجيج ومشيا الى أن صارا فى وسط الحج العراقى وما زالا سائرين وكتب الله لهما السلامة حتى دخلا مكة المشرفة ووقفا بعرفات وقضيا مناسك الحج ثم توجها الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فزاراه وبعد ذلك أرادا الرجوع مع الحجاج الى بلادهم فقال ضوء المكان لاخته يا أختى أريد أن أزور بيت المقدس والخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقالت له وأنا كذلك واتفقا على ذلك ثم خرجا واكتريا له ولها مع المقادسة وجهزا حالهما وتوجها مع الركب فحصل لاخته فى تلك الليلة حمى باردة فتشوشت ثم شفيت وتشوش الآخر فصارت تلاطفه فى ضعفه ولم يزالا سائرين الى أن دخلا بيت المقدس واشتد المرض على ضوء المكان ثم انهما نزلا فى خان هناك واكتريا لهما فيه حجرة واستقرا فيها ولم يزل المرض يتزايد على ضوء المكان حتى أنحله وغاب عن الدنيا فاغتمت لذلك اخته نزهة الزمان وقالت لا حول ولا قوة الا بالله هذا حكم الله ثم انها قعدت هى وأخوها فى ذلك المكان وقد زاد به الضعف وهى تخدمه وتنفق عليه وعلى نفسها حتى فرغ ما معهما من المال وافتقرت ولم يبق معها ولا درهم فأرسلت صبى الخان الى السوق بشئ من قماشها فباعه وأنفقته على أخيها ثم باعت شيأ آخر ولم تزل تبيع من أمتعتها شيأ فشيأ حتى لم يبق لها غير حصير مقطعة فبكت وقالت لله الامر من قبل ومن بعد ثم قال لها أخوها يا أختى انى قد أحسست بالعافية وفى خاطرى شئ

من اللحم المشوى فقالت له أخته والله يا أخى انى مالى وجه للسؤال ولكن غداً أدخل بيت أحد من الاكابر وأخدم وأعمل بشئ نقتات به أنا وأنت ثم تفكرت ساعة وقالت انى لا يهون على فراقك وأنت فى هذه الحالة ولكن لابد من طلب المعاش فهراعنى فقال لها أخوها أبعد العز تصبحين ذليلة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم بكى وبكت وقالت له يا أخى نحن غرباء وقد أقمنا هنا سنة كاملة مادق علينا الباب أحد فهل نموت من الجوع فليس عندى من الرأى الا أنى أخرج وأخدم وآتيك بشئ نقتات به الى أن تبرأ من مرضك ثم نسافر الى بلادنا ومكثت تبكى ساعة ثم بعد ذلك قامت نزهة الزمان وغطت رأسها بقطعة عباءة من ثياب الجمالين كان صاحبها نسيها عندهما وقبلت رأس أخيها واعتنقته وخرجت من عنده وهى تبكى ولم تعلم أين تمضى ومازال أخوها ينتظرها الى أن قرب وقت العشاء ولم تأت فمكث بعد ذلك وهو ينتظرها الى أن طلع النهار فلم تعد اليه ولم يزل على هذه الحالة يومين فعظم ذلك عنده وارتجف قلبه عليها واشتد به الجوع فخرج من الحجرة وصاح على صبى الخان وقال له أريد أن تحملنى الى السوق فحمله وألقاه فى السوق فاجتمع عليه أهل القدس وبكوا عليه لما رأوه على تلك الحالة فأشار اليهم بطلب شئ يأكله فجاؤاله من بعض التجار الذين فى السوق ببعض دراهم واشتروا له شيأ وأطعموه اياه ثم حملوه ووضعوه على دكان وفرشوا له قطعة برش ووضعوا عند رأسه ابريقاً فلما أقبل الليل انصرف عنه كل الناس وهم حاملون همه فلما كان نصف الليل تذكر أخته فازداد به الضعف وامتنع من الاكل والشرب وغاب عن الوجود فقام أهل السوق وأخذوا له من التجار ثلاثين درهماً واكتروا له جملا وقالوا للجمال احمل هذا وأوصله الى دمشق وأدخله المارستان لعله أن يبرأ فقال لهم على الرأس ثم قال فى نفسه كيف أمضى بهذا المريض وهو مشرف على الموت ثم خرج به الى مكان واختفى به الى الليل ثم ألقاه على مزبلة مستوقد حمام ثم مضى الى حال سبيله فلما أصبح الصباح طلع وقاد الحمام الى شغله فوجده ملقى على ظهره فقال فى نفسه لأى شئ مايرمون هذا الميت الا هنا ورفصه برجله فتحرك فقال له الوقاد الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمى نفسه فى أى موضع كان ثم نظر وجهه فرآه لانبات بعارضيه وهو ذو بهاء وجمال فأخذته الرأفة عليه وعرف انه مريض وغريب فقال لا حول ولا قوة الا بالله انى دخلت فى خطيئة هذا الصبى وقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم باكرام الغريب لا سيما اذا كان الغريب مريضاً ثم حمله وأتى به الى منزله ودخل به على زوجته وأمرها أن تخدمه وتفرش له بساطاً ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسادة وسخنت له ماء وغسلت له به يديه ورجليه ووجهه وخرج الوقاد الى السوق وأتى له بشئ من ماء الورد والسكر ورش ماء الورد على وجهه وسقاه السكر وأخرج له

قميصا نظيفا وألبسه اياه فشم نسيم الصحة وتوجهت اليه العافية واتكأ على المخدة ففرح الوقاد بذلك وقال الحمد لله على عافية هذا الصبي اللهم انى أسألك بسرك المكنون أن تجعل سلامة هذا الشاب على يدى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوقاد قال اللهم انى أسألك بسرك المكنون أن تجعل سلامة هذا الصبي على يدى ومازال الوقاد يتعهده ثلاثة أيام وهو يسقيه السكر وماء الخلاف وماء الورد ويتعطف عليه ويتلطف به حتى سرت الصحة فى جسمه وفتح عينه فاتفق أن الوقاد دخل عليه فرآه جالسا وعليه آثار العافية فقال له ماحالك ياولدى فى هذا الوقت فقال ضوء المكان بخير وعافية فحمد الوقاد ربه وشكره ثم نهض الى السوق واشترى له عشر دجاجات وأتى زوجته وقال لها اذبحى له فى كل يوم اثنتين واحدة فى أول النهار وواحدة فى آخر النهار فقامت وذبحت له دجاجة وسلقتها وأتت بها اليه وأطعمته اياها وأسقته مرقتها فلما فرغ من الاكل قدمت له ماء مسخنا فغسل يديه واتكأ على الوسادة وغطته بملاءة فنام الى العصر ثم قامت وسلقت دجاجة أخرى وأتته بها وفسختها وقالت له كل ياولدى فبينما هو يأكل واذا بزوجها قد دخل فوجدها تطعمه فجلس عند رأسه وقال له ماحالك ياولدى فى هذا الوقت فقال له الحمد لله على العافية جزاك الله عنى خيرا ففرح الوقاد بذلك ثم انه خرج وأتى بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه وكان ذلك الوقاد يعمل فى الحمام كل يوم بخمسة دراهم فيشترى له كل يوم بدرهم سكر وماء ورد وشراب بنفسج ويشترى له بدرهم فراريج ومازال يلاطفه الى أن مضى عليه شهر من الزمان حتى زالت عنه آثار المرض وتوجهت اليه العافية ففرح الوقاد هو وزوجته بعافية ضوء المكان وقال له الوقاد ياولدى هل لك أن تدخل معى الحمام قال نعم فمضى الى السوق وأتى له بمكارى وأركبه حمارا وجعل يسنده الى أن وصل الى الحمام ثم دخل معه الحمام وأجلسه فى داخله ومضى الى السوق واشترى له سدرا ودقاقا وقال لضوء المكان ياسيدى بسم الله أغسل لك جسدك وأخذ الوقاد يحك لضوء المكان رجليه وشرع يغسل له جسده بالسدر والدقاق واذا ببلان قد أرسله معلم الحمام الى ضوء المكان فوجد الوقاد يحك رجليه فتقدم اليه البلان وقال له هذا نقص فى حق المعلم فقال الوقاد والله ان المعلم غمرنا باحسانه فشرع البلان يحلق رأس ضوء المكان ثم اغتسل هو والوقاد وبعد ذلك رجع به الوقاد الى منزله وألبسه قميصا رفيعا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة وأعطاه حزاما وكانت زوجة الوقاد قد ذبحت دجاجتين وطبختهما فلما طلع ضوء المكان وجلس على الفراش قام الوقاد وأذاب له السكر فى ماء الورد وسقاه ثم قدم له السفرة وصار الوقاد يفسخ له من ذلك الدجاج ويطعمه

ويسقيه

ويسقيه من المسلوقة الى أن اكتفى وغسل يديه وحمد الله تعالى على العافية ثم قال للوقاد أنت الذى من الله على بك وجعل سلامتى على يديك فقال له الوقاد دع عنك هذا الكلام وقل لنا ماسبب مجيئك الى هذه المدينة ومن أين أنت فانى أرى على وجهك آثار النعمة فقال له ضوء المكان قل لى أنت كيف وقعت بى حتى أخبرك بحديثى فقال له الوقاد أما أنا فانى وجدتك مرميا على القمامة فى المستوقد حين لاح الفجر لما توجهت الى أشغالى ولم أعرف من رماك فأخذتك عندى وهذه حكايتى فقال ضوء المكان سبحان من يحيي العظام وهى رميم انك يا أخى مافعلت الجميل الامع أهله وسوف تجنى ثمرة ذلك ثم قال للوقاد وأنا الآن فى أى البلاد فقال له الوقاد أنت فى مدينة القدس فعند ذلك تذكر ضوء المكان غربته وفراق اخته وبكى حيث باح بسره الى الوقاد وحكى له حكايته ثم أنشد هذه الابيات

لقد حملونى فى الهوى غير طاقتى * ومن أجلهم قامت على قيامتى
ألا فارفقوا ياهاجرون بمهجتى * فقد رق لى من بعدكم كل شامت
ولا تمنعوا أن تسمحوا لى بنظرة * تخفف أحوالى وفرط صبابتى
سألت فؤادى الصبر عنكم فقال لى * اليك فان الصبر من غير عادتى

ثم زاد فى بكائه فقال له الوقاد لاتبك واحمد الله على السلامة والعافية فقال ضوء المكان كم بيننا وبين دمشق فقال ستة أيام فقال ضوء المكان هل لك أن ترسلنى اليها فقال له الوقاد ياسيدى كيف أدعك تروح وحدك وأنت شاب صغير فان شئت السفر الى دمشق فأنا الذى أروح معك وان أطاعتنى زوجتى وسافرت معى أقمت هناك فانه لايهون على فراقك ثم قال الوقاد لزوجته هل لك أن تسافرى معى الى دمشق الشام أو تكونى مقيمة هنا حتى أوصل سيدى هذا الى دمشق الشام وأعود اليك فانه يطلب السفر اليها فانى والله لايهون على فراقه وأخاف عليه من قطاع الطريق فقالت له زوجته أسافر معكما فقال الوقاد الحمد لله على الموافقة ثم ان الوقاد قام وباع أمتعته وأمتعة زوجته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

❊ فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون ❊ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوقاد اتفق هو وزوجته على السفر مع ضوء المكان وعلى انهما يمضيان معه الى دمشق ثم ان الوقاد باع أمتعته وأمتعة زوجته ثم اكترى حمارا وأركب ضوء المكان اياه وسافروا ولم يزالوا مسافرين ستة أيام الى ان دخلوا دمشق فنزلوا هناك فى آخر النهار وذهب الوقاد واشترى شيأ من الاكل والشرب على العادة ومازالوا على ذلك الحال خمسة أيام وبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد أياما قلائل وانتقلت الى رحمة الله تعالى فعظم ذلك على ضوء المكان لانه كان قد اعتاد عليها وكانت تخدمه

وحزن عليها الوقاد حزناشديدا فالتفت ضوء المكان الى الوقاد فوجده حزينافقال له لاتحزن فاننا كلنا داخلون فى هذا الباب فالتفت الوقاد الى ضوء المكان وقال له جزاك الله خيرا ياولدى فالله تعالى يعوض علينا بفضله و يزيل عنا الحزن فهل لك ياولدى أن تخرج بنا وتتفرج فى دمشق لينشرح خاطرك فقال له ضوء المكان الرأى رأيك فقام الوقاد ووضع يده فى يد ضوء المكان وسارا الى أن أتيا تحت اصطبل والى دمشق فوجدا جمالا محملة صناديق وفرشاوقماشا من الديباج وغيره وجنائب مسرجة و بخاتى وعبيدا ومماليك والناس فى هرج ومرج فقال ضوء المكان ياترى لمن تكون هؤلاء المماليك والجمال والاقمشة وسأل بعض الخدم عن ذلك فقال له المسؤل هذه هدية من أمير دمشق يريد ارسالها الى الملك عمر النعمان مع خراج الشام فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وأنشد يقول

ان شكونا البعاد ماذا نقول ✽ أو تلفنا شوقا فكيف السبيل
أو رأينا رسلا تترجم عنا ✽ مايؤدى شكوى المحب رسول
أو صبرنا فما من الصبر عندى ✽ بعد فقد الاحباب الاقليل

﴿وقال أيضا﴾

رحلوا غائبين عن جفن عينى ✽ وهم فى الفؤاد منى حلول
غاب عنى جمالهم وخيالى ✽ ليس تحلو ولا اشتياقى يحول
ان قضى الله باجتماعى عليكم ✽ أذكر الوجد فى حديث يطول

فلما فرغ من شعره بكى فقال له الوقاد ياولدى نحن ماصدقنا انك جاءتك العافية فطب نفسا ولاتبكى فانى أخاف عليك من النكسة ومازال يلاطفه و يمازحه وضوء المكان يتنهد و يتحسر على غربته وعلى فراقه لاخته ومملكته و يرسل العبرات ثم أنشد هذه الابيات

تزود من الدنيا فانك راحل ✽ وأيقن بأن الموت لاشك نازل
نعيمك فى الدنيا غرور وحسرة ✽ وعيشك فى الدنيا محال وباطل
ألا انما الدنيا كمنزل راكب ✽ أناخ عشيا وهو فى الصبح راحل

ثم ان ضوء المكان جعل يبكى و ينتحب على غربته وكذلك الوقاد صار يبكى على فراق زوجته ولكنه مازال يتلطف بضوء المكان الى أن أصبح الصباح فلما طلعت الشمس قال له الوقاد كأنك تذكرت بلادك فقال له ضوء المكان نعم ولا أستطيع أن أقيم هنا واستودعك الله فانى مسافر مع هؤلاء القوم وأمشى معهم قليلا قليلا حتى أصل الى بلادى فقال له الوقاد وأنا معك فانى لا أقدر أن أفارقك فانى عملت معك حسنة وأريد أن أتممها بخدمتى لك فقال له ضوء المكان جزاك الله عنى

خيرا وفرح ضوء المكان بسفر الوقاد معه ثم ان الوقاد خرج من ساعته واشترى له حمارا وهيأ زادا وقال لضوء المكان اركب هذا الحمار فى السفر فاذا تعبت من الركوب فانزل وامش فقال ضوء المكان بارك الله فيك وأعاننى على مكافأتك فانك فعلت معى من الخير ما لا يفعله أحد مع أخيه ثم صبرا الى أن جن الظلام فحملا زادهما وأمتعتهما على ذلك الحمار وسافرا هذا ما كان من أمر ضوء المكان والوقاد وأما ما كان من أمر أخته نزهة الزمان فانها لما فارقت أخاها ضوء المكان خرجت من الخان الذى كانا فيه فى القدس بعد ان التفت بالعباءة لاجل أن تخدم أحدا وتشترى لاخيها ما اشتهاه من اللحم المشوى وصارت تبكى فى الطريق وهى لا تعرف أين تتوجه وصار خاطرها مشغولا بأخيها وقلبها متفكرا فى الاهل والاوطان فصارت تتضرع الى الله تعالى فى دفع هذه البليات وأنشدت هذه الابيات

جن الظلام وهاج الوجد بالسقم * والشوق حرك ما عندى من الالم
ولوعة البين فى الاحشاء قد سكنت * والوجد صيرنى فى حالة العدم
والحزن أقلقنى والشوق أحرقنى * والدمع باح بحب أى مكتتم
وليس لى حيلة فى الوصل أعرفها * حتى تزحزح ما عندى من الغمم
فنار قلبى بالاشواق موقدة * ومن لظاها يظل الصب فى نقم
يا من يلوم على ما حل بى وجرى * انى صبرت على ما خط بالقلم
أقسمت بالحب ما لى سلوة أبدا * يمين أهل الهوى مبرورة القسم
يا ليل بلغ رواة الحب عن خبرى * واشهد بعلمك انى فيك لم أنم

ثم ان نزهة الزمان أخت ضوء المكان صارت تمشى وتلتفت يمينا ويسارا واذا بشيخ مسافر من البدو ومعه خمسة نفر من العرب قد التفت الى نزهة الزمان فرآها جميلة وعلى رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال فى نفسه ان هذه جميلة ولكنها ذات قشف فان كانت من أهل هذه المدينة أو كانت غريبة فلا بد لى منها ثم انه تبعها قليلا قليلا حتى تعرض لها فى الطريق فى مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها وقال لها يا بنية هل أنت حرة ومملوكة فلما سمعت كلامه نظرت اليه وقالت له بحياتك لا تجدد على الاحزان فقال لها انى رزقت ست بنات مات لى منهن خمسة وبقيت واحدة وهى أصغرهن وأتيت اليك لاسألك هل أنت من أهل هذه المدينة أو غريبة لاجل أن آخذك وأجعلك عندها لتؤانسها فتشتغل بك عن الحزن على أخواتها فان لم يكن لك أحد جعلتك مثل واحدة منهن وتصيرين مثل أولادى فلما سمعت نزهة الزمان كلامه قالت فى سرها عسى أن آمن على نفسى عند هذا الشيخ ثم أطرقت برأسها من الحياء وقالت يا عم

أنا بنت غريبة ولي أخ ضعيف فأنا أمضي معك الى بيتك بشرط أن أكون عندها بالنهار وبالليل أمضي الى أخي فان قبلت هذا الشرط مضيت معك لاني غريبة وكنت عزيزة فأصبحت ذليلة حقيرة وجئت أنا وأخي من بلاد الحجاز وأخاف أن أخي لا يعرف لي مكانا فلما سمع البدوي كلامها قال في نفسه والله اني فزت بمطلوبي ثم قال لها ما أريدك الا لتؤانسي بنتي نهارا وتمضي الى أخيك ليلا وان شئت فانقليه الى مكاننا ولم يزل البدوي يطيب قلبها ويلين لها الكلام الى أن وافقته على الخدمة ومشى قدامها وتبعته ولم يزل سائرا الى جماعته وكانوا قد هيئوا الجمال ووضعوا عليها الاحمال ووضعوا فوقها الماء والزاد وكان البدوي قاطع الطريق وخائن الرفيق وصاحب مكر وحيل ولم يكن عنده بنت ولا ولد وانما قال ذلك الكلام حيلة على هذه البنت المسكينة لامر قدره الله ثم ان البدوي صار يحدثها في الطريق الى أن خرج من مدينة القدس واجتمع برفقته فوجدهم قد رحلوا الجمال فركب البدوي جملا وأردفها خلفه وساروا معظم الليل فعرفت نزهة الزمان ان كلام البدوي كان حيلة عليها وانه مكر بها فصارت تبكي وتصرخ وهم في الطريق قاصدين الجبال خوفا أن يراهم أحد فلما صاروا قريب الفجر نزلوا عن الجمال وتقدم البدوي الى نزهة الزمان وقال لها يا مدنية ما هذا البكاء والله ان لم تتركي البكاء ضربتك الى أن تهلكي يا قطعة حضرية فلما سمعت نزهة الزمان كلامه كرهت الحياة وتمنت الموت فالتفتت اليه وقالت له يا شيخ السوء يا شيبة جهنم كيف استأمنتك وأنت تخونني وتمكر بي فلما سمع البدوي كلامها قال لها يا قطعة حضرية ألك لسان تجاوبينني به وقام اليها ومعه سوط فضربها وقال ان لم تسكتي قتلتك فسكتت ساعة ثم تفكرت أخاها وما هو فيه من الامراض فبكت سرا وفي ثاني يوم التفتت الى البدوي وقالت له كيف تعمل علي هذه الحيلة حتى أتيت بي الى هذه الجبال القفرة وما قصدك مني فلما سمع كلامها قسا قلبه وقال لها يا قطعة حضرية ألك لسان تجاوبينني به وأخذ السوط ونزل به على ظهرها الى أن غشي عليها فانكبت على رجليه وقبلتهما فكف عنها الضرب وصار يشتمها ويقول لها وحق طرطوري ان سمعتك تبكين قطعت لسانك ودسسته في كسك يا قطعة حضرية فعند ذلك سكتت ولم ترد جوابا وآلمها الضرب فقعدت على قرافيصها وجعلت رأسها في طوقها وصارت تتفكر في حالها وفي حال أخيها وفي ذلها بعد العز وفي مرض أخيها ووحدته واغترابهما وأرسلت دموعها على الوجنات وأنشدت هذه الابيات

من عادة الدهر ادبار واقبال * فما يدوم له بين الورى حال
وكل شئ من الدنيا له أجل * وتنقضي لجميع الناس آجال

كم

كم أحمل الضيم والاهوال يا أسفي * من عيشة كلها ضيم وأهوال
لا أسعد الله أياما عززت بها * دهرا وفي طي ذاك العز اذلال
قد خاب قصدي وآمالي بها انصرمت * وقد تقطع بالتغريب أوصال
يا من يمر على دار بها سكني * بلغه عني ان الدمع هطال

فلما سمع البدوي شعرها عطف عليها ورثى لها ورحمها وقام اليها ومسح دموعها وأعطاها قرصا من شعير وقال لها أنا لا أحب من يجاوبني في وقت الغيظ وأنت بعد ذلك لا تجاوبيني بشيء من هذا الكلام الفاحش وأنا أبيعك لرجل جيد مثلي يفعل معك الخير مثل ما فعلت معك قالت نعم ما تفعل ثم انها لما طال عليها الليل وأحرقها الجوع أكلت من ذلك القرص الشعير شيأ يسيرا فلما انتصف الليل أمر البدوي جماعته أن يسافروا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والخمسون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان البدوي لما أعطى نزهة الزمان القرص الشعير ووعدها أن يبيعها لرجل جيد مثله قالت له نعم ما تفعل فلما انتصف الليل وأحرقها الجوع أكلت من القرص الشعير شيأ يسيرا ثم ان البدوي أمر جماعته أن يسافروا فحملوا الجمال وركب البدوي جملا وأردف نزهة الزمان خلفه وساروا وما زالوا سائرين مدة ثلاثة أيام ثم دخلوا مدينة دمشق ونزلوا في خان السلطان بجانب باب الملك وقد تغير لون نزهة الزمان من الحزن وتعب السفر فصارت تبكي من أجل ذلك فأقبل عليها البدوي وقال لها يا حضرية وحق طرطوري ان لم تتركي هذا البكاء لا أبيعك الا ليهودي ثم انه قام وأخذ بيدها وأدخلها في مكان وتمشى الى السوق ومر على التجار الذين يتجرون في الجواري وصار يكلمهم ثم قال لهم عندي جارية أتيت بها معي وأخوها ضعيف فأرسلته الى أهلي في مدينة القدس لاجل أن يداووه حتى يبرأ وقصدي أن أبيعها ومن يوم ضعف أخوها وهي تبكي وصعب عليها فراقه وأريد أن الذي يشتريها مني يلين لها الكلام ويقول لها ان أخاك عندي في القدس ضعيف وأنا أرخص له ثمنها فنهض له رجل من التجار وقال له كم عمرها فقال هي بكر بالغة ذات عقل وأدب وفطنة وحسن وجمال ومن حين أرسلت أخاها الى القدس اشتغل قلبها به وتغيرت محاسنها وانهزل سمنها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوي وقال له اعلم يا شيخ العرب اني أروح معك وأشتري منك الجارية التي تمدحها وتشكر عقلها وأدبها وحسنها وجمالها وأعطيك ثمنها وأشرط عليك شروطا ان قبلتها نقدت لك ثمنها وان لم تقبلها رددتها عليك فقال له البدوي ان شئت فاطلع بها الى السلطان واشرط علي ما شئت من الشروط فانك اذا أوصلتها الى الملك شركان ابن الملك

عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان ربما تليق بعقله فيعطيك ثمنها ويكثر لك الربح فيها فقال له التاجر وأنا لى عند السلطان حاجة وهو ان يكتب الى والده عمر النعمان بالوصية على فان قبل الجارية منى وزنت لك ثمنها فى الحال فقال له البدوى قبلت منك هذا الشرط ثم مشى الاثنان الى أن أقبلا على المكان الذى فيه نزهة الزمان ووقف البدوى على باب الحجرة وناداها يا ناجية وكان سماها بهذا الاسم فلما سمعته بكت ولم تجبه فالتفت البدوى الى التاجر وقال له هاهى قاعدة دونك فأقبل عليها وانظرها ولاطفها مثل ما أوصيتك فتقدم التاجر اليها فرآها بديعة فى الحسن والجمال لاسيما وكانت تعرف بلسان العرب فقال التاجر ان كانت كما وصفت لى فانى أبلغ بها عند السلطان ما أريد ثم ان التاجر قال لها السلام عليك يا بنية كيف حالك فالتفتت اليه وقالت كان ذلك فى الكتاب مسطورا ونظرت اليه فاذا هو رجل ذو وقار ووجه حسن فقالت فى نفسها أظن أن هذا جاء يشترينى ثم قالت ان امتنعت منه صرت عند هذا الظالم فيهلكنى من الضرب فعلى كل حال هذا رجل وجهه حسن وهو أرجى للخير من هذا البدوى الجلف ولعله ما جاء الا ليسمع منطقى فأنا أجاوبه جوابا حسنا كل ذلك وعينها فى الارض ثم رفعت بصرها اليه وقالت له بكلام عذب وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ياسيدى بهذا أمر النبى صلى الله عليه وسلم وأما سؤالك عن حالى فان شئت أن تعرفه فلا تتمناه الا لاعدائك ثم سكتت فلما سمع التاجر كلامها طار عقله فرحا بها والتفت الى البدوى وقال له كم ثمنها فانها جليلة فاغتاظ البدوى وقال له أفسدت على الجارية بهذا الكلام لاى شئ تقول انها جليلة مع انها من رعاع الناس فأنا لا أبيعها لك فلما سمع التاجر كلامه عرف انه قليل العقل فقال له طب نفسا وقر عينا فأنا أشتريها على هذا العيب الذى ذكرته فقال البدوى وكم تدفع لى فيها فقال له التاجر ما يسمى الولد الا أبوه فاطلب فيها مقصودك فقال له البدوى ما يتكلم الا أنت فقال التاجر فى نفسه ان هذا البدوى جلف يابس الرأس وأنا لا أعرف لها قيمة الا انها ملكت قلبى بفصاحتها وحسن منظرها وان كانت تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها وعلى من يشتريها لكن هذا البدوى لا يعرف لها قيمة ثم التفت الى البدوى وقال له ياشيخ العرب أدفع لك فيها مائتى دينار سالمة ليدك غير الضمان وقانون السلطان فلما سمع ذلك البدوى اغتاظ غيظا شديدا وصرخ على التاجر وقال له قم الى حال سبيلك لو أعطيتنى مائتى دينار فى هذه القطعة العباءة التى عليها ما بعتها لك فأنا لا أبيعها بل أخليها عندى ترعى الجمال وتطحن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالى يا منتنة أنا لا أبيعك ثم التفت الى التاجر وقال له كنت أحسبك أهل معرفة وحق طرطورى ان لم تذهب عنى لأسمعنك ما لا يرضيك فقال التاجر فى نفسه ان هذا البدوى مجنون ولا يعرف قيمتها ولا أقول له شيأ فى ثمنها فى هذا الوقت فانه لو كان صاحب عقل

ماقال وحق طرطورى والله انها تساوى خزنة من الجواهر وأنا ما معى ثمنها ولكن ان طلب منى مايريد أعطيته اياه ولو أخذ جميع مالى ثم التفت الى البدوى وقال له ياشيخ العرب طوّل بالك وقل لى مالها من القماش عندك فقال البدوى وما تعمل قطاعة الجوارى هذه بالقماش والله ان هذه العباءة التى هى ملفوفة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن اذنك أكشف عن وجهها وأقلبها كما يقلب الناس الجوارى لاجل الاشتراء فقال له البدوى دونك وماتريد والله يحفظ شبابك فقلبها ظاهرا وباطنا وان شئت فعرّها الثياب ثم انظرها وهى عريانة فقال التاجر معاذ الله أنا ما أنظر الا وجهها ثم ان التاجر تقدم اليها وهو خجلان من حسنها وجمالها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والخمسون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان التاجر تقدم الى نزهة الزمان وهو خجلان من حسنها وجلس الى جانبها وقال لها ياسيدتى ما اسمك فقالت له تسألنى عن اسمى فى هذا الزمان أو عن اسمى القديم فقال لها هل لك اسم جديد واسم قديم قالت نعم اسمى القديم نزهة الزمان واسمى الجديد غصة الزمان فلما سمع التاجر منها هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك أخ ضعيف فقالت أى والله ياسيدى ولكن فرق الزمان بينى وبينه وهو مريض فى بيت المقدس فتحير عقل التاجر من عذوبة منطقها وقال فى نفسه لقد صدق البدوى فى مقالته ثم ان نزهة الزمان تذكرت أخاها ومرضه وغربته وفراقها منه وهو ضعيف ولا تعلم ماوقع له وتذكرت ماجرى لها من هذا الامر مع البدوى ومن بعدها عن أمها وأبيها ومملكتها فجرت دموعها على خدها وأرسلت العبرات وأنشدت هذه الابيات

حيثما كنت قد وقاك الهى * أيها الراحل المقيم بقلبى
ولك الله حيث أمسيت جار * حافظ من صروف دهر وخطب
غبت فاستوحشت لقربك عينى * واستهلت مدامعى أىّ سكب
ليت شعرى بأى ربع وأرض * أنت مستوطن بدار وشعب
ان يكن شاربا لماء حياة * بحضر الورد فالمدامع شربى
أو شهدت الرقاد يوما بخمر * من سهادى بين الفراش وجنبى
كل شئ الا فراقك سهل * عند قلبى وغيره غير صعب

فلما سمع التاجر ماقالته من الشعر بكى ومد يده ليمسح دموعها عن خدها فغطت وجهها وقالت له حاشاك ياسيدى ثم ان البدوى قعد ينظر اليها وهى تغطى وجهها من التاجر حيث أراد أن يمسح دمعها عن خدها فاعتقد انها تمنعه من التقليب فقام اليها يجرى وكان معه مقود جمل فرفعه فى

يده وضربها به على أكتافها فجاءت الضربة بقوة فانكبت بوجهها على الارض فجاءت حصاة من الارض فى حاجبها فشقته فسال دمها على وجهها فصرخت صرخة عظيمة وغشى عليها وبكت وبكى التاجر معها فقال التاجر لابد أن أشترى هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا وأريحها من هذا الظالم وصار التاجر يشتم البدوى وهى فى غشيتها فلما أفاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها الى السماء وطلبت من مولاها بقلب حزين وأنشدت هذين البيتين

وارحمتا لعزيزة * بالضيم قد صارت ذليله

تبكى بدمع هاطل * وتقول مافى الوعد حيله

فلما فرغت من شعرها التفتت الى التاجر وقالت له بصوت خفى بالله لاتدعنى عند هذا الظالم الذى لايعرف الله تعالى فان بت هذه الليلة عنده قتلت نفسى بيدى فخلصنى منه يخلصك الله مما تخاف فى الدنيا والآخرة فقام التاجر وقال للبدوى ياشيخ العرب هذه ليست غرضك بعنى اياها بما تريد فقال البدوى خذها وادفع ثمنها والا أروح بها الى النجع وأتركها هناك تلم البعر وترعى الجمال فقال التاجر أعطيك خمسين ألف دينار فقال البدوى يفتح الله فقال التاجر سبعون ألف دينار فقال البدوى يفتح الله هذا ماهو رأس مالها لانها أكلت عندى أقراصا من الشعير بتسعين ألف دينار فقال له التاجر أنت وأهلك وقبيلتك فى طول عمركم ما أكلتم بألف دينار شعيرا ولكن أقول لك كلمة واحدة فان لم ترض بها غمزت عليك والى دمشق فيأخذها منك قهرا فقال البدوى تكلم فقال بمائة ألف دينار فقال البدوى بعتك اياها بهذا الثمن واقدر اننى اشتريت بها ملحا فلما سمعه التاجر ضحك ومضى الى منزله وأتى له بالمال وأقبضه اياه فأخذه البدوى وقال فى نفسه لابد أن أذهب الى القدس لعلى أجد أخاها فأجىء به وأبيعه ثم ركب وسافر حتى وصل الى بيت المقدس فذهب الى الخان وسأل عن أخيها فلم يجده هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر التاجر ونزهة الزمان فانه لما أخذها أتى عليها شيأ من ثيابه ومضى بها الى منزله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان التاجر لما تسلم الجارية من البدوى وضع عليها شيأ من ثيابه ومضى بها الى منزله وألبسها أفخر الملبوس ثم أخذها ونزل بها الى السوق وأخذ لها مصاغا ووضعه فى بقجة من الاطلس ووضعها بين يديها وقال لها هذا كله من أجلك ولا أريد منك الا اذا طلعت بك الى السلطان والى دمشق أن تعلميه بالثمن الذى اشتريتك به وان كان قليلا فى ظفرك واذا اشتراك منى فاذكرى له مافعلت معك واطلبى لى

منه

منه مرقوما سلطانيا بالوصية على لاذهب به الى والده صاحب بغداد الملك عمر النعمان لاجل أن يمنع من يأخذ منى مكسا على القماش أوغيره من جميع ما اتجر فيه فلما سمعت كلامه بكت وانتحبت فقال لها التاجر ياسيدتى انى أراك كلما ذكرت بغداد تدمع عيناك ألك فيها أحد تحبينه فان كان تاجرا أوغيره فاخبرينى فانى أعرف جميع من فيها من التجار وغيرهم وان أردت رسالة أنا أوصلها اليه فقالت والله مالى معرفة بتاجر ولا غيره وانما لى معرفة بالملك عمر النعمان صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلامها ضحك وفرح فرحا شديدا وقال فى نفسه والله انى وصلت الى ما أريد ثم قال لها هل عرضت عليه سابقا فقالت لا بل تربيت أنا وبنته فكنت عزيزة عنده ولى عنده حرمة كبيرة فان كان غرضك ان الملك عمر النعمان يكتب لك ما تريد فأتنى بدواة وقرطاس فانى أكتب لك كتابا فاذا دخلت مدينة بغداد فسلم الكتاب من يدك الى يد الملك عمر النعمان وقل له ان جاريتك نزهة الزمان قد طرقتها صروف الليالى والايام حتى بيعت من مكان الى مكان وهى تقرئك السلام واذا سألك عنى فاخبره انى عند نائب دمشق فتعجب التاجر من فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما أظن الا أن الرجال لعبوا بعقلك وباعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم وأعرف الحكمة والطب ومقدمة المعرفة وشرح فصول ابقراط لجالينوس الحكيم وشرحته أيضا وقرأت التذكرة وشرحت البرهان وطالعت مفردات ابن البيطار وتكلمت على القانون لابن سينا وحللت الرموز ووضعت الاشكال وتحدثت فى الهندسة وأتقنت حكمة الابدان وقرأت كتب الشافعية وقرأت الحديث والنحو وناظرت العلماء وتكلمت فى سائر العلوم وألفت فى علم المنطق والبيان والحساب والجدل وأعرف الروحانى والميقات وفهمت هذه العلوم كلها ثم قالت ائتنى بدواة وقرطاس حتى أكتب لك كتابا يسليك فى الأسفار ويغنيك عن مجلدات الاسفار فلما سمع التاجر منها هذا الكلام صاح بخ بخ فياسعد من تكونين فى قصره ثم أتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أحضر التاجر ذلك بين يديها قبل الارض تعظيما لها فاخذت نزهة الزمان الدرج وتناولت القلم وكتبت فى الدرج هذه الابيات

مابال نومى من عينى قد نفرا * أأنت علمت طرفى بعدك السهرا
ومالذكرك يذكى النار فى كبدى * أهكذا كل صب للهوى ذكرا
سقيا لايامنا ماكان أطيبها * مضت ولم أقض من لذاتها وطرا
أستعطف الريح ان الريح حاملة * الى المتيم من أكنافكم خبرا
يشكو اليك محب قل ناصره * وللفراق خطوب تصدع الحجرا

ثم انها لما فرغت من كتابة هذا الشعر كتبت بعد ذلك هذا الكلام وهي تقول من استولت عليها الفكر وأنحلها السهر فظلمتها لاتجد لها من أنوار ولا تعلم الليل من النهار وتتقلب على مراقد البين وتكتحل بمراود الارق ولم تزل للنجوم رقيبة وللظلام نقيبة قد أذابها الفكر والنحول وشرح حالها يطول لامساعد لها غير العبرات وأنشدت هذه الابيات

ما غردت سحرا ورقاء في فنن * الا تحرك عندي قاتل الشجن
ولا تأوه مشتاق به طرب * الى الاحبة الا ازددت في حزني
أشكو الغرام الى من ليس يرحمني * كم فرق الوجد بين الروح والبدن

ثم أفاضت دموع العين وكتبت أيضا هذين البيتين

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدني * وفرق الهجر بين الجفن والوسن
كفى بجسمي نحولا انني دنف * لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وبعد ذلك كتبت في أسفل الدرج هذا من عند البعيدة عن الاهل والاوطان الحزينة القلب والجنان نزهة الزمان ثم طوت الدرج وناولته للتاجر فأخذه وقبله وعرف ما فيه ففرح وقال سبحان من صورك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ولما كانت الليلة التاسعة والخمسون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان كتبت الكتاب وناولته للتاجر فأخذه وقرأه وعلم ما فيه فقال سبحان من صورك وزاد في اكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلما أقبل الليل خرج الى السوق وأتى بشيء فأطعمها اياه ثم أدخلها الحمام وأتى لها ببلانة وقال لها اذا فرغت من غسل رأسها فالبسيها ثيابها ثم ارسلى اعلميني بذلك فقالت سمعا وطاعة ثم أحضر لها طعاما وفاكهة وشمعا وجعل ذلك على مصطبة الحمام فلما فرغت البلانة من تنظيفها ألبستها ثيابها ولما خرجت من الحمام وجلست على مصطبته وجدت المائدة حاضرة فأكلت هي والبلانة من الطعام والفاكهة وتركتا الباقي لحارسة الحمام ثم باتت الى الصباح وبات التاجر منعزلا عنها في مكان آخر فلما استيقظ من نومه أيقظ نزهة الزمان وأحضر لها قيصارقيما وكوفية بألف دينار وبدلة تركية مزركشة بالذهب وخفا مزركشا بالذهب الأحمر مرصعا بالدر والجوهر وجعل في اذنيها حلقا من اللؤلؤ بألف دينار ووضع في رقبتها طوقا من الذهب وقلادة من العنبر تضرب تحت نهديها فوق سرتها وتلك القلادة فيها عشر أكر وتسعة أهلة كل هلال في وسطه فص من الياقوت وكل أكرة فيها فص من البلخش وثمن تلك القلادة ثلاثة آلاف دينار فصارت الكسوة التي كساها اياها بالجملة بليغة من المال ثم أمرها التاجر أن تتزين فتزينت بأحسن الزينة ومشت ومشى التاجر قدامها فلما عاينها الناس

بهتوا

بهتوا فی حسنها وقالوا تبارك الله أحسن الخالقين هنيأ لمن كانت هذه عنده ومازال التاجر يمشي وهي تمشي خلفه حتى دخل على الملك شركان فلما دخل على الملك قبل الارض بين يديه وقال أيها الملك السعيد أتيت لك بهدية غريبة الاوصاف عديمة النظير فی هذا الزمان قد جمعت بين الحسن والاحسان فقال له الملك قصدی أن أراها عيانا فخرج التاجر وأتى بها حتى أوقفها قدامه فلما رآها الملك شركان حن الدم الى الدم وكانت قد فارقته وهي صغيرة ولم ينظرها لانه بعد مضي مدة من ولادتها سمع ان له أختا تسمى نزهة الزمان وأخا يسمى ضوء المكان فاغتاظ من أبيه غيظا شديدا غيرة على المملكة كما تقدم ولما قدمها اليه التاجر قال له يا ملك الزمان انها مع كونها بديعة الحسن والجمال بحيث لا نظير لها فی عصرها تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية والسياسية والرياضية فقال له الملك خذ ثمنها مثل ما اشتريتها ودعها وتوجه الى حال سبيلك فقال له التاجر سمعا وطاعة ولكن اكتب لی مرقوما انی لا أدفع عشرا أبدا على تجارتی فقال الملك انی أفعل لك ذلك ولكن اخبرنی كم وزنت ثمنها فقال وزنت ثمنها مائة ألف دينار وكسوتها بمائة ألف دينار فلما سمع ذلك الملك قال أنا أعطيك فی ثمنها أكثر من ذلك ثم دعا بخازنداره وقال له اعط هذا التاجر ثلثمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ثم ان شركان أحضر القضاة الاربعة وقال لهم أشهدكم انی أعتقت جاريتی هذه وأريد أن أتزوجها فكتب القضاة حجة باعتاقها ثم كتبوا كتابه عليها ونثر الملك على رؤس الحاضرين ذهبا كثيرا وصار الغلمان والخدم يلتقطون ما نثره عليهم الملك من الذهب ثم ان الملك أمر بكتابة منشور الى التاجر على طبق مراده من انه لا يدفع على تجارته عشرا ولا يتعرض له أحد بسوء فی سائر مملكته وبعد ذلك أمر له بخلعة سنية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للستين﴾ قالت بلغنی أيها الملك السعيد ان الملك أمر بكتابة منشور للتاجر على طبق مراده من أنه لا يدفع على تجارته عشرا أبدا ولا يتعرض له أحد بسوء فی تجارته وبعد ذلك أمر له بخلعة سنية ثم صرف جميع من عنده ولم يبق عنده غير القضاة والتاجر وقال للقضاة أريد أن تسمعوا من ألفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وأدبها من كل ما ادعاه التاجر لنحقق صدق كلامه فقالوا لا بأس بذلك فأمر بارخاء ستارة بينه هو ومن معه وبين الجارية ومن معها وصار جميع النساء التی مع الجارية خلف الستارة يقبلن يديها ورجليها لما علموا انها صارت زوجة الملك ثم درن حولها وقمن بخدمتها وخففن ما عليها من الثياب وصرن ينظرن حسنها وجمالها وسمعت نساء الامراء والوزراء أن الملك شركان اشترى جارية لا مثل لها فی الجمال والعلم والأدب وانها حوت جميع العلوم وقد وزن ثمنها ثلثمائة ألف دينار

وعشرين ألف دينار وأعتقها وكتب كتابه عليها وأحضر القضاة الاربعة لاجل امتحانها حتى ينظر كيف تجاوبهم عن أسئلتهم فطلب النساء الاذن من أزواجهن ومضين الى القصر الذى فيه نزهة الزمان فلما دخلن عليها وجدن الخدم وقوفا بين يديها وحين رأت نساء الامراء والوزراء داخلة عليها قامت اليهن وقابلتهن وقامت الجوارى خلفها وتلقت النساء بالترحيب وصارت تبسم فى وجوههن فأخذت قلوبهن وأنزلتهن فى مراتبهن كأنها تربت معهن فتعجبن من حسنها وجمالها وعقلها وأدبها وقلن لبعضهن ماهذه جارية بل هى ملكة بنت ملك وصرن يعظمن قدرها وقلن لها ياسيدتنا أضاءت بك بلدتنا وشرفت بلادنا ومملكتنا فالمملكة مملكتك والقصر قصرك وكلنا جواريك فبالله لاتخلينا من احسانك والنظر الى حسنك فشكرتهن على ذلك هذا كله والستارة مرخاة بين نزهة الزمان ومن عندها من النساء وبين الملك شركان هو والقضاة الاربعة والتاجر ثم بعد ذلك ناداها الملك شركان وقال لها أيتها الجارية العزيزة فى زمانها ان هذا التاجر قد وصفك بالعلم والأدب وادّعى انك تعرفين فى جميع العلوم حتى علم النحو فأسمعينا من كل باب طرفا يسيرا فلما سمعت كلامه قالت سمعا وطاعة أيها الملك • الباب الاول فى السياسات والأداب الملكية ومايبغى لولاة الامور الشرعية ومايلزمهم من قبل الاخلاق المرضية اعلم أيها الملك ان مقاصد الخلق منتهية الى الدين والدنيا لانه لايتوصل أحد الى الدين الابالدنيا فان الدنيا نعم الطريق الى الآخرة وليس ينتظم أمر الدنيا الا بأعمال أهلها وأعمال الناس تنقسم على أربعة أقسام الامارة والتجارة والزراعة والصناعة فالامارة ينبغى لها السياسة التامة والفراسة الصادقة لان الامارة مدار عمارة الدنيا التى هى طريق الى الآخرة لان الله تعالى جعل الدنيا للعباد كزاد المسافر الى تحصيل المراد فينبغى لكل انسان أن يتناول منها بقدر مايوصله الى الله ولا يتبع فى ذلك نفسه وهواه ولو تناولها الناس بالعدل لانقطعت الخصومات ولكنهم يتناولونها بالجور ومتابعة الهوى فتسببت عن انهما كهم عليها الخصومات فاحتاجوا الى سلطان لاجل أن ينصف بينهم ويضبط أمورهم ولولا ردع الملك الناس عن بعضهم لغلب قويهم على ضعيفهم وقد قال اردشير ان الدين والملك توأمان فالدين كنز والملك حارس وقد دلت الشرائع والعقول على انه يجب على الناس أن يتخذوا سلطانا يدفع الظالم عن المظلوم وينصف الضعيف من القوى ويكف بأس العاتى والباغى واعلم أيها الملك انه على قدر حسن أخلاق السلطان يكون الزمان فانه قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيآن فى الناس ان صلحا صلح الناس وان فسدا فسد الناس العلماء والامراء وقد قال بعض الحكماء الملوك ثلاثة ملك دين وملك محافظة على الحرمات وملك هوى فاماملك الدين فانه يلزم رعيته باتباع دينهم وينبغى أن يكون

أدبهم لانه هو الذى يقتدى به فى أمور الدين و يلزم الناس طاعته فيما أمر به موافقا للاحكام الشرعية ولكنه ينزل الساخط منزلة الراضى بسبب التسليم الى الاقدار وأما الملك المحافظة على الحرمات فانه يقوم بامور الدين والدنيا و يلزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على المروءة ويكون جامعا بين القلم والسيف فمن زاغ عما سطر القلم زلت به القدم فيقوم اعوجاجه بحد الحسام و ينشر العدل فى جميع الانام وأما الملك الهوى فلا دين له الا اتباع هواه ولم يخش سطوة مولاه الذى ولاه فمآل ملكه الى الدمار ونهاية عتوه الى دار البوار وقالت الحكماء الملك يحتاج الى كثير من الناس وهم محتاجون الى واحد ولاجل ذلك وجب أن يكون عارفا باخلاقهم ليرد اختلافهم الى وفاقهم ويعمهم بعدله ويغمرهم بفضله واعلم أيها الملك ان اردشير وهو الثالث من ملوك الفرس قد ملك الاقاليم جميعها وقسمها على أربعة أقسام وجعل له من أجل ذلك أربع خواتم لكل قسم خاتم الاول خاتم البحر والشرطة والمحاماة وكتب عليه النيابات الثانى خاتم الخراج وجباية الاموال وكتب عليه العمارة الثالث خاتم القوت وكتب عليه الرخاء الرابع خاتم المظالم وكتب عليه العدل واستمرت هذه الرسوم فى الفرس الى أن ظهر الاسلام وكتب كسرى لابنه وهو فى جيشه لاتوسعن على جيشك فيستغنوا عنك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

❊فلما كانت الليلة الحادية والستون❊ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان كسرى كتب لابنه وهو فى جيشه لاتوسعن على جيشك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك وأعطهم عطاء مقتصدا وامنحهم منحا جميلا ووسع عليهم فى الرخاء ولا تضيق عليهم فى الشدة وروى أن اعرابيا جاء الى المنصور وقال له اجع كلبك يتبعك فغضب المنصور من الاعرابى لما سمع منه هذا الكلام فقال أبو العباس الطوسى اخشى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه و يتركك فسكن غيظ المنصور وعلم انها كلمة لاتخطأ وأمر للاعرابى بعطية واعلم أيها الملك انه كتب عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز بن مروان حين وجهه الى مصر تفقد كاتبك وحاجبك فان الثابت يخبرك عنه كاتبك والتوسيم تعرفك به حاجبك والخارج من عندك يعرفك بجيشك وكان عمر بن الخطاب اذا استخدم خادما شرط عليه أربعة شروط أن لايركب البراذين وأن لايلبس الثياب النفيسة وأن لايأكل من الفىء وأن لايؤخر الصلاة عن وقتها وقيل لامال أجود من العقل ولا عقل كالتدبير والحزم ولا حزم كالتقوى ولا قربة كحسن الخلق ولا ميزان كالادب ولا فائدة كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كثواب الله ولا ورع كالوقوف عند حدود السنة ولا علم كالتفكر ولا عبادة كالفرائض ولا ايمان كالحياء ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم فاحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى واذكر الموت والبلى وقال على اتقوا اشرار النساء

وكونوا منهن على حذر ولا تشاوروهن فى أمر ولا تضيقوا عليهن فى معروف حتى لا يطمعن فى المكر وقال من ترك الاقتصاد حار عقله وقال عمر رضى الله عنه النساء ثلاثة امرأة مسلمة تقية ودود ولود تعين بعلها على الدهر ولا تعين الدهر على بعلها وأخرى ترادللولد لا تزيد على ذلك وأخرى يجعلها الله غلا فى عنق من يشاء والرجال أيضا ثلاثة رجل عاقل اذا أقبل على رأيه وآخر أعقل منه وهو من اذا نزل به أمر لا يعرف عاقبته فيأتى ذوى الرأى فينزل عند آرائهم وآخر حائر لا يعلم رشدا ولا يطيع مرشدا والعدل لا بد منه فى كل الاشياء حتى ان الجوارى يحتجن الى العدل وضربوا لذلك مثلا فى قطاع الطريق المقيمين على ظلم الناس فانهم لو لم يتناصفوا فيما بينهم ويستعملوا الواجب فيما يقسمونه لاختل نظامهم وبالجملة فسيد مكارم الاخلاق الكرم وحسن الخلق وما أحسن قول الشاعر

ببذل وحلم ساد فى قومه الفتى * وكونك اياه عليك يسير

وقال الآخر

ففى الحلم اتقان وفى العفو هيبة * وفى الصدق منجاة لمن كان صادقا
ومن يلتمس حسن الثناء بماله * يكن بالندى فى حلبة المجد سابقا

ثم ان نزهة الزمان تكلمت فى سياسة الملوك حتى قال الحاضرون ما رأينا أحدا تكلم فى باب السياسة مثل هذه الجارية فلعلها تسمعنا شيأ من غير هذا الباب فسمعت نزهة الزمان ما قالوه وفهمته فقالت وأما باب الأدب فانه واسع المجال لانه مجمع الكمال فقد اتفق أن بنى تميم وفدوا على معاوية ومعهم الاحنف بن قيس فدخل حاجب معاوية عليه ليستأذنه لهم فى الدخول فقال يا أمير المؤمنين ان أهل العراق يريدون الدخول عليك ليتحدثوا معك فاسمع حديثهم فقال معاوية انظروا من بالباب فقالوا بنو تميم قال ليدخلوا فدخلوا ومعهم الاحنف بن قيس فقال له معاوية اقرب منى يا أبا بحر بحيث أسمع كلامك ثم قال يا أبا بحر كيف رأيك لى قال يا أمير المؤمنين افرق الشعر وقص الشارب وقلم الاظافر وانتف الابط واحلق العانة وأدم السواك فان فيه اثنتين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والستون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الاحنف بن قيس قال لمعاوية لما سأله وأدم السواك فان فيه اثنتين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين قال له معاوية كيف رأيك لنفسك قال أوطئ قدمى على الارض وانقلها على تمهل وأراعيها بعينى قال كيف رأيك اذا دخلت على نفر من قومك دون الامراء قال أطرق حياء وابدأ بالسلام وأدع

ما

مالا يعنيني وأقل الكلام قال كيف رأيك اذا دخلت على نظرائك قال استمع لهم اذا قالوا ولا أجول عليهم اذا جالوا قال كيف رأيك اذا دخلت على امرائك قال أسلم من غير اشارة وانتظر الاجابة فان قربوني قربت وان أبعدوني بعدت قال كيف رأيك مع زوجتك قال اعفني من هذا يا أمير المؤمنين قال أقسمت عليك أن تخبرني قال أحسن الخلق وأظهر العشرة وأوسع النفقة فان المرأة خلقت من ضلع أعوج قال فما رأيك اذا أردت أن تجامعها قال أكلمها حتى تطيب نفسها وألثمها حتى تطرب فان كان الذي تعلم طرحتها على ظهرها وان استقرت النطفة في قرارها قلت اللهم اجعلها مباركة ولا تجعلها شقية وصورها أحسن تصوير ثم أقوم عنها الى الوضوء فافيض الماء على يدي ثم أصبه على جسدي ثم أحمد الله على ما أعطاني من النعم فقال معاوية أحسنت في الجواب فقل حاجتك فقال حاجتي أن تتقي الله في الرعية وتعدل بينهم بالسوية ثم نهض قائما من مجلس معاوية فلما ولى قال معاوية لولم يكن بالعراق الا هذا لكفى ثم ان نزهة الزمان قالت وهذه النبذة من جملة باب الادب واعلم أيها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والستون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت واعلم أيها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب فاتفق انه رأى ابن عمر يوما فأعطاه درهما من بيت المال قال معيقب وبعد ان أعطيته الدرهم انصرفت الى بيتي فبينما أنا جالس واذا برسول عمر جاءني فرهبت منه وتوجهت اليه فاذا الدرهم في يده وقال لي ويحك يا معيقب اني قد وجدت في نفسك شيأ قلت وما ذلك يا أمير المؤمنين قال انك تخاصم أمة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الدرهم يوم القيامه وكتب عمر الى أبي موسى الاشعري كتابا مضمونه اذا جاءك كتابي هذا فأعط الناس الذي لهم واحمل الي ما بقي ففعل فلما ولى عثمان الخلافة كتب الى أبي موسى مثل ذلك ففعل وجاء زياد معه فلما وضع الخراج بين يدي عثمان جاء ولده فأخذ منه درهما فبكى زياد فقال عثمان ما يبكيك قال أتيت عمر بن الخطاب بمثل ذلك فأخذ ابنه درهما فأمر بنزعه من يده وابنك أخذ فلم أر أحدا ينزعه منه أو يقول له شيأ فقال عثمان وأين تلقى مثل عمر وروى زيد بن أسلم عن أبيه انه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى أشرفنا على نار تضرم فقال يا أسلم اني أحسب هؤلاء ركبا أضر بهم البرد فانطلق بنا اليهم فخرجنا حتى أتينا اليهم فاذا امرأة توقد نارا تحت قدر ومعها صبيان يتضاغون فقال عمر السلام عليكم أصحاب الضوء وكره أن يقول أصحاب النار ما بالكم قالت أضر بنا البرد والليل قال فما بال هؤلاء يتضاغون قالت من الجوع قال فما هذه القدر قالت ماء اسكتهم به وان عمر بن الخطاب ليسأله الله عنهم يوم

القيامة قال ومايدرى عمر بحالهم قالت كيف يتولى أمور الناس و يغفل عنهم قال أسلم فأقبل عمر على وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الصرف فأخرج عدلا فيه دقيق واناء فيه شحم ثم قال حملني هذا فقلت أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين فقال أتحمل عنى وزرى يوم القيامة فحملته اياه وخرجنا نهرول حتى ألقينا ذلك العدل عندها ثم أخرج من الدقيق شيأ وجعل يقول للمرأة ردّى الى وكان ينفخ تحت القدر وكان ذو لحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ وأخذ مقدارا من الشحم فرماه فيه ثم قال اطعميهم وأنا أبرّد لهم ولم يزالوا حتى أكلوا وشبعوا وترك الباقى عندها ثم أقبل علىّ وقال يا أسلم انى رأيت الجوع أبكاهم فأحببت أن لا انصرف حتى يتبين لى سبب الضوء الذى رأيته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

❀ فلما كانت الليلة الرابعة والستون ❀ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت قيل ان عمر مرّ براع مملوك فابتاع منه شاة فقال له انها ليست لى فقال أنت القصد فاشتراه ثم أعتقه وقال اللهم كما رزقتنى العتق الاصغر فارزقنى العتق الاكبر وقيل ان عمر بن الخطاب كان يطعم الحليب للخدم و يأكل الغليظ و يكسوهم اللين و يلبس الخشن و يعطى الناس حقوقهم و يزيد فى عطائهم وأعطى رجلا أربعة آلاف درهم وزاده ألفا فقيل له أما تزيد ابنك كما زدت هذا قال هذا ثبت والده يوم أحد وقال الحسن أتى عمر بمال كثير فأتته حفصة وقالت له يا أمير المؤمنين حق قرابتك فقال يا حفصة انما أوصى الله بحق قرابتى من مالى وأمّا مال المسلمين فلا يا حفصة قد أرضيت قومك وأغضبت أباك فقامت تجرّ ذيلها وقال ابن عمر تضرّعت الى ربى سنة من السنين أن يرينى أبى حتى رأيته يمسح العرق عن جبينه فقلت له ما حالك يا والدى فقال لولا رحمة ربى هلك أبوك ثم قالت نزهة الزمان اسمع أيها الملك السعيد الفصل الثانى من الباب الثانى وهو باب الادب والفضائل وما ذكر فيه من أخبار التابعين والصالحين قال الحسن البصرى لاتخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا وهو يتأسف على ثلاثة أشياء عدم تمتعه بما جمع وعدم ادراك ما أمّل وعدم استعداده بكثرة الزاد لما هو قادم عليه وقيل لسفيان هل يكون الرجل زاهدا وله مال قال نعم اذا كان متى ابتلى صبر ومتى أعطى شكر وقيل لما حضرت عبد الله بن شدّاد الوفاة أحضر ولده محمدا فأوصاه وقال له يا بنى انى لأرى داعى الموت قد دعانى فاتق ربك فى السر والعلانية واشكر الله على ما أنعم وأصدق فى الحديث فالشكر يؤذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد فى المعاد كما قال بعضهم

ولست أرى السعادة جمع مال ❀ ولكن التقىّ هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد حقا * وعند الله تلقى ما تريد

ثم قالت نزهة الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثانى من الباب الاول قيل لها وما هى قالت لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة جاء لاهل بيته فأخذ ما بأيديهم ووضعه فى بيت المال ففزعت بنو أمية الى عمته فاطمة بنت مروان فأرسلت اليه قائلة انه لابد من لقائك ثم أتته ليلا فأنزلها عن دابتها فلما أخذت مجلسها قال لها يا عمة أنت أولى بالكلام لان الحاجة لك فاخبرينى عن مرادك فقالت يا أمير المؤمنين أنت أولى بالكلام ورأيك يستشف ما يخفى عن الافهام فقال عمر بن عبد العزيز ان الله تعالى بعث محمدا رحمة للعالمين وعذابا للقوم آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الخامسة والستون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبد العزيز ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وعذابا للقوم آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وترك للناس نهرا يروى عطاشهم ثم قام أبو بكر خليفة بعده فأجرى النهر مجراه وعمل ما يرضى الله ثم قام عمر بعد أبى بكر فعمل خير أعمال الابرار واجتهد اجتهادا ما يقدر أحد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهرا ثم ولى معاوية فاشتق منه الانهار ثم لم يزل كذلك يشتق منه يزيد وبنو مروان كعبد الملك والوليد وسليمان حتى آل الامر الى فأحببت ان أرد النهر الى ما كان عليه فقالت قد أردت كلامك ومذاكرتك فقط فان كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيأ ورجعت الى بنى أمية فقالت لهم ذوقوا عاقبة أمركم بتزويجكم الى عمر بن الخطاب وقيل لما حضرت عمر بن العزيز الوفاة جمع أولاده حوله فقال له مسلمة بن عبد الملك يا أمير المؤمنين كيف تترك أولادك فقراء وأنت راعيهم فما يمنعك أحد فى حياتك من أن تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم وهذا أولى من أن ترجعه الى الوالى بعدك فنظر الى مسلمة نظر مغضب متعجب ثم قال يا مسلمة منعتهم أيام حياتى فكيف أشقى بهم بعد مماتى ان أولادى ما بين رجلين اما مطيع لله تعالى فالله يصلح شأنه واما عاص فما كنت لاعينه على معصية يا مسلمة انى حضرت واياك حين دفن بعض بنى مروان فحملتنى عينى فرأيته فى المنام أفضى الى أمر من أمور الله عز وجل فهالنى وراعنى فعاهدت الله أن لا أعمل عمله ان وليت وقد اجتهدت فى ذلك مدة حياتى وأرجو أن أفضى الى عفو ربى قال مسلمة فلما مات حضرت دفنه فلما فرغت من دفنه حملتنى عينى فرأيته فيما يرى النائم فى روضة فيها انهار جارية وعليه ثياب بيض فأقبل على وقال يا مسلمة لمثل هذا فليعمل العاملون ونحو هذا كثير وقال بعض الثقاة كنت أحلب الغنم فى خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت براع فرأيت مع غنمه ذئبا أو ذئابا فظننت

انها كلابها ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك فقلت ما تصنع بهذه الكلاب فقال انها ليست كلابا بل هي ذئاب فقلت هل ذئاب في غنم لم تضرها فقال اذا أصلح الرأس صلح الجسد وخطب عمر ابن عبد العزيز على منبر من طين فحمد الله وأثنى عليه ثم تكلم بثلاث كلمات فقال أيها الناس أصلحوا أسراركم لتصلح علانيتكم لاخوانكم وتكفوا أمر دنياكم واعلموا أن الرجل ليس بينه وبين آدم رجل حي في الموتى مات عبد الملك ومن قبله ويموت عمر ومن بعده فقال له مسلمة يا أمير المؤمنين لو عملنا لك متكأ لتعتمد عليه قليلا فقال أخاف أن يكون في عنقي منه اثم يوم القيامة ثم شهق شهقة فخر مغشيا عليه فقالت فاطمة يا مريم يا مزاحم يا فلان انظر وا هذا الرجل فجاءت فاطمة تصب عليه الماء وتبكي حتى أفاق من غشيته فرآها تبكي فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا أمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا فتذكرت مصرعك بين يدي الله عز وجل للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذاك الذي أبكانا فقال حسبك يا فاطمة فلقد أبلغت ثم أراد القيام فنهض فسقط فضمته فاطمة اليها وقالت بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ما نستطيع أن نكلمك كلنا ثم ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وللقضاة الاربعة تتمة الفصل الثاني من الباب الاول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والستون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وهي لم تعرفه بحضور القضاة الاربعة والتاجر تتمة الفصل الثاني من الباب الاول اتفق انه كتب عمر بن عبد العزيز الى أهل الموسم أما بعد فاني أشهد الله في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الاكبر اني أبرأ من ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم أن أكون أمرت بذلك أو تعمدته أو يكون أمر من أموره بلغني أو أحاط به علمي وأرجو أن يكون لذلك موضع من الغفران الا انه لا اذن مني بظلم أحد فاني مسؤل عن كل مظلوم الا وأي عامل من عمالي زاغ عن الحق وعمل بلا كتاب ولا سنة فلا طاعة له عليكم حتى يرجع الى الحق وقال رضي الله عنه ما أحب أن يخفف عني الموت لانه آخر ما يؤجر عليه المؤمن وقال بعض الثقات قدمت على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فرأيت بين يديه اثني عشر درهما فأمر بوضعها في بيت المال قلت يا أمير المؤمنين انك أفقرت أولادك وجعلتهم عيالا لا شيء لهم فلو أوصيت اليهم بشيء والى من هو فقير من أهل بيتك فقال ادن مني فدنوت منه فقال أما قولك أفقرت أولادك فأوص اليهم أو الى من هو فقير من أهل بيتك فغير سديد لان الله خليفتي على أولادي وعلى من هو فقير من أهل بيتي وهو وكيل عليهم وهم ما بين رجلين اما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجا واما رجل منعكف على المعاصي فاني لم أكن لأقويه على معصية الله ثم بعث اليهم

واحضرهم

وأحضرهم بين يديه وكانوا اثنى عشر ذكرا فلما نظر اليهم ذرفت عيناه بالدموع ثم قال ان أباكم ما بين أمرين اما أن تستغنوا فيدخل أبوكم النار واما أن تفتقروا فيدخل أبوكم الجنة ودخول أبيكم الجنة أحب اليه من أن تستغنوا فقوموا فقد وكلت أمركم الى الله وقال خالد بن صفوان صحبني يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك فلما قدمت عليه وقد خرج بقرابته وخدمه فنزل فى أرض وضرب له خياما فلما أخذت الناس مجالسهم خرجت من ناحية البساط فنظرت اليه فلما صارت عيني فى عينه قلت له تمم الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين وجعل ما قلدك من هذه الامور رشدا ولا خالط سرورك أذى يا أمير المؤمنين انى لم أجد لك نصيحة أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فاستوى جالسا وكان متكئا وقال هات ما عندك يا ابن صفوان فقلت يا أمير المؤمنين ان ملكا من الملوك خرج قبلك فى عام قبل عامك هذا الى هذه الارض فقال لجلسائه هل رأيتم مثل ما أنا فيه وهل أعطى أحد مثل ما أعطيته وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والمعينين على الحق السالكين فى مناهجه فقال أيها الملك انك سألت عن أمر عظيم أتأذن لى فى الجواب عنه قال نعم قال أرأيت الذى أنت فيه شيأ لم يزل أم شيأ زائلا فقال هو شيء زائل قال فمالى أراك قد أعجبت بشيء تكون فيه قليلا وتسأل عنه طويلا وتكون عند حسابه مرتهنا قال فأين المهرب وأين المطلب قال أن تقيم فى ملكك فتعمل بطاعة الله تعالى أو تلبس أطمارك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك فاذا كان السحر فانى قادم عليك قال خالد بن صفوان ثم ان الرجل قرع عليه بابه عند السحر فرآه قد وضع تاجه وتهيأ للسياحة من عظم موعظته فبكى هشام بن عبد الملك بكاء كثيرا حتى بل لحيته وأمر بنزع ما عليه ولزم قصره فأتت الموالى والخدم الى خالد بن صفوان وقالوا أهكذا فعلت بأمير المؤمنين أفسدت لذته ونغصت حياته ثم ان نزهة الزمان قالت لشركان وكم فى هذا الباب من النصائح وانى لأعجز عن الاتيان بجميع ما فى هذا الباب فى مجلس واحد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والستون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لشركان وكم فى هذا الباب من النصائح وانى لأعجز عن الاتيان لك بجميع ما فى هذا الباب فى مجلس واحد ولكن على طول الايام يا ملك الزمان يكون خيرا فقالت القضاة أيها الملك ان هذه الجارية أعجوبة الزمان ويتيمة العصر والاوان فاننا ما رأينا ولا سمعنا بمثلها فى زمن من الأزمان ثم انهم دعوا للملك وانصرفوا فعند ذلك التفت شركان الى خدامه وقال لهم اشرعوا فى عمل العرس وهيؤا الطعام من جميع الالوان فامتثلوا أمره فى الحال وهيؤا جميع الاطعمة وأمر نساء الامراء والوزراء وأرباب الدولة أن لا ينصرفوا حتى يحضروا الجلاء والعرس فما جاء وقت

العصر حتى مدوا السفرة بما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وأكل جميع الناس حتى اكتفوا وأمر الملك أن تحضر كل مغنية فى دمشق فحضرن وكذلك جوارى الملك اللاتى يعرفن الغناء وطلع جميعهن الى القصر فلما أتى المساء وأظلم الظلام أوقدوا الشموع من باب القلعة الى باب القصر يمينا وشمالا ومشى الامراء والوزراء والكبراء بين يدى الملك شركان وأخذت المواشط الصبية لتزينها وتلبسها فرأينها لا تحتاج الى زينة وكان الملك شركان قد دخل الحمام فلما خرج جلس على المنصة وجليت عليه العروس ثم خففوا عنها ثيابها وأوصوها بما توصى به البنات ليلة الزفاف ودخل عليها شركان وأخذ وجهها وعلقت منه فى تلك الليلة وأعلمته بذلك ففرح فرحا شديدا وأمر الحكماء أن يكتبوا تاريخ الحمل فلما أصبح جلس على الكرسى وطلع له أرباب دولته وهنوه وأحضر كاتب سره وأمره أن يكتب كتابا لوالده عمر النعمان بأنه اشترى جارية ذات علم وأدب قد حوت فنون الحكمة وانه لابد من ارسالها الى بغداد لتزور أخاه ضوء المكان وأخته نزهة الزمان وانه أعتقها وكتب كتابه عليها ودخل بها وحملت منه ثم ختم الكتاب وأرسله الى أبيه صحبة بريد فغاب ذلك البريد شهرا كاملا ثم رجع اليه بالجواب وناوله اياه فأخذه وقرأه فاذا فيه بعد البسملة هذا من عند الحائر الولهان الذى فقد الولدان وهجر الاوطان الملك عمر النعمان الى ولده شركان اعلم انه بعد مسيرك من عندى ضاق علىّ المكان حتى لا أستطيع صبرا ولا أقدر أن أكتم سرا وسبب ذلك انى ذهبت الى الصيد والقنص وكان ضوء المكان قد طلب منى الذهاب الى الحجاز فخفت عليه نوائب الزمان ومنعته من السفر الى العام الثانى أو الثالث فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والستون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك عمر النعمان قال فى مكتوبه فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا فلما أتيت وجدت أخاك وأختك أخذا شيأ من المال وسافرا مع الحجاج خفية فلما علمت بذلك ضاق بى الفضاء وقد انتظرت مجىء الحجاج لعلهما يجيئان معهم فلما جاء الحجاج سألت عنهما فلم يخبرنى أحد بخبرهما فلبست لاجلهما ثياب الحزن وأنا مرهون الفؤاد عديم الرقاد غريق دمع العين ثم أنشد هذين البيتين

خيالهما عندى وليس بغائب * جعلت له فى القلب أشرف موضع
ولولا رجاء العود ماعشت ساعة * ولولا خيال الطيف لم أتهجع

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك وعلى من عندك أعرّفك انك لاتتهاون فى كشف الاخبار فانّ هذا علينا عار فلما قرأ الكتاب حزن على أبيه وفرح لفقد أخته وأخيه وأخذ الكتاب ودخل به على زوجته نزهة الزمان ولم يعلم انها أخته وهى لا تعلم انه أخوها مع انه

يتردد

يتردد عليها ليلا ونهارا الى أن كملت أشهرها وجلست على كرسي الطلق فسهل الله عليها الولادة فولدت بنتا فأرسلت تطلب شركان فلما رآه قالت له هذه بنتك فسمها ماتريد فقال عادة الناس أن يسموا أولادهم فى سابع يوم ولادتهم ثم انحنى شركان على ابنته وقبلها فوجد فى عنقها خرزة معلقة من الثلاث خرزات التى جاءت بها الملكة ابريزة من بلاد الروم فلما عاين الخرزة معلقة فى عنق ابنته غاب عقله واشتد به الغيظ وحلق عينيه فى الخرزة حتى عرفها حق المعرفة ثم نظر الى نزهة الزمان وقال لها من أين جاءتك هذه الخرزة ياجارية فلما سمعت من شركان ذلك الكلام قالت له أنا سيدتك وسيدة كل من فى قصرك أما تستحى وأنت تقول ياجارية وأنا ملكة بنت ملك والآن زال الكتمان واشتهر الامر وبان أنا نزهة الزمان بنت الملك عمر النعمان فلما سمع منها هذا الكلام لحقه الارتعاش وأطرق برأسه الى الارض وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة التاسعة والستون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان شركان لما سمع هذا الكلام ارتجف قلبه واصفر لونه ولحقه الارتعاش وأطرق برأسه الى الارض وعرف انها أخته من أبيه فغاب عن الدنيا فلما أفاق صار يتعجب ولكنه لم يعرفها بنفسه وقال لها ياسيدتى هل أنت بنت الملك عمر النعمان قالت نعم فقال لها وماسبب فراقك لابيك وبيعك فحكت له جميع ماوقع من الاول الى الآخر وأخبرته انها تركت أخاها مريضا فى بيت المقدس وأخبرته باختطاف البدوى لها وبيعه اياها للتاجر فلما سمع شركان ذلك الكلام تحقق انها اخته من أبيه وقال فى نفسه كيف أتزوج باختى لكن أنا أزوجها الواحد من حجابى واذا ظهر أمر أدعى اننى طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يانزهة الزمان أنت اختى حقيقة واستغفر الله من هذا الذنب الذى وقعنا فيه فاننى أنا شركان ابن الملك عمر النعمان فنظرت اليه وتأملته فعرفته فلما عرفته غابت عن صوابها وبكت ولطمت وجهها وقالت قد وقعنا فى ذنب عظيم ماذا يكون العمل وما أقول لابى وأمى اذا قالا لى من أين جاءتك هذه البنت فقال شركان الرأى عندى أن أزوجك بالحاجب وأدعك تربى بنتى فى بيته بحيث لايعلم أحد بانك اختى وهذا الذى قدره الله علينا الامر أراده فما يسترنا الا زواجك بهذا الحاجب قبل أن يدرى أحد ثم صار يأخذ بخاطرها ويقبل رأسها فقالت له وماتسمى البنت قال أسميها قضى فكان ثم زوجها للحاجب الكبير ونقلها الى بيته هى وبنتها فربوها على أكتاف الجوارى وواظبوا عليها بالاشربة وأنواع السفوف هذا كله وأخوها ضوء المكان مع الوقاد بدمشق فاتفق انه أقبل بريد يوما من الايام من عند الملك عمر النعمان الى الملك شركان ومعه كتاب فأخذه وقرأه فرأى فيه بعد البسملة

اعلم أيها الملك العزيز انى حزين حزنا شديدا على فراق الاولاد وعدمت الرقاد ولازمنى السهاد وقد أرسلت هذا الكتاب اليك حال حصوله بين يديك ترسل الينا الخراج وترسل صحبته الجارية التى اشتريتها وتزوجت بها فانى أحببت أن أراها وأسمع كلامها لانه جاءنا من بلاد الروم عجوز من الصالحات وصحبتها خمس جوار نهد أبكار وقد حازوا من العلم والادب وفنون الحكمة ما يجب على الانسان معرفته ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان فانهن حزن أنواع العلم والفضيلة والحكمة فلما رأيتهن أحببتهن وقد اشتهيت أن يكن فى قصرى وفى ملك يدى لانه لا يوجد لهن نظير عند سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنهن فقالت لا أبيعهن الا بخراج دمشق وأنا والله أرى خراج دمشق قليلا فى ثمنهن فان الواحدة منهن تساوى أكثر من هذا المبلغ فاجبتها الى ذلك ودخلت بهن قصرى وبقين فى حوزى فعجل لنا بالخراج لاجل أن تسافر المرأة الى بلادها وارسل الينا الجارية لاجل أن تناظرهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للسبعين﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك عمر النعمان قال فى مكتوبه وارسل الينا الجارية لاجل أن تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن أرسلتها اليك وصحبتها خراج بغداد فلما علم ذلك شركان أقبل على صهره وقال له هات الجارية التى زوجتك اياها فلما حضرت أوقفها على الكتاب وقال لها يا أختى ما عندك من الرأى فى رد الجواب قال له الرأى رأيك ثم قالت له وقد اشتاقت الى أهلها ووطنها أرسلنى صحبة زوجى الحاجب لاجل أن أحكى لابى حكايتى وأخبره بما وقع لى مع البدوى الذى باعنى للتاجر وأخبره بأن التاجر باعنى لك وزوجتنى للحاجب بعد عتقى فقال لها شركان وهو كذلك ثم أخذ ابنته قضى فكان وسلمها للمراضع والخدم وشرع فى تجهيز الخراج وأمر الحاجب أن يأخذ الخراج والجارية صحبته ويتوجه الى بغداد فأجابه الحاجب بالسمع والطاعة فأمر له بمحفة يجلس فيها وللجارية بمحفة أيضا ثم كتب كتابا وسلمه للحاجب وودع نزهة الزمان وكان قد أخذ منها الخرزة وجعلها فى عنق ابنته فى سلسلة من خالص الذهب ثم سافر الحاجب فى تلك الليلة فاتفق انه خرج ضوء المكان هو والوقاد فى تلك الليلة يتفرجان فرأيا جمالا وبغالا ومحملة ومشاعل وفوانيس مضيئة فسأل ضوء المكان عن هذه الاحمال وعن صاحبها فقال هذا خراج دمشق مسافرا الى الملك عمر النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن رئيس هذه المحامل قيل هو الحاجب الكبير الذى تزوج الجارية التى تعلمت العلم والحكمة فعند ذلك بكى بكاء شديدا وتذكر أمه وأباه وأخته ووطنه وقال للوقاد ما بقى لى قعود هنا بل أسافر مع هذه القافلة وأمشى قليلا قليلا حتى أصل

الى

الى بلادي فقال له الوقاد أنا ما أمنت عليك من القدس الى دمشق فكيف آمن عليك الى بغداد فأنا أكون معك حتى تصل الى مقصدك فقال ضوء المكان حبا وكرامة فشرع الوقاد في تجهيز حاله ثم شدّ الحمار وجعل خرجه عليه ووضع فيه شيأ من الزاد وشدّ وسطه ومازال على أهبة حتى جازت عليه الاحمال والحاجب راكب على هجين والمشاة حوله وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد اركب معي فقال لا اركب ولكن أكون في خدمتك فقال ضوء المكان لابدّ أن تركب ساعة فقال له اذا تعبت اركب ساعة ثم ان ضوء المكان قال للوقاد يا أخي سوف تنظر ما أفعل بك اذا وصلت الى أهلي ومازالوا مسافرين الى أن طلعت الشمس فلما اشتدّ عليهم الحرّ أمرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا وسقوا جمالهم ثم أمرهم بالمسير وبعد خمسة أيام وصلوا الى مدينة حماه ونزلوا وأقاموا بها ثلاثة أيام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

❋فلما كانت الليلة الحادية والسبعون❋ قالت بلغني أيها الملك السعيد انهم أقاموا في مدينة حماه ثلاثة أيام ثم سافروا ومازالوا مسافرين حتى وصلوا مدينة أخرى فأقاموا بها ثلاثة أيام ثم سافروا حتى وصلوا الى ديار بكر وهبّ عليهم نسيم بغداد فتذكر ضوء المكان أخته نزهة الزمان وأباه وأمّه ووطنه وكيف يرجع الى أبيه بغير أخته فبكى وأنّ واشتكى واشتدّت به الحسرات فأنشد هذه الابيات

خليليّ كم هذا التأني وأصبر ❋ ولم يأتني منكم رسول يخبر
ألا ان أيام الوصال قصيرة ❋ فياليت أيام التفرّق تقصر
خذوا بيدي ثم ارحموا لصبابة ❋ تلاشى بها جسمي وان كنت أصبر
فان تطلبوا مني سلوّا اقل لكم ❋ فوالله ماسلوا الى حين احشر

فقال له الوقاد اترك هذا البكاء والانين فاننا قريب من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان لابدّ من انشادي شيأ من الشعر لعلّ نار قلبي تنطفي فقال له الوقاد بالله عليك أن تترك الحزن حتى تصل الى بلادك وافعل بعد ذلك ماشئت وأنا معك حيثما كنت فقال ضوء المكان والله لا أفتر عن ذلك ثم التفت بوجهه الى ناحية بغداد وكان القمر مضيأ وكانت نزهة الزمان لم تنم تلك الليلة لانها تذكرت أخاها ضوء المكان فقلقت وصارت تبكي فبينما هي تبكي اذ سمعت أخاها ضوء المكان يبكي وينشد هذه الابيات

لمع البرق اليماني ❋ فشجاني ماشجاني
من حبيب كان عندي ❋ ساقيا كاس التهاني

ياوميض البرق هل تر * جع أيام التداني
ياعذولي لاتلمني * ان ربي قد بلاني
بحبيب غاب عني * وزمان قد دهاني
قد نأت نزهة قلبي * عندما ولى زماني
وحوى لي الهم صرفا * وبكاس قد سقاني
وأراني ياخليلي * مت من قبل التداني
يازمانا للتصابي * عد قريبا بالاماني
في سرور مع أمان * من زمان قد رماني
من لمسكين غريب * بات مرعوب الجنان
صار في الحزن فريدا * بعد نزهات الزمان
حكمت فينا برغم * كف أولاد الزواني

فلما فرغ من شعره صاح وخر مغشيا عليه هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر نزهة الزمان فانها كانت ساهرة في تلك الليلة لانها تذكرت أخاها في ذلك المكان فلما سمعت ذلك الصوت بالليل ارتاح فؤادها وقامت وتنحنحت ودعت الخادم فقال لها ما حاجتك فقالت له قم وائتني بالذي ينشد هذه الاشعار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والسبعون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت من أخيها الشعر دعت الخادم الكبير وقالت له اذهب وائتني بمن ينشد هذه الاشعار فقال لها اني لم أسمعه ولم أعرفه والناس كلهم نائمون فقالت له كل من رأيته مستيقظا فهو الذي ينشد الاشعار ففتش فلم ير مستيقظا سوى الرجل الوقاد وأما ضوء المكان فانه كان في غشيته فلما رأى الوقاد الخادم واقفا على رأسه خاف منه فقال له الخادم هل أنت الذي كنت تنشد الشعر وقد سمعتك سيدتنا فاعتقد الوقاد ان السيدة اغتاظت من الانشاد فخاف وقال له والله ما هو أنا فقال له الخادم ومن الذي كان ينشد الشعر فدلني عليه فانك تعرفه لانك يقظان فخاف الوقاد على ضوء المكان وقال في نفسه ربما يضره الخادم بشيء فقال لم أعرفه فقال له الخادم والله انك تكذب فانه ما هنا قاعد الا أنت فأنت تعرفه فقال الوقاد أنا أقول لك الحق ان الذي كان ينشد الاشعار رجل عابر طريق وهو الذي أزعجني وأقلقني فالله يجازيه فقال له الخادم اذا كنت تعرفه فدلني عليه وأنا أمسكه وآخذه الى باب المحفة التي فيها سيدتنا أو امسكه أنت بيدك فقال له اذهب أنت حتى آتيك به فتركه الخادم وانصرف ودخل واعلم سيدته بذلك وقال ما أحد يعرفه لانه عابر سبيل فسكتت

ثم ان ضوء المكان لما أفاق من غشيته رأى القمر وصل الى وسط السماء وهب عليه نسيم الاسحار فهيج فى قلبه البلابل والاشجان لحسن صوته وأراد أن ينشد فقال له الوقاد ماذا تريد أن تصنع فقال له أريد ان أنشد شيأ من الشعر لاطفىء به نار قلبي قال له انت ما علمت بما جرى لى وما سلمت من القتل الا بأخذ خاطر الخادم فقال له ضوء المكان وماذا جرى فاخبرنى بما وقع فقال يا سيدى قد أتانى الخادم وأنت مغشى عليك ومعه عصا طويلة من اللوز وجعل يتطلع فى وجوه الناس وهم نائمون ويسأل على من كان ينشد الاشعار فلم يجد من هو مستيقظ غيرى فسألنى فقلت له انه عابر سبيل فانصرف وسلمنى الله منه والا كان قتلنى فقال لى اذا سمعته ثانيا فأت به عندنا فلما سمع ضوء المكان ذلك بكى وقال من يمنعنى من الانشاد فأنا انشد ويجرى على ما يجرى فانى قربت من بلادى وما أبالى بأحد فقال له الوقاد انت ما مرادك الا هلاك نفسك فقال له ضوء المكان لابد من انشادى فقال له الوقاد قد وقع الفراق بينى وبينك من هنا وكان مرادى أن لا أفارقك حتى تدخل مدينتك وتجتمع بأبيك وأمك وقد مضى لك عندى سنة ونصف ما حصل لك منى ما يضرك فما سبب انشادك الشعر ونحن فى غاية التعب من المشى والسهر والناس قد هجعوا يستريحون من التعب ومحتاجون الى النوم فقال ضوء المكان لا أرجع عما أنا فيه ثم هزته الاشجان فباح بالكتمان وجعل ينشد هذه الابيات

قف بالديار وحى الاربع الدرسا * ونادها فعساها أن تجيب عسى
فان أجنك ليل من توحشها * أوقد من الشوق فى ظلمائها قبسا
ان صل صل عذاريه فلا عجب * ان يجن لسعا وانى أجتنى لعسا
يا جنة فارقتها النفس مكرهة * لولا التأسى بدار الخلد مت أسى

وأنشد أيضا هذين البيتين

كنا وكانت لنا الايام خادمة * والشمل مجتمع فى أبهج الوطن
من لى بدار أحبائى وكان بها * ضوء المكان وفيها نزهة الزمن

فلما فرغ من شعره صاح ثلاث صيحات ثم وقع مغشيا عليه فقام الوقاد وغطاه فلما سمعت نزهة الزمان ما أنشده من الاشعار المتضمنة لذكر اسمها واسم أخيها ومعاهدهما بكت وصاحت على الخادم وقالت له ويلك ان الذى أنشد أولا أنشد ثانيا وسمعته قريبا منى والله ان لم تأتنى به لأنبهن عليك الحاجب فيضربك ويطردك ولكن خذ هذه المائة دينار واعطه اياها وائتنى به برفق ولا تضره فان أبى فادفع له هذا الكيس الذى فيه ألف دينار فان أبى فاتركه واعرف مكانه وصنعته ومن أى البلاد هو وارجع الى بسرعة ولا تغب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن

الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان أرسلت الخادم يفتش عليه وقالت له اذا وجدته فلاطفه وائتني به برفق ولا تعب فخرج الخادم يتأمل في الناس ويدوس بينهم وهم نائمون فلم يجد أحدا مستيقظا فجاء الى الوقاد فوجده قاعدا مكشوف الرأس فدنا منه وقبض على يده وقال له أنت الذي كنت تنشد الشعر فخاف على نفسه وقال لا والله يامقدم القوم ماهو أنا فقال له الخادم لا أتركك حتى تدلني على من كان ينشد الشعر لاني لا أقدر على الرجوع الى سيدتي من غيره فلما سمع الوقاد كلام الخادم خاف على ضوء المكان وبكى بكاء شديدا وقال للخادم والله ماهو أنا وانما سمعت انسانا عابر سبيل ينشد فلا تدخل في خطيئتي فاني غريب وجئت من بلاد القدس والخليل معكم فقال الخادم للوقاد قم أنت معي الى سيدتي وأخبرها بفمك فاني ما رأيت أحدا مستيقظا غيرك فقال له الوقاد أما جئت ورأيتني في الموضع الذي أنا قاعد فيه وعرفت مكاني وما أحد يقدر أن ينفك عن موضعه الا أمسكته الحرس فامض أنت الى مكانك فان بقيت تسمع أحدا في هذه الساعة ينشد شيأ من الشعر سواء كان بعيدا أو قريبا فلا تعرفه الا مني ثم باس رأس الخادم وأخذ بخاطره فتركه الخادم ودار دورة وخاف أن يرجع الى سيدته بلا فائدة فاستتر في مكان قريب من الوقاد فقام الوقاد الى ضوء المكان ونبهه وقال له قم اقعد حتى أحكي لك ماجرى وحكى له ماوقع فقال له دعني فاني لا أبالي بأحد فان بلادي قريبة فقال الوقاد لضوء المكان لاي شيء أنت مطاوع نفسك وهواك ولا تخاف من أحد وأنا خائف على روحي وروحك فبالله عليك انك لا تتكلم بشيء من الشعر حتى تدخل بلدك وأنا ما كنت أظنك على هذه الحالة أما علمت ان زوجة الحاجب تريد زجرك لانك أقلقتها وكأنها ضعيفة أو تعبانة من السفر وكم مرة وهي ترسل الخادم يفتش عليك فلم يلتفت ضوء المكان الى كلام الوقاد بل صاح ثالثا وأنشد هذه الابيات

ترکت کل لائم * ملامه أقلقني
يعذلني ومادري * بأنه حرضني
قال الوشاة قد سلا * قلت لحب الوطن
قالوا فما أحسنه * قلت فما أعشقني
قالوا فما أعزه * قلت فما أذلني
هيهات ان أتركه * لوذقت كاس الشجن
وما أطعت لائما * لي في الهوى يعذلني

وكان الخادم يسمعه وهو مستخف فما فرغ من شعره الا والخادم على رأسه فلما رآه الوقاد فر ووقف بعيدا ينظر ما يقع بينهما فقال الخادم السلام عليكم يا سيدى فقال ضوء المكان وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال الخادم يا سيدى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الخادم قال لضوء المكان يا سيدى انى أتيت اليك فى هذه الليلة ثلاث مرات لان سيدتى تطلبك عندها قال ومن أين هذه الكلبة حتى تطلبنى مقتها الله ومقت زوجها معها ونزل فى الخادم شتما فما قدر الخادم أن يرد عليه جوابا لان سيدته أوصته انه لا يأتى به الا باختياره هو فان لم يأت معه يعطه المائة دينار فجعل الخادم يلين له الكلام ويقول له يا ولدى نحن ما أخطأنا معك ولا جرنا عليك فالقصد ان تصل بخطواتك الكريمة الى سيدتنا وترجع فى خير وسلامة ولك عندنا بشارة فلما سمع ذلك الكلام قام ومشى بين الناس والوقاد ماش خلفه وناظر اليه ويقول فى نفسه يا خسارة شبابه فى غد يشنقونه وما زال الوقاد ماشيا حتى قرب من مكانهم وقال ما أخسه ان كان يقول على هو الذى قال لى انشد الاشعار هذا ما كان من أمر الوقاد وأما ما كان من أمر ضوء المكان فانه ما زال ماشيا مع الخادم حتى وصل الى المكان ودخل الخادم على نزهة الزمان وقال لها قد جئت بما تطلبينه وهو شاب حسن الصورة وعليه أثر النعمة فلما سمعت ذلك خفق قلبها وقالت له أمره أن ينشد شيأ من الشعر حتى أسمعه من قرب وبعد ذلك فاسأله عن اسمه ومن أى البلاد هو فخرج الخادم اليه وقال له انشد شيأ من الشعر حتى تسمعه سيدتى فانها حاضرة بالقرب منك واخبرنى عن اسمك وبلدك وحالك فقال حبا وكرامة ولكن حيث سألتنى عن اسمى فانه محى ورسمى فنى وجسمى بلى ولى حكاية تكتب بالابر على آماق البصر وها أنا فى منزلة السكران الذى أكثر من الشراب وحلت به الاوصاب فتاه عن نفسه واحتار فى أمره وغرق فى بحر الافكار فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام بكت وزادت فى البكاء والانين وقالت للخادم قل له هل فارقت احدا ممن تحب مثل أمك وأبيك فسأله الخادم كما أمرته نزهة الزمان فقال ضوء المكان نعم فارقت الجميع وأعزهم عندى أختى التى فرق الدهر بينى وبينها فلما سمعت نزهة الزمان منه هذا الكلام قالت الله يجمع شمله بمن يحب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت كلامه قالت الله يجمع شمله بمن يحب ثم قالت للخادم قل له أسمعنا شيأ من الاشعار المتضمنة لشكوى الفراق فقال له الخادم كما أمرته سيدته فصعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

ليت شعرى لو دروا * أىّ قلب ملكوا
وفؤادى لو درى * أىّ شعب سلكوا
أتراهم سلموا * أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى * فى الهوى وارتبكوا

وأنشد أيضا هذه الابيات

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وعند ماعن لقيانا تجافينا
بنتم و بنافما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولاجفت مآقينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغصّ فقال الدهر آمينا
ان الزمان الذى مازال يضحكنا * انسا بقربكم قدعاد يبكينا
ياجنة الخلد بدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا

ثم سكب العبرات وأنشد هذه الابيات

لله نذر ان أزر مكانى * وفيه أختى نزهة الزمان
لأقضين بالصفا زمانى * مابين غيد خرّد حسان
وصوت عود مطرب الالحان * مع ارتضاع كأس بنت الحان
ورشف ألمى فاتر الاجفان * بشط نهر سال فى بستان

فلما فرغ من شعره وسمعته نزهة الزمان كشفت ذيل الستارة عن المحفة ونظرت اليه فلما وقع بصرها على وجهه عرفته غاية المعرفة فصاحت قائلة ياأخى ياضوء المكان فرفع بصره اليها فعرفها وصاح قائلا ياأختى يانزهة الزمان فألقت نفسها عليه فتلقاها فى حضنه ووقع الاثنان مغشيا عليهما فلما رآهما الخادم على تلك الحالة تعجب فى أمرهما وألقى عليهما شيأ سترهما به وصبر عليهما حتى أفاقا فلما أفاقا من غشيتهما فرحت نزهة الزمان غاية الفرح وزال عنها الهم والترح وتوالت عليها المسرّات وأنشدت هذه الابيات

الدهر أقسم لايزال مكدرى * حنثت يمينك يازمان فكفر
السعد وافى والحبيب مساعدى * فانهض الى داعى السرور وشمر
ما كنت أعتقد السوالف جنة * حتى ظفرت من اللمى بالكوثر

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضم أخته الى صدره وفاضت لفرط سروره من أجفانه العبرات وأنشد هذه الابيات

ولقد ندمت على تفرق شملنا * ندما أفاض الدمع من أجفانى

ونذرت

ونذرت ان عاد الزمان يلمنا * لاعدت اذكر فرقة بلساني
هجم السرور علىّ حتى انه * من فرط ماقد سرني أبكاني
ياعين صار الدمع عندك عادة * تبكين من فرح ومن أحزان

وجلسا على باب المحفة ساعة ثم قالت قم داخل المحفة واحك لى ماوقع لك وأنا أحكي لك ماوقع لى فقال ضوء المكان احكي لى أنت أولا فحكت له جميع ماوقع لها منذ فارقته من الخان وماوقع لها من البدوى والتاجر وكيف اشتراها منه وكيف أخذها التاجر الى أخيها شركان وباعها له وان شركان أعتقها من حين اشتراها وكتب كتابه عليها ودخل بها وان الملك أبوها سمع بخبرها فأرسل الى شركان يطلبها منه ثم قالت له الحمد لله الذى منّ علىّ بك ومثل ماخرجنا من عند والدنا سواء نرجع اليه سواء ثم قالت له ان أخى شركان زوجنى بهذا الحاجب لاجل أن يوصلني الى والدى وهذا ماوقع لى من الاول الى الآخر فاحك لى أنت ماوقع لك بعد ذهابى من عندك فحكى لها جميع ماوقع له من الاول الى الآخر وكيف منّ الله عليه بالوقاد وكيف سافر معه وانفق عليه ماله وانه كان يخدمه فى الليل والنهار فشكرته على ذلك ثم قال لها يا اختى ان هذا الوقاد فعل معى من الاحسان فعلا لا يفعله أحد فى أحد من أحبابه ولا الوالد مع ولده حتى كان يجوع ويطعمني ويمشي ويركبني وكانت حياتى على يده فقالت له نزهة الزمان ان شاء الله تعالى نكافئه بما نقدر عليه ثم ان نزهة الزمان صاحت على الخادم فحضر وقبل يد ضوء المكان وقالت له نزهة الزمان خذ بشارتك ياوجه الخير لانه كان جمع شملي بأخي على يديك فالكيس الذى معك ومافيه لك فاذهب واتني بسيدك عاجلا ففرح الخادم وتوجه الى الحاجب ودخل عليه ودعاه الى سيدته فأتى به ودخل على زوجته نزهة الزمان فوجد عندها اخاها فسأل عنه فحكت له ماوقع لهما من أوله الى آخره ثم قالت اعلم أيها الحاجب انك ما أخذت جارية وانما أخذت بنت الملك عمر النعمان فأنا نزهة الزمان وهذا أخي ضوء المكان فلما سمع الحاجب القصة منها تحقق ماقالته وبان له الحق الصريح وتيقن انه صار صهر الملك عمر النعمان فقال فى نفسه مصيرى أن آخذ نيابة على قطر من الاقطار ثم أقبل على ضوء المكان وهناه بسلامته وجمع شمله باخته ثم أمر خدمه فى الحال أن يهيؤا لضوء المكان خيمة ومركوبا من أحسن الخيل فقالت له اخته انا قد قربنا من بلادنا فأنا أختلى بأخي ونستريح مع بعضنا ونشبع من بعضنا قبل أن نصل الى بلادنا فان لنا زمانا طويلا ونحن مفترقون فقال الحاجب الامر كما تريدين ثم أرسل اليهما الشموع وأنواع الحلاوة وخرج من عندهما وأرسل الى ضوء المكان ثلاث بدلات من أفخر الثياب وتمشى الى أن جاء الى المحفة وعرف مقدار نفسه فقالت له نزهة الزمان ارسل الى الخادم وأمره أن يأتى بالوقاد ويهيء له حصانا يركبه ويرتب له

سفرة طعام فى الغداة والعشى ويأمره انه لا يفارقنا فعند ذلك أرسل الحاجب الى الخادم وأمره أن يفعل ذلك فقال سمعا وطاعة ثم ان الخادم أخذ غلمانه وذهب يفتش على الوقاد الى أن وجده فى آخر الركب وهو يشد حماره ويريد أن يهرب ودموعه تجرى على خده من الخوف على نفسه ومن حزنه على فراق ضوء المكان وصار يقول نصحته فى سبيل الله فلم يسمع منى يا ترى كيف حاله فلم يتم كلامه الا والخادم واقف على رأسه ودارت حوله الغلمان فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا فوق رأسه ورأى الغلمان حوله فاصفر لونه وخاف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والسبعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوقاد لما أراد أن يشد حماره ويهرب وصار يكلم نفسه ويقول يا ترى كيف حاله فما تم كلامه الا والخادم واقف على رأسه والغلمان حوله فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقف على رأسه فارتعدت فرائصه وخاف وقال وقد رفع صوته بالكلام انه ما عرف مقدار ما عملته معه من المعروف فاظن انه غمز الخادم وهؤلاء الغلمان على وانه أشركنى معه فى الذنب واذا بالخادم صاح عليه وقال له من الذى كان ينشد الاشعار يا كذاب كيف تقول لى أنا ما أنشدت الاشعار ولا أعرف من أنشدها وهو رفيقك فأنا لا أفارقك من هنا الى بغداد والذى يجرى على رفيقك يجرى عليك فلما سمع الوقاد كلامه قال فى نفسه ما خفت منه وقعت فيه ثم أنشد هذا البيت

كان الذى خفت أن يكونا ✻ انا الى الله راجعونا

ثم ان الخادم صاح على الغلمان وقال لهم أنزلوه عن الحمار فانزلوا الوقاد عن حماره وأتوا له بحصان فركبه ومشى صحبة الركب والغلمان حوله محدقون به وقال لهم الخادم ان عدم منه شعرة كانت بواحد منكم ولكن اكرموه ولا تهينوه فلما رأى الوقاد الغلمان حوله يئس من الحياة والتفت الى الخادم وقال له يا مقدم أنا مالى اخوة ولا اقرايب وهذا الشاب لا يقرب لى ولا أنا أقرب له وانما أنا رجل وقاد فى حمام ووجدته ملقى على المزبلة مريضا وصار الوقاد يبكى ويحسب فى نفسه ألف حساب والخادم ماش بجانبه ولم يعرفه بشئ بل يقول له قد أقلقت سيدتنا بانشادك الشعر أنت وهذا الصبى ولا تخاف على نفسك وصار الخادم يضحك عليه سرا واذا نزلوا أتاهم الطعام فيأكل هو والوقاد فى آنية واحدة فاذا أكلوا أمر الخادم الغلمان أن يأتوا بقلة سكر فيشرب منها ويعطيها للوقاد فيشرب لكنه لم تنشف له دمعة من الخوف على نفسه والحزن على فراق ضوء المكان وعلى ما وقع لهما فى غربتهما وهما سائران والحاجب تارة يكون على باب المحفة لاجل خدمة ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان ونزهة الزمان وتارة يلاحظ الوقاد وصارت نزهة الزمان وأخوها ضوء المكان فى حديث وشكوى ولم يزالا على تلك الحالة وهم سائرون حتى قربوا من البلاد

البلاد ولم يبق بينهم وبين البلاد الا ثلاثة أيام فنزلوا وقت المساء واستراحوا ولم يزالوا نازلين الى أن لاح الفجر فاستيقظوا وأرادوا أن يحملوا واذا بغبار عظيم قد لاح لهم وأظلم الجو منه حتى صار كالليل الداجي فصاح الحاجب قائلا امهلوا ولا تحملوا وركب هو ومماليكه وساروا نحو ذلك الغبار فلما قربوا منه بان من تحته عسكر جرار كالبحر الزخار وفيه رايات واعلام وطبول وفرسان وأبطال فتعجب الحاجب من أمرهم فلما رآهم العسكر افترقت منه فرقة قدر خمسمائة فارس وأتوا الى الحاجب هو ومن معه وأحاطوا بهم وأحاطت كل خمسة من العسكر بمملوك من مماليك الحاجب فقال لهم الحاجب أي شيء الخبر ومن أين هذه العساكر حتى تفعل معنا هذه الافعال فقالوا له من أنت ومن أين أتيت والى أين تتوجه فقال لهم أنا حاجب أمير دمشق الملك شركان بن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وأرض خراسان أتيت من عنده بالخراج والهدية متوجها الى والده ببغداد فلما سمعوا كلامه ارخوا مناديلهم على وجوههم وبكوا وقالوا له ان الملك عمر النعمان قد مات ومامات الا مسموما فتوجه وما عليك بأس حتى تجتمع بوزيره الاكبر الوزير دندان فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديدا وقال يا خيبتنا في هذه السفره وسار يبكي هو ومن معه الى أن اختلطوا بالعسكر فاستأذنوا له الوزير دندان فأذن له وأمر الوزير بضرب خيامه وجلس على سرير في وسط الخيمة وأمر الحاجب بالجلوس فلما جلس سأله عن خبره فأعلمه انه حاجب أمير دمشق وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق فلما سمع الوزير دندان ذلك بكى عند ذكر الملك عمر النعمان ثم قال له الوزير دندان ان الملك عمر النعمان قد مات مسموما وبسبب موته اختلف الناس فيمن يولونه بعده حتى أوقعوا القتل في بعضهم ولكن منعهم عن بعضهم الاكابر والاشراف والقضاة الاربعة واتفق جميع الناس على ان ما أشار به القضاة الاربعة لا يخالفهم فيه أحد فوقع الاتفاق على اننا نسير الى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتي به ونسلطنه على مملكة أبيه وفيهم جماعة يريدون ولده الثاني وقالوا انه يسمى ضوء المكان وله أخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها الى أرض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما أحد على خبر فلما سمع الحاجب ذلك علم ان القضية التي وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت السلطان غما عظيما ولكنه فرح فرحا شديدا وخصوصا بمجيء ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد في مكان أبيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة السابعة والسبعون ﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان حاجب شركان لما سمع من الوزير دندان ما ذكره من خبر الملك عمر النعمان تأسف ولكنه فرح لزوجته

وأخيها ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد مكان أبيه ثم التفت الحاجب الى الوزير دندان وقال ان قصتكم من أعجب العجائب اعلم أيها الوزير الكبير انكم حيث صادفتمونى الآن أراحكم الله من التعب وقد جاءكم الامر كما تشتهون على أهون سبب لان الله ردّ اليكم ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان وانصلح الامر وهان فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحا شديدا ثم قال له أيها الحاجب اخبرنى بقصتهما و بما جرى لهما و بسبب غيابهما فحدّثه بحديث نزهة الزمان وانها صارت زوجته وأخبره بحديث ضوء المكان من أوله الى آخره فلما فرغ الحاجب من حديثه أرسل الوزير دندان الى الامراء والوزراء وأكابر الدولة وأطلعهم على القصة ففرحوا بذلك فرحا شديدا وتعجبوا من هذا الاتفاق ثم اجتمعوا كلهم وجاؤا عند الحاجب ووقفوا فى خدمته وقبلوا الارض بين يديه وأقبل الوزير من ذلك الوقت على الحاجب ووقف بين يديه ثم ان الحاجب عمل فى ذلك اليوم ديوانا عظيما وجلس هو والوزير دندان على تخت و بين أيديهما جميع الامراء والكبراء وأرباب المناصب على حسب مراتبهم ثم بلوا السكر فى ماء الورد وشربوا ثم قعد الامراء للمشورة وأعطوا بقية الجيش اذنا فى أن يركبوا مع بعضهم و يتقدموا قليلا قليلا حتى يتموا المشورة و يلحقوهم فقبلوا الارض بين يدى الحاجب وركبوا وقدامهم رايات الحرب فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر ثم أقبل الحاجب على الوزير دندان وقال له الرأى عندى أن أتقدم وأسبقكم لاجل أن أهيئ للسلطان مكانا يناسبه وأعلمه بقدومكم وانكم اخترتموه على أخيه شركان سلطانا عليكم فقال الوزير نعم الرأى الذى رأيته ثم نهض ونهض الوزير دندان تعظيما له وقدم له التقادم وأقسم عليه أن يقبلها وكذلك الامراء الكبار وأرباب المناصب قدموا له التقادم ودعوا له وقالوا له لعلك تحدث السلطان ضوء المكان فى أمرنا ليبقينا مستمرين فى مناصبنا فأجابهم لما سألوه ثم أمر غلمانه بالسير فأرسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وأمر الفراشين أن ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم فامتثلوا أمره وركب الحاجب وهو فى غاية الفرح وقال فى نفسه ما أبرك هذه السفرة وعظمت زوجته فى عينه وكذلك ضوء المكان ثم جد فى السفر الى أن وصل الى مكان بينه و بين المدينة مسافة يوم ثم أمر بالنزول فيه لاجل الراحة وتهيئة مكان لجلوس السلطان ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان ثم نزل من بعيد هو ومماليكه وأمر الخدام أن يستأذنوا السيدة نزهة الزمان فى أن يدخل عليها فاستأذنوها فى شأن ذلك فأذنت له فدخل عليها واجتمع بها و بأخيها وأخبرهما بموت أبيهما وان ضوء المكان جعله الرؤساء ملكا عليهم عوضا عن أبيه عمر النعمان وهنأهما بالملك فبكيا على فقد أبيهما وسألا عن سبب قتله فقال لهما الخبر مع الوزير دندان وفى غد يكون هو والجيش

والجيش كله فى هذا المكان ومابقى فى الامر أيها الملك الا أن تفعل ما أشاروا به لانهم كلهم اختاروك سلطانا وان لم تفعل سلطنوا غيرك وأنت لا تأمن على نفسك من الذى يتسلطن غيرك فربما يقتلك أو يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من أيديكما فأطرق برأسه ساعة من الزمان ثم قال قبلت هذا الامر لانه لا يمكن التخلى عنه وتحقق ان الحاجب تكلم بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب ياعم وكيف أعمل مع أخى شركان فقال ياولدى أخوك يكون سلطان دمشق وأنت سلطان بغداد فشد عزمك وجهز أمرك فقبل منه ضوء المكان ذلك ثم ان الحاجب قدم اليه البدلة التى كانت مع الوزير دندان من ملابس الملوك وناوله النمشة وخرج من عنده وأمر الفراشين أن يختاروا موضعا عاليا وينصبوا فيه خيمة واسعة عظيمة للسلطان ليجلس فيها اذا قدم عليه الامراء ثم أمر الطباخين أن يطبخوا الطعام ويحضروه وأمر السقايين أن ينصبوا أحياض الماء وبعد ساعة طار الغبار حتى سد الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار مثل البحر الزخار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الحاجب لما أمر الفراشين أن ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة الملوك فلما فرغوا من أشغالهم واذا بغبار قد طار ثم محق الهوى ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وتبين ان ذلك العسكر عسكر بغداد وخراسان ومقدمه الوزير دندان وكلهم فرحوا بسلطنة ضوء المكان وكان ضوء المكان لابسا خلعة الملك متقلدا بسيف الموكب فقدم له الحاجب الفرس فركب وسار هو ومماليكه وجميع من فى الخيام مشى فى خدمته حتى دخل القبة الكبيرة وجلس ووضع النمشة على فخذيه ووقف الحاجب فى خدمته بين يديه ووقفت مماليكه فى دهليز الخيمة وشهروا فى أيديهم السيوف ثم أقبلت العساكر والجيوش وطلبوا الاذن فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فأمر أن يدخلوا عليه عشرة عشرة فأعلمهم الحاجب بذلك فأجابوا بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز فدخلت عشرة منهم فشق بهم الحاجب فى الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان فلما رأوه هابوه فتلقاهم أحسن ملتقى ووعدهم بكل خير فهنوه بالسلامة ودعوا له وحلفوا له الايمان الصادقة انهم لا يخالفون له أمرا ثم قبلوا الارض بين يديه وانصرفوا ودخلت عشرة أخرى ففعل بهم مثل ما فعل بغيرهم ولم يزالوا يدخلون عشرة بعد عشرة حتى لم يبق غير الوزير دندان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه فقام اليه ضوء المكان وأقبل عليه وقال له مرحبا بالوزير والوالد الكبير ان فعالك فعل المشير العزيز والتدبير بيد اللطيف الخبير ثم ان الحاجب خرج فى تلك الساعة وأمر بمد السماط

وأمر باحضار العسكر جميعه فحضروا وأكلوا وشربوا ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان أأمر العسكر بالاقامة عشرة أيام حتى أختلى بك وتخبرني بسبب قتل أبي فامتثل الوزير قول السلطان وقال لابد من ذلك ثم خرج الى وسط الخيام وأمر العسكر بالاقامة عشرة أيام فامتثلوا أمره ثم ان الوزير أعطاهم اذنا انهم يتفرجون ولا يدخل أحد من أرباب الخدمة عند الملك مدة ثلاثة أيام فتضرع جميع الناس ودعوا لضوء المكان بدوام العز ثم أقبل عليه الوزير وأعلمه بالذي كان فصبر الى الليل ودخل على اخته نزهة الزمان وقال لها أعلمت بسبب قتل أبي ولم تعلمي بسببه كيف كان فقالت له لم أعلم سبب قتله ثم انها ضربت لها ستارة من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وأمر باحضار الوزير دندان فحضر بين يديه فقال له أريد أن تخبرني تفصيلا بسبب قتل أبي الملك عمر النعمان فقال الوزير دندان اعلم أيها الملك ان الملك عمر النعمان لما أتى من سفره الى الصيد والقنص وجاء الى المدينة سأل عنكما فلم يجدكما فعلم انكما قصدتما الحج فاغتم لذلك فازداد به الغيظ وضاق صدره وأقام نصف سنة وهو يستخبر عنكما كل شارد ووارد فلم يخبره أحد عنكما فبينما نحن بين أياديه يوما من الايام بعد ما مضى لكما سنة كاملة من تاريخ فقدكما واذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد أبكار كأنهن الاقمار وحوين من الحسن والجمال ما يعجز عن وصفه اللسان ومع كمال حسنهن يقرأن القرآن و يعرفن الحكمة وأخبار المتقدمين فاستأذنت تلك العجوز في الدخول على الملك فأذن لها فدخلت عليه وقبلت الارض بين يديه وكنت أنا جالسا بجانب الملك فلما دخلت عليه قربها اليه لما رأى عليها من آثار الزهد والعبادة فلما استقرت العجوز عنده أقبلت عليه وقالت له اعلم أيها الملك ان معي خمس جوار ما ملك أحد من الملوك مثلهن لانهن ذوات عقل وجمال وحسن وكمال يقرأن القرآن بالروايات و يعرفن العلوم وأخبار الامم السالفة وهن بين يديك واقفات في خدمتك يا ملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأ مما تعرفه من أخبار الناس الماضين والامم السابقين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأ مما تعرفه من أخبار الناس الماضين والامم السابقين فتقدمت واحدة منهن وقبلت الارض بين يديه وقالت اعلم أيها الملك انه ينبغي لذي الادب أن يجتنب الفضول و يتحلى بالفضائل وأن يؤدي الفرائض و يجتنب الكبائر و يلازم ذلك ملازمة من لو افرد عنه لهلك

واساس

وأساس الادب مكارم الاخلاق واعلم أن معظم أسباب المعيشة طلب الحياة والقصد من الحياة عبادة الله فينبغي أن تحسن خلقك مع الناس وأن لا تعدل عن تلك السنة فان أعظم الناس خطراً أحوجهم الى التدبير والملوك أحوج اليه من السوقة لان السوقة قد تفيض فى الامور من غير نظر فى العاقبة وان تبذل فى سبيل الله نفسك ومالك واعلم ان العدو خصم تخصمه بالحجة وتحترز منه وأما الصديق فليس بينك وبينه قاض يحكم غير حسن الخلق فاختر صديقك لنفسك بعد اختباره فان كان من اخوان الآخرة فليكن محافظا على اتباع ظاهر الشرع عارفا بباطنه على حسب الامكان وان كان من اخوان الدنيا فليكن حراً صادقا ليس بجاهل ولا شرير فان الجاهل أهل لان يهرب منه أبواه والكاذب لا يكون صديقا لان الصديق مأخوذ من الصدق الذى يكون ناشئا عن صميم القلب فكيف به اذا أظهر الكذب على اللسان واعلم أن اتباع الشرع ينفع صاحبه فاحبب أخاك اذا كان بهذه الصفة ولا تقطعه وان ظهر لك منه ما تكره فانه ليس كالمرأة يمكن طلاقها ومراجعتها بل قلبه كالزجاج اذا انصدع لا ينجبر ولله در القائل

احرص على صون القلوب من الاذى * فرجوعها بعد التنافر يعسر

ان القلوب اذا تنافر ودها * مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

قالت الجارية فى آخر كلامها وهى تشير اليهم ان أصحاب العقول قالوا خير الاخوان أشدهم فى النصيحة وخير الاعمال أجلها عاقبة وخير الثناء ما كان على أفواه الرجال وقد قيل لا ينبغى للعبد أن يغفل عن شكر الله خصوصا على نعمتين العافية والعقل وقيل من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ومن عظم صغائر المصائب ابتلاه الله بكبارها ومن أطاع الهوى ضيع الحقوق ومن أطاع الواشى ضيع الصديق ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه بك ومن بالغ فى الخصومة أثم ومن لم يحذر الحيف لم يأمن السيف وها أنا أذكر لك شيأ من آداب القضاة اعلم أيها الملك انه لا ينفع حكم بحق الا بعد التثبت وينبغى للقاضى أن يجعل الناس فى منزلة واحدة حتى لا يطمع شريف فى الجور ولا ييأس ضعيف من العدل وينبغى أيضا أن يجعل البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا وما شككت فيه اليوم فراجع فيه عقلك وتبين به رشدك لترجع فيه الى الحق فالحق فرض والرجوع الى الحق خير من التمادى على الباطل ثم اعرف الامثال وافقه المقال وسو بين الاخصام فى الوقوف وليكن نظرك على الحق موقوفا وفوض أمرك الى الله عز وجل واجعل البينة على من ادعى فان حضرت بينته أخذت له بحقه والا حلف المدعى عليه وهذا حكم الله واقبل شهادة عدول المسلمين بعضهم على بعض فان الله تعالى أمر الحكام أن تحكم بالظاهر وهو يتولى السرائر ويجب على

القاضي أن يجتنب القضاء عند شدة الالم والجوع وان يقصد بقضائه بين الناس وجه الله تعالى فان من خلصت نيته وأصلح ما بينه وبين نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس وقال الزهري ثلاث اذا كنّ في قاض كان منعزلا اذا أكرم اللئام وأحب المحامد وكره العزل وقد عزل عمر بن عبد العزيز قاضيا فقال له لم عزلتني فقال عمر قد بلغني عنك أن مقالك أكبر من مقامك وحكى أن الاسكندر قال لقاضيه اني وليتك منزلة واستودعتك فيها روحي وعرضي ومروءتي فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك وقال لطباخه انك مسلط على جسمي فارفق بنفسك فيه وقال لكاتبه انك متصرف في عقلي فاحفظني فيما تكتبه عني ثم تأخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للثمانين﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم تأخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وقبلت الارض بين يدي الملك والدك سبع مرات ثم قالت قال لقمان لابنه ثلاثة لا تعرف الا في ثلاثة مواطن لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند حاجتك اليه وقيل ان الظالم نادم وان مدحه الناس والمظلوم سليم وان ذمه الناس وقال الله تعالى لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقال عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى واعلم أيها الملك ان أعجب ما في الانسان قلبه لان به زمام أمره فان هاج به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه الاسى قتله الاسف وان عظم عنده الغضب اشتد به العطب وان سعد بالرضا أمن من السخط وان ناله الخوف شغله الحزن وان أصابته مصيبة ضمنه الجزع وان استفاد مالا ربما اشتغل به عن ذكر ربه وان غصته فاقة أشغله الهم وان أجهده الجزع أقعده الضعف فعلى كل حالة لا صلاح له الا بذكر الله واشتغاله بما فيه تحصيل معاشه وصلاح معاده وقيل لبعض العلماء من أشر الناس حالا قال من غلبت شهوته مروءته وبعدت في المعالي همته فاتسعت معرفته وضاقت معذرته وما أحسن ما قاله قيس

واني لأغنى الناس عن متكلف * يرى الناس ضلالا وما هو مهتدي
وما المال والاخلاق الا معارة * فكل بما يخفيه في الصدر مرتدي
اذا ما اتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تدخل من الباب تهتدي

ثم ان الجارية قالت وأما أخبار الزهد فقد قال هشام بن بشر قلت لعمر بن عبيد ما حقيقة الزهد فقال لي قد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الزاهد من لم ينس القبر والبلى وآثر ما يبقى على ما

مايغني ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه في الموتى وقيل ان أباذر كان يقول الفقر أحب الي من الغني والسقم أحب الي من الصحة فقال بعض السامعين رحم الله أباذر اما أنا فأقول من اتكل على حسن الاختيار من الله تعالى رضي بالحالة التي اختارها الله له وقال بعض الثقات صلى بنا ابن أبي أوفى صلاة الصبح فقرأ يا أيها المدثر حتى بلغ قوله تعالى فاذا نقر في الناقور خر ميتا ويروى أن ثابتا البناني بكى حتى كادت أن تذهب عيناه فجاؤا برجل يعالجه قال أعالجه بشرط أن يطاوعني قال ثابت في أي شيء قال الطبيب في أن لا تبكي قال ثابت فما فضل عيناي ان لم تبكيا وقال رجل لمحمد بن عبد الله أوصني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والثمانون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الثانية لوالدك المرحوم عمر النعمان وقال رجل لمحمد بن عبد الله أوصني فقال أوصيك أن تكون في الدنيا مالكا زاهدا وفي الآخرة مملوكا طامعا قال وكيف ذلك قال الزاهد في الدنيا يملك الدنيا والآخرة وقال غوث بن عبد الله كان اخوان في بني اسرائيل قال أحدهما للآخر ما أخوف عمل عملته قال له اني مررت ببيت فراخ فأخذت منه واحدة ورميتها في ذلك البيت ولكن بين الفراخ التي لم آخذها منها فهذا أخوف عمل عملته فما أخوف ما عملته أنت فقال أما أنا فأخوف عمل أعمله اني اذا قمت الى الصلاة أخاف أن أكون لا أعمل ذلك الا للجزاء وكان أبوهما يسمع كلامهما فقال اللهم ان كانا صادقين فاقبضهما اليك فقال بعض العقلاء انّ هذين من أفضل الاولاد وقال عبد بن جبير صحبت فضالة بن عبيد فقلت له أوصني فقال احفظ عني هذين الخصلتين أن لا تشرك بالله شيأ وأن لا تؤذي من خلق الله أحدا وأنشد هذين البيتين

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وانف الهموم فما في الامر من باس

الا اثنتين فلا تقربهما أبدا * الشرك بالله والاضرار للناس

وما أحسن قول الشاعر

اذا أنت لم يصحبك زاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزوّدا

ندمت على أن لا تكون كمثله * وأنك لم ترصد كما كان ارصدا

ثم تقدمت الجارية الثالثة بعد أن تأخرت الثانية وقالت ان باب الزهد واسع جدا ولكن أذكر بعض ما يحضرني فيه عن السلف الصالح قال بعض العارفين أنا استبشر بالموت ولا أتيقن فيه راحة غير اني علمت أن الموت يحول بين المرء وبين الاعمال فارجو مضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السيء وكان عطاء السلمي اذا فرغ من وصيته انتفض وارتعد وبكى بكاء شديدا

فقيل له لم ذلك فقال انى أريد أن أقبل على أمر عظيم وهو الانتصاب بين يدى الله تعالى للعمل بمقتضى الوصية ولذلك كان على زين العابدين بن الحسين يرتعد اذا قام للصلاة فسئل عن ذلك فقال أتدرون لمن أقوم ولمن أخاطب وقيل كان بجانب سفيان الثورى رجل ضرير فاذا كان شهر رمضان يخرج ويصلى بالناس فيسكت ويبطئ وقال سفيان اذا كان يوم القيامة أتى بأهل القرآن فيميزون بعلامة من بد الكرامة عمن سواهم وقال سفيان لو أن النفس استقرت فى القلب كما ينبغى لطار فرحا وشوقا الى الجنة وحزنا وخوفا من النار وعن سفيان الثورى انه قال النظر الى وجه الظالم خطيئة ثم تأخرت الجارية الثالثة وتقدمت الجارية الرابعة وقالت وها أنا أتكلم ببعض ما يحضرنى من أخبار الصالحين روى أن بشرا الحافى قال سمعت خالدا يقول اياكم وسرائر الشرك فقلت له وما سرائر الشرك قال أن يصلى أحدكم فيطيل ركوعه وسجوده حتى يلحقه الحدث وقال بعض العارفين فعل الحسنات يكفر السيئات وقال بعض العارفين التمست من بشر الحافى شيأ من أسرار الحقائق فقال يا بنى هذا العلم لا ينبغى أن نعلمه كل أحد فمن كل مائة خمسة مثل زكاة الدرهم قال ابراهيم بن أدهم فاستحليت كلامه واستحسنته فبينما أنا أصلى واذا ببشر يصلى فقمت وراءه أركع الى أن يؤذن المؤذن فقام رجل رث الحالة وقال يا قوم احذروا الصدق الضار ولا باس بالكذب النافع وليس مع الاضطرار اختيار ولا ينفع الكلام عند العدم كما لا يضر السكوت عند وجود الجود وقال ابراهيم رأيت بشرا سقط منه دانق فقمت اليه وأعطيته درهما فقال لا آخذه فقلت انه من خالص الحلال فقال لى أنا لست استبدل نعم الدنيا بنعم الآخرة ويروى أن اخت بشر الحافى قصدت أحمد بن حنبل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والثمانون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان الجارية قالت لوالدك ان أخت بشر الحافى قصدت أحمد بن حنبل فقالت له يا امام الدين انا قوم نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا فى النهار وربما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل فى ضوئها فهل يحرم علينا ذلك قال لها من أنت قالت أخت بشر الحافى فقال يا أهل بشر لا أزال أستنشق الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين اذا أراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل وكان مالك بن دينار اذا مر فى السوق ورأى ما يشتهيه يقول يا نفس اصبرى فلا أوافقك على ما تريدين وقال رضى الله عنه سلامة النفس فى مخالفتها وبلاؤها فى متابعتها وقال منصور بن عمار حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة واذا بصارخ يصرخ فى جوف الليل ويقول الهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك

مخالفتك وما أنا جاهل بك ولكن خطيئة قضيتها على في قديم أزلك فاغفر لي ما فرط مني فاني قد عصيتك بجهلي فلما فرغ من دعائه تلى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعت سقطة لم أعرف لها حقيقة فضت فلما كان الغد مشينا الى مدرجنا واذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتها فسألتها عن الميت فقالت هذه جنازة رجل كان مر بنا البارحة وولدي قائم يصلي فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجل فوقع ميتا ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت الجارية الخامسة وقالت وها أنا أذكر بعض ما يحضرني من أخبار السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر واذا عزم العبد على ترك الآثام أتاه الفتوح وقال كل نعمة لا تقرب الى الله فهي بلية وقليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وكثيرها ينسيك قليلها وسئل أبو حازم من أيسر الناس فقال رجل أذهب عمره في طاعة الله قال فمن أحمق الناس قال رجل باع آخرته بدنيا غيره وروى أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس وجاءت الجاريتان فسقى لهما ولم تصدر الرعاء فلما رجعتا أخبرتا أباهما شعيبا فقال لهما لعله جائع ثم قال لاحداهما ارجعي اليه وادعيه فلما أتته غطت وجهها وقالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فكره موسى ذلك وأراد أن لا يتبعها وكانت امرأة ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض بصره ثم قال لها كوني خلفي فمشت خلفه حتى دخل على شعيب والعشاء مهيأ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الخامسة لوالدك فدخل موسى عليه السلام على شعيب والعشاء مهيأ فقال شعيب لموسى يا موسى اني أريد أن أعطيك أجرة ما سقيت لهما فقال موسى أنا من أهل بيت لا نبيع شيأ من عمل الآخرة بما على الارض من ذهب وفضة فقال شعيب يا شاب ولكن انت ضيفي واكرام الضيف عادتي وعادة آبائي باطعام الطعام فجلس موسى فأكل ثم ان شعيبا استأجر موسى ثماني حجج أي سنين وجعل أجرته على ذلك تزويجه احدى بنتيه وكان عمل موسى لشعيب صداقا لها كما قال تعالى حكاية عنه اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك وقال رجل لبعض أصحابه وكان له مدة لم يره انك أوحشتني لانني ما رأيتك من منذ زمان قال اشتغلت عنك بابن شهاب أتعرفه قال نعم هو جاري من منذ ثلاثين سنة الا انني لم أكلمه قال له انك نسيت الله فنسيت جارك

ولو أحببت الله لأحببت جارك أما علمت أن للجار على الجار حقا كحق القرابة وقال حذيفة دخلنا مكة مع ابراهيم بن أدهم وكان شقيق البلخي قد حج فى تلك السنة فاجتمعنا فى الطواف فقال ابراهيم لشقيق ماشأنكم فى بلادكم فقال شقيق اننا اذا رزقنا أكلنا واذا جعنا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ ولكننا اذا رزقنا آثرنا واذا جعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدى ابراهيم وقال له أنت أستاذى وقال محمد بن عمران سأل رجل حاتما الاصم فقال ما أمرك فى التوكل على الله تعالى قال على خصلتين علمت أن رزقى لا يأكله غيرى فاطمأنت نفسى به وعلمت انى لم أخلق من غير علم الله فاستحييت منه ثم تأخرت الجارية الخامسة وتقدمت العجوز وقبلت الارض بين يدى والدك تسع مرات وقالت قد سمعت أيها الملك ما تكلم به الجميع فى باب الزهد وأنا تابعة لهن فاذكر بعض ما بلغنى عن أكابر المتقدمين قيل كان الامام الشافعى يقسم الليل ثلاثة أقسام الثلث الاول للعلم والثانى للنوم والثالث للتهجد وكان الامام أبو حنيفة يحيى نصف الليل فأشار اليه انسان وهو يمشى وقال لآخر ان هذا يحيى الليل كله فلما سمع ذلك قال انى أستحى من الله أن أوصف بما ليس فى فصار بعد ذلك يحيى الليل كله وقال الربيع كان الشافعى يختم القرآن فى شهر رمضان سبعين مرة كل ذلك فى الصلاة وقال الشافعى رضى الله عنه ما شبعت من خبز الشعير عشر سنين لان الشبع يقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن القيام وروى عن عبد الله بن محمد السكرى انه قال كنت أنا وعمر نتحدث فقال لى ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد ابن ادريس الشافعى واتفق أننى خرجت أنا والحرث بن لبيب الصفار وكان الحرث تلميذ المزنى وكان صوته حسنا فقرأ قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الامام الشافعى تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال أعوذ بالله من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خشعت قلوب العارفين اللهم هب لى غفران ذنوبى من جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك ثم قمت وانصرفت وقال بعض الثقات لما دخلت بغداد كان الشافعى بها فجلست على الشاطئ لأتوضأ للصلاة اذ مر بى انسان فقال لى يا غلام أحسن وضوءك يحسن الله اليك فى الدنيا والآخرة فالتفت واذا برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره فالتفت الى وقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمنى مما علمك الله تعالى فقال اعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه غدا أفلا أزيدك قلت بلى قال كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا واصدق فى جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت عنه فقيل لى هذا الامام الشافعى وكان الامام الشافعى يقول وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم على أن لا ينسب الى منه شئ

وادرك

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان قالت العجوز لوالدك كان لامام الشافعي يقول وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم على أن لا ينسب الى منه شيء وقال ما ناظرت أحدا الا أحببت أن يوفقه الله تعالى للحق ويعينه على اظهاره وما ناظرت أحدا قط الا لاجل اظهار الحق وما أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه وقال رضى الله عنه اذا خفت على علمك العجب فاذكر رضا من تطلب وفي أي نعيم ترغب ومن أي عقاب ترهب وقيل لابي حنيفة ان أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور قد جعلك قاضيا ورسم لك بعشرة آلاف درهم فما رضي فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى اليه فيه بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ثم جاءه رسول أمير المؤمنين بالمال فلما دخل عليه وخاطبه فلم يكلمه فقال له رسول الخليفة ان هذا المال حلال فقال اعلم انه حلال لي ولكني أكره أن يقع في قلبي مودة الجبابرة فقال له لو دخلت اليهم وتحفظت من ودهم قال هل آمن أن ألج البحر ولا تبتل ثيابي ومن كلام الشافعي رضى الله تعالى عنه

ألا يا نفس ان ترضى بقولي ✽ فأنت عزيزة أبدا غنيه
دعى عنك المطامع والاماني ✽ فكم أمنية جلبت منية

ومن كلام سفيان الثوري فيما أوصى به علي بن الحسن السلمي عليك بالصدق واياك والكذب والخيانة والرياء والعجب فان العمل الصالح يحبطه الله بخصلة من هذه الخصال ولا تأخذ دينك الا عمن هو مشفق على دينه وليكن جليسك من يزهدك في الدنيا وأكثر ذكر الموت وأكثر الاستغفار واسأل الله السلامة فيما بقي من عمرك وانصح كل مؤمن اذا سألك عن أمر دينه واياك أن تخون مؤمنا فان من خان مؤمنا فقد خان الله ورسوله واياك والجدال والخصام ودع ما يريبك الى ما لا يريبك تكن سليما وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكن حبيب الله وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك واقبل المعذرة ممن اعتذر اليك ولا تبغض احدا من المسلمين وصل من قطعك واعف عمن ظلمك تكن رفيق الانبياء وليكن أمرك مفوضا الى الله في السر والعلانية واخش الله خشية من قد علم انه ميت ومبعوث وصائر الى الحشر والوقوف بين يدى الجبار واذكر مصيرك الى احدى الدارين اما جنة عالية واما نار حامية ثم ان العجوز جلست الى جانب الجواري فلما سمع والدك المرحوم كلامهن علم انهن أفضل أهل زمانهن ورأى حسنهن وجمالهن وزيادة أدبهن فآواهن اليه وأقبل على العجوز فأكرمها وأخلى لها هي وجواريها القصر الذي كانت فيه الملكة ابريزة بنت ملك الروم ونقل اليهن ما يحتجن اليه من الخيرات فأقامت عنده عشرة أيام

وكلما دخل عليها يجدها معتكفة على صلاتها وقيامها في ليلها وصيامها في نهارها فوقع في قلبه محبتها وقال لي ياوزير ان هذه العجوز من الصالحات وقد عظمت في قلبي مهابتها فلما كان اليوم الحادي عشر اجتمع بها من جهة دفع ثمن الجواري اليها فقالت له أيها الملك اعلم أن ثمن هذه الجواري فوق ما تتعامل به الناس فاني لا أطلب فيهن ذهبا ولا فضة ولا جواهر قليلا كان ذلك أو كثيرا فلما سمع والدك كلامها تعجب وقال أيتها السيدة وما ثمنهن قالت ما أبيعهن لك الا بصيام شهر كامل تصوم نهاره وتقوم ليله لوجه الله تعالى فان فعلت ذلك فهن ملك لك في قصرك تصنع بهن ما شئت فتعجب الملك من كمال صلاحها وزهدها وورعها وعظمت في عينه وقال نفعنا الله بهذه المرأة الصالحة ثم اتفق معها على أن يصوم الشهر كما اشترطته عليه فقالت له وأنا أعينك بدعوات ادعو بهن لك فائتني بكوز ماء فأتاها بكوز ماء فأخذته وقرأت عليه وهمهمت وقعدت ساعة تتكلم بكلام لا نفهمه ولا نعرف منه شيأ ثم غطته بخرقة وختمته وناولته لوالدك وقالت له اذا صمت العشرة الاولى فافطر في الليلة الحادية عشر على ما في هذا الكوز فانه ينزع حب الدنيا من قلبك ويملؤه نورا وايمانا وفي غد أخرج الى اخواني وهم رجال الغيب فاني اشتقت اليهم ثم أجيء اليك اذا مضت العشرة الاولى فأخذ والدك الكوز ثم نهض وأفرد له خلوة في القصر ووضع الكوز فيها وأخذ مفتاح الخلوة في جيبه فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها وأتم الملك صوم العشرة أيام وفي اليوم الحادي عشر فتح الكوز وشربه فوجد له في فؤاده فعلا جميلا وفي العشرة أيام الثانية من الشهر جاءت العجوز ومعها حلاوة في ورق أخضر لا يشبه ورق الشجر فدخلت على والدك وسلمت عليه فلما رآها قام لها وقال لها مرحبا بالسيدة الصالحة فقالت له أيها الملك ان رجال الغيب يسلمون عليك لاني أخبرتهم عنك ففرحوا بك وأرسلوا معي هذه الحلاوة وهي من حلاوة الآخرة فافطر عليها في آخر النهار ففرح والدك فرحا زائدا وقال الحمد لله الذي جعل لي اخوانا من رجال الغيب ثم شكر العجوز وقبل يديها وأكرمها وأكرم الجواري غاية الاكرام ثم مضت مدة عشرين يوما وأبوك صائم وعند رأس العشرين يوما أقبلت عليه العجوز وقالت له أيها الملك اعلم اني أخبرت رجال الغيب بما بيني وبينك من المحبة وأعلمتهم باني تركت الجواري عندك ففرحوا حيث كانت الجواري عند ملك مثلك لانهم كانوا اذا رأوهن يبالغون لهن في الدعاء المستجاب فأريد أن أذهب بهن الى رجال الغيب لتحصل نفحاتهم لهن وربما انهن

لا يرجعن اليك الا ومعهن كنز من كنوز الارض حتى انك بعد تمام صومك تشتغل بكسوتهن وتستعين بالمال الذى يأتينك به على أغراضك فلما سمع والدك كلامها شكرها على ذلك وقال لها لولا انى أخشى مخالفتى لك مارضيت بالكنز ولا غيره ولكن متى تخرجين بهن فقالت له فى الليلة السابعة والعشرين وارجع بهن اليك فى رأس الشهر وتكون أنت قد أوفيت الصوم وحصل استبراؤهن وصرن لك وتحت أمرك والله ان كل جارية منهن ثمنها أعظم من ملكك مرات فقال لها وأنا أعرف ذلك أيتها السيدة الصالحة فقالت له بعد ذلك ولا بد أن ترسل معهن من يعز عليك من قصرك حتى يجد الانس ويلتمس البركة من رجال الغيب فقال لها عندى جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى وذكر ولكنهما فقدا من مدة سنين فخذيها معهن لاجل أن تحصل لها البركة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والثمانون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان أباك قال للعجوز لما طلبت منه الجوارى ان عندى جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين أنثى وذكر ولكنهما فقدا من مدة سنين فخذيها معك لاجل أن تحصل لها البركة ولعل رجال الغيب أن يدعوا الله لها بأن يرد عليها ولديها ويجمع شملها بهما فقالت العجوز نعم ماقلت وكان ذلك أعظم غرضها ثم ان والدك أخذ فى تمام صيامه فقالت له ياولدى انى متوجهة الى رجال الغيب فاحضر لى صفية فدعا بها فحضرت فى ساعتها فسلمها الى العجوز فخلطتها بالجوارى ثم دخلت العجوز مخدعها وخرجت للسلطان بكاس مختوم وناولته له وقالت اذا كان يوم الثلاثين فادخل الحمام ثم اخرج منه وادخل خلوة من الخلاوى التى فى قصرك واشرب هذا الكاس ونم فقد نلت ماتطلب والسلام منى عليك فعند ذلك فرح الملك وشكرها وقبل يدها فقالت له استودعتك الله فقال لها ومتى أراك أيتها السيدة الصالحة فانى أود أن لا افارقك فدعت له وتوجهت ومعها الجوارى والملكة صفية وقعد الملك بعدها ثلاثة أيام ثم هل الشهر فقام الملك ودخل الحمام وخرج من الحمام ودخل الخلوة التى فى القصر وأمر أن لا يدخل عليه أحد ورد الباب عليه ثم شرب الكاس ونام ونحن قاعدون فى انتظاره الى آخر النهار فلم يخرج من الخلوة فقلنا لعله تعبان من الحمام ومن سهر الليل وصيام النهار فبسبب ذلك نام فانتظرناه ثانى يوم فلم يخرج فوقفنا بباب الخلوة وأعلنا برفع الصوت لعله ينتبه ويسأل عن الخبر فلم يحصل منه ذلك فخلعنا الباب ودخلنا عليه فوجدناه قد تمزق لحمه وتفتت عظمه فلما رأيناه على هذه الحالة عظم علينا ذلك وأخذنا الكاس فوجدنا فى غطائه قطعة ورق مكتوبا فيها من أساء لا يستوحش منه وهذا جزاء من يتحيل على بنات الملوك ويفسدهن والذى نعلم به كل من

وقف على هذه الورقة ان شركان لما جاء بلادنا قد أفسد علينا الملكة ابريزة وما كفاه ذلك حتى أخذها من عندنا وجاء بها اليكم ثم أرسلها مع عبد أسود فقتلها ووجدناها مقتولة فى الخلاء مطروحة على الارض فهذا ما هو فعل الملوك وما جزاء من يفعل هذا الفعل الا ما حل به وأنتم لا تتهموا أحدا بقتله فما قتله الا العاهرة الشاطرة التى اسمها ذات الدواهى وها أنا أخذت زوجة الملك صفية ومضيت بها الى والدها افريدون ملك القسطنطينية ولا بد أن نغزوكم ونقتلكم ونأخذ منكم الديار فتهلكون عن آخركم ولا يبقى منكم ديار ولا من ينفخ النار الا من يعبد الصليب والزنار فلما قرأنا هذه الورقة علمنا أن العجوز خدعتنا وتمت حيلتها علينا فعند ذلك صرخنا ولطمنا على وجوهنا وبكينا فلم يفدنا البكاء شيأ واختلفت العساكر فيمن يجعلونه سلطانا عليهم فمنهم من يريدك ومنهم من يريد أخاك شركان ولم نزل فى هذا الاختلاف مدة شهر ثم جمعنا بعضنا وأردنا أن نمضى الى أخيك شركان فسافرنا الى أن وجدناك وهذا سبب موت السلطان عمر النعمان فلما فرغ الوزير من كلامه بكى ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان وبكى الحاجب أيضا ثم قال الحاجب لضوء المكان أيها الملك ان البكاء لا يفيدك شيأ ولا يفيدك الا انك تشد قلبك وتقوى عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلف مثلك ما مات فعند ذلك سكت عن بكائه وأمر بنصب السرير خارج الدهليز ثم أمر أن يعرضوا عليه العساكر ووقف الحاجب بجانبه والسلحدارية من ورائه ووقف الوزير دندان قدامه ووقف كل واحد من الامراء وأرباب الدولة فى مرتبته ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان اخبرنى بخزائن أبى فقال سمعا وطاعة وأخبره بخزائن الاموال وبما فيها من الذخائر والجواهر وعرض عليه ما فى خزنته من الاموال فانفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية وقال له أنت فى مكانك فقبل الارض بين يديه ودعا له بالبقاء ثم خلع على الامراء ثم انه قال للحاجب اعرض علىّ الذى معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرّقها على العساكر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والثمانون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان ضوء المكان أمر الحاجب ان يعرض عليه ما أتى به من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرّقها على العساكر ولم يبق منها شيأ أبدا فقبل الامراء الارض بين يديه ودعوا له بطول البقاء وقالوا ما رأينا ملكا يعطى مثل هذه العطايا ثم انهم مضوا الى خيامهم فلما أصبحوا أمرهم بالسفر فسافروا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرفوا على بغداد فدخلوا المدينة فوجدوها قد تزينت وطلع السلطان ضوء المكان قصر أبيه وجلس على السرير ووقف امراء

العسكر

العسكر والوزير دندان وحاجب دمشق بين يديه فعند ذلك أمر كاتب السر أن يكتب كتابا الى أخيه شركان ويذكر فيه ماجرى من الاول الى الآخر ويذكر فى آخره وساعة وقوفك على هذا المكتوب تجهز أمرك وتحضر بعسكرك حتى نتوجه الى غزو الكفار ونأخذ منهم الثار ونكشف العار ثم طوى الكتاب وختمه وقال للوزير دندان مايتوجه بهذا الكتاب الا أنت ولكن ينبغى أن تتلطف به فى الكلام وتقول له ان أردت ملك أبيك فهولك وأخوك يكون نائبا عنك فى دمشق كما أخبرنا بذلك فنزل الوزير دندان من عنده وتجهز للسفر ثم ان ضوء المكان أمر أن يجعلوا للوقاد مكانا فاخرا ويفرشوه بأحسن الفرش وذلك الوقاد له حديث طويل ثم ان ضوء المكان خرج يوما الى الصيد والقنص وعاد الى بغداد فقدم له بعض الامراء من الخيول الجياد ومن الجوارى الحسان مايعجز عن وصفه اللسان فأعجبته جارية منهن فاستخلى بها ودخل عليها فى تلك الليلة فعلقت منه من ساعتها وبعد مدة رجع الوزير دندان من سفره وأخبره بخبر أخيه شركان وانه قادم عليه وقال له ينبغى أن تخرج وتلاقيه فقال له ضوء المكان سمعا وطاعة فخرج اليه مع خواص دولته من بغداد مسيرة يوم ثم نصب خيامه هناك لانتظار أخيه وعند الصباح أقبل الملك شركان فى عساكر الشام مابين فارس مقدام وأسد ضرغام وبطل مصدام فلما أشرفت الكتائب وقدمت السحائب وأقبلت العصائب وخفقت أعلام المواكب توجه ضوء المكان هو ومن معه لملاقاتهم فلما عاين ضوء المكان أخاه أراد أن يترجل اليه فأقسم عليه شركان أن لايفعل ذلك وترجل شركان ومشى خطوات فلما صار بين يدى ضوء المكان رمى ضوء المكان نفسه عليه فاحتضنه شركان الى صدره وبكيا بكاء شديدا وعزى بعضهما بعضا ثم ركب الاثنان وساراو سار العسكر معهما الى أن أشرفوا على بغداد ونزلوا ثم طلع ضوء المكان هو وأخوه شركان الى قصر الملك وباتا تلك الليلة وعند الصباح خرج ضوء المكان وأمر أن يجمعوا العساكر من كل جانب وينادوا بالغزو والجهاد ثم أقاموا ينتظرون مجىء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونه ويعدونه بالجميل الى أن مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم يأتون أفواجا متتابعة ثم قال شركان لاخيه ياأخى اعلمنى بقضيتك فاعلمه بجميع ماوقع له من الاول الى الآخر بما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال له شركان أما كافأته على معروفه فقال له ياأخى ما كافأته الى الآن ولكن أكافئه ان شاء الله تعالى لما أرجع من الغزوة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان شركان قال لاخيه

ضوء المكان أما كافأت الوقاد على معروفه فقال له يا أخي ما كافأته الى الآن ولكن ا كافئه ان شاء الله تعالى لما أرجع من الغزوة واتفرغ له فعند ذلك عرف شركان ان أخته الملكة نزهة الزمان صادقة فى جميع ما أخبرته به ثم كتم أمره وأمرها وأرسل اليها السلام مع الحاجب زوجها فبعثت له أيضا معه السلام ودعت له وسألت عن ابنته قضى فكان فاخبرها انها فى عافية وانها فى غاية ما يكون من الصحة والسلامة فحمدت الله تعالى وشكرته ورجع شركان الى أخيه يشاوره فى أمر الرحيل فقال له يا أخي لما تتكامل العساكر وتأتي العربان من كل مكان ثم أمر بتجهيز الميرة واحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان الى زوجته وكان مضى لها خمسة أشهر وجعل أرباب الاقلام وأهل الحساب تحت طاعتها ورتب لها الجرايات والجوامك وسافر فى ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد ان قدمت العربان وجميع العساكر من كل مكان وسارت الجيوش والعساكر وتتابعت الجحافل وكان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم رئيس عسكر الترك بهرمان وسار ضوء المكان فى وسط الجيوش وعن يمينه أخوه شركان وعن يساره الحاجب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون فى مكان يستريحون فيه ثلاثة أيام لان الخلق كثير ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة حتى وصلوا الى بلاد الروم ففرت أهل القرى والضياع والصعاليك وفروا الى القسطنطينية فلما سمع افريدون ملكهم بخبرهم قام وتوجه الى ذات الدواهي فانها هي التي دبرت الحيل وسافرت الى بغداد حتى قتلت الملك عمر النعمان ثم أخذت جواريها والملكة صفية ورجعت بالجميع الى بلادها فلما رجعت الى ولدها ملك الروم وأمنت على نفسها قالت لابنها اقر عينا فقد أخذت لك بثار ابنتك ابريزة وقتلت الملك عمر النعمان وجئت بصفية فقم الآن وارحل الى ملك القسطنطينية ورد عليه صفية واعلمه بما جرى حتى نكون جميعا على حذر وتجهز بأهبة وأسافر أنا معك الى الملك افريدون ملك القسطنطينية وأظن أن المسلمين لا يثبتون على قتالنا فقال لها امهلى الى أن يقربوا من بلادنا حتى نجهز أحوالنا ثم أخذوا فى جمع رجالهم وتجهيز أحوالهم فلما جاءهم الخبر كانوا قد جهزوا حالهم وجمعوا الجيوش وسارت فى أوائلهم ذات الدواهي فلما وصلوا الى القسطنطينية سمع الملك الاكبر ملكها افريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج لملاقاته فلما اجتمع افريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فأخبره بما عملته أمه ذات الدواهي من الحيل وانها قتلت ملك المسلمين وأخذت من عنده الملكة صفية وقالت ان المسلمين جمعوا عساكرهم وجاؤا ونريد أن نكون جميعا يدا واحدة ونلقاهم ففرح الملك افريدون بقدوم ابنته وقتل عمر النعمان وأرسل الى سائر الاقاليم يطلب منهم النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر النعمان

النعمان فهرعت اليه جيوش النصارى فأقام ثلاثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم ثم أقبلت الافرنج من سائر أطرافها كالفرنسيس والنيمساودوبره وجورنه وبندق وجنويز وسائر عساكر بني الاصفر فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الارض من كثرتهم أمرهم الملك الاكبر افريدون أن يرحلوا عن القسطنطينية فرحلوا واستمر تتابع عساكرهم في الرحيل عشرة أيام وساروا حتى نزلوا بوادواسع الاطراف وكان ذلك الوادي قريبا من البحر المالح فأقاموا ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أرادوا أن يرحلوا فاتتهم الاخبار بقدوم عساكر الاسلام وحماة ملة خير الانام فأقاموا فيه ثلاثة أيام أخرى وفي اليوم الرابع رأوا غبارا طار حتى سد الاقطار فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلى ذلك الغبار وتمزق الى الجو وطار ومحت ظلمته كواكب الاسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات اسلامية وأعلام محمدية وأقبلت الفرسان كاندفاع البحار في دروع تحسبها سحابا مزررة على أقمار فعند ذلك تقابل الجيشان والتطم البحران ووقعت العين في العين فأول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام وكانوا ثلاثين ألف عنان وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام في عشرين ألف فارس وطلع من ورائهم رجال من صوب البحر المالح وهم لابسون زرد الحديد وقد صاروا فيه كالبدور السافرة في الليالي العاكرة وصارت عساكر النصارى ينادون عيسى ومريم والصليب المسخم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان هذا كله بتدبير العجوز ذات الدواهي لان الملك أقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير انى أشير عليك بأمر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن هذا كله كان بتدبير العجوز لان الملك كان أقبل عليها قبل خروجها وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير أنى أشير عليك بأمر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وهو انك ترسل خمسين ألفا من الرجال ينزلون في المراكب ويتوجهون في البحر الى أن يصلوا الى جبل الدخان فيقيمون هناك ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تأتيكم أعلام الاسلام فدونكم واياهم ثم تخرج اليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلا ينجو منهم أحد وقد زال عنا العناء ودام لنا الهناء فاستصوب الملك افريدون كلام العجوز وقال نعم الرأي رأيك ياسيدة

العجائز الماكرة ومرجع الكهان فى الفتن الثائرة وحين هجم عليهم عسكر الاسلام فى ذلك الوادى لم يشعروا الا والنار تلتهب فى الخيام والسيوف تعمل فى الاجسام ثم أقبلت جيوش بغداد وخراسان وهم فى مائة وعشرين ألف فارس وفى أوائلهم ضوء المكان فلما رآهم عسكر الكفار الذين كانوا فى البحر طلعوا اليهم من البحر وتبعوا أثرهم فلما رآهم ضوء المكان قال ارجعوا الى الكفار يا حزب النبى المختار وقاتلوا أهل الكفر والعدوان فى طاعة الرحيم الرحمن وأقبل شركان بطائفة أخرى من عساكر المسلمين نحو مائة ألف وعشرين ألفا وكانت عساكر الكفار نحو ألف ألف وستمائة ألف فلما اختلط المسلمون بعضهم ببعض قويت قلوبهم ونادوا قائلين ان الله وعدنا بالنصر وأوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف والسنان واخترق شركان الصفوف وهاج فى الالوف وقاتل قتالا تشيب منه الاطفال ولم يزل يجول فى الكفار ويعمل فيهم الصارم البتار وينادى الله أكبر حتى ردّ القوم الى ساحل البحر وكلت منهم الاجسام ونصر الله دين الاسلام والناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من القوم فى ذلك الوقت خمسة وأربعون ألفا وقتل من المسلمين ثلاثة آلاف وخمسمائة ثم ان أسد الدين الملك شركان لم ينم فى تلك الليلة لا هو ولا أخوه ضوء المكان بل كانا يبشران الناس ويتفقدان الجرحى ويهنيانهم بالنصر والسلامة والثواب فى القيامة هذا ما كان من أمر المسلمين وأما ما كان من أمر الملك افريدون ملك القسطنطينية وملك الروم وأمه العجوز ذات الدواهى فانهم جمعوا أمراء العسكر وقالوا لبعضهم انا كنا بلغنا المراد وشفينا الفؤاد ولكن اعجابنا بكثرتنا هو الذى خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهى انه لا ينفعكم الا انكم تتقربون للمسيح وتتمسكون بالاعتقاد الصحيح فوحق المسيح ما قوّى عسكر المسلمين الا هذا الشيطان الملك شركان فقال الملك افريدون انى قد عوّلت فى غد على أن أصف لهم الصفوف وأخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط فانه اذا برز الى الملك شركان قتله وقتل غيره من الابطال حتى لم يبق منهم أحد وقد عوّلت فى هذه الليلة على تقديسكم بالبخور الاكبر فلما سمعوا كلامه قبلوا الارض وكان البخور الذى أراده خرء البطريق الكبير ذى الانكار والنكير فانهم كانوا يتنافسون فيه ويستحسنون مساويه حتى كانت أكابر بطارقة الروم يبعثونه الى سائر أقاليم بلادهم فى خرق من الحرير ويمزجونه بالمسك والعبير فاذا وصل خبره الى الملوك يأخذون منه كل درهم بألف دينار حتى كان الملوك يرسلون فى طلبه من أجل بخور العرائس وكانت البطارقة يخلطونه بخرئهم فان خرء البطريق الكبير لا يكفى عشرة أقاليم وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلا منه فى كحل العيون ويداوون به المريض والمبطون فلما أصبح

الصباح

الصباح وأشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للتسعين﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه لما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح دعا الملك افريدون بخواص بطارقته وأرباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب فى وجوههم وبخرهم بالبخور المتقدم ذكره الذى هو خرء البطريق الاكبر والكاهن الامكر فلما بخرهم دعا بحضور لوقا بن شملوط الذى يسمونه سيف المسيح وبخره بالرجيع وحنكه به بعد التبخير ونشقه ولطخ به عوارضه ومسح بالفضلة شواربه وكان ذلك الملعون لوقا ما فى بلاد الروم أعظم منه ولا أرمى بالنبال ولا أضرب بالسيف ولا أطعن بالرمح يوم النزال وكان بشع المنظر كأن وجهه وجه حمار وصورته صورة قرد وطلعته طلعة الرقيب وقربه أصعب من فراق الحبيب له من الليل ظلمته ومن الابخر نكهته ومن القوس قامته ومن الكفر سمته وبعد ذلك أقبل على الملك افريدون وقبل قدميه ثم وقف بين يديه فقال له الملك افريدون انى أريد أن تبرز الى شركان ملك دمشق بن عمر النعمان وقد انجلى عنا هذا الشر وهان فقال سمعا وطاعة ثم ان الملك نقش فى وجهه الصليب وزعم أن النصر يحصل له عن قريب ثم انصرف لوقا من عند الملك افريدون وركب الملعون لوقا جوادا أشقر وعليه ثوب أحمر وزردية من الذهب المرصع بالجوهر وحمل رمحا له ثلاث حراب كأنه ابليس اللعين يوم الاحزاب وتوجه هو وحزبه الكفار كأنهم يساقون الى النار وبينهم مناد ينادى بالعربى ويقول يا أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) لا يخرج منكم الا فارسكم سيف الاسلام شركان صاحب دمشق الشام فما استتم كلامه الا وضجة فى الفلا سمع صوتها جميع الملا وركضات فرقت الصفين وأذكرت يوم حنين ففزع اللئام منها وألفتوا الاعناق نحوها واذا هو الملك شركان ابن الملك عمر النعمان وكان أخوه ضوء المكان لما رأى ذلك الملعون فى الميدان وسمع المنادى التفت لاخيه شركان وقال له انهم يريدونك فقال ان كان الامر كذلك فهو أحب الى فلما تحققوا الامر وسمعوا هذا المنادى وهو يقول فى الميدان لا يبرز لى الا شركان علموا أن هذا الملعون فارس بلاد الروم وكان قد حلف أن يخلى الارض من المسلمين والا فهو من أخسر الخاسرين لانه هو الذى حرق الاكباد وفزعت من شره الاجناد من الترك والديلم والاكراد فعند ذلك برز اليه شركان كأنه أسد غضبان وكان راكبا على ظهر جواد يشبه شارد الغزلان فساقه نحو لوقا حتى صار عنده وهز الرمح فى يده كأنه أفعى من الحيات وأنشد هذه الابيات

لى أشقر سمح العنان مغاير * يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومثقف لدن السنان كأنما * أم المنايا ركبت فى عوده
ومهند عضب اذا جردته * خلت البروق تموج فى تجريده

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولا حماسة هذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيما للصليب المنقوش عليه ثم قبلها وأشرع الرمح نحو شركان وكر عليه ثم طوح الحربة باحدى يديه حتى خفيت عن أعين الناظرين وتلقاها باليد الاخرى كفعل الساحرين ثم رمى بها شركان فخرجت من يده كأنها شهاب ثاقب فضجت الناس وخافوا على شركان فلما قربت الحربة من شركان اختطفها من الهواء فتحيرت عقول الورى ثم ان شركان هزها بيده التى أخذها بها من النصرانى حتى كاد أن يقصفها ورماها فى الجو حتى خفيت عن النظر وتلقاها بيده الثانية فى أقرب من لمح البصر وصاح صيحة من صميم قلبه وقال وحق من خلق السبع الطباق لأجعلن هذا اللعين شهرة فى الآفاق ثم رماه بالحربة فأراد لوقا أن يفعل بالحربة كما فعل شركان ومد يده الى الحربة ليختطفها من الهواء فعاجله شركان بحربة ثانية وضربه بها فوقعت فى وسط الصليب الذى فى وجهه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الكفار لوقا بن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* (فلما كانت الليلة الحادية والتسعون) * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الكفار لما رأوا لوقا ابن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وقالوا أين الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعا عليه وأعملوا الصوارم والرماح وهجموا للحرب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر وصارت الصدور تحت وقع الحوافر وتحكمت الرماح والصوارم وضعفت السواعد والمعاصم وكأن الخيل قد خلقت بلا قوائم ولازال منادى الحرب ينادى الى أن كلت الايادى وذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وافترق الجيشان وصار كل شجاع كالسكران من شدة الضرب والطعن وقد امتلأت الارض بالقتلى وعظمت الجراحات وصار لا يعرف الجريح ممن مات ثم ان شركان اجتمع باخيه ضوء المكان والحاجب والوزير دندان فقال شركان لاخيه ضوء المكان والحاجب ان الله قد فتح بابا لهلاك الكافرين والحمد لله رب العالمين فقال ضوء المكان لاخيه لم نزل نحمد الله لكشف الكرب عن العرب والعجم وسوف تتحدث الناس جيلا بعد جيل بما صنعت باللعين لوقا محرف الانجيل وأخذك الحربة من الهوا وضربك لعدو الله بين الورى ويبقى حديثك

الى

الى آخر الزمان ثم قال شركان أيها الحاجب الكبير والمقدام الخطير فأجابه بالتلبية فقال له خذ معك الوزير بردندان وعشرين ألف فارس وسر بهم الى ناحية البحر مقدار سبعة فراسخ وأسرعوا فى السير حتى تكونوا قريبا من الساحل بحيث يبقى بينكم و بين القوم قدر فرسخين واختفوا فى وهدات الارض حتى تسمعوا ضجة الكفار اذا طلعوا من المراكب وتسمعوا الصياح من كل جانب وقد عملت بيننا و بينهم القواضب فاذا رأيتم عسكرنا تقهقروا الى وراء كأنهم منهزمون وجاءت الكفار زاحفة خلفهم من جميع الجهات حتى من جانب الساحل والخيام فكونوا لهم بالمرصاد واذا رأيت انت علما عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فارفع العلم الأخضر وصح قائلا الله أكبر واحمل عليهم من ورائهم واجتهد فى أن لا يحول الكفار بين المنهزمين و بين البحر فقال السمع والطاعة واتفقوا على ذلك الامر فى تلك الساعة ثم تجهزوا وساروا وقد أخذ الحاجب معه الوزير بردندان وعشرين ألفا كما أمر الملك شركان فلما أصبح الصباح ركب القوم وهم مجرّدون الصفاح ومعتقلون الرماح وحاملون السلاح وانتشرت الخلائق فى الربا والبطاح وصاحت القسوس وكشفت الرؤس ورفعت الصلبان على قلوع المراكب وقصدوا الساحل من كل جانب وأنزلوا الخيل فى البرّ وعزموا على الكرّ والفرّ ولمعت السيوف وتوجهت الجموع وبرقت شهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا على الرجال والفرسان وطارت الرؤس عن الابدان وخرست الالسن وتغشت الاعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل فى الدما وتقابضوا باللحى وصاحت عساكر الاسلام بالصلاة والسلام على سيد الانام وبالثناء على الرحمن بما أولى من الاحسان وصاحت عساكر الكفر بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والشعانين والمطران وتأخر ضوء المكان هو وشركان الى ورائهما وتقهقرت الجيوش وأظهروا الانهزام للاعداء وزحفت عليهم عساكر الكفر لوهم الهزيمة وتهيؤا للطعن والضرب فاستهل أهل الاسلام بقراءة أوّل سورة البقرة وصارت القتلى تحت أرجل الخيل مندثرة وصار منادى الروم يقول يا عبدة المسيح وذوى الدين الصحيح يا خدام الجاثليق قد لاح لكم التوفيق ان عساكر الاسلام قد جنحوا الى الفرار فلا تولوا عنهم الادبار فكنوا السيوف من أقفيتهم ولا ترجعوا من ورائهم والا برئتم من المسيح بن مريم الذى فى المهد تكلم وظن افريدون ملك القسطنطينية ان عساكر الكفار منصورة ولم يعلم أن ذلك من حسن تدبير المسلمين صورة فأرسل الى ملك الروم يبشره بالظفر ويقول له ما نفعنا الا الغائط البطريق الاكبر لما فاحت رائحته من اللحى والشوارب بين عباد الصليب حاضر وغائب

وأقسم بالمعجزات النصرانية المريمية والمياه المعمودية انى لاأترك على الارض مجاهدا بالكلية وانى مصرّ على سوء هذه النية وتوجه الرسول بهذا الخطاب ثم صاح الكفار على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والتسعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الكفار صاحوا على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وصار ملك الروم ينادى بالاخذ بثار ابريزة فعند ذلك صاح الملك ضوء المكان وقال ياعباد الملك الديان اضربوا أهل الكفر والطغيان ببيض الصفاح وسمر الرماح فرجع المسلمون على الكفار وأعملوا فيهم الصارم البتار وصار ينادى منادى المسلمين ويقول عليكم باعداء الدين يامحب النبى المختار هذا وقت ارضاء الكريم الغفار ياراجى النجاة فى اليوم المخوف ان الجنة تحت ظلال السيوف واذا بشركان قد حمل هو ومن معه على الكفار وقطعوا عليهم طريق الفرار وجال بين الصفوف وطاف واذا بفارس مليح الانعطاف قد فتح فى عسكر الكفار ميدانا وجال فى الكفرة حربا وطعانا وملأ الارض رؤسا وأبدانا وقد خافت الكفار من حربه ومالت أعناقهم لطعنه وضربه قد تقلد بسيفين لحظ وحسام واعتقل برمحين قناة وقوام بوفرة تغنى عن وافر عدد العساكر كما قال فيه الشاعر

لاتحسن الوفرة الاوهى * منشورة الفرعين يوم النزال
على فتى معتقل صعدة * يعلها من كل وافى السبال

وقول الآخر

أقول له لما تقلد سيفه * كفتك سيوف اللحظ عن ذلك العضب
فقال لحاظى سيفها لذوى الهوى * وسيفى لمن لم يدر مالذة الحب *

فلما رآه شركان قال أعيذك بالقرآن وآيات الرحمن من أنت أيها الفارس من الفرسان فلقد أرضيت بفعلك الملك الديان الذى لايشغله شان عن شان حيث هزمت أهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قائلا أنت الذى بالامس عاهدتنى فما أسرع مانسيتنى ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ماخفى من حسنه فاذا هو ضوء المكان ففرح به شركان الا انه خاف عليه من ازدحام الاقران وانطباق الشجعان وذلك لامرين أحدهما صغر سنه وصيانته عن العين والثانى أن بقاءه للملكة أعظم الجناحين فقال له ياملك انك لقد خاطرت بنفسك فالصق جوادك بجوادى فانى لاآمن عليك من الاعداء والمصلحة فى أن لاتخرج من تلك العصائب لاجل أن نرمى الاعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان انى أردت أن اساويك فى النزال ولاأبخل بنفسى بين يديك فى القتال ثم انطبقت عساكر الاسلام على الكفار وأحاطوا بهم

من

من جميع الاقطار وجاهدوهم حق الجهاد وكسروا شوكة الكفر والعناد والفساد فتأسف الملك افريدون لما رأى ما حل بالروم من الامر المذموم وقد ولوا الادبار وركنوا الى الفرار يقصدون المراكب واذا بالعساكر قد خرجت عليهم من ساحل البحر وفي أولهم الوزير دندان مجندل الشجعان وضرب فيهم بالسيف والسنان وكذا الامير بهرام صاحب دوائر الشام وهو في عشرين ألف ضرغام وأحاطت بهم عساكر الاسلام من خلف ومن أمام ومالت فرقة من المسلمين على من كان في المراكب وأوقعوا فيهم المعاطب فرموا أنفسهم في البحر وقتلوا منهم جماعظيما يزيد على مائة ألف خنزير ولم ينج من أبطالهم صغير ولا كبير وأخذوا مراكبهم بما فيها من الاموال والذخائر والاثقال الا عشرين مركبا وغنم المسلمون في ذلك اليوم غنيمة ماغنم أحد مثلها في سالف الزمان ولا سمعت اذن بمثل هذا الحرب والطعان ومن جملة ماغنموه خمسون ألفا من الخيل غير الذخائر والاسلاب بما لا يحيط به حصر ولا حساب وفرحوا فرحا ماعليه مزيد بما من الله عليهم من النصر والتأييد هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر المنهزمين فانهم وصلوا الى القسطنطينية وكان الخبر قد وصل الى أهلها أولا بأن الملك افريدون هو الظافر بالمسلمين فقالت العجوز ذات الدواهي أنا أعلم أن ولدي ملك الروم لا يكون من المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الاسلامية و يرد أهل الارض الى ملة النصرانية ثم ان العجوز كانت أمرت الملك الاكبر افريدون أن يزين البلد فأظهروا السرور وشربوا الخمور وماعلموا بالمقدور فبينماهم في وسط الافراح اذ نعق عليهم غراب الحزن والاتراح وأقبلت عليهم العشرون مركبا الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم افريدون ملك القسطنطينية على الساحل وأخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكاؤهم وعلا نحيبهم وانقلبت بشارات الخير بالغم والضير وأخبروه أن لوقا بن شملوط حلت به النوائب وتمكن منه سهم المنية الصائب فقامت على الملك افريدون القيامة وعلم أن اعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المآتم وانحلت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكاء من كل جانب ولما دخل ملك الروم على الملك افريدون وأخبره بحقيقة الحال وان هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له لا تنتظر أن يصل من العسكر الا من وصل اليك فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار أنفه تحت قدميه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك افريدون لما سمع ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار أنفه تحت قدميه فلما أفاق من غشيته نفض الخوف جراب معدته فشكا الى العجوز ذات الدواهي وكانت تلك اللعينة كاهنة من الكهان ومتقنة للسحر

والبهتان عاهرة مكارة فاجرة غدارة ولها فم أبخر وجفن أحمر وخد أصفر بوجه أغبش وطرف أعمش وجسم أجرب وشعر أشهب وظهر أحدب ولون حائل ومخاط سائل لكنها قرأت كتب الاسلام وسافرت الى بيت الله الحرام كل ذلك لتطلع على الاديان وتعرف آيات القرآن ومكثت في بيت المقدس سنتين لتحوز مكر الثقلين فهي آفة من الآفات وبلية من البليات فاسدة الاعتقاد ليست لدين تنقاد وكان أكثر اقامتها عند ولدها حردوب ملك الروم لاجل الجوارى الابكار لانها كانت تحب السحاق وان تأخر عنها تكون في انمحاق وكل جارية أعجبتها تعلمها الحكمة وتسحق عليها الزعفران فيغشى عليها من فرط اللذة مدة من الزمان فمن طاوعتها أحسنت اليها ورغبت ولدها فيها ومن لم تطاوعها تتحيل على هلاكها وبسبب ذلك علمت مرجانة وريحانة واترجة جوارى ابريزة وكانت الملكة ابريزة تكره العجوز وتكره أن ترقد معها لان صنانها يخرج من تحت اباطها ورائحة فساها أنتن من الجيفة وجسدها أخشن من الليفة وكانت ترغب من يساحقها بالجواهر والتعليم وكانت ابريزة تبرأ منها الى الحكيم العليم ولله در القائل

يامن تسفل للغنى مذلة ❁ وعلى الفقير لقد علا تياها
ويزين شنعته بجمع دراهم ❁ عطر القبيحة لايفى بفساها

ولنرجع الى حديث مكرها ودواهى أمرها ثم انها سارت وسار معها عظماء النصارى وعساكرهم وتوجهوا الى عسكر الاسلام وبعدها دخل الملك افريدون على ملك الروم وقال له أيها الملك مالنا حاجة بامر البطريق الكبير ولابدعائه بل نعمل برأى أمى ذات الدواهى وننظر ماتعمل بخداعها غير المتناهى مع عسكر المسلمين فانهم بقوتهم واصلون الينا وعن قريب يكونون لدينا ويحيطون بنا فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام عظم في قلبه الرعب فكتب من وقته وساعته الى سائر أقاليم النصارى يقول لهم ينبغى أن لايتخلف أحد من أهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية خصوصا أهل الحصون والقلاع بل يأتون الينا جميعا رجالا وركبانا ونساء وصبيانا فان عسكر المسلمين قد وطئوا أرضنا فالعجل العجل قبل حلول الوجل هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فانها طلعت خارج البلد مع أصحابها وألبستهم زى تجار المسلمين وكانت قد أخذت معها مائة بغل محملة من القماش الانطاكى مابين أطلس معدنى وديباج ملكى وغير ذلك وأخذت من الملك افريدون كتابا مضمونه أن هؤلاء التجار من أرض الشام وكانوا في ديارنا فلا ينبغى أن يتعرض لهم أحد بسوء ولا يأخذ منهم عشرا حتى يصلوا الى بلادهم ومحل أمنهم لان التجار بهم عمار البلاد وليسوا

من

من أهل الحرب والفساد ثم ان الملعونة ذات الدواهي قالت لمن معها انى أريد ان أدبر حيلة على هلاك المسلمين فقالوا لها أيتها الملكة مرينا بما شئت فنحن تحت طاعتك فلا أحبط المسيح عملك فلبست ثيابا من الصوف الابيض الناعم وحكت جبينها حتى صار له وسم ودهنته بدهان دبرته حتى صار له ضوء عظيم وكانت الملعونة نحيلة الجسم غائرة العينين فقيدت رجليها من فوق قدميها وسارت حتى وصلت الى عسكر المسلمين ثم حلت القيد من رجليها وقد أثر القيد فى ساقيها ثم دهنتهما بدم الاخوين وأمرت من معها أن يضربوها ضربا عنيفا وأن يضعوها فى صندوق فقالوا لها كيف نضربك وأنت سيدتنا ذات الدواهي أم الملك المباهي فقالت لا لوم ولا تعنيف على من يأتى الكنيف ولاجل الضرورات تباح المحظورات وبعد ان تضعونى فى الصندوق خذوه فى جملة الاموال واحملوه على البغال ومروا بذلك بين عسكر الاسلام ولا تخشوا شيأ من الملام وان تعرض لكم أحد من المسلمين فسلموا له البغال وما عليها من الاموال وانصرفوا الى ملكهم ضوء المكان واستغيثوا به وقولوا نحن كنا فى بلاد الكفرة ولم يأخذوا منا شيأ بل كتبوا لنا توقيعا انه لا يتعرض لنا أحد فكيف تأخذون أنتم أموالنا وهذا كتاب ملك الروم الذى مضمونه أن لا يتعرض لنا أحد بمكروه فاذا قال وما الذى ربحتموه من بلاد الروم فى تجارتكم فقولوا له ربحنا خلاص رجل زاهد وقد كان فى سرداب تحت الارض له فيه نحو خمسة عشر عاما وهو يستغيث فلا يغاث بل يعذبه الكفار ليلا ونهارا ولم يكن عندنا علم بذلك مع اننا أقمنا فى القسطنطينية مدة من الزمان وبعنا بضائعنا واشترينا خلافها وجهزنا حالنا وعزمنا على الرحيل الى بلادنا وبتنا تلك الليلة نتحدث فى أمر السفر فلما أصبحنا رأينا صورة مصورة فى الحائط فلما قربنا منها تأملناها فاذا هى تحركت وقالت يا مسلمين هل فيكم من يعامل رب العالمين فقلنا وكيف ذلك فقالت تلك الصورة ان الله أنطقنى لكم ليقوى يقينكم ويهمكم دينكم وتخرجوا من بلاد الكافرين وتقصدوا عسكر المسلمين فان فيهم سيف الرحمن وبطل الزمان الملك شركان وهو الذى يفتح القسطنطينية ويهلك أهل الملة النصرانية فاذا قطعتم سفر ثلاثة أيام تجدوا ديرا يعرف بدير مطروحنا وفيه صومعة فاقصدوها بصدق نيتكم وتحيلوا على الوصول اليها بقوة عزيمتكم لان فيها رجلا عابدا من بيت المقدس اسمه عبد الله وهو من أدين الناس وله كرامات تزيح الشك والالباس قد خدعه بعض الرهبان وسجنه فى سرداب له فيه مدة مديدة من الزمان وفى انقاذه رضا رب العباد لان فكاكه من أفضل الجهاد ثم ان العجوز لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا أتى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا أن ذلك العابد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت

عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان العجوز ذات الدواهي لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا ألقى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا أن ذلك العابد من أكابر الصالحين وعباد الله المخلصين فسافرنا مدة ثلاثة أيام ثم رأينا ذلك الدير فعرجنا عليه وملنا اليه وأقمنا هناك يوما في البيع والشراء على عادة التجار فلما ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار قصدنا تلك الصومعة التي فيها السرداب فسمعناه بعد تلاوة الآيات ينشد هذه الابيات

كيدأ كابده وصدري ضيق ❊ وجرى بقلبي بحرهم مغرق
ان لم يكن فرج فوت عاجل ❊ ان الحمام من الرزايا ارفق
يابرق ان جئت الديار وأهلها ❊ وعلاعليك من البشائر رونق
كيف السبيل الى اللقاء وبيننا ❊ تلك الحروب وباب رهن مغلق
بلغ أحبتنا السلام وقل لهم ❊ انى بدير الروم قاص موثق

ثم قال اذا وصلتم بي الى عسكر المسلمين وصرت عندهم أعرف كيف أدبر حيلة في خديعتهم وقتلهم عن آخرهم فلما سمع النصارى كلام العجوز قبلوا ايديها ووضعوها في الصندوق بعد ان ضربوها أشد الضربات الموجعات تعظيما لها لانهم يرون طاعتها من الواجبات ثم قصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا هذا ما كان من أمر هذه اللعينة ذات الدواهي ومن معها وأما ما كان من أمر عسكر المسلمين فانهم لما نصرهم الله على أعدائهم وغنموا ما كان في المراكب من الاموال والذخائر قعدوا يتحدثون مع بعضهم فقال ضوء المكان لاخيه ان الله نصرنا بسبب عدلنا وانقيادنا لبعضنا فكن ياشركان ممتثلا أمري في طاعة الله عز وجل فقال شركان حبا وكرامة ومد يده الى أخيه وقال ان جاءك ولد أعطيته ابنتي قضي فكان ففرح بذلك وصار يهنى بعضهم بعضا بالنصر على الاعداء وهنى الوزير دندان شركان وأخاه وقال لهما اعلما أيها الملكين ان الله نصرنا حيث وهبنا أنفسنا لله عز وجل وهجرنا الاهل والاوطان والرأى عندي أن نرحل وراءهم ونحاصرهم ونقاتلهم لعل الله أن يبلغنا مرادنا ونستأصل أعداءنا وان شئتم فانزلوا في هذه المراكب وسيروا في البحر ونحن نسير في البر ونصبر على القتال والطعن والنزال ثم ان الوزير دندان مازال يحرضهم على القتال وأنشد قول من قال

أطيب الطيبات قتل الاعادي ❊ واحتمالي على ظهور الجياد
ورسول يأتي بوعد حبيب ❊ وحبيب يأتي بلا ميعاد

(وقول

﴿وقول الآخر﴾

وان عمرت جعلت الحرب والدة * والمشرفى أخا والسمهرى أبا
بكل أشعث يلقى الموت مبتسما * حتى كأن له فى قتله أربا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره قال سبحان من أيدنا بنصره العزيز وظفرنا بغنيمة الفضة والابريز ثم أمر ضوء المكان العسكر بالرحيل فسافروا طالبين القسطنطينية وجدوا فى سيرهم حتى أشرفوا على مرج فسيح وفيه كل شئ مليح ما بين وحوش تمرح وغزلان تسنح وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة وانقطع عنهم الماء ستة أيام فلما أشرفوا على ذلك المرج نظروا تلك العيون النابعة والأثمار اليانعة وتلك الارض كأنها جنة أخذت زخرفها وازينت وسكرت أغصانها من رحيق الطل فتمايلت وجمعت بين عذوبة التسنيم واعتلال النسيم فتدهش العقل والناظر كما قال الشاعر

انظر الى الروض النضير كأنما * نشرت عليه ملاءة خضراء
ان ما سمحت بلحظ عينك لاترى * الا غديرا جال فيه الماء
وترى بنفسك عزة فى دوحه * اذ فوق رأسك حيث سرت لواء

﴿وكما قال الآخر﴾

النهر خد بالشعاع مورد * قد دب فيه عذار ظل البان
والماء فى سوق الغصون خلاخل * من فضة والزهر كالتيجان

فلما نظر ضوء المكان الى ذلك المرج الذى التفت اشجاره وزهت ازهاره وترنمت اطياره نادى أخاه شركان وقال له يا أخى ان دمشق ما فيها مثل هذا المكان فلا نرحل منه الا بعد ثلاثة أيام حتى نأخذ لنا راحة لاجل ان تنشط عساكر الاسلام وتقوى نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام فأقاموا فيه فبينما هم كذلك اذ سمعوا اصواتا من بعيد فسأل عنهم ضوء المكان فقيل له انها قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين فى هذا المكان للراحة لعل العساكر صادفوهم وربما أخذوا شيأ من بضائعهم التى معهم حيث كانوا فى بلاد الكفار وبعد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون بالملك فلما رأى ضوء المكان ذلك أمر باحضارهم فحضروا بين يديه وقالوا أيها الملك انا كنا فى بلاد الكفار ولم ينهبوا منا شيأ فكيف تنهب أموالنا اخواننا المسلمون ونحن فى بلادهم فاننا لما رأينا عساكركم أقبلنا عليهم فأخذوا ما كان معنا وقد أخبرناك بما حصل لنا ثم أخرجوا له كتاب ملك القسطنطينية فأخذه شركان وقرأه ثم قال لهم سوف نرد عليكم ما أخذ منكم ولكن كان الواجب ان لا تحملوا تجارة الى بلاد الكفار فقالوا يا مولانا ان

الله سيرنا الى بلادهم لنظفر بما لم يظفر به أحد من الغزاة ولا أنتم فى غزوتكم فقال لهم شركان وما الذى ظفرتم به فقالوا ما نذكر لك ذلك الا فى خلوة لان هذا الامر اذا شاع بين الناس ربما اطلع عليه أحد فيكون ذلك سببا لهلاكنا وهلاك كل من يتوجه الى بلاد الروم من المسلمين وكانوا قد خبؤا الصندوق الذى فيه اللعينة ذات الدواهى فأخذهم ضوء المكان وأخوه واختليا بهم فشرحوا لهما حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى ابكوهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان النصارى الذين فى هيئة التجار لما اختلى بهم ضوء المكان وأخوه شركان شرحوا لهما حديث الزاهد وبكوا حتى أبكوهما واخبروهما كما علمتهم الكاهنة ذات الدواهى فرق قلب شركان للزاهد وأخذته الرأفة عليه وقامت به الحمية لله تعالى وقال لهم هل خلصتم هذا الزاهد أم هو فى الدير الى الآن فقالوا بل خلصناه وقتلنا صاحب الدير من خوفنا على أنفسنا ثم أسرعنا فى الهرب خوفا من العطب وقد أخبرنا بعض الثقات ان فى هذا الدير قناطير من الذهب والفضة والجواهر ثم بعد ذلك أتوا بالصندوق وأخرجوا منه تلك الملعونة كأنها قرن خيار شنبر من شدة السواد والنحول وهى مكبلة بتلك السلاسل والقيود فلما نظرها ضوء المكان هو والحاضرون ظنوا انه رجل من خيار العباد ومن أفضل الزهاد خصوصا وجبينها يضىء من الدهان الذى دهنت به وجهها فبكى ضوء المكان وأخوه بكاء شديدا ثم قاما اليها وقبلا يديها ورجليها وصارا ينتحبان فأشارت اليهما وقالت كفا عن هذا البكاء واسمعا كلامى فتركا البكاء امتثالا لامرها فقالت اعلما انى قد رضيت بما صنعه بى مولاى لانى أرى ان البلاء الذى نزل بى امتحان منه عز وجل ومن لم يصبر على البلاء والمحن فليس له وصول الى جنات النعيم وكنت أتمنى انى أعود الى بلادى لا جزعا من البلاء الذى حل بى بل لاجل ان أموت تحت حوافر خيل المجاهدين الذين هم بعد القتل أحياء غير أموات ثم أنشدت هذه الابيات

الحصن طور ونار الحرب موقدة ❊ وأنت موسى وهذا الوقت ميقات
ألق العصا تتلقف كل ما صنعوا ❊ ولا تخف ما حبال القوم حيات
فاقرأ أسطور العدا يوم الوغى سورا ❊ فان سيفك فى الاعناق آيات

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع وجبينها بالدهان كالضوء اللامع فقام اليها شركان وقبل يدها وأحضر لها الطعام فامتنعت وقالت انى لم أفطر من مدة خمسة عشر عاما فكيف أفطر فى هذه الساعة وقد جاد على المولى بالخلاص من أسر الكفار ودفع عنى ما هو

اشق

أشق من عذاب النار فأنا أصبر الى الغروب فلما جاء وقت العشاء أقبل شركان هو وضوء المكان وقدما اليها الاكل وقال لها كل أيها الزاهد فقالت ماهذا وقت الاكل وانما هذا وقت عبادة الملك الديان ثم انتصبت فى المحراب تصلى الى ان ذهب الليل ولم تزل على هذه الحالة ثلاثة أيام بلياليها وهى لم تقعد الاوقت التحية فلما رآها ضوء المكان على تلك الحالة ملك قلبه حسن الاعتقاد فيها وقال لشركان اضرب خيمة من الاديم لذلك العابد ووكل فراشا بخدمته وفى اليوم الرابع دعت بالطعام فقدموا لها من الالوان ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين فلم تأكل من ذلك كله الارغيفا واحدا بملح ثم نوت الصوم ولما جاء الليل قامت الى الصلاة فقال شركان لضوء المكان اما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية الزهد ولولا هذا الجهاد لكنت لازمته واعبد الله بخدمته حتى القاه وقد اشتهيت ان أدخل معه الخيمة وأتحدث معه ساعة فقال له ضوء المكان وأنا كذلك ولكن نحن فى غد ذاهبون الى غزو القسطنطينية ولم نجد لنا ساعة مثل هذه الساعة فقال الوزير دندان وأنا الآخر أشتهى ان أرى هذا الزاهد لعله يدعو لى بقضاء نحبى فى الجهاد ولقاء ربى فانى زهدت الدنيا فلما جن عليهم الليل دخلوا على تلك الكاهنة ذات الدواهى فى خيمتها فرأوها قائمة تصلى فدنوا منها وصاروا يبكون رحمة لها وهى لا تلتفت اليهم الى ان انتصف الليل فسلمت من صلاتها ثم أقبلت عليهم وحيتهم وقالت لهم لماذا جئتم فقالوا لها أيها العابد أما سمعت بكاءنا حولك فقالت ان الذى يقف بين يدى الله لا يكون له وجود فى الكون حتى يسمع صوت أحد أو يراه ثم انهم قالوا اننا نشتهى أن تحدثنا بسبب أسرك وتدعو لنا فى هذه الليلة فانها خير لنا من ملك القسطنطينية فلما سمعت كلامهم قالت والله لولا انكم أمراء المسلمين ما أحدثكم بشىء من ذلك أبدا فانى لا أشكو الا الى الله وها أنا أخبركم بسبب أسرى اعلموا انى كنت فى القدس مع بعض الابدال وأرباب الاحوال وكنت لا أتكبر عليهم لان الله سبحانه وتعالى أنعم علىّ بالتواضع والزهد فاتفق انى توجهت الى البحر ليلة ومشيت على الماء فداخلنى العجب من حيث لا أدرى وقلت فى نفسى من مثلى يمشى على الماء فقسا قلبى من ذلك الوقت وابتلانى الله بحب السفر فسافرت الى بلاد الروم وجلت فى أقطارها سنة كاملة حتى لم أترك موضعا الا عبدت الله فيه فلما وصلت الى هذا المكان صعدت الى هذا الجبل وفيه دير راهب يقال له مطروحنا فلما رآنى خرج الىّ وقبل يدى ورجلى وقال انى رأيتك منذ دخلت بلاد الروم وقد شوقتنى الى بلاد الاسلام ثم انه أخذ بيدى وأدخلنى ذلك الدير ثم دخل بى الى بيت مظلم فلما دخلت فيه غافلنى وأغلق علىّ الباب وتركنى فيه أربعين يوما من غير طعام ولا شراب وكان قصده بذلك قتلى صبرا فاتفق فى بعض الايام انه دخل ذلك الدير بطريق يقال له دقيانوس ومعه عشرة من الغلمان ومعه

ابنة يقال لها تماثيل ولكنها فى الحسن ليس لها مثيل فلما دخلوا الدير أخبرهم الراهب مطروحنا بخبرى فقال البطريق اخرجوه لانه لم يبق من لحمه ما يأكله الطير ففتحوا باب ذلك البيت المظلم فوجدونى منتصبا فى المحراب أصلى وأقرأ وأسبح وأتضرع الى الله تعالى فلما رأونى على تلك الحالة قال مطروحنا ان هذا ساحر من السحرة فلما سمعوا كلامه قاموا جميعا ودخلوا على وأقبل على دقيانوس هو وجماعته وضربونى ضربا عنيفا فعند ذلك تمنيت الموت ولمت نفسى وقلت هذا جزاء من يتكبر ويعجب بما أنعم عليه ربه يا بليس فى طاقته وأنت يا نفسى قد داخلك العجب والكبر أما علمت أن الكبر يغضب الرب ويقسى القلب ويدخل الانسان النار ثم بعد ذلك قيدونى وردونى الى مكانى وكان سردابا فى ذلك البيت تحت الارض وكل ثلاثة أيام يرمون الى قرصة من الشعير وشربة ماء وكل شهر أو شهرين يأتى البطريق ويدخل ذلك الدير وقد كبرت ابنته تماثيل لانها كانت بنت تسع سنين حين رأيتها ومضى لى فى الاسر خمس عشرة سنة فجملة عمرها أربعة وعشرون عاما وليس فى بلادنا ولا فى بلاد الروم أحسن منها وكان أبوها يخاف عليها من الملك أن يأخذها منه لانها وهبت نفسها للمسيح غير انها تركب مع أبيها فى زى الرجال الفرسان وليس لها مثيل فى الحسن ولم يعلم من رآها انها جارية وقد خزن أبوها أمواله فى هذا الدير لان كل من كان عنده شئ من نفائس الذخائر يضعه فى ذلك الدير وقد رأيت فيه من أنواع الذهب والفضة والجواهر وسائر الاوانى والتحف ما لا يحصى عدده الا الله فأنتم أولى به من هؤلاء الكفرة فخذوا ما فى هذا الدير وأنفقوه على المسلمين وخصوصا المجاهدين ولما وصل هؤلاء التجار الى القسطنطينية وباعوا بضاعتهم كلمتهم تلك الصورة التى فى الحائط كرامة أكرمنى الله بها فجاؤا الى ذلك الدير وقتلوا البطريق مطروحنا بعد ان عاقبوه أشد العقاب وجروه من لحيته فدلهم على موضعى فأخذونى ولم يكن لهم سبيل الا الهرب خوفا من العطب وفى ليلة غد تأتى تماثيل الى ذلك الدير على عادتها ويلحقها أبوها مع غلمانه لانه لا يخاف عليها فان شئتم ان تشاهدوا هذا الامر فخذونى بين أيديكم وأنا أسلم اليكم الاموال وخزانة البطريق دقيانوس التى فى ذلك الجبل وقد رأيتهم يخرجون أوانى الذهب والفضة يشربون فيها ورأيت عندهم جارية تغنى لهم بالعربى فوا حسرتاه لو كان ذلك الصوت الحسن فى قراءة القرآن وان شئتم فادخلوا ذلك الدير واكمنوا فيه الى أن يصل دقيانوس ومعه ابنته فخذوها فانها لا تصلح الا لملك الزمان شركان أو للملك ضوء المكان ففرحوا بذلك حين سمعوا كلامها الا الوزير دندان فانه ما دخل كلامها فى عقله وانما كان يتحدث معها لاجل خاطر الملك وصار باهتا من كلامها ويلوح على وجهه علامة الانكار عليها فقالت العجوز ذات الدواهى انى أخاف ان يقبل

البطريق

البطريق وينظر هذه العساكر في المرج فاجسران يدخل الدير فأمر السلطان العسكران يرحلوا صوب القسطنطينية وقال ضوء المكان ان قصدي أن تأخذ معنا مائة فارس وبغالا كثيرة وتتوجه الى ذلك الجبل لاجل ان نحملهم المال الذي في الدير ثم أرسل من وقته وساعته الى الحاجب الكبير فأحضره بين يديه وأحضر المقدمين والاتراك والديلم وقال اذا كان وقت الصباح فارحلوا الى القسطنطينية وأنت أيها الحاجب تكون عوضاعني في الرأي والتدبير وأنت يارستم تكون نائبا عن أخي في القتال ولا تعلموا أحدا اننا لسنا معكم وبعد ثلاثة أيام نلحقكم ثم انتخب مائة فارس من الابطال وانحاز هو وأخوه شركان والوزير دندان والمائة فارس وأخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والتسعون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان شركان وأخاه ضوء المكان والوزير دندان سافروا هم والمائة خيال الى الدير الذي وصفته لهم اللعينة ذات الدواهي وأخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال فلما أصبح الصباح نادى الحاجب بين العسكر بالرحيل فرحلوا وهم يظنون ان شركان وضوء المكان والوزير دندان معهم ولم يعلموا انهم ذهبوا الى الدير هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر شركان وأخيه ضوء المكان والوزير دندان فانهم أقاموا الى آخر النهار وكانت الكفار أصحاب ذات الدواهي رحلوا خفية بعد ان دخلوا عليها وقبلوا يديها ورجليها واستأذنوها في الرحيل فأذنت لهم وأمرتهم بما شاءت من المكر فلما جن الظلام قامت العجوز وقالت لضوء المكان هو وأصحابه قوموا معي الى الجبل وخذوا معكم قليلا من العسكر فأطاعوها وتركوا في سفح الجبل خمسة فوارس بين يدي ذات الدواهي وصارت عندها قوة من شدة فرحها وصار ضوء المكان يقول سبحان من قوى هذا الزاهد الذي ما رأينا مثله وكانت الكاهنة قد أرسلت كتابا على أجنحة الطير الى ملك القسطنطينية تخبره فيه بما جرى وقالت في آخر الكتاب أريد ان تنفذ لي عشرة آلاف فارس من شجعان الروم ويكون سيرهم في سفح الجبل خفية لئلا يراهم عسكر الاسلام ويأتون الى الدير ويكمنون فيه حتى أحضر اليهم ومعي ملك المسلمين وأخوه فاني خدعتهما وجئت بهما ومعهما الوزير ومائة فارس لاغير وسوف أسلم اليهم الصلبان التي في الدير وقد عزمت على قتل الراهب مطروحنا لان الحيلة لاتتم الا بقتله فاذا تمت الحيلة فلا يصل من المسلمين الى بلادهم لاديار ولا من ينفخ نارا ويكون مطروحنا فداء لاهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية والشكر للمسيح أولا وآخرا فلما وصل الكتاب الى القسطنطينية جاء براج الحمام الى الملك افريدون

بالورقة فلما قرأها انفذ الجيش من وقته وجهز كل واحد بفرس وهجين وبغل وزاد وأمرهم أن يصلوا الى ذلك الدير هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر ضوء المكان وأخيه شركان والوزير دندان والعسكر فانهم لما وصلوا الى الدير دخلوه فرأوا الراهب مطروحنا قد أقبل لينظر حالهم فقال الزاهد اقتلوا هذا اللعين فضربوه بالسيوف وأسقوه كأس الحتوف ثم مضت بهم الملعونة الى موضع النذور فأخرجوا منه من التحف والذخائر أكثر مما وصفته لهم وبعد ان جمعوا ذلك وضعوه فى الصناديق وحملوه على البغال وأما تماثيل فانها لم تحضر لا هى ولا أبوها خوفا من المسلمين فأقام ضوء المكان فى انتظارها ذلك النهار وثانى يوم وثالث يوم فقال شركان والله ان قلبى مشغول بعسكر الاسلام ولا أدرى ما حالهم فقال أخوه انا قد أخذنا هذا المال العظيم وما أظن ان تماثيل ولا غيرها يأتى الى هذا الدير بعد ان جرى لعسكر الروم ما جرى فينبغى اننا نقنع بما يسره الله لنا ونتوجه لعل الله يعيننا على فتح القسطنطينية ثم نزلوا من الجبل فما أمكن ذات الدواهى ان تتعرض لهم خوفا من التفطن لخداعها ثم انهم ساروا الى أن وصلوا الى باب الشعب واذا بالعجوز قد أكمنت لهم عشرة آلاف فارس فلما رأوهم احتاطوا بهم من كل جانب وأسرعوا نحو الرماح وجردوا عليهم بيض الصفاح ونادى الكفار بكلمة كفرهم وفوقوا سهام شرهم فنظر ضوء المكان وأخوه شركان والوزير دندان الى هذا الجيش فرأوه جيشا عظيما وقالوا من أعلم هذه العساكر بنا فقال شركان يا أخى ما هذا وقت كلام بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمى بالسهام فشدوا عزمكم وقووا نفوسكم لان هذا الشعب مثل الدرب له بابان وحق سيد العرب والعجم لولا ان هذا المكان ضيق لكنت أفنيتهم ولو كانوا مائة ألف فارس فقال ضوء المكان لو علمنا ذلك لاخذنا معنا خمسة آلاف فارس فقال الوزير دندان لو كان معنا عشرة آلاف فارس فى هذا المكان الضيق لا تفيد ناشيأ ولكن الله يعيننا عليهم وأنا أعرف هذا الشعب وضيقه وأعرف ان فيه مفاوز كثيرة لانى قد غزوت فيه مع الملك عمر النعمان حيث حاصرنا القسطنطينية وكنا نقيم فيه وفيه ماء أبرد من الثلج فانهضوا بنا لنخرج من هذا الشعب قبل ان يكثر علينا عساكر الكفار ويسبقونا الى رأس الجبل فيرموا علينا الحجارة ولم نملك فيهم أربا فأخذوا فى الاسراع بالخروج من ذلك الشعب فنظر اليهم الزاهد وقال لهم ما هذا الخوف وأنتم قد بعتم أنفسكم لله تعالى فى سبيله والله انى مكثت مسجونا تحت الارض خمسة عشر عاما ولم أعترض على الله فيما فعل بى فقاتلوا فى سبيل الله فمن قتل منكم فالجنة مأواه ومن قتل فالى الشرف مسعاه فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجمت عليهم الكفار من كل مكان ولعبت فى أعناقهم السيوف ودارت بينهم كأس الحتوف

الحتوف وقاتل المسلمون فى طاعة الله أشد القتال واعملوا فى أعدائه الاسنة والنصال وصار ضوء المكان يضرب الرجال ويجندل الابطال ويرمى رؤسهم خمسة خمسة وعشرة عشرة حتى أفنى منهم عددا لا يحصى وجلالا تستقصى فبينما هو كذلك اذ نظر الملعونة وهي تشير بالسيف اليهم وتقويهم وكل من خاف يهرب اليها وصارت تومى اليهم بقتل شركان فيميلون الى قتله فرقة بعد فرقة وكل فرقة حملت عليه يحمل عليها ويهزمها وتأتى بعدها فرقة أخرى حاملة عليه فيردها بالسيف على أعقابها فظن ان نصره عليهم ببركة العابد وقال فى نفسه ان هذا العابد قد نظر الله اليه بعين عنايته وقوى عزمى على الكفار بخالص نيته فاراهم يخافونى ولا يستطيعون الاقدام على بل كلما حملوا على يولون الادبار ويركنون الى الفرار ثم قاتلوا بقية يومهم الى آخر النهار ولما أقبل الليل نزلوا فى مغارة من ذلك الشعب من كثرة ما حصل لهم من الوبال ورمى الحجارة وقتل منهم فى ذلك اليوم خمسة وأربعون رجلا ولما اجتمعوا مع بعضهم فتشوا على ذلك الزاهد فلم يروا له أثرا فعظم عليهم ذلك وقالوا لعله استشهد فقال شركان أنا رأيته يقوى الفرسان بالاشارات الربانية ويعيذهم بالآيات الرحمانية فبينما هم فى الكلام واذا بالملعونة ذات الدواهى قد أقبلت وفى يدها رأس البطريق الكبير الرئيس على العشرين ألفا وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وقد قتله رجل من الاتراك بسهم فعجل الله بروحه الى النار فلما رأى الكفار ما فعل ذلك المسلم بصاحبهم مالوا بكليتهم عليه وأوصلوا الاذية اليه وقطعوه بالسيوف فعجل الله به الى الجنة ثم ان الملعونة قطعت رأس ذلك البطريق وأتت بها وألقتها بين يدى شركان والملك ضوء المكان والوزير دندان فلما رآها شركان وثب قائما على قدميه وقال الحمد لله على رؤيتك أيها العابد المجاهد الزاهد فقال ياولدى انى قد طلبت الشهادة فى هذا اليوم فصرت أرمى روحى بين عسكر الكفار وهم يهابوننى فلما انفصلتم أخذتنى الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير رئيسهم وكان يعد بألف فارس فضربته حتى أطحت رأسه عن بدنه ولم يقدر أحد من الكفار أن يدنو منى وأتيت برأسه اليكم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والتسعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن اللعينة ذات الدواهى لما أخذت رأس البطريق رئيس العشرين ألف كافر أتت بها وألقتها بين يدى الملك ضوء المكان وأخيه شركان والوزير دندان وقالت لهم لما رأيت حالكم أخذتنى الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير وضربته بالسيف فاطحت رأسه ولم يقدر أحد من الكفار أن يدنو منى وأتيت برأسه اليكم لتقوى نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العباد وأريد

أن أشغلكم فى الجهاد واذهب الى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية وآتيكم من عندهم بعشرين ألف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان وكيف تمضى اليهم أيها الزاهد والوادى مسدود بالكفار من كل جانب فقالت الملعونة الله يسترنى عن أعينهم فلا يرونى ومن رآنى لا يجسر أن يقبل على فانى فى ذلك الوقت أكون فانيا فى الله وهو يقاتل عنى عداه فقال شركان صدقت أيها الزاهد لانى شاهدت ذلك واذا كنت تقدر ان تمضى أول الليل يكون ذلك أجود لنا فقال أنا أمضى فى هذه الساعة وان كنت تريد ان تجى معى ولا يراك أحد فقم وان كان أخوك يذهب معنا أخذناه دون غيره فان ظل الولى لا يستر غير اثنين فقال شركان أما أنا فلا أترك أصحابى ولكن اذا كان أخى يرضى بذلك فلا باس حيث ذهب معك وخاص من هذا الضيق فانه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وان شاء فليأخذ معه الوزير دندان أو من يختار ثم يرسل الينا عشرة آلاف فارس اعانة على هؤلاء اللئام واتفقوا على هذا الحال ثم ان العجوز قالت امهلونى حتى أذهب قبلكم وانظر حال الكفرة هل هم نيام أو يقظانون فقالوا ما نخرج الا معك ونسلم أمرنا الله فقالت اذا طاوعتكم لا تلومونى ولوموا أنفسكم فالرأى عندى ان تمهلونى حتى أكشف خبرهم فقال شركان امض اليهم ولا تبطئ علينا لاننا ننتظرك فعند ذلك خرجت ذات الدواهى وكان شركان حدث أخاه بعد خروجها وقال لولا ان الزاهد صاحب كرامات ما كان قتل هذا البطريق الجبار وفى هذا القدر كفاية فى كرامة هذا الزاهد وقد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لانه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا فبينما هم يتحدثون فى كرامات الزاهد واذا باللعينة ذات الدواهى قد دخلت عليهم ووعدتهم بالنصر على الكفرة فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا ان هذا حيلة وخداع ثم قالت اللعينة أين ملك الزمان ضوء المكان فاجابها بالتلبية فقالت له خذ معك وزيرك وسر خلفى حتى نذهب الى القسطنطينية وكانت ذات الدواهى قد أعلمت الكفار بالحيلة التى عملتها ففرحوا بذلك غاية الفرح وقالوا ما يجبر خاطرنا الا قتل ملكهم فى نظير قتل البطريق لانه لم يكن عندنا أفرس منه وقالوا للعجوز النحس ذات الدواهى حين أخبرتهم بانها تذهب اليهم بملك المسلمين اذا أتيت به نأخذه الى الملك أفريدون ثم ان العجوز ذات الدواهى توجهت وتوجه معها ضوء المكان والوزير دندان وهى سابقة عليهما وتقول لهما سيرا على بركة الله تعالى فاجابها الى قولها ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم ووصلوا الى الشعب المذكور الضيق وعساكر الكفار ينظرون اليهم ولا يتعرضون لهم بسوء لان الملعونة أوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان الى عساكر الكفار وعرفوا ان الكفار عاينوهم ولم

ولم يشعر ضوءالمكان قال الوزير دندان والله ان هذه كرامة من الزاهد ولاشك انه من الخواص فقال ضوء المكان والله ماأظن الكفار الاعميا نالانتا نراهم وهم لايرونا فبينما هما فى الثناء على الزاهد وتعداد كراماته وزهده وعباداته واذا بالكفار قد هجموا عليهما واحتاطوا بهما وقبضوا عليهما وقالوا هل معكما أحد غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان أماترون هذا الرجل الآخر الذى بين أيدينا فقال لهم الكفار وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران انالم نر أحدا غيركما فقال ضوء المكان والله ان الذى حل بنا عقوبة لنا من الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الكفار لما قبضوا على الملك ضوء المكان والوزير دندان قالوا لهما هل معكما غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان أماترون هذا الرجل الآخر الذى معنا قالوا وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران انناما نرى أحدا غيركما ثم ان الكفار قد وضعوا القيود فى أرجلهما ووكلوا بهما من يحرسهما فى المبيت فصارا يتأسفان ويقولان لبعضهما ان الاعتراض على الصالحين يؤدى الى أكثر من ذلك وجزاؤنا ما حل بنا من الضيق الذى نحن فيه هذا ما كان من أمر ضوء المكان والوزير دندان وأما ما كان من أمر الملك شركان فانه بات تلك الليلة فلما أصبح الصباح قام وصلى صلاة الصبح ثم نهض هو ومن معه من العساكر وتأهبوا الى قتال الكفار وقوى قلبهم شركان ووعدهم بكل خير ثم ساروا الى أن وصلوا الى الكفار فلما رآهم الكفار من بعيد قالوا لهم يامسلمون انا أسرنا سلطانكم ووزيره الذى به انتظام أمركم وان لم ترجعوا عن قتالنا قتلنا كم عن آخركم واذا سلمتم لنا أنفسكم فاننا نروح بكم الى ملكنا فيصالحكم على أن تخرجوا من بلادنا وتذهبوا الى بلادكم ولا تضرونا بشىء ولا نضركم بشىء فان طاب خاطركم كان الحظ لكم وان أبيتم فما يكون الاقتلكم وقد عرفناكم وهذا آخر كلامنا معكم فلما سمع شركان كلامهم وتحقق أسر أخيه والوزير دندان عظم عليه ذلك وبكى وضعفت قوته وأيقن بالهلاك فقال فى نفسه يا ترى ماسبب أسرهما هل حصل منهما اساءة أدب فى حق الزاهد أواعتراض عليه وماشأنهما ثم نهضوا الى قتال الكفار فقتلوا منهم خلقا كثيرا وتبين فى ذلك اليوم الشجاع من الجبان واختضب السيف والسنان وتهافت عليهم الكفار تهافت الذباب على الشراب من كل مكان ومازال شركان ومن معه يقاتلون قتال من لايخاف الموت ولا يعتريه فى طلب الفرصة فوت حتى سال الوادى بالدماء وامتلأت الارض بالقتلى فلما أقبل الليل تفرقت الجيوش وكل من الفريقين ذهب الى مكانه وعاد المسلمون الى تلك المغارة ولم يبق منهم الا القليل ولم يكن منهم الاعلى الله والسيف تعويل

وقد قتل منهم فى هذا النهار خمسة وثلاثون فارسا من الامراء الاعيان وان قتل بسيفهم من الكفار آلاف من الرجال والركبان فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الامر وقال لاصحابه كيف العمل فقال له أصحابه لا يكون الا ما يريده الله تعالى فلما كان ثانى يوم قال شركان لبقية العسكر ان خرجتم للقتال ما بقى منكم أحد لانه لم يبق عندنا الا قليل من الماء والزاد والرأى الذى عندى فيه الرشاد أن تجردوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لاجل أن تدفعوا عن أنفسكم كل من يدخل عليكم فلعل الزاهد أن يكون وصل الى عسكر المسلمين ويأتينا بعشرة آلاف فارس فيعينونا على قتال الكفرة ولعل الكفار لم ينظروه هو ومن معه فقال له أصحابه ان هذا الرأى هو الصواب وما فى سداده ارتياب ثم ان العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا فى طرفيه وكل من أراد أن يدخل عليهم من الكفار يقتلونه وصاروا يدفعون الكفار على الباب وصبروا على قتال الكفار الى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان عسكر المسلمين ملكوا باب المغارة ووقفوا فى طرفيه وصاروا يدفعون الكفار على الباب وكل من أراد أن يهجم عليهم قتلوه وصبروا على قتال الكفار الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ولم يبق عند الملك شركان الا خمسة وعشرون رجلا لاغير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضى هذه الايام فاننا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم قوموا نهجم عليهم فانه لم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فان لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فان انقادوا وسلموا أنفسهم الينا أخذناهم أسارى وان أبوا تركناهم حطبا للنار حتى يصيروا عبرة لأولى الابصار فلا رحم المسيح أباهم ولا جعل مستقر النصارى مثواهم ثم انهم حملوا الحطب الى باب المغارة وأضرموا فيه النار فأيقن شركان ومن معه بالبوار فبينما هم كذلك واذا بالبطريق الرئيس عليهم التفت الى المشير بقتلهم وقال له لا يكون قتلهم الا عند الملك افريدون لاجل أن يشفى غليله فينبغى اننا نبقيهم عندنا أسارى وفى غد نسافر بهم الى القسطنطينية ونسلمهم الى الملك افريدون فيفعل بهم ما يريد فقالوا هذا هو الرأى الصواب ثم أمروا بتكتيفهم وجعلوا عليهم حراسا فلما جن الظلام اشتغل الكفار باللهو والطعام ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كلٌ منهم على قفاه وكان شركان وأخوه ضوء المكان مقيدين وكذلك من معهم من الابطال فعند ذلك نظر شركان الى أخيه وقال له يا أخى كيف الخلاص فقال ضوء المكان والله لا أدرى وقد صرنا كالطير فى الاقفاص فاغتاظ شركان وتنهد من شدة غيظه فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام الى رئيس الحراس وأخذ

وأخذ مفاتيح القيود من جيبه وفك ضوء المكان وفك الوزير دندان وفك بقية العسكر ثم التفت الى أخيه ضوء المكان والوزير دندان وقال انى أريد أن أقتل من الحراس ثلاثة ونأخذ ثيابهم ونلبسها نحن الثلاثة حتى نصير فى زى الروم ونسير بينهم حتى لايعرفوا أحدا منا ثم نتوجه الى عسكرنا فقال ضوء المكان ان هذا الرأى غير صواب لاننا اذا قتلناهم نخاف أن يسمع أحد شخيرهم فتنتبه الينا الكفار فيقتلوننا والرأى السديد أن نسير الى خارج الشعب فأجابوه الى ذلك فلما صاروا بعيدا عن الشعب بقليل رأوا خيلا مربوطة وأصحابها نائمون فقال شركان لاخيه ينبغى أن يأخذ كل واحد منا جوادا من هذه الخيول وكانوا خمسة وعشرين رجلا فأخذوا خمسة وعشرين جوادا وقد ألقى الله النوم على الكفار لحكمة يعلمها ثم ان شركان جعل يختلس من الكفار السلاح من السيوف والرماح حتى اكتفى ثم ركبوا الخيل التى أخذوها وساروا وكان فى ظن الكفار انه لايقدر أحد على فكاك ضوء المكان وأخيه ومن معهما من العساكر وانهم لايقدرون على الهروب فلما خلصوا جميعا من الاسر وصاروا فى أمن من الكفار التفت اليهم شركان وقال لهم لاتخافوا حيث سترنا الله ولكن عندى رأى ولعله صواب فقالوا وما هو قال أريد أن تطلعوا فوق الجبل وتكبروا كلكم تكبيرة واحدة وتقولوا قد جاءتكم العساكر الاسلامية ونصيح كلنا صيحة واحدة بقول الله أكبر فيفترق الجمع من ذلك ولايجدون لهم فى هذا الوقت حيلة فانهم سكارى ويظنون ان عسكر المسلمين أحاطوا من كل جانب واختلطوا بهم فيقعون ضربا بالسيوف فى بعضهم من دهشة السكر والنوم فنقطعهم بسيوفهم ويدور السيف فيهم الى الصباح فقال ضوء المكان ان هذا الرأى غير صواب والصواب اننا نسير الى عسكرنا ولا ننطق بكلمة لاننا ان كبرنا تنبهوا لنا ولحقونا فلم يسلم منا أحد فقال شركان والله لو انتبهوا لنا ما علينا بأس واشتهى ان توافقونى على هذا الرأى وهو لايكون الا خيرا فأجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من خشية الله فسمع الكفار ذلك التكبير فصاح الكفار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للمائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان شركان قال اشتهى أن توافقونى على هذا الرأى وهو لايكون الا خيرا فأجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من خشية الله فسمعه الكفار فصاح الكفار على بعضهم ولبسوا السلاح وقالوا قد هجمت علينا الاعداء وحق المسيح ثم قتلوا من بعضهم مالايعلم عدده الا الله تعالى فلما كان الصباح فتشوا على الاسارى فلم يجدوا لهم أثرا فقال رؤساؤهم ان الذى فعل بكم هذه الفعال هم الاسارى الذين كانوا عند نافدونكم والسعى خلفهم حتى

تلحقوهم فتسقوهم كأس الوبال ولا يحصل لكم خوف ولا اندهال ثم انهم ركبوا خيولهم وسعوا خلفهم فما كان الا لحظة حتى لحقوهم وأحاطوا بهم فلما رأى ضوء المكان ذلك ازداد به الفزع وقال لاخيه ان الذى خفت من حصوله قد حصل وما بقى لنا حيلة الا الجهاد فلزم شركان السكوت عن المقال ثم انحدر ضوء المكان من أعلى الجبل وكبر وكبرت معه الرجال وعولوا على الجهاد وبيع أنفسهم فى طاعة رب العباد فبينما هم كذلك واذا باصوات يصيحون بالتهاليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فالتفتوا الى جهة الصوت فرأوا جيوش المسلمين وعساكر الموحدين مقبلين فلما رأوهم قويت قلوبهم وحمل شركان على الكافرين وهلل وكبر هو ومن معه من الموحدين فارتجت الارض كالزلازل وتفرقت عساكر الكفار فى عرض الجبال فتبعتهم المسلمون بالضرب والطعان وأزاحوا منهم الرؤس عن الابدان ولم يزل ضوء المكان هو ومن معه من المسلمين يضربون فى أعناق الكافرين الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ثم انحاز المسلمون الى بعضهم و باتوا مستبشرين طول ليلهم فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح رأوا بهرام مقدم الديلم ورستم مقدم الاتراك ومعهما عشرون ألف فارس مقبلين عليهم كالليوث العوابس فلما رأوا ضوء المكان ترجل الفرسان وسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه فقال لهم ضوء المكان ابشروا بنصر المسلمين وهلاك القوم الكافرين ثم هنوا بعضهم بالسلامة وعظيم الاجر فى القيامة وكان السبب فى مجيئهم الى هذا المكان ان الامير بهرام والامير رستم والحاجب الكبير لما ساروا بجيوش المسلمين والرايات على رؤسهم منشورة حتى وصلوا الى القسطنطينية رأوا الكفار قد طلعوا على الاسوار وملكوا الابراج والقلاع واستعدوا فى كل حصن مناع حين علموا بقدوم العساكر الاسلامية والاعلام المحمدية وقد سمعوا قعقعة السلاح وضجة الصياح ونظروا فرأوا المسلمين وسمعوا حوافر خيولهم من تحت الغبار فاذا هم كالجراد المنتشر والسحاب المنهمر وسمعوا أصوات المسلمين بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وكان السبب فى اعلام الكفار بذلك ما دبرته العجوز ذات الدواهى من زورها وعهرها وبهتانها ومكرها حتى قربت العساكر كالبحر الزاخر من كثرة الرجال والفرسان والنساء والصبيان فقال أمير الترك لامير الديلم يا أميرانا بقينا على خطر من الاعداء الذين فوق الاسوار فانظر الى تلك الابراج والى هذا العالم الذى كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج ان هؤلاء الكفار قدرنا مائة مرة ولا نأمن من جاسوس شر فيخبرهم اننا على خطر من الاعداء الذين لا يحصى عددهم ولا ينقطع مددهم خصوصا مع غيبة الملك ضوء المكان وأخيه والوزير الأجل دندان فعند ذلك يطمعون فينا لغيبتهم عنا فيمحقوننا بالسيف عن آخرنا ولا ينجو منا ناج ومن الرأى أن

تاخذ

تأخذ أنت عشرة آلاف فارس من المواصلة والاتراك وتذهب بهم الى دير مطروحنا وصرح ملوخنا فى طلب اخواننا وأصحابنا فان أطعتمونى كنتم سببا فى الفرج عنهم ان كان الكفار قد ضيقوا عليهم وان لم تطيعونى فلا لوم على" واذا توجهتم ينبغى أن ترجعوا الينا مسرعين فان من الحزم سوء الظن فعندها اقبل الامير المذكور كلامه وانتخبا عشرين ألف فارس وساروا يقطعون الطرقات طالبين المرج المذكور والدير المشهور هذا ما كان من أمر سبب مجيئهم وأما ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فانها لما أوقعت السلطان ضوء المكان وأخاه شركان والوزير دندان فى أيدى الكفار أخذت تلك العاهرة جوادا وركبته وقالت للكفار انى أريد أن الحق عسكر المسلمين وأتحيل على هلاكهم لانهم فى القسطنطينية فاعلمهم أن أصحابهم هلكوا فاذا سمعوا ذلك منى تشتت شملهم وانصرم حبلهم وتفرق جمعهم ثم أدخل أنا الى الملك افريدون ملك القسطنطينية وولده الملك حردوب ملك الروم وأخبرهما بهذا الخبر فيخرجان بعساكرهما الى المسلمين ويهلكونهم ولا يتركون أحدا منهم ثم انها سارت تقطع الارض على ذلك الجواد طول الليل فلما أصبح الصباح لاح لها عسكر بهرام ورستم فدخلت بعض الغابات وأخفت جوادها هناك ثم خرجت ومشت قليلا وهى تقول فى نفسها لعل" عساكر المسلمين قد رجعوا منهزمين من حرب القسطنطينية فلما قربت منهم نظرت اليهم وتحققت أعلامهم فرأتها غير منكسة فعلمت انهم أتوا غير منهزمين ولا خائفين على ملكهم وأصحابهم فلما عاينت ذلك أسرعت نحوهم بالجرى الشديد مثل الشيطان المريد الى أن وصلت اليهم وقالت لهم العجل العجل يا جند الرحمن الى جهاد حزب الشيطان فلما رآها بهرام أقبل عليها وترجل وقبل الارض بين يديها وقال لها يا ولى" الله ما وراءك فقال لا تسأل عن سوء الحال وشديد الاهوال فان أصحابنا لما أخذوا المال من دير مطروحنا أرادوا أن يتوجهوا الى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جرار ذو بأس من الكفار ثم ان الملعونة أعادت عليهم الحديث ارجافا ووجلا وقالت ان أكثرهم هلك ولم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فقال بهرام أيها الزاهد متى فارقتهم فقال فى ليلتى هذه فقال بهرام سبحان الذى طوى لك الارض البعيدة وأنت ماشى على قدميك متكئا على جريدة لكنك من الاولياء الطيارة الملهمين وحى الاشارة ثم ركب على ظهر جواده وهو مدهوش حيران بما سمعه من ذات الافك والبهتان وقال لا حول ولا قوة الا بالله لقد ضاع تعبنا وضاقت صدورنا وأسر سلطاننا ومن معه ثم جعلوا يقطعون الارض طولا وعرضا ليلا ونهارا فلما كان وقت السحر أقبلوا على رأس الشعب فرأوا ضوء المكان وأخاه شركان يناديان بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فحمل هو وأصحابه

وأحاطوا بالكفار احاطة السيل بالقفار وصاحوا عليهم صياحا ضجت منه الابطال وتصدعت به الجبال فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح فاح لهم من ضوء المكان طيبه ونشره وتعارفوا ببعضهم كما تقدم ذكره فقبلوا الارض بين يدى ضوء المكان وأخيه شركان وأخبرهم شركان بما جرى لهم فى المغارة فتعجبوا من ذلك ثم قالوا لبعضهم أسرعوا بنا الى القسطنطينية لانا تركنا أصحابنا هناك وقلوبنا عندهم فعند ذلك أسرعوا فى المسير وتوكلوا على اللطيف الخبير وكان ضوء المكان يقوى المسلمين على الثبات وينشد هذه الابيات

لك الحمد يا مستوجب الحمد والشكر * فما زلت لى بالعون يارب فى أمرى
ربيت غريبا فى البلاد وكنت لى * كفيلا وقد قدرت يارب بانصرى
وأعطيتنى مالا وملكا ونعمة * وقلدتنى سيف الشجاعة والنصر
وخولتنى ظل المليك معمرا * وقد جدت لى من فيض جودك بالغمر
وسلمتنى من كل خطب حذرته * بمشورة الصدر الوزير فتى الدهر
بفضلك قد صلنا على الروم صولة * وقد رجعوا بالضرب فى حلل حمر
وأظهرت انى قد هزمت هزيمة * وعدت عليهم عودة الضيغم الغمر
تركتهم فى القاع صرعى كأنهم * نشاوى بكأس الموت لا قهوة الخمر
وصارت بايدينا المراكب كلها * وصار لنا السلطان فى البر والبحر
وجاء الينا الزاهد العابد الذى * كرامته شاعت لدى البدو والحضر
أتينا لأخذ الثار من كل كافر * وقد شاع عند الناس ما كان من أمرى
وقد قتلوا منا رجالا فاصبحوا * لهم غرف فى الخلد تعلو على نهر

فلما فرغ ضوء المكان من شعره هناه أخوه شركان بالسلامة وشكره على أفعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان شركان هناه أخوه ضوء المكان بالسلامة وشكره على أفعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فانها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت الى الغابة وأخذت جوادها وركبته وأسرعت فى سيرها حتى أشرفت على عسكر المسلمين المحاصرين للقسطنطينية ثم انها نزلت وأخذت جوادها وأتت به الى السرادق الذى فيه الحاجب فلما رآها نهض لها قائما وأشار اليها بالايماء وقال مرحبا بالعابد الزاهد ثم سألها عما جرى فاخبرته بخبرها المرجف وبهتانها المتلف وقالت انى أخاف على الامير رستم والامير بهرام

بهرام لانى قد لاقيهما مع عسكرهما فى الطريق وأرسلتهما الى الملك ومن معه وكانا فى عشرين ألف فارس والكفار أكثر منهم وانى أردت فى هذه الساعة أن ترسل جملة من عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة لئلا يهلكوا عن آخرهم وقالت لهم العجل العجل فلما سمع الحاجب والمسلمون منها ذلك الكلام انحلت عزائمهم وبكوا فقالت لهم ذات الدواهى استعينوا بالله واصبروا على هذه الرزية فلكم أسوة بمن سلف من الامة المحمدية فالجنة ذات القصور أعدها الله لمن يموت شهيدا ولابد من الموت لكل أحد ولكنه فى الجهاد أحمد فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهى دعا بأخى الامير بهرام وكان فارسا يقال له تركاش وانتخب له عشرة آلاف فارس أبطال عوابس وأمره بالسير فسار فى ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين فلما أصبح الصباح رأى شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين وقال ان هذه عساكر مقبلة علينا فاما أن يكونوا من عسكر المسلمين فهذا هو النصر المبين واما أن يكونوا من عسكر الكفار فلا اعتراض على الاقدار ثم انه أتى الى أخيه ضوء المكان وقال له لا تخف أبدا فانى أفديك بروحى من الردى فان كان هؤلاء من عسكر الاسلام فهذا من مزيد الانعام وان كان هؤلاء أعداءنا فلابد من قتالهم لكن أشتهى أن أقابل العابد قبل موتى لاسأله أن يدعو لى أن لا أموت الا شهيدا فبينما هم كذلك واذا بالرايات قد لاحت مكتوبا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فصاح شركان كيف حال المسلمين قالوا بعافية وسلامة وما أتينا الا خوفا عليكم ثم ترجل رئيس العسكر عن جواده وقبل الارض بين يديه وقال يا مولانا كيف السلطان والوزير دندان ورستم وأخى بهرام أما هم الجميع سالمون فقال بخير ثم قال له ومن الذى أخبركم بخبرنا قال الزاهد وقد ذكر انه لقى أخى بهرام ورستم وأرسلهما اليكم وقال لنا ان الكفار قد أحاطوا بهم وهم كثيرون وما أرى الامر الا بخلاف ذلك وأنتم منصورون فقال لهم وكيف وصول الزاهد اليكم فقالوا له كان سائرا على قدميه وقطع فى يوم وليلة مسيرة عشرة أيام للفارس المجد فقال شركان لاشك انه ولى الله وأين هو قالوا له تركناه عند عسكرنا أهل الايمان يحرضهم على قتال أهل الكفر والطغيان ففرح شركان بذلك وحمدوا الله على سلامتهم وسلامة الزاهد وترحموا على من قتل منهم وقالوا كان ذلك فى الكتاب مسطورا ثم ساروا مجدين فى سيرهم فبينما هم كذلك واذا بغبار قد طار حتى سد الاقطار وأظلم منه النهار فنظر اليه شركان وقال انى أخاف أن يكون الكفار قد كسروا عسكر الاسلام لان هذا الغبار سد المشرقين وملأ الخافقين ثم لاح من تحت ذلك الغبار عمود من الظلام أشد سوادا من حالك الايام ومازالت تقرب منهم تلك الدعامة وهى أشد من هول يوم القيامة فتسارعت اليها الخيل والرجال لينظروا ما سبب سوء هذا الحال فرأوه

الزاهد المشار اليهم فازدحموا على تقبيل يديه وهو ينادى يا أمة خير الانام و مصباح الظلام ان الكفار غدروا بالمسلمين فأدركوا عساكر الموحدين وأنقذوهم من أيدى الكفرة اللئام فانهم هجموا عليهم فى الخيام ونزل بهم العذاب المهين وكانوا فى مكانهم آمنين فلما سمع شركان ذلك الكلام طار قلبه من شدة الخفقان وترجل عن جواده وهو حيران ثم قبل يد الزاهد ورجليه وكذلك أخوه ضوء المكان وبقية العسكر من الرجال والركبان الا الوزير دندان فانه لم يترجل عن جواده وقال والله ان قلبى نافر من هذا الزاهد لانى ما عرفت للمتنطعين فى الدين غير المفاسد فاتركوه وأدركوا أصحابكم المسلمين فان هذا من المطرودين عن باب رحمة رب العالمين فكم غزوت مع الملك عمر النعمان ودست أراضى هذا المكان فقال له شركان دع هذا الظن الفاسد أما نظرت الى هذا العابد وهو يحرض المؤمنين على القتال ولا يبالى بالسيوف والنبال فلا تغتبه لان الغيبة مذمومة ولحوم الصالحين مسمومة وانظر الى تحريضه لنا على قتال أعدائنا ولولا أن الله تعالى يحبه ما طوى له البعيد بعد أن أوقعه سابقا فى العذاب الشديد ثم ان شركان أمر أن يقدموا بغلة نوبية الى الزاهد ليركبها وقال له اركب أيها الزاهد الناسك العابد فلم يقبل ذلك وامتنع من الركوب وأظهر الزهد لينال المطلوب وما دروا ان هذا الزاهد العاهر هو الذى قال فى مثله الشاعر

صلى وصام لامر كان يطلبه ✽ لما قضى الامر لا صلى ولا صاما

ثم ان ذلك الزاهد ما زال ماشيا بين الخيل والرجال كأنه الثعلب المحتال للاغتيال وسار رافعا صوته بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وما زالوا سائرين حتى أشرفوا على عسكر الاسلام فوجدهم شركان فى حالة الانكسار والحاجب قد أشرف على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الابرار والفجار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

✽ فلما كانت الليلة الثانية بعد المائة ✽ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان شركان لما أدرك المسلمين وهم فى حالة الانكسار والحاجب قد أشرف على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الابرار والفجار وكان السبب فى خذل المسلمين أن اللعينة ذات الدواهى عدوة الدين لما رأت بهرام ورستم قد سارا بعسكرهما نحو شركان وأخيه ضوء المكان سارت هى نحو عسكر المسلمين وأنفذت الامير تركاش كما تقدم ذكره وقصدها بذلك أن تفرق بين عسكر المسلمين لاجل أن يضعفوا ثم تركتهم وقصدت القسطنطينية ونادت بطارقة الروم بأعلى صوتها وقالت أدلوا حبلا لاربط فيه هذا الكتاب وأوصلوه الى ملككم أفريدون ليقرأه هو وولدى ملك الروم ويعملا بما فيه من أوامره ونواهيه فأدلوا لها حبلا فربطت فيه الكتاب وكان مضمونه من عند

الداهية

الداهية العظمى والطامة الكبرى ذات الدواهي الى الملك افريدون أما بعد فانى دبرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنين وقد أسرتهم وأسرت سلطانهم ووزيرهم ثم توجهت الى عسكرهم وأخبرتهم بذلك فانكسرت شوكتهم وضعفت قوتهم وقد خدعت العسكر المحاصرين للقسطنطينية حتى أرسلت منهم اثنى عشر ألف فارس مع الامير تركاش خلاف المأسورين ومابقى منهم الا القليل فالمراد منكم انكم تخرجون اليهم بجميع عسكركم فى بقية هذا النهار وتهجمون عليهم فى خيامهم ولكنكم لا تخرجون الاسواء واقتلوهم عن آخرهم فان المسيح قد نظر اليكم والعذراء تعطفت عليكم وأرجو من المسيح أن لا ينسى فعلى الذى قد فعلته فلما وصل كتابها الى الملك افريدون فرح فرحا شديدا وأرسل فى الحال الى ملك الروم ابن ذات الدواهي وأحضره وقرأ الكتاب عليه ففرح وقال انظر مكر أمى فانه يغنى عن السيوف وطلعتها تنوب عن هول اليوم المخوف فقال الملك افريدون لاأعدم المسيح طلعة أمك ولا أخلاك من مكرك ولؤمك ثم انه أمر البطارقة أن ينادوا بالرحيل الى خارج المدينة وشاع الخبر فى القسطنطينية وخرجت عساكر النصرانية والعصابة الصليبية وجرّدوا السيوف الحداد وأعلنوا بكلمة الكفر والالحاد وكفروا برب العباد فلما نظر الحاجب الى ذلك قال ان الروم قد وصلوا الينا وقد علموا أن سلطاننا غائب فربما هجموا علينا وأكثر عسكرنا قد توجه الى الملك ضوء المكان واغتاظ الحاجب ونادى يا عسكر المسلمين وحماة الدين المتين ان هربتم هلكتم وان صبرتم نصرتم فاعلموا أن الشجاعة صبر ساعة وماضاق أمر الا أوجد الله اتساعه بارك الله فيكم ونظر اليكم بعين الرحمة فعند ذلك كبرت المسلمون وصاحت الموحدون ودارت رحى الحرب بالطعن والضرب وأعملت الصوارم والرماح وملأ الدم الاودية والبطاح وقسست القسوس والرهبان وشدوا الزنانير ورفعوا الصلبان وأعلن المسلمون بتكبير الملك الديان وصاحوا بتلاوة القرآن واصطدم حزب الرحمن بحزب الشيطان وطارت الرؤس عن الابدان وطافت الملائكة الاخيار على أمة النبى المختار ولم يزل السيف يعمل الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أحاطت الكفار بالمسلمين وحسبوا أن ينجوا من العذاب المهين وطمع المشركون فى أهل الايمان الى أن طلع الفجر وبان فركب الحاجب هو وعسكره ورجا أن الله ينصره واختلطت الامم بالامم وقامت الحرب على قدم وطارت القمم وثبت الشجاع وتقدم وولى الجبان وانهزم وقضى قاضى الموت وحكم حتى تطاوحت الابطال عن السروج وامتلأت بالاموات المروج وتأخرت المسلمون عن أماكنها وملكت الروم بعض خيامها ومساكنها وعزم المسلمون على الانكسار

والهزيمة والفرار فبينما هم كذلك واذا بقدوم شركان بعساكر المسلمين ورايات الموحدين فلما أقبل عليهم شركان حمل على الكفار وتبعه ضوء المكان وحمل بعدهما الوزير دندان وكذلك أمير الديلم بهرام ورستم وأخوه تركاش فانهم لما رأوا ذلك طارت عقولهم وغاب معقولهم وثار الغبار حتى ملأ الاقطار واجتمعت المسلمون الاخيار بأصحابهم الابرار واجتمع شركان بالحاجب فشكره على صبره وهناه بتأييده ونصره وفرحت المسلمون وقويت قلوبهم وحملوا على أعدائهم وأخلصوا لله فى جهادهم فلما نظر الكفار الى الرايات المحمدية وعليها كلمة الاخلاص الاسلامية صاحوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور ونادوا يحنا ومريم والصليب المسخم وانقبضت أيديهم عن القتال وقد أقبل الملك افريدون على ملك الروم وصار أحدهما فى الميمنة والآخر فى الميسرة وعندهم فارس مشهور يسمى لاويا فوقف وسطا واصطفوا للنزال وان كانوا فى فزع وزلزال ثم صفت المسلمون عساكرهم فعند ذلك أقبل شركان على أخيه ضوء المكان وقال له ياملك الزمان لاشك انهم يريدون البراز وهذا غاية مرادنا ولكن أحب أن أقدم من العسكر من له عزم ثابت فان التدبير نصف المعيشة فقال السلطان ماذا تريد ياصاحب الرأى السديد فقال شركان أريد أن أكون فى قلب عسكر الكفار وأن يكون الوزير دندان فى الميسرة وأنت فى الميمنة والامير بهرام فى الجناح الايمن والامير رستم فى الجناح الايسر وأنت أيها الملك العظيم تكون تحت الاعلام والرايات لانك عمادنا وعليك بعد الله اعتمادنا ونحن كلنا نفديك من كل أمر يؤذيك فشكره ضوء المكان على ذلك وارتفع الصياح وجردت الصفاح فبينما هم كذلك واذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم فلما قرب رأوه راكبا على بغلة قطوف تفر بصاحبها من وقع السيوف وبرذعتها من أبيض الحرير وعليها سجادة من شغل كشمير وعلى ظهرها شيخ مليح الشيبة ظاهر الهيبة عليه مدرعة من الصوف الابيض ولم يزل يسرع بها وينهض حتى قرب من عسكر المسلمين وقال انى رسول اليكم أجمعين وما على الرسول الا البلاغ فأعطونى الامان والاقالة حتى أبلغكم الرسالة فقال له شركان لك الامان فلا تخش حرب سيف ولا طعن سنان فعند ذلك ترجل الشيخ وقلع الصليب من عنقه بين يدى السلطان وخضع له خضوع راجى الاحسان فقال له المسلمون مامعك من الاخبار فقال انى رسول من عند الملك افريدون فانى نصحته ليمتنع عن تلف هذه الصور الانسانية والهيا كل الرحمانية وبينت له ان الصواب حقن الدماء والاقتصار على فارسين فى الهيجاء فاجابنى الى ذلك وهو يقول لكم انى فديت عسكرى بروحى فليفعل ملك المسلمين مثلى ويفدى عسكره بروحه فان قتلنى فلا يبقى لعسكر الكفار ثبات وان

قتلته

قتلته فلا يبقى لعسكر الاسلام ثبات فلما سمع شركان هذا الكلام قال يا راهب انا الى اجبناه ذلك فان هذا هو الانصاف فلا يكون منه خلاف وها أنا أبرز اليه وأحمل عليه فانى فارس المسلمين وهو فارس الكافرين فان قتلني فاز بالظفر ولا يبقى لعسكر المسلمين غير المفر فارجع اليه أيها الراهب وقل له ان البراز يكون فى غد لاننا أتينا من سفرنا على تعب فى هذا اليوم وبعد الراحة لا عتب ولا لوم فرجع الراهب وهو مسرور حتى وصل الى الملك افريدون وملك الروم وأخبرهما بذلك ففرح الملك افريدون غاية الفرح وزال عنه الهم والترح وقال فى نفسه لاشك ان شركان هذا هو أضربهم بالسيف وأطعنهم بالسنان فاذا قتلته انكسرت همتهم وضعفت قوتهم وقد كانت ذات الدواهى كاتبت الملك افريدون بذلك وقالت له ان شركان هو فارس الشجعان وشجاع الفرسان وحذرت افريدون من شركان وكان افريدون فارسا عظيما لانه كان يقاتل أنواع القتال ويرمى بالحجارة والنبال ويضرب بالعامود الحديد ولا يخشى من البأس الشديد فلما سمع قول الراهب من ان شركان أجاب الى البراز كاد ان يطير من شدة الفرح لانه واثق بنفسه ويعلم انه لا طاقة لاحد به ثم بات الكفار تلك الليلة فى فرح وسرور وشرب خمور فلما كان الصباح أقبلت الفوارس بسمر الرماح وبيض الصفاح واذا هم بفارس قد برز فى الميدان وهو راكب على جواد من الخيل الجياد معد للحرب والجلاد وله قوائم شداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد معد للبأس الشديد وفى صدره مرآة من الجوهر وفى يده صارم ابتر وقنطارية خلنج من غريب عمل الافرنج ثم ان الفارس كشف عن وجهه وقال من عرفنى فقد اكتفانى ومن لم يعرفنى فسوف يرانى أنا افريدون المغمور ببركة شواهى ذات الدواهى فما تم كلامه حتى خرج فى وجهه فارس المسلمين شركان وهو راكب على جواد أشقر يساوى ألفا من الذهب الاحمر وعليه عدة مزركشة بالدر والجوهر وهو متقلد بسيف هندى مجوهر يقد الرقاب ويهون الامور الصعاب ثم ساق جواده بين الصفين والفرسان تنظره بالعين ثم نادى افريدون وقال له ويلك يا ملعون أتظننى كمن لاقيت من الفرسان لا يثبت معك فى حومة الميدان ثم حمل كل منهما على صاحبه فصار الاثنان كأنهما جبلان يصطدمان أو بحران يلتطمان ثم تقاربا وتباعدا والتصقا وافترقا ولم يزالا فى كر وفر وهزل وجد وضرب وطعن والجيشان ينظران اليهما وبعضهم يقول ان شركان غالب والبعض يقول ان افريدون غالب ولم يزل الفارسان على هذا الحال حتى بطل القيل والقال وعلا الغبار وولى النهار ومالت الشمس الى الاصفرار وصاح الملك افريدون على شركان وقال له وحق دين المسيح والاعتقاد الصحيح ما أنت

الافارس كرار وبطل مغوار غيرانك غدار وطبعك ماهو طبع الاخيار لانى أرى فعلك غير جيد وقتالك قتال الصنديد وقومك ينسبونك الى العبيد وهاهم أخرجوا لك غير جوادك وتعود الى القتال وانى وحق دينى قد أعيانى قتالك وأتعبنى ضربك وطعانك فان كنت تريد قتالى فى هذه الليلة فلا تغير شيأ من عدتك ولا جوادك حتى يظهر للفرسان كرمك وقتالك فلما سمع شركان هذا الكلام اغتاظ من قول أصحابه فى حقه حيث ينسبونه الى العبيد فالتفت اليهم شركان وأراد أن يشير اليهم و يأمرهم أن لا يغيروا له جوادا ولا عدة واذا بافريدون هزحربته وأرسلها الى شركان فالتفت وراءه فلم يجد أحدا فعلم انها حيلة من الملعون فرد وجهه بسرعة واذا بالحربة قد أدركته فمال عنها حتى ساوى برأسه قربوس سرجه فجرت الحربة على صدره وكان شركان عالى الصدر فكشطت الحربة جلدة صدره فصاح صيحة واحدة وغاب عن الدنيا ففرح الملعون افريدون بذلك وعرف انه قد قتله فصاح على الكفار ونادى بالفرح فهاجت أهل الطغيان وبكت أهل الايمان فلما رأى ضوء المكان أخاه مائلا عن الجواد حتى كاد أن يقع أرسل نحوه الفرسان فتسابقت اليه الابطال وأتوا به اليه وحملت الكفار على المسلمين والتقى الجيشان واختلط الصفان وعمل اليمانى وكان أسبق الناس الى شركان الوزير دندان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما رأى اللعين قد ضرب أخاه شركان بالحربة ظن أنه مات فارسل اليه الفرسان وكان أسبق الناس اليه الوزير دندان وأمير الترك بهرام وأمير الديلم فلحقوه وقد مال عن جواده فأسندوه ورجعوا به الى أخيه ضوء المكان ثم أوصوا به الغلمان وعادوا الى الحرب والطعان واشتد النزال وتقصفت النصال وبطل القيل والقال فلا يرى الا دم سائل وعنق مائل ولم يزل السيف يعمل فى الاعناق واشتد الشقاق الى أن ذهب أكثر الليل وكلت الطائفتان عن القتال فنادوا بالانفصال ورجعت كل طائفة الى خيامها وتوجه جميع الكفار الى ملكهم افريدون وقبلوا الارض بين يديه وهنته القسوس والرهبان بظفره بشركان ثم ان الملك افريدون دخل القسطنطينية وجلس على كرسى مملكته وأقبل عليه ملك الروم وقال له قوى المسيح ساعدك ولازال مساعدك واستجاب من الام الصالحة ذات الدواهى ما تدعو به لك واعلم ان المسلمين ما بقى لهم اقامة بعد شركان فقال افريدون فى غد يكون الانفصال اذا خرجت الى النزال وطلبت ضوء المكان وقتلته فان عسكرهم يولون الادبار ويركنون الى الفرار هذا ما كان من أمر الكفار وأما ما كان من أمر عسكر الاسلام فان ضوء المكان لما رجع الى الخيام

الخيام لم يكن له شغل الا باخيه فلما دخل عليه وجده فى أسوأ الاحوال وأشد الاهول فدعا بالوزير دندان ورستم وبهرام للمشورة فلما دخلوا عليه اقتضى رأيهم احضار الحكماء لعلاج شركان ثم بكوا وقالوا لم يسمح بمثله الزمان وسهروا عنده تلك الليلة وفى آخر الليل أقبل عليهم الزاهد وهو يبكى فلما رآه ضوء المكان قام اليه فلمس بيده على أخيه وتلا شيأ من القرآن وعوذه بآيات الرحمن وما زال سهران عنده الى الصباح فعند ذلك استفاق شركان وفتح عينيه وأدار لسانه فى فمه وتكلم ففرح السلطان ضوء المكان وقال قد حصلت له بركة الزاهد فقال شركان الحمد لله على العافية فانى بخير فى هذه الساعة وقد عمل على هذا الملعون حيلة ولولا انى زغت أسرع من البرق لكانت الحربة نفذت من صدرى فالحمد لله الذى نجانى وكيف حال المسلمين فقال له ضوء المكان هم فى بكاء من أجلك فقال انى بخير وعافية وأين الزاهد وهو عند رأسه قاعد فقال له عند رأسك فالتفت اليه وقبل يديه فقال الزاهد ياولدى عليك بجميل الصبر يعظم الله لك الاجر فان الاجر على قدر المشقة فقال شركان ادع لى فدعا له فلما أصبح الصباح وبان الفجر ولاح برزت المسلمون الى ميدان الحرب وتهيأ الكفار للطعن والضرب وتقدمت عساكر المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح وجردوا السلاح وأراد الملك ضوء المكان وافريدون أن يحملا على بعضهما واذا بضوء المكان خرج الى الميدان وخرج معه الوزير دندان والحاجب وبهرام وقالوا لضوء المكان نحن فداك فقال لهم وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا أقعد عن الخروج الى هؤلاء العلوج فلما صار فى الميدان لعب بالسيف والسنان حتى أذهل الفرسان وتعجب الفريقان وحمل فى الميمنة فقتل منها بطريقين وفى الميسرة فقتل منها بطريقين ووقف فى وسط الميدان وقال أين افريدون حتى أذيقه عذاب الهون فأراد الملعون أن يولى وهو مغبون فأقسم عليه ضوء المكان أن لا يبرح من الميدان وقال له ياملك بالامس كان قتال أخى واليوم قتالى وأنا بشجاعتك لا أبالى ثم خرج وفى يده صارم وتحته حصان كأنه عنتر فى حومة الميدان وذلك الحصان أدهم مغاير كما قال فيه الشاعر

قد سابق الطرف بطرف سابق * كأنه يريد ادراك القدر
دهمته تبدى سوادا حالكا * كأنها الليل اذا الليل عكر
صهيله يزعج من يسمعه * كأنه الرعد اذا الرعد زجر
لو سابق الريح جرى من قبلها * والبرق لا يسبقه اذا ظهر

ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترز من مضاربه وأظهر ما فى بطنه من عجائبه وأخذ فى الكر والفر حتى ضاقت الصدور وقل الصبر للمقدور وصاح ضوء المكان وهجم على ملك القسطنطينية

افريدون وضربه ضربة أطاح بها رأسه وقطع انفاسه فلما نظرت الكفار الى ذلك حملوا جميعا عليه وتوجهوا بكليتهم اليه فقابلهم فى حومة الميدان واستمر الضرب والطعان حتى سال الدم بالجريان وضج المسلمون بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وقاتلوا قتالا شديدا وأنزل الله النصر على المؤمنين والخزى على الكافرين وصاح الوزير دندان خذوا بثار الملك عمر النعمان وثار ولده شركان وكشف رأسه وصاح للاتراك وكان بجانبه أكثر من عشرين ألف فارس فحملوا معه حملة واحدة فلم يجد الكفار لانفسهم غير الفرار وتولى الادبار وعمل فيهم الصارم البتار فقتلوا منهم نحو خمسين ألف فارس وأسروا مايزيد على ذلك وقتل عند دخول الباب خلق كثير من شدة الزحام ثم غلقوا الباب وطلعوا فوق الاسوار خوف العذاب وعادت طوائف المسلمين مؤيدين منصورين وأتوا خيامهم ودخل الملك ضوء المكان على أخيه فوجده فى أسر الاحوال فسجد شكر الكريم المتعال ثم أقبل عليه وهناه بالسلامة فقال له شركان اننا كلنا فى بركة هذا الزاهد الاواب وما انتصرتم الا بدعائه المستجاب فانه لم يزل اليوم قاعدا يدعو للمسلمين بالنصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما دخل على أخيه شركان وجده جالسا والعابد عنده ففرح وأقبل عليه وهناه بالسلامة فقال شركان اننا كلنا فى بركة هذا الزاهد وما انتصرتم الا بدعائه لكم فانه مابرح اليوم وهو يدعو للمسلمين وكنت وجدت فى نفسى قوة حين سمعت تكبيركم فعلمت انكم منصورون على أعدائكم فاحك لى يا أخى ماوقع لك فحكى له جميع ماوقع له مع الملعون افريدون وأخبره انه قتله وراح الى لعنة الله فأثنى عليه وشكر مسعاه فلما سمعت ذات الدواهى وهى فى صفة الزاهد بقتل ولدها افريدون انقلب لونها بالاصفرار وتغرغرت عيناها بالدموع الغزار ولكنها أخفت ذلك وأظهرت للمسلمين انها فرحت وانها تبكى من شدة الفرح ثم انها قالت فى نفسها وحق المسيح ما بقى فى حياتى فائدة ان لم أحرق قلبه على أخيه شركان كما أحرق قلبى على عماد الملة النصرانية والعصابة الصليبية الملك افريدون ولكنها كتمت مابها ثم ان الوزير دندان والملك شركان والحاجب استمروا جالسين عند شركان حتى عملوا له اللزق والادهان وأعطوه الدواء فتوجهت اليه العافية وفرحوا بذلك فرحا شديدا وأعلموا به العساكر فتباشر المسلمون وقالوا فى غد يركب معنا ويباشر الحصار ثم ان شركان قال لهم انكم قاتلتم اليوم وتعبتم من القتال فينبغى أن تتوجهوا الى أماكنكم وتناموا ولا تسهروا فأجابوه الى ذلك وتوجه كل منهم الى سرادقه ومابقى عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهى فتحدث معها قليلا من الليل ثم اضطجع لينام

وكذلك

وكذلك الغلمان ثم غلب عليهم النوم فصاروا مثل الاموات هذا ما كان من شركان وغلمانه وأما ما كان من أمر العجوز ذات الدواهي فانها بعد نومهم صارت يقظانة وحدها في الخيمة ونظرت الى شركان فوجدته مستغرقا في النوم فوثبت على قدميها كأنها دبة معطاء أو آفة نقطاء وأخرجت من وسطها خنجرا مسموما لو وضع على صخرة لأذابها ثم جردته من غمده وأتت عند رأس شركان وجرته على رقبته فذبحته وأزالت رأسه عن جسده ثم وثبت على قدميها وأتت الى الغلمان النيام وقطعت رؤسهم لئلا ينتبهوا ثم خرجت من الخيمة وأتت الى خيام السلطان فوجدت الحراس غير نائمين فمالت الى خيمة الوزير دندان فوجدته يقرأ القرآن فوقعت عينه عليها فقال مرحبا بالزاهد العابد فلما سمعت ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت له ان سبب مجيئي الى هنا في هذا الوقت اني سمعت صوت ولي من أولياء الله وانا ذاهب اليه ثم ولت فقال الوزير دندان في نفسه والله لأتبع هذا الزاهد في هذه الليلة فقام ومشى خلفها فلما أحست الملعونة بمشيه عرفت انه وراءها فخشيت أن تفتضح وقالت في نفسها ان لم أخدعه بحيلة فاني أفتضح معه فأقبلت اليه من بعيد وقالت أيها الوزير اني سائر خلف هذا الولي لأعرفه وبعد ان أعرفه أستأذنه في مجيئك اليه وأقبل عليك وأخبرك لاني أخاف أن تذهب معي بغير استئذان الولي فيحصل له نفرة مني اذا رآك معي فلما سمع الوزير كلامها استحى أن يرد عليها جوابا فتركها ورجع الى خيمته وأراد أن ينام فما طاب له منام وكادت الدنيا أن تنطبق عليه فقام وخرج من خيمته وقال في نفسه أنا أمضي الى شركان وأتحدث معه الى الصباح فسار الى ان دخل خيمة شركان فوجد الدم سائلا كالقناة ونظر الغلمان مذبوحين فصاح صيحة أزعجت من كان نائما فتسارعت الخلق اليه فرأوا الدم سائلا فضجوا بالبكاء والنحيب فعند ذلك استيقظ السلطان ضوء المكان وسأل عن الخبر فقيل له ان شركان أخاك والغلمان مقتولون فقام مسرعا الى ان دخل الخيمة فوجد الوزير دندان يصيح ووجد جثة أخيه بلا رأس فغاب عن الدنيا وصاحت كل العساكر وبكوا وداروا حول ضوء المكان ساعة حتى استفاق ثم نظر الى شركان وبكى بكاء شديدا وفعل مثله الوزير ورستم وبهرام وأما الحاجب فانه صاح وأكثر من النواح ثم طلب الارتحال لما به من الاوجال فقال الملك أما علمتم بالذي فعل بأخي هذه الفعال ومالي لا أرى الزاهد الذي عن متاع الدنيا متباعد فقال الوزير ومن جلب هذه الاحزان الا هذا الزاهد الشيطان فوالله ان قلبي نفر منه في الاول والآخر لانني أعرف ان كل متنطع في الدين خبيث ماكر ثم ان الناس ضجوا بالبكاء والنحيب وتضرعوا الى القريب المجيب أن يوقع بين أيديهم ذلك الزاهد الذي هو لآيات الله جاحد ثم جهزوا شركان ودفنوه في الجبل المذكور وحزنوا على

فضله المشهور وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد انهم جهزوا شركان ودفنوه فى الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور ثم ان الملعونة لما فرغت من الداهية التى عملتها والمخازى التى لنفسها أبدتها أخذت دواة وقرطاسا وكتبت فيه من عند شواهى ذات الدواهى الى حضرة المسلمين اعلموا انى دخلت بلادكم وغششت بلؤمى كرامكم وقتلت سابقا ملككم عمر النعمان فى وسط قصره وقتلت أيضا فى وقعة الشعب والمغارة رجالا كثيرة وآخر من قتلته بمكرى ودهائى وغدرى شركان وغلمانه ولوساعدنى الزمان وطاوعنى الشيطان كنت قتلت السلطان والوزير دندان وأنا الذى أتيت اليكم فى زى الزاهد وانطلت عليكم منى الحيل والمكايد فان شئتم سلامتكم بعد ذلك فارحلوا وان شئتم هلاك أنفسكم فعن الاقامة لاتعدلوا فلوأقمتم سنين وأعواما فاتبلغون منا مراما وبعدان كتبت الكتاب أقامت فى حزنها على الملك افريدون ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع دعت بطريقا وأمرته أن يأخذ الورقة ويضعها فى سهم ويرميها الى المسلمين ثم دخلت الكنيسة وصارت تندب وتبكى على فقد افريدون وقالت لمن تسلطن بعده لابد أن أقتل ضوء المكان وجميع أمراء الاسلام هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر المسلمين فانهم أقاموا ثلاثة أيام فى هم واغتمام وفى اليوم الرابع نظروا الى ناحية السور واذا ببطريق معه سهم نشاب وفى طرفه كتاب فصبروا عليه حتى رماه اليهم فأمر السلطان الوزير دندان أن يقرأه فلما قرأه وسمع ما فيه وعرف معناه هملت بالدموع عيناه وصاح وتضجر من مكرها وقال الوزير والله لقد كان قلبى نافرا منها فقال السلطان وهذه العاهرة كيف عملت علينا الحيلة مرتين ولكن والله لا أحول من هنا حتى أملأ فرجها بسيح الرصاص وأسجنها سجن الطير فى الاقفاص وبعد ذلك أصلبها من شعرها على باب القسطنطينية ثم تذكر أخاه فبكى بكاء شديدا ثم ان الكفار لما توجهت لهم ذات الدواهى وأخبرتهم بما حصل فرحوا بقتل شركان وسلامة ذات الدواهى ثم ان المسلمين رجعوا على باب القسطنطينية ووعدهم السلطان انه ان فتح المدينة فرق أموالها عليهم بالسوية هذا والسلطان لم تنشف دموعه حزنا على أخيه وعرى جسمه الهزال حتى صار كالخلال فدخل عليه الوزير دندان وقال له طب نفسا وقر عينا فان أخاك مامات الا باجله وليس فى هذا الحزن فائدة وما أحسن قول الشاعر

مالا يكون فلا يكون بحيلة ❊ أبدا وما هو كائن فيكون

سيكون ما هو كائن فى وقته ❊ وأخو الجهالة دائما مغبون

فدع البكاء والنواح وقو قلبك لحمل السلاح فقال ياوزير ان قلبى مهموم من أجل موت أبى وأخى

وأخي ومن أجل غيابنا عن بلادنا فانّ خاطري مشغول بر عيتي فبكى الوزير هو والحاضرون وما زالوا مقيمين على حصار القسطنطينية مدّة من الزمان فبينما هم كذلك واذا بالاخبار وردت عليهم من بغداد صحبة أمير من أمرائه مضمونها ان زوجة الملك ضوء المكان رزقت ولدا وسمته نزهة الزمان أخت الملك كان ما كان ولكن هذا الغلام سيكون له شأن بسبب ما رأوه له من العجائب والغرائب وقد أمرت العلماء والخطباء ان يدعوا الكم على المنابر ودبر كل صلاة واننا طيبون بخير والامطار كثيرة وان صاحبك الوقاد في غاية النعمة الجزيلة وعنده الخدم والغلمان ولكنه الى الآن لم يعلم بما جرى لك والسلام فقال له ضوء المكان الآن اشتدّ ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أنّ الملك ضوء المكان لما أتاه الخبر بأنّ زوجته ولدت ولدا ذكرا فرح فرحا شديدا وقال الآن اشتدّ ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان ثم قال للوزير دندان اني أريد ان أترك هذا الحزن وأعمل لأخي ختمات وأمورا من الخيرات فقال الوزير نعم ما أردت ثم أمر بنصب الخيام على قبر أخيه فنصبوها وجمعوا من العسكر من يقرأ القرآن فصار بعضهم يقرأ وبعضهم يذكر الله الى الصباح ثم تقدم السلطان ضوء المكان الى قبر أخيه شركان وسكب العبرات وأنشد هذه الابيات

خرجوا به ولكل باك خلفه * صعقات موسى يوم دك الطور
حتى أتوا جدثا كأنّ ضريحه * في قلب كل موحد محفور
ما كنت آمل قبل نعشك ان أرى * رضوى على أيدي الرجال تسير
كلا ولا من قبل دفنك في الثرى * أنّ الكواكب في التراب تغور
اجاور الديماس رهن قرارة * فيها الضياء بوجهه والنور
كفل الثناء له بردّ حياته * لما انطوى فكأنه منشور

فلما فرغ ضوء المكان من شعره بكى وبكى معه جميع الناس ثم أتى الوزير دندان الى القبر ورمى نفسه عليه وهو حائر وأنشد قول الشاعر

تركت الذي يفنى ونلت الذي يبقى * ومثلك أقوام فقد سبقوا سبقا
وفارقت هذي الدار من غير ريبة * فعن هذه الدنيا تسرّ بما تلقى
وكنت من الاعداء تبدي وقاية * اذا ما سهام الحرب حاولت الرشقا
أرى هذه الدنيا غرورا وباطلا * وجلّ مراد الخلق أن يطلبوا الحقا
حباك اله العرش فوزا بجنة * وأسكنك الهادي بها مقعدا صدقا

وانى قد أمسيت فيك بحسرة * أرى الغرب محزونا بفقدك والشرقا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره بكى بكاء شديدا ونثرت عيونه الدموع درّا نضيدا ثم تقدم رجل كان من ندماء شركان وبكى حتى حكت دموعه الخلجان وذكر ما لشركان من المكرمات وأنشد هذه الابيات

أين العطاء وكف جودك فى الثرى * والجسم بعدك بالسقام قد انبرى
ياحادى الاظعان سرك ماترى * كتبت دموعى فوق خدى أسطرا
تعنى بها وتلذ منها منظرا
والله ماحدثت عنك ضمائرى * كلا ولا خطرت علاك بخاطرى
الا وقد جرح الدموع محاجرى * واذا صرفت الى سواك نواظرى
* جذب الغرام عنان طرفى فى الكرى *

فلما فرغ الرجل من شعره بكى ضوء المكان هو والوزير دندان وضج جميع العسكر بالبكاء ثم انهم انصرفوا الى الخيام وأقبل السلطان على الوزير دندان وأخذا يتشاوران فى أمر القتال واستمرا على ذلك أياما وليالى وضوء المكان يتضجر من الهمّ والاحزان ثم قال انى أشتهى سماع أخبار الناس وأحاديث الملوك وحكايات المتيمين لعلّ الله يفرج مابقلبى من الهمّ الشديد ويذهب عنى البكاء والعديد فقال الوزير ان كان مايفرّج همك الاسماع قصص الملوك من نوادر الاخبار وحكايات المتقدّمين من المتيمين وغيرهم فان هذا أمر سهل لانى لم يكن لى شغل فى حياة المرحوم والدك الا بالحكايات والاشعار وفى هذه الليلة أحدثك بخبر العاشق والمعشوق لأجل أن ينشرح صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام الوزير دندان تعلق قلبه بما وعده به ولم يبق له اشتغال الا بانتظار مجىء الليل لأجل أن يسمع مايحكيه الوزير دندان من أخبار المتقدّمين من الملوك والمتيمين فما صدق أنّ الليل أقبل حتى أمر بايقاد الشموع والقناديل واحضار مايحتاجون اليه من الاكل والشرب وآلات البخور فأحضروا له جميع ذلك ثم أرسل الى الوزير دندان فحضر وأرسل الى بهرام ورستم وتركاش والحاجب الكبير فحضروا فلما حضر جميعهم بين يديه التفت الى الوزير دندان وقال له اعلم أيها الوزير ان الليل قد أقبل وسدل جلابيبه علينا وأسبل ونريد أن تحكى لنا ماوعدتنا به من الحكايات فقال الوزير رحبا وكرامة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما حضر الوزير والحاجب ورستم وبهرام التفت الى الوزير دندان وقال اعلم أيها الوزير ان الليل

قد

قد أقبل وسدل جلابيبه علينا وأسبل ونريد أن تحكي لنا ماوعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حباً وكرامة اعلم أيها الملك السعيد أنه بلغني من حكاية العاشق والمعشوق والمتكلم بينهما وماجرى لهم من العجائب والغرائب مايزيل الهم عن القلوب ويسلي عن مثل حزن يعقوب وهو أنه كان في سالف الزمان مدينة وراء جبال أصبهان يقال لها المدينة الخضراء وكان بها ملك يقال له الملك سليمان وكان صاحب جود واحسان وعدل وأمان وفضل وامتنان وسارت اليه الركبان من كل مكان وشاع ذكره في سائر الاقطار والبلدان وأقام في المملكة مدة مديدة من الزمان وهو في عز وأمان الا أنه كان خاليا من الاولاد والزوجات وكان له وزير يقاربه في الصفات من الجود والهبات فاتفق أنه أرسل الى وزيره يوما من الايام وأحضره بين يديه وقال له ياوزيري انه قد ضاق صدري وعيل صبري وضعف مني الجلد لكوني بلا زوجة ولا ولد وماهذا سبيل الملوك الحكام على كل أمير وصعلوك فانهم يفرحون بخلفة الاولاد وتتضاعف لهم بهم العدد والاعداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة فما عندك من الرأي ياوزير فأشر علي بما فيه النصح من التدبير فلما سمع الوزير ذلك الكلام فاضت الدموع من عينيه بالانسجام وقال له هيهات ياملك الزمان أن أتكلم فيما هو من خصائص الرحمن أتريد أن أدخل النار بسخط الملك الجبار فقال له الملك اعلم أيها الوزير ان الملك اذا اشترى جارية لايعلم حسبها ولايعرف نسبها فهو لايدري خساسة أصلها حتى يجتنبها ولا شرف عنصرها حتى يتسرى بها فاذا أفضى اليها ربما حملت منه فيجيء الولد منافقا ظالما سفاكا للدماء ويكون مثلها مثل الارض السبخة اذا زرع فيها زرع فانه يخبث نباته ولا يحسن ثباته وقد يكون ذلك الولد متعرضا لسخط مولاه ولا يفعل ما أمره به ولا يجتنب ماعنه نهاه فانا لا أتسبب في هذا بشراء جارية أبدا وانما مرادي أن تخطب لي بنتا من بنات الملوك يكون نسبها معروفا وجمالها موصوفا فان دللتني على ذات النسب والدين من بنات ملوك المسلمين فاني أخطبها وأتزوج بها على رؤس الاشهاد ليحصل لي بذلك رضا رب العباد فقال له الوزير ان الله قضى حاجتك وبلغك أمنيتك فقال له وكيف ذلك فقال له اعلم أيها الملك أنه بلغني أن الملك زهرشاه صاحب الارض البيضاء له بنت بارعة الجمال يعجز عن وصفها القيل والقال ولم يوجد لها في هذا الزمان مثيل لانها في غاية الكمال قويمة الاعتدال ذات طرف كحيل وشعر طويل وخصر نحيل وردف ثقيل ان أقبلت فتنت وان أدبرت قتلت تأخذ القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

هيفاء تخجل غصن البان قامتها ❊ لم يحك طلعتها شمس ولا قمر

كأنما ريقها شهد وقد مزجت * به المدامة لكن ثغرها درر
ممشوقة القد من حور الجنان لها * وجه جميل وفى ألحاظها حور
وكم لها من قتيل مات من كمد * وفى طريق هواها الخوف والخطر
ان عشت فهى المنى ماشئت أذكرها * أومت من دونها لم يجدنى العمر

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية قال للملك سليمان شاه الرأى عندى أيها الملك أن ترسل الى أبيها رسولا فطنا خبيرا بالامور مجربا بالتصاريف الدهور ليتلطف فى خطبتها لك من أبيها فانها لا نظير لها فى قاصى الارض ودانيها وتحظى منها بالوجه الجميل ويرضى عليك الرب الجليل فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا رهبانية فى الاسلام فعند ذلك توجه الى الملك كمال الفرح واتسع صدره وانشرح وزال عنه الهم والغم ثم أقبل على الوزير وقال له اعلم أيها الوزير أنه لا يتوجه الى هذا الامر الا أنت لكمال عقلك وأدبك فقم الى منزلك واقض أشغالك وتجهز فى غد واخطب لى هذه البنت التى أشغلت بها خاطرى ولا تعد الى الا بها فقال سمعا وطاعة ثم ان الوزير توجه الى منزله واستدعى بالهدايا التى تصلح للملوك من ثمين الجواهر ونفيس الذخائر وغير ذلك مما هو خفيف فى الحمل ثقيل فى الثمن ومن الخيل العربية والدروع الداودية وصناديق المال التى يعجز عن وصفها المقال ثم حملوها على البغال والجمال وتوجه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة عبد ومائة جارية وانتشرت على رأسه الرايات والاعلام وأوصاه الملك أن يأتى اليه فى مدة قليلة من الايام وبعد توجهه صار الملك سليمان شاه على مقالى النار مشغولا بحبها فى الليل والنهار وسار الوزير ليلا ونهارا يطوى برارى وقفارا حتى بقى بينه وبين المدينة التى هو متوجه اليها يوم واحد ثم نزل على شاطئ نهر وأحضر بعض خواصه وأمره أن يتوجه الى الملك زهرشاه بسرعة ويخبره بقدومه عليه فقال سمعا وطاعة ثم توجه بسرعة الى تلك المدينة فلما قدم عليها وافق قدومه ان الملك زهرشاه كان جالسا فى بعض المنتزهات قدام باب المدينة فرآه وهو داخل وعرف أنه غريب فأمر باحضاره بين يديه فلما حضر الرسول أخبره بقدوم وزير الملك الاعظم سليمان شاه صاحب الارض الخضراء وجبال أصفهان ففرح الملك زهرشاه ورحب بالرسول وأخذه وتوجه الى قصره وقال أين فارقت الوزير فقال فارقته فى أول النهار على شاطئ النهر الفلانى وفى غد يكون واصلا اليك وقادما عليك أدام الله نعمته عليك ورحم والديك فأمر زهرشاه بعض وزرائه أن يأخذ معظم خواصه وحجابه ونوابه وأرباب دولته ويخرج بهم الى مقابلته تعظيما للملك سليمان شاه لان حكمه نافذ فى الارض هذا ما كان من أمر الملك زهرشاه وأما ما كان من أمر الوزير فانه استقر فى مكانه الى نصف الليل ثم رحل متوجها الى المدينة فلما لاح الصباح وأشرقت الشمس

الشمس على الروابى والبطاح لم يشعر الا ووزير الملك زهرشاه وحجابه وأرباب دولته وخواص مملكته قدموا عليه واجتمعوا به على فراسخ من المدينة فأيقن الوزير بقضاء حاجته وسلم على الذين قابلوه ولم يزالوا سائرين قدامه حتى وصلوا الى قصر الملك ودخلوا بين يديه فى باب القصر الى سابع دهليز وهو المكان الذى لا يدخله الراكب لانه قريب من الملك فترجل الوزير وسعى على قدميه حتى وصل الى ايوان عال وفى صدر ذلك الايوان سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وله أربعة قوائم من أنياب الفيل وعلى ذلك السرير مرتبة من الاطلس الاخضر مطرزة بالذهب الاحمر ومن فوقها سرادق مرصع بالدر والجوهر والملك زهرشاه جالس على ذلك السرير وأرباب دولته واقفون فى خدمته فلما دخل الوزير عليه وصار بين يديه ثبت جنانه وأطلق لسانه وأبدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن وزير الملك سليمان شاه لما دخل على الملك زهرشاه ثبت جنانه وأطلق لسانه وأبدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء وأشار الى الملك بلطف التفات وأنشد هذه الابيات

وافى وأقبل فى الغلائل ينثنى * يولى الندى للمجتبى والمجتنى
ورقى فاتغنى التمائم والرقى * والسحر من لحظات تلك الاعين
قل للعواذل لاتلوموا اننى * طول المدى عن حبه لا أنثنى
حتى فؤادى خاننى وو فى له * وكذا الرقاد صبا اليه وملنى
ياقلب ما أمسيت وحدك رأفة * فامكث لديه وان تكن أوحشتنى
لاشئ يطرب مسمعى بسماعه * الا الثناء لزهرشاه أجتنى
ملك اذا أنفقت عمرك كله * فى نظرة من وجهه أنت الغنى
واذا انتخبت له دعاء صالحا * لم تلق غير مشارك ومؤمن
ياأهل ذا الملك الذى من فاته * ورجا سواه فلم يكن بمؤمن

فلما فرغ الوزير من هذا النظام قربه الملك زهرشاه وأكرمه غاية الاكرام وأجلسه بجانبه وتبسم فى وجهه وشرفه بلطيف الكلام ولم يزالوا على ذلك الى وقت الصباح ثم قدموا السماط فى ذلك الايوان فأكلوا جميعا حتى اكتفوا ثم رفعوا السماط وخرج كل من فى المجلس ولم يبق الا الخواص فلما رأى الوزير خلو المكان نهض قائما على قدميه وأثنى على الملك وقبل الارض بين يديه ثم قال أيها الملك الكبير والسيد الخطير انى سعيت اليك وقدمت عليك

فى أمرلك فيه الصلاح والخير والفلاح وهو أنى قد أتيتك رسولا خاطبا وفى بنتك الحسيبة النسيبة راغبا من عند الملك سليمان شاه صاحب العدل والامان والفضل والاحسان ملك الارض الخضراء وجبال أصفهان وقد أرسل اليك الهدايا الكثيرة والتحف الغزيرة وهو فى مصاهرتك راغب فهل أنت له كذلك طالب ثم انه سكت ينتظر الجواب فلما سمع الملك زهرشاه ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام ولثم الارض باحتشام فتعجب الحاضرون من خضوع الملك للرسول واندهشت منهم العقول ثم ان الملك أثنى على ذى الجلال والاكرام وقال وهو فى حالة القيام أيها الوزير المعظم والسيد المكرم اسمع ما أقول اننا للملك سليمان شاه من جملة رعاياه ونتشرف بنسبه ونتنافس فيه وابنتى جارية من جملة جواريه وهذا أجل مرادى ليكون ذخرى واعتمادى ثم انه أحضر القضاة والشهود وشهدوا ان الملك سليمان شاه وكل وزيره فى الزواج وتولى الملك زهرشاه عقد بنته بابتهاج ثم ان القضاة أحكموا عقد النكاح ودعوا لهما بالفوز والنجاح فعند ذلك قام الوزير وأحضر ما جاء به من الهدايا ونفائس التحف والعطايا وقدم الجميع للملك زهرشاه ثم ان الملك أخذ فى تجهيز ابنته واكرام الوزير وعم بولائمه العظيم والحقير واستمر فى اقامة الفرح مدة شهرين ولم يترك فيه شيأ مما يسر القلب والعين ولما تم ما تحتاج اليه العروسة أمر الملك باخراج الخيام فضربت بظاهر المدينة وعبوا القماش فى الصناديق وهيؤا الجوارى الروميات والوصائف التركيات وأصحب العروسة بنفيس الذخائر وثمين الجواهر ثم صنع لها محفة من الذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر وأفرد لها عشر بغال للمسير وصارت تلك المحفة كأنها مقصورة من المقاصير وصاحبتها كأنها حورية من الحور الحسان وخدرها كقصر من قصور الجنان ثم رزموا الذخائر والاموال وحملوها على البغال والجمال وتوجه الملك زهرشاه معهم قدر ثلاثة فراسخ ثم ودع ابنته وودع الوزير ومن معه ورجع الى الاوطان فى فرح وأمان وتوجه الوزير بابنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنّ الوزير توجه بابنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار ويجد السير فى الليل والنهار حتى بقى بينه وبين بلاده ثلاثة أيام ثم أرسل الى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة فأسرع الرسول بالسير حتى وصل الى الملك وأخبره بقدوم العروسة ففرح الملك سليمان شاه وخلع على الرسول وأمر عساكره أن يخرجوا فى موكب عظيم الى ملاقاة العروسة ومن معها بالتكريم وأن يكونوا فى أحسن البهجات

وان

وأن ينشروا على رؤسهم الرايات فامتثلوا أمره ونادى المنادى فى المدينة انه لاتبقى بنت مخدرة ولا حرّة موقرة ولا عجوز مكسرة الا وتخرج الى لقاء العروسة فخرجوا جميعا الى لقائها وسعت كبراؤهم فى خدمتها واتفقوا على أن يتوجهوا بها فى الليل الى قصر الملك واتفق أرباب الدولة على أن يزينوا الطريق وأن يقفوا حتى تمرّ بهم العروسة والخدام قدامها والجوارى بين يديها وعليها الخلعة التى أعطاها لها أبوها فلما أقبلت أحاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ولم تزل المحفة سائرة بها الى ان قربت من القصر ولم يبق أحد الا وقد خرج ليتفرج عليها وصارت الطبول ضاربة والرماح لاعبة والبوقات صائحة وروائح الطيب فائحة والرايات خافقة والخيل متسابقة حتى وصلوا الى باب القصر وتقدمت الغلمان بالمحفة الى باب السر فأضاء المكان ببهجتها وأشرقت جهاته بحلى زينتها فلما أقبل الليل فتح الخدام أبواب السرادق ووقفوا وهم محتاطون بالباب ثم جاءت العروسة وهى بين الجوارى كالقمر بين النجوم أو الدرّة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم ثم دخلت المقصورة وقد نصبوا لها سريرا من المرمر مرصعا بالدرّ والجوهر فجلست عليه ودخل عليها الملك وأوقع الله محبتها فى قلبه فازال بكارتها وزال ما كان عنده من القلق والقهر وأقام عندها نحو شهر فعلقت منه فى أول ليلة وبعد تمام الشهر خرج وجلس على سرير مملكته وعدل فى رعيته الى ان وفت أشهرها وفى آخر ليلة من الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر فجلست على كرسى الطلق وهوّن الله عليها الولادة فوضعت غلاما ذكرا تلوح عليه علامات السعادة فلما سمع الملك بالولد فرح فرحا جليلا وأعطى المبشر مالا جزيلا ومن فرحته توجه الى الغلام وقبله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر وتحقق فيه قول الشاعر

الله خوّل منه آجام العلا * أسدا وآفاق الرياسة كوكبا
هشت لمطلعه الأسنة والأسرّ * ة والمحافل والجحافل والظبى
لا تركبوه على النهود فانه * ليرى ظهور الخيل أوطأ مركبا
ولتفطموه عن الرضاع فانه * ليرى دم الاعداء أحلى مشربا

ثم ان الدايات أخذن ذلك المولود وقطعن سرّته وكحلن مقلته ثم سموه تاج الملوك خاران وارتضع ثدى الدلال وتربى فى حجر الاقبال ولازالت الايام تجرى والاعوام تمضى حتى صار له من العمر سبع سنين فعند ذلك أحضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء وأمرهم أن يعلموا ولده الخط والحكمة والادب فمكثوا على ذلك مدة سنين حتى تعلم ما يحتاج اليه الامر فلما عرف جميع ما طلبه الملك أحضره من عند الفقهاء والمعلمين وأحضر له أستاذا يعلمه الفروسية

فلم يزل يعلمه حتى صار له من العمر أربعة عشر سنة وكان اذا خرج الى بعض أشغاله يفتتن به كل من رآه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن تاج الملوك خاران ابن الملك سليمان شاه لما مهر فى الفروسية وفاق أهل زمانه صار من فرط جماله اذا خرج الى بعض أشغاله يفتتن به كل من رآه حتى نظموا فيه الاشعار وتهتكت فى محبته الاحرار لما حوى من الجمال الباهر كما قال فيه الشاعر

عانقته فسكرت من طيب الشذا * غصنا رطيبا بالنسيم قد اغتذى
سكران ماشرب المدام وانما * أمسى بخمر رضابه متنبذا
أضحى الجمال بأسره فى أسره * فلاجل ذاك على القلوب استحوذا
والله ماخطر السلوّ بخاطرى * مادمت فى قيد الحياة ولااذا
ان عشت عشت على هواه وان أمت * وجدا به وصبابة ياحبذا

فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عاما دب عذاره الاخضر على شامة خده الاحمر وزانهما خال كنقطة عنبر وصار يسبي العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر

أضحى ليوسف فى الجمال خليفة * تخشاه كل العاشقين اذا بدا
عرّج معى وانظر اليه لكى ترى * فى خده علم الخلافة أسودا

﴿وكما قال الآخر﴾

ما أبصرت عيناك أحسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمراء تحت المقلة السوداء

﴿وكما قال الآخر﴾

عجبت لخال يعبد النار دائما * بخدك لم يحرق بها وهو كافر
وأعجب من ذا ان لحظك مرسل * يصدق فى آياته وهو ساحر
وما اخضرّ ذاك الخدّ نبتا وانما * لكثرة ماشقت عليه المرائر

﴿وكما قال الآخر﴾

انى لاعجب من سؤال الناس عن * ماء الحياة بأىّ أرض منهمر
ولقد أراه بثغر ظبى أغيد * حلو اللمى وعليه شارب الخضر
ومن العجائب أن موسى يلتقى * معه هنالك سائلا لم يصطبر

فلما صار بتلك الحالة و بلغ مبلغ الرجال زاد به الجمال ثم صار لتاج الملوك خاران أصحاب واحباب

وأحباب وكل من تقرب اليه يرجو أنه يصير سلطانا بعد موت أبيه وانه يكون عنده أميرا ثم انه
تعلق بالصيد والقنص وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن
ذلك مخافة عليه من آفات البر والوحوش فلم يقبل منه ذلك فاتفق أنه قال لخدامه خذوا معكم
عليق عشرة أيام فامتثلوا ما أمرهم به فلما خرج بأتباعه للصيد والقنص ساروا فى البر ولم يزالوا
سائرين أربعة أيام حتى أشرفوا على أرض خضراء فرأوا فيها وحوشا راتعة وأشجارا يانعة
وعيونا نابعة فقال تاج الملوك لاتباعه انصبوا الحبائل هنا وأوسعوا دائرة حلقتها ويكون
اجتماعنا عند رأس الحلقة فى المكان الفلانى فامتثلوا أمره ونصبوا الحبائل وأوسعوا دائرة
حلقتها فاجتمع فيها شئ كثير من أصناف الوحوش والغزلان الى ان ضجت منهم الوحوش
وتنافرت فى وجوه الخيل فأغرى عليها الكلاب والفهود والصقور ثم ضربوا الوحوش
بالنشاب فأصابوا مقاتل الوحوش وما وصلوا الى آخر الحلقة الا وقد أخذوا من الوحوش شيأ
كثيرا وهرب الباقى وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء وأحضر الصيد وقسمه وأفرد لابيه
سليمان شاه خاص الوحوش وأرسله اليه وفرق البعض على أرباب دولته وبات تلك الليلة فى
ذلك المكان فلما أصبح الصباح أقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد وغلمان وتجار
فنزلت تلك القافلة على الماء والخضرة فلما رآهم تاج الملوك قال لبعض أصحابه ائتنى بخبر هؤلاء
واسألهم لاى شئ نزلوا فى هذا المكان فلما توجه اليهم الرسول قال لهم أخبرونا من أنتم وأسرعوا فى
رد الجواب فقالوا له نحن تجار ونزلنا هنا لاجل الراحة لان المنزل بعيد علينا وقد نزلنا فى هذا المكان
لاننا مطمئنون بالملك سليمان شاه وولده ونعلم ان كل من نزل عنده صار فى أمان واطمئنان ومعنا
قماش نفيس جئنا به من أجل ولده تاج الملوك فرجع الرسول الى ابن الملك وأعلمه بحقيقة الحال
وأخبره بما سمعه من التجار فقال ابن الملك اذا كان معهم شئ جاؤا به من أجلى فلا أدخل
المدينة ولا أرحل من هذا المكان حتى أستعرضه ثم ركب جواده وسار وسارت مماليكه خلفه
الى ان أشرف على القافلة فقام له التجار ودعوا له بالنصر والاقبال ودوام العز والافضال وقد
ضربت له خيمة من الاطلس الاحمر مزركشة بالدر والجوهر وفرشوا له مقعدا سلطانيا
فوق بساط من الحرير وصدره مزركش بالزمرد فجلس تاج الملوك ووقفت المماليك فى خدمته
وأرسل الى التجار وأمرهم أن يحضروا بجميع ما معهم فأقبلت عليه التجار ببضائعهم
فاستعرض جميع بضاعتهم وأخذ منها ما يصلح له ووفى لهم بالثمن ثم ركب وأراد أن يسير فلاحت
منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعانى بجبين أزهر
ووجه أقمر الا ان ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وأدرك

شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

❋فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد المائة❋ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن تاج الملوك لاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني الا ان ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وزاد به الانين والانتحاب وسالت من جفنيه العبرات وهو ينشد هذه الابيات

طال الفراق ودام الهم والوجل ❋ والدمع من مقلتي ياصاح منهمل

والقلب ودّعته يوم الفراق وقد ❋ بقيت فردا فلا قلب ولا أمل

ياصاحبي قف معي حتى أودّع من ❋ من نطقها تشتفي الامراض والعلل

ثم ان الشاب بعد ما فرغ من الشعر بكى ساعة وغشي عليه وتاج الملوك ناظر اليه وهو يتعجب من أمره فلما أفاق رنا بفاتك اللحظات وأنشد هذه الابيات

خذوا حذركم من طرفها فهو ساحر ❋ وليس بناج من رمته المحاجر

فان العيون السود وهي نواعس ❋ تقد السيوف البيض وهي بواتر

ولا تخضعوا من رقة في كلامها ❋ فان الحيا للعقول تخامر

منعمة الاطراف لومس جسمها ❋ حرير لادماه وها أنت ناظر

بعيدة ما بين المخلخل والطلا ❋ وأين الشذا من طيبها وهو عاطر

ثم شهق شهقة فغشي عليه فلما رآه تاج الملوك على هذه الحالة تحير في أمره ومشى اليه فلما أفاق من غشيته نظر ابن الملك واقفا على رأسه فنهض قائما على قدميه وقبل الارض بين يديه فقال له تاج الملوك لاي شيء لم تعرض بضاعتك علينا فقال يامولاي ان بضاعتي ليس فيها شيء يصلح لسعادتك فقال لابدّ أن تعرض عليّ ما معك وتخبرني بحالك فاني أراك باكي العين حزين القلب فان كنت مظلوما أزلنا ظلامتك وان كنت مديونا قضينا دينك فان قلبي قد احترق من أجلك حين رأيتك ثم ان تاج الملوك أمر بنصب كرسيين فنصبوا له كرسيا من العاج والابنوس مشبكا بالذهب والحرير وبسطوا له بساطا من الحرير فجلس تاج الملوك على الكرسي وأمر الشاب أن يجلس على البساط وقال له اعرض عليّ بضاعتك فقال له الشاب يامولاي لا تذكرلي ذلك فان بضاعتي ليست بمناسبة لك فقال له تاج الملوك لابدّ من ذلك ثم أمر بعض غلمانه باحضارها فأحضروها قهرا عنه فلما رآها الشاب جرت دموعه وبكى وأنّ واشتكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

بما بجفنك من غنج ومن كحل ❋ وما بقدك من لين ومن ميل

وما

وما بثغرك من خمر ومن شهد * وما بطبعك من لطف ومن ملل

عندي زيارة طيف منك يا أملي * أحلى من الامن عند الخائف الوجل

ثم ان الشاب فتح بضاعته وعرضها على تاج الملوك قطعة قطعة وتفصيلة تفصيلة وأخرج من جلتها ثوبا من الاطلس منسوجا بالذهب يساوي ألفي دينار فلما فتح الثوب وقعت من وسطه خرقة فأخذها الشاب بسرعة ووضعها تحت وركه وقد ذهل عن المعقول وأنشد يقول

متى يشتفي منك الفؤاد المعذب * ونجم الثريا من وصالك أقرب

بعاد وهجر واشتياق ولوعة * ومطل وتسويف به العمر يذهب

فلا الوصل يحييني ولا الهجر قاتلي * ولا البعد يدنيني ولا أنت تقرب

وما منك انصاف ولا لك رحمة * ولا منك اسعاف ولا عنك مهرب

وفي حبكم ضاقت جميع مذاهبي * علي فلا أدري الى أين أذهب

فتعجب تاج الملوك من انشاده غاية العجب ولم يعلم لذلك من سبب ولما أخذ الخرقة ووضعها تحت وركه قال له تاج الملوك ماهذه الخرقة فقال يامولاي ليس لك بهذه الخرقة حاجة فقال له ابن الملك أرني اياها قال له يامولاي أنا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الا لاجلها فاني لا أقدر على انك تنظر اليها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك أنا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الا لاجلها فاني لا أقدر على أنك تنظر اليها فقال له تاج الملوك لابد من كوني أنظر اليها وألح عليه واغتاظ فأخرجها من تحت ركبته وبكى وأن واشتكى وأكثر من الأنات وأنشد هذه الابيات

لا تعذليه فان العذل يوجعه * قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

استودع الله في البطحاء لي قمرا * بالحي من فلك الازرار مطلعه

ودعته وبودي لو يودعني * صفو الحياة واني لا أودعه

وكم تشفع لي يوم الفراق ضحى * وأدمعي مستهلات وأدمعه

لا أكذب الله ثوب العذر منخرق * عني بفرقته لكن أرقعه

لا يستقر لجنبي مضجع وكذا * لا يستقر له مذ بنت مضجعه

وقد سعى الدهر فيما بيننا بيد * عسراء تمنعني حظي وتمنعه

وصبت الهم صرفا عندما ملأت * كأسا تجرع منها ما أجرعه

فلما فرغ من شعره قال له تاج الملوك أرى أحوالك غير مستقيمة فأخبرني ما سبب بكائك عند

فنظرك الى هذه الخرقة فلما سمع الشاب ذكر الخرقة تنهد وقال يامولاى ان حديثى عجيب وأمرى غريب مع هذه الخرقة وصاحبتها وصاحبة هذه الصور والتماثيل ثم نشر الخرقة واذا فيها صورة غزال مرقومة بالحرير مزركشة بالذهب الاحمر وقبالها صورة غزال آخر وهى مرقومة بالفضة وفى رقبته طوق من الذهب الاحمر وثلاث قصبات من الزبرجد فلما نظر تاج الملوك اليه والى حسن صنعته قال سبحان الله الذى علم الانسان مالم يعلم وتعلق قلب تاج الملوك بحديث هذا الشاب فقال له احك لى قصتك مع صاحبة هذا الغزال فقال الشاب اعلم يامولاى ان أبى كان من التجار الكبار ولم يرزق ولدا غيرى وكان لى بنت عم تربيت أنا واياها فى بيت أبى لان أباها مات وكان قبل موته تعاهد هو وأبى على أن يزوجانى بها فلما بلغت مبلغ الرجال و بلغت هى مبلغ النساء لم يحجبوها عنى ولم يحجبونى عنها ثم تحدث والدى مع أمى وقال لها فى هذه السنة نكتب كتاب عزيز على عزيزة واتفق مع أمى على هذا الامر ثم شرع أبى فى تجهيز مؤن الولائم هذا كله وأنا وبنت عمى تنام مع بعضنا فى فراش واحد ولم ندر كيف الحال وكانت هى أشعر منى وأعرف وأدرى فلما جهز أبى أدوات الفرح ولم يبق غير كتب الكتاب والدخول على بنت عمى أراد أبى أن يكتبوا الكتاب بعد صلاة الجمعة ثم توجه الى أصحابه من التجار وغيرهم وأعلمهم بذلك ومضت أمى وعزمت أصحابها من النساء ودعت أقاربها فلما جاء يوم الجمعة غسلوا القاعة المعدة للجلوس وغسلوا رخامها وفرشوا فى دارنا البسط ووضعوا فيها مايحتاج اليه الامر بعد ان زوقوا حيطانها بالقماش المقصب واتفق الناس على أن يجيؤا الينا بعد صلاة الجمعة ثم مضى أبى وعمل الحلويات وأطباق السكر ومابقى غير كتب الكتاب وقد أرسلتنى أمى الى الحمام وأرسلت خلفى بدلة جديدة من أفخر الثياب فلما خرجت من الحمام لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة فلما لبستها فاحت منها رائحة زكية عبقت فى الطريق ثم أردت أن أذهب الى الجامع فتذكرت صاحبا لى فرجعت أفتش عليه ليحضر كتب الكتاب وقلت فى نفسى اشتغل بهذا الامر الى أن يقرب وقت الصلاة ثم انى دخلت زقاقا مادخلته قط وكنت عرقان من أثر الحمام والقماش الجديد الذى على جسدى فساح عرقى وفاحت روائحى فقعدت فى رأس الزقاق لارتاح على مسطبة وفرشت تحتى منديلا مطرزا كان معى فاشتد على الحر فعرق جبينى وصار العرق ينحدر على وجهى ولم يمكنى مسح العرق عن وجهى بالمنديل لانه مفروش تحتى فأردت أن آخذ ذيل فرجيتى وأمسح وجنتى فما أدرى الا ومنديل أبيض وقع على من فوق وكان ذلك المنديل أرق من النسيم ورؤيته ألطف من شفاء السقيم فمسكته بيدى ورفعت رأسى الى فوق لانظر من أين سقط هذا المنديل فوقعت عينى فى عين صاحبة هذا الغزال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما

﴿فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فرفعت رأسي الى فوق لانظر من أين سقط هذا المنديل فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال واذا بها مطلة من طاقة في شباك من نحاس لم تر عيني أجمل منها وبالجملة يعجز عن وصفها لساني فلما رأتني نظرت اليها وضعت أصبعها في فمها ثم أخذت أصبعها الوسطاني وألصقتها بأصبعها الشاهد ووضعتهما على صدرها بين نهديها ثم أدخلت رأسها من الطاقة وسدت باب الطاقة وانصرفت فانطلقت في قلبي النار وزاد به الاستعار وأعقبتني النظرة ألف حسرة وتحيرت فلم أسمع ما قالت ولم أفهم ما به أشارت فنظرت الى الطاقة ثانيا فوجدتها مطبوقة فصبرت الى مغيب الشمس فلم أسمع حسا ولم أر شخصا فلما يئست من رؤيتها قمت من مكاني وأخذت المنديل معي ثم فتحته ففاحت منه رائحة المسك فحصل لي من تلك الرائحة طرب عظيم حتى صرت كأنني في الجنة ثم نشرته بين يدي فسقطت منه ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضمخة بالروائح الزكيات ومكتوب فيها هذه الابيات

بعثت له أشكوه من ألم الجوى * بخط رقيق والخطوط فنون
فقال خليلي ما لخطك هكذا * رقيقا دقيقا لا يكاد يبين
فقلت لاني في نحول ودقة * كذاك خطوط العاشقين تكون

ثم بعد ان قرأت الابيات أطلقت في بهجة المنديل نظر العين فرأيت في احدى حاشيتيه تسطير هذين البيتين

كتب العذار وياله من كاتب * سطرين في خديه بالريحان
واحيرة القمرين منه اذا بدا * واذا انثنى واخجلة الاغصان

ومسطر في الحاشية الاخرى هذان البيتان

كتب العذار بعنبر في لؤلؤ * سطرين من سبج على تفاح
القتل في الحدق المراض اذا رنت * والسكر في الوجنات لا في الراح

فلما رأيت ما على المنديل من الاشعار انطلق في فؤادي لهيب النار وزادت بي الاشواق والافكار وأخذت المنديل والورقة وأتيت بهما الى البيت وأنا لا أدري لي حيلة في الوصال ولا أستطيع في العشق تفصيل الاجمال فما وصلت الى البيت الا بعد مدة من الليل فرأيت بنت عمي جالسة تبكي فلما رأتني مسحت دموعها وأقبلت علي وقلعتني الثياب وسألتني عن سبب غيابي وأخبرتني ان جميع الناس من أمراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا في بيتنا وحضر القاضي والشهود وأكلوا الطعام واستمروا مدة جالسين ينتظرون حضوري من أجل كتب

الكتاب فلما يئسوا من حضوري تفرقوا وذهبوا الى حال سبيلهم وقالت لى ان أباك اغتاظ بسبب ذلك غيظا شديدا وحلف انه لا يكتب كتابنا الا فى السنة القابلة لانه غرم فى هذا الفرح مالا كثيرا ثم قالت لى ما الذى جرى لك فى هذا اليوم حتى تأخرت الى هذا الوقت وحصل ما حصل بسبب غيابك فقلت لها جرى لى كذا وكذا وذكرت لها المنديل وأخبرتها بالخبر من أوله الى آخره فأخذت الورقة والمنديل وقرأت ما فيهما وجرت دموعها على خدودها وأنشدت هذه الابيات

من قال أول الهوى اختيار * فقل كذبت كله اضطرار
وليس بعد الاضطرار عار * دلت على صحته اخبار
ما زيفت على صحيح النقد

فان تشا فقل عذاب يعذب * أوضربان فى الحشى أوضرب
أونعمة أونقمة أوأرب * تأتنس النفس به أوتعطب
قد حرت بين عكسه والطرد

ومع ذا أيامه مواسم * وثغرها على الدوام باسم
ونفحات طيبها نواسم * وهو لكل ما يشين حاسم
ما حل قط قلب نذل وغد

ثم انها قالت لى فما قالت لك وما أشارت به اليك فقلت لها ما نطقت بشيء غير انها وضعت أصبعها فى فمها ثم قرنتها بالاصبع الوسطى وجعلت الاصبعين على صدرها وأشارت الى الارض ثم أدخلت رأسها وأغلقت الطاقة ولم أرها بعد ذلك فأخذت قلبي معها فقعدت الى غياب الشمس أنتظرها تطل من الطاقة ثانيا فلم تفعل فلما يئست منها قمت من ذلك المكان وهذه قصتى وأشتهى منك أن تعينينى على ما بليت به فرفعت رأسها الىّ وقالت يا ابن عمى لو طلبت عينى لاخرجتها لك من جفونى ولا بد أن أساعدك على حاجتك وأساعدها على حاجتها فانها مغرمة بك كما انك مغرم بها فقلت لها وما تفسير ما أشارت به قالت أما وضع أصبعها فى فمها فانه اشارة الى انك عندها بمنزلة روحها من جسدها وانها تعض على وصالك بالنواجذ وأما المنديل فانه اشارة الى سلام المحبين على المحبوبين وأما الورقة فانها اشارة الى أن روحها متعلقة بك وأما وضع أصبعيها على صدرها بين نهديها فتفسيره أنها تقول لك بعد يومين تعال هنا ليزول عنى بطلعتك العنا واعلم يا ابن عمى أنها لك عاشقة وبك واثقة وهذا ما عندى من التفسير لاشاراتها ولو كنت أدخل وأخرج لجمعت بينك وبينها فى أسرع وقت وأسترك بذيلى قال الغلام فلما سمعت ذلك منها شكرتها على قولها

قولها وقلت فى نفسى أنا أصبر يومين ثم قعدت فى البيت يومين لا أدخل ولا أخرج ولا آكل ولا أشرب ووضعت رأسى فى حجر ابنة عمى وهى تسلينى وتقول لى قوّ عزمك وهمتك وطيب قلبك وخاطرك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان قالت لى ابنة عمى طب نفسا وقرّ عينا وقوّ عزمك والبس ثيابك وتوجه اليها على الميعاد ثم انها قامت وغيرت أثوابى وبخرتنى ثم شددت حيلى وقويت قلبى وخرجت وتمشيت الى أن دخلت الزقاق وجلست على المصطبة ساعة واذا بالطاقة قد انفتحت فنظرت بعينى اليها فلما رأيتها وقعت مغشيا علىّ ثم أفقت فشددت عزمى وقويت قلبى ونظرت اليها ثانيا فغبت عن الوجود ثم استفقت فرأيت معها مرآة ومنديلا أحمر وحين رأتنى شمرت عن ساعديها وفتحت أصابعها الخمس ودقت بها على صدرها بالكف والخمس أصابع ثم رفعت يديها وأبرزت المرآة من الطاقة وأخذت المنديل الاحمر ودخلت به وعادت وأدلته من الطاقة الى صوب الزقاق ثلاث مرات وهى تدليه وترفعه ثم عصرته ولفته بيدها وطأطأت رأسها ثم جذبتها من الطاقة وأغلقت الطاقة وانصرفت ولم تكلمنى كلمة واحدة بل تركتنى حيران لا أعلم ما أشارت به واستمريت جالسا الى وقت العشاء ثم جئت الى البيت قرب نصف الليل فوجدت ابنة عمى واضعة يدها على خدها وأجفانها تسكب العبرات وهى تنشد هذه الابيات

مالى وللاحى عليك يعنف * كيف السلوّ وأنت غصن أهيف
يا طلعة سلبت فؤادى وانثنت * ما للهوى العذرىّ عنها مصرف
تركية الالحاظ تفعل بالحشى * ما ليس يفعله الصقيل المرهف
حملتنى ثقل الغرام وليس لى * جلد على حمل القميص وأضعف
ولقد بكيت دما لقول عواذلى * من جفن من تهوى يروعك مرهف
ياليت قلبى مثل قلبك انما * جسمى كخصرك بالنحافة متلف
لك يا أميرى فى الملاحة ناظر * صعب علىّ وحاجب لا ينصف
كذب الذى قال الملاحة كلها * فى يوسف كم فى جمالك يوسف
أتكلف الاعراض عنك مخافة * من أعين الرقباء كم أتكلف

فلما سمعت شعرها زاد ما بى من الهموم وتكاثرت علىّ الغموم ووقعت فى زوايا البيت فنهضت الىّ وحملتنى وقلعتنى أثوابى ومسحت وجهى بكمها ثم سألتنى عما جرى لى فحكيت لها جميع ما حصل منها فقالت يا ابن عمى أما اشارتها بالكف والخمسة أصابع فان تفسيره تعال بعد خمسة أيام

وأما اشارتها بالمرآة وابرازرأسها من الطاقة فان تفسيره اقعد على دكان الصباغ حتى يأتيك رسولى فلما سمعت كلامها اشتعلت النار فى قلبى وقلت بالله يابنت عمى انك تصدقيني فى هذا التفسير لانى رأيت فى الزقاق صباغا يهوديا ثم بكيت فقالت ابنة عمى قو عزمك وثبت قلبك فان غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين و يتجلد على حر الغرام وأنت لك جمعة فكيف يحصل لك هذا الجزع ثم أخذت تسليني بالكلام وأتت لى بالطعام فأخذت لقمة وأردت أن آكلها فما قدرت فامتنعت من الشراب والطعام وهجرت لذيذ المنام واصفر لونى وتغيرت محاسنى لانى ماعشقت قبل ذلك ولاذقت حرارة العشق الا فى هذه المرة فضعفت وضعفت بنت عمى من أجلى وصارت تذكر لى أحوال العشاق والمحبين على سبيل التسلى فى كل ليلة الى أن أنام وكنت أستيقظ فأجدها ساهرة من أجلى ودمعها يجرى على خدها ولم أزل كذلك الى أن مضت الخمسة أيام فقامت ابنة عمى وسخنت لى ماء وحمتني به وألبستني ثيابى وقالت لى توجه اليها قضى الله حاجتك و بلغك مقصودك من محبوبتك فمضيت ولم أزل ماشيا الى أن أتيت الى رأس الزقاق وكان ذلك فى يوم السبت فرأيت دكان الصباغ مقفولة فجلست عليها حتى اذن العصر واصفرت الشمس واذن المغرب ودخل الليل وأنا لا أرى لها أثرا ولا أسمع حسا ولا خبرا فخشيت على نفسى وأنا جالس وحدى فقمت وتمشيت وأنا كالسكران الى أن دخلت البيت فلما دخلت رأيت ابنة عمى عزيزة واحدى يديها قابضة على وتد مدقوق فى الحائط و يدها الاخرى على صدرها وهى تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

وما وجد اعرابية بان أهلها * فحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده
بأعظم من وجدى بحبى وانما * يرى اننى أذنبت ذنبا بوده

فلما فرغت من شعرها التفتت الىّ فرأتنى فمسحت دموعها ودموعى بكمها وتبسمت فى وجهى وقالت لى يا ابن عمى هناك الله بما أعطاك فلاى شئ لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها اربك فلما سمعت كلامها رفصتها برجلى فى صدرها فانقلبت على الايوان فجاءت جبهتها على طرف الايوان وكان هناك وتد فجاء فى جبهتها فتأملتها فرأيت جبينها قد انفتح وسال دمها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما رفصت ابنة عمى فى صدرها انقلبت على طرف الايوان فجاء الوتد فى جبهتها فانفتح جبينها وسال دمها فسكتت ولم تنطق بحرف واحد ثم انها قامت فى الحال وأحرقت حراقا

وحشت

وحشت به ذلك الجرح وتعصبت بعصابة ومسحت الدم الذى سال على البساط وكأن ذلك شئ ما كان ثم انها أتتنى وتبسمت فى وجهى وقالت لى بلين الكلام والله يا ابن عمى ماقلت هذا الكلام استهزاء بك ولابها وقد كنت مشغولة بوجع رأسى ومسح الدم وفى هذه الساعة قدخفت رأسى وخفت جبهتى فأخبرنى بما كان من أمرك فى هذا اليوم فحكيت لها جميع ماوقع لى منها فى ذلك اليوم و بعد كلامى بكيت فقالت لى يا ابن عمى أبشر بنجاح قصدك و بلوغ أملك ان هذه علامة القبول وذلك انها غابت عنك لانها تريد أن تختبرك وتعرف هل أنت صابر أولا وهل أنت صادق فى محبتها أولا وفى غد توجه اليها فى مكانك الاول وانظر ماذا تشير به اليك فقد قربت أفراحك وزالت أحزانك وصارت تسلينى على مابى وأنا لم أزل متزايد الهموم والغموم ثم قدمت لى الطعام فرفصته برجلى فانكبت كل زبدية فى ناحية وقلت كل من كان عاشقا فهو مجنون لايميل الى طعام ولايلتذ بمنام فقالت لى ابنة عمى عزيزة والله يا ابن عمى ان هذه علامات المحبة وسالت دموعها ولمت شقافة الزبادى ومسحت الطعام وجلست تسايرنى وأنا أدعو الله أن يصبح الصباح فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح توجهت اليها ودخلت ذلك الزقاق بسرعة وجلست على تلك المسطبة واذا بالطاقة قد انفتحت وأبرزت رأسها منها وهى تضحك ثم غابت ورجعت ومعها مرآة وكيس وقصرية ممتلئة بزرع أخضر وفى يدها قنديل فأول مافعلت أخذت المرآة فى يدها وأدخلتها فى الكيس ثم ربطته ورمته فى البيت ثم أرخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على رأس الزرع لحظة ثم أخذت جميع ذلك وانصرفت به وأغلقت الطاقة فانفطر قلبى من هذا الحال ومن اشاراتها الخفية ورموزها المخفية وهى لم تكلمنى بكلمة قط فاشتد لذلك غرامى وزاد وجدى وهيامى ثم انى رجعت على عقبى وأنا باكى العين حزين القلب حتى دخلت البيت فرأيت بنت عمى قاعدة ووجهها الى الحائط وقد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة ولكن محبتها منعتها أن تخبرنى بشئ مما عندها من الغرام لما رأت ما أنا فيه من كثرة الوجد والهيام ثم نظرت اليها فرأيت على رأسها عصابتين احداهما من الوقعة على جبهتها والاخرى على عينها بسبب وجع أصابها من شدة بكائها وهى فى أسوأ الحالات تبكى وتنشد هذه الابيات

أيها الراحل المقيم بقلبى * أينما كنت لم تزل بامان
منقذ من صروف دهر وخطب * ولك الله حيث أمسيت جار
غبت فاستوحشت لبعدك عينى * واستهلت مدامعى أى سكب
ليت شعرى بأى أرض ومغنى * أنت مستوطن بدار وشعب

ان يكن شربك القراح زلالا * فدموعى من المحاجر شربى
كل شئ سوى فراقك عذب * كالتجافى بين الرقاد وجنبى

فلما فرغت من شعرها نظرت الىّ فرأتنى وهى تبكى فمسحت دموعها ونهضت الى ولم تقدر أن تتكلم مما هى فيه من الوجد ولم تزل ساكتة برهة من الزمان ثم بعد ذلك قالت يا ابن عمى أخبرنى بما حصل لك منها فى هذه المرة فأخبرتها بجميع ما حصل لى فقالت لى اصبر فقد آن أوان وصالك وظفرت ببلوغ آمالك أما اشارتها لك بالمرآة وكونها أدخلتها فى الكيس فانها تقول لك اصبر الى أن تغطس الشمس وأما ارخاؤها شعرها على وجهها فانها تقول لك اذا أقبل الليل وانسدل سواد الظلام على نور النهار فتعال وأما اشارتها لك بالقصرية التى فيها الزرع فانها تقول لك اذا جئت فادخل البستان الذى وراء الزقاق وأما اشارتها لك بالقنديل فانها تقول لك اذا دخلت البستان فامش فيه وأى موضع وجدت فيه القنديل مضيأ فتوجه اليه واجلس تحته وانتظرنى فان هواك قاتلى فلما سمعت كلام ابنة عمى صحت من فرط الغرام وقلت كم تعدينى وأتوجه اليها ولا أحصل مقصودى ولا أجد لتفسيرك معنى صحيحا فعند ذلك ضحكت بنت عمى وقالت لى بقى عليك من الصبر أن تصبر بقية هذا اليوم الى أن يولى النهار و يقبل الليل بالاعتكار فتحظى بالوصال و بلوغ الآمال وهذا الكلام صدق بغير مين ثم أنشدت هذين البيتين

درّج الايام تندرج * و بيوت الهم لا تلج
رب أمر عز مطلبه * قرّبته ساعة الفرج

ثم انها أقبلت علىّ وصارت تسلينى بلين الكلام ولم تجسر أن تأتينى بشئ من الطعام مخافة من غضبى عليها ورجاء ميلى اليها ولم يكن لها قصد الا انها أتت الىّ وقلعتنى ثيابى ثم قالت يا ابن عمى اقعد معى حتى أحدثك بما يسليك الى آخر النهار وان شاء الله تعالى ما يأتى الليل الا وأنت عند محبوبتك فلم ألتفت اليها وصرت أنتظر مجئ الليل وأقول يارب عجل بمجئ الليل فلما أتى الليل بكت ابنة عمى بكاء شديدا وأعطتنى حبة مسك خالص وقالت لى يا ابن عمى اجعل هذه الحبة فى فمك فاذا اجتمعت بمحبوبتك وقضيت منها حاجتك وسمحت لك بما تمنيت فانشدها هذا البيت

الا أيها العشاق بالله خبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

ثم انها قبلتنى وحلفتنى انى لا أنشدها ذلك البيت الشعر الا بعد خروجى من عندها فقلت لها سمعا وطاعة ثم خرجت وقت العشاء ومشيت ولم أزل ماشيا حتى وصلت الى البستان فوجدت بابه مفتوحا فدخلته فرأيت نورا على بعد فقصدته فلما وصلت اليه وجدت مقعدا عظيما معقودا عليه

قبة

قبة من العاج والابنوس والقنديل معلق فى وسط تلك القبة وذلك المقعد مفروش بالبسط الحرير المزركشة بالذهب والفضة وهناك شمعة كبيرة موقودة فى شمعدان من الذهب تحت القنديل وفى وسط المقعد فسقية فيها أنواع التصاوير وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة بفوطة من الحرير والى جانبها باطية كبيرة من الصينى مملوءة خمرا وفيها قدح من بلور مزركش بالذهب والى جانب الجميع طبق كبير من فضة مغطى فكشفته فرأيت فيه من سائر الفواكه ما بين تين ورمان وعنب ونارنج واترج وكبادو بينها أنواع الرياحين من ورد وياسمين وآس ونسرين ونرجس ومن سائر المشمومات فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح وزال عنى الهم والترح لكنى ما وجدت فى هذه الدار أحدا من خلق الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح لكنى ما وجدت فيه أحدا من خلق الله تعالى ولم أر عبدا ولا جارية ولا من يعانى هذه الامور فجلست فى ذلك المقعد أنتظر مجىء محبوبة قلبى الى أن مضى أول ساعة من الليل وثانى ساعة وثالث ساعة فلم تأت واشتد بى ألم الجوع لانى لى مدة من الزمان ما أكلت طعاما لشدة وجدى فلما رأيت ذلك المكان وظهر لى صدق بنت عمى فى فهم اشارة معشوقتى استرحت ووجدت ألم الجوع وقد شوقتنى روائح الطعام الذى فى السفرة لما وصلت الى ذلك المكان واطمأنت نفسى بالوصال فاشتهت نفسى الاكل فتقدمت الى السفرة وكشفت الغطاء فوجدت فى وسطها طبقا من الصينى وفيه أربع دجاجات محمرة ومتبلة بالبهارات وحول ذلك الطبق أربع زبادى واحدة حلوى والاخرى حب الرمان والثالثة بقلاوة والرابعة قطائف وتلك الزبادى ما بين حلوى وحامض فأكلت من القطائف وقطعة لحم وعمدت الى البقلاوة وأكلت منها ما تيسر ثم قصدت الحلوى وأكلت ملعقة أو اثنتين أو ثلاثا أو أربعا وأكلت بعض دجاجة وأكلت لقمة فعند ذلك امتلأت بطنى وارتخت مفاصلى وقد كسلت عن السهر فوضعت رأسى على وسادة بعد أن غسلت يدى فغلبنى النوم ولم أعلم بما جرى لى بعد ذلك فما استيقظت حتى أحرقنى حر الشمس لان لى أياما ما ذقت مناما فلما استيقظت وجدت على بطنى ملحا وفحما فانتصبت قائما ونفضت ثيابى وقد تلفت يمينا وشمالا فلم أجد أحدا ووجدتنى كنت نائما على الرخام من غير فرش فتحيرت فى عقلى وحزنت حزنا عظيما وجرت دموعى على خدى وتأسفت على نفسى فقمت وقصدت البيت فلما وصلت اليه وجدت ابنة عمى تدق بيدها على صدرها وتبكى بدمع يبارى السحب الماطرات وتنشد هذه الابيات

هبّ ريح من الحى ونسيم * فأثار الهوى بنشر هبوبه
يانسيم الصبا هلم الينا * كل صبّ بحظه ونصيبه
لوقدرنا من الغرام اعتنقنا * كاعتناق المحبّ صدر حبيبه
حرّم الله بعد وجه ابن عمى * كل عيش من الزمان وطيبه
ليت شعرى هل قلبه مثل قلبى * ذائب من حرّ الهوى ولهيبه

فلما رأتنى قامت مسرعة ومسحت دموعها وأقبلت علىّ بلين كلامها وقالت لى يا ابن عمى أنت فى عشقك قد لطف الله بك حيث أحبك من تحب وأنا فى بكائى وحزنى على فراقك من يلومنى ولكن لا آخذك الله من جهتى ثم انها تبسمت فى وجهى تبسم الغيظ ولاطفتنى وقلعتنى أثوابى ونشرتها وقالت والله ماهذه روائح من حظى بمحبوبه فأخبرنى بما جرى لك يا ابن عمى فأخبرتها بجميع ما جرى لى فتبسمت تبسم الغيظ ثانيا وقالت ان قلبى ملآن موجع فلا عاش من يوجع قلبك وهذه المرأة تتعزز عليك تعززا قويا والله يا ابن عمى انى خائفة عليك منها واعلم يا ابن عمى ان تفسير الملح هو انك مستغرق فى النوم فكأنك دلع الطعم بحيث تعافك النفوس فينبغى لك أن تتملح حتى لا تمجك الطباع لانك تدعى انك من العشاق الكرام والنوم على العشاق حرام فدعواك المحبة كاذبة وكذلك هى محبتها لك كاذبة لانها لما رأتك نائما لم تنبهك ولو كانت محبتها لك صادقة لنبهتك وأمّا الفحم فان تفسير اشارته سوّد الله وجهك حيث ادّعيت المحبة كذبا وانما أنت صغير ولم يكن لك همة الا الاكل والشرب والنوم فهذا تفسير اشارتها فالله تعالى يخلصك منها فلما سمعت كلامها ضربت بيدى على صدرى وقلت والله ان هذا هو الصحيح لانى نمت والعشاق لا ينامون فانا الظالم لنفسى وما كان أضرّ علىّ من الاكل والنوم فكيف يكون الامر ثم انى زدت فى البكاء وقلت لابنة عمى دلينى على شئ أفعله وارحمينى يرحمك الله والا مت وكانت بنت عمى تحبنى محبة عظيمة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فقلت لابنة عمى دلينى على شئ أفعله وارحمينى يرحمك الله وكانت تحبنى محبة عظيمة فقالت على رأسى وعينى ولكن يا ابن عمى قد قلت لك مرارا لو كنت أدخل وأخرج لكنت أجمع بينك وبينها فى أقرب زمن وأغطيكما بذيلى ولا أفعل معك هذا الا لقصد رضاك وان شاء الله تعالى أبذل غاية الجهد فى الجمع بينكما ولكن اسمع قولى وأطع أمرى واذهب الى نفس ذلك المكان واقعد هناك فاذا كان وقت العشاء فاجلس فى الموضع الذى كنت فيه واحذر أن تأكل شيأ لان الاكل يجلب النوم واياك ان تنام فانها لا تأتى لك حتى يمضى من الليل ربعه كفاك الله شرّها فلما

سمعت

سمعت كلامها فرحت وصرت أدعو الله أن يأتي الليل فلما أتى الليل أردت الانصراف فقالت لي ابنة عمي اذا اجتمعت بها فاذكر لها البيت المتقدم وقت انصرافك فقلت لها على الرأس والعين فلما خرجت وذهبت الى البستان وجدت المكان مهيأ على الحالة التي رأيتها أولا وفيه ما يحتاج اليه من الطعام والشراب والنقل والمشموم وغير ذلك فطلعت المقعد وشممت رائحة الطعام فاشتاقت نفسي اليه فمنعتها مرارا فلم أقدر على منعها فقمت وأتيت الى السفرة وكشفت غطاءها فوجدت صحن دجاج وحوله أربع زبادي من الطعام فيها أربعة ألوان فأكلت من كل لون لقمة وأكلت ما تيسر من الحلاوى وأكلت قطعة لحم وشربت من الزردة وأعجبتني فأكثرت الشرب منها بالملعقة حتى شبعت وامتلأت بطني وبعد ذلك انطبقت أجفاني فأخذت وسادة ووضعتها تحت رأسي وقلت لعلي أتكئ عليها ولا أنام فأغمضت عيني ونمت وما انتبهت حتى طلعت الشمس فوجدت على بطني كعب عظم وفردة طاب ونواة بلح وبزرة خروب وليس في المكان شيء من فرش ولا غيره وكأنه لم يكن فيه شيء بالامس فقمت ونفضت الجميع عني وخرجت وأنا مغتاظ الى أن وصلت الى البيت فوجدت ابنة عمي تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

جسد ناحل وقلب جريح * ودموع على الخدود تسيح
وحبيب صعب التجني ولكن * كل ما يفعل المليح مليح
يا ابن عمي ملأت بالوجد قلبي * ان طرفي من الدموع قريح

فنهرت ابنة عمي وشتمتها فبكت ثم مسحت دموعها وأقبلت علي وقبلتني وأخذت تضمني الى صدرها وأنا أتباعد عنها وأعاتب نفسي فقالت لي يا ابن عمي كأنك نمت في هذه الليلة فقلت لها نعم ولكنني لما انتبهت وجدت كعب عظم على بطني وفردة طاب ونواة بلح وبزرة خروب وما أدري لأي شيء فعلت هكذا ثم بكيت وأقبلت عليها وقلت لها فسري لي اشارة فعلها هذا وقولي لي ماذا أفعل وساعديني على الذي أنا فيه فقالت على الرأس والعين أما فردة الطاب التي وضعتها على بطنك فانها تشير لك بها الى انك حضرت وقلبك غائب وكأنها تقول لك ليس العشق هكذا فلا تعد نفسك من العاشقين وأما نواة البلح فانها تشير لك بها الى انك لو كنت عاشقا لكان قلبك محترقا بالغرام ولم تذق لذيذ المنام فان لذة الحب كتمرة ألهبت في الفؤاد جمرة وأما بزرة الخروب فانها تشير لك بها الى أن قلب المحب مسلوب وتقول لك اصبر على فراقها صبر أيوب فلما سمعت هذا التفسير انطلقت في فؤادي النيران وزادت بقلبي الاحزان فصحت وقلت قدر الله علي النوم لقلة بختي ثم قلت لها يا ابنة عمي بحياتي عندك ان تدبري لي حيلة أتوصل بها اليها فبكت وقالت يا عزيز يا ابن عمي ان قلبي ملآن بالفكر ولا أقدر أن أتكلم ولكن رح الليلة الى ذلك المكان

واحذر أن تنام فانك تبلغ المرام هذا هو الرأى والسلام فقلت لها ان شاء الله لا أنام وانما أفعل ما تأمريني به فقامت بنت عمى وأتت لى بالطعام وقالت لى كل الآن ما يكفيك حتى لا يبقى فى خاطرك شئ فأكلت كفايتى ولما أتى الليل قامت بنت عمى وأتتنى ببدلة عظيمة وألبستنى اياها وحلفتنى أن أذكر لها البيت المذكور وحذرتنى من النوم ثم خرجت من عند بنت عمى وتوجهت الى البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت أفتح عينى باصابعى وأهز رأسى حين جن الليل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فدخلت البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت أفتح عينى بأصابعى وأهز رأسى حين جن الليل فجعت من السهر وهبت على روائح الطعام فازداد جوعى وتوجهت الى السفرة وكشفت غطاءها وأكلت من كل لون لقمة وأكلت قطعة لحم وأتيت الى باطية الخمر وقلت فى نفسى اشرب قدحا فشربته ثم شربت الثانى والثالث الى غاية عشرة وقد ضربنى الهواء فوقعت على الارض كالقتيل ومازلت كذلك حتى طلع النهار فانتبهت فرأيت نفسى خارج البستان وعلى بطنى شفرة ماضية ودرهم حديد فارتجفت وأخذتهما وأتيت بهما الى البيت فوجدت ابنة عمى تقول انى فى هذا البيت مسكينة حزينة ليس لى معين الا البكاء فلما دخلت وقعت من طولى ورميت السكين والدرهم من يدى وغشى على فلما أفقت من غشيتى عرفتها بما حصل لى وقلت لها انى لم أنل أربى فاشتد حزنها على لما رأت بكائى ووجدى وقالت لى انى عجزت وأنا أنصحك عن النوم فلم تسمع نصحى فكلامى لا يفيدك شيأ فقلت لها أسألك بالله أن تفسرى لى اشارة السكين والدرهم الحديد فقالت أما الدرهم الحديد فانها تشير به الى عينها اليمين وانها تقسم بها وتقول وحق رب العالمين وعينى اليمين ان رجعت ثانى مرة ونمت لأذبحنك بهذه السكين وأنا خائفة عليك يا ابن عمى من مكرها وقلبى ملآن بالحزن عليك فما أقدر أن أتكلم فان كنت تعرف من نفسك انك ان رجعت اليها لا تنام فارجع اليها واحذر النوم فانك تفوز بحاجتك وان عرفت انك ان رجعت اليها تنام على عادتك ثم رجعت اليها ونمت ذبحتك فقلت لها وكيف يكون العمل يا بنت عمى أسألك بالله أن تساعدينى فى هذه البلية فقالت على عينى ورأسى ولكن ان سمعت كلامى وأطعت أمرى قضيت حاجتك فقلت لها انى أسمع كلامك وأطيع أمرك فقالت اذا كان وقت الرواح أقول لك ثم ضمتنى الى حضنها ووضعتنى على الفراش ولا زالت تكبسنى حتى غلبنى النعاس واستغرقت فى النوم فأخذت

مروحة

مروحة وجلست عند رأسي تروّح على وجهي الى آخر النهار ثم نبهتني فلما انتبهت وجدتها عند رأسي وفي يدها المروحة وهي تبكي ودموعها قد بلت ثيابها فلما رأتني استيقظت مسحت دموعها وجاءت بشيء من الاكل فامتنعت منه فقالت لي أما قلت لك اسمع مني وكل فأكلت ولم أخالفها وصارت تضع الاكل في فمي وأنا أمضغ حتى امتلأت ثم اسقتني نقيع عناب بالسكر ثم غسلت يدي ونشفتها بمحرمة ورشت على ماء الورد وجلست معها وأنا في عافية فلما أظلم الليل ألبستني ثيابي وقالت يا ابن عمي اسهر جميع الليل ولا تنم فانها ما تأتيك في هذه الليلة الا في آخر الليل وان شاء الله تجتمع بها في هذه الليلة ولكن لا تنس وصيتي ثم بكت فاوجعني قلبي عليها من كثرة بكائها وقلت لها ما الوصية التي وعدتيني بها فقالت لي اذا انصرفت من عندها فأنشدها البيت المتقدم ذكره ثم خرجت من عندها وأنا فرحان ومضيت الى البستان وطلعت المقعد وأنا شبعان فجلست وسهرت الى ربع الليل ثم طال الليل على حتى كأنه سنة فكنت ساهرا حتى مضى ثلاثة ارباع الليل وصاحت الديوك فاشتد عندي الجوع من السهر فقمت الى السفرة وأكلت حتى اكتفيت فثقلت رأسي وأردت أن أنام واذا بضجة على بعد فنهضت وغسلت يدي وفمي ونبهت نفسي فما كان الا قليل واذا بها أتت ومعها عشر جوار وهي بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها حلة من الاطلس الاخضر مزركشة بالذهب الاحمر وهي كما قال الشاعر

تتيه على العشاق في حلل خضر * مفككة الازرار محلولة الشعر
فقلت لها ما الاسم قالت أنا التي * كويت قلوب العاشقين على الجمر
شكوت اليها ما أقاسي من الهوى * فقالت الى صخر شكوت ولم تدر
فقلت لها ان كان قلبك صخرة * فقد أنبع الله الزلال من الصخر

فلما رأتني ضحكت وقالت كيف انتبهت ولم يغلب عليك النوم وحيث سهرت الليل علمت انك عاشق لان من شيم العشاق سهر الليل في مكابدة الاشواق ثم أقبلت على الجواري وغمزتهن فانصرفن عنها وأقبلت على وضمتني الى صدرها وقبلتني وقبلتها ومصت شفتي التحتانية ومصصت شفتها الفوقانية ثم مددت يدي الى خصرها وغمزته وما نزلنا في الارض الا سواء وحلت سراويلها فنزلت في خلاخل رجليها وأخذنا في الهراش والتعنيق والغنج والكلام الرقيق والعض وحمل السيقان والطواف بالبيت والاركان الى أن ارتخت مفاصلها وغشى عليها ودخلت في الغيبوبة وكانت تلك الليلة مسرة القلب وقرة الناظر كما قال فيها الشاعر

أهنى ليالي الدهر عندي ليلة * لم أخل فيها الكاس من أعمال
فرقت فيها بين جفني والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

فلما أصبح الصباح أردت الانصراف واذا بها أمسكتني وقالت لي قف حتى أخبرك بشيء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما أصبح الصباح أردت الانصراف واذا بها أمسكتني وقالت قف حتى أخبرك بشيء وأوصيك وصية فوقفت فحلت منديلا وأخرجت هذه الخرقة ونشرتها قدامي فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثال فتعجبت منها غاية العجب فأخذته وتواعدت أنا واياها ان أسعى اليها كل ليلة في ذلك البستان ثم انصرفت من عندها وأنا فرحان ومن فرحي نسيت الشعر الذي أوصتني به بنت عمي وحين أعطتني الخرقة التي فيها صورة الغزال قالت لي هذا عمل أختي فقلت لها وما اسم أختك قالت اسمها نور الهدى فاحتفظ بهذه الخرقة ثم ودعتها وانصرفت وأنا فرحان ومشيت الى أن دخلت على ابنة عمي فوجدتها راقدة فلما رأتني قامت ودموعها تتساقط ثم أقبلت علي وقبلت صدري وقالت هل فعلت ما أوصيتك به من انشاد بيت الشعر فقلت لها اني نسيته وما شغلني عنه الا صورة هذا الغزال ورميت الخرقة قدامها فقامت وقعدت ولم تطق الصبر وأفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين

يا طالبا للفراق مهلا ✱ ولا يغرنك العناق
مهلا فطبع الزمان غدر ✱ وآخر الصحبة الفراق

فلما فرغت من شعرها قالت يا ابن عمي هب لي هذه الخرقة فوهبتها لها فأخذتها ونشرتها ورأت ما فيها فلما جاء وقت ذهابي قالت ابنة عمي اذهب مصحوبا بالسلامة ولكن اذا انصرفت من عندها فانشدها بيت الشعر الذي أخبرتك به أولا ونسيته فقلت لها أعيديه لي فأعادته ثم مضيت الى البستان ودخلت المقعد فوجدت الصبية في انتظاري فلما رأتني قامت وقبلتني وأجلستني في حجرها ثم أكلنا وشربنا وقضينا أغراضنا كما تقدم ولا حاجة الى الاعادة فلما أصبح الصباح أنشدتها بيت الشعر وهو

ألا أيها العشاق بالله خبروا ✱ اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

فلما سمعته هملت عيناها بالدموع وأنشدت تقول

يداري هواه ثم يكتم سره ✱ ويصبر في كل الامور ويخضع

فحفظته وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمي ثم خرجت وأتيت الى ابنة عمي فوجدتها راقدة وأمي عند رأسها تبكي على حالها فلما دخلت عليها قالت لي أمي تبا لك من ابن عم كيف تترك بنت عمك على غير استواء ولا تسأل عن مرضها فلما رأتني ابنة عمي رفعت رأسها وقعدت وقالت لي يا عزيز

هل

هل أنشدتها البيت الذى أخبرتك به قلت لها نعم فلما سمعته بكت وأنشدتنى بيتا آخر وحفظته فقالت بنت عمى أسمعنى اياه فلما أسمعتها اياه بكت بكاء شديدا وأنشدت هذا البيت

لقد حاول الصبر الجميل ولم يجد * له غير قلب فى الصبابة يجزع

ثم قالت لى ابنة عمى اذا ذهبت اليها على عادتك فأنشدها هذا البيت الذى سمعته فقلت لها سمعا وطاعة ثم ذهبت اليها فى البستان على العادة وكان بيننا ما كان مما يقصر عن وصفه اللسان فلما أردت الانصراف أنشدتها ذلك البيت وهو لقد حاول الى آخره فلما سمعته سالت مدامعها من المحاجر وأنشدت قول الشاعر

فان لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له عندى سوى الموت أنفع

فحفظته وتوجهت الى البيت فلما دخلت على ابنة عمى وجدتها ملقاة مغشيا عليها وأمى جالسة عند رأسها فلما سمعت كلامى فتحت عينيها وقالت يا عزيز هل أنشدتها بيت الشعر قلت لها نعم ولما سمعته بكت وأنشدتنى هذا البيت فان لم يجد الى آخره فلما سمعته بنت عمى غشى عليها ثانيا فلما أفاقت أنشدت هذا البيت وهو

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى على من كان للوصل يمنع

ثم لما أقبل الليل مضيت الى البستان على جرى عادتى فوجدت الصبية فى انتظارى فجلسنا وأكلنا وشربنا وعملنا حظنا ثم نمنا الى الصباح فلما أردت الانصراف أنشدتها ما قالته ابنة عمى فلما سمعت ذلك صرخت صرخة عظيمة وتضجرت وقالت والله ان قائلة هذا الشعر قد ماتت ثم بكت وقالت ويلك ما تقرب لك قائلة هذا الشعر قلت لها انها ابنة عمى قالت كذبت والله لو كانت ابنة عمك لكان عندك لها من المحبة مثل ما عندها لك فأنت الذى قتلتها قتلك الله كما قتلتها والله لو أخبرتنى ان لك ابنة عم ما قربتك منى فقلت لها انها ابنة عمى وكانت تفسر لى الاشارات التى كنت تشيرين بها الى وهى التى علمتنى ما أفعل معك وما وصلت اليك الا بحسن تدبيرها فقالت وهل عرفت بنا قلت نعم قالت حسرك الله على شبابك كما حسرتها على شبابها ثم قالت لى رح انظرها فذهبت وخاطرى متشوش ومازلت ماشيا حتى وصلت الى زقاقنا فسمعت عياطا فسألت عنه فقيل لى ان عزيزة وجدناها خلف الباب ميتة ثم دخلت الدار فلما رأتنى أمى قالت ان خطيئتها فى عنقك فلا سامحك الله من دمها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم دخلت الدار فلما رأتنى أمى قالت ان خطيئتها فى عنقك فلا سامحك الله من دمها تبا لك من ابن عم ثم ان أبى جاء وجهزناها وشيعنا جنازتها ودفناها وعملنا على قبرها الختمات

ومكثنا على القبر ثلاثة أيام ثم رجعت الى البيت وأنا حزين عليها فأقبلت على أمي وقالت لي ان قصدي أن أعرف ما كنت تفعله معها حتى فقعت مرارتها وانى ياولدي كنت أسألها في كل الاوقات عن سبب مرضها فلم تخبرني به ولم تطلعني عليه فبالله عليك ان تخبرني بالذي كنت تصنعه معها حتى ماتت فقلت ما عملت شيأ فقالت الله يقتص لها منك فانها ماذكرت لي شيأ بل كتمت أمرها حتى ماتت وهي راضية عنك ولما ماتت كنت عندها ففتحت عينيها وقالت لي يا امرأة عمي جعل الله ولدك في حل من دمي ولا آخذه بما فعل معي وانما نقلني الله من الدنيا الفانية الى الآخرة الباقية فقلت يابنتي سلامتك وسلامة شبابك وصرت أسألها عن سبب مرضها فما تكلمت ثم تبسمت وقالت يا امرأة عمي اذا أراد ابنك أن يذهب الى الموضع الذي عادته الذهاب اليه فقولي له أن يقول هاتين الكلمتين عند انصرافه منه الوفاء مليح والغدر قبيح وهذه شفقة مني عليه لاكون شفيقة عليه في حياتي وبعد مماتي ثم أعطتني لك حاجة وحلفتني انى لا أعطيها لك حتى أراك تبكي عليها وتنوح والحاجة عندي فاذا رأيتك على الصفة التي ذكرتها أعطيتك اياها فقلت لها أريني اياها فما رضيت ثم اني اشتغلت بلذاتي ولم أتذكر في موت ابنة عمي لاني كنت طائش العقل وكنت أود في نفسي أن أكون طول ليلي ونهاري عند محبوبتي وما صدقت أن الليل أقبل حتى مضيت الى البستان فوجدت الصبية جالسة على مقالي النار من كثرة الانتظار فما صدقت انها رأتني فبادرت الي وتعلقت برقبتي وسألتني عن بنت عمي فقلت لها انها ماتت وعملنا لها الذكر والختمات ومضى لها أربع ليال وهذه الخامسة فلما سمعت ذلك صاحت وبكت وقالت أما قلت لك انك قتلتها ولو أعلمتني بها قبل موتها لكنت كافأتها على ما فعلت معي من المعروف فانها خدمتني وأوصلتك الي ولولاها ما اجتمعت بك وأنا خائفة عليك أن تقع في مصيبة بسبب رزيتها فقلت لها انها قد جعلتني في حل قبل موتها ثم ذكرت لها ما أخبرتني به أمي فقالت بالله عليك اذا ذهبت الى أمك فاعرف الحاجة التي عندها فقلت لها ان أمي قالت لي ان ابنة عمك قبل أن تموت أوصتني وقالت لي اذا أراد ابنك أن يذهب الى الموضع الذي عادته الذهاب اليه فقولي له هذين الكلمتين الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت الصبية ذلك قالت رحمة الله تعالى عليها فانها خلصتك مني وقد كنت أضمرت على ضررك فانا لا أضرك ولا أشوش عليك فتعجبت من ذلك وقلت لها وما كنت تريدين قبل ذلك أن تفعليه معي وقد صار بيني وبينك مودة فقالت أنت مولع بي ولكنك صغير السن وقلبك خال عن الخداع فأنت لا تعرف مكرنا ولا خداعنا ولو كانت في قيد الحياة لكانت معينة لك فانها سبب سلامتك حيث أنجتك من الهلكة والآن أوصيك أن لا تتكلم مع واحدة ولا تخاطب

واحدة من أمثالنا لا صغيرة ولا كبيرة فإياك ثم إياك ذلك لأنك غير عارف بخداع النساء ولا مكرهن والتى كانت تفسر لك الاشارات قد ماتت وانى أخاف عليك أن تقع فى رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك ثم ان الصبية قالت لى انى أخاف عليك أن تقع فى رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك فواحسرتاه على بنت عمك وليتنى علمت بها قبل موتها حتى أكافئها على مافعلت معى من المعروف رحمة الله تعالى عليها فانها كتمت سرها ولم تبح بما عندها ولولاها ما كنت تصل الى أبدا وانى أشتهى عليك أمرا فقلت ماهو قالت أن توصلنى الى قبرها حتى أزورها فى القبر الذى هى فيه واكتب عليه أبياتا فقلت لها فى غد ان شاء الله تعالى ثم انى نمت معها تلك الليلة وهى بعد كل ساعة تقول لى ليتك أخبرتنى بابنة عمك قبل موتها فقلت لها مامعنى هذين الكلمتين اللتين قالتهما وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلم تجبنى فلما أصبح الصباح قامت وأخذت كيسا فيه دنانير وقالت لى قم وأرنى قبرها حتى أزوره واكتب عليه أبياتا وأعمل عليه قبة وأترحم عليها وأصرف هذه الدنانير صدقة عن روحها فقلت لها سمعا وطاعة ثم مشيت قدامها ومشت خلفى وصارت تتصدق وهى ماشية فى الطريق وكلما تصدقت صدقة تقول هذه الصدقة عن روح عزيزة التى كتمت سرها حتى شربت كأس مناياها ولم تبح بسر هواها ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول عن روح عزيزة حتى وصلنا الى القبر ونفد مافى الكيس فلما عاينت القبر رمت روحها عليه وبكت بكاء شديدا ثم انها أخرجت بيكارا من الفولاذ ومطرقة لطيفة وخطت بالبيكار على الحجر الذى على رأس القبر خطا لطيفا ورسمت هذه الابيات

مررت بقبر دارس وسط روضة * عليه من النعمان سبع شقائق
فقلت لمن ذا القبر جاوبنى الثرى * تأدب فهذا القبر برزخ عاشق
فقلت رعاك الله ياميت الهوى * وأسكنك الفردوس أعلى الشواهق
مساكين أهل العشق حتى قبورهم * عليها تراب الذل بين الخلائق
فان استطع زرعا زرعتك روضة * وأسقيتها من دمعى المتدافق

ثم بكت بكاء شديدا وقامت وقمت معها وتوجهنا الى البستان فقالت لى سألتك بالله انك لا تنقطع عنى أبدا فقلت سمعا وطاعة ثم انى صرت أتردد عليها وكلما بت عندها تحسن الى وتكرمنى وتسألنى عن الكلمتين اللتين قالتهما ابنة عمى عزيزة لامى فأعيدهما لها ومازالت على ذلك الحال من أكل وشرب وضم وعناق وتغيير ثياب من الملابس الرقاق حتى غلظت وسمنت

ولم يكن بي هم ولا غم ولا حزن ونسيت ابنة عمي ومكثت مستغرقا في تلك اللذات سنة كاملة وعند رأس السنة دخلت الحمام وأصلحت شأني ولبست بدلة فاخرة ولما خرجت من الحمام شربت قدحا من الشراب وشممت روائح قماشي المضمخ بانواع الطيب وأنا خالي القلب من غدرات الزمان وطوارق الحدثان فلما جاء وقت العشاء اشتاقت نفسي الى الذهاب اليها وأنا سكران لا أدري أين أتوجه فذهبت اليها فمال بي السكر الى زقاق يقال له زقاق النقيب فبينما أنا ماش في ذلك الزقاق واذا بعجوز ماشية وفي احدى يديها شمعة مضيئة وفي يدها الاخرى كتاب ملفوف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب الذي اسمه عزيز قال لتاج الملوك فلما دخلت الزقاق الذي يقال له زقاق النقيب مشيت فيه فبينما أنا ماش في ذلك الزقاق واذا بعجوز ماشية وفي احدى يديها شمعة مضيئة وفي يدها الاخرى كتاب ملفوف فتقدمت اليها وهي باكية العين وتنشد هذين البيتين

لله در مبشري بقدومكم * فلقد أتى بلطائف المسموع

لو كان يقنع بالخليع وهبته * قلبا تمزق ساعة التوديع

فلما رأتني قالت لي ياولدي هل تعرف أن تقرأ فقلت لها نعم ياخالتي العجوز فقالت لي خذ هذا الكتاب واقرأه لي وناولتني الكتاب فأخذته منها وفتحته وقرأته عليها مضمونه انه كتاب من عند الغياب بالسلام على الاحباب فلما سمعته فرحت واستبشرت ودعت لي وقالت لي فرج الله همك كما فرجت همي ثم أخذت الكتاب ومشت خطوتين وغلبني حصر البول فقعدت في مكان لأريق الماء ثم اني قمت وتجمرت وأرخيت أثوابي وأردت أن أمشي واذا بالعجوز قد أقبلت علي وقبلت يدي وقالت يامولاي الله تعالى يهنيك بشبابك ولا يفضحك أترجاك أن تمشي معي خطوات الى ذلك الباب فاني أخبرتهم بما أسمعتني اياه في قراءة الكتاب فلم يصدقوني فامش معي خطوتين واقرأ لهم الكتاب من خلف الباب واقبل دعائي لك فقلت لها وما قصة هذا الكتاب فقالت لي ياولدي هذا الكتاب جاء من عند ولدي وهو غائب عني مدة عشر سنين فانه سافر بمتجر ومكث في الغربة تلك المدة فقطعنا الرجاء وظننا انه مات ثم وصل الينا منه هذا الكتاب وله أخت تبكي عليه في مدة غيابه آناء الليل وأطراف النهار فقلت لها انه طيب بخير فلم تصدقني وقالت لي لابد أن تأتيني بمن يقرأ هذا الكتاب فيخبرني حتى يطمئن قلبي ويطيب خاطري وأنت تعلم ياولدي أن المحب مولع بسوء الظن فأنعم علي بقراءة هذا الكتاب وأنت واقف خلف الستارة واخته تسمع من داخل الباب لاجل أن يحصل لك ثواب من قضى

لمسلم حاجة ونفس عنه كربة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مكروب كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة وفى حديث آخر من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه اثنين وسبعين كربة من كرب يوم القيامة وأنا قصدتك فلا تخيبنى فقلت لها سمعا وطاعة تقدمى قدامى فمشت قدامى ومشيت خلفها قليلا حتى وصلت الى باب دار عظيمة وذلك الباب مصفح بالنحاس الاحمر فوقفت خلف الباب وصاحت العجوز بالعجمية فما أشعر الا وصبية قد أقبلت بخفة ونشاط وهى مشمرة اللباس الى ركبتيها فرأيت لها ساقين يحيران الفكر والناظر وهى كما قال فى وصفها الشاعر

يامن يشمر عن ساق ليعرضه * على المحبين حتى يفهم الباقى
وطاف يسعى بكأس نحو عاشقه * ما افتن الناس غير الكاس والساق

وزان ساقيها اللتين كأنهما عمودان من مرمر خلاخل الذهب المرصعة بالجوهر وكانت تلك الصبية مشمرة ثيابها الى تحت ابطيها ومشمرة عن ذراعيها فنظرت معاصمها البيض وفى يديها زوجان من الاساور وفى اذنيها قرطان من اللؤلؤ وفى عنقها عقد من ثمين الجواهر وعلى رأسها كوفية دق المطرقة مكللة بالفصوص المثمنة وقد رشقت أطراف قميصها من داخل دكة اللباس وهى كأنها كانت تعمل شغلا فلما رأتنى قالت بلسان فصيح عذب ما سمعت أحلى منه ياأمى أهذا الذى جاء يقرأ الكتاب فقالت لها نعم فمدت يدها الىّ بالكتاب وكان بينها وبين الباب نحو نصف قصبة فمدت يدى لأتناول منها الكتاب وأدخلت رأسى وأكتافى من الباب لاقرب منها فما أدرى الا والعجوز قد وضعت رأسها فى ظهرى ودفعتنى ويدى ماسكة الكتاب فالتفت فرأيت نفسى فى وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز أسرع من البرق الخاطف ولم يكن لها شغل الا قفل الباب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فالتفت فرأيت نفسى فى وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز أسرع من البرق الخاطف ولم يكن لها شغل الا قفل الباب ثم ان الصبية لما رأتنى من داخل الدهليز أقبلت علىّ وضمتنى الى صدرها ورمتنى على الارض وركبت فوق صدرى وعصرت بطنى بيدها فغبت عن الوجود ثم أخذتنى بيدها ولم أقدر أن أتخلص منها من شدة ما حضنتنى ثم دخلت بى ودخلت العجوز قدامها والشمعة مضيئة معها حتى قطعت سبع دهاليز وبعد ذلك دخلت بى قاعة كبيرة باربعة لواوين يلعب فيها الخيل بالاكر ثم أجلستنى وقالت لى افتح عينيك ففتحت عينى وأنا دائخ من شدة ما ضمتنى وعصرتنى فرأيت جميع بناء القاعة من أبهج المرمر وجميع فرشها

من الديباج وكذلك المخدات والمراتب وهناك دكتان من النحاس الاصفر وسرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر لايصلح الا للملك مثلك ثم قالت لى ياعزيز أى الحالتين أحب اليك الموت أم الحياة فقلت لها الحياة فقالت اذا كانت الحياة أحب اليك فتزوج بى فقلت أنا أكره أن أتزوج بمثلك فقالت لى ان تزوجت بى تسلم من بنت الدليلة المحتالة فقلت لها ومن الدليلة المحتالة فضحكت وقالت كيف لاتعرفها وأنت لك فى صحبتها اليوم سنة وأربعة شهور أهلكها الله تعالى والله مايوجد أمكر منها وكم قتلت شخصا قبلك وكم عملت عملة وكيف سلمت منها ولم تقتلك أو تشوش عليك ولك فى صحبتها هذه المدة فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب فقلت لها ياسيدتى ومن عرفك بها فقالت أنا أعرفها مثل مايعرف الزمان مصائبه لكن قصدى أن تحكى لى جميع ماوقع لك منها حتى أعرف ماسبب سلامتك منها فحكيت لها جميع ماجرى لى معها ومع ابنة عمى عزيزة فترحمت عليها ودمعت عيناها ودقت يدا على يد لما سمعت بموت ابنة عمى عزيزة وقالت عوضك الله فيها خيرا ياعزيز فانها هى سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتالة ولولا هى لكنت هلكت وأنا خائفة عليك من مكرها وشرها ولكن ماأقدر أن أتكلم فقلت لها والله ان ذلك كله قد حصل فهزت رأسها وقالت لايوجد اليوم مثل عزيزة فقلت وعند موتها أوصتنى أن أقول هاتين الكلمتين لاغير وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك منى قالت لى ياعزيز والله ان هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك منها وبسببهما ماقتلتك فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة والله انى كنت أتمنى الاجتماع بك ولو يوما واحدا فلم أقدر على ذلك الا فى هذا الوقت حتى تحيلت عليك بهذه الحيلة وقد تمت وأنت الآن صغير لاتعرف مكر النساء ولادواهى العجائز فقلت لا والله فقالت لى طب نفسا وقر عينا فان الميت مرحوم والحى ملطوف به وأنت شاب مليح وأنا ماأريدك الا بسنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومهما أردت من مال وقماش يحضر لك سريعا ولا أكلفك بشئ أبدا وأيضا عندى دائما الخبز مخبوز والماء فى الكوز وماأريد منك الا أن تعمل معى كما يعمل الديك فقلت لها وما الذى يعمله الديك فضحكت وصفقت بيدها ووقعت على قفاها من شدة الضحك ثم انها قعدت وقالت لى أما تعرف صنعة الديك فقلت لا والله ماأعرف صنعة الديك قالت صنعة الديك أن تأكل وتشرب وتنيك فخجلت أنا من كلامها ثم انى قلت أهذه صنعة الديك فقالت نعم وماأريدك الآن الا أن تشد وسطك وتقوى عزمك وتنيك جهدك ثم انها صفقت بيدها وقالت ياأمى احضرى من عندك واذا بالعجوز قد أقبلت بأربعة شهود عدول ثم انها أوقدت أربع شمعات فلما دخل الشهود سلموا على وجلسوا فقامت الصبية وأرخت عليها ازارا

ووكلت

ووكلت بعضهم فى ولاية عقدها وقد كتبوا الكتاب وأشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا وان فى ذمتها الى عشرة آلاف درهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك وأشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا وأن فى ذمتها الى عشرة آلاف درهم ثم انها أعطت الشهود أجرتهم وانصرفوا من حيث أتوا فعند ذلك قامت الصبية وقلعت أثوابها وأتت فى قميص رفيع مطرز بطراز من الذهب وقلعت لباسها وأخذت بيدى وطلعت بى فوق السرير وقالت لى ما فى الحلال من عيب ووقعت على السرير وانسطحت على ظهرها ورمتنى على صدرها ثم شهقت شهقة واتبعت الشهقة بغنجة ثم كشفت الثوب حتى جعلته فوق نهودها فلما رأيتها على تلك الحالة لم أتمالك نفسى دون أن أولجته فيها بعد ان مصصت شفتها وهى تتأوه وتظهر الخشوع والخضوع والبكاء بالدموع وأذكرتنى فى هذا الحال قول من قال

ولما كشفت الثوب عن سطح كسها * وجدت به ضيقا كخلقى وأرزاقى
فأولجت فيها نصفه فتنهدت * فقلت لماذا فقالت على الباقى

ثم قالت ياحبيبى اعمل خلاصك فأنا جاريتك خذه هاته كله بحياتى عندك هاته حتى أدخله بيدى وأريح به فؤادى ولم تزل تسمعنى الغنج والشهيق فى خلال البوس والتعنيق حتى صار صياحنا فى الطريق وحظينا بالسعادة والتوفيق ثم نمنا الى الصباح وأردت أن أخرج واذا هى أقبلت على ضاحكة وقالت هل تحسب أن دخول الحمام مثل خروجه وما أظن الا انك تحسبنى مثل بنت الدليلة المحتالة اياك وهذا الظن فما أنت الا زوجى بالكتاب والسنة وان كنت سكران فأفق لعقلك ان هذه الدار التى أنت فيها ما تفتح الا فى كل سنة يوما قم الى الباب الكبير وانظره فقمت الى الباب الكبير فوجدته مغلقا مسمرا فعدت وأعلمتها بأنه مغلق مسمر فقالت لى يا عزيز ان عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ما يكفينا أعواما عديدة ولا يفتح بابنا من هذه الليلة الا بعد سنة وأنا أعلم أنك ما بقيت ترى روحك خارجا عن هذه الدار الا بعد سنة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله فقالت وأى شئ يضرك وأنت تعرف صنعة الديك التى أخبرتك بها ثم ضحكت فضحكت أنا وطاوعتها فيما قالت ومكثت عندها وأنا أعمل صنعة الديك آكل وأشرب وأنيك حتى مر علينا عام اثنا عشر شهرا فلما كملت السنة حملت منى ورزقت منها ولدا وعند رأس السنة سمعت فتح الباب واذا بالرجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر فأردت أن أخرج فقالت اصبر الى وقت العشاء ومثل ما دخلت فاخرج

فصبرت الى وقت العشاء وأردت أن أخرج وأنا خائف مرجوف واذاهي قالت والله ما أدعك تخرج حتى أحلفك انك تعود فى هذه الليلة قبل أن يغلق الباب فأجبتها الى ذلك وحلفتنى الايمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق انى أعود اليها ثم خرجت من عندها ومضيت الى البستان فوجدته مفتوحا كعادته فاغتظت وقلت فى نفسى انى غائب عن هذا المكان سنة كاملة وجئت على غفلة فوجدته مفتوحا كعادته ياترى هل الصبية باقية على حالها أولا فلا بد أن أدخل وأنظر قبل أن أروح الى أمى وأنا فى وقت العشاء ثم دخلت البستان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان عزيزا قال لتاج الملوك ثم دخلت البستان ومشيت حتى أتيت الى المقعد فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة ورأسها على ركبتها ويدها على خدها وقد تغير لونها وغارت عيناها فلما رأتنى قالت الحمد لله على السلامة وهمت أن تقوم فوقعت من فرحتها فاستحيت منها وطأطأت رأسى ثم تقدمت اليها وقبلتها وقلت لها كيف عرفت انى أجىء اليك فى هذه الساعة قالت لا علم لى بذلك والله ان لى سنة لم أذق فيها نوما بل أسهر كل ليلة فى انتظارك وأنا على هذه الحالة من يوم خرجت من عندى وأعطيتك البدلة القماش الجديدة ووعدتنى انك تجىء الى وقد انتظرتك فما أتيت لا أول ليلة ولا ثانى ليلة ولا ثالث ليلة فاستمريت منتظرة لمجيئك والعاشق هكذا يكون وأريد أن تحكى لى ما سبب غيابك عنى هذه السنة فحكيت لها فلما علمت انى تزوجت اصفر لونها ثم قلت لها انى أتيتك هذه الليلة وأروح قبل الصباح فقالت أما كفاها انها تزوجت بك وعملت عليك الحيلة وحبستك عندها سنة كاملة حتى حلفتك بالطلاق أن تعود اليها قبل الصباح ولم تسمح لك بأن تنفسح عند أمك ولا عندى ولم يهن عليها أن تبيت عند احد انا ليلة واحدة فكيف حال من غبت عنها سنة كاملة وقد عرفتك قبلها ولكن رحم الله عزيزة فانها جرى لها ما لم يجر لاحد وصبرت على شىء لم يصبر عليه مثلها وماتت مقهورة منك وهى التى حمتك منى وكنت أظنك تجىء فأطلقت سبيلك مع انى كنت أقدر على حبسك وعلى هلاكك ثم بكت واغتاظت ونظرت الى بعين الغضب فلما رأيتها على تلك الحالة ارتعدت فرائصى وخفت منها وصرت مثل الفولة على النار ثم قالت لى ما بقى فيك فائدة بعد ما تزوجت وصار لك ولد فأنت لا تصلح لعشرتى لانه لا ينفعنى الا الاعزب وأما الرجل المتزوج فانه لا ينفعنى وقد بعتنى بتلك العاهرة والله لأحسرنها عليك وتصير لا لى ولا لها ثم صاحت فما أدرى الا وعشر جوار أتين ورمينى على الارض فلما وقعت تحت أيديهن قامت هى وأخذت سكينا وقالت لأذبحنك ذبح التيوس ويكون هذا أقل جزائك على

ما

مافعلت مع ابنة عمك فلما نظرت الى روحى وأنا تحت جوار بها وتعفر خدى بالتراب ورأيت السكين فى يدها تحققت الموت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فلما رأيت روحى تحت جوار بها وتعفر خدى بالتراب ورأيت السكين فى يدها تحققت الموت فاستغثت بها فلم تزدد الاقسوة وأمرتهن أن يكتفننى فكتفننى ورميننى على ظهرى وجلسن على بطنى وأمسكن رأسى وقامت جاريتان فأمسكتا أصابع رجلى وجاريتان جلستا على أقصاب رجلى وبعد ذلك قامت هى ومعها جاريتان فأمرتهما أن يضربانى فضربتانى حتى أغمى على وخفى صوتى فلما استفقت قلت فى نفسى ان موتى مذبوحا أهون على من هذا الضرب وتذكرت كلمة ابنة عمى حيث قالت كفاك الله شرها فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتى ثم سنت السكين وقالت للجوارى اكشفن عنه فألهمنى الله أن أقول الكلمتين اللتين أوصتنى بهما ابنة عمى وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك صاحت وقالت يرحمك الله ياعزيزة سلامة شبابك نفعت ابن عمك فى حياتك وبعد موتك ثم قالت لى والله انك خلصت من يدى بواسطة هاتين الكلمتين لكن لابد أن أعمل فيك أثرا لاجل نكاية تلك العاهرة التى حجبتك عنى ثم صاحت على الجوارى وقالت لهن اركبن عليه وأمرتهن أن يربطن رجلى بالحبال ففعلن ذلك ثم قامت من عندى وركبت طاجنا من نحاس على النار وصبت فيه شيرجا وقلت فيه جبنا وأنا غائب عن الدنيا ثم جاءت عندى وحلت لباسى وربطت محاشمى بحبل وناولته لجاريتين وقالت لهما جرا الحبل فجرتاه فصرت من شدة الألم فى دنيا غير هذه الدنيا ثم رفعت يدها وقطعت ذكرى بموسى وبقيت مثل المرأة ثم كوت موضع القطع وكبسته بذرور وأنا مغمى على فلما أفقت كان الدم قد انقطع فاسقتنى قدحا من الشراب ثم قالت لى رح الآن لمن تزوجت بها وبخلت على بليلة واحدة رحم الله ابنة عمك التى هى سبب نجاتك ولولا انك أسمعتنى كلمتيها لكنت ذبحتك فاذهب فى هذه الساعة لمن تشتهى وأنا ما كان لى عندك سوى ماقطعته والآن مابقى لى فيك رغبة ولا حاجة لى بك فقم وملس على رأسك وترحم على ابنة عمك ثم رفصتنى برجلها فقمت وماقدرت أن أمشى فمشيت قليلا قليلا حتى وصلت الى الباب فوجدته مفتوحا فرميت نفسى فيه وأنا غائب عن الوجود واذا بزوجتى خرجت وحملتنى وأدخلتنى القاعة فوجدتنى مثل المرأة فنمت واستغرقت فى النوم فلما صحوت وجدت نفسى مرميا على باب البستان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فلما صحوت وجدت نفسى مرميا على باب البستان فقمت وأنا أتضجر وتمشيت حتى أتيت الى منزلى فدخلت فيه فوجدت أمى تبكى على وتقول ياهل ترى ياولدى أنت فى أى أرض فدنوت منها ورميت نفسى عليها فلما نظرت الى ورأتنى وجدتنى على غير استواء وصار على وجهى الاصفرار والسواد وتذكرت ابنة عمى ومافعلت معى من المعروف وتحققت انها كانت تحبنى فبكيت عليها وبكت أمى ثم قالت لى ياولدى ان والدك قد مات فازددت غيظا وبكيت حتى أغمى على فلما أفقت نظرت الى موضع ابنة عمى التى كانت تقعد فيه فبكيت ثانيا حتى أغمى على من شدة البكاء ومازلت فى بكاء ونحيب الى نصف الليل فقالت لى أمى ان لوالدك عشرة أيام وهو ميت فقلت لها أنا لا أفكر فى أحد أبدا غير ابنة عمى لانى أستحق ماحصل لى حيث أهملتها وهى تحبنى فقالت وماحصل لك فحكيت لها ماحصل لى فبكت ساعة ثم قامت وأحضرت لى شيأ من المأكول فأكلت قليلا وشربت وأعدت لها قصتى وأخبرتها بجميع ماوقع لى فقالت الحمد لله حيث جرى لك هذا وماذبحتك ثم انها عالجتنى وداوتنى حتى برئت وتكاملت عافيتى فقالت لى ياولدى الآن أخرج لك الوديعة التى أودعتها ابنة عمك عندى فانها لك وقد حلفتنى انى لاأخرجها لك حتى أراك تتذكرها وتحزن عليها وتقطع علائقك من غيرها والآن رجوت فيك هذه الخصال ثم قامت وفتحت صندوقا وأخرجت منه هذه الخرقة التى فيها صورة هذا الغزال وهى التى وهبتها لها أولا فلما أخذتها وجدت مكتوبا فيها هذه الابيات

أقمتم فؤادى فى الهوى وقعدتمو * وأسهرتمو جفنى القريح ونمتمو
وقد حلتمو بين المنام وناظرى * فلا القلب يسلاكم ولو ذاب منكمو
وعاهدتمونى انكم تكتمو الهوى * فأغراكم الواشى وقال وقلتمو
فبالله اخوانى اذامت فاكتبوا * على لوح قبرى ان هذا متيم

فلما قرأت هذه الابيات بكيت بكاء شديدا ولطمت وجهى وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة أخرى ففتحتها فاذا مكتوب فيها اعلم يا ابن عمى انى جعلتك فى حل من دمى وأرجو الله أن يوفق بينك وبين من تحب لكن اذا أصابك شىء من الدليلة المحتالة فلا ترجع اليها ولا لغيرها وبعد ذلك فاصبر على بليتك ولولا أجلك المحتم لهلكت من الزمان الماضى ولكن الحمد لله الذى جعل يومى قبل يومك وسلامى عليك واحتفظ على هذه الخرقة التى فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها فان تلك الصورة كانت تؤانسنى اذا غبت عنى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك ان ابنة عمي قالت لي واحتفظ على هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها أبدا فان تلك الصورة كانت تؤانسني اذا غبت عني وبالله عليك ان قدرت على من صورت هذه الصورة ينبغي انك تتباعد عنها ولا تخليها تقرب منك ولا تتزوج بها وان لم تقدر عليها ولا تجد لك اليها سبيلا فلا تقرب واحدة من النساء بعدها واعلم ان التي صورت هذه الصورة تصور في كل سنة صورا مثلها وترسلها الى أقصى البلاد لاجل ان يشيع خبرها وحسن صنعتها التي يعجز عنها أهل الارض واما محبوبتك الدليلة المحتالة فانها لما وصلت اليها هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال صارت تريها للناس وتقول لهم ان لي اختا تصنع هذا مع انها كاذبة في قولها هتك الله سترها وما أوصيتك بهذه الوصية الا لاني أعلم ان الدنيا قد تضيق عليك بعد موتي وربما تتغرب بسبب ذلك وتطوف في البلاد وتسمع بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك الى معرفتها واعلم ان الصبية التي صورت هذه الصورة بنت ملك جزائر الكافور فلما قرأت تلك الورقة وفهمت ما فيها بكيت وبكت أمي لبكائي ولا زلت أنظر اليها وأبكي الى ان أقبل الليل ولم أزل على تلك الحالة مدة سنة وبعد السنة تجهز تجار من مدينتي الى السفر وهم هؤلاء الذين أنا معهم في القافلة فأشارت علي أمي أن أتجهز وأسافر معهم وقالت لي لعل السفر يذهب ما بك من هذا الحزن وتغيب سنة أو سنتين أو ثلاثا حتى تعود القافلة فلعل صدرك ينشرح ولا زالت تلاطفني بالكلام حتى جهزت متجرا وسافرت معهم وأنا لم تنشف لي دمعة مدة سفري وفي كل منزلة تنزل بها أنشر هذه الخرقة قدامي وانظر الى هذه الصورة فأتذكر ابنة عمي وأبكي عليها كما تراني فانها كانت تحبني محبة زائدة وقد ماتت مقهورة مني وما فعلت معها الا الضرر مع انها لم تفعل معي الا الخير ومتى رجعت التجار من سفرهم أرجع معهم وتكمل مدة غيابي سنة وأنا في حزن زائد وما زاد همي وحزني الا انني جزت على جزائر الكافور وقلعة البلور وهي سبع جزائر والحاكم عليهم ملك يقال له شهرمان وله بنت يقال لها دنيا فقيل لي انها هي التي تصور صورة الغزلان وهذه الصورة التي معك من جملة تصويرها فلما علمت ذلك زادت بي الاشواق وغرقت في بحر الفكر والاحتراق فبكيت على روحي لاني بقيت مثل المرأة ولم تبق لي آلة مثل الرجال ولا حيلة لي ومن يوم فراقي لجزائر الكافور وأنا باكي العين حزين القلب ولي مدة على هذا الحال وما أدري هل يمكنني أن أرجع الى بلدي وأموت عند والدتي أولا وقد شبعت من الدنيا ثم بكى وأن واشتكى ونظر الى صورة الغزال وجرى دمعه على خده وسال وأنشد هذين البيتين

وقائل قال لى لابد من فرج * فقلت للغيظ كم لابد من فرج
فقال لى بعد حين قلت ياعجبى * من يضمن العمر لى ياباردا لحجج

وهذه حكايتى أيها الملك فلما سمع تاج الملوك قصة هذا الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت فى فؤاده النيران حين سمع بجمال السيدة دنيا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت فى فؤاده النيران لما سمع بجمال السيدة دنيا وعرف انها هى التى صورت صورة الغزال وزاد به الوجد والبلبال فقال للشاب والله لقد جرى لك شئ ماجرى لاحد غيرك مثله ولكن هذا تقدير ربك وقصدى أن أسألك عن شئ فقال عزيز وماهو فقال تصف لى كيف رأيت تلك الصبية التى صورت صورة الغزال فقال يامولاى انى توصلت اليها بحيلة وهو انى لما دخلت مع القافلة الى بلادها كنت أخرج وأدور فى البساتين وهى كثيرة الاشجار وحارس البساتين شيخ طاعن فى السن فقلت له ياشيخ لمن هذا البستان فقال لى لابنة الملك السيدة دنيا ونحن تحت قصرها فاذا أرادت أن تتفرج فاتح باب السر وتفرج فى البستان فتشم رائحة الازهار فقلت له انعم على بان أقعد فى هذا البستان حتى تمر لعلى أن أحظى منها بنظرة فقال الشيخ لا بأس بذلك فلما قال ذلك أعطيته بعض دراهم وقلت له اشتر لنا شيأ نأكله ففرح بأخذ الدراهم وفتح الباب وأدخلنى معه وسرنا ومازلنا سائرين الى أن وصلنا الى مكان لطيف وأحضر لى شيأ من الفواكه اللطيفة وقال لى اجلس هنا حتى أذهب وأعود اليك وتركنى ومضى فغاب ساعة ثم رجع ومعه خروف مشوى فأكلنا حتى اكتفينا وقلبى مشتاق الى رؤية الصبية فبينما نحن جالسون واذا بالباب قد انفتح فقال لى قم اختف فقمت واختفيت واذا بطواشى اسود أخرج رأسه من الباب وقال ياشيخ هل عندك أحد فقال لا فقال له اغلق الباب فأغلق الشيخ باب البستان واذا بالسيدة دنيا طلعت من الباب فلما رأيتها ظننت أن القمر نزل فى الارض فاندهش عقلى وصرت مشتاقا اليها كاشتياق الظمآن الى الماء وبعد ساعة أغلقت الباب ومضت فعند ذلك خرجت أنا من البستان وقصدت منزلى وعرفت انى لا أصل اليها ولا أنا من رجالها خصوصا وقد صرت مثل المرأة فقلت فى نفسى ان هذه ابنة ملك وأنا رجل تاجر فمن أين لى أن أصل اليها فلما تجهز أصحابى للرحيل تجهزت أنا وسافرت معهم وهم قاصدون هذه المدينة فلما وصلنا الى هذه الطريق اجتمعنا بك وهذه حكايتى وما جرى لى والسلام فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام اشتغل قلبه بحب السيدة

دنيا

دنيا ثم ركب جواده وأخذ معه عزيزا وتوجه به الى مدينة أبيه وأفرد له دارا ووضع له فيها كل ما يحتاج اليه ثم تركه ومضى الى قصره ودموعه جارية على خدوده لان السماع يحل محل النظر والاجتماع ومازال تاج الملوك على تلك الحالة حتى دخل عليه أبوه فوجده متغير اللون فعلم انه مهموم ومغموم فقال له ياولدى أخبرنى عن حالك وماجرى لك حتى غير لونك فاخبره بجميع ماجرى له من قصة دنيا من أولها الى آخرها وكيف عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين فقال ياولدى ان أباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل قصر أمك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان والد تاج الملوك قال له ياولدى ان أباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل قصر أمك فان فيه خمسمائة جارية كالاقمار فمن أعجبتك منهن فخذها وان لم يعجبك جارية منهن نخطب لك بنتا من بنات الملوك تكون أحسن من السيدة دنيا فقال له ياوالدى لا أريد غيرها وهى التى صورت صورة الغزال التى رأيتها فلابد لى منها والا أهج فى البرارى واقتل روحى بسببها فقال له أبوه ياولدى امهل على حتى أرسل الى أبيها واخطبها منه وابلغك المرام مثل مافعلت لنفسى مع أمك وان لم يرض زلزلت عليه مملكته وجردت عليه جيشا يكون آخره عندى وأوله عنده ثم دعا بالشاب عزيز وقال له ياولدى هل أنت تعرف الطريق قال نعم قال له أشتهى منك أن تسافر مع وزيرى فقال له عزيز سمعا وطاعة ياملك الزمان ثم أحضر وزيره وقال له دبر لى أمر ولدى كما تعرف واذهب الى جزائر الكافور واخطب بنت ملكها فأجابه الوزير بالسمع والطاعة ثم عاد تاج الملوك الى منزله وقد زادت به الامراض والحسرات وحين جن عليه الليل أنشد هذه الابيات

جن الظلام ودمعى زائد المدد * والوجد من شدة النيران فى كبدى
سلوا الليالى عنى وهى تخبركم * ان كان يرثى لقلبى فى الهوى كمدى
أبيت أرعى نجوم الليل فى سهر * والدمع منهمل فى الخد كالبرد
وقد بقيت وحيدا ليس لى أحد * كمثل صب بلا أهل ولا ولد

فلما فرغ من شعره وقع مغشيا عليه ولم يفق الا وقت الصباح فلما أصبح الصباح جاء اليه أبوه فرآه قد تغير لونه وزاد اصفراره فصبره ووعده بجمع شمله ثم جهز عزيزا مع وزيره وأعطاهم الهدايا فسافروا أياما وليالى الى أن أشرفوا على جزائر الكافور فأقاموا على شاطئ نهر وأنفذ الوزير رسولا من عنده الى الملك ليخبره بقدومهم وبعد ذهاب الرسول بنصف يوم لم يشعروا الا وحجاب

الملك وامراؤه قد أقبلوا عليهم ولاقوهم من مسيرة فرسخ فتلقوهم وساروا في خدمتهم الى أن دخلوا بهم على الملك فقدموا له الهدايا وأقاموا عنده أربعة أيام وفي اليوم الخامس قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدثه بحديثه وأخبره بسبب مجيئه فصار الملك متحيرا في رد الجواب لان ابنته لاتحب الزواج وأطرق رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى بعض الخدام وقال له اذهب الى سيدتك دنيا واخبرها بما سمعت وبما جاء به هذا الوزير فقام الخادم وغاب ساعة ثم عاد الى الملك وقال له يا ملك الزمان اني لما دخلت على السيدة دنيا أخبرتها بما سمعت فغضبت غضبا شديدا ونهضت على بمسوقة وأرادت كسر رأسي ففررت منها هاربا وقالت لي ان كان أبي يغصبني على الزواج فالذي أتزوج به أقتله فقال أبوها للوزير وعزيز سلما على الملك واخبراه بذلك وأن ابنتي لاتحب الزواج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال للوزير وعزيز سلما على الملك واخبراه بما سمعتماه من أن ابنتي لاتحب الزواج فرجع الوزير ومن معه من غير فائدة وما زالوا مسافرين الى أن دخلوا على الملك وأخبروه بما جرى فعند ذلك أمر النقباء أن ينبهوا العسكر الى السفر من أجل الحرب والجهاد فقال له الوزير لاتفعل ذلك فان الملك لاذنب له وانما الامتناع من ابنته فانها حين علمت بذلك أرسلت تقول ان غصبني أبي على الزواج أقتل من أتزوج به واقتل نفسي بعده فلما سمع الملك كلام الوزير خاف على ولده تاج الملوك وقال ان حاربت أباها وظفرت بابنته قتلت نفسها ثم ان الملك أعلم ابنه تاج الملوك بحقيقة الامر فلما علم بذلك قال لابيه يا والدي أنا لا أطيق الصبر عنها فأنا أروح اليها وأتسبب في اتصالي بها ولو أموت ولا أفعل غير هذا فقال له أبوه وكيف تروح اليها فقال أروح في صفة تاجر فقال الملك ان كان ولا بد فخذ معك الوزير وعزيزا ثم انه أخرج له شيأ من خزائنه وهيأ له متجرا بمائة ألف دينار واتفقا معه على ذلك فلما جاء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز الى منزل عزيز وباتا هناك تلك الليلة وصار تاج الملوك مسلوب الفؤاد ولم يطب له أكل ولا رقاد بل هجمت عليه الافكار وغرق منها في بحار وهزه الشوق الى محبوبته فأفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

ترى هل لنا بعد البعاد وصول ☸ فاشكو اليكم صبوتي وأقول
تذكرتكم والليل ناء صباحه ☸ واسهرتموني والانام غفول

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وبكى معه عزيز وتذكر ابنة عمه ولازالا يبكيان الى أن أصبح الصباح ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته وهو لابس أهبة السفر فسألته عن حاله فأخبرها

بحقيقة

بحقيقة الامر فأعطته خمسين ألف دينار ثم ودعته وخرج من عندها ودعت له بالسلامة والاجتماع بالاحباب ثم دخل على والده واستأذنه أن يرحل فأذن له وأعطاه خمسين ألف دينار وأمر أن تضرب له خيمة فى خارج المدينة فضربت له خيمة عظيمة وأقاموا فيها يومين ثم سافروا واستأنس تاج الملوك بعزيز وقال له يا أخى أنا ما بقيت أطيق أن أفارقك فقال عزيز وأنا الآخر كذلك وأحب أن أموت تحت رجليك ولكن يا أخى قلبى اشتغل بوالدتى فقال له تاج الملوك لما نبلغ المرام لا يكون الا خيرا وكان الوزير قد وصى تاج الملوك بالاصطبار وصار عزيز ينشد له الاشعار ويحدثه بالتواريخ والاخبار ولم يزالوا سائرين بالليل والنهار مدة شهرين فطالت الطريق على تاج الملوك واشتد عليه الغرام وزاد به الوجد والهيام فلما قربوا من المدينة فرح تاج الملوك غاية الفرح وزال عنه الهم والترح ثم دخلوها وهم فى هيئة التجار وابن الملك فى زى تاجر ثم أتوا الى مكان يعرف بمنزل التجار وهو خان عظيم فقال تاج الملوك لعزيز أهذا منزل التجار قال عزيز لكنه غير الخان الذى كنت نزلت فيه أنا والقافلة التى كنت معها الا انه أحسن منه فأناخوا فيه مطيهم وحطوا رحالهم وخزنوا أمتعتهم فى المخازن وأقاموا للراحة أربعة أيام ثم ان الوزير أشار عليهم أن يكتروا لهم دارا كبيرة فأجابوه واكتروا لهم دارا متسعة معدة للافراح فنزلوا فيها وأقام الوزير وعزيز يدبران فى حيلة من أجل تاج الملوك وصار تاج الملوك متحيرا لا يدرى ماذا يفعل ولم يجد له حيلة غير انه يفتح له دكانا للتجارة فى سوق البز ثم ان الوزير أقبل على تاج الملوك وعزيز وقال لهما اعلما انه ان كان مقامنا على هذه الحالة فاننا لا نبلغ مرادنا ولا يحصل مطلوبنا وقد خطر ببالى شئ ولعل فيه الصلاح ان شاء الله تعالى فقال له تاج الملوك وعزيز افعل ما بدا لك فان المشايخ فيهم البركة لاسيما وأنت قد مارست الامور فأشر علينا بما خطر ببالك فقال لتاج الملوك الرأى اننا نكترى لك دكانا فى سوق البز وتقعد فيها للبيع والشراء لان كل واحد من الخاص والعام يحتاج الى البز واذا قعدت فى تلك الدكان ينصلح أمرك ان شاء الله تعالى خصوصا وصورتك جميلة ولكن اجعل عزيزا أمينا عندك واجعله فى داخل الدكان ليناولك الأقمشة فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام قال ان هذا رأى سديد فعند ذلك أخرج تاج الملوك بدلة تجارية ولبسها وقام يمشى وغلمانه خلفه وأعطى لاحدهم ألف دينار معه ليقضى بها مصالح الدكان وما زالوا سائرين الى أن وصلوا الى سوق البز فلما رأت التجار تاج الملوك وشاهدوا حسنه وجماله تحيرت عقولهم وصاروا يقولون هل رضوان فتح أبواب الجنان وسها عنها فخرج هذا الشاب البديع الحسن وبعضهم يقول لعل هذا من الملائكة فلما دخلوا عند التجار سألوا عن دكان شيخ السوق فدلوهم عليه فتوجهوا اليه فلما قربوا منه قام اليهم هو ومن

عنده من التجار وعظموهم خصوصا الوزير الاجل فانهم رأوه رجلا كبيرا مهابا ومعه تاج الملوك وعزيز فقال التجار لبعضهم لاشك أن هذا الشيخ والد هذين الغلامين فقال لهم الوزير من شيخ السوق فيكم فقالوا هاهو فنظر اليه الوزير وتأمله فرآه رجلا كبيرا صاحب هيبة ووقار وخدم وغلمان ثم ان شيخ السوق حياهم تحية الاحباب وبالغ فى اكرامهم وأجلسهم جنبه وقال لهم هل لكم حاجة نفوز بقضائها فقال الوزير نعم انى رجل كبير طاعن فى السن ومعى هذان الغلامان وسافرت بهما سائر الاقاليم والبلاد وما دخلت بلدة الا أقمت بها سنة كاملة حتى يتفرجا عليها ويعرفا أهلها وانى قد أتيت بلدكم هذه واخترت المقام فيها واشتهى منك دكانا تكون من أحسن المواضع حتى أجلسهما فيها ليتاجرا ويتفرجا على هذه المدينة ويتخلقا بأخلاق أهلها ويتعلما البيع والشراء والاخذ والعطاء فقال شيخ السوق لا بأس بذلك ثم نظر الى الولدين وفرح بهما وأحبهما حبا زائدا وكان شيخ السوق مغرما بفاتك اللحظات ويغلب حب البنين على البنات ويميل الى الحموضة فقال فى نفسه سبحان خالقهما ومصورهما من ماء مهين ثم قام واقفا فى خدمتهما كالغلام بين أيديهما وبعد ذلك سعى وهيأ لهما الدكان وكانت فى وسط السوق ولم يكن أكبر منها ولا أوجه منها عندهم لانها كانت متسعة مزخرفة فيها رفوف من عاج وأبنوس ثم سلم المفاتيح للوزير وهو فى صفة تاجر وقال جعلها الله مباركة على ولديك فلما أخذ الوزير مفاتيح الدكان توجه اليها هو والغلمان ووضعوا فيها أمتعتهم وأمر غلمانهم أن ينقلوا اليها جميع ما عندهم من البضائع والقماش وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير لما أخذ مفاتيح الدكان توجه اليها هو والغلمان ووضعوا فيها أمتعتهم وأمر غلمانهم أن ينقلوا اليها جميع ما عندهم من البضائع والقماش والتحف وكان ذلك شيأ يساوى خزائن مال فنقلوا جميع ذلك الى الدكان وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح أخذهما الوزير ودخل بهما الحمام فلما دخلوا الحمام تنظفوا وأخذوا غاية حظهم وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر فصار فى الحمام على حد قول الشاعر

بشرى لقيمه اذا لامست يده * جسما تولد بين الماء والنور
مازال يظهر لطفا من صناعته * حتى جنى المسك من تمثال كافور

ثم خرجا من الحمام وكان شيخ السوق لما سمع بدخولهما الحمام قعد فى انتظارهما واذا بهما قد أقبلا وهما كالغزالين وقد احمرت خدودهما واسودت عيونهما ولمعت أبدانهما فكأنهما غصنان

غصنان مثمران أوقمران زاهيان فقال لهما يا أولادى حمامكم نعيم دائم فقال تاج الملوك بأعذب كلام ليتك كنت معنا ثم ان الاثنين قبلا يديه ومشيا قدامه حتى وصلا الى الدكان تعظيما له لانه كبير السوق وقد أحسن اليهما باعطائهما الدكان فلما رأى أردافهما فى ارتجاج زاد به الوجد وهاج وشخر ونخر ولم يبق له مصطبر فأحدق بهما العينين وأنشد هذين البيتين

يطالع القلب باب الاختصاص به * وليس يقرأ فيه مبحث الشركه
لاغروفى كونه يرتج من ثقل * فكم لذا الفلك الدوار من حركه

فلما سمعا منه هذا الشعر أقسما عليه أن يدخل معهما الحمام ثانيا وكانا قد تركا الوزير داخل الحمام فلما دخل معهما شيخ السوق الحمام ثانى مرة سمع الوزير بدخوله فخرج اليه من الخلوة واجتمع به فى وسط الحمام وعزم عليه فامتنع فأمسك باحدى يديه تاج الملوك وبيده الاخرى عزيز ودخلا به خلوة أخرى فانقاد لهما ذلك الشيخ الخبيث فحلف تاج الملوك أن لا يحميه غيره وحلف عزيز أن لا يصب عليه الماء غيره فقال له الوزير انهما أولادك فقال شيخ السوق أبقاهما الله لك لقد حلت فى مدينتنا البركة والسعود بقدومكم وقدوم أتباعكم ثم أنشد هذين البيتين

أقبلت فاخضرت لدينا الربا * وقد زهت بالزهر للمجتلى
ونادت الارض ومن فوقها * أهلا وسهلا بك من مقبل

فشكروه على ذلك ومازال تاج الملوك يحميه وعزيز يصب عليه الماء وهو يظن أن روحه فى الجنة حتى أتما خدمته فدعا لهما وجلس جنب الوزير على انه يتحدث معه ولكن معظم قصده النظر الى تاج الملوك وعزيز ثم بعد ذلك جاءت لهم الغلمان بالمناشف فتنشفوا ولبسوا حوائجهم ثم خرجوا من الحمام فأقبل الوزير على شيخ السوق وقال له ياسيدى ان الحمام نعيم الدنيا فقال شيخ السوق جعله الله لك ولاولادك عافية وكفاهما الله شر العين فهل تحفظون شيأ مما قالته البلغاء فى الحمام فقال تاج الملوك أنا أنشدك بيتين وهما

ان عيش الحمام أطيب عيش * غير ان المقام فيه قليل
جنة تكره الاقامة فيها * وجحيم يطيب فيه الدخول

فلما فرغ تاج الملوك من شعره قال عزيز وأنا أحفظ فى الحمام شيأ فقال شيخ السوق أسمعنى اياه فأنشد هذين البيتين

وبيت له من جامد الصخر ازهار * أنيق اذا ما أضرمت حوله النار
تراه جحيما وهو فى الحق جنة * وأكثر ما فيها شموس وأقمار

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب شيخ السوق من صباحتهما وفصاحتهما وقال لهما والله لقد

حزتما الفصاحة والملاحة فاسمعا أنغامي ثم أطرب بالنغمات وأنشد هذه الابيات

يا حسن نار والنعيم عذابها ٭ تحيا بها الارواح والابدان
فاعجب لبيت لايزال نعيمه ٭ غضا وتوقد تحته النيران
عيش السرور لمن ألم به وقد ٭ سفحت عليه دموعها الغدران

ثم سرح فى رياض حسنهما ناظر العين وأنشد هذين البيتين

وافيت منزله فلم أر حاجبا ٭ الاو يلقانى بوجه ضاحك
ودخلت جنته وزرت جحيمه ٭ فشكرت رضوانا ورأفة مالك

فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الابيات ثم ان شيخ السوق عزم عليهم فامتنعوا ومضوا الى منزلهم ليستريحوا من تعب الحمام ثم أكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة فى منزلهم على أتم ما يكون من الحظ والسرور فلما أصبح الصباح قاموا من نومهم وتوضؤا وصلوا فرضهم واصطبحوا ولما طلع النهار وفتحت الدكاكين والاسواق خرجوا من المنزل وتوجهوا الى السوق وفتحوا الدكان وكان الغلمان قد هيؤها أحسن هيئة وفرشوها بالبسط الحرير ووضعوا فيها مرتبتين كل واحدة منهما تساوى مائة دينار وجعلوا فوق كل مرتبة نطعا ملوكيا دائره من الذهب فجلس تاج الملوك على مرتبة وجلس عزيز على الاخرى وجلس الوزير فى وسط الدكان ووقف الغلمان بين أيديهم وتسامعت بهم الناس فازدحموا عليهم وباعوا بعض أقمشتهم وشاع ذكر تاج الملوك فى المدينة واشتهر فيها خبر حسنه وجماله ثم أقاموا على ذلك أياما وفى كل يوم تهرع الناس اليهم فأقبل الوزير على تاج الملوك وأوصاه بكتمان أمره وأوصى عليه عزيزا ومضى الى الدار ليدبر أمرا يعود نفعه عليهم وصار تاج الملوك وعزيز يتحادثان وصار تاج الملوك يقول عسى أن يجيء أحد من عند السيدة دنيا ومازال تاج الملوك على ذلك أياما وليالى وهو لا ينام وقد تمكن منه الغرام وزاد به النحول والاسقام حتى حرم لذيذ المنام وامتنع من الشراب والطعام وكان كالبدر فى تمامه فبينما تاج الملوك جالس واذا بعجوز أقبلت عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فبينما تاج الملوك جالس واذا بعجوز أقبلت عليه وتقدمت اليه وخلفها جاريتان ومازالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك فرأت قده واعتداله وحسنه وجماله فتعجبت من ملاحته ورشحت فى سراويلها ثم قالت سبحان من خلقك من ماء مهين سبحان من جعلك فتنة للعالمين ولم تزل تتأمل فيه وتقول ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ثم دنت

منه

منه وسلمت عليه فرد عليها السلام وقام لها واقفا على الاقدام وتبسم فى وجهها هذا كله باشارة عزيز ثم أجلسها الى جانبه وصار يروح عليها الى ان استراحت ثم ان العجوز قالت لتاج الملوك ياولدى يا كامل الاوصاف والمعانى هل أنت من هذه الديار فقال تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح والله ياسيدتى عمرى ما دخلت هذه الديار الا هذه المرة ولا أقمت فيها الا على سبيل الفرجة فقالت لك الاكرام من قادم على الرحب والسعة ما الذى جئت به معك من القماش فأرنى شيأ مليحا فان المليح لا يحمل الا المليح فلما سمع تاج الملوك كلامها خفق فؤاده ولم يفهم معنى كلامها فغمزه عزيز بالاشارة فقال لها تاج الملوك عندى كل ما تشتهين من الشئ الذى لا يصلح الا للملوك وبنات الملوك فلمن تريدين حتى أقلب عليك ما يصلح لاربابه وأراد بذلك الكلام ان يفهم معنى كلامها فقالت له أريد قماشا يصلح للسيدة دنيا بنت الملك شهرمان فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته فرح فرحا شديدا وقال لعزيز ائتنى بأفخر ما عندك من البضاعة فأتاه عزيز ببقجة وحلها بين يديه فقال لها تاج الملوك اختارى ما يصلح لها فان هذا شئ لا يوجد عند غيرى فاختارت العجوز شيأ يساوى ألف دينار وقالت بكم هذا وصارت تحدثه وتحك بين أفخاذها بكاوة يدها فقال لها وهل أساوم مثلك فى هذا الشئ الحقير الحمد لله الذى عرفنى بك فقالت له العجوز أعوذ وجهك المليح برب الفلق ان وجهك مليح وفعلك مليح هنيأ لمن تنام فى حضنك وتضم قوامك الرجيح وتحظى بوجهك الصبيح وخصوصا اذا كانت صاحبة حسن مثلك فضحك تاج الملوك حتى استلقى على قفاه ثم قال ياقاضى الحاجات على أيدى العجائز الفاجرات فقالت له ياولدى ما الاسم قال اسمى تاج الملوك فقالت ان هذا الاسم من أسماء الملوك ولكنك فى زى التجار فقال لها عزيز من محبته عند أهله وعزته عليهم سموه بهذا الاسم فقالت العجوز صدقت كفاكم الله شر الحساد ولو فتتت بمحاسنكم الاكباد ثم أخذت القماش ومضت وهى باهتة فى حسنه وجماله وقده واعتداله ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا وقالت لها ياسيدتى جئت لك بقماش مليح فقالت لها أرينى اياه فقالت ياسيدتى هاهو فقلبيه وانظر به فلما رأته السيدة دنيا قالت لها يادادتى ان هذا القماش مليح ما رأيته فى مدينتنا فقالت العجوز ياسيدتى ان بائعه أحسن منه كأن رضوان فتح أبواب الجنان وسها فخرج منها التاجر الذى يبيع هذا القماش وأنا أشتهى فى هذه الليلة أن يكون عندك وينام بين نهودك فانه فتنة لمن يراه وقد جاء مدينتنا بهذه الاقمشة لاجل الفرجة فضحكت السيدة دنيا من كلام العجوز وقالت أخزاك الله يا عجوز النحس انك خرفت ولم يبق لك عقل ثم قالت هاتى القماش حتى أبصره بصرا جيدا فناولتها اياه فنظرته ثانيا فرأته شيأ قليلا وثمنه

كثير وتعجبت من حسن ذلك القماش لانها ما رأت فى عمرها مثله فقالت لها العجوز ياسيدتى فلو رأيت صاحبه لعرفت انه أحسن من يكون على وجه الارض فقالت لها السيدة دنيا هل سألتيه ان كان له حاجة يعلمنا بها فنقضيها له فقالت العجوز وقد هزت رأسها حفظ الله فراستك والله ان له حاجة وهل أحد يخلو من حاجة فقالت لها السيدة دنيا اذهبى اليه وسلمى عليه وقولى له شرفت بقدومك مدينتنا ومهما كان لك من الحوائج قضيناه لك على الرأس والعين فرجعت العجوز الى تاج الملوك فى الوقت فلما رآها طار قلبه من الفرح ونهض لها قائما على قدميه وأخذ بيدها وأجلسها الى جانبه فلما جلست واستراحت أخبرته بما قالته السيدة دنيا فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقال فى نفسه قد قضيت حاجتى ثم قال للعجوز لعلك توصلين اليها كتابا منى عندى وتأتينى بالجواب فقالت سمعا وطاعة فلما سمع ذلك منها قال لعزيز ائتنى بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أتاه بتلك الادوات كتب هذه الابيات

كتبت اليك يا سؤلى كتابا ❊ بما ألقاه من ألم الفراق
فاول ما اسطر نار قلبى ❊ وثانيه غرامى واشتياقى
وثالثه مضى عمرى وصبرى ❊ ورابعه جميع الوجد باقى
وخامسه متى عينى تراكم ❊ وسادسه متى يوم التلاقى

ثم كتب فى امضاه ان هذا الكتاب من أسير الاشواق المسجون فى سجن الاشتياق الذى ليس له اطلاق الا بالوصال ولو بطيف الخيال لانه يقاسى أليم العذاب من فرقة الاحباب ثم أفاض دمع العين وكتب هذين البيتين

كتبت اليك والعبرات تجرى ❊ ودمع العين ليس له انقطاع
ولست بيائس من فضل ربى ❊ عسى يوم يكون به اجتماع

ثم طوى الكتاب وختمه وأعطاه للعجوز وقال أوصليه الى السيدة دنيا فقالت سمعا وطاعة ثم أعطاها ألف دينار وقال اقبلى هذه منى هدية فأخذتها وانصرفت داعية له ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا فلما رأتها قالت لها يا دادتى أى شئ طلب من الحوائج حتى نقضيها له فقالت لها يا سيدتى قد أرسل معى كتابا ولا أعلم بما فيه ثم ناولتها الكتاب فأخذته وقرأته وفهمت معناه ثم قالت من أين الى أين حتى يراسلنى هذا التاجر ويكاتبنى ثم لطمت وجهها وقالت لولا خوفى من الله تعالى لصلبته على دكانه فقالت العجوز وأى شئ فى هذا الكتاب حتى أزعج قلبك هل فيه شكاية مظلمة أو فيه طلب ثمن القماش فقالت لها ويلك مافيه ذلك وما فيه الا عشق ومحبة وهذا كله منك والا فمن أين يتوصل هذا الشيطان الى هذا الكلام فقالت لها العجوز يا سيدتى أنت قاعدة

فى قصرك العالى ومايصل اليك أحد ولا الطير الطائر سلامتك من اللوم والعتاب وماعليك من نبيح الكلاب فلا تؤاخذينى حيث أتيتك بهذا الكتاب ولا أعلم مافيه ولكن الرأى ان تردى اليه جوابا وتهدديه فيه بالقتل وتنهيه عن هذا الهذيان فانه ينتهى ولا يعود فقالت السيدة دنيا أخاف أن أكاتبه فيطمع فقالت العجوز انه اذا سمع التهديد والوعيد رجع عما هو فيه فقالت على بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أحضر والها تلك الادوات كتبت هذه الابيات

يامدعى الحب والبلوى مع السهر * ومايلاقيه من وجد ومن فكر
أتطلب الوصل يامغرور من قمر * وهل ينال المنى شخص من القمر
انى نصحتك عما أنت طالبه * فاقصر فانك فى هذا على خطر
وان رجعت الى هذا الكلام فقد * أتاك منى عذاب زائد الضرر
وحق من خلق الانسان من علق * ومن أنار ضياء الشمس والقمر
لئن رجعت الى ما أنت ذاكره * لاصلبنك فى جذع من الشجر

ثم طوت الكتاب وأعطته للعجوز وقالت لها اعطيه له وقولى له كف عن هذا الكلام فقالت لها سمعا وطاعة ثم أخذت الكتاب وهى فرحانة ومضت الى منزلها وباتت فى بيتها فلما أصبح الصباح توجهت الى دكان تاج الملوك فوجدته فى انتظارها فلما رآها كاد أن يطير من الفرح فلما قربت منه نهض اليها قائما وأقعدها بجانبه فأخرجت له الورقة وناولته اياها وقالت له قرأ مافيها ثم قالت له ان السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ولكننى لاطفتها ومازحتها حتى أضحكتها ورقت لك وردت لك الجواب فشكرها تاج الملوك على ذلك وأمر عزيزا ان يعطيها ألف دينار ثم انه قرأ الكتاب وفهمه وبكى بكاء شديدا فرق له قلب العجوز وعظم عليها بكاؤه وشكواه ثم قالت له ياولدى وأى شئ فى هذه الورقة حتى أبكاك فقال لها انها تهددنى بالقتل والصلب وتنهانى عن مراسلتها وان لم أراسلها يكون موتى خيرا من حياتى فخذى جواب كتابها ودعيها تفعل ما تريد فقالت له العجوز وحياة شبابك لابد انى أخاطر معك بروحى وأبلغك مرادك وأوصلك الى ما فى خاطرك فقال لها تاج الملوك كل ما تفعلينه أجازيك عليه ويكون فى ميزانك فانك خبيرة بالسياسة وعارفة بأبواب الدناسة وكل عسير عليك يسير والله على كل شئ قدير ثم أخذ ورقة وكتب فيها هذه الابيات

أمست تهددنى بالقتل واحربى * والقتل لى راحة والموت مقدور
والموت أغنى لصب أن تطول به * حياته وهو ممنوع ومقهور
بالله زوروا محبا قل ناصره * فاننى عبدكم والعبد مأسور

يا سادتي فارحموني في محبتكم * فكل من يعشق الاحرار معذور

ثم انه تنفس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز وبعد ذلك أخذت الورقة منه وقالت له طب نفسا وقر عينا فلابد أن أبلغك مقصودك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان تاج الملوك لما بكى قالت له العجوز طب نفسا وقر عينا فلابد ان أبلغك مقصودك ثم قامت وتركته على النار وتوجهت الى السيدة دنيا فرأتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك فناولتها الكتاب فازدادت غيظا وقالت للعجوز أما قلت لك انه يطمع فينا فقالت لها واى شئ هذا الكلب حتى يطمع فيك فقالت لها السيدة دنيا اذهبي اليه وقولي له ان راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك فقالت لها العجوز اكتبي له هذا الكلام في مكتوب وانا آخذ المكتوب معي لاجل ان يزداد خوفه فأخذت ورقة وكتبت فيها هذه الابيات

أيا غافلا عن حادثات الطوارق * وليس الى نيل الوصال بسابق
أتزعم يا مغرور ان تدرك السها * وما أنت للبدر المنير بلاحق
فكيف ترجينا وتأمل وصلنا * لتحظى بضم للقدود الرواشق
فدع عنك هذا القصد خيفة سطوتي * بيوم عبوس فيه شيب المفارق

ثم طوت الكتاب وناولته للعجوز فأخذته وانطلقت به الى تاج الملوك فلما رآها قام على قدميه وقال لا أعدمني الله بركة قدومك فقالت له العجوز خذ جواب مكتوبك فأخذ الورقة وقرأها وبكى بكاء شديدا وقال انى أشتهي من يقتلني الآن فان القتل أهون على من هذا الامر الذي أنا فيه ثم أخذ دواة وقلما وقرطاسا وكتب مكتوبا ورقم فيه هذين البيتين

فيا منيتي لا تبتغي الهجر والجفا * فاني محب في المحبة غارق
ولا تحسبيني في الحياة مع الجفا * فروحي من بعد الاحبة طالق

ثم طوى الكتاب وأعطاه للعجوز وقال لها قد أتعبتك بدون فائدة وأمر عزيزا ان يدفع لها ألف دينار وقال لها يا أمي ان هذه الورقة لابد ان يعقبها كمال الاتصال أو كمال الانفصال فقالت له يا ولدي والله ما أشتهي لك الا الخير ومرادي أن تكون عندك فانك أنت القمر صاحب الانوار الساطعة وهي الشمس الطالعة وان لم أجمع بينكما فليس في حياتي فائدة وأنا قد قطعت عمري في المكر والخداع حتى بلغت التسعين من الاعوام فكيف أعجز عن الجمع بين اثنين في الحرام ثم ودعته وطيبت قلبه وانصرفت ولم تزل تمشي حتى دخلت على السيدة دنيا وقد أخفت الورقة في شعرها فلما جلست عندها حكت رأسها وقالت يا سيدتي عساك ان تفلي شوشتي فان لي زمانا

ما

مادخلت الحمام وكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها وحلت شعر العجوز وصارت تفلي شوشتها فسقطت الورقة من رأسها فرأتها السيدة دنيا فقالت ماهذه الورقة فقالت كانى قعدت على دكان التاجر فتعلقت معى هذه الورقة هاتيها حتى أوديها له ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها وفهمت مافيها وقالت للعجوز هذه حيلة منك ولولا انك ربيتنى لبطشت بك فى هذا الوقت وقد بلانى الله بهذا التاجر وكل ماجرى لى منه من تحت رأسك وما أدرى من أى أرض جاءنا هذا ولم يقدر أحد من الناس ان يتجاسر على غيره وأنا أخاف ان ينكشف أمرى وخصوصا فى رجل ماهو من جنسى ولا من أقرانى فاقبلت العجوز عليها وقالت لايقدر أحد ان يتكلم بهذا الكلام خوفا من سطوتك وهيبة أبيك ولا بأس ان تردى له الجواب فقالت يادادتى ان هذا شيطان كيف تجاسر على هذا الكلام ولم يخف من سطوة السلطان وقد تحيرت فى أمره فان أمرت بقتله فليس بصواب وان تركته ازداد فى تجاسره فقالت لها العجوز اكتبى له كتابا لعله ينزجر فطلبت ورقة ودواة وقلما وكتبت له هذه الابيات

طال العتاب وفرط الجهل أغراكا * فكم بخط يدى فى الشعر انهاكا
وانت تزداد عند النهى فى طمع * ولست الا بكتم السر ارضاكا
اكتم هواك ولا تجهر به أبدا * وان نطقت فانى لست أرعاكا
وان رجعت الى ماأنت تذكره * فقد أتاك غراب البين ينعاك
وعن قليل يكون الموت مندفعا * عليك والدفن تحت الارض مثواكا
وتترك الاهل يامغرور فى ندم * ومن سيوف الهوى قد شط منجاكا

ثم طوت الورقة ودفعتها للعجوز فأخذتها وتوجهت الى تاج الملوك فاعطتها له فلماقرأها علم انها قاسية القلب وانه لايصل اليها فشكا أمره الى الوزير وطلب منه حسن التدبير فقال له الوزير اعلم انه مابقى شئ يفيد فيها غيرانك تكتب لها كتابا وتدعو عليها فيه فقال ياأخى ياعزيزا كتب لها عن لسانى مثل ماتعرف فأخذ عزيز ورقة وكتب هذه الابيات

يارب بالخمسة الاشياخ تنقذنى * ومن بليت به فاجعله فى شجنى
فانت تعلم انى فى جوى لهب * وقد جفانى حبيب ليس يرحمنى
فكم أرق لها فيما بليت به * وكم تجور على ضعفى وتظلمنى
أهيم فى غمرات لاانقضاء لها * ولا أرى مسعفا يارب يسعفنى
وكم أروم سلوا فى محبتها * وكيف أسلو وصبرى فى الغرام فنى
يامانعى فى الهوى طيب الوصال فهل * أمنت من نائبات الدهر والمحن

الست فى عيشة مسرورة وأنا * مغرب فيك عن أهلى وعن وطنى

ثم ان عزيز اطوى الكتاب وناوله لتاج الملوك فلما قرأه أعجبه فختمه ثم اواه للعجوز فأخذته العجوز وتوجهت به الى ان دخلت على السيدة دنيا فناولتها اياه فلماقرأته وفهمت مضمونه اغتاظت غيظا شديدا وقالت كل الذى جرى لى من تحت رأس هذه العجوز النحس فصاحت على الجوارى والخدم وقالت امسكوا هذه العجوز الماكرة واضربوها بنعالكم فنزلوا عليها ضربا بالنعال حتى غشى عليها فلما أفاقت قالت لها والله يا عجوز السوء لولا خوفى من الله تعالى لقتلتك ثم قالت لهم أعيدوا عليها الضرب فضربوها حتى غشى عليها ثم أمرتهم ان يجروها ويرموها خارج الباب فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب فلما أفاقت قامت تمشى وتقعد حتى وصلت الى منزلها وصبرت الى الصباح ثم قامت ومشت حتى أتت الى تاج الملوك وأخبرته بجميع ما جرى لها فصعب عليه ذلك وقال لها يعز علينا يا أمى ما جرى لك ولكن كل شئ بقضاء وقدر فقالت له طب نفسا وقر عينا فانى لا أزال أسعى حتى أجمع بينك وبينها وأوصلك الى هذه العاهرة التى أحرقتنى بالضرب فقال لها تاج الملوك اخبرينى ماسبب بغضها للرجال فقالت لانها رأت مناما أوجب ذلك فقال لها وما ذلك المنام فقالت انها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صيادا نصب شركا فى الارض وبذر حوله قمحا ثم جلس قريبا منه فلم يبق شئ من الطيور الا وأتى الى ذلك الشرك ورأت فى الطيور حمامتين ذكرا وأنثى فبينما هى تنظر الى الشرك واذا برجل الذكر تعلقت فى الشرك وصار يتخبط فنفرت عنه جميع الطيور وفرت فرجعت اليه امرأته وحامت عليه ثم تقدمت الى الشرك والصياد غافل فصارت تنقر العين التى فيها رجل الذكر وصارت تجذبه بمنقارها حتى خلصت رجله من الشرك وطارهى واياه فجاءت بعد ذلك الصياد وأصلح الشرك وقعد بعيدا عنه فلم يمض غير ساعة حتى نزلت الطيور وعلق الشرك فى الانثى فنفرت عنها جميع الطيور ومن جملتها الطير الذكر ولم يعد لانثاه فجاء الصياد وأخذ الطيرة الانثى وذبحها فانتبهت مرعوبة من منامها وقالت كل ذكر مثل هذا مافيه خير والرجال جميعهم ماعندهم خير للنساء فلما فرغت من حديثها لتاج الملوك قال لها يا أمى أريد أن أنظر اليها نظرة واحدة ولو كان فى ذلك مماتى فتحيلى لى بحيلة حتى أنظر اليها فقالت اعلم ان لها بستانا تحت قصرها وهو برسم فرجتها وانها تخرج اليه فى كل شهر مرة من باب السر وتقعد فيه عشرة أيام وقد جاء أوان خروجها الى الفرجة فاذا أرادت الخروج أجئ اليك وأعلمك حتى تخرج وتصادفها واحرص على انك لاتفارق البستان فلعلها اذا رأت حسنك وجمالك يتعلق قلبها بمحبتك فان المحبة أعظم أسباب الاجتماع فقال سمعا وطاعة ثم قام من الدكان هو وعزيز وأخذا معهما العجوز ومضيا الى منزلهما وعرفاه

لها

لهما ثم ان تاج الملوك قال لعزيز يا أخي ليس لي حاجة بالدكان وقد قضيت حاجتي منها ووهبتها لك بجميع ما فيها لانك تغربت معي وفارقت بلادك فقبل عزيز منه ذلك ثم جلسا يتحدثان وصار تاج الملوك يسأله عن غرب أحواله وما جرى له وصار هو يخبره بما حصل له وبعد ذلك أقبلا على الوزير وأعلماه بما عزم عليه تاج الملوك وقالا له كيف العمل فقال قوموا بنا الى البستان فلبس كل واحد منهم أفخر ما عنده وخرجوا وخلفهم ثلاثة مماليك وتوجهوا الى البستان فرأوه كثير الاشجار غزير الانهار ورأوا الخولي جالسا على الباب فسلموا عليه فرد عليهم السلام فناوله الوزير مائة دينار وقال اشتهي ان تأخذ هذه النفقة وتشتري لنا شيأ نأكله فاننا غرباء ومعي هؤلاء الاولاد وأردت ان أفرجهم فأخذ البستاني الدنانير وقال لهم ادخلوا وتفرجوا وجميعه ملككم واجلسوا حتى أحضر لكم بما تأكلون ثم توجه الى السوق ودخل الوزير وتاج الملوك وعزيز داخل البستان بعد ان ذهب البستاني الى السوق ثم بعد ساعة أتى ومعه خروف مشوي ووضعه بين أيديهم فاكلوا وغسلوا أيديهم وجلسوا يتحدثون فقال الوزير اخبرني عن هذا البستان هل هو لك أم أنت مستأجره فقال الشيخ ما هو لي وانما هو لبنت الملك السيدة دنيا فقال الوزير كم لك في كل شهر من الاجرة فقال دينار واحد لا غير فتأمل الوزير في البستان فرأى هناك قصرا عاليا الا انه عتيق فقال الوزير يا شيخ أريد ان أعمل هنا خيرا تذكرني به فقال وما تريد ان تفعل من الخير فقال خذ هذه الثلثمائة دينار فلما سمع الخولي بذكر الذهب قال يا سيدي مهما شئت فافعل ثم أخذ الدنانير فقال له ان شاء الله تعالى نفعل في هذا المحل خيرا ثم خرجوا من عنده وتوجهوا الى منزلهم وباتوا تلك الليلة فلما كان من الغد أحضر الوزير مبيضا ونقاشا وصائغا جيدا وأحضر لهم جميع ما يحتاجون اليه من الآلات ودخل بهم البستان وأمرهم ببياض ذلك القصر وزخرفته بانواع النقش ثم أمر باحضار الذهب واللازورد وقال للنقاش اعمل في صدر هذا الايوان صورة آدمي صياد كأنه نصب شركه وقد وقعت فيه حمامة واشتبكت بمنقارها في الشرك فلما نقش النقاش جانبا وفرغ من نقشه قال له الوزير افعل في الجانب الآخر مثل الاول وصور صورة الحمامة في الشرك وان الصياد أخذها ووضع السكين على رقبتها واعمل في الجانب الآخر صورة جارح كبير قد قنص ذكر الحمام وأنشب فيه مخالبه ففعل ذلك فلما فرغ من هذه الاشياء التي ذكرها الوزير ودعوا البستاني ثم توجهوا الى منزلهم وجلسوا يتحدثون فقال تاج الملوك لعزيز يا أخي أنشدني بعض الاشعار لعل صدري ينشرح وتزول عني هذه الافكار أو يبرد ما بقلبي من لهيب النار فعند ذلك أطرب عزيز بالنغمات وأنشد هذه الابيات

جميع ما قاست العشاق من كمد * حويته مفردا حتى وهي جلدي

وان ترد موردامن أدمعى انسعت * للواردين بحار الدمع فى مدد
وان ترد تنظر العشاق ماصنعت * أيدى الغرام بهم فانظر الى جسدى

ثم أفاض العبرات وأنشد هذه الابيات

من كان لايعشق الاجياد والحدقا * ثم ادعى لذة الدنيا فما صدقا
فان فى العشق معنى ليس يدركه * من البرية الا كل من عشقا
لاخفف الله عن قلبى صبابته * بمن هويت ولاعن جفنى الارقا

ثم أطرب بالنغمات وأنشد هذه الابيات

زعم ابن سينا فى أصول كلامه * ان المحب دواؤه الالحان
ووصال مثل حبيبه من جنسه * والنقل والمشروب والبستان
فصحبت غيرك للتداوى مرة * وأعاننى المقدور والامكان
فعلمت أن الحب داء قاتل * فيه ابن سينا طبه هذيان

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب تاج الملوك من فصاحته وحسن روايته وقال له قد أزلت عنى بعض مابى ثم قال له ان كان يحضرك شئ من جنس هذا فاسمعنى ماحضرك من هذا الشعر الرقيق وطول الحديث فاطرب بالنغمات وأنشد هذه الابيات

قد كنت أحسب ان وصلك يشترى * بكرائم الاموال والاشباح
وظننت جهلا ان حبك هين * تفنى عليه نفائس الارواح
حتى رأيتك تجتبى وتخص من * أحببته بلطائف الامناح *
فعلمت انك لاتنال بحيلة * ولويت رأسى تحت طى جناحى
وجعلت فى عش الغرام اقامتى * فيه غدوى دائما ورواحى

هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر العجوز فانها انقطعت فى بيتها واشتاقت بنت الملك الى الفرجة فى البستان وهى لاتخرج الا بالعجوز فأرسلت اليها وصالحتها وطيبت خاطرها وقالت انى أريد ان أخرج الى البستان لانفرج على أشجاره وأثماره وينشرح صدرى بازهاره فقالت لها العجوز سمعا وطاعة ولكن أريد ان أذهب الى بيتى وألبس أثوابى واحضر عندك فقالت لها اذهبى الى بيتك ولاتتأخرى عنى فخرجت العجوز من عندها وتوجهت الى تاج الملوك وقالت له تجهز والبس أفخر أثوابك واذهب الى البستان وادخل على البستانى وسلم عليه ثم اختف فى البستان فقال سمعا وطاعة وجعلت بينها وبينه اشارة ثم توجهت الى السيدة دنيا وبعد ذهابها قام الوزير وعزيز وألبسا تاج الملوك بدلة من أفخر ملابس الملوك تساوى

خمسة

خمسة آلاف دينار وشدا فى وسطه حياصة من الذهب مرصعة بالجواهر والمعادن ثم توجهوا الى البستان فلما وصلوا الى باب البستان وجدوا الخولى جالسا هناك فلما رآه البستانى نهض له على الاقدام وقابله بالتعظيم والاكرام وفتح له الباب وقال له ادخل وتفرج فى البستان ولم يعلم البستانى ان بنت الملك تدخل البستان فى هذا اليوم فلما دخل تاج الملوك لم يلبث الامقدار ساعة وسمع ضجة فلم يشعر الاوالخدم والجوارى خرجوا من باب السر فلما رآهم الخولى ذهب الى تاج الملوك وأعلمه بمجيئها وقال له يامولاى كيف يكون العمل وقد أتت ابنة الملك السيدة دنيا فقال لاباس عليك فانى اختفى فى بعض مواضع البستان فاوصاه البستانى بغاية الاختفاء ثم تركه وراح فلما دخلت بنت الملك هى وجوار بها والعجوز فى البستان قالت العجوز فى نفسها متى كان الخدم معنا فاننا لاننال مقصودنا ثم قالت لابنة الملك ياسيدتى انى أقول لك على شئ فيه راحة لقلبك فقالت السيدة دنيا قولى ماعندك فقالت العجوز ياسيدتى ان هؤلاء الخدم لاحاجة لك بهم فى هذا الوقت ولا ينشرح صدرك ماداموا معنا فاصرفيهم عنا فقالت السيدة دنيا صدقت ثم صرفتهم وبعد قليل تمشت فصار تاج الملوك ينظر اليها والى حسنها وجمالها وهى لاتشعر بذلك وكلما نظر اليها يغشى عليه مما رأى من بارع حسنها وصارت العجوز تسارقها فى الحديث الى ان أوصلتها الى القصر الذى أمر الوزير بنقشه ثم دخلت ذلك القصر وتفرجت على نقشه وابصرت الطيور والصياد والحمام فقالت سبحان الله ان هذه صفة مارأيته فى المنام وصارت تنظر الى صور الطيور والصياد والشرك وتتعجب ثم قالت يادادتى انى كنت ألوم الرجال وأبغضهم ولكن انظرى الصياد كيف ذبح الطيرة الانثى وتخلص الذكر وأراد أن يجىء الى الانثى ويخلصها فقابله الجارح وافترسه وصارت العجوز تتجاهل عليها وتشاغلها بالحديث الى ان قربا من المكان المختفى فيه تاج الملوك فاشارت اليه العجوز ان يتمشى تحت شبابيك القصر فبينما السيدة دنيا كذلك اذ لاحت منها التفاتة فرأته وتأملت جماله وقده واعتداله ثم قالت يادادتى من أين هذا الشاب المليح فقالت لاأعلم به غير انى أظن انه ولد ملك عظيم فانه بلغ من الحسن النهاية ومن الجمال الغاية فهامت به السيدة دنيا وانحلت عرى عزائمها وانبهر عقلها من حسنه وجماله وقده واعتداله وتحركت عليها الشهوة فقالت للعجوز يادادتى ان هذا الشاب مليح فقالت لها العجوز صدقت ياسيدتى ثم ان العجوز أشارت الى ابن الملك ان يذهب الى بيته وقد التهبت به نار الغرام وزاد به الوجد والهيام فسار وودع الخولى وانصرف الى منزله ولم يخالف العجوز وأخبر الوزير وعزيزا بان العجوز أشارت اليه بالانصراف فصارا يصبرانه ويقولان له لولا ان العجوز تعلم ان فى رجوعك مصلحة ما أشارت عليك به هذا ما كان من أمر تاج الملوك والوزير وعزيز وأما ما كان من

أمر بنت الملك السيدة دنيا فانها غلب عليها الغرام وزاد بها الوجد والهيام وقالت للعجوز أنا ما أعرف اجتماعي بهذا الشاب الا منك فقالت لها العجوز أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أنت لا تريدين الرجال وكيف حلت بك من عشقه الاوجال ولكن والله ما يصلح لشبابك الا هو فقالت السيدة دنيا يادادتي اسعفيني باجتماعي عليه ولك عندي ألف دينار وخلعة بألف دينار وان لم تسعفيني بوصاله فاني ميتة لا محالة فقالت العجوز امض أنت الى قصرك وأنا أتسبب في اجتماعكما وابذل روحي في مرضاتكما ثم ان السيدة دنيا توجهت الى قصرها وتوجهت العجوز الى تاج الملوك فلما رآها نهض لها على الاقدام وقابلها باعزاز واكرام وأجلسها الى جانبه فقالت له ان الحيلة قد تمت وحكت له ما جرى لها مع السيدة دنيا فقال لها متى يكون الاجتماع قالت في غد فاعطاها ألف دينار وحلة بالف دينار فاخذتهما وانصرفت ولازالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا فقالت لها يادادتي ما عندك من خبر الحبيب فقالت لها قد عرفت مكانه وفي غد أكون به عندك ففرحت السيدة دنيا بذلك واعطتها ألف دينار وحلة بالف دينار فاخذتهما وانصرفت الى منزلها وباتت فيه الى الصباح ثم خرجت وتوجهت الى تاج الملوك وألبسته لبس النساء وقالت له امش خلفي وتمايل في خطواتك ولا تستعجل في مشيك ولا تلتفت الى من يكلمك وبعد ان أوصت تاج الملوك بهذه الوصية خرجت وخرج خلفها وهو في زي النسوان وصارت تعلمه في الطريق حتى لا يفزع ولم تزل ماشية وهو خلفها حتى وصلا الى باب القصر فدخلت وهو وراءها وصارت تخترق الابواب والدهاليز الى أن جاوزت به سبعة أبواب ولما وصلت الى الباب السابع قالت لتاج الملوك قوّ قلبك واذا زعقت عليك وقلت لك ياجارية اعبري فلا تتوان في مشيك وهرول فاذا دخلت الدهليز فانظر الى شمالك ترى ايوانا فيه أبواب فعدّ خمسة أبواب وادخل الباب السادس فان مرادك فيه فقال تاج الملوك وأين تروحين أنت فقالت له ما أروح موضعا غير اني ربما أتأخر عنك وأتحدث مع الخادم الكبير ثم مشت وهو خلفها حتى وصلت الى الباب الذي فيه الخادم الكبير فرأى معها تاج الملوك في صورة جارية فقال لها ما شأن هذه الجارية التي معك فقالت له هذه جارية قد سمعت السيدة دنيا بأنها تعرف الاشغال وتريد أن تشتريها فقال لها الخادم أنا لا أعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل أحد حتى أفتشه كما أمرني الملك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحاجب قال للعجوز أنا لا أعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل أحد حتى أفتشه كما أمرني الملك فقالت له العجوز وقد أظهرت الغضب أنا أعرف انك عاقل ومؤدب فان كان حالك قد تغير فاني أعلمها

بذلك

بذلك وأخبرها أنك تعرضت لجاريتها ثم زعقت على تاج الملوك وقالت له اعبري ياجارية فعند ذلك عبر الى داخل الدهليز كما أمرته وسكت الخادم ولم يتكلم ثم ان تاج الملوك عد خمسة أبواب ودخل الباب السادس فوجد السيدة دنيا واقفة فى انتظاره فلما رأته عرفته فضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم دخلت العجوز عليهما وتحيلت على صرف الجوارى ثم قالت السيدة دنيا للعجوز كونى انت بوابة ثم اختلت هى وتاج الملوك ولم يزالا فى ضم وعناق والتفاف ساق على ساق الى وقت السحر ولما أصبح الصباح أغلقت عليهما الباب ودخلت مقصورة أخرى وجلست على جرى عادتها وأتت اليها الجوارى فقضت حوائجهن وصارت تحدثهن ثم قالت للجوارى اخرجن الآن من عندى فانى أريد أن أنشرح وحدى فخرج الجوارى من عندها ثم انها أتت اليهما ومعها شئ من الاكل فأكلا وأخذا فى الهراش الى وقت السحر فأغلقت عليهما الباب مثل اليوم الاول ولم يزالوا على ذلك مدة شهر كامل هذا ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا وأما ما كان من أمر الوزير وعزيز فانهما لما توجه تاج الملوك الى قصر بنت الملك ومكث تلك المدة علما انه لا يخرج منه أبدا وانه هالك لا محالة فقال عزيز للوزير ياوالدى ماذا تصنع فقال الوزير ياولدى ان هذا الامر مشكل وان لم نرجع الى أبيه ونعلمه فانه يلومنا على ذلك ثم تجهزا فى الوقت والساعة وتوجها الى الارض الخضراء والعمودين وتخت الملك سليمان شاه وسارا يقطعان الاودية فى الليل والنهار الى أن دخلا على الملك سليمان شاه وأخبراه بما جرى لولده وانه من حين دخل قصر بنت الملك لم يعلموا له خبرا فعند ذلك قامت عليه القيامة واشتدت الندامة وأمر أن ينادى فى مملكته بالجهاد ثم أبرز العساكر الى خارج مدينته ونصب لهم الخيام وجلس فى سرادقه حتى اجتمعت الجيوش من سائر الاقطار وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله واحسانه ثم سار فى عسكر سد الافق متوجها فى طلب ولده تاج الملوك هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا فانهما أقاما على حالهما نصف سنة وهما كل يوم يزدادان محبة فى بعضهما وزاد على تاج الملوك العشق والهيام والوجد والغرام حتى أفصح لها عن الضمير وقال لها اعلمى ياحبيبة القلب والفؤاد انى كلما أقمت عندك ازددت هياما ووجدا وغراما لانى مابلغت المرام بالكلية فقالت له وماتريد يانور عينى وثمرة فؤادى ان شئت غير الضم والعناق والتفاف الساق على الساق فافعل الذى يرضيك وليس لله فينا شريك فقال ليس مرادى هكذا وانما مرادى أن أخبرك بحقيقتى فاعلمى انى لست بتاجر بل أنا ملك ابن ملك واسم أبى الملك الاعظم سليمان شاه الذى أنفذ الوزير رسولا الى أبيك ليخطبك لى فلما بلغك الخبر ما رضيت ثم انه قص عليها قصته من الاول الى الآخر وليس فى الاعادة افادة وأريد

الآن أن أتوجه الى أبى ابرسل رسولا الى أبيك ويخطبك منه ونستريح فلما سمعت ذلك الكلام فرحت فرحا شديدا لانه وافق غرضها ثم باتا على هذا الاتفاق واتفق بالامر المقدور أن النوم غلب عليهما فى تلك الليلة من دون الليالى واستمرا الى أن طلعت الشمس وفى ذلك الوقت كان الملك شهرمان جالسا فى دست مملكته وبين يديه أمراء دولته اذ دخل عليه عريف الصياغ وبيده حق كبير فتقدم وفتحه بين يدى الملك وأخرج منه علبة لطيفة تساوى مائة ألف دينار لما فيها من الجواهر واليواقيت والزمرذ مما لا يقدر عليه أحد من ملوك الاقطار فلما رآها الملك تعجب من حسنها والتفت الى الخادم الكبير الذى جرى له مع العجوز ما جرى وقال له يا كافور خذ هذه العلبة وامض بها الى السيدة دنيا فأخذها الخادم ومضى حتى وصل الى مقصورة بنت الملك فوجد بابها مغلقا والعجوز نائمة على عتبته فقال الخادم الى هذه الساعة وأنتم نائمون فلما سمعت العجوز كلام الخادم انتبهت من منامها وخافت منه وقالت اصبر حتى آتيك بالمفتاح ثم خرجت على وجهها هاربة هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر الخادم فانه عرف انها مرتابة فخلع الباب ودخل المقصورة فوجد السيدة دنيا معانقة لتاج الملوك وهما نائمان فلما رأى ذلك تحير فى أمره وهم أن يعود الى الملك فانتبهت السيدة دنيا فوجدته فتغيرت واصفر لونها وقالت له يا كافور استر ما ستر الله فقال أنا لا أقدر أن أخفى شيأ عن الملك ثم قفل الباب عليهما ورجع الى الملك فقال له الملك هل أعطيت العلبة لسيدتك فقال له الخادم خذ العلبة ها هى وأنا لا أقدر أن أخفى عنك شيأ اعلم انى رأيت عند السيدة دنيا شابا جميلا نائما معها فى فرش واحد وهما متعانقان فأمر الملك باحضارهما فلما حضرا بين يديه قال لهما ما هذه الفعال واشتد به الغيظ فأخذ نمشة وهم أن يضرب تاج الملوك فرمت السيدة دنيا وجهها عليه وقالت لابيها اقتلنى قبله فنهرها الملك وأمرهم أن يمضوا بها الى حجرتها ثم التفت الى تاج الملوك وقال له ويلك من أين أنت ومن أبوك وما جسرك على ابنتى فقال تاج الملوك اعلم أيها الملك انك ان قتلتنى هلكت وندمت أنت ومن فى مملكتك فقال له الملك ولم ذلك فقال اعلم انى ابن الملك سليمان شاه وما تدرى الا وقد أقبل عليك بخيله ورجله فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام أراد أن يؤخر قتله ويضعه فى السجن حتى ينظر صحة قوله فقال له وزيره يا ملك الزمان الرأى عندى أن تعجل قتل هذا العلق فانه تجاسر على بنات الملوك فقال للسياف اضرب عنقه فانه خائن فأخذه السياف وشد وثاقه ورفع يده وشاور الامراء أولا وثانيا وقصده بذلك أن يكون فى الامر توان فزعق عليه الملك وقال له الى متى تشاور ان شاورت مرة أخرى ضربت عنقك فرفع السياف يده حتى بان شعر ابطه وأراد أن يضرب عنقه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما

﴿فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السياف رفع يده حتى بان شعر ابطه وأراد أن يضرب عنقه واذا بزعقات عالية والناس أغلقوا الدكاكين فقال الملك للسياف لا تعجل ثم أرسل من يكشف له الخبر فمضى الرسول ثم عاد اليه وقال له رأيت عسكرا كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج وخيلهم في ركض وقد ارتجت لهم الارض وما أدري خبرهم فاندهش الملك وخاف على ملكه ان ينزع منه ثم التفت الى وزيره وقال له أما خرج أحد من عسكرنا الى هذا العسكر فما تم كلامه الا وحجابه قد دخلوا عليه ومعهم رسل الملك القادم ومن جملتهم الوزير فابتدأه بالسلام فنهض لهم قائماً اوقربهم وسألهم عن شأن قدومهم فنهض الوزير من بينهم وتقدم اليه وقال له اعلم ان الذي نزل بأرضك ملك ليس كالملوك المتقدمين ولا مثل السلاطين السالفين فقال له الملك ومن هو قال الوزير هو صاحب العدل والامان الذي سارت بعلو همته الركبان السلطان سليمان شاه صاحب الارض الخضراء والعمودين وجبال اصفهان وهو يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاعتساف ويقول لك ان ابنه عندك وفي مدينتك وهو حشاشة قلبه وثمرة فؤاده فان وجده سالما فهو المقصود وأنت المشكور المحمود وان كان فقد من بلادك أو أصابه شيء فابشر بالدمار وخراب الديار لانه يصير بلدك قفراء ينعق فيها الغراب وها أنا قد بلغتك الرسالة والسلام فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من الرسول انزعج فؤاده وخاف على مملكته وزعق على أرباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه فلما حضروا قال لهم ويلكم انزلوا وفتشوا على ذلك الغلام وكان تحت يد السياف وقد تغير من كثرة ما حصل له من الفزع ثم ان الرسول لاحت منه التفاتة فوجد ابن ملكه على نطع الدم فعرفه وقام ورمى روحه عليه وكذلك بقية الرسل ثم تقدموا وحلوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه ففتح تاج الملوك عينه فعرف وزير والده وعرف صاحبه عزيزا فوقع مغشيا عليه من شدة فرحته بهما ثم ان الملك شهرمان صار متحيرا في أمره وخاف خوفا شديدا لما تحقق ان مجيء هذا العسكر بسبب هذا الغلام فقام ومشى الى تاج الملوك وقبل رأسه ودمعت عيناه وقال له ياولدي لا تؤاخذني ولا تؤاخذ المسيء بفعله فارحم شيبتي ولا تخرب مملكتي فدنا منه تاج الملوك وقبل يده وقال له لا بأس عليك وأنت عندي بمنزلة والدي ولكن الحذر ان يصيب محبوبتي السيدة دنياشيء فقال ياسيدي لا تخف عليها فما يحصل لها الا السرور وصار الملك يعتذر اليه ويطيب خاطر وزير الملك سليمان شاه ووعده بالمال الجزيل على ان يخفي من الملك ما رآه ثم بعد ذلك أمر كبراء دولته ان يأخذوا تاج الملوك ويذهبوا به الى الحمام ويلبسوه بدلة من خيار ملابس الملوك ويأتوا به بسرعة ففعلوا ذلك وأدخلوه الحمام وألبسوه البدلة التي أفردها له الملك شهرمان ثم أتوا به الى

المجلس فلما دخل على الملك شهرمان وقف له هو وجميع أرباب دولته وقام الجميع فى خدمته ثم ان تاج الملوك جلس يحدث وزير والده عزيزا بما وقع له فقال له الوزير عزيز ونحن فى تلك المدة مضينا الى والدك فأخبرناه بأنك دخلت سراية بنت الملك ولم تخرج والتبس علينا أمرك فحين سمع بذلك جهز العساكر ثم قدمنا هذه الديار وكان فى قدومنا الفرج والسرور فقال لهما لازال الخير يجرى على أيديكما أولا وآخرا وكان الملك فى ذلك الوقت قد دخل على ابنته السيدة دنيا فوجدها تبكى على تاج الملوك وأخذت سيفا وركزت قبضته الى الارض وجعلت ذبابته على رأس قلبها بين نهديها وانحنت على السيف وصارت تقول لا بد ان أقتل نفسى ولا أعيش بعد حبيبى فلما دخل عليها أبوها ورآها فى هذه الحالة صاح عليها وقال لها ياسيدة بنات الملوك لا تفعلى وارحمى أباك وأهل بلدك ثم تقدم اليها وقال لها أحاشيك ان يصيب والدك بسببك سوء ثم أعلمها بالقصة وان محبوبها ابن الملك سليمان شاه يريد زواجها وقال لها ان أمر الخطبة والزواج مفوض الى رأيك فتبسمت وقالت له أما قلت لك انه ابن سلطان فأنا أخليه يصلبك على خشبة تساوى درهمين فقال لها بالله عليك ان ترحمى أباك فقالت له رح اليه وائتنى به فقال لها على الرأس والعين ثم رجع من عندها سريعا ودخل على تاج الملوك وساره بهذا الكلام ثم قام معه وتوجه اليها فلما رأت تاج الملوك عانقته قدام أبيها وتعلقت به وقالت له أوحشتنى ثم التفتت الى أبيها وقالت هل أحد يفرط فى مثل هذا الشاب المليح وهو ملك ابن ملك فعند ذلك خرج الملك شهرمان ورد الباب عليهما ومضى الى وزير أبى تاج الملوك ورسله وأمرهم ان يعلموا السلطان سليمان شاه بأن ولده بخير وعافية وهو فى ألذ عيش ثم ان السلطان شهرمان أمر باخراج الضيافات والعلوفات الى عساكر السلطان سليمان شاه والد تاج الملوك فلما أخرجوا جميع ما أمر به أخرج مائة جواد من الخيل ومائة هجين ومائة مملوك ومائة سرية ومائة عبد ومائة جارية وأرسل الجميع اليه هدية ثم بعد ذلك توجه اليه هو وأرباب دولته وخواصه حتى صاروا فى ظاهر المدينة فلما علم بذلك السلطان سليمان شاه تمشى خطوات الى لقائه وكان الوزير عزيز أعلمه بالخبر ففرح وقال الحمد لله الذى بلغ ولدى مناه ثم ان الملك سليمان شاه أخذ الملك شهرمان بالحضن وأجلسه بجانبه على السرير وصار يتحدث هو واياه ثم قدموا لهم الطعام فأكلوا حتى اكتفوا ثم قدموا لهم الحلويات ولم يمض الا قليل حتى جاء تاج الملوك وقدم عليه بلباسه وزينته فلما رآه والده قام له وقبله وقام له جميع من حضر وجلس بينهم ساعة يتحدثون فقال الملك سليمان شاه انى أريد أن أكتب كتاب ولدى على ابنتك على رؤس الاشهاد فقال سمعا وطاعة ثم أرسل الملك شهرمان الى القاضى والشهود فحضروا وكتبوا الكتاب وفرح العساكر بذلك وشرع الملك

شهرمان

شهرمان فى تجهيز ابنته ثم قال تاج الملوك لوالده ان عزيزا رجل من الكرام وقد خدمنى خدمة عظيمة وتعب وسافر معى وأوصلنى الى بغيتى ولم يزل يصبرنى حتى قضيت حاجتى وأمضى معنا سنتين وهو مشتت من بلاده فالمقصود اننا نهيء له تجارة لان بلاده قريبة فقال له والده نعم ما رأيت ثم هيؤا له مائة حمل من أغلى القماش وأقبل عليه تاج الملوك وودعه وقال له يا أخى اقبل هذه على سبيل الهدية فقبلها منه وقبل الارض قدامه وقدام والده الملك سليمان شاه ثم ركب تاج الملوك وسار مع عزيز قدر ثلاثة أميال وبعدها أقسم عليه عزيز ان يرجع وقال لولا والدتى ما صبرت على فراقك فبالله عليك لا تقطع أخبارك عنى ثم ودعه ومضى الى مدينته فوجد والدته بنت له قبرا فى وسط الدار وصارت تزوره ولما دخل الدار وجدها قد حلت شعرها ونشرته على القبر وهى تفيض دمع العين وتنشد هذين البيتين

بالله يا قبر هل زالت محاسنه ✱ أم قد تغير ذاك المنظر النضر

يا قبر ما أنت بستان ولا فلك ✱ فكيف يجمع فيك البدر والزهر

ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الابيات

مالى مررت على القبور مسلما ✱ قبر الحبيب فلم يرد جوابى

قال الحبيب وكيف رد جوابكم ✱ وانا رهين جنادل وتراب

أكل التراب محاسنى فنسيتكم ✱ وحجبت عن أهلى وعن أحبابى

فما تمت شعرها الا وعزيز داخل عليها فلما رأته قامت اليه واحتضنته وسألته عن سبب غيابه فحدثها بما وقع له من أوله الى آخره وان تاج الملوك أعطاه من المال والاقمشة مائة حمل ففرحت بذلك وأقام عزيز عند والدته متحيرا فيما وقع له من الدليلة المحتالة التى خصته هذا ما كان من أمر عزيز وأما ما كان من أمر تاج الملوك فانه دخل بمحبوبته السيدة دنيا وأزال بكارتها ثم ان الملك شهرمان شرع فى تجهيز ابنته للسفر مع زوجها وأبيها فأحضر لهم الزاد والهدايا والتحف ثم حملوا وساروا وسار معهم الملك شهرمان ثلاثة أيام لاجل الوداع فأقسم عليه الملك سليمان شاه بالرجوع فرجع وما زال تاج الملوك ووالده وزوجته سائرين فى الليل والنهار حتى أشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك سليمان شاه سار هو وولده وزوجة ولده حتى أشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة ثم دخلوا المدينة وجلس الملك سليمان شاه على سرير مملكته وولده تاج الملوك فى جانبه ثم أعطى ووهب وأطلق من كان فى الحبوس ثم عمل لولده عرسا ثانيا واستمر به المغانى والملاهى شهرا كاملا

وازدحمت المواشط على السيدة دنيا وهى لا تمل من الجلاء ولا يملون من النظر اليها ثم دخل تاج الملوك على زوجته بعد ان اجتمع على أبيه وأمه وما زالوا فى ألذ عيش وأهناه فعند ذلك قال ضوء المكان للوزير دندان هذا مثال من ينادم الملوك ويسلك فى تدبيرهم أحسن السلوك هذا كله وهم محاصرون للقسطنطينية حتى مضى عليهم أربع سنين ثم اشتاقوا الى أوطانهم وضجرت العساكر من الحصار وادامة الحرب فى الليل والنهار فأمر الملك ضوء المكان باحضار بهرام ورستم وتركاش فلما حضروا قال لهم اعلموا اننا أقمنا هذه السنين وما بلغنا مراما فازددنا غما وهما وقد أتينا لنخلص ثار الملك عمر النعمان فقتل أخى شركان فصارت الحسرة حسرتين والمصيبة مصيبتين وسبب هذا كله العجوز ذات الدواهى فانها قتلت السلطان فى مملكته وأخذت زوجته الملكة صفية وما كفاها ذلك حتى عملت الحيلة علينا وذبحت أخى وقد حلفت الايمان العظيمة انه لابد من أخذ الثار فما تقولون أنتم فافهموا هذا الخطاب وردوا على الجواب فاطرقوا رؤسهم وأحالوا الامر على الوزير دندان فعند ذلك تقدم الوزير دندان الى الملك ضوء المكان وقال له اعلم يا ملك الزمان انه ما بقى فى اقامتنا فائدة والرأى اننا نرحل الى الاوطان ونقيم هناك برهة من الزمان ثم نعود ونغزو عبدة الاصنام فقال الملك نعم هذا الرأى لان الناس اشتاقوا الى رؤية عيالهم وأنا أيضا أقلقنى الشوق الى ولدى كان ما كان والى ابنة أخى قضى فكان لانها فى دمشق ولا أعلم ما كان من أمرها فلما سمعت العساكر ذلك فرحوا ودعوا للوزير دندان ثم ان الملك ضوء المكان أمر المنادى ان ينادى بالرحيل بعد ثلاثة أيام فابتدؤا فى تجهيز أحوالهم وفى اليوم الرابع دقت الكاسات ونشرت الرايات وتقدم الوزير دندان فى مقدم العسكر وسار الملك فى وسط العساكر وبجانبه الحاجب الكبير وسارت الجيوش وما زالوا مجدين السير بالليل والنهار حتى وصلوا الى مدينة بغداد ففرحت بقدومهم الناس وزال عنهم الهم والباس ثم ذهب كل أمير الى داره وطلع الملك الى قصره ودخل على ولده كان ما كان وقد بلغ من العمر سبع سنين وصار ينزل ويركب ولما استراح الملك من السفر دخل الحمام هو وولده كان ما كان ثم رجع وجلس على كرسى مملكته ووقف الوزير دندان بين يديه وطلعت الامراء وخواص الدولة ووقفوا فى خدمته فعند ذلك أمر الملك ضوء المكان باحضار صاحبه الوقاد الذى أحسن اليه فى غربته فحضر بين يديه فلما رآه الملك ضوء المكان قادما عليه نهض له قائما وأجلسه الى جانبه وكان الملك ضوء المكان قد أخبر الوزير بما فعل معه صاحبه الوقاد من المعروف فعظم فى عينه وفى أعين الامراء وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الاكل والراحة وصار عنقه كعنق الفيل وبطنه كبطن الدرفيل وصار طائش العقل لانه كان لا يخرج من المكان الذى هو فيه فلم يعرف

الملك

الملك بسيماه فاقبل عليه الملك وانبش فى وجهه وحياه أعظم التحيات وقال له ما أسرع ما نسيتنى فامعن فيه النظر فلما تحققه وعرفه قام له على الاقدام وقال له يا حبيبى من عملك سلطانا فضحك عليه فاقبل عليه الوزير بالكلام وشرح له القصة وقال له انه كان أخاك وصاحبك والآن صار ملك الارض ولابد ان يصل اليك منه خير كثير وها أنا أوصيك اذا قال لك تمن على فلا تتمن الا شيأ عظيما لانك عنده عزيز فقال الوقاد أخاف ان أتمنى عليه شيأ فلا يسمح لى به أولا يقدر عليه فقال له الوزير كلما تمنيته يعطيك اياه فقال له والله لابد ان أتمنى عليه الشئ الذى فى خاطرى وكل يوم أرجو منه ان يسمح لى به فقال له الوزير طيب قلبك والله لو طلبت ولاية دمشق موضع أخيه لولاك عليها فعند ذلك قام الوقاد على قدميه فاشار له ضوء المكان ان اجلس فابى وقال معاذ الله قد انقضت أيام قعودى فى حضرتك فقال له السلطان لا بل هى باقية الى الآن فانك كنت سببا لحياتى والله لو طلبت منى مهما أردت لاعطيتك اياه فتمن على الله فقال له يا سيدى انى أخاف ان أتمنى شيأ فلا تسمح لى به أولا تقدر عليه فضحك السلطان وقال له لو تمنيت نصف مملكتى لشاركتك فيها فتمن ما تريد قال الوقاد أخاف أن أتمنى شيأ لا تقدر عليه فغضب السلطان وقال له تمن ما أردت فقال له تمنيت عليك أن تكتب لى مرسوما بعرافة جميع الوقادين الذين فى مدينة القدس فضحك السلطان وجميع من حضر وقال له تمن غير هذا فقال الوقاد أنا ما قلت لك انى أخاف أن أتمنى شيأ لا تسمح لى به أو ما تقدر عليه فغمزه الوزير ثانيا وثالثا وفى كل مرة يقول أتمنى عليك أن تجعلنى رئيس الزبالين فى مدينة القدس أوفى مدينة دمشق فانقلب الحاضرون على ظهورهم من الضحك عليه وضربه الوزير فالتفت الوقاد الى الوزير وقال له ما تكون حتى تضربنى ومالى ذنب فانك أنت الذى قلت لى تمن شيأ عظيما ثم قال دعونى أسير الى بلادى فعرف السلطان انه يلاعب فصبر قليلا ثم أقبل عليه وقال له يا أخى تمن على أمرا عظيما لائقا بمقامى فقال له أتمنى سلطنة دمشق موضع أخيك فكتب له التواقيع بذلك وقال للوزير دندان ما يروح معه غيرك واذا أردت العود فاحضر معك بنت أخى قضى فكان فقال الوزير سمعا وطاعة ثم أخذ الوقاد ونزل به وتجهز للسفر وأمر السلطان ضوء المكان ان يخرجوا للوقاد تختا جديدا وطقم سلطنة وقال للامراء من كان يحبنى فليقدم اليه هدية عظيمة ثم سماه السلطان الزبلكان ولقبه بالمجاهد وبعد شهر كملت حوائجه وطلع الزبلكان وفى خدمته الوزير دندان ثم دخل على ضوء المكان ليودعه فقام له وعانقه وأوصاه بالعدل بين الرعية وأمره أن يأخذ الاهبة للجهاد بعد سنتين ثم ودعه وانصرف وسار الملك المجاهد المسمى بالزبلكان بعد ان أوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيرا وقدمت له الامراء المماليك فبلغوا خمسة آلاف مملوك وركبوا خلفه وركب الحاجب

الكبير وأمير الديلم بهرام وأمير الترك رستم وأمير العرب تركاش وساروا في توديعه وما زالوا سائرين معه ثلاثة أيام ثم عادوا الى بغداد وسار السلطان الزبلكان هو والوزير دندان وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى دمشق وكانت الاخبار قد وصلت اليهم على أجنحة الطيور بان الملك ضوء المكان سلطن على دمشق ملكا يقال له الزبلكان ولقبه بالمجاهد فلما وصل اليهم الخبر زينوا له المدينة وخرج الى ملاقاته كل من في دمشق ثم دخل دمشق وطلع القلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الوزير دندان في خدمته يعرفه منازل الامراء ومراتبهم وهم يدخلون عليه ويقبلون يديه ويدعون له فاقبل عليهم الملك الزبلكان وخلع وأعطى ووهب ثم فتح خزائن الاموال وأنفقها على جميع العساكر كبيرا وصغيرا وحكم وعدل وشرع الزبلكان في تجهيز بنت السلطان شركان السيدة قضى فكان وجعل لها محفة من الابريسم وجهز الوزير وقدم له شيأ من المال فابى الوزير دندان وقال له أنت قريب عهد بالملك وربما تحتاج الى الاموال أو نرسل اليك نطلب منك مالا للجهاد أو غير ذلك ولما تهيأ الوزير دندان للسفر ركب السلطان المجاهد الى وداعه وأحضر قضى فكان وأركبها في المحفة وأرسل معها عشر جوار برسم الخدمة وبعد ان سافر الوزير دندان رجع الملك المجاهد الى مملكته ليدبرها واهتم بآلة السلاح وصار ينتظر الوقت الذي يرسل اليه فيه الملك ضوء المكان هذا ما كان من أمر السلطان الزبلكان وأما ما كان من أمر الوزير دندان فانه لم يزل يقطع المراحل بقضى فكان حتى وصل الى الرحبة بعد شهر ثم سار حتى أشرف على بغداد وأرسل أعلم ضوء المكان بقدومه فركب وخرج الى لقائه فأراد الوزير دندان أن يترجل فأقسم عليه الملك ضوء المكان أن لا يفعل فسار راكبا حتى جاء الى جانبه وسأله عن المجاهد فأعلمه أنه بخير وأعلمه بقدوم قضى فكان بنت أخيه شركان ففرح وقال له دونك والراحة من تعب السفر ثلاثة أيام ثم بعد ذلك تعال عندي فقال حبا وكرامة ثم دخل بيته وطلع الملك الى قصره ودخل على ابنة أخيه قضى فكان وهي ابنة ثمان سنين فلما رآها فرح بها وحزن على أبيها وأعطاها حليا ومصاغا عظيما وأمر أن يجعلوها مع ابن عمها كان ما كان في مكان واحد وكانت أحسن أهل زمانها وأشجعهم لانها كانت صاحبة تدبير وعقل ومعرفة بعواقب الامور وأما كان ما كان فانه كان مولعا بمكارم الاخلاق ولكنه لا يفكر في عاقبة شيء ثم بلغ عمر كل واحد من الاثنين عشر سنين وصارت قضى فكان تركب الخيل وتطلع مع ابن عمها في البر ويتعلمان الضرب بالسيف والطعن بالرمح حتى بلغ عمر كل منهما اثنتي عشرة سنة ثم ان الملك انتهت أشغاله للجهاد وأكمل الاهبة والاستعداد فأحضر الوزير دندان وقال له اعلم انى عزمت على شيء وأريد اطلاعك عليه فاسرع في رد الجواب فقال الوزير دندان ما هو يا ملك

الزمان

الزمان قال عزمت على ان أسلطن ولدى كان ما كان وأفرح به فى حياتى وأقاتل قدامه الى ان يدركنى الممات فما عندك من الرأى فقبل الوزير دندان الارض بين يدى الملك ضوء المكان وقال له اعلم أيها الملك السعيد صاحب الرأى السديد ان ماخطر ببالك مليح غير انه لايناسب فى هذا الوقت لخصلتين الاولى ان ولدك كان ما كان صغير السن والثانية ماجرت به العادة من ان من سلطن ولده فى حياته لايعيش الا قليلا وهذا ما عندى من الجواب فقال اعلم أيها الوزير انا نوصى عليه الحاجب الكبير فانه صار منا والينا وقد تزوج أختى فهو فى منزلة أخى فقال له الوزير افعل ما بدا لك فنحن ممتثلون أمرك فارسل الملك الى الحاجب الكبير فأحضره وكذلك أكابر مملكته وقال لهم ان هذا ولدى كان ما كان قد علمتم انه فارس الزمان وليس له نظير فى الحرب والطعان وقد جعلته سلطانا عليكم والحاجب الكبير وصى عليه فقال الحاجب يا ملك الزمان انما أنا غريس نعمتك فقال ضوء المكان أيها الحاجب ان ولدى كان ما كان وابنة أخى قضى فكان أولاد عم وقد زوجتها به وأشهد الحاضرين على ذلك ثم نقل لولده من المال مايعجز عنه اللسان وبعد ذلك دخل على أخته نزهة الزمان وأعلمها بذلك ففرحت وقالت ان الاثنين ولداى والله تعالى يبقيك لهما مدى الزمان فقال يا أختى انى قضيت من الدنيا غرضى وأمنت على ولدى ولكن ينبغى ان تلاحظيه بعينك وتلاحظى أمه ثم صار يوصى الحاجب ونزهة الزمان على ولده وعلى زوجته ليالى وأياما وقد أيقن بكاس الحمام ولزم الوساد وصار الحاجب يتعاطى أحكام العباد وبعد سنة أحضر ولده كان ما كان والوزير دندان وقال ياولدى ان هذا الوزير والدك من بعدى واعلم انى راحل من الدار الفانية الى الدار الباقية وقد قضيت غرضى من الدنيا ولكن بقى فى قلبى حسرة يزيلها الله على يديك فقال ولده وماتلك الحسرة ياوالدى فقال ياولدى أن أموت ولم تأخذ بثار جدك الملك عمر النعمان وعمك الملك شركان من عجوز يقال لها ذات الدواهى فان أعطاك الله النصر لاتغفل عن أخذ الثار وكشف العار من الكفار واياك من مكر العجوز واقبل مايقوله لك الوزير دندان لانه عماد ملكنا من قديم الزمان فقال له ولده سمعا وطاعة ثم هملت عيناه بالدموع وبعد ذلك ازداد المرض بضوء المكان وصار أمر المملكة للحاجب فصار يحكم ويأمر وينهى واستمر على ذلك سنة كاملة وضوء المكان مشغول بمرضه ومازالت به الامراض مدة أربع سنين والحاجب الكبير قائم بأمر الملك وارتضى به أهل المملكة ودعت له جميع البلاد هذا ما كان من أمر ضوء المكان والحاجب وأما ما كان من أمر كان ما كان فانه لم يكن له شغل الا ركوب الخيل واللعب بالرمح والضرب بالنشاب وكذلك ابنة عمه قضى فكان وكانت تخرج هى واياه من أول النهار الى الليل فتدخل الى أمها

ويدخل هو الى أمه فيجدها جالسة عند رأس أبيه تبكى فيخدمه بالليل واذا أصبح الصباح
يخرج هو وبنت عمه على عادتهما وطالت بضوء المكان التوجعات فبكى وأنشد هذه الابيات

تفانت قوتى ومضى زمانى * وها أنا قد بقيت كما ترانى
فيوم العز كنت أعز قومى * وأسبقهم الى نيل الامانى
وقد فارقت ملكى بعد عزى * الى ذل تخلل بالهوان
ترى قبل الممات أرى غلامى * يكون على الورى ملكا مكانى
ويفتك بالعداة لاخذ ثار * بضرب السيف أو طعن السنان
أنا المغبون فى هزل وجد * اذا مولاى لايشفى جنانى

فلما فرغ من شعره وضع رأسه على الوسادة ونام فرأى فى منامه قائلا يقول له ابشر فان ولدك يملك
البلاد وتطيعه العباد فانتبه من منامه مسرورا ثم بعد أيام قلائل طرقه الممات فأصاب أهل
بغداد لذلك مصاب عظيم وبكى عليه الوضيع والعظيم ومضى عليه الزمان كأنه ما كان وتغير حال
كان ما كان وعزله أهل بغداد وجعلوه هو وعياله فى بيت على حدتهم فلما رأت أم كان ما كان
ذلك صارت فى أذل الاحوال ثم قالت لابد لى من قصد الحاجب الكبير وأرجو الرأفة من
اللطيف الخبير فقامت من منزلها الى أن أتت الى بيت الحاجب الذى صار سلطانا فوجدته جالسا
على فراشه فدخلت عند زوجته نزهة الزمان وقالت ان الميت ماله صاحب فلا أحوجكم الله مدى
الدهور والاعوام ولازلتم تحكمون بالعدل بين الخاص والعام قد سمعت اذناك ورأت
عيناك ما كنا فيه من الملك والعز والجاه والمال وحسن المعيشة والحال والآن انقلب علينا الزمان
وقصدنا الدهر بالعدوان وأتيت اليك قاصدة احسانك بعد اسدائى للاحسان لان الرجل اذا
مات ذلت بعده النساء والبنات ثم أنشدت هذه الابيات

كفاك بان الموت بادى العجائب * وماغائب الاعمار عنا بغائب
وما هذه الايام الا مراحل * موارد ها ممزوجة بالمصائب
وما ضر قلبى مثل فقدا كارم * أحاطت بهم مستعظمات النوائب

فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكرت أخاها ضوء المكان وابنه كان ما كان فقربتها
وأقبلت عليها وقالت أنا الآن غنية وأنت فقيرة فوالله ما تركنا افتقادك الا خوفا من انكسار
قلبك لئلا يخطر ببالك ان ما نهديه اليك صدقة مع ان جميع مانحن فيه من الخير منك ومن زوجك
فبيتنا بيتك ولك مالنا وعليك ماعلينا ثم خلعت عليها ثيابا فاخرة وافردت لها مكانا فى القصر
ملاصقا للمقصورتها وأقامت عندهم فى عيشة طيبة هى وولدها كان ما كان وخلعت عليه ثياب
الملوك

الملوك وافردت لهما جوارى برسم خدمتهما ثم ان نزهة الزمان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة أخيها ضوء المكان فدمعت عيناه وقال ان شئت ان تنظرى الدنيا بعدك فانظر بها بعد غيرك فاكرمى مثواها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن زوج نزهة الزمان قال لها ان شئت ان تنظرى الدنيا بعدك فانظر بها بعد غيرك فاكرمى مثواها وأغنى فقرها هذا ما كان من أمر نزهة الزمان وزوجها وأم ضوء المكان وأما ما كان من أمر كان ما كان وابنة عمه قضى فكان فانهما كبرا وترعرعا حتى صارا كانهما غصنان مثمران أو قمران أزهران وبلغا من العمر خمسة عشر عاما وكانت قضى فكان من أحسن البنات المخدرات بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل وريق كالسلسبيل وقد رشيق وثغر ألذ من الرحيق كما قال فيها بعض واصفيها هذين البيتين

كأن سلاف الخمر من ريقها بدت ✽ وعنقودها من ثغرها الدرّ يقطف
واعنابها مالت اذا ما ثنيتها ✽ فسبحان خلاق لها لا يكيف

وقد جمع الله كل المحاسن فيها فقدها يخجل الاغصان والورد يطلب من خدها الامان وأما الريق فانه يهزأ بالرحيق تسر القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

مليحة الوصف قد تمت محاسنها ✽ اجفانها تفضح التكحيل بالكحل
كأنّ الحاظها فى قلب عاشقها ✽ سيف بكف أمير المؤمنين على

وأما كان ما كان فانه كان بديع الجمال فائق الكمال عز فى الحسن عن مثال الشجاعة تلوح بين عينيه تشهد له لا عليه وتميل كل القلوب اليه وحين اخضر منه العذار كثرت فيه الاشعار كقول بعضهم

مابان عذرى فيه حتى عذرا ✽ ومشى الدجى فى خده فتحيرا
رشأ اذا رنت العيون لحسنه ✽ سلت لواحظه عليها خنجرا

﴿وقول الآخر﴾

نسجت نفوس العاشقين بخده ✽ نملا وتم بها التجيع الاحمر
فاعجب لهم شهدا ومسكنهم لظى ✽ ولباسهم فيها الحرير الاخضر

واتفق فى بعض الاعياد ان قضى فكان خرجت تعيد على بعض أقاربها من الدولة والجوارى حواليها والحسن قد عمها وورد الخد يحسد خالها والاقحوان يتبسم عن بارق ثغرها فجعل كان ما كان يدور حولها ويطلق النظر اليها وهى كالقمر الزاهر فقوى جنانه وأطلق بالشعر

لسانه وأنشد هذين البيتين

متى يشتفى قلب الدنو من البعد * ويضحك ثغر الوصل من زائد الصد
فياليت شعرى هل أبيتن ليلة * بوصل حبيب عنده بعض ماعندى

فلما سمعت قضى فكان هذا الشعر أظهرت له الملامة والعتاب وتوعدته بأليم العقاب فاغتاظ كان ما كان وعاد الى بغداد وهو غضبان ثم طلعت قضى فكان الى قصرها وشكت ابن عمها الى أمها فقالت لها يا بنتى لعله ما أراد بك بسوء وهل هو الا يتيم ومع هذا لم يذكر شيأ يعيبك فاياك ان تعلمى بذلك أحدا فانه ربما بلغ الخبر الى السلطان فيقصر عمره ويخمد ذكره ويجعل أثره كأمس الدابر والميت الغابر وشاع فى بغداد حب كان ما كان لقضى فكان وتحدثت به النسوان ثم ان كان ما كان ضاق صدره وقل صبره واشتغل باله ولم يخف على الناس حاله واشتهى ان يبوح بما فى قلبه من لوعة البين فخاف من غضبها وأنشد هذين البيتين

اذا خفت يوما عتاب التى * تغير اخلاقها الصافيه
صبرت عليها كصبر الفتى * على الكى فى طلب العافيه

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الحاجب الكبير لما صار سلطانا سموه الملك ساسان ثم انه بلغه حب كان ما كان لقضى فكان فندم على جعلهما معا فى محل واحد ثم دخل على زوجته نزهة الزمان وقال ان الجمع بين الحلفة والنار لمن أعظم الاخطار وليست الرجال على النساء بمؤتمنين مادامت العيون فى دعج والمعاطف فى لين وان ابن أخيك كان ما كان قد بلغ مبلغ الرجال فيجب منعه عن الدخول على ربات الحجال ومنع بنتك عن الرجال أوجب لان مثلها ينبغى ان يحجب فقالت صدقت أيها الملك العاقل والهمام الكامل فلما أصبح الصباح جاء كان ما كان ودخل على عمته نزهة الزمان على جرى عادته وسلم عليها فردت عليه السلام وقالت له عندى لك كلام ما كنت أحب أن أقوله ولكن أخبرك به رغما عنى فقال لها وماذاك الكلام قالت ان الملك سمع بحبك لقضى فكان فأمر بحجبها عنك واذا كان لك حاجة فانا أرسلها اليك من خلف الباب ولا تنظر قضى فكان فلما سمع كلامها رجع ولم ينطق بحرف واحد واعلم والدته بما قالت عمته فقالت له انما نشأ هذا من كثرة كلامك وقد علمت ان حديث حبك لقضى فكان شاع وانتشر فى كل مكان وكيف تأكل زادهم وبعد ذلك تعشق بنتهم فقال انى أريد الزواج بها لانها بنت عمى وأنا أحق بها فقالت له أمه اسكت لئلا يصل الخبر الى الملك ساسان فيكون ذلك سببا لغرقك فى بحر الاحزان

ولم

ولم يبعثوا الى فى هذه الليلة عشاء ولو كنا فى بلد غيرهذه لمتنا من ألم الجوع أوذل السؤال فلما سمع كان ما كان كلام أمه زاد بقلبه الحسرات وأنشد هذه الابيات

اقلى من اللوم الذى لا يفارق * فقلبى الى من تيمتنى مفارق
ولا تطلبى عندى من الصبر ذرة * فصبرى و بيت الله منى طالق
اذا سامنى اللوّام نهيا عصيتهم * وها أنا فى دعوى المحبة صادق
وقد منعونى عنوة أن أزورها * وانى والرحمن ما أنا فاسق
وان عظامى حين تسمع ذكرها * تشابه طيرا خلفهن بواشق
الا قل لمن قد لام فى الحب اننى * وحق الهى بنت عمى لعاشق

ولما فرغ من شعره قال لامه مابقى لى عند عمى ولا عند هؤلاء القوم مقام بل أخرج من القصر وأسكن فى أطراف المدينة بجوار قوم صعاليك ثم خرج وفعل كما قال وصارت أمه تتردد الى بيت الملك ساسان وتأخذ منه ماتقتات به هى واياه ثم ان قضى فكان اختلت بام كان ما كان وقالت لها يا امرأة عمى كيف حال ولدك فقالت انه باكى العين حزين القلب ليس له من أسر الغرام فكاك ومقتنص من هواك فى اشراك فبكت قضى فكان وقالت والله ماهجرته بغضا له ولكن خوفا عليه من الاعداء وعندى من الشوق اضعاف ماعنده ولولا عثرات لسانه وخفقان جنانه ماقطع أبى عنه احسانه وأولاه منعه وحرمانه ولكن أيام الورى دول والصبر فى كل الامور أجمل ولعل من حكم بالفراق أن يمنّ علينا بالتلاق ثم أفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين

فعندى يا ابن عمى من غرامى * كامثال الذى قد حل عندك
ولكنى كتمت الناس وجدى * فهلا كنت أنت كتمت وجدك

فشكرتها أم كان ما كان وخرجت من عندها وأعلمت ولدها كان ما كان بذلك فزاد شوقه اليها وقال ما أبدلها من الحور بألفين وأنشد هذين البيتين

فوالله لا أصغى الى قول لائم * ولا بحت بالسر الذى كنت كاتما
وقد غاب عنى من أرجى وصاله * وقد سهرت عينى وقد بات نائما

ثم مضت الايام والليالى وهو يتقلب على جمر المقالى حتى مضى له من العمر سبعة عشر عاما وقد كمل حسنه ففى بعض الليالى أخذه السهر وقال فى نفسه مالى أرى جسمى يذوب والى متى لا أقدر على نيل المطلوب ومالى عيب سوى عدم الجاه والمال ولكن عند الله بلوغ الآمال فينبغى أن أشرد نفسى عن بلادها حتى تموت أو تحظى بمرادها ثم أضمر على هذه العزمات وأنشد

هذه الابيات

دع مهجتي تزداد في خفقانها * ليس التذلل في الورى من شأنها
واعذر فان حشاشتي كصحيفة * لاشك ان الدمع من عنوانها
هابنت عمي قد بدت حورية * نزلت الينا عن رضى رضوانها
من رام الحاظ العيون معارضا * فتكاتها لم ينج من عدوانها
سأسير في الارض الوسيعة منقذا * نفسي وأمنحها سوى حرمانها
وأعود مسرور الفؤاد بمطلبي * وأقاتل الابطال في ميدانها
ولسوف استاق الغنائم عائدا * وأصول مقتدرا على أقرانها

ثم ان كان ما كان خرج من القصر ماشيا حافيا في قميص قصير الاكمام وعلى رأسه لبدة لها سبعة أعوام وصحبته رغيف له ثلاثة أيام ثم سار في حندس الظلام حتى وصل الى باب بغداد فوقف هناك ولما فتحوا باب المدينة كان هو أول خارج منه ثم صار يقطع الاودية والقفار في ذلك النهار ولما أتى الليل طلبته أمه فلم تجده فضاقت عليها الدنيا باتساعها ولم تلتذ بشيء من متاعها ومكثت تنتظر أول يوم وثاني يوم وثالث يوم الى أن مضي عشرة أيام فلم تر له خبرا فضاق صدرها وبكت ونادت قائلة يامؤنسي قد هيجت أحزاني حيث فارقتني وتركت أوطاني ياولدي من أي الجهات أناديك وياهل ترى أي بلد تاويك ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الابيات

علمنا بأنا بعد غيبتكم نبلى * ومدت قسي للفراق لنا نبلا
وقد خلفوني بعد شد رحالهم * أعالج كرب الموت اذ قطعوا الرملا
لقد هتفت بي جنح ليل حمامة * مطوقة ناحت فقلت لها مهلا
لعمرك لو كانت كمثلي حزينة * لما لبست طوقا ولا خضبت رجلا
وفارقني ألفي فالفيت بعده * دواعي هم لا تفارقني أصلا

ثم انها امتنعت من الطعام والشراب وزادت في البكاء والانتحاب وصار بكاؤها على رؤس الاشهاد واشتهر حزنها بين العباد والبلاد وصار الناس يقولون أين عينك ياضوء المكان وترى ماجرى على كان ما كان حتى بعد عن وطنه وخرج من المكان وكان أبوه يشبع الجيعان ويأمر بالعدل والامان ووصل خبر كان ما كان الى الملك ساسان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ساسان وصل اليه خبر كان ما كان من الامراء الكبار وقالوا له انه ولد ملكنا ومن ذرية الملك عمر النعمان

النعمان وقد بلغنا انه تغرب عن الاوطان فلما سمع الملك ساسان هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وتذكر احسان أبيه اليه وانه أوصاه عليه فحزن على كان ما كان وقال لابد من التفتيش عليه في سائر البلاد ثم بعث في طلبه الامير تركاش في مائة فارس فغاب عشرة أيام ثم رجع وقال ما اطلعت له على خبر ولا وقفت له على أثر فحزن عليه الملك ساسان حزنا شديدا وأما أمه فانها صارت لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار وقد مضى له عشرون يوما هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر كان ما كان فانه لما خرج من بغداد صار متحيرا في أمره ولم يدر الى أين يتوجه ثم انه سافر في البر ثلاثة أيام وحده ولم ير راجلا ولا فارسا فطار رقاده وزاد سهاده وتفكر أهله و بلاده وصار يتقوت من نبات الارض ويشرب من أنهارها ويقيل وقت الحر تحت أشجارها ثم خرج من تلك الطريق الى طريق أخرى وسار فيها ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أشرف على أرض معشبة الفلوات مليحة النبات وهذه الارض قد شربت من كؤوس الغمام على أصوات القمري والحمام فاخضرت رباها وطاب فلاها فتذكر كان ما كان بلاد أبيه فأنشد من فرط ما هو فيه

خرجت وفي أملي عودة * ولكنني لست أدري متى
وشردني انني لم أجد * سبيلا الى دفع ما قد أتى

فلما فرغ أكل من ذلك النبات وتوضأ وصلى ما كان عليه من الفريضة وجلس يستريح ومكث طول ذلك اليوم في ذلك المكان فلما جاء الليل نام واستمر نائما الى نصف الليل ثم انتبه فسمع صوت انسان ينشد هذه الابيات

ما العيش الا أن يرى لك بارق * من ثغر من تهوى ووجه رائق
والموت أسهل من صدود حبيبة * لم يغشني منها خيال طارق
يا فرحة الندماء حيث تجمعوا * وأقام معشوق هناك وعاشق
لا سيما وقت الربيع وزهره * طاب الزمان بما اليه تسابق
يا شارب الصهباء دونك ما ترى * أرض مزخرفة وماء دافق

فلما سمع كان ما كان هذه الابيات هاجت به الاشجان وجرت دموعه على خده كالغدران وانطلقت في قلبه النيران فقام ينظر قائل هذا الكلام فلم ير أحدا في جنح الظلام فأخذه القلق ونزل من مكانه الى أسفل الوادي ومشى على شاطئ النهر فسمع صاحب الصوت يصعد الزفرات وينشد هذه الابيات

ان كنت تضمر ما في الحب اشفاقا * فأطلق الدمع يوم البين اطلاقا

بيني وبين أحبائي عهود هوى * لذا اليوم أظل الدهر مشتاقا
يرتاح قلبي الى تيم ويطربني * نسيم تيم اذا ماهب أشواقا
ياسعد هل ربة الخلخال تذكرلي * بعد البعاد لنا عهدا وميثاقا
وهل تعود ليالي الوصل تجمعنا * يوما ويشرح كل بعض مالاقى
قالت فتنت بنا وجدا فقلت لها * كم قد فتنت رعاك الله عشاقا
لامتع الله طرفي في محاسنها * ان كان من بعدها طيب الكرى ذاقا
يالسعة في فؤادي مارأيت لها * سوى الوصال ورشف الثغر ترياقا

فلما سمع كان ما كان هذه الاشعار من صاحب ذلك الصوت ثاني مرة ولم ير شخصه عرف أن القائل مثله عاشق منع عن الوصول الى من يحبه فقال في نفسه لعلي أجتمع بهذا فيشكو كل واحد منا لصاحبه وأجعله أنيسي في غربتي ثم تنحنح ونادى قائلا أيها السائر في الليل العاكر تقرب مني وقص قصتك علي لعلك تجدني معينا لك على بليتك فلما سمع صاحب الصوت هذا الكلام أجابه قائلا أيها المنادي السامع لانشادي من تكون من الفرسان وهل أنت من الانس أو من الجان فعجل علي بكلامك قبل دنو حمامك فان لي عشرين يوما وأنا سائر في هذه البرية فلم أر شخصا ولم أسمع صوتا غير صوتك فلما سمع كان ما كان هذا الكلام قال في نفسه ان هذه القصة كقصتي فان لي أيضا عشرين يوما وأنا سائر ولم أسمع صوتا فقال له صاحب الصوت ان كنت من الجان فاذهب بسلام وان كنت انسيا فالبث مليا حتى يطلع النهار ويذهب الليل بالاعتكار فلما أصبح الصباح نظر اليه كان ما كان فوجده رجلا من عرب البادية فتقدم اليه وسلم عليه فرد البدوي عليه السلام وقابله بالتحية والاكرام الا انه احتقره لما رأى صغر سنه وحالته حالة فقير وقال له يافتى من أي القوم أنت والى من تنتسب من العربان وما قصتك وأنت سائر بالليل فان هذا فعل الابطال وقد كلمتني في الليل كلاما لايتكلم به الا كل فارس همام وبطل مصدام وقد صرت الآن في قبضتي الا اني أرحمك لصغر سنك فاجعلك رفيقي وتكون عندي برسم خدمتي فلما سمع كان ما كان فظاعة كلامه بعد ما أبداه من حسن نظامه عرف أنه احتقره وطمع فيه فقال له بلين الكلام ياوجه العرب دعنا من صغر سني وكوني أخدمك وأخبرني عن سبب سيرك بالليل في القفار وانشادك الاشعار فما حملك على هذا فقال له اسمع ياغلام انني صباح بن رماح بن همام وقومي من عرب الشام ولي بنت عم اسمها نجمه كل من رآها أتته النعمه ومات والدي وتربيت عند عمي أبي نجمة فلما كبرت وكبرت حجبها عني لما رآني فقير الحال قليل المال فسبقت عليه العرب الكبار وسادات القبائل فاستحى منهم وأجابني الى زواجها

زواجها الا أنه اشترط على خمسين رأسا من الخيل وخمسين ناقة وعشرة عبيد وعشر جوار وخمسين حلا قمحا ومثلها شعيرا وحانى ما الأطيق وأكثر على الصداق وها أنا مسافر من الشام الى العراق ولى عشرون يوما ما نظرت أحدا سواك وقصدى أن أدخل أرض بغداد وأنظر من يخرج منها من التجار المياسر الكبار فاخرج فى أثرهم وأسلب أموالهم وأقتل رجالهم وأسوق جمالهم وأحمالهم فمن تكون أنت من الناس قال كان ما كان ان قصتى كقصتك غير أن مرضى أخطر من مرضك لأن ابنة عمى ابنة ملك وأهلها لا يكفيهم ما ذكرت ولا يرضيهم شيء مثل هذا فقال صباح لعلك مهبول أو من كثرة العشق مخبول كيف تكون بنت عمك بنت ملك وأنت ما عليك سيمة الملوك وما أنت الا صعلوك فقال يا واحد العرب لا تستغرب هذا الحال على تصرفات الزمان وان شئت منى البيان فانا كان ما كان ابن السلطان ضوء المكان بن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وأرض خراسان وقد جار على الزمان وتسلطن الملك ساسان وخرجت من بغداد خفية لئلا يرانى انسان وسافرت فى هذه الارض عشرين يوما ما رأيت أحدا غيرك فقصتك كقصتى وطلبتك نظير طلبتى فلما سمع صباح ذلك الكلام صاح وافرحتى قد بلغت منيتى وليس لى اليوم كسب غيرك لأنك من ذرية الملوك وان كنت فى زى صعلوك فلا بد أن أهلك لا يتركونك واذا علموا مكانك بأموالهم يفدونك فأدر كتافك يا غلامى وامش قدامى فقال كان ما كان لا تفعل يا أخا العرب لأن أهلى لا يشترونى بفضة ولا ذهب وأنا رجل فقير وما معى قليل ولا كثير فدع عنك هذه الاخلاق واتخذنى من الرفاق واخرج بنا من أرض العراق لنجول فى الآفاق لعلنا نفوز بالمهر والصداق ونحظى من بنتى عمنا بالبوس والعناق فلما سمع صباح ذلك غضب وزاد به الالتهاب وقال له ويلك أترادنى فى الجواب يا أخس الكلاب أدر كتافك والا نزلت عليك العذاب فتبسم كان ما كان وقال كيف أدير الكتاف أما عندك انصاف أما تخشى معايرة العربان حيث تأسر غلاما بالذل والهوان وما اختبرته فى حومة الميدان وما علمت أهو فارس أو جبان فضحك صباح وقال يا لله العجب انك فى سن الغلام ولكنك كبير الكلام لأن هذا القول لا يصدر الا عن البطل المصدام فقال كان ما كان الانصاف انك اذا شئت أخذى أسيرا خادما لك أن ترمى سلاحك وتخفف لباسك وتصارعنى وكل من صرع صاحبه بلغ منه مرامه وجعله غلامه فضحك صباح وقال ما أظن كثرة كلامك الا لدنو حمامك ثم رمى سلاحه وشمر أذياله ودنا من كان ما كان وتجاذبا فوجده البدوى يرجح عليه كما يرجح القنطار على الدينار ونظر الى ثبات رجليه فى الارض فوجدهما كالمأذنتين المؤسستين أو الجبلين الراسخين فعرف من نفسه قصر باعه وندم

على الدنو من صراعه وقال فى نفسه ليتنى قاتلته بسلاحى ثم ان كان ما كان قبضه وتمكن منه وهزه فأحس أن أمعاءه تقطعت فى بطنه فصاح أمسك يدك ياغلام فلم يلتفت الى ما أبداه من الكلام بل حمله من الارض وقصد به النهر فناداه صباح قائلا يا أيها البطل ماتريد أن تفعل بى قال أريد أن أرميك فى هذا النهر فانه يوصلك الى الدجلة والدجلة توصلك الى نهر عيسى ونهر عيسى يوصلك الى الفرات والفرات يلقيك الى بلادك فيراك قومك فيعرفونك و يعرفون مروءتك وصدق محبتك فصاح صباح ونادى يافارس البطاح لاتفعل فعل القباح اطلقنى بحيات بنت عمك سيدة الملاح فحطه كان ما كان فى الارض فلما رأى نفسه خالصا ذهب الى ترسه وسيفه وأخذهما وصار يشاور نفسه على الهجوم عليه فعرف كان ما كان مايشاور نفسه عليه فقال له قد عرفت مافى قلبك حيث أخذت سيفك وترسك فانه قد خطر ببالك انك ليس لك يد فى الصراع تطول ولو كنت على فرس تجول لكنت بسيفك على تصول وها أنا أبلغك ماتختار حتى لايبقى فى قلبك انكار فاعطنى الترس واهجم على بسيفك فاما أن تقتلنى واما أن أقتلك فرمى له الترس وجرد سيفه وهجم به على كان ما كان فتناول الترس بيمينه وصار يلاقى به عن نفسه وصار صباح يضربه و يقول له مابقى الا هذه الضربة الفاصلة فيتلقاها كان ما كان وتروح ضائعة ولم يكن مع كان ما كان شئ يضرب به ولم يزل صباح يضربه بالسيف حتى كلت يده وعرف كان ما كان ضعف قوته وانحلال عزيمته فهجم عليه وهزه وألقاه فى الارض وكتفه بحمائل سيفه وجره من رجليه الى جهة النهر فقال صباح ماتريد أن تصنع بى يافارس الزمان و بطل الميدان قال ألم أقل لك اننى أرسلك الى قومك فى النهر حتى لايشتغل خاطرهم عليك وتتعوق عن عرس بنت عمك فتضجر صباح و بكى وصاح وقال لاتفعل يافارس الزمان واجعلنى لك من بعض الغلمان ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

تغربت عن أهلى فياطول غربتى * وياليت شعرى هل أموت غريبا
أموت وأهلى ليس تعرف مقتلى * وأودى غريبا لاأزور حبيبا

فرحمه كان ما كان وأطلقه بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق أنه يصحبه فى الطريق ويكون له نعم الرفيق ثم ان صباحا أراد أن يقبل يد كان ما كان فمنعه من تقبيلها ثم قام البدوى الى جرابه وفتحه وأخذ منه ثلاث قرصات شعير وحطها قدام كان ما كان وجلس معه على شاطئ النهر وأكلا مع بعضهما ثم توضآ وصليا وجلسا يتحدثان فيما لقياه من صروف الزمان فقال كان ما كان للبدوى أين تقصد فقال صباح أقصد بغداد بلدك وأقيم بها حتى يرزقنى الله بالصداق فقال له دونك والطريق ثم ودعه البدوى وتوجه فى طريق بغداد وأقام كان ما كان وقال

ف

فى نفسه يانفسى أى وجه للرجوع مع الفقر والفاقة والله لا أرجع خائبا ولا بدلى من الفرج ان شاء الله ثم تقدم الى النهر وتوضأ وصلى فلما سجد ووضع جبهته على التراب نادى ربه قائلا اللهم منزل القطر ورازق الدود فى الصخر أسألك أن ترزقنى بقدرتك ولطيف رحمتك ثم سلم من صلاته وضاق به كل مسلك فبينما هو جالس يلتفت يمينا وشمالا واذا بفارس أقبل على جواد وقد اقتعد ظهره وأرخى عنانه فاستوى كان ما كان جالسا وبعد ساعة وصل اليه الفارس وهو فى آخر نفس لانه كان به جرح بالغ فلما وصل اليه جرى دمعه على خده مثل أفواه القرب وقال لكان ما كان ياوجه العرب اتخذنى ما عشت لك صديقا فانك لا تجد مثلى واسقنى قليلا من الماء وان كان شرب الماء لا يصلح للمجروح سيما وقت خروج الروح وان عشت أعطيتك ما يدفع فقرك وان مت فأنت المسعود بحسن نيتك وكان تحت الفارس حصان يتحير فى حسنه الانسان ويكل عن وصفه اللسان وله قوائم مثل أعمدة الرخام معد ليوم الحرب والزحام فلما نظر كان ما كان الى ذلك الحصان أخذه الهيام وقال فى نفسه ان مثل هذا الحصان لا يكون فى هذا الزمان ثم انه أنزل الفارس ورفق به وجرعه يسيرا من الماء ثم صبر عليه حتى أخذ الراحة وأقبل عليه وقال له من الذى فعل بك هذه الفعال فقال الفارس أنا أخبرك بحقيقة الحال انى رجل سلال غيار طول دهرى أسل الخيل واختلسها فى الليل والنهار واسمى غسان آفة كل فرس وحصان وقد سمعت بهذا الحصان فى بلاد الروم عند الملك افريدون وقد سماه بالقاتول ولقبه بالمجنون وقد سافرت الى القسطنطينية من أجله وصرت أراقبه فبينما أنا كذلك اذ خرجت عجوز معظمة عند الروم وأمرها عندهم فى الخداع متناهى تسمى شواهى ذات الدواهى ومعها هذا الجواد وصحبتها عشرة عبيد لاغير برسم خدمة ذلك الحصان وهى تقصد بغداد وتريد الدخول على الملك ساسان لتطلب منه الصلح والأمان فخرجت فى أثرهم طمعا فى الحصان ومازلت تابعهم ولا أتمكن من الوصول اليه لان العبيد شدادا لحرص عليه الى أن وصلوا الى تلك البلاد وخفت أن يدخلوا مدينة بغداد فبينما أنا أشاور نفسى فى سرقة الحصان اذ طلع عليهم غبار حتى سد الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار عن خمسين فارسا مجتمعين لقطع الطريق على التجار ورئيسهم يقال له كهرداش ولكنه فى الحرب كأسد يجعل الابطال كالفراش وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الفارس المجروح قال لكان ما كان فخرج على العجوز ومن معها كهرداش ثم أحاط بهم وهاش وناش فلم تمض ساعة حتى ربط العشرة عبيد والعجوز وتسلم الحصان وسار بهم وهو

فرحان فقلت فى نفسى قدضاع تعبى ومابلغت أربى ثم صبرت حتى أنظر مايؤول اليه الامر فلما رأت العجوز وجهافى الاسر بكت وقالت لكهرداش أيها الفارس الهمام والبطل الضرغام ماذاتصنع بالعجوز والعبيد وقدبلغت من الحصان ماتريد وخادعته بلين الكلام وحلفت انها تسوق له الخيل والانعام فأطلقها هى والعبيد ثم سارهو وأصحابه وتبعتهم حتى وصلت الى هذه الديار وأنا الاحظه فلما وجدت اليه سبيلا سرقته وركبته وأخرجت من مخلاتى سوطا فضربته فلما أحسوابى لحقونى وأحاطوابى من كل مكان ورمونى بالسهام والسنان وأنا ثابت عليه وهو يقاتل عنى بيديه ورجليه الى أن خرج بى من بينهم مثل النجم الطارق والسهم الراشق ولكن لما اشتد الكفاح أصابنى بعض الجراح وقدمضى لى على ظهره ثلاثة أيام لم أستطعم بطعام وقد ضعفت منى القوى وهانت على الدنيا وأنت أحسنت لى وشفقت على وأراك عارى الجسد ظاهر الكمد ويلوح عليك أثر النعمة فمايقال لك فقال أنا يقال لى كان ما كان ابن الملك ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان قدمات والدى وربيت يتيما وتولى بعده رجل لئيم وصار ملكا على الحقير والعظيم ثم حدثه بحديثه من أوله الى آخره فقال الرجل السلال وقدرق له انك ذوحسب عظيم وشرف جسيم وليكن لك شان وتصير أفرس هذا الزمان فان قدرت أن تحملنى وتركب وراءى وتوديني الى بلادى يكن لك الشرف فى الدنيا والأجر فى يوم التنادى فانه لم يبق لى قوة أمسك بها نفسى وان مت فى الطريق فزت بهذا الحصان وأنت أولى به من كل انسان فقال له كان ما كان والله لوقدرت أن أحملك على أكتافى لفعلت ولو كان عمرى بيدى لاعطيتك نصفه من غير هذا الجواد لانى من أهل المعروف واغاثة الملهوف وفعل الخير لوجه الله تعالى يسد سبعين بابا من البلاء وعزم على أن يحمله على الحصان ويسير متوكلا على اللطيف الخبير فقال له اصبر على قليلا ثم غمض عينيه وفتح يديه وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وتهيأ للممات وأنشد هذه الابيات

ظلمت العباد وطفت البلاد * وأمضيت عمرى بشرب الخمور
وخضت السيول لسل الخيول * وهدم الطلول بفعل النكور
وأمرى عظيم وجرمى جسيم * وقاتول منى تمام الامور
وأملت انى أنال المنى * بذاك الحصان فأعيا مسيرى
وطول الحياة أسل الخيول * فكانت وفاتى عند القدير
وآخر أمرى انى تعبت * لرزق الغريب اليتيم الفقير

فلما فرغ من شعره غمض عينيه وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا فحفر له كان ما كان حفرة

ووراه

ووارا في التراب ثم مسح وجه الحصان ورآه لا يوجد في حوزة الملك ساسان ثم أتته الاخبار من التجار بجميع ما جرى في غيبته بين الملك ساسان والوزير دندان وأن الوزير دندان خرج عن طاعة الملك ساسان هو ونصف العسكر وحلفوا انهم مالهم سلطان الا كان ما كان واستوثق منهم بالايمان ودخل بهم الى جزائر الهند والبربر وبلاد السودان واجتمع معهم عساكر مثل البحر الزاخر لا يعرف لهم أول من آخر وعزم على أن يرجع بجميع الجيوش الى البلاد ويقتل من خالفه من العباد وأقسم على انه لا يرد سيف الحرب الى غمده حتى يملك كان ما كان فلما بلغته هذه الاخبار غرق في بحر الافكار ثم ان الملك ساسان علم أن الدولة انحرفت عليه الكبار والصغار فغرق في بحر الهموم والاكدار وفتح الخزائن وفرق على أرباب الدولة الاموال والنعم وتمنى أن يقدم عليه كان ما كان ويجذب قلبه اليه بالملاطفة والاحسان ويجعله أميرا على العساكر الذين لم يزالوا تحت طاعته لتقوى به شرارة جمرته ثم ان كان ما كان لما بلغه ذلك الخبر من التجار رجع مسرعا الى بغداد على ظهر ذلك الجواد فبينما الملك ساسان في ربكته حيران اذ سمع بقدوم كان ما كان فاخرج جميع العساكر ووجهاء بغداد لملاقاته فخرج كل من في بغداد ولاقوه ومشوا قدامه الى القصر ودخلت الطواشية بالاخبار الى أمه فجاءت اليه وقبلته بين عينيه فقال يا أماه دعيني أمضي الى عمي السلطان ساسان الذي غمرني بالنعمة والاحسان ثم ان أرباب الدولة تحيروا في وصف ذلك الحصان وفي وصف صاحبه سيد الفرسان وقالوا للملك ساسان أيها الملك انا ما رأينا مثل هذا الانسان ثم ذهب الملك ساسان وسلم عليه فلما رآه كان ما كان مقبلا عليه قام اليه وقبل يديه ورجليه وقدم اليه الحصان هدية فرحب به وقال أهلا وسهلا بولدي كان ما كان والله لقد ضاقت بي الارض لاجل غيبتك والحمد لله على سلامتك ثم نظر السلطان الى هذا الحصان المسمى بالقاتول فعرف انه الحصان الذي كان رآه سنة كذا وكذا في حصار عبدة الصلبان مع أبيه ضوء المكان حين قتل عمه شركان وقال له لو قدر عليه أبوك لاشتراه بألف جواد ولكن الآن عاد العز الى أهله وقد قبلناه ومنالك وهبناه وأنت أحق به من كل انسان لانك سيد الفرسان ثم أمر أن يحضروا لكان ما كان خلعة سنية وجملة من الخيل وأفرد له في القصر أكبر الدور وأقبل عليه العز والسرور وأعطاه مالا جزيلا وأكرمه غاية الاكرام لانه كان يخشى عاقبة أمر الوزير دندان ففرح بذلك كان ما كان وذهب عنه الذل والهوان ودخل بيته وأقبل على أمه وقال يا أمي ما حال ابنة عمي فقالت والله يا ولدي انه كان عندي من غيبتك ما أشغلني عن محبوبتك فقال يا أمي اذهبي اليها واقبلي عليها لعلها تجود علي بنظرة فقالت له ان المطامع تذل أعناق الرجال فدع عنك هذا المقال لئلا يفضي بك الى الوبال

فأنا لا أذهب اليها ولا أدخل بهذا الكلام عليها فلما سمع من أمه ذلك أخبرها بما قاله السلال من أن العجوز ذات الدواهي طرقت البلاد وعزمت على أن تدخل بغداد وقال هي التي قتلت عمي وجدي ولابد أن أكشف العار وآخذ الثار ثم ترك أمه وأقبل على عجوز عاهرة محتالة ماكرة اسمها سعدانة وشكا اليها حاله وما يجده من حب قضى فكان وسألها أن تتوجه اليها وتستعطفها عليه فقالت له العجوز سمعا وطاعة ثم فارقته ومضت الى قصر قضى فكان واستعطفت قلبها عليه ثم رجعت اليه وأعلمته بأن قضى فكان تسلم عليه ووعدتها انها في نصف الليل تجيء اليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان العجوز رجعت الى كان ما كان وأعلمته بان قضى فكان تسلم عليه ووعدتها انها في نصف الليل تجيء اليه فلما بلغه ذلك الخبر فرح لوعد ابنة عمه قضى فكان فلما جاء نصف الليل أتته بملاءة سوداء من الحرير ودخلت عليه ونبهته من نومه وقالت له كيف تدعى انك تحبني وانت خلي البال نائم على حسن الحال فانتبه وقال والله يا منية القلب اني ما نمت الا طمعا في أن يزورني منك طيف الخيال فعند ذلك عاتبته بلطيف عتاب الكلمات وأنشدت هذه الابيات

لو كنت تصدق في المحبة ما جنحت الى المنام
يا مدعي طرق المحبة في المودة والغرام
والله يا ابن العم ما * رقدت عيون المستهام

فاستحى منها كان ما كان وتعانقا وتشاكيا ألم الفراق وعظيم الوجد والاشتياق ولم يزالا كذلك الى أن بدت غرة الصباح وطلع الفجر ولاح فبكى كان ما كان بكاء شديدا وصعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

فيا زائرى من بعد فرط صدوده * وفي الثغر منه الدر في نظم عقده
فقبلته ألفا وعانقت قده * وبت وخدي لاصق تحت خده
الى أن بدا نور الصباح فراعنا * كحد حسام لاح من جوف غمده

فلما فرغ من شعره ودعته قضى فكان ورجعت الى خدرها وأظهرت بعض الجواري على سرّها فذهبت جارية منهن الى الملك ساسان وأعلمته بالخبر فتوجه الى قضى فكان وجرّد عليها الحسام وأراد أن يضرب عنقها فدخلت عليه أمها نزهة الزمان وقالت له بالله لا تفعل بها ضررا فانك ان فعلت بها ضررا يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عند ملوك الزمان ان كان ما كان صاحب عرض ومروءة ولا يفعل أمرا يعاب عليه فاصبر ولا تعجل فان أهل القصر وجميع

أهل

أهل بغداد قد شاع عندهم أن الوز بر دندان قاد العساكر من جميع البلدان وجاء بهم ليملكوا كان ما كان فقال لها لابد أن أرميه فى بلية بحيث لا أرض تقله ولا سماء تظله وانى ماطيبت خاطره ولا أنعمت عليه الا لاجل أهل مملكتى لئلا يميلوا اليه وسوف ترين مايكون ثم تركها وخرج يدبر أمر مملكته هذا ما كان من أمر الملك ساسان وأما ما كان من أمر كان ما كان فانه أقبل على أمه فى ثانى يوم وقال لها يا أمى انى عزمت على شن الغارات وقطع الطرقات وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك واذا كثر مالى وحسن حالى خطبت قضى فكان من عمى ساسان فقالت يا ولدى ان أموال الناس غير سائبة لان دونها ضرب الصفاح وطعن الرماح ورجال تقتنص الاسود وتصيد الفهود فقال لها كان ما كان هيهات أن أرجع عن عزيمتى الا اذا بلغت منيتى ثم أرسل العجوز الى قضى فكان ليعلمها انه يريد السير حتى يحصل لها مهرا يصلح لها وقال للعجوز لابد أن تأتينى منها بجواب فقالت له سمعا وطاعة ثم ذهبت اليها ورجعت له بالجواب وقالت له انها فى نصف الليل تكون عندك فأقام سهران الى نصف الليل من قلقه فلم يشعر الا وهى داخلة عليه وتقول له روحى فداك من السهر فنهض لها قائما وقال يا منية القلب روحى فداك من جميع الاسواء ثم أعلمها بما عزم عليه فبكت فقال لها لا تبكى يا بنت العم فأنا أسأل الذى حكم علينا بالفراق أن يمن علينا بالتلاقى والوفاق ثم ان كان ما كان أخذ فى السفر ودخل على أمه وودعها ونزل من القصر وتقلد بسيفه وتعمم وتلثم وركب جواده القاتول ومشى فى شوارع المدينة وهو كالبدر حتى وصل الى باب بغداد واذا برفيقه صباح بن رباح خارج من المدينة فلما رآه جرى فى ركابه وحياه فرد عليه السلام فقال صباح يا أخى كيف صار لك هذا الجواد وهذا المال وأنا الآن لا أملك غير سيفى فقال له كان ما كان ما يرجع الصياد الا بصيد على قدر نيته وبعد فراقك بساعة حصلت لى السعادة وهل لك أن تأتى معى وتخلص النية فى صحبتى وتسافر فى تلك البرية فقال ورب الكعبة ما بقيت أدعوك الا مولاى ثم جرى قدام الجواد وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيه ولم يزالا سائرين فى البرار بعة أيام وهما يأكلان من صيد الغزلان ويشربان من ماء العيون وفى اليوم الخامس أشرفا على تل عال تحته مراتع فيها ابل وغنم وبقر وخيل قد ملأت الروابى والبطاح وأولادها الصغار تلعب حول المراح فلما رأى ذلك كان ما كان زادت به الافراح وامتلأ صدره بالانشراح وعول على القتال وأخذ النياق والجمال فقال لصباح انزل بنا على هذا المال الذى عن أهله وحيد ونقاتل دونه القريب والبعيد حتى يكون لنا فى أخذه نصيب فقال صباح يا مولاى ان أصحابه خلق كثير وجم غفير وفيهم أبطال من فرسان ورجال وان رمينا أرواحنا فى هذا الخطب الجسيم فاتنا نكون من هوله على

خطر عظيم فضحك كان ما كان وعلم انه جبان فتركه وانحدر من الرابية عازما على شن الغارات وترنم بانشاد هذه الابيات

وآل نعمان نحن ذوالهمم * والسادة الضاربون فى القمم
قوم اذا ما الهياج قام لهم * قاموا باسوأقه على قدم
تنام عينا الفقير بينهم * ولا يرى قبح صورة العدم
وانني ارتجى معاونة * من مالك الملك بارىء النسم

ثم حمل على ذلك المال مثل الجمل الهائج وساق جميع الابل والبقر والغنم والخيل قدامه فتبادرت اليه العبيد بالسيوف الصقال والرماح الطوال وفى أولهم فارس تركى الا انه شديد الحرب والكفاح عارف باعمال سمر القنا وبيض الصفاح فحمل على كان ما كان وقال له ويلك لو علمت لمن هذا المال مافعلت هذه الفعال اعلم أن هذه الاموال للعصابة الرومية والفرقة الجركسية الذين مافيهم الا كل بطل عابس وهم مائة فارس قد خرجوا عن طاعة كل سلطان وقد سرق منهم حصان وحلفوا أن لا يرجعوا من هنا الا به فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صاح قائلا هذا هو الحصان الذى تعنون وأنتم له طالبون وفى قتالى بسببه راغبون فبارزونى كلكم أجمعون وشأنكم وما تريدون ثم صرخ بين اذنى القانول فخرج عليهم مثل الغول وعطف على الفارس وطعنه فاخرج كلاه ومال على ثان وثالث ورابع أعدمهم الحياه فعند ذلك هابته العبيد فقال لهم يابنى الزوانى سوقوا المال والخيول والا خضبت من دماكم سنانى فساقوا المال وأخذوا فى الانطلاق وانحدر اليه صباح وأعلن بالصياح وزادت به الافراح واذا بغبار علا وطار حتى سد الاقطار وبان من تحته مائة فارس مثل الليوث العوابس فلما رآهم صباح فر الى الرابية وترك البطاح وصار يتفرج على الكفاح وقال ما أنا فارس الا فى اللعب والمزاح ثم ان المائة فارس داروا حول كان ما كان وأحاطوا به من كل مكان فتقدم اليه فارس منهم وقال له أين تذهب بهذا المال فقال له كان ما كان دونك والقتال واعلم أن من دونه أسدا أروع وبطلا سميدع وسيفا أينما مال قطع فلما سمع الفارس ذلك الكلام التفت اليه فرآه فارسا كالاسد الضرغام الا أن وجهه كبدر التمام وكان ذلك الفارس رئيس المائة فارس واسمه كهرداش فلما رأى كان ما كان مع كمل فروسيته بديع المحاسن يشبه حسنه حسن معشوقة له يقال لها فاتن وكانت من أحسن النساء وجها قد أعطاها الله من الحسن والجمال وكرم الخصال ما يعجز عن وصفه اللسان ويشغل قلب كل انسان وكانت فرسان القوم تخشى سطوتها وأبطال ذلك القطر تخاف من هيبتها وحلفت انها لا تتزوج الا من يقهرها وكان

كهرداش

كهرداش من جملة خطابها فقالت لأبيها ما يقربني الا من يقهرني في الميدان وموقف الحرب والطعان فلما بلغ كهرداش هذا القول اختشى أن يقاتل جارية وخاف من العار فقال له بعض خواصه أنت كامل الخصال في الحسن والجمال فلو قاتلتها وكانت أقوى منك فانك تغلبها لانها اذا رأت حسنك وجمالك تنهزم قدامك حتى تملكها لان النساء لهن غرض في الرجال ولا يخفى عنك هذا الحال فابى كهرداش وامتنع من قتالها واستمر على امتناعه من القتال الى أن جرت له مع كان ما كان هذه الافعال فظن انه محبوبته فاتن وقد عشقته لما سمعت بحسنه وشجاعته فتقدم الى كان ما كان وقال ويلك يا فاتن قد أتيت لتريني شجاعتك فانزلي عن جوادك حتى أتحدث معك فاني قد سقت هذه الاموال وقطعت الطريق على الفرسان والابطال كل هذا لحسنك وجمالك الذي ماله مثيل وتزوجيني حتى تخدمك بنات الملوك وتصيري ملكة هذه الاقطار فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صارت نار غيظه في اضطرام وقال ويلك يا كلب الاعجام دع فاتنا ومابه ترتاب وتقدم الى الطعن والضراب فمن قليل تبقى على التراب ثم جال وصال وطلب الحرب والنزال فلما نظر كهرداش اليه علم انه فارس همام وبطل مصدام وتبين له خطا ظنه حيث لاح له عذار أخضر فوق خده كآس نبت خلال ورد أحمر وقال للذين معه ويلكم ليحمل واحد منكم عليه ويظهر له السيف البتار والرمح الخطار واعلموا أن قتال الجماعة للواحد عار ولو كان في سنان رمحه شعلة نار فعند ذلك حمل عليه فارس تحته جواد أدهم بتحجيل وغرة كالدرهم يحير العقل والناظر كما قال فيه الشاعر

قد جاءك المهر الذي نزل الوغى * جذلان يخلط أرضه بسمائه

وكأنما لطم الصباح جبينه * واقتص منه فخاض في أحشائه

ثم ان ذلك الفارس حمل على كان ما كان وتجاولا في الحرب برهة من الزمان وتضاربا ضربا يحير الافكار ويعشي الابصار فسبقه كان ما كان بضربة بطل شجاع قطعت منه العمامة والمغفر فمال عن الجواد كانه البعير اذا انحدر وحمل عليه الثاني والثالث والرابع والخامس ففعل بهم كالاول ثم حمل عليه الباقون وقد اشتد بهم القلق وزادت الحرق فما كان الا ساعة حتى التقطهم بسنان رمحه فنظر كهرداش الى هذا الحال فخاف من الارتحال وعرف من نفسه أن عنده ثبات الجنان واعتقد انه أوحد الابطال والفرسان فقال لكان ما كان قد وهبت لك دمك ودم أصحابي فخذ من المال ما شئت واذهب الى حال سبيلك فقد رحمتك لحسن ثباتك والحياة أولى بك فقال له كان ما كان لاعدمت مروءة الكرام ولكن اترك عنك هذا الكلام وفز بنفسك ولا تخش الملام ولا تطمع نفسك في رد الغنيمة واسلك لنجاة نفسك طريقة مستقيمة

فعند ذلك اشتد بكهرداش الغضب وحصل عنده ما يوجب العطب فقال لكان ما كان ويلك لو عرفت من أنا ما نطقت بهذا الكلام فى حومة الزحام فاسأل عنى فأنا الاسد البطاش المعروف بكهرداش الذى نهب الملوك الكبار وقطع الطريق على جميع السفار وأخذ أموال التجار وهذا الحصان الذى تحتك طلبتى وأريد أن تعرفنى كيف وصلت اليه حتى استوليت عليه فقال اعلم أن هذا الجواد كان سائرا الى عمى الملك ساسان تحت عجوز كبيرة ولاعنده هاثار من جهة جدى الملك عمر النعمان وعمى الملك شركان فقال كهرداش ويلك ومن أبوك لاأم لك فقال اعلم انى كان ما كان بن ضوء المكان بن عمر النعمان فلما سمع كهرداش هذا الخطاب قال لايستنكر عليك الكمال والجمع بين الفروسية والجمال ثم قال له توجه بأمان فان أباك كان صاحب فضل واحسان فقال له كان ما كان أنا والله ما أوقرك يامهان فاغتاظ البدوى ثم حمل كل منهما على صاحبه فسدت لهما الخيل آذانها ورفعت أذنابها ولم يزالا يصطدمان حتى ظن كل منهما أن السماء قد انشقت ثم بعد ذلك تقاتلا كتقاتل الكباش النطاح واختلفت بينهما طعنات الرماح فحاوله كهرداش بطعنة فزاغ عنها كان ما كان ثم كر عليه وطعنه فى صدره فاطلع السنان من ظهره وجمع الخيل والاسلاب وصاح فى العبيد دونكم والسوق الشديد فنزل عند ذلك صباح وجاء الى كان ما كان وقال له أحسنت يافارس الزمان انى دعوت لك وقد استجاب ربى دعائى ثم ان صباحا قطع رأس كهرداش فضحك كان ما كان وقال له ويلك ياصباح كنت أظن أنك فارس الحرب والكفاح فقال له لاتنس عبدك من هذه الغنيمة لعلى أصل بسببها الى زواج بنت عمى نجمة فقال له لابد لك فيها من نصيب ولكن كن محافظا على الغنيمة والعبيد ثم ان كان ما كان سار متوجها الى الديار ولم يزل سائرا بالليل والنهار حتى أشرف على مدينة بغداد وعلمت به جميع الاجناد ورأوا ما معه من الغنيمة والاموال ورأس كهرداش على رمح صباح وعرف التجار رأس كهرداش ففرحوا وقالوا لقد أراح الله الخلق منه لانه كان قاطع الطريق وتعجبوا من قتله وعن القاتل له وأتت أهل بغداد الى كان ما كان بما جرى من الاخبار فهابته جميع الرجال وخافته الفرسان والابطال وساق ما معه الى أن أوصله تحت القصر وركز الرمح الذى عليه رأس كهرداش الى باب القصر ووهب للناس وأعطاهم الخيل والجمال فأحبه أهل بغداد ومالت اليه القلوب ثم أقبل على صباح وأنزله فى بعض الاماكن الفساح ثم دخل على أمه وأخبرها بما جرى له فى سفره وقد وصل الى الملك خبره فقام من مجلسه واختلى بخواصه وقال لهم اعلموا انى أريد ان أبوح لكم بسرى وأبدى لكم مكنون أمرى اعلموا ان كان ما كان هو الذى يكون سببا لانقلاعنا من هذه الاوطان لانه قتل كهرداش مع أن له قبائل من الاكراد والاتراك وأمرنا معه آيل الى الهلاك

واكثر

وأكثر خوفنا من أقاربه وقد علمتم بما فعل الوزير دندان فانه جحد معروفى بعد الاحسان وخانني فى الايمان وبلغنى انه جمع عساكر البلدان وقصد ان يسلطن كان ما كان لان السلطنة كانت لابيه وجده ولا شك انه قاتلي بلا محالة فلما سمع خواص مملكته منه هذا الكلام قالوا له أيها الملك انه أقل من ذلك ولولا اننا علمنا بأنه تربيتك لم يقبل عليه منا أحد واعلم اننا بين يديك ان شئت قتله قتلناه وان شئت بعده أبعدناه فلما سمع كلامهم قال ان قتله هو الصواب ولكن لابد من أخذ الميثاق فتحالفوا على انهم لابد أن يقتلوا كان ما كان فاذا أتى الوزير دندان وسمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه فلما أعطوه العهد والميثاق على ذلك أكرمهم غاية الاكرام ثم دخل بيته وقد تفرق عنه الرؤساء وامتنعت العساكر من الركوب والنزول حتى يبصروا ما يكون لانهم رأوا غالب العسكر مع الوزير دندان ثم ان ذلك الخبر وصل الى قضى فكان لها حصل عندها غم زائد وأرسلت الى العجوز التى عادتها أن تأتيها من عند ابن عمها بالاخبار فلما حضرت عندها أمرتها أن تذهب اليه وتخبره بالخبر فلما وصلت اليه العجوز سلمت عليه ففرح بها وأخبرته بالخبر فلما سمع ذلك قال بلغى بنت عمى سلامى وقولى لها ان الارض لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده وما أحسن قول القائل

الملك لله من يظفر بنيل منى * يردده قهرا ويضمن عنده الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة * من التراب لكان الامر مشتركا

فرجعت العجوز الى بنت عمه وأخبرتها بما قاله وأعلمتها بأن كان ما كان أقام فى المدينة ثم ان الملك ساسان صار ينتظر خروجه من بغداد ليرسل وراءه من يقتله فاتفق انه خرج الى الصيد والقنص وخرج صباح معه لانه كان لا يفارقه ليلا ولا نهارا فاصطاد عشر غزالات وفيهن غزالة كحلاء العيون صارت تتلفت يمينا وشمالا فأطلقها فقال له صباح لاى شئ أطلقت هذه الغزالة فضحك كان ما كان وأطلق الباقى وقال له ان من المروءة اطلاق الغزالات التى لها أولاد وما تتلفت تلك الغزالة الالان لها أولادا فأطلقتها وأطلقت الباقى فى كرامتها فقال له صباح اطلقنى حتى أروح الى أهلى فضحك وضربه بعقب الرمح على قلبه فوقع على الارض يلتوى كالثعبان فبينما هما كذلك واذا بغبرة ثائرة وخيل تركض وبان من تحتها فرسان وشجعان وسبب ذلك ان الملك ساسان أخبره جماعة ان كان ما كان خرج الى الصيد والقنص فأرسل أميرا من الديلم يقال له جامع ومعه عشرون فارسا ودفع لهم المال ثم أمرهم أن يقتلوا كان ما كان فلما قربوا منه حملوا عليه وحمل عليهم فقتلهم عن آخرهم واذا بالملك ساسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين فتعجب ورجع واذا بأهاليهم قبضوا عليه وشدوا وثاقه ثم ان كان ما كان توجه بعد ذلك من ذلك

المكان وتوجه معه صباح البدوى فبينما هو سائر اذ رأى فى طريقه شابا على باب دار فالتى كان
ما كان عليه السلام فرد الشاب عليه السلام ثم دخل الدار وخرج ومعه قصعتان احداهما فيها لبن
والثانية فيها ثريد والسمن فى جوانبها يموج ووضع القصعتين قدام كان ما كان وقال له تفضل
علينا بالاكل من زادنا فامتنع كان ما كان من الاكل فقال له الشاب مالك أيها الانسان لا تأكل
فقال له كان ما كان انه على نذر فقال له الشاب وما سبب نذرك فقال له كان ما كان اعلم ان الملك
ساسان غصب ملكى ظلما وعدوانا مع ان ذلك الملك كان لابى وجدى من قبلى فاستولى عليه
قهرا بعد موت أبى ولم يعتبرنى لصغر سنى فنذرت انى لا آكل لأحد زادا حتى أشفى فؤادى من
غريمى فقال له الشاب ابشر فقد وفى الله نذرك واعلم انه مسجون فى مكان وأظنه أن يموت قريبا
فقال له كان ما كان فى أى بيت هو معتقل فقال له فى تلك القبة العالية فنظر كان ما كان الى قبة
عالية ورأى الناس فى تلك القبة يدخلون وعلى ساسان يلطمون وهو يتجرع غصص المنون
فقام كان ما كان ومشى حتى وصل الى تلك القبة وعاين ما فيها ثم عاد الى موضعه وقعد على الاكل
وأكل ما تيسر ووضع ما بقى من اللحم فى مزوده ثم جلس فى مكانه ولم يزل جالسا الى أن أظلم الليل
ونام الشاب الذى ضيفه ثم ذهب كان ما كان الى القبة التى فيها ساسان وكان حولها كلاب
يحرسونها فوثب له كلب من الكلاب فرمى له قطعة لحم من الذى فى مزوده ومازال يرمى للكلاب
لحما حتى وصل الى القبة وتوصل الى أن صار عند الملك ساسان ووضع يده على رأسه فقال له بصوت
عال من أنت فقال أنا كان ما كان الذى سعيت فى قتله فاوقعك الله فى سوء تدبيرك أما يكفيك
أخذ ملكى وملك أبى وجدى حتى تسعى فى قتلى فحلف ساسان الايمان الباطلة انه لم يسع فى قتله
وان هذا الكلام غير صحيح فصفح عنه كان ما كان وقال له اتبعنى فقال لا أقدر أن أخطو خطوة
واحدة لضعف قوتى فقال كان ما كان اذا كان الامر كذلك نأخذ لنا فرسين ونركب أنا وأنت
ونطلب البر ثم فعل كما قال وركب هو وساسان وسارا الى الصباح ثم صلوا الصبح وساروا ولم يزالوا
كذلك حتى وصلوا الى بستان فجلسوا فيه يتحدثون ثم قام كان ما كان الى ساسان وقال له هل
بقى فى قلبك منى أمر تكرهه قال ساسان لا والله ثم اتفقوا على انهم يرجعون الى بغداد فقال
صباح البدوى أنا أسبقكما لأبشر الناس فسبق يبشر النساء والرجال فخرجت اليه الناس
بالدفوف والمزامير وبرزت قضى فكان وهى مثل البدر بهى الانوار فى دياجى الاعتكار
فقابلها كان ما كان وحنت الارواح للارواح واشتاقت الاشباح للاشباح
ولم يبق لأهل العصر حديث الا فى كان ما كان وشهد له الفرسان انه أشجع أهل الزمان
وقالوا لا يصح أن يكون سلطانا علينا الا كان ما كان ويعود اليه ملك جده كما كان وأما ساسان

فانه

فانه دخل على نزهة الزمان فقالت له انى أرى الناس ليس لهم حديث الا فى كان ما كان ويصفونه بأوصاف يعجز عنها اللسان فقال لها ليس الخبر كالعيان فانى رأيته ولم أر فيه صفة من صفات الكمال وما كل ما يسمع يقال ولكن الناس يقلد بعضهم بعضا فى مدحه ومحبته وأجرى الله على ألسنة الناس مدحه حتى مالت اليه قلوب أهل بغداد والوزير دندان الغادر الخوان وقد جمع له عساكر من سائر البلدان ومن الذى يكون صاحب الاقطار ويرضى أن يكون تحت يد حاكم يتيم ماله مقدار فقالت له نزهة الزمان وعلى ماذا عولت فقال لها عولت على قتله ويرجع الوزير دندان خائبا فى قصده ويدخل تحت أمرى وطاعتى ولا يبقى له الا خدمتى فقالت نزهة الزمان ان الغدر قبيح بالاجانب فكيف بالاقارب والصواب أن تزوجه ابنتك قضى فكان وتسمع ما قيل فيما مضى من الزمان

اذا رفع الزمان عليك شخصا * وكنت أحق منه ولو تصاعد
أنله حق رتبته تجده * ينيلك ان دنوت وان تباعد
ولا تقل الذى تدريه فيه * تكن ممن عن الحسنى تقاعد
فكم فى الخدر أبهى من عروس * ولكن للعروس الدهر ساعد

فلما سمع ساسان منها هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قام مغضبا من عندها وقال لولا انى أعرف انك تمزحين لعلوت بالسيف رأسك وأخمدت أنفاسك فقالت حيث غضبت منى فأنا أمزح معك ثم وثبت اليه وقبلت رأسه ويديه وقالت له الصواب ما تراه وسوف أدبر أنا وأنت فى حيلة نقتله بها فلما سمع منها هذا الكلام فرح وقال لها عجلى بالحيلة وفرجى كربتى فلقد ضاق على باب الحيل فقالت له سوف أتحيل لك على اتلاف مهجته فقال لها بأى شئ فقالت له بجاريتنا التى اسمها باكون فانها فى المكر ذات فنون وكانت هذه الجارية من أنحس العجائز وعدم الخبث فى مذهبها غير جائز وكانت قد ربت كان ما كان وقضى فكان غير ان كان ما كان يميل اليها كثيرا ومن فرط ميله اليها كان ينام تحت رجليها فلما سمع الملك ساسان من زوجته هذا الكلام قال ان هذا الرأى هو الصواب ثم أحضر الجارية باكون وحدثها بما جرى وأمرها أن تسعى فى قتله ووعدها بكل جميل فقالت له أمرك مطاع ولكن أريد يا مولاى أن تعطينى خنجرا قد سقى بماء الهلاك لأعجل لك باتلافه فقال لها ساسان مرحبا بك ثم أحضر لها خنجرا يكاد أن يسبق القضاء وكانت هذه الجارية قد سمعت الحكايات والاشعار وتحفظ النوادر والاخبار فأخذت الخنجر وخرجت من الديار مفكرة فيما يكون به الدمار وأتت الى كان ما كان وهو قاعد ينتظر وعد السيدة قضى فكان وكان فى تلك الليلة قد تذكر

بنت عمه قضى فكان فالتهبت من حبها فى قلبه النيران فبينما هو كذلك واذا بالجارية بابا كون داخلة عليه وهى تقول آن أوان الوصال ومضت أيام الانفصال فلما سمع ذلك قال لها كيف حال قضى فكان فقالت له يا بابا كون اعلم انها مشتغلة بحبك فعند ذلك قام كان ما كان اليها وخلع أثوابه عليها ووعدها بكل جميل فقالت له اعلم اننى أنام عندك الليلة وأحدثك بما سمعت من الكلام وأسليك بحديث كل متيم أمرضه الغرام فقال لها كان ما كان حدثينى بحديث يفرح به قلبى ويزول به كربى فقالت له يا بابا كون حبا وكرامة ثم جلست الى جانبه وذلك الخنجر من داخل أثوابها فقالت له اعلم ان أعذب ما سمعت اذنى أن رجلا كان يعشق الملاح وصرف عليهن ماله حتى افتقر وصار لا يملك شيأ فضاقت عليه الدنيا فصار يمشى فى الاسواق ويفتش على شئ يقتات به فبينما هو ماش واذا بقطعة مسمار شكته فى أصبعه فسال دمه فقعد ومسح الدم وعصب أصبعه ثم قام وهو يصرخ حتى جاز على الحمام ودخلها ثم قلع ثيابه فلما صار داخل الحمام وجدها نظيفة فجلس على الفسقية ومازال ينزح الماء على رأسه الى أن تعب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه جلس على الفسقية ومازال ينزح الماء على رأسه الى أن تعب فخرج الى الحوض البارد فلم يجد أحدا فاختلى بنفسه وطلع قطعة حشيش وبلعها فساحت فى مخه فانقلب على الرخام وخيل له الحشيش أن مهتارا كبيرا يكبسه وعبدين واقفان على رأسه واحد معه الطاسة والآخر معه آلة الحمام وما يحتاج اليه البلان فلما رأى ذلك قال فى نفسه كان هؤلاء غلطوا فى أو من طائفتنا الحشاشين ثم انه مد رجليه فتخيل له ان البلان قال له يا سيدى قد أزف الوقت على طلوعك واليوم نوبتك فضحك وقال فى نفسه ما شاء الله يا حشيش ثم قعد وهو ساكت فقام البلان وأخذ بيده وأدار على وسطه مئزرا من الحرير الاسود ومشى العبدان وراءه بالطاسات والحوايج ولم يزالوا به حتى أدخلوه الخلوة وأطلقوا فيها البخور فوجدها ملآنة من سائر الفواكه والمشموم وشقوا له بطيخة وأجلسوه على كرسى من الابنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء ثم دلكوه دلكا جيدا وقالوا له يا مولانا الصاحب نعيم دائم ثم خرجوا وردوا عليه الباب فلما تخيل ذلك قام ورفع المئزر من وسطه وصار يضحك الى أن غشى عليه واستمر ساعة يضحك ثم قال فى نفسه ما بالهم يخاطبوننى خطاب الوزير ويقولون يا مولانا الصاحب ولعل الامر التبس عليهم فى هذه الساعة وبعد ذلك يعرفوننى ويقولون هذا زليط ويشبعون صكا فى رقبتى ثم انه استحمى وفتح الباب فتخيل أن مملوكا صغيرا وطواشيا قد دخلا عليه فالمملوك معه بقجة ففتحها وأخرج

منها

منها ثلاث فوط من الحرير فرمي الاولى على رأسه والاخرى على أكتافه وحزمه بالثالثة وقدم له الطواشي قبقابا فلبسه وأقبلت عليه مماليك وطواشية وصاروا يسندونه وكل ذلك حصل وهو يضحك الى أن خرج وطلع الليوان فوجد فرشا عظيما لا يصلح الا للملوك وتبادرت اليه الغلمان وأجلسوه على المرتبة وصاروا يكبسونه حتى غلب عليه النوم فلما نام رأى في حضنه صبية فباسها ووضعها بين نخذيه وجلس منها مجلس الرجل من المرأة وقبض ذكره بيده وسحبها عنده وعصرها تحته واذا بواحد يقول له انتبه يا زليط قد جاء الظهر وأنت نائم ففتح عينه فوجد روحه على الحوض البارد وحوله جماعة يضحكون عليه وايره قائم والفوطة نحلت من وسطه وتبين له أن كل هذا أضغاث أحلام وتخيلات حشيش فاغتم ونظر الى الذى نبهه وقال كنت اصبر حتى أحطه فقال له الناس أما تستحي يا حشاش وأنت نائم وذكرك قائم وصكوه حتى احمر قفاه وهو جيعان وقد ذاق طعم السعادة وهو في المنام فلما سمع كان ما كان من الجارية هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لبا كون يا دادتى ان هذا حديث عجيب فانى ما سمعت مثل هذه الحكاية فهل عندك غيرها فقالت له نعم ثم ان الجارية با كون لم تزل تحدث كان ما كان بمخارف حكايات ونوادر مضحكات حتى غلب عليه النوم ولم تزل تلك الجارية جالسة عند رأسه حتى مضى غالب الليل فقالت فى نفسها هذا وقت انتهاز الفرصة ثم نهضت وسلت الخنجر ووثبت على كان ما كان وأرادت ذبحه واذا بأم كان ما كان دخلت عليهما فلما رأتها با كون قامت لها واستقبلتها ثم لحقها الخوف فصارت تنتفض كأنها أخذتها الحمى فلما رأتها أم كان ما كان تعجبت ونبهت ولدها من النوم فلما استيقظ وجد أمه جالسة فوق رأسه وكان السبب في حياته مجيئها وسبب مجىء أمه اليه ان قضى فكان سمعت الحديث والاتفاق على قتله فقالت لامه يا زوجة عمى الحق ولدك قبل أن تقتله العاهرة با كون وأخبرتها بما جرى من أوله الى آخره فخرجت وهى لا تعقل شيأ حتى دخلت فى الساعة التى نام فيها وهمت با كون عليه تريد ذبحه فلما استيقظ قال لامه لقد جئت يا أمى فى وقت طيب ودادتى با كون حاضرة عندى فى تلك الليلة ثم انه التفت الى با كون وقال لها بحياتى عليك هل تعرفين حكاية أحسن من الحكايات التى حدثتنى بها فقالت له الجارية وأين ما حدثتك به سابقا مما أحدثك به الآن فانه أعذب وأغرب ولكن أحكيه لك فى غير هذا الوقت ثم قامت با كون وهى لا تصدق بالنجاة فقال لها مع السلامة ولحت بمكرها ان أمه عندها خبر بما حصل فذهبت الى حالها فعند ذلك قالت له والدته يا ولدى هذه ليلة مباركة حيث نجاك الله تعالى من هذه الملعونة فقال لها وكيف ذلك فأخبرته بالامر من أوله الى آخره فقال لها يا والدتى ان الحى ماله قاتل وان قتل لا يموت ولكن الأحوط لنا اننا نرحل

من عند هؤلاء الاعداء والله يفعل ما يريد فلما أصبح الصباح خرج كان ما كان من المدينة واجتمع بالوزير دندان وبعد خروجه حصلت أمور بين الملك ساسان ونزهة الزمان أوجبت خروج نزهة الزمان أيضا من المدينة فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع أرباب دولة الملك ساسان الذين يميلون اليهم فجلسوا يدبرون الحيلة فأجمع رأيهم على غزو ملك الروم وأخذ الثار ثم توجهوا الى غزو ملك الروم ووقعوا في أسر الملك رومزان ملك الروم بعد أمور يطول شرحها كما يظهر من السياق فلما أصبح الصباح أمر الملك رومزان أن يحضر كان ما كان والوزير دندان وجماعتهما فحضروا بين يديه وأجلسهم بجانبه وأمر باحضار الموائد فأحضرت فأكلوا وشربوا واطمأنوا بعد أن أيقنوا بالموت لما أمر باحضارهم وقالوا لبعضهم انه ما أرسل الينا الا لانه يريد قتلنا وبعد ان اطمأنوا قال لهم الملك انى رأيت مناما وقصصته على الرهبان فقالوا ما يفسره لك الا الوزير دندان فقال له الوزير خيرا رأيت يا ملك الزمان فقال له أيها الوزير رأيت انى في حفرة على صفة بئر أسود وكأن أقواما يعذبوننى فأردت القيام فلما نهضت وقعت على أقدامى وما قدرت على الخروج من تلك الحفرة ثم التفت فرأيت فيها منطقة من ذهب فمددت يدى لآخذها فلما رفعتها من الارض رأيتها منطقتين فشددت وسطى بهما فاذا هما قد صارتا منطقة واحدة وهذا أيها الوزير منامى والذى رأيته في لذيذ أحلامى فقال له الوزير دندان اعلم يا مولانا السلطان ان رؤياك تدل على ان لك أخا أو ابن أخ أو ابن عم أو أحدا يكون من أهلك من دمك ولحمك وعلى كل حال هو من العصب فلما سمع الملك هذا الكلام نظر الى كان ما كان ونزهة الزمان وقضى فكان والوزير دندان ومن معهم من الاسارى وقال في نفسه اذا رميت رقاب هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاك أصحابهم ورجعت الى بلادى عن قريب لئلا يخرج الملك من يدى ولما صمم على ذلك استدعى بالسياف وأمره أن يضرب رقبة كان ما كان من وقته وساعته واذا بداية الملك قد أقبلت في تلك الساعة فقالت له أيها الملك السعيد على ماذا عولت فقال لها عولت على قتل هؤلاء الاسارى الذين في قبضتى وبعد ذلك أرمى رؤسهم الى أصحابهم ثم أحمل أنا وأصحابى عليهم حملة واحدة فنقتل الذى نقتله ونهزم الباقى وتكون هذه وقعة الانفصال وارجع الى بلادى عن قريب قبل أن يحدث بعد الامور أمور في مملكتى فعندما سمعت منه دايته هذا الكلام أقبلت عليه وقالت له بلسان الافرنج كيف يطيب عليك أن تقتل ابن أختك وأختك وابنة أختك فلما سمع الملك من دايته هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وقال لها يا ملعونة ألم تعلمى أن أمى قد قتلت وان أبى قد سقى مسموما واعطيتنى خرزة وقلت لى ان هذه الخرزة كانت لابيك فلم لا تصدقيننى في الحديث فقالت له كل ما أخبرتك

به

به صدق ولكن شأنى وشأنك عجيب وأمرى وأمرك غريب فانى أنا اسمى مرجانة واسم أمك ابريزة وكانت ذات حسن وجمال وشجاعتها تضرب بها الامثال واشتهرت بالشجاعة بين الابطال وأما أبوك فانه الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان من غير شك ولا ريب ولا رجم غيب وكان قد أرسل ولده شركان الى بعض غزواته بصحبة هذا الوزير دندان وكان منهم الذى قد كان وكان أخوك الملك شركان تقدم على الجيوش وانفرد وحده عن عسكره فوقع عند أمك الملكة ابريزة فى قصرها ونزلنا واياها فى خلوة للصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة فتصارع مع أمك وغلبته لباهر حسنها وشجاعتها ثم استضافته أمك مدة خمسة أيام فى قصرها فبلغ أباك ذلك الخبر من العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى وكانت أمك قد أسلمت على يد شركان أخيك فأخذها وتوجه بها الى مدينة بغداد سرا وكنت أنا وريحانة وعشرون جارية معها وكنا قد أسلمنا كلنا على يد الملك شركان فلما دخلنا على أبيك الملك عمر النعمان ورأى أمك الملكة ابريزة وقع فى قلبه محبتها فدخل عليها ليلة واختلى بها فحملت بك وكان مع أمك ثلاث خرزات فاعطتها لابيك فأعطى خرزة لابنته نزهة الزمان وأعطى الثانية لاخيك ضوء المكان وأعطى الثالثة لاخيك الملك شركان فأخذتها منه الملكة ابريزة وحفظتها لك فلما قربت ولادتها اشتاقت أمك الى أهلها وأطلعتنى على سرها فاجتمعت بعبد أسود يقال له الغضبان وأخبرته بالخبر سرا ورغبته فى أن يسافر معنا فأخذنا العبد وطلع بنا من المدينة وهرب بنا وكانت أمك قد قربت ولادتها فلما دخلنا على أوائل بلادنا فى مكان منقطع أخذ أمك الطلق بولادتك فحدثت العبد نفسه بالخنا فأتى أمك فلما قرب منها راودها على الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة وانزعجت منه فمن عظم انزعاجها وضعتك حالا وكان فى تلك الساعة قد طلع علينا فى البر من ناحية بلادنا غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار فخشى العبد على نفسه الهلاك فضرب الملكة ابريزة بسيفه فقتلها من شدة غيظه وركب جواده وتوجه الى حال سبيله وبعد ما راح العبد انكشف الغبار عن جدك الملك حردوب ملك الروم فرأى أمك ابنته وهى فى ذلك المكان قتيلة وعلى الارض جديلة فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسألنى عن سبب قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلاد أبيها فحكيت له جميع ذلك من الاول الى الآخر وهذا هو سبب العداوة بين أهل بلاد الروم وبين أهل بلاد بغداد فعند ذلك احتملنا أمك وهى قتيلة ودفناها فى قصرها وقد احتملتك أنا وربيتك وعلقت لك الخرزة التى كانت مع أمك الملكة ابريزة ولما كبرت وبلغت مبلغ الرجال لم يمكننى أن أخبرك بحقيقة الامر لاننى لو أخبرتك بذلك لثارت بينكم الحروب وقد أمرنى جدك بالكتمان ولا قدرة لى على مخالفة أمر جدك الملك حردوب ملك الروم

فهذا سبب كتمان الخبر عنك وعدم اعلامك بأن أباك الملك عمر النعمان فلما استقليت بالمملكة أخبرتك وما أمكنني أن أعلمك الا فى هذا الوقت ياملك الزمان وقد كشفت لك السر والبرهان وهذا ما عندى من الخبر وأنت برأيك أخبر وكان الاسارى قد سمعوا من الجارية مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت نزهة الزمان من وقتها وساعتها صيحة عظيمة وقالت هذا الملك رومزان أخى من أبى عمر النعمان وأمه الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وأنا أعرف هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلما سمع الملك رومزان هذا الكلام أخذته الحدة وصار متحيرا فى أمره وأحضر من وقته وساعته نزهة الزمان بين يديه فلما رآها حن الدم للدم واستخبرها عن قصته فحكت له القصة فوافق كلامها كلام دايته مرجانة فصح عند الملك انه من أهل العراق من غير شك ولا ارتياب وان أباه الملك عمر النعمان فقام من تلك الساعة وحل كتاف أخته نزهة الزمان فتقدمت اليه وقبلت يديه ودمعت عيناها فبكى الملك لبكائها وأخذته حنية الاخوة ومال قلبه الى ابن أخيه السلطان كان ما كان وقام ناهضا على قدميه وأخذ السيف من يد السياف فأيقن الاسارى بالهلاك لما رأوا منه ذلك فأمر باحضارهم بين يديه وفك وثاقهم وقال لدايته مرجانة اشرحى حديثك الذى شرحته لى لهؤلاء الجماعة فقالت دايته مرجانة اعلم أيها الملك ان هذا الشيخ هو الوزير دندان وهو لى أكبر شاهد لانه يعرف حقيقة الامر ثم انها أقبلت عليهم من وقتها وساعتها وعلى من حضرهم من ملوك الروم وملوك الافرنج وحدثتهم بذلك الحديث والملكة نزهة الزمان والوزير دندان ومن معهما من الاسارى يصدقونها على ذلك وفى آخر الحديث لاحت من الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين اللتين كانتا مع الملكة ابريزة فى رقبة السلطان كان ما كان فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء وقالت للملك ياولدى اعلم انه قد زاد فى تلك الساعة صدق يقينى لان هذه الخرزة التى فى رقبة هذا الاسير نظير الخرزة التى وضعتها فى عنقك وهى رفيقتها وهذا الاسير هو ابن أخيك وهو كان ما كان ثم ان الجارية مرجانة التفتت الى كان ما كان وقالت له أرنى هذه الخرزة ياملك الزمان فنزعها من عنقه وناولها لتلك الجارية داية الملك رومزان فأخذتها منه ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة الثالثة فاعطتها لها فلما صارت الخرزتان فى يد الجارية ناولتهما للملك رومزان فظهر له الحق والبرهان وتحقق انه عم السلطان كان ما كان وان أباه الملك عمر النعمان فقام من وقته وساعته الى الوزير دندان وعانقه ثم عانق الملك كان ما كان وعلا الصياح بكثرة الافراح وفى تلك الساعة انتشرت البشائر ودقت الكاسات والطبول وزمرت الزمور وزادت الافراح وسمع عساكر العراق والشام ضجيج الروم بالافراح فركبوا عن آخرهم وركب الملك

الزبلكان

الزبلكان وقال فى نفسه يا ترى ما سبب هذا الصياح والسرور الذى فى عسكر الافرنج والروم وأما عسكر العراق فانهم قد أقبلوا وعلى القتال عولوا وصاروا فى الميدان ومقام الحرب والطعان فالتفت الملك رومزان فرأى العساكر مقبلين وللحرب متهيئين فسأل عن سبب ذلك فأخبروه بالخبر فأمر قضى فكان ابنة أخيه شركان أن تسير من وقتها وساعتها الى عسكر الشام والعراق وتعلمهم بحصول الاتفاق وان الملك رومزان ظهر انه عم السلطان كان ما كان فسارت قضى فكان بنفسها ونفت عنها الشرور والاحزان حتى وصلت الى الملك الزبلكان وسلمت عليه وأعلمته بما جرى من الاتفاق وان الملك رومزان ظهر انه عمها وعم كان ما كان وحين أقبلت عليه وجدته باكى العين خائفا على الامراء والاعيان فشرحت له القصة من أولها الى آخرها فزادت أفراحهم وزالت أتراحهم وركب الملك الزبلكان هو وجميع الاكابر والاعيان وسارت قدامهم الملكة قضى فكان حتى أوصلتهم الى سرادق الملك رومزان فلما دخلوا عليه وجدوه جالسا مع ابن أخيه السلطان كان ما كان وقد استشاره هو والوزير دندان فى أمر الملك الزبلكان فاتفقوا على انهم يسلمون اليه مدينة دمشق الشام ويتركونه ملكا عليها كما كان مثل العادة وهم يدخلون الى العراق فجعلوا الملك الزبلكان عاملا على دمشق الشام ثم أمروه بالتوجه اليها فتوجه بعساكره اليها ومشوا معه ساعة لاجل الوداع وبعد ذلك رجعوا الى مكانهم ثم نادوا فى العسكر بالرحيل الى بلاد العراق واجتمع العسكران مع بعضهم ثم ان الملوك قالوا لبعضهم ما بقيت قلوبنا تستريح ولا يشفى غيظنا الا بأخذ الثار وكشف العار بالانتقام من العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى فعند ذلك سار الملك رومزان مع خواصه وأرباب دولته وفرح السلطان كان ما كان بعمه الملك رومزان ودعا للجارية مرجانة حيث عرفتهم ببعضهم ثم ساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى أرضهم فسمع بهم الحاجب الكبير ساسان فطلع وقبل يد الملك رومزان فخلع عليه ثم ان الملك رومزان جلس وأجلس ابن أخيه السلطان كان ما كان الى جانبه فقال كان ما كان لعمه الملك رومزان يا عم ما يصلح هذا الملك الا لك فقال له معاذ الله ان أعارضك فى ملكك فعند ذلك أشار عليهما الوزير دندان أن يكون الاثنان فى الملك سواء وكل واحد يحكم يوما فارتضيا بذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد انهما اتفقا على أن كل واحد يحكم يوما ثم أولموا الولائم وذبحوا الذبائح وزادت بهم الافراح وأقاموا على ذلك مدة من الزمان كل ذلك والسلطان كان ما كان يقطع ليله مع بنت عمه قضى فكان وبعد تلك المدة بينما هم قاعدون فرحون بهذا الامر واصلاح الشان اذ ظهر لهم غبار قد علا وطار حتى

سد الاقطار وقد أتى اليهم من التجار صارخ يستغيث وهو يصيح ويقول ياملوك الزمان كيف أسلم فى بلاد الكفر وانهب فى بلادكم وهى بلاد العدل والامان فاقبل عليه الملك رومزان وسأله عن حاله فقال له أنا تاجر من التجار ولى غائبا عن الاوطان مدة مديدة من الزمان واستغرقت فى البلاد نحو عشرين سنة من الاعوام وان معى كتابا من مدينة دمشق كان قد كتبه لى المرحوم الملك شركان وسبب ذلك اننى كنت قد أهديت اليه جارية فلما قربت من تلك البلاد وكان معى مائة حمل من تحف الهند وأتيت بها الى بغداد التى هى حرمكم ومحل أمنكم وعدلكم خرجت علينا عربان ومعهم أكراد مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا رجالى ونهبوا أموالى وهذا شرح حالى ثم ان التاجر بكى بين يدى الملك رومزان وحوقل واشتكى فرحمه الملك ورق اليه وكذلك رحمه ابن أخيه الملك كان ما كان وحلفوا انهم يخرجون اليهم فخرجوا اليهم فى مائة فارس كل فارس منهم يعد بين الرجال بالوف وذلك التاجر سار امامهم يدلهم على الطريق ولم يزالوا سائرين ذلك النهار وطول الليل الى السحر حتى أشرفوا على واد غزير الانهار كثير الاشجار فوجدوا القوم قد تفرقوا فى ذلك الوادى وقسموا بينهم أحمال ذلك التاجر وبقى البعض فاطبق عليهم المائة فارس وأحاطوا بهم من كل مكان وصاح عليهم الملك رومزان هو وابن أخيه كان ما كان فما كان غير ساعة حتى أسروا الجميع وكانوا نحو ثلثمائة فارس مجتمعين من أوباش العربان فلما أسروهم أخذوا ما معهم من مال التاجر وشدوا وثاقهم وطلعوا بهم الى مدينة بغداد فعند ذلك جلس الملك رومزان هو وابن أخيه الملك كان ما كان على تخت واحد مع بعضهما ثم عرضوا الجميع بين أيديهما وسألاهم عن حالهم وعن كبارهم فقالوا مالنا كبار غير ثلاثة أشخاص وهم الذين جمعونا من سائر النواحى والاقطار فقالا لهم ميزوهم لنا باعيانهم فميزوهم لهما فامرا بالقبض عليهم واطلاق بقية أصحابهم بعد أخذ جميع ما معهم من الاموال وتسليمه للتاجر فتفقد التاجر قماشه وماله فوجده قد هلك ربعه فوعدوه انهم يعوضون له جميع ماضاع منه فعند ذلك أخرج التاجر كتابين أحدهما بخط شركان والآخر بخط نزهة الزمان وقد كان التاجر اشترى نزهة الزمان من البدوى وهى بكر وقدمها لاخيها شركان وجرى بينها وبين أخيها ماجرى ثم ان الملك كان ما كان وقف على الكتابين وعرف خط عمه شركان وسمع حكاية عمته نزهة الزمان فدخل عليها بذلك الكتاب الثانى الذى كانت كتبته للتاجر الذى ضاع منه المال وأخبرها كان ما كان بقصة التاجر من أولها الى آخرها فعرفته نزهة الزمان وعرفت خطها وأخرجت للتاجر الضيافات ووصت عليه أخاها الملك رومزان وابن أخيها الملك كان ما كان فامر له باموال وعبيد وغلمان من أجل خدمته وأرسلت اليه نزهة الزمان مائة

الف

ألف درهم من المال وخمسين حملا من البضائع وقد أتحفته بهدايا وأرسلت اليه تطلبه فلما حضر طلعت له وسلمت عليه وأعلمته انها بنت الملك عمر النعمان وأن أخاها الملك رومزان وابن أخيها الملك كان ما كان ففرح التاجر بذلك فرحا شديدا وهناها بسلامتها واجتماعها باخيها وابن أخيها وقبل يديها وشكرها على فعلها وقال لها والله ما ضاع الجميل معك ثم دخلت الى خدرها وأقام التاجر عندهم ثلاثة أيام ثم ودعهم ورحل الى بلاد الشام وبعد ذلك احضر الملوك الثلاثة اشخاص اللصوص الذين كانوا رؤساء قطاع الطريق وسألوهم عن حالهم فتقدم واحد منهم وقال اعلموا انى رجل بدوى أقف فى الطريق لاخطف الصغار والبنات الابكار وأبيعهم للتجار ودمت على ذلك مدة من الزمان الى هذه الايام وأغرانى الشيطان فاتفقت مع هذين الشقيين على جمع الاوباش من الاعراب والبلدان لاجل نهب الاموال وقطع الطريق على التجار فقالوا له احك لنا على أعجب ما رأيت فى خطفك الصغار والبنات فقال لهم أعجب ما جرى لى ياملوك الزمان أنى من مدة اثنتين وعشرين سنة خطفت بنتا من بنات بيت المقدس ذات يوم من الايام وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال غير انها كانت خدامة وعليها أثواب خلقة وعلى رأسها قطعة عباءة فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها بحيلة فى تلك الساعة وحملتها على جمل وسقت بها وكان فى أملى انى أذهب بها الى أهلى فى البرية واجعلها عندى ترعى الجمال وتجمع البعر من الوادى فبكت بكاء شديدا فدنوت منها وضربتها ضربا وجيعا وأخذتها الى مدينة دمشق فرآها معى تاجر فتحير عقله لما رآها وأعجبته فصاحتها وأراد اشتراءها منى ولم يزل يزيدنى فى ثمنها حتى بعتها له بمائة ألف درهم فعندما أعطيتها له رأيت منها فصاحة عظيمة وبلغنى ان التاجر كساها كسوة مليحة وقدمها الى الملك صاحب دمشق فاعطاه قدر المبلغ الذى دفعه الى مرتين وهذا ياملوك الزمان أعجب ما جرى لى ولعمرى ان ذلك لثمن قليل فى تلك البنت فلما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا ولما سمعت نزهة الزمان من البدوى ما حكاه صار الضياء فى وجهها ظلاما وصاحت وقالت لاخيها رومزان ان هذا البدوى الذى كان خطفنى من بيت المقدس بعينه من غير شك ثم ان نزهة الزمان حكت لهم جميع ما جرى لها معه فى غربتها من الشدائد والضرب والجوع والذل والهوان ثم قالت لهم الآن حل لى قتله ثم جذبت السيف وقامت الى البدوى لتقتله واذا هو صاح وقال ياملوك الزمان لاتدعوها تقتلنى حتى أحكى لكم ما جرى لى من العجائب فقال لها ابن أخيها كان ما كان ياعمتى دعيه يحكى لنا حكاية وبعد ذلك فافعلى ما تريدين فرجعت عنه فقال له الملوك الآن احك لنا حكاية فقال ياملوك الزمان ان حكيت لكم حكاية عجيبة تعفوا عنى قالوا نعم فابتدأ البدوى يحدثهم باعجب ما وقع له وقال اعلموا انى من مدة

يسيرة أرقت ليلة أرقا شديدا وماصدقت ان الصباح يصبح فلما أصبح الصباح قمت من وقتي وساعتي وتقلدت بسيفي وركبت جوادي واعتقلت رمحي وخرجت اريد الصيد والقنص فواجهني جماعة في الطريق فسألوني عن قصدي فاخبرتهم به فقالوا ونحن رفقاؤك فنزلنا كلنا مع بعضنا فبينما نحن سائرون واذا بنعامة ظهرت لنا فقصدناها ففرت من بين أيدينا وهي فاتحة أجنحتها ولم تزل شاردة ونحن خلفها الى الظهر حتى رمتنا في برية لا نبات فيها ولا ماء ولم نسمع فيها غير صفير الحيات وزعيق الجان وصريخ الغيلان فلما وصلنا الى ذلك المكان غابت عنا فلم ندر أفي السماء طارت أم في الارض غارت فرددنا رؤس الخيل وأردنا الرواح ثم رأينا أن الرجوع في هذا الوقت الشديد الحر لا خير فيه ولا اصلاح وقد اشتد علينا الحر وعطشنا عطشا شديدا ووقفت خيولنا فايقنا بالموت فبينما نحن كذلك اذ نظرنا من بعيد مرجا أفيح فيه غزلان تمرح وهناك خيمة مضروبة وفي جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز فانتعشت نفوسنا من بعد اليأس ورددنا رؤس خيلنا نحو تلك الخيمة نطلب ذلك المرج والماء وتوجه اليه جميع أصحابي وأنا في أولهم ولم نزل سائرين حتى وصلنا الى ذلك المرج فوقفنا على عين وشربنا وسقينا خيلنا فأخذتني حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء فرأيت فيه شابا لا نبات بعارضيه وهو كأنه هلال وعن يمينه جارية هيفاء كأنها قضيب بان فلما نظرت اليها وقعت محبتها في قلبي فسلمت على ذلك الشاب فرد علي السلام فقلت يا أخا العرب اخبرني من أنت وما تكون لك تلك الجارية التي عندك فأطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه وقال أخبرني من أنت وما الخيل التي معك فقلت أنا حماد بن الفزاري الفارس الموصوف الذي أعد بين العرب بخمسمائة فارس ونحن خرجنا من محلنا نريد الصيد والقنص فأدركنا العطش فقصدت أنا باب تلك الخيمة لعلي أجد عندكم شربة ماء فلما سمع مني ذلك الكلام التفت الى جارية مليحة وقال ائتي الى هذا الرجل بالماء وما حصل من الطعام فقامت الجارية تسحب أذيالها والحجول الذهب تشخشخ في رجليها وهي تتعثر في شعرها وغابت قليلا ثم أقبلت وفي يدها اليمنى اناء من فضة مملوء ماء باردا وفي يدها اليسرى قدح ملآن تمرا ولبنا وما حضر من لحم الوحوش فما استطعت ان آخذ من الجارية طعاما ولا شرابا من شدة محبتي لها فتمثلت بهذين البيتين وقلت

كأن الخضاب على كفها * غراب على ثلجة واقف

ترى الشمس والبدر من وجهها * قريبين خاف وذا خائف

ثم قلت للشاب بعد ان أكلت وشربت يا وجه العرب اعلم اني أوقفتك على حقيقة خبري وأريد أن تخبرني بحالك وتوقفني على حقيقة خبرك فقال الشاب أما هذه الجارية فهي أختي فقلت

أريد أن تزوجني بها طوعا والا أقتلك وآخذها غصبا فعند ذلك أطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع بصره الى وقال لى لقد صدقت فى دعواك انك فارس معروف و بطل موصوف وانك أسد البيداء ولكن ان هجمتم على غدرا وقتلتمونى قهرا وأخذتم اختى فان هذا يكون عارا عليكم وان كنتم على ماذكرتم من انكم فرسان تعدون من الابطال ولا تبالون بالحرب والنزال فأمهلونى قليلا حتى ألبس آلة حربى وأتقلد بسيفى واعتقل رمحى واركب فرسى وأصير أنا واياكم فى ميدان الحرب فان ظفرت بكم أقتلكم عن آخركم وان ظفرتم بى وقتلتمونى فهذه الجارية أختى لكم فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له ان هذا هو الانصاف وما عندنا خلاف ثم رددت رأس جوادى الى خلفى وقد زاد بى الجنون فى محبة تلك الجارية ورجعت الى أصحابى ووصفت لهم حسنها وجمالها وحسن الشاب الذى عندها وشجاعته وقوة جنانه وكيف انه ذكر انه يصادم ألف فارس ثم أعلمت أصحابى بجميع ما فى الخباء من الاموال والتحف وقلت لهم اعلموا ان هذا الشاب ما هو منقطع فى تلك الارض الا لكونه ذا شجاعة عظيمة وأنا أوصيكم ان كل من قتل هذا الغلام يأخذ اخته فقالوا رضينا بذلك ثم ان أصحابى لبسوا آلة حربهم وركبوا خيلهم وقصدوا الغلام فوجدوه قد لبس آلة حربه وركب جواده ووثبت اليه أخته وتعلقت بركابه و بلت برقعها بدموعها وهى تنادى بالويل والثبور من خوفها على أخيها وتنشد هذه الابيات

الى الله أشكو محنة وكآبة * لعل اله العرش يرهقهم رعبا
يريدون قتلا يا أخى تعمدا * ولا شئ من قبل القتال ولا ذنبا
وقد عرفت ذا الخيل انك فارس * واشجع من حل المشارق والغربا
تحامى عن الاخت التى قل عزمها * فانت أخوها وهى تدعو لك الربا
فلا تترك الاعداء تملك مهجتى * وتأخذنى قهرا وتأسرنى غصبا
ولست وحق الله أبقى ببلدة * اذا لم تكن فيها وان ملئت خصبا
واقتل نفسى فى هواك محبة * واسكن لحدا فيه أفترش التربا

فلما سمع أخوها شعرها بكى بكاء شديدا ورد رأس جواده الى أخته وأجابها عن شعرها بقوله

قفى وانظرى منى وقوع عجائب * اذا ما التقينا حين أثخنهم ضربا
وان برز الليث المقدم فيهم * وأشجعهم قلبا وأثبتهم لبا
سأسقيه منى ضربة ثعلبية * واترك فيه الرمح يستغرق الكعبا
وان لم أقاتل عنك أختى فليتنى * قتيل وليت الطير تنهبنى نهبا

اقاتل عنك ما استطعت تكرما * وهذا حديث بعدنا يملأ الكتبا

فلما افرغ من شعره قال يا اختي اسمعي ما أقوله لك وما أوصيك به فقالت له سمعا وطاعة فقال لها ان هلكت فلا تمكني أحدا من نفسك فعند ذلك لطمت على وجهها وقالت معاذ الله يا أخي ان أراك صريعا وأمكن الاعداء مني فعند ذلك مد الغلام يده اليها وكشف برقعها عن وجهها فلاحت لنا صورتها كالشمس من تحت الغمام فقبلها بين عينيها وودعها و بعد ذلك التفت الينا وقال لنا يا فرسان هل أنتم ضيفان أو تريدون الضرب والطعان فان كنتم ضيفانا فأبشروا بالقرى وان كنتم تريدون القمر الزاهر فليبرز لي منكم فارس بعد فارس في هذا الميدان ومقام الحرب والطعان فعند ذلك برز اليه شجاع فقال له الشاب ما اسمك وما اسم أبيك فاني حالف اني ما أقتل من اسمه موافق لاسمي واسم أبيه موافق لاسم أبي فان كنت بهذا الوصف فقد سلمت اليك الجارية فقال له الفارس اسمي بلال فأجابه الشاب بقوله

كذبت في قولك من بلال * وجئت بالزور وبالمحال

ان كنت شهما فاستمع مقالي * مجندل الابطال في المجال

وصارم ماض كمثل الهلال * فاصبر لطعن مرجف الجبال

ثم حملا على بعضهما فطعنه الشاب في صدره فخرج السنان من ظهره ثم برز اليه واحد فقال الشاب

يا أيها الكلب رخيم الرجس * فاين غال سعره من بخس

وانما الليث الكريم الجنس * من لم يبال في الوغى بنفس

ثم لم يمهله الشاب دون أن تركه غريقا في دمه ثم نادى الشاب هل من مبارز فبرز اليه واحد فانطلق على الشاب وجعل يقول

اليك أقبلت وفي قلبي لهب * منه أنادي عند صحبي بالحرب

لما قتلت اليوم سادات العرب * فاليوم لا تلقى فكاكا من طلب

فلما سمع الشاب كلامه أجابه بقوله

كذبت بئس أنت من شيطان * قد جئت بالزور وبالبهتان

اليوم تلقى فاتك السنان * في موقف الحرب وفي الطعان

ثم طعنه في صدره فطلع السنان من ظهره ثم قال هل من مبارز فخرج اليه الرابع وسأله الشاب عن اسمه فقال له الفارس اسمي هلال فأنشد يقول

أخطأت اذ أردت خوض بحري * وجئت بالزور وكل الامر

أنا الذي تسمع مني شعري * اختلس النفس ولست تدري

ثم

ثم حملا على بعضهما واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هي السابقة الى الفارس فقتله وصار كل من نزل اليه يقتله فلما نظرت أصحابي قد قتلوا قلت في نفسي ان نزلت اليه في الحرب لم أطقه وان هربت أبقى معيرة بين العرب فلم يمهلني الشاب دون أن انقض علي وجذبني بيده فأطاحني من سرجي فوقعت مغشيا علي ورفع سيفه وأراد أن يضرب عنقي فتعلقت باذياله فحملني بكفه فصرت معه كالعصفور فلما رأت ذلك الجارية فرحت بفعل أخيها وأقبلت عليه وقبلته بين عينيه ثم انه سلمني الى أخته وقال لها دونك واياه وأحسني مثواه لانه دخل في زمامنا فقبضت الجارية على أطواق درعي وصارت تقودني كما تقود الكلب وفكت عن أخيها لامة الحرب وألبسته بدلة ونصبت له كرسيا من العاج فجلس عليه وقالت له بيض الله عرضك وجعلك عدة للنائبات فاجابها بهذه الابيات

تقول وقد رأت في الحرب اختي * لوامع غرتي مثل الشعاع
ألا لله درك من شجاع * تذل لحربه أسد البقاع
فقلت لها سلي الابطال عني * اذا ما فر أرباب القراع
أنا المعروف في سعدي وجدي * وعزمي قد علا أي ارتفاع
أيا حماد قد نازلت ليثا * يريك الموت يسعى كالافاعي

فلما سمعت شعره حرت في أمري ونظرت الى حالتي وما صرت اليه من الأسر وتصاغرت الى نفسي ثم نظرت الى الجارية أخت الشاب والى حسنها فقلت في نفسي هذه سبب الفتنة وصرت أتعجب من جمالها وأجريت العبرات وأنشدت هذه الابيات

خليلي كف عن لومي وعذلي * فاني للملامة غير واع
كلفت بغادة لما تبدت * دعتني في محبتها الدواعي
أخوها في الهوى أمسى رقيبي * وصاحب همة وطويل باع

ثم ان الجارية أحضرت لأخيها الطعام فدعاني الى الاكل معه ففرحت وأمنت على نفسي من القتل ولما فرغ أخوها من الاكل أحضرت له آنية المدام ثم ان الشاب أقبل على المدام وشرب حتى شعشع الشراب في رأسه واحمر وجهه فالتفت الي وقال لي ويلك يا حماد أنا عباد بن تميم بن ثعلبة ان الله وهب لك نفسك وأبقى عليك عرسك ثم حياني بقدح شربته وحياني بثان وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمني وحلفني اني لا أخونه فحلفت له ألفا وخمسمائة يمين اني لا أخونه قط بل أكون له معينا فعند ذلك أمر أخته أن تأتيني بعشر خلع من الحرير فهذه بدلة منها على جسدي وأمرها أن تأتيني بناقة من أحسن النياق فأتتني بناقة محملة من التحف والزاد وأمرها أيضا أن تحضر لي

الحصان الاشقر فاحضرته لى ثم وهب لى جميع ذلك واقمت عندهم ثلاثة أيام فى أكل وشرب والذى قد أعطاه لى موجود عندى الى الآن و بعد الثلاثة أيام قال لى يا أخى يا حماد أريد أن أنام قليلا لأريح نفسى وقد استأمنتك على نفسى فان رأيت خيلا ثائرة فلا تفزع منها واعلم انهم من بنى ثعلبة يطلبون حربى ثم توسد سيفه تحت رأسه ونام فلما استغرق فى النوم وسوس الى ابليس بقتله فقمت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة أطاحت رأسه عن جثته فعلمت بى أخته فوثبت من جانب الخباء و رمت نفسها على أخيها وشقت ما عليها من الثياب وأنشدت هذه الابيات

الى الاهل بلغ أن ذا أشأم الخبر * وما لامرئ مما الحكيم قضى مفر
وأنت صريع يا أخى متجندل * ووجهك يحكى حسنه دورة القمر
لقد كان يوم الشؤم يوم لقيتهم * ورمحك من بعد اطراد قد انكسر
وبعدك لا يرتاح للخيل راكب * ولا تلد الانثى نظيرك من ذكر
وأصبح حماد لك اليوم قاتلا * وقد خان ايمانا و بالعهد قد غدر
يريد بهذا أن ينال مراده * لقد كذب الشيطان فى كل ما أمر

فلما فرغت من شعرها قالت لى يا ملعون الجدين لماذا قتلت أخى وخنته وكان مراده أن يردك الى بلادك بالزاد والهدايا وكان مراده أيضا أن يزوجنى لك فى أول الشهر ثم جذبت سيفا كان عندها وجعلت قائمه فى الارض وطرفه فى صدرها وانحنت عليه حتى طلع من ظهرها فخرت على الارض ميتة فحزنت عليها وندمت حيث لا ينفعنى الندم وبكيت ثم قمت مسرعا الى الخباء وأخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسرت الى حال سبيلى ومن خوفى وعجلتى لم ألتفت الى أحد من أصحابى ولا دفنت الصبية ولا الشاب وهذه الحكاية أعجب من حكايتى الاولى مع البنت الخدامة التى خطفتها من بيت المقدس فلما سمعت نزهة الزمان من البدوى هذا الكلام تبدل النور فى عينها بالظلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان لما سمعت من البدوى هذا الكلام تبدل الضياء فى عينها بالظلام وقامت وجردت السيف وضربت به البدوى حمادا على عاتقه فاطلعته من علائقه فقال لها الحاضرون لاى شئ استعجلت على قتله فقالت الحمد لله الذى فسح فى أجلى حتى أخذت ثارى بيدى ثم انها أمرت العبيد أن يجروه من رجليه و يرموه للكلاب و بعد ذلك أقبلوا على الاثنين الباقيين من الثلاثة وكان أحدهما عبدا اسود فقالوا له ما اسمك أنت فأصدقنا فى حديثك قال أنا اسمى الغضبان وأخبرهم

بما وقع له مع الملكة ابريزة بنت حردوب ملك الروم وكيف قتلها وهرب فلم يتم العبد كلامه حتى رمى الملك رومزان رقبته بالحسام وقال الحمد لله الذي أحياني وأخذت ثار أمي بيدي وأخبرهم ان دايته مرجانة حكت له عن هذا العبد الذي اسمه الغضبان و بعد ذلك أقبلوا على الثالث وكان هو الجمال الذي اكتروه أهل بيت المقدس الى حمل ضوء المكان وتوصيله الى المارستان الذي فى دمشق الشام فذهب به وألقاه فى المستوقد وذهب الى حال سبيله ثم قالوا له أخبرنا أنت بخبرك واصدق فى حديثك فحكى لهم جميع ما وقع له مع السلطان ضوء المكان وكيف حمله من بيت المقدس وهو ضعيف على أن يوصله الى الشام ويرميه فى المارستان وكيف جاء له أهل بيت المقدس بالدراهم فأخذها وهرب بعد ان رماه فى مستوقد الحمام فلما تم كلامه أخذ السلطان كان ما كان السيف وضربه فرمى عنقه وقال الحمد لله الذي أحياني حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع أبي فانني قد سمعت هذه الحكاية بعينها من والدي السلطان ضوء المكان فقال الملوك لبعضهم ما بقى علينا الا العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فانها سبب هذه البلايا حيث أوقعتنا فى الرزايا ومن لنا بها حتى نأخذ منها الثار ونكشف العار فقال له الملك رومزان عم الملك كان ما كان لابد من حضورها ثم ان الملك رومزان كتب كتابا من وقته وساعته وأرسله الى جدته العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وذكر لها فيه انه غلب على مملكة دمشق والموصل والعراق وكسر عسكر المسلمين وأسر ملوكهم وقال أريد أن تحضري عندي من كل بد أنت والملكة صفية بنت الملك افريدون ملك القسطنطينية ومن شئتم من أكابر النصارى من غير عسكر فان البلاد أمان لانها صارت تحت أيدينا فلما وصل الكتاب اليها وقرأته وعرفت خط الملك رومزان فرحت فرحا شديدا وتجهزت من وقتها وساعتها للسفر هي والملكة صفية أم نزهة الزمان ومن صحبهم ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا الى بغداد فتقدم الرسول وأخبرهم بحضورها فقال رومزان ان المصلحة تقتضي أن نلبس اللبس الافرنجي ونقابل العجوز حتى نأمن من خداعها وحيلها فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم لبسوا اللباس الافرنجي فلما رأت ذلك قضى فكان قالت وحق الرب المعبود لولا انى أعرفكم لقلت انكم افرنج ثم ان رومزان تقدم أمامهم وخرجوا يقابلون العجوز فى ألف فارس فلما وقعت العين فى العين ترجل رومزان عن جواده وسعى اليها فلما رأته وعرفته ترجلت اليه وعانقته فقرط بيده على أضلاعها حتى كاد أن يقصفها فقالت ما هذا فلم تتم كلامها حتى نزل اليهما كان ما كان والوزير دندان وزعقت الفرسان على من معها من الجواري والغلمان وأخذوهم جميعهم ورجعوا الى بغداد وأمرهم رومزان أن يزينوا بغداد فزينوها ثلاثة أيام ثم أخرجوا شواهي الملقبة بذات الدواهي وعلى رأسها طرطور أحمر مكلل بروث الحمير

وقدامهامناد ينادى هذا جزاء من يتجارى على الملوك وعلى أولاد الملوك ثم صلبوها على باب بغداد ولما رأى أصحابها ماجرى لها أسلموا كلهم جميعا ثم ان كان ما كان وعمه روم ان ونزهة الزمان والوزير دندان تعجبوا لهذه السيرة العجيبة وأمروا الكتاب أن يؤرخوها فى الكتب حتى تقرأ من بعدهم وأقاموا بقية الزمان فى ألذ عيش وأهناه الى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات وهذا آخر ماانتهى الينا من تصاريف الزمان بالملك عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وولد ولده كان ما كان ونزهة الزمان وقضى فكان ثم ان الملك قال لشهرزاد أشتهى أن تحكى لى شيأ من حكاية الطيور فقالت حبا وكرامة فقالت لها اختها لم أر الملك فى طول هذه المدة انشرح صدره غيرهذه الليلة وأرجو أن تكون عاقبتك معه محمودة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(حكاية تتعلق بالطيور)

(فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان طاوس يأوى الى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك الموضع كثير السباع وفيه من سائر الوحوش غيرانه كثير الاشجار والانهار وذلك الطاوس هو وزوجته يأويان الى شجرة من تلك الاشجار ليلا من خوفهما من الوحوش ويغدوان فى طلب الرزق نهارا ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما فسارا يبغيان موضعا غير موضعهما يأويان اليه فبينما هما يفتشان على موضع اذ ظهرت لهما جزيرة كثيرة الاشجار والانهار فنزلا فى تلك الجزيرة وأكلا من أثمارها وشربا من أنهارها فبينما هما كذلك واذا ببطة أقبلت عليهما وهى فى شدة الفزع ولم تزل تسعى حتى أتت الى الشجرة التى عليها الطاوس هو وزوجته فاطمأنت فلم يشك الطاوس فى أن تلك البطة لها حكاية عجيبة فسألها عن حالها وعن سبب خوفها فقالت اننى مريضة من الحزن وخوفى من ابن آدم فالحذر ثم الحذر من بنى آدم فقال لها الطاوس لاتخافى حيث وصلت الينا فقالت البطة الحمد لله الذى فرج عنى همى وغمى بقربكما وقد أتيت راغبة فى مودتكما فلما فرغت من كلامها نزلت اليها زوجة الطاوس وقالت لها أهلا وسهلا ومرحبا لابأس عليك ومن أين يصل الينا ابن آدم ونحن فى تلك الجزيرة التى فى وسط البحر فمن البر لايقدر أن يصل الينا ومن البحر لايمكن أن يطلع علينا فابشرى وحدثينا بالذى نزل بك واعتراك من ابن آدم فقالت البطة اعلمى أيتها الطاوسة اننى فى هذه الجزيرة طول عمرى آمنة لاأرى مكروها فنمت ليلة من الليالى فرأيت فى منامى صورة ابن آدم وهو يخاطبنى وأخاطبه وسمعت قائلا يقول لى

أيتها البطة احذري من ابن آدم ولا تغتري بكلامه ولا بما يدخله عليك فانه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فانه مخادع ماكر كما قال فيه الشاعر

يعطيك من طرف اللسان حلاوة * و يروغ منك كما يروغ الثعلب

واعلمي ان ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار و يرمي الطير ببندقة من طين و يوقع الفيل بمكره وابن آدم لا يسلم أحد من شره ولا ينجو منه طير ولا وحش وقد بلغتك ماسمعته عن ابن آدم فاستيقظت من منامي خائفة مرعوبة وأنا الى الآن لا ينشرح صدري خوفا على نفسي من ابن آدم لئلا يدهمني بحيلته و يصيدني بحبائله ولم يأت علي آخر النهار الا وقد ضعفت قوتي و بطلت همتي ثم اني اشتقت الى الاكل والشرب فخرجت أتمشى وخاطري مكدر وقلبي مقبوض فلما وصلت الى ذلك الجبل وجدت على باب مغارة شبلا أصفر اللون فلما رآني ذلك الشبل فرح بي فرحا شديدا وأعجبه لوني وكوني لطيفة الذات فصاح علي وقال لي اقربي مني فلما قربت منه قال لي ما اسمك وما جنسك فقلت له اسمي بطة وأنا من جنس الطيور ثم قلت له ما سبب قعودك الى هذا الوقت في هذا المكان فقال الشبل سبب ذلك ان والدي الاسد له أيام وهو يحذرني من ابن آدم فاتفق انني رأيت في هذه الليلة في منامي صورة ابن آدم ثم ان الشبل حكى لي نظير ما حكيته لك فلما سمعت كلامه قلت له يا أسد اني قد جئت اليك في أن تقتل ابن آدم وتحزم رأيك في قتله فاني أخاف على نفسي منه خوفا شديدا وازددت خوفا على خوفي من خوفك من ابن آدم مع انك سلطان الوحوش ومازلت يا أختي أحذر الشبل من ابن آدم وأوصيه بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذي كان فيه وتمشى وتمشيت وراءه ففرقع بذنبه على ظهره ولم يزل يتمشى وأنا أمشي وراءه الى مفرق الطريق فوجدنا غبرة طارت و بعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة يقمص و يجري وتارة يتمرغ فلما رآه الاسد صاح عليه فأتى اليه خاضعا فقال له أيها الحيوان الخريف العقل ما جنسك وما سبب قدومك الى هذا المكان فقال له يا ابن السلطان أنا جنسي حمار وسبب قدومي الى هذا المكان هروبي من ابن آدم فقال له الشبل وهل أنت خائف من ابن آدم أن يقتلك فقال له الحمار لا يا ابن السلطان وانما خوفي أن يعمل حيلة علي و يركبني لان عنده شيأ يسميه البرذعة فيجعلها على ظهري وشيأ يسميه الحزام فيشده على بطني وشيأ يسميه الطفر فيجعله تحت ذنبي وشيأ يسميه اللجام فيجعله في فمي و يعمل لي منخاسا ينخسني به و يكلفني ما لا أطيق من الجري واذا عثرت لعنني واذا نهقت شتمني و بعد ذلك اذا كبرت ولم أقدر على الجري يجعل لي رحلا من الخشب و يسلمني الى السقايين فيحملون الماء على ظهري من البحر في القرب ونحوها كالجرار

ولا أزال فى ذل وهوان وتعب حتى أموت فيرمونى فوق التلال للكلاب فأى شئ أكبر من هذا الهم وأى مصيبة أكبر من هذه المصائب فلما سمعت أيتها الطاوسة كلام الحمار اقشعر جسدى من ابن آدم وقلت للشبل ياسيدى ان الحمار معذور وقد زادنى كلامه رعبا على رعبى فقال الشبل للحمار الى أين أنت سائر فقال له الحمار انى نظرت ابن آدم قبل اشراق الشمس من بعيد ففررت هربا منه وها أنا أريد أن أنطلق ولم أزل أجرى من شدة خوفى منه فعسى أجد لى موضعا يأوينى من ابن آدم الغدار فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل فى ذلك الكلام وهو يريد أن يودّعنا ويروح اذ ظهر لنا غبرة فنهق الحمار وصاح ونظر بعينه الى ناحية الغبرة وضرط ضراطا عاليا وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس أدهم بغرة كالدرهم وذلك الفرس ظريف الغرة مليح التحجيل حسن القوائم والصهيل ولم يزل يجرى حتى وقف بين يدى الشبل ابن الاسد فلما رآه الشبل استعظمه وقال له ما جنسك أيها الوحش الجليل وما سبب شرودك فى هذا البر العريض الطويل فقال له ياسيد الوحوش أنا فرس من جنس الخيل وسبب شرودى هروبى من ابن آدم فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال لا تقل هذا الكلام فانه عيب عليك وأنت طويل غليظ وكيف تخاف من ابن آدم مع عظم جثتك وسرعة جريك وأنا مع صغر جسمى قد عزمت على أن ألتقى مع ابن آدم فأبطش به وآكل لحمه وأسكن روع هذه البطة المسكينة وأقرها فى وطنها وها أنت لما أتيت فى هذه الساعة قطعت قلبى بكلامك وأرجعتنى عما أردت أن أفعله فاذا كنت أنت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ولم يخف من طولك وعرضك مع انك لو رفصته برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيه كأس الردى فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال هيهات هيهات أن أغلبه يا ابن الملك فلا يغرك طولى ولا عرضى ولا ضخامتى مع ابن آدم لانه من شدة حيله ومكره يصنع لى شيأ يقال له الشكال ويضع فى أربعة قوائمى شكالين من حبال الليف الملفوفة باللباد ويصلبنى من رأسى فى وتد عال وأبقى واقفا وأنا مصلوب لا أقدر أقعد ولا أنام واذا أراد أن يركبنى يعمل لى شيأ فى رجليه من الحديد اسمه الركاب ويضع على ظهرى شيأ يسميه السرج ويشده بحزامين من تحت ابطى ويضع فى فمى شيأ من الحديد يسميه اللجام ويضع فيه شيأ من الجلد يسميه الصرع فاذا ركب فوق ظهرى على السرج يمسك الصرع بيده ويقودنى به ويهمزنى بالركاب فى خواصرى حتى يدميها ولا تسأل يا ابن السلطان عما أقاسيه من ابن آدم فاذا كبرت وانتحل ظهرى ولم أقدر على سرعة الجرى يبيعنى للطحان ليدورنى فى الطاحون فلا أزال دائرا فيها ليلا ونهارا الى أن أهرم فيبيعنى للجزار فيذبحنى ويسلخ جلدى وينتف ذنبى ويبيعهما للغرابلى والمناخلى ويسلى شحمى فلما سمع الشبل كلام الفرس ازداد

غيظا

غيظا وغما وقال له متى فارقت ابن آدم قال فارقته نصف النهار وهو فى أثرى فبينما الشبل يتحدث مع الفرس فى هذا الكلام واذا بغبرة ثارت و بعد ذلك انكشف الغبرة و بان من تحتها جمل هائج وهو يبعبع و يخبط برجليه فى الارض ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل الينا فلما رآه الشبل كبيرا غليظا ظن أنه ابن آدم فأراد الوثوب عليه فقلت له يا ابن السلطان ان هذا ما هو ابن آدم وانما هذا جمل وكأنه هارب من ابن آدم فبينما أنا يا أختى مع الشبل فى هذا الكلام واذا بالجمل تقدم بين أيادى الشبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له ما سبب مجيئك الى هذا المكان قال جئت هاربا من ابن آدم فقال له الشبل وأنت مع عظم خلقتك وطولك وعرضك كيف تخاف من ابن آدم ولو رفصته برجلك رفصة لقتلته فقال له الجمل يا ابن السلطان اعلم ان ابن آدم له دواهى لا تطاق وما يغلبه الا الموت لانه يضع فى أنفى خيطا و يسميه خزاما و يجعل فى رأسى مقودا و يسلمنى الى أصغر أولاده فيجرنى الولد الصغير بالخيط مع كبرى وعظمى و يحملونى أثقل الاحمال و يسافرون بى الاسفار الطوال و يستعملونى فى الاشغال الشاقة آناء الليل والنهار واذا كبرت وشخت أو انكسرت فلم يحفظ صحبتى بل يبيعنى للجزار فيذبحنى و يبيع جلدى للدباغين ولحمى للطباخين ولا تسأل عما أقاسى من ابن آدم فقال له الشبل أى وقت فارقت ابن آدم فقال فارقته وقت الغروب وأظنه يأتى عند انصرافى فلم يجدنى فيسعى فى طلبى فدعنى يا ابن السلطان حتى أهج فى البرارى والقفار فقال الشبل تمهل قليلا يا جمل حتى تنظر كيف أفترسه وأطعمك من لحمه وأهشم عظمه وأشرب من دمه فقال له الجمل يا ابن السلطان أنا خائف عليك من ابن آدم فانه مخادع ماكر ثم أنشد قول الشاعر

اذا حل الثقيل بارض قوم ❊ فما للساكنين سوى الرحيل

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل فى هذا الكلام واذا بغبرة طلعت و بعد ساعة انكشفت عن شيخ قصير رقيق البشرة على كتفه مقطف فيه عدة نجار وعلى رأسه شعبة وثمانية ألواح و بيده أطفال صغار وهو يهرول فى مشيه وما زال يمشى حتى قرب من الشبل فلما رأيته يا أختى وقعت من شدة الخوف وأما الشبل فانه قام وتمشى اليه ولاقاه فلما وصل اليه ضحك النجار فى وجهه وقال له بلسان فصيح أيها الملك الجليل صاحب الباع الطويل أسعد الله مساءك ومسعاك وزاد فى شجاعتك وقواك أجرنى مما دهانى و بشره رمانى لانى ما وجدت لى نصيرا غيرك ثم ان النجار وقف بين يدى الاسد و بكى وأن واشتكى فلما سمع الشبل بكاءه وشكواه قال له أجرتك مما تخشاه فمن الذى قد ظلمك وما أنت تكون أيها الوحش الذى ما رأيت عمرى مثلك ولا أحسن صورة ولا أفصح لسانا منك فما شأنك فقال له النجار يا سيد الوحوش أما أنا فنجار وأما الذى ظلمنى فانه

ابن آدم وفي صباح هذه الليلة يكون عندك في هذا المكان فلما سمع الشبل من الحمار هذا الكلام تبدل الضياء في وجهه بالظلام وشخر ونخر ورمت عيناه بالشرر وصاح وقال والله لاسهرن في هذه الليلة الى الصباح ولا أرجع الى والدي حتى أبلغ مقصدي ثم ان الشبل التفت الى النجار وقال له انى أرى خطواتك قصيرة ولا أقدر أن أكسر بخاطرك لانى ذو مروءة وأظن أنك لا تقدر أن تماشي الوحوش فاخبرني الى أين تذهب فقال له النجار اعلم انى رائح الى وزير والدك الفهد لانه لما بلغه ان ابن آدم داس هذه لارض خاف على نفسه خوفا عظيما وأرسل الىّ رسولا من الوحوش لاصنع له بيتا يسكن فيه ويأوى اليه ويمنع عنه عدوه حتى لا يصل اليه أحد من بني آدم فلما جاءني الرسول أخذت هذه الالواح وتوجهت اليه فلما سمع الشبل كلام النجار أخذه الحسد للفهد فقال له بحياتي لابد أن تصنع لي هذه الالواح بيتا قبل أن تصنع للفهد بيته واذا فرغت من شغلي فامض الى الفهد واصنع له ما يريد فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال له ياسيد الوحوش ما أقدر أن أصنع لك شيأ الا اذا صنعت للفهد ما يريد ثم أجيء الى خدمتك وأصنع لك بيتا يحصنك من عدوك فقال له الشبل والله ما أخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لي هذه الالواح بيتا ثم ان الشبل هم على النجار ووثب عليه وأراد أن يمزح معه فلطشه بيده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجار مغشيا عليه فضحك الشبل عليه وقال ويلك يانجار انك ضعيف ومالك قوة فانت معذور اذا خفت من ابن آدم فلما وقع النجار على ظهره اغتاظ غيظا شديدا ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه ثم قعد النجار وضحك في وجه الشبل وقال له ها أنا أصنع لك البيت ثم ان النجار تناول الالواح التي كانت معه وسمر البيت وجعله مثل القالب على قياس الشبل وخلى بابه مفتوحا لانه جعله على صورة صندوق وفتح له طاقة كبيرة وجعل لها غطاء وثقب فيه ثقبا كثيرة وأخرج منها مسامير مطرفة وقال للشبل ادخل في هذا البيت من هذه الطاقة لاقيسه عليك ففرح الشبل بذلك وأتى تلك الطاقة فرآها ضيقة فقال له النجار ادخل وابرك على يديك ورجليك ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق وبقي ذنبه خارجا ثم أراد الشبل أن يتأخر الى ورائه ويخرج فقال له النجار امهل حتى أنظر هل يسع ذنبك معك أم لا فامتثل الشبل أمره ثم ان النجار لف ذنب الشبل وحشاه في الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعا وسمره فصاح الشبل قائلا يانجار ما هذا البيت الضيق الذي صنعته لي دعني أخرج منه فقال له النجار هيهات هيهات لا ينفع الندم على ما فات انك لا تخرج من هذا المكان ثم ضحك النجار وقال للشبل انك وقعت في القفص وكنت أخبث الوحوش فقال يا أخي ما هذا الخطاب الذي تخاطبني به فقال له النجار اعلم يا كلب البر انك وقعت فيما كنت تخاف منه

وقد

وقدرماك القدر ولم ينفعك الحذر فلما سمع الشبل كلامه يا أختى علم أنه ابن آدم الذى حذره منه أبوه فى اليقظة والهاتف فى المنام وتحققت أنه هو بلا شك ولا ريب فخفت منه على نفسى خوفا عظيما وبعدت عنه قليلا وصرت أنتظر ماذا يفعل بالشبل فرأيت يا أختى ابن آدم حفر حفرة فى ذلك المكان بالقرب من الصندوق الذى فيه الشبل ورماه فى تلك الحفرة وألقى عليه الحطب وأحرقه بالنار فكبر يا أختى خوفى ولى يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه فلما سمعت الطاوسة من البطة هذا الكلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الطاوسة لما سمعت من البطة هذا الكلام تعجبت منه غاية العجب وقالت يا أختى انك أمنت من ابن آدم لاننا فى جزيرة من جزائر البحر ليس لابن آدم فيها مسلك فاختارى المقام عندنا الى أن يسهل الله أمرك وأمرنا قالت أخاف أن يطرقنى طارق والقضاء لا ينفك عنه آبق فقالت اقعدى عندنا وأنت مثلنا ولازالت بها حتى قعدت وقالت يا أختى أنت تعلمين قلة صبرى ولولا انى رأيتك هنا ما كنت قعدت فقالت الطاوسة ان كان على جبيننا شئ نستوفاه وان كان أجلنا دنا فمن يخلصنا ولن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها فبينما هما فى هذا الكلام اذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت الحذر الحذر وان لم يكن مفر من القدر وكانت الغبرة عظيمة فلما انكشفت الغبرة ظهر من تحتها ظبى فأطمأنت البطة والطاوسة ثم قالت البطة يا أختى ان الذى تفزعين منه ظبى وها هو قد أقبل نحونا فليس علينا منه بأس لان الظبى انما يأكل الحشائش من نبات الارض وكما أنت من جنس الطير هو الآخر من جنس الوحوش فاطمئنى ولا تهتمى فان الهم ينحل البدن فلم تتم الطاوسة كلامها حتى وصل الظبى اليهما يستظل تحت الشجرة فلما رأى الطاوسة والبطة سلم عليهما وقال لهما انى دخلت هذه الجزيرة اليوم فلم أر أكثر منها خصبا ولا أحسن منها مسكنا ثم دعاهما لمرافقته ومصافاته فلما رأت البطة والطاوسة تودده اليهما أقبلتا عليه ورغبتا فى عشرته وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحدا ومأكلهم سواء ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرت بهم سفينة كانت تائهة فى البحر فأرست قريبا منهم فطلع الناس وتفرقوا فى الجزيرة فرأوا الظبى والطاوسة والبطة مجتمعين فأقبلوا عليهم فشرد الظبى فى البرية وطارت الطاوسة فى الجو فبقيت البطة مخبلة ولم يزالوا بها حتى صادوها وصاحت قائلة لم ينفعنى الحذر من القضاء والقدر وانصرفوا بها الى سفينتهم فلما رأت الطاوسة ما جرى للبطة ارتحلت من الجزيرة وقالت لا أرى الآفات الا مراصدة لكل أحد ولولا هذه السفينة ما حصل بينى و بين هذه البطة افتراق ولقد كانت من خيار الاصدقاء ثم طارت

الطاوسة واجتمعت بالظبي فسلم عليها وهناها بالسلامة وسألها عن البطة فقالت له قد أخذها العدو وكرهت المقام فى تلك الجزيرة بعدها ثم بكت على فراق البطة وأنشدت تقول

ان يوم الفراق قطع قلبي ❊ قطع الله قلب يوم الفراق

﴿وأنشدت أيضا﴾

تمنيت الوصال يعود يوما ❊ لاخبره بما صنع الفراق

فاغتم الظبي غما شديدا ثم رد عزم الطاوسة عن الرحيل فاقام معها فى تلك الجزيرة آمنين آكلين شاربين غير انهما لم يزالا حزينين على فراق البطة فقال الظبي للطاوسة يا أختى قد علمت أن الناس الذين طلعوا لنا من المركب كانوا اسبابا لفراقنا ولهلاك البطة فاحذريهم واحترسي منهم ومن مكر ابن آدم وخداعه قالت قد علمت يقينا ان ما قتلها غير تركها التسبيح ولقد قلت لها انى أخاف عليك من تركك التسبيح لان كل ما خلقه الله يسبحه فان غفل عن التسبيح عوقب بهلاكه فلما سمع الظبي كلام الطاوسة قال أحسن الله صورتك وأقبل على التسبيح لا يفتر عنه ساعة وقد قيل ان الظبي يقول فى تسبيحه سبحان الديان ذى الجبروت والسلطان وورد أن بعض العباد كان يتعبد فى بعض الجبال وكان يأوى الى ذلك الجبل زوج من الحمام وكان ذلك العابد قسم قوته نصفين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان العابد قد قسم قوته نصفين وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام ودعا العابد لهما بكثرة النسل فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوى الى غير الجبل الذى فيه العابد وكان السبب فى اجتماع الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام وقيل ان الحمام يقول فى تسبيحه سبحان خالق الخلق وقاسم الرزق وبانى السموات وباسط الارضين ولا يزل ذلك الزوج الحمام فى أرغد عيش هو ونسله حتى مات العابد فتشتت شمل الحمام وتفرق فى المدن والقرى والجبال وقيل انه كان فى بعض الجبال رجل من الرعاة صاحب دين وعقل وعفة وكان له غنم يرعاها وينتفع بالبانها وأصوافها وكان ذلك الجبل الذى يأوى اليه الراعى كثير الاشجار والمرعى والسباع ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعى ولا على غنمه ولم يزل مقيما فى الجبل مطمئنا لا يهمه شئ من أمر الدنيا لسعادته واقباله على عبادته فاتفق له انه مرض مرضا شديدا فدخل كهفا فى الجبل وصارت الغنم تخرج بالنهار الى مرعاها وتأوى بالليل الى الكهف فاراد الله أن يمتحن ذلك الراعى ويختبره فى طاعته وصبره فبعث اليه ملكا فدخل عليه الملك فى صورة امرأة حسناء وجلس بين يديه فلما رأى الراعى تلك المرأة جالسة عنده اقشعر بدنه منها فقال لها أيتها المرأة ما الذى دعاك الى المجىء هنا وليس لك

حاجة

حاجة معي ولا بيني و بينك ما يوجب دخولك عندي فقالت له أيها الانسان أما ترى حسني وجمالي وطيب رائحتي أما تعلم حاجة الرجال الى النساء فالذي يمنعك مني وقد اخترت قربك وأحببت وصالك وقد جئتك طائعة وعليك غير ممتنعة وليس عندنا أحد نخشاه وأريد أن أقيم معك طول مقامك في هذه الجبال وأكون أنيستك وقد عرضت نفسي عليك لانك تحتاج لخدمة النساء وأنت ان باشرتني زال عنك مرضك وعادت اليك صحتك وندمت على ما فاتك من قرب النساء في سالف عمرك وقد نصحتك فاقبل نصيحتي وادن مني فقال الراعي اخرجي عني أيتها المرأة الخداعة الغدارة فلا أركن اليك ولا أدنو منك ولا حاجة لي بقربك ولا بوصالك لان من رغب فيك زهد في الآخرة ومن رغب في الآخرة زهد فيك لانك فتنت الاولين والآخرين والله تعالى لعباده بالمرصاد والويل لمن ابتلى بصحبتك فقالت له أيها التائه عن السداد والضال عن طريق الرشاد أقبل بوجهك الي وانظر الى محاسني واغتنم قربي كما فعل من كان قبلك من الحكماء فقد كانوا أكثر منك تجربة وأصوب منك رأيا ومع ذلك لم يرفضوا ما رفضت من التمتع بالنساء بل رغبوا فيما زهدت فيه من مباشرة النساء وقربهن فما أساء هم ذلك في دينهم ولا دنياهم فارجع عن رأيك تحمد عاقبة أمرك فقال الراعي ان الذي تقولينه كرهته وجميع ما تبدينه زهدته لانك خداعة غدارة لا عهد لك ولا وفاء فكم من قبيح تحت حسنك أخفيته وكم من صالح فتنته وكانت عاقبته الى الندامة والحزن فارجعي عني أيتها المصلحة نفسها الفساد غيرها ثم ألقى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربه فلما رأى الملك حسن طاعته خرج وعرج الى السماء وكان قريبا من الراعي قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه فرأى في منامه كأن قائلا يقول له بالقرب منك في مكان كذا رجل صالح فاذهب اليه وكن تحت طاعة أمره فلما أصبح الصباح توجه نحوه سائرا فلما اشتد عليه الحر انتهى الى شجرة عندها عين جارية فجلس في ظل تلك الشجرة ليستريح فبينما هو جالس واذا بوحوش وطيور أتوا الى تلك العين ليشربوا منها فلما رأوا العابد جالسا نفروا ورجعوا شاردين فقال العابد في نفسه أنا ما استرحت هنا الا لتعب هذه الوحوش والطيور ثم قام وقال معاتبا لنفسه لقد أضررت بهذه الحيوانات في هذا اليوم جلوسي في هذا المكان فما عذري عند خالقي وخالق هذه الطيور والوحوش فاني كنت سببا لشرودهم عن مائهم ومرعاهم فوا خجلتي من ربي يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ثم أفاض من جفنه العبرات وأنشد هذه الابيات

أما والله لو علم الانام * لما خلقوا لما غفلوا وناموا
فموت ثم بعث ثم حشر * وتوبيخ وأهوال عظام

ونحن اذا نهينا أوامرنا * كاهل الكهف أكثرنا نيام

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شربها وولى هائماً على وجهه حتى أتى الى الراعى فدخل عنده وسلم عليه فردّ عليه السلام وعانقه وبكى ثم قال له الراعى ما الذى أقدمك الى هذا المكان الذى لم يدخله أحد من الناس علىّ فقال العابد انى رأيت فى منامى من يصف لى مكانك ويأمرنى بالسير اليك والسلام عليك وقد أتيتك ممتثلا لما أمرت به فقبله الراعى وطابت نفسه بصحبته وجلس معه فى الجبل يعبدان الله فى ذلك الغار وحسنت عبادتهما ولم يزالا فى ذلك المكان يعبدان ربهما ويتقوتان من لحوم الغنم وألبانها متجردين عن المال والبنين الى أن أتاهما اليقين وهذا آخر حديثهما قال الملك لقد زهدتنى يا شهرزاد فى ملكى وندمتنى على ما فرط منى فى قتل النساء والبنات فهل عندك شئ من حديث الطيور قالت نعم زعموا أيها الملك ان طيرا طار وعلا الى الجوّ ثم انقض على صخرة فى وسط الماء وكان الماء جاريا فبينما الطائر واقف على الصخرة واذا برمة انسان جرها الماء حتى أسندها الى الصخرة ووقفت تلك الجيفة فى جانب الصخرة وارتفعت لانتفاخها فدنا منها طير الماء وتأملها فرآها رمة ابن آدم وظهر له فيها ضرب السيف وطعن الرماح فقال فى نفسه ان هذا المقتول كان شريرا فاجتمع عليه جماعة وقتلوه واستراحوا منه ومن شره ولم يزل طير الماء يكثر التعجب من تلك الرمة حتى رأى نسورا وعقبانا أحاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها فلما رأى ذلك طير الماء جزع جزعا شديدا وقال لا صبر لى على الاقامة فى هذا المكان ثم طار منه يفتش على موضع يؤويه الى حين نفاد تلك الجيفة وزوال سباع الطير عنها ولم يزل طائرا حتى وجد نهرا فى وسطه شجرة فنزل عليها كئيبا حزينا على بعده عن وطنه وقال فى نفسه لم تزل الاحزان تتبعنى وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحا شديدا وقلت هذا رزق ساقه الله الىّ فصار فرحى غما وسرورى حزنا وهما وافترستها سباع الطير منى وحالوا بينها وبينى فكيف أرجو أن أكون سالما فى هذه الدنيا واطمئن اليها وقد قيل فى المثل الدنيا دار من لا دار له يغتر بها من لا عقل له ويطمئن اليها بماله وولده وقومه وعشيرته ولم يزل المغتر بها راكنا اليها يختال فوق الارض حتى يصير تحتها ويحثو عليه التراب أعز الناس عليه وأقربهم اليه وما للفتى خير من الصبر على مكارهها وقد فارقت مكانى ووطنى وكنت كارها الفرقة اخوانى وأصحابى فبينما هو فى فكرته واذا بذكر من السلاحف أقبل منحدرا فى الماء ودنا من طير الماء وسلم عليه وقال يا سيدى ما الذى أبعدك عن موضعك قال حلول الاعداء فيه ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوه وما أحسن قول بعض الشعراء

اذا حلّ الثقيل بارض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

فقال

فقال له السلحف اذا كان الامر كما وصفته والحال مثل ما ذكرته فانا لا أزال بين يديك ولا أفارقك لأقضي حاجتك وأفي بخدمتك فانه يقال لا وحشة أشد من وحشة الغريب المنقطع عن أهله ووطنه وقد قيل ان فرقة الصالحين لا يعدلها شيء من المصائب ومما يسلي به العاقل نفسه الاستئناس في الغربة والصبر على الرزية والكربة وأرجو أن تحمد صحبتي لك وأكون لك خادما وعينا فلما سمع طير الماء مقالة السلحف قال له لقد صدقت في قولك ولعمري اني وجدت للفراق ألما وغما مدة بعدي عن مكاني وفراقي لاخواني وخلاني لان في الفراق عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر واذا لم يجد الفتى من يسليه من الاصحاب ينقطع عنه الخير أبدا ويثبت له الشر سرمدا وليس للعاقل الا التسلي بالاخوان عن الهموم في جميع الاحوال وملازمة الصبر والتجلد فانهما خصلتان محمودتان يعينان على نوائب الدهر ويدفعان الفزع والجزع في كل أمر فقال له السلحف اياك والجزع فانه يفسد عليك عيشك ويذهب مروءتك وما زالا يتحدثان مع بعضهما الى أن قال طير الماء للسلحف أنا لم أزل أخشى نوائب الزمان وطوارق الحدثان فلما سمع السلحف مقالة طير الماء أقبل عليه وقبله بين عينيه وقال له لم تزل جماعة الطير تعرف في مشورتك الخير فكيف تحمل الهم والضير ولم يزل يسكن روع طير الماء حتى اطمأن ثم ان طير الماء طار الى مكان الجيفة فلما وصل اليه لم ير من سباع الطير شيأ ولا من تلك الجيفة الا عظاما فرجع يخبر السلحف بزوال العدو من مكانه فلما وصل الى السلحف أخبره بما رأى وقال له اني أحب الرجوع لمكاني وأتملى بخلاني فانه لا صبر للعاقل عن وطنه فذهب معه الى ذلك المكان فلم يجدا شيأ مما يخافان منه فصار طير الماء قرير العين وأنشد هذين البيتين

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ❊ ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ❊ فرجت وكنت أظنها لا تفرج

ثم سكن في تلك الجزيرة فبينما طير الماء في أمن وسرور وفرح وحبور اذ ساق القضاء اليه بازا جائعا فضربه بمخلبه ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الاجل وسبب قتله غفلته عن التسبيح قيل انه كان يقول في تسبيحه سبحان ربنا فيما قدر ودبر سبحان ربنا فيما أغنى وأفقر هذا ما كان من حديث الطير فقال الملك يا شهرزاد لقد زدتني بحكاياتك مواعظ واعتبارا فهل عندك شيء من حكايات الوحوش فقالت اعلم أيها الملك ان ثعلبا وذئبا ألفا وكرا فكانا يأويان اليه مع بعضهما فلبثا على ذلك مدة من الزمان وكان الذئب للثعلب قاهرا فاتفق أن الثعلب أشار على الذئب بالرفق وترك الفساد وقال له ان دمت على عتوك ربما سلط الله عليك ابن آدم فانه ذو حيل ومكر وخداع يصيد الطير من الجو والحوت من البحر ويقطع الجبال وينقلها وكل ذلك من حيله

فعليك بالانصاف وترك الشر والاعتساف فانه أهنأ لطعامك فلم يقبل الذئب قوله واغلظ له الرد وقال له لا علاقة لك بالكلام فى عظيم الامور وجسيمها ثم لطم الثعلب لطمة فخر منها مغشيا عليه فلما أفاق تبسم فى وجه الذئب واعتذر اليه من الكلام الشين وأنشد هذين البيتين

ان كنت قد أذنبت ذنبا سالفا * فى حبكم وأتيت شيأ منكرا

أنا تائب عما جنيت وعفوكم * يسع المسىء اذا أتى مستغفرا

فقبل الذئب اعتذاره وكف عنه أشراره وقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الذئب قال للثعلب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك فقال له الثعلب سمعا وطاعة فأنا بمعزل عما لا يرضيك فقد قال الحكيم لا تخبر عما لا تسأل عنه ولا تجب ما لا تدعى اليه وذر الذى لا يعنيك الى ما يعنيك ولا تبذل النصيحة للاشرار فانهم يجزونك عليها شرا فلما سمع الذئب كلام الثعلب تبسم فى وجهه ولكنه أضمر له مكرا وقال لابد أن أسعى فى هلاك هذا الثعلب وأما الثعلب فانه صبر على أذى الذئب وقال فى نفسه ان البطر والافتراء يجلبان الهلاك ويوقعان فى الارتباك فقد قيل من بطر خسر ومن جهل ندم ومن خاف سلم والانصاف من شيم الاشراف والآداب أشرف الاكتساب ومن الرأى مداراة هذا الباغى ولابد له من مصرع ثم ان الثعلب قال للذئب ان الرب يعفو ويتوب على عبده ان اقترف الذنوب وأنا عبد ضعيف وقد ارتكبت فى نصحك التعسيف ولو علمت بما حصل لى من ألم لطمتك لعلمت ان الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه ولكنى لا أشتكى من ألم هذه اللطمة بسبب ما حصل لى بها من السرور فانها وان كانت قد بلغت منى مبلغا عظيما فعاقبتها سرور وقد قال الحكيم ضرب المؤدب أوله صعب شديد وآخره أحلى من العسل المصفى فقال الذئب غفرت ذنبك وأقلت عثرتك فكن من قوتى على حذر واعترف لى بالعبودية فقد علمت قهرى لمن عادانى فسجد له الثعلب وقال له أطال الله عمرك ولا زلت قاهرا لمن عاداك ولم يزل الثعلب خائفا من الذئب مصانعا له ثم ان الثعلب ذهب الى كرم يوما فرأى فى حائطه ثلمة فانكرها وقال فى نفسه ان هذه الثلمة لابد لها من سبب وقد قيل من رأى خرقا فى الارض فلم يجتنبه ويتوق عن الاقدام عليه كان بنفسه مغررا وللهلاك متعرضا وقد اشتهر ان بعض الناس يعمل صورة الثعلب فى الكرم حتى يقدم اليه العنب فى الاطباق لاجل أن يرى ذلك ثعلب فيقدم اليه فيقع فى الهلاك وانى أرى هذه الثلمة مكيدة وقد قيل ان الحذر نصف الشطارة ومن الحذر ان أبحث عن هذه الثلمة وانظر لعلى أجد عندها أمرا يؤدى الى التلف ولا يحملنى الطمع على ان

ان ألقي نفسي في المهلكة ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر فرآها فاذا هي حفيرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذي يفسد الكرم ورأى عليها غطاء رقيقا فتأخر عنها وقال الحمد لله حيث حذرتها وأرجو أن يقع فيها عدوّي الذئب الذي نغص عيشي فاستقل بالكرم وحدي وأعيش فيه آمنا ثم هز رأسه وضحك ضحكا عاليا وأطرب بالنغمات وأنشد هذه الابيات

ليتني أبصرت هذا الوقت في ذي البئر ذئبا
طالما قد ساء قلبي * وسقاني المر غصبا
ليتني من بعد ذا أبقى ويقضي الذئب نحبا
ثم يخلو الكرم منه * وأرى لي فيه نهبا

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعا حتى وصل الى الذئب وقال ان الله سهل لك الامور الى الكرم بلا تعب وهذا من سعادتك فهنيئا لك بما فتح الله عليك وسهل لك من تلك الغنيمة والرزق الواسع بلا مشقة فقال الذئب للثعلب وما الدليل على ما وصفت قال اني انتهيت الى الكرم فوجدت صاحبه قد مات ودخلت البستان فرأيت الاثمار زاهية على الاشجار فلم يشك الذئب في قول الثعلب وأدركه الشره فقام حتى انتهى الى الثلمة وقد غره الطمع ووقف الثعلب متهافتا كالميت وتمثل بهذا البيت

أتطمع من ليلى بوصل وانما * تضر باعناق الرجال المطامع

فلما انتهى الذئب الى الثلمة قال له الثعلب ادخل الى الكرم فقد كفيت مؤنة هدم حائط البستان وعلى الله تمام الاحسان فاقبل الذئب ماشيا يريد الدخول الى الكرم فلما توسط غطاء الثلمة وقع فيها فاضطرب الثعلب اضطرابا شديدا من السرور والفرح وزال عنه الهم والترح واطرب بالنغمات وأنشد هذه الابيات

رق الزمان لحالتي * ورثى لطول تحرقي
وأنالني ما أشتهي * وأزال عما أتقي
فلاصفحن عما جنا * ه من الذنوب السبق
حتى جنايته بما * فعل المشيب بمفرقي
فالذئب ليس له خلا * ص من هلاك موبق
والكرم لي وحدي وما * لي من شريك أحمق

ثم انه تطلع في الحفرة فرأى الذئب يبكي ندما وحزنا على نفسه فبكى الثعلب معه فرفع الذئب رأسه

الى الثعلب وقال له أمن رحمتك لى بكيت يا أبا الحصين قال لا والذى قذفك فى هذه الحفرة انما بكيت لطول عمرك الماضى وأسفا على كونك لم تقع فى هذه الثلمة قبل اليوم ولو وقعت فيها قبل اجتماعى بك لكنت أرحت واسترحت ولكن أبقيت الى أجلك المحتوم ووقتك المعلوم فقال له الذئب رح أيها المسىء فى فعله لوالدتى واخبرها بما حصل لى لعلها تحتال على خلاصى فقال له الثعلب لقد أوقعك فى الهلاك شدة طمعك وكثرة حرصك حيث سقطت فى حفرة لست منها بسالم ألم تعلم أيها الذئب الجاهل ان صاحب المثل يقول من لم يفكر فى العواقب لم يأمن المعاطب فقال الذئب للثعلب يا أبا الحصين انما كنت تظهر محبتى وترغب فى مودتى وتخاف من شدة قوتى فلا تحقد على بما فعلت معك فمن قدر وعفا كان أجره على الله وقد قال الشاعر

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه * ما خاب قط جميل أينما زرعا

ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذى زرعا

فقال له الثعلب يا أجهل السباع وأحمق الوحوش فى البقاع هل نسيت تجبرك وعتوك وتكبرك وأنت لم ترع حق المعاشرة ولم تنتصح بقول الشاعر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * ان الظلوم على حد من النقم

تنام عينك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

فقال له الذئب يا أبا الحصين لا تؤاخذنى بسابق الذنوب فالعفو من الكرام مطلوب وصنع المعروف من أحسن الذخائر وما أحسن قول الشاعر

بادر بخير اذا ما كنت مقتدرا * فليس فى كل حين أنت مقتدر

وما زال الذئب يتذلل للثعلب ويقول له لعلك تقدر على شئ تخلصنى به من الهلاك فقال له الثعلب أيها الذئب الماكر المخادع الغادر لا تطمع فى الخلاص فان هذا جزاء قبيح فعلك وقصاص ثم ضحك بالشدقين وأنشد هذين البيتين

لا تكثرن خداعى * فلن تنال منالا

ما رمت منى محال * زرعت فاحصد وبالا

فقال الذئب للثعلب يا حليم السباع أنت عندى أوثق من أن تتركنى فى هذه الحفرة ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

يا من أياديه عندى غير واحدة * ومن مواهبه تنمو عن العدد

ما نابنى من زمانى قط نائبة * الا وجدتك فيها آخذا بيدى

فقال الثعلب أيها العدو الاحمق كيف صرت الى التضرع والخشوع والذلة والخضوع بعد الانفة

الانفة والتكبر والظلم والتجبر لقد صحبتك خائفا من عدوانك وتعلقت لك لارغبة فى احسانك والآن نزلت بك الرجفة وحلت بك النقمة وأنشد هذه البيتين

يا أيها الملتمس الخديعة * وقعت فى نيتك الشنيعة

فذق وبال المحنة الفظيعه * وكن مع الذئاب فى قطيعه

فقال له الذئب أيها الحليم لاتكن بلسان العداوة ناطقا وبعينها محدقا وكن وافيا بعهد ائتلافى قبل أن يفوت وقت التلافى وقم وتسبب لى فى حبل تشد طرفه فى شجرة وتدلى طرفه الآخر الى حتى أتعلق به لعلى أنجو مما أنا فيه وأدفع لك جميع ماتحوته يدى من الذخائر فقال له الثعلب لقد أكثرت من المحاورة فيما ليس فيه خلاصك فلا ترج منى نجاة نفسك واذكر ماسلف من سوء فعالك وما تضمره لى من الغدر والمكر وأين أنت من الرجم بالحجارة واعلم بأن ذاتك للدنيا مفارقة ومنها زائلة وعنها راحلة ثم تصير الى الدمار وسوء الدار فقال له الذئب ياأبا الحصين كن قريب الرجوع الى الوداد ولا تصر على ضغائن الاحقاد واعلم ان من خلص نفسا من الهلاك فقد أحياها ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولا تتبع الفساد فان الحكماء تكرهه ولا فساد أظهر من كونى فى تلك الحفرة أتجرع غصص الموت وأنظر الى الهلاك وأنت قادر على خلاصى من الارتباك فقال له الثعلب أيها الفظ الغليظ انى أشبهك فى حسن علانيتك وقبح نيتك بالباز مع الحجل قال الذئب وما حديث الباز والحجل قال الثعلب دخلت يوما كرما لآكل من عنبه فبينما أنا فيه اذ رأيت بازا انقض على حجل فلما اقتنصه انفلت منه الحجل ودخل وكره واختفى فيه فتبعه الباز وناداه أيها الجاهل انى رأيتك فى البرية جائعا فرحمتك والتقطت لك حبا وأمسكته لتأكل فهربت منى ولم أعرف لهروبك وجها الا الحرمان فاظهر وخذ ما أتيتك من الحب فكله هنيأ مريأ فلما سمع الحجل قول الباز صدقه وخرج اليه فأنشب مخالبه فيه ومكنها منه فقال له الحجل أهذا الذى ذكرت انك أتيتنى به من البرية وقلت لى كله هنيأ مريأ فكذبت على جعل الله ماتأكله من لحمى فى جوفك سما قاتلا فلما أكله وقع ريشه وسقطت قوته ومات لوقته ثم قال له الثعلب اعلم أيها الذئب ان من حفر لأخيه قليبا وقع فيه قريبا وأنت غدرت بى أولا فقال الذئب للثعلب دعنى من هذا المقال وضرب الامثال ولا تذكر لى ماسلف منى من قبيح الفعال يكفينى ما أنا فيه من سوء الحال حيث وقعت فى ورطة يرثى لى منها العدو فضلا عن الصديق وانظر لى حيلة أتخلص بها وكن فيها غياثى وان كان عليك فى ذلك مشقة فقد يحتمل الصديق لصديقه أشد النصب ويقاسى فيما فيه نجاته العطب وقد قيل ان الصديق الشفيق خير من الأخ الشقيق وان تسببت فى نجاتى لأجمعن لك من الآلة مايكون لك عدة ثم لأعلمنك من

الحيل الغريبة ماتفتح به الكروم الخصبة وتجنى الاشجار المثمرة فطب نفسا وقر عينا فقال له الثعلب وهو يضحك ما أحسن ماقالته العلماء فى كثير الجهل مثلك قال الذئب وماقالت العلماء قال الثعلب ذكر العلماء أن الغليظ الجثة الغليظ الطبع يكون بعيدا من العقل قريبا من الجهل لان قولك أيها الماكر الأحمق قد يتحمل الصديق المشقة فى تخليص صديقه صحيح كماذكرت ولكن عرفنى بجهلك وقلة عقلك كيف أصادقك مع خيانتك أحسبتنى لك صديقا وأنا لك عدو شامت وهذا الكلام أشد من رشق السهام ان كنت تعقل وأما قولك انك تعطينى من الآلات مايكون عدة لى وتعلمنى من الحيل ما أصل به الى الكروم المخصبة وأجتنى به الاشجار المثمرة فمالك أيها المخادع الغادر لاتعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك فما أبعدك من المنفعة لنفسك وما أبعدنى من القبول لنصيحتك فان كان عندك حيل فتحيل لنفسك فى الخلاص من هذا الامر الذى أسأل الله أن يبعد خلاصك منه فانظر أيها الجاهل ان كان عندك حيلة فخلص نفسك بها من القتل قبل أن تبذل التعليم لغيرك ولكنك مثل انسان حصل له مرض فأتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه فقال له هل لك أن أداويك من مرضك فقال له الرجل هلا بدأت بنفسك بالمداواة فتركه وانصرف وأنت أيها الذئب كذلك فالزم مكانك واصبر على ما أصابك فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم انه لاخير له عنده فبكى على نفسه وقال قد كنت فى غفلة من أمرى فان خلصنى الله من هذا الكرب لأتوبن من تجبرى على من هو أضعف منى ولألبسن الصوف ولأصعدن الجبل ذاكرا الله تعالى خائفا من عقابه وأعتزل سائر الوحوش ولأطعمن المجاهدين والفقراء ثم بكى وانتحب فرق له قلب الثعلب وكأنه لما سمع تضرعه والكلام الذى يدل على توبته من العتو والتكبر أخذته الشفقة عليه فوثب من فرحته ووقف على شفير الحفيرة ثم جلس على رجليه وأدلى ذنبه فى الحفيرة فعند ذلك قام الذئب ومد يده الى ذنب الثعلب وجذبه اليه فصار فى الحفيرة معه ثم قال له الذئب أيها الثعلب القليل الرحمة كيف تشمت بى وقد كنت صاحبى وتحت قهرى وقد وقعت معى فى الحفرة وتعجلت لك العقوبة وقد قالت الحكماء لو عاير أحدكم أخاه برضاع كلبة لارتضعها وما أحسن قول الشاعر

اذا ما الدهر جر على أناس * كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم قال الذئب للثعلب فلا بد أن أعجل قتلك قبل أن ترى قتلى فقال الثعلب فى نفسه انى وقعت مع هذا الجبار وهذا الحال يحتاج الى المكر والخدائع وقد قيل ان المرأة تصوغ حليها اليوم الزينة وفى المثل ماادخرتك يادمعتى الا لشدتى وان لم أتحيل فى أمر هذا الوحش الظالم هلكت

لامحالة وما أحسن قول الشاعر

عش بالخداع فأنت فى * زمن بنوه كأسد بيشه
وأدر قناة المكر حتى تستدير رحى المعيشة
واجن الثمار فان تفتك فرض نفسك بالحشيشة

ثم ان الثعلب قال للذئب لا تعجل على بالقتل فتندم أيها الوحش الصنديد صاحب القوة والبأس الشديد وان تمهلت وأمعنت النظر فيما أحكيه لك عرفت قصدى الذى قصدته وان عجلت بقتلى فلا فائدة لك فيه ونموت جميعا ههنا فقال له الذئب أيها الخادع الماكر وما الذى ترجوه من سلامتى وسلامتك حتى تسألنى التمهل عليك فأخبرنى بقصدك الذى قصدته فقال له الثعلب أما قصدى الذى قصدته فمما ينبغى أن تحسن عليه مجازاتى لانى سمعت ما وعدت من نفسك واعترافك بما سلف منك وتلهفك على مافاتك من التوبة وفعل الخير وسمعت ما نذرته على نفسك من كف الأذى عن الاصحاب وغيرهم وتركك أكل العنب وسائر الفواكه ولزومك الخشوع وتقليم أظفارك وتكسير أنيابك وان تلبس الصوف وتقرب القربان لله تعالى ان نجاك مما أنت فيه فأخذتنى الشفقة عليك مع انى كنت على هلاكك حريصا فلما سمعت منك توبتك وما نذرته على نفسك ان نجاك الله لزمنى خلاصك مما أنت فيه فأدليت اليك ذنبى لكيما تتعلق به وتنجو فلم تترك الحالة التى أنت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل جذبتنى جذبة ظننت منها ان روحى قد خرجت فصرت أنا وأنت فى منزلة الهلاك والموت وما ينجينى أنا وأنت الاشئ ان قبلته منى خلصت أنا وأنت وبعد ذلك يجب عليك أن تفى بما نذرته وأكون رفيقك فقال له الذئب وما الذى أقبله منك قال له الثعلب تنهض قائما ثم أعلو أنا فوق رأسك حتى أكون قريبا من ظاهر الارض فانى حين أصير فوقها أخرج وآتيك بما تتعلق به وتخلص أنت بعد ذلك فقال له الذئب لست بقولك واثقا لان الحكماء قالوا من استعمل الثقة فى موضع الحقد كان مخطئا وقيل من وثق بغير ثقة كان مغرورا ومن جرب المجرب حلت به الندامة ومن لم يفرق بين الحالات فيعطى كل حالة حظها بل حمل الاشياء كلها على حالة واحدة قل حظه وكثرت مصائبه وما أحسن قول الشاعر

لا يكن ظنك الا سيئا * ان سوء الظن من أقوى الفطن
مارمى الانسان فى مهلكة * مثل فعل الخير والظن الحسن

(وقول الآخر)

ألزم بقينك سوء الظن تنج به * من عاش مستيقظا قلت مصائبه

والق العدو بوجه باسم طلق * وانصب له فى الحشى جيشا يحاربه

﴿وقول الآخر﴾

أعدى عدوك أدنى من وثقت به * فاذر الناس واصحبهم على دخل
وحسن ظنك بالايام معجزة * فظن شرا وكن منها على وجل

فقال له الثعلب ان سوء الظن ليس محمودا فى كل حال وحسن الظن من شيم الكمال وعاقبته النجاة من الاهوال وينبغى لك أيها الذئب أن تتحيل على النجاة مما أنت فيه ونسلم جميعا خير من موتنا فارجع عن سوء الظن والحقد لانك ان أحسنت الظن بى لا أخلو من أحد أمرين اما أن آتيك بما تتعلق به وتنجو مما أنت فيه واما أن أغدر بك فاخلص وأدعك وهذا مما لا يمكن فانى لا آمن أن أبتلى بشىء مما ابتليت به فيكون ذلك عقوبة الغدر وقد قيل فى الامثال الوفاء مليح والغدر قبيح فينبغى أن تثق بى فانى لم أكن جاهلا بحوادث الدهر فلا تؤخر حيلة خلاصنا فالامر أضيق من أن نطيل فيه الكلام فقال الذئب انى مع قلة ثقتى بوفائك قد عرفت ما فى خاطرك من انك أردت خلاصى لما عرفت توبتى فقلت فى نفسى ان كان محقا فيما زعم فانه يستدرك ما أفسد وان كان مبطلا فجزاؤه على ربه وها أنا أقبل منك ما أشرت به على فان غدرت بى كان الغدر سببا لهلاكك ثم ان الذئب انتصب قائما فى الحفرة وأخذ الثعلب على أكتافه حتى ساوى به ظاهر الارض فوثب الثعلب عن أكتاف الذئب حتى صار على وجه الارض ووقع مغشيا عليه فقال له الذئب يا خليلى لا تغفل عن أمرى ولا تؤخر خلاصى فضحك الثعلب وقهقه وقال أيها المغرور لم يوقعنى فى يدك الا المزح معك والسخرية بك وذلك انى لما سمعت توبتك استخفنى الفرح فطربت ورقصت فتدلى ذنبى فى الحفرة فجذبتنى فوقعت عندك ثم أنقذنى الله تعالى من يدك فمالى لا أكون عونا على هلاكك وأنت من حزب الشيطان واعلم انى رأيت البارحة فى منامى انى أرقص فى عرسك فقصصت الرؤيا على معبر فقال لى انك تقع فى ورطة وتنجو منها فعلمت ان وقوعى فى يدك ونجاتى هو تأويل رؤياى وأنت تعلم أيها المغرور الجاهل انى عدوك فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك فى انقاذى اياك مع ما سمعت من غلظ كلامى وكيف أسعى فى نجاتك وقد قالت العلماء ان فى موت الفاجر راحة للناس وتطهير للارض ولولا مخافة ان أحتمل من الالم فى الوفاء لك ما هو أعظم من ألم الغدر لتدبرت فى خلاصك فلما سمع الذئب كلام الثعلب عض على كفه ندما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الذئب لما سمع كلام الثعلب عض على كفه ندما ثم لين له الكلام ولم يجد بدا من ذلك وقال له بلسان

خافت

خافت انكم معاشر الثعالب من أحلى القوم لسانا وألطفهم مزاحا وهذا منك مزاح ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاح فقال الثعلب أيها الجاهل ان للمزاح حدا لا يجاوزه صاحبه فلا تحسب ان الله يمكنك منى بعد ان أنقذنى من يديك فقال له الذئب انك لجدير أن ترغب فى خلاصى لما بيننا من سابق المواخاة والصحبة وان خلصتنى لابد أن أحسن مكافأتك فقال الثعلب قد قالت الحكماء لا تواخ الجاهل الفاجر فانه يشينك ولا يزينك ولا تواخ الكذاب فانه ان بدا منك خير أخفاه وان بدا منك شر أفشاه وقالت الحكماء لكل شئ حيلة الا الموت وقد يصلح كل شئ الا فساد الجوهر وقد يدفع كل شئ الا القدر وأما من جهة المكافأة التى زعمت انى أستحقها منك فانى شبهتك فى مكافأتك بالحية الهاربة من الحاوى اذ رآها رجل وهى مرعوبة فقال لها ماشأنك أيها الحية قالت هربت من الحاوى فانه يطلبنى ولئن أنجيتنى منه وأخفيتنى عندك لأحسنن مكافأتك واصنع معك كل جميل فأخذها اغتناما للأجر وطمعا فى المكافأة وأدخلها فى جيبه فلما فات الحاوى ومضى الى حال سبيله وزال عنها ما كانت تخافه قال لها الرجل أين المكافأة فقد أنجيتك مما تخافين وتحذرين فقالت له الحية اخبرنى فى أى عضو أنهشك وقد علمت اننا لا نتجاوز هذه المكافأة ثم نهشته نهشة مات منها وأنت أيها الاحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل أما سمعت قول الشاعر

لا تأمنن فتى أسكنت مهجته * غيظا وتحسب أن الغيظ قد زالا
ان الافاعى وان لانت ملامسها * تبدى انعطافا وتخفى السم قتالا

فقال له الذئب أيها الفصيح صاحب الوجه المليح لا تجهل حالى وخوف الناس منى وقد علمت انى أهجم على الحصون واقلع الكروم فافعل ما أمرتك به وقم بى قيام العبد بسيده فقال له الثعلب أيها الأحمق الجاهل المحاول بالباطل انى تعجبت من حماقتك وصلابة وجهك فيما تأمرنى به من خدمتك والقيام بين يديك حتى كأنى عبدك ولكن سوف ترى ما يحل بك من شرخ رأسك بالحجارة وكسر أنيابك الغدارة ثم وقف الثعلب على تل يشرف على الكرم ولم يزل يصيح لأهل الكرم حتى بصروا به وأقبلوا عليه مسرعين فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفرة التى فيها الذئب ثم ولى الثعلب هاربا فنظر أصحاب الكرم فى الحفرة فلما رأوا فيها الذئب وقعوا عليه بالحجارة الثقال ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونه بأسنة الرماح حتى قتلوه وانصرفوا فرجع الثعلب الى تلك الحفرة ووقف على مقتل الذئب فرآه ميتا فحرك رأسه من شدة الفرحات وأنشد هذه الابيات

أودى الزمان بنفس الذئب فاختطفت * بعدا وسحقا لها من مهجة تلفت
فكم سعيت أبا سرحان فى تلفى * فاليوم حلت بك الآفات والتهبت

وقعت فى حفـرة ماحلها أحـد * الا وفيها ياح الموت قد عصفت

ثم ان الثعلب أقام بالكرم وحده مطمئنا لايخاف ضررا وهذا ما كان من حديث الذئب والثعلب ومما يحكى ان فأرة و بنت عرس كانا ينزلان منزلا لبعض الناس وكان ذلك الرجل فقيرا وقد مرض بعض أصدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور فأعطى قدرا من السمسم لذلك الرجل الفقير ليقشره له فأعطاه ذلك الرجل لزوجته وأمرها باصلاحه فقشرته تلك المرأة له وأصلحته فلما عاينت بنت عرس السمسم أتت اليه ولم تزل تنقل من ذلك السمسم الى جحرها طول يومها حتى نقلت أ كثره وجاءت المرأة فرأت نقصان السمسم وانها جلست ترصد من يأتى اليه حتى تعلم سبب نقصانه فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المرأة جالسة فعلمت انها ترصدها فقالت فى نفسها ان لهذا الفعل عواقب ذميمة وانى أخشى من تلك المرأة أن تكون لى بالمرصاد ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب ولا بد لى أن أعمل عملا حسنا أظهر به براءتى من جميع ما عملته من القبيح فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذى فى جحرها فرأتها المرأة وهى تفعل ذلك فقالت فى نفسها ما هذه سبب نقصه لانها تأتى به من جحر الذى اختلسه وتضعه على بعضه وقد أحسنت الينا فى رد السمسم وما جزاء من أحسن الا أن يحسن اليه وليست هذه آفة فى السمسم ولكن لا أزال أرصده حتى يقع وأعلم من هو فعلمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت الى الفأرة فقالت لها يا أختى انه لا خير فيمن لا يراعى المجاورة ولا يثبت على المودة فقالت الفأرة نعم يا خليلتى وأنعم بك و بجوارك فما سبب هذا الكلام قالت بنت عرس ان رب البيت أتى بسمسم فأكل منه هو وعياله وشبعوا واستغنوا عنه وتركوه وقد أخذ منه كل ذى روح فلو أخذت انت الاخرى كنت أحق به ممن يأخذ منه فأعجب الفأرة ذلك ورقصت ولعبت بذنبها وغرها الطمع فى السمسم فقامت من وقتها وخرجت من بيتها فرأت السمسم مقشورا يلمع من البياض والمرأة جالسة ترصده فلم تفكر الفأرة فى عاقبة الامر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة فلم تتمالك الفأرة نفسها حتى دخلت فى السمسم وعاثت فيه وصارت تأكل منه فضربتها المرأة بتلك الهراوة فشجت رأسها وكان الطمع سبب هلاكها وغفلتها عن عواقب الامور فقال الملك يا شهرزاد والله ان هذه حكاية مليحة فهل عندك حديث فى حسن الصداقة والمحافظة عليها عند الشدة والتخلص من الهلكة قالت نعم بلغنى ان غرابا وسنورا كانا متآخيين فبينما هما تحت شجرة على تلك الحالة اذ رأيا نمرا مقبلا على تلك الشجرة التى كانا تحتها ولم يعلما به حتى صار قريبا من الشجرة فطار الغراب الى أعلى الشجرة وبقى السنور متحيرا فقال للغراب يا خليلى هل عندك حيلة فى خلاصى كما هو الرجاء فيك فقال له

الغراب

الغراب انما تلتمس الاخوة عند الحاجة اليهم فى الحيلة عند نزول المكروه بهم وما أحسن قول الشاعر

ان صديق الحق من كان معك ❊ ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك ❊ شتت فيك شمله ليجمعك

وكان قريبا من الشجرة رعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجه الارض ونعق وصاح ثم تقدم اليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلا فتبعته الكلاب وصارت فى اثره ورفع الراعى رأسه فرأى طائرا يطير قريبا من الارض ويقع فتبعه وصار الغراب لا يطير الا بقدر التخلص من الكلاب ويطمعها فى أن تفترسه ثم ارتفع قليلا وتبعته الكلاب حتى انتهى الى الشجرة التى تحتها النمر فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه فولى هاربا وكان يظن أنه يأكل السنور فنجا منه ذلك السنور بحيلة الغراب صاحبه وقد أخبرتك بهذا أيها الملك لتعلم ان مودة اخوان الصفاء تنجى من المهلكات وحكى ان ثعلبا سكن فى بيت فى الجبل وكان كلما ولد ولدا واشتد ولده أكله من الجوع وان لم يأكل ولده أضر به الجوع وكان يأوى الى ذروة ذلك الجبل غراب فقال الثعلب فى نفسه أريد ان أعقد بينى و بين هذا الغراب مودة واجعله لى مؤنسا على الوحدة معاونا على طلب الرزق لانه يقدر من ذلك على ما لا أقدر عليه فدنا الثعلب من الغراب حتى صار قريبا منه بحيث يسمع كلامه فسلم عليه ثم قال له يا جارى ان للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الاسلام واعلم بانك جارى ولك على حق يجب قضاؤه وخصوصا مع طول المجاورة على ان فى صدرى وديعة من محبتك دعتنى الى ملاطفتك وبعثتنى على التماس أخوتك فما عندك من الجواب فقال الغراب للثعلب اعلم ان خير القول أصدقه وربما تتحدث بلسانك ما ليس فى قلبك واخشى ان تكون اخوتك باللسان ظاهرا وعداوتك فى القلب لانك آكل وأنا مأكول فوجب لنا التباين فى المحبة ولا يمكن مواصلتنا فما الذى دعاك الى طلب ما لا تدركه وارادة ما لا يكون وأنت من جنس الوحش وأنا من جنس الطير وهذه الاخوة لا تصح فقال له الثعلب ان من علم موضع الاخلاء فأحسن الاختيار فيما يختاره منهم ربما يصل الى منافع الاخوان وقد أحببت قربك واخترت الانس بك ليكون بعضنا عونا للبعض على أغراضنا وتعقب مودتنا نجاحا وعندى حكايات فى حسن الصداقة ان أردت أن أحكيها حكيتها لك فقال الغراب أذنت لك فى أن تبثها فحدثنى بها حتى أعرف المراد منها فقال له الثعلب اسمع يا خليلى يحكى عن برغوث وفأرة ما يستدل به على ما ذكرته لك فقال الغراب وكيف كان ذلك فقال الثعلب زعموا ان فأرة كانت فى بيت رجل من التجار كثير المال فأوى البرغوث ليلة الى فراش ذلك

التاجر فرأى بدنا ناعما وكان البرغوث عطشان فشرب من دمه ووجد التاجر من البرغوث ألما فاستيقظ من النوم واستوى قاعدا ونادى بعض أتباعه فأسرعوا اليه وشمروا عن أيديهم يطوفون على البرغوث فلما أحس البرغوث بالطلب ولى هاربا فصادف جحر الفارة فدخله فلما رأته الفارة قالت له ما الذى أدخلك علىّ ولست من جوهرى ولا من جنسى ولستَ بآمن من الغلظة عليك ولا مضاررتك فقال لها البرغوث انى هربت فى منزلك وفزت بنفسى من القتل وأتيتك مستجيرا بك ولا طمع لى فى بيتك ولا يلحقك منى شر يدعوك الى الخروج من منزلك وانى أرجو أن أكافئك على احسانك الىّ بكل جميل وسوف تحمدين عاقبة ما أقول لك فلما سمعت الفارة كلام البرغوث وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الفارة لما سمعت كلام البرغوث قالت اذا كان الكلام على ما أخبرت فاطمئن هنا وما عليك بأس ولا تجد الا ما يسرك ولا يصيبك الا ما يصيبنى وقد بذلت لك مودتى ولا تندم على ما فاتك من دم التاجر ولا تأسف على قوتك منه وارض بما تيسر لك من العيش فان ذلك أسلم لك وقد سمعت أيها البرغوث بعض الوعاظ ينشد هذه الابيات

سلكت القناعة والانفراد ✽ وقضيت دهرى بماذا اتفق
بكسرة خبز وشربة ماء ✽ وملح جريش وثوب خلق
فان يسر الله لى عيشتى ✽ والا قنعت بما قد رزق

فلما سمع البرغوث كلام الفارة قال يا أختى قد سمعت وصيتك وانقدت الى طاعتك ولا قوة لى على مخالفتك الى أن ينقضى العمر بتلك النية الحسنة فقالت له الفارة كفى بصدق المودة فى صلاح النية ثم انعقد الود بينهما وكان البرغوث بعد ذلك يأوى الى فراش التاجر ولا يتجاوز بلغته ويأوى بالنهار مع الفارة فى مسكنها فاتفق ان التاجر جاء ليلة الى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلبها فلما سمعت الفارة صوت الدنانير أطلعت رأسها من جحرها وجعلت تنظر اليها حتى وضعها التاجر تحت وسادة ونام فقالت الفارة للبرغوث أما ترى الفرصة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا الى بلوغ الغرض من تلك الدنانير قال البرغوث انه لا يحسن لمن طلب الغرض الا أن يكون قادرا عليه فان كان ضعيفا عنه وقع فيما يحذره ولم يدرك مراده مع الضعف وان استحكمت قوة المحتال كالعصفور الذى يلتقط الحب فيقع فى الشبكة فيقتنصه صائده وليس لك قوة على أخذ الدنانير ولا على اخراجها من البيت وأنا لا طاقة لى على ذلك بل ولا على حمل دينار واحد منها فشأنك والدنانير فقالت له الفارة انى أعددت فى جحرى هذا سبعين منفذا اخرج منها متى أردت الخروج

الخروج وأعددت للذخائر موضعا يزاوان تحيلت أنت على اخراجه من البيت فلست أشك في الظفر ان ساعدني القدر فقال لها البرغوث قد التزمت لك باخراجه من البيت ثم انطلق البرغوث الى فراش التاجر ولدغه لدغة قوية لم يكن جرى للتاجر مثلها ثم تنحى البرغوث الى موضع يأمن فيه على نفسه من التاجر وانتبه التاجر يفتش على البرغوث فلم يجد شيأ فرقد على جنبه الآخر فلدغه البرغوث لدغة أشد من الاولى فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج الى مصطبة على باب داره فنام هناك ولم ينتبه الى الصباح ثم ان الفارة أقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيأ فلما أصبح الصباح صار التاجر يتهم الناس ويظن الظنون ثم قال الثعلب للغراب واعلم انى لم أقل لك هذا الكلام أيها الغراب البصير العاقل الخبير الا ليصل اليك جزاء احسانك الى كما وصل للفارة جزاء احسانها الى البرغوث فانظر كيف جازاها أحسن المجازاة وكافأها أحسن المكافاة فقال الغراب ان شاء المحسن يحسن أولا يحسن وليس الاحسان واجبا لمن التمس صلة بقطيعة وان أحسنت اليك مع كونك عدوى أكون قد تسببت فى قطيعة نفسى وأنت أيها الثعلب ذو مكر وخداع ومن شيمته المكر والخديعة لا يؤمن على عهد ومن لا يؤمن على عهد لا أمان له وقد بلغنى من قريب انك غدرت بصاحبك الذئب ومكرت به حتى أهلكته بغدرك وحيلتك وفعلت به هذه الامور مع انه من جنسك وقد صحبته مدة مديدة فما أبقيت عليه فكيف أثق منك بنصيحة واذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذى من جنسك فكيف يكون فعلك مع عدوك الذى من غير جنسك وما مثالك معى الامثال الصقر مع ضوارى الطير فقال الثعلب وما حكاية الصقر مع ضوارى الطير فقال الغراب زعموا أن صقرا كان جبارا عنيدا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الغراب قال زعموا ان صقرا كان جبارا عنيدا أيام شبيبته وكانت سباع البر وسباع الطير تفزع منه ولا يسلم من شره أحد وله حكايات كثيرة فى ظلمه وتجبره وكان دأب هذا الصقر الاذى لسائر الطيور فلما مرت عليه السنون ضعف وجاع واشتد جهده بعد فقد قوته فأجمع رأيه على أن يأتى مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها فعند ذلك صار قوته بالحيلة بعد القوة والشدة وأنت كذلك أيها الثعلب ان عدمت قوتك ما عدمت خداعك ولست أشك فى ان ما تطلبه من صحبتى حيلة على قوتك فلا كنت ممن يضع يده فى يدك لان الله أعطانى قوة فى جناحى وحذرا فى نفسى وبصرا فى عينى واعلم ان من تشبه بأقوى منه تعب وربما هلك وأنا أخاف عليك ان تشبهت بمن هو أقوى منك ان يجرى لك ما جرى للعصفور قال الثعلب وما جرى للعصفور فبالله عليك أن تخبرنى به

فقال الغراب بلغني ان عصفورا كان طائراً براح غنم فنظر الى المراح واذا بعقاب كبير انقضّ على رميس من صغار أولاد الغنم فاختطفه بمخالبه وطار فلما رآه العصفور نشر جناحه وقال أنا أفعل مثل مافعل هذا واعجبته نفسه وتشبه بمن هو أكبر منه فطار لوقته وانقضّ على كبش سمين له صوف كثير وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه فصار صوفه مثل البزاق فلما انقضّ على ظهره صفق بجناحيه فاشتبكت رجلاه في الصوف فاراد أن يطير فلم يستطع الطيران وقد حصل كل هذا والراعي ينظر ماجرى لهما فرجع اليه الراعي غضبان فقبضه وتنف أجنحته وربط في رجليه خيطا وأتى به الى أولاده ورماه لهم فقال بعض الاولاد ماهذا فقال هذا تشبه بمن هو أعلى منه فهلك وأنت كذلك أيها الثعلب احذرك ان تتشبه بمن هو أقوى منك فتهلك هذا ماعندي من الكلام واذهب عني بسلام فلما يئس الثعلب من مصادقة الغراب رجع من حزنه يئن وقرع للندامة سنا على سن فلما سمع الغراب بكاءه وأنينه ورأى كآبته وحزنه قال أيها الثعلب مانابك حتى قرعت نابك قال له الثعلب انما قرعت سني لاني رأيتك أخدع مني ثم انه ولى هاربا ورجع الى جحره طالبا وهذا ما كان من حديثهما أيها الملك فقال الملك ياشهرزاد ما أحسن هذه الحكايات هل عندك شيء مثلها من الخرافات قالت ويحكى ان قنفذا اتخذ مسكنا بجانب نخلة وكان الورشان هو وزوجته قد اتخذ عشا في النخلة وعاشا فوقها عيشا رغدا فقال القنفذ في نفسه ان الورشان يأكل من ثمر النخلة وأنا لا أجد الى ذلك سبيلا ولكن لابد من استعمال الحيلة ثم حفر في أسفل النخلة بيتا واتخذه مسكناله ولزوجته واتخذ جانبه مسجدا وانفرد فيه وأظهر النسك والعبادة وترك الدنيا وكان الورشان يراه متعبدا مصليا فرق له من شدة زهده وقال له كم سنة وأنت هكذا قال مدة ثلاثين سنة قال ماطعامك قال مايسقط من النخلة قال مالباسك قال شوك انتفع بخشونته فقال وكيف اخترت مكانك هذا على غيره قال اخترته على غير طريقي لاجل ان أرشد الضال وأعلم الجاهل فقال له الورشان كنت أظن أنك على غير هذه الحالة ولكنني الآن رغبت فيما عندك فقال القنفذ انى أخشى أن يكون قولك ضد فعلك فتكون كالزراع الذي لما جاء وقت الزرع قصر في بذره وقال انى أخشى أن يكون أوان الزرع قد فات فأكون قد أضعت المال بسرعة البذر فلما جاء وقت الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون ندم على مافاته من تقصيره من تخلفه ومات أسفا وحزنا فقال الورشان للقنفذ وماذا أصنع حتى أتخلص من علائق الدنيا وانقطع الى عبادة ربي قال له القنفذ خذ في الاستعداد للمعاد والقناعة بالكفاف من الزاد فقال الورشان كيف لي بذلك وأنا طائر لاأستطيع ان أتجاوز النخلة التي فيها قوتي ولو استطعت ذلك ماعرفت موضعا أستقر فيه فقال القنفذ يمكنك أن تنثر من ثمر النخلة مايكفيك مؤنة عام أنت وزوجتك

وزوجتك وتسكن فى وكر تحت النخلة لالتماس حسن ارشادك ثم مل الى ماتثرته من التمر فانقله جيعه وادّخره قوتا للعدم واذا فرغت الثمار وطال عليك المطال صر الى كفاف من العيش فقال الورشان جزاك الله خيرا حيث ذكرتنى بالمعاد وهديتنى الى الرشاد ثم تعب الورشان هو وزوجته فى طرح الثمر حتى لم يبق فى النخلة شئ فوجد القنفذ مايأكل وفرح به وملأ مسكنه من الثمر وادّخره لقوته وقال فى نفسه ان الورشان هو وزوجته اذا احتاجا الى مؤنتهما طلباها منى وطمعا فيما عندى وركنا الى تزهدى وورعى فاذا سمعا نصيحتى ووعظى دنيامنى فأقتنصهما وآكلهما وبخلولى هذا المكان وكل ماتساقط من ثمر النخلة يكفينى ثم ان الورشان نزل هو وزوجته من فوق النخلة بعد أن نثرا ماعليهما من التمر فوجدا القنفذ قد نقل جيع ذلك الى جحره فقال له الورشان أيها القنفذ الصالح والواعظ الناصح انالم نجد للتمر أثرا ولا نعرف لقوتنا غيره ثمرا فقال لعله طارت به الرياح والاعراض عن الرزق الى الرازق عين الفلاح فالذى شق الاشداق لايتركها بلا أرزاق ومازال يعظهما بتلك المواعظ ويظهر لهما الورع بزخرف الملافظ حتى ركنا اليه وأقبلا عليه ودخلا باب وكره وأمنا من مكره فوثب الى الباب وقرع الانياب فلما رأى الورشان منه الخديعة لائحة قال له أين الليلة من البارحة أما تعلم ان للمظلومين ناصرا فاياك والمكر والخديعة لئلا يصيبك ما أصاب الخداعين الذين مكروا بالتاجر فقال القنفذ وكيف ذلك قال بلغنى ان تاجرا من مدينة يقال لها سنده كان ذا مال واسع فشدّ أحمالا وجهز متاعا وخرج به الى بعض المدن ليبيعه فيها فتبعه رجلان من المكرة وحملا شيأ من مال ومتاع وأظهرا للتاجر انهما من التجار وسارا معه فلما نزلا أول منزل اتفقا على المكر به وأخذ مامعه ثم ان كل واحد منهما أضمر المكر لصاحبه وقال فى نفسه لو مكرت بصاحبى بعد مكرنا بالتاجر لصفا لى الوقت وأخذت جيع المال ثم أضمر البعضهما على نية فاسدة وأخذ كل منهما طعاما وجعل فيه سما وقربه لصاحبه فقتلا بعضهما وكانا يجلسان مع التاجر ويحدثانه فلما أبطآ عليه فتش عليهما ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين فعلم أنهما كانا محتالين وأرادا المكر به فعاد عليهما مكرهما وسلم التاجر وأخذ ما كان معهما فقال الملك نبهتنى ياشهرزاد على شئ كنت غافلا عنه أفلا تزيدينى من هذه الامثال قالت بلغنى أيها الملك ان رجلا كان عنده قرد وكان ذلك الرجل سارقا لايدخل سوقا من أسواق المدينة التى هو فيها الا و يرجع بكسب عظيم فاتفق ان رجلا حمل أثوابا مقطعة ليبيعها فذهب بها الى السوق وصار ينادى عليها فلا يسومها أحد وكان لايعرضها على أحد الا امتنع من شرائها فاتفق ان السارق الذى معه القرد رأى الشخص الذى معه الثياب المقطعة وكان قد وضعها فى بقجة وجلس يستريح من التعب فلعب القرد قدامه حتى

أشغله بالفرجة عليه واختلس منه تلك البقجة ثم أخذ القرد وذهب الى مكان خال وفتح البقجة فرأى تلك الثياب المقطعة فوضعها فى بقجة نفيسة وذهب بها الى سوق آخر وعرض البقجة للبيع بما فيها واشترط أن لا تفتح ورغب الناس فيها لقلة الثمن فرآها رجل وأعجبه نفاستها فاشتراها بهذا الشرط وذهب بها الى زوجته فلما رأت ذلك امرأته قالت ما هذا قال متاع نفيس اشتريته بدون القيمة لا بيعه وآخذ فائدته فقالت أيها المغبون أيباع هذا المتاع باقل من قيمته الا اذا كان مسروقا أما تعلم ان من اشترى شيأ ولم يعاينه كان مخطئا وكان مثله مثل الحائك فقال لها وكيف كان ذلك فقالت بلغنى ان حائكا كان فى بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت الا بجهد فاتفق ان رجلا من الاغنياء كان ساكنا قريبا منه قد أولم وليمة ودعا الناس اليها فحضر الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم الاطعمة الفاخرة وصاحب المنزل يعظمهم لما يرى من حسن زيهم فقال فى نفسه لو بدلت تلك الصنعة بصنعة أخف مؤنة منها وأكثر أجرة لجمعت مالا كثيرا واشتريت ثيابا فاخرة وارتفع شأنى وعظمت فى أعين الناس ثم نظر الى بعض أهل الملاعب الحاضرين فى الوليمة وقد صعد سورا شاهقا ثم رمى بنفسه الى الارض ونهض قائما فقال فى نفسه لابد أن أعمل مثل عمل هذا ولا أعجز عنه ثم صعد الى السور ورمى نفسه فلما وصل الى الارض اندقت رقبته فمات وانما أخبرتك بذلك لئلا يتمكن منك الشره فترغب فيما ليس من شأنك فقال لها زوجها ما كل عالم يسلم بعلمه ولا كل جاهل يعطب بجهله وقد رأيت الحاوى الخبير بالافاعى العالم بها ربما نهشته الحية فتقتله وقد يظفر بها الذى لا معرفة له بها ولا علم عنده باحوالها ثم خالف زوجته واشترى المتاع وأخذ فى تلك العادة فصار يشترى من السارقين بدون القيمة الى أن وقع فى تهمة فهلك فيها وكان فى زمنه عصفور يأتى كل يوم الى ملك من ملوك الطيور ولم يزل غاديا ورائحا عنده بحيث كان أول داخل عليه وآخر خارج من عنده فاتفق ان جماعة من الطير اجتمعوا فى جبل عال من الجبال فقال بعضهم لبعض انا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولا بد لنا من ملك ينظر فى أمورنا فتجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف عنا فمر بهم ذلك العصفور فاشار عليهم بتمليك الطاوس وهو الملك الذى يتردد اليه فاختاروا الطاوس وجعلوه عليهم ملكا فاحسن اليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره فكان تارة يترك الملازمة وينظر فى الامور ثم ان العصفور غاب يوما عن الطاوس فقلق قلقا عظيما فبينما هو كذلك اذ دخل عليه العصفور فقال له ما الذى أخرك وأنت أقرب أتباعى الى فقال العصفور رأيت أمرا واشتبه على فتخوفت منه فقال له الطاوس ما الذى رأيت قال العصفور رأيت رجلا معه شبكة قد نصبها عند وكرى وثبت أوتادها وبذر فى وسطها حبا وقعد بعيدا عنها فجلست أنظر ما يفعل فبينما أنا كذلك واذا بكركى

هو

هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر حتى سقطا فى وسط الشبكة فصار يصرخان فقام الصياد وأخذهما فأزعجنى ذلك وهذا سبب غيابى عنك ياملك الزمان ومابقيت أسكن هذا الوكر حذرا من الشبكة فقال له الطاوس لاترحل من مكانك لانه لاينفع الحذر من القدر فامتثل أمره وقال سأصبر ولاأرحل طاعة للملك ولم يزل العصفور حذرا على نفسه وأخذ الطعام الى الطاوس فأكل حتى اكتفى وتناول على الطعام ماء ثم ذهب العصفور فبينما هو فى بعض الايام شاخص واذا بعصفورين يقتتلان فى الارض فقال فى نفسه كيف أكون وزير الملك وأرى العصافير تقتتل فى جوارى والله لاصلحن بينهما ثم ذهب اليهما ليصلح بينهما فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور فى وسطها فقام اليه الصياد وأخذه ودفعه الى صاحبه وقال له استوثق به فانه سمين ولم أر أحسن منه فقال العصفور فى نفسه قد وقعت فيما كنت أخاف وما كان آمنا الا الطاوس ولم ينفعنى الحذر من القدر فلا مفر من القضاء للمحاذر وما أحسن قول الشاعر

مالايكون فلايكون بحيلة * أبدا وما هو كائن فيكون
سيكون ماهو كائن فى وقته * وأخو الجهالة دائما مغبون

فقال الملك ياشهرزاد زدينى من هذا الحديث فقالت الليلة القابلة ان أبقانى الملك أعزه الله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(حكاية على بن بكار مع شمس النهار)

(فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان فى خلافة هرون الرشيد رجل تاجر له ولد يسمى أبا الحسن على بن طاهر وكان كثير المال والنوال حسن الصورة محبوبا عند كل من يراه وكان يدخل دار الخلافة من غير اذن ويحبه جميع سرارى الخليفة وجواريه وكان ينادم الملك وينشد عنده الاشعار ويحدثه بنوادر الاخبار الا انه كان يبيع ويشترى فى سوق التجار وكان يجلس على دكانه شاب من أولاد ملوك العجم يقال له على بن بكار وكان ذلك الشاب مليح القامة ظريف الشكل كامل الصورة مورد الخدين مقرون الحاجبين عذب الكلام ضاحك السن يحب البسط والانشراح فاتفق انهما كانا جالسين يتحدثان ويضحكان واذا بعشر جوار كأنهن الاقمار وكل منهن ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبينهن صبية راكبة على بغلة بسرج مزركش له ركاب من الذهب وعليها ازار رفيع وفى وسطها زنار من الحرير مطرز بالذهب كما قال فيها الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشى لاهراء ولانزر

وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب ماتفعل الخمر
فياحبها زدني جوى كل ليـلة * و ياسلوة الاحباب موعدك الحشر

ولما وصلوا الى دكان أبي الحسن نزلت عن البغلة وجلست على دكانه فسلمت عليه وسلم عليها فلما رآها على بن بكار سلبت عقله وأراد القيام فقالت له اجلس مكانك كيف تذهب اذا حضرنا هذا ماهو انصاف فقال والله ياسيدتي اني هارب مما رأيت وما أحسن قول الشاعر

هي الشمس مسكنها في السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود * ولن تستطيع اليك النزولا

فلما سمعت ذلك الكلام تبسمت وقالت لابي الحسن مااسم هذا الفتى ومن أين هو فقال لها هذا غريب اسمه على بن بكار ابن ملك العجم والغريب يجب اكرامه فقالت له اذا جاءتك جاريتي تأتي به عندي فقال أبو الحسن على الرأس ثم قامت وتوجهت الى حال سبيلها هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر على بن بكار فانه صار لايعرف مايقول وبعد ساعة جاءت الجارية الى أبي الحسن وقالت له ان سيدتي تطلبك أنت ورفيقك فنهض أبو الحسن وأخذ معه على بن بكار وتوجها الى دار هرون الرشيد فادخلتهما في مقصورة وأجلستهما واذا بالموائد وضعت قدامهما فاكلا وغسلا أيديهما ثم أحضرت لهما الشراب فشربا ثم أمرتهما بالقيام فقاما معها وأدخلتهما مقصورة أخرى مركبة على أربعة أعمدة وهي مفروشة بانواع الفرش مزينة باحسن الزينة كانها من قصور الجنان فاندهشا مما عاينا من التحف فبينما هما يتفرجان على هذه الغرائب واذا بعشر جوار أقبلن يتمايلن عجبا كانهن الاقمار يدهشن الابصار ويحيرن الافكار واصطففن كانهن من حور الجنان وجاء بعدهن عشر جوار أخر وبايديهن العيدان وآلات اللهو والطرب فسلمن عليهما وجعلن يضربن العيدان وينشدن الاشعار وكل واحدة منهن فتنة للعباد وأقبل بعدهن عشر جوار مثلهن كواعب أتراب بعيون سود وخدود حمر مقرونات الحواجب ناعسات الاطراف فتنة للعابدين ونزهة للناظرين وعليهن من أنواع الحرير الملون مايحير العقول ثم وقفن بالباب وجاء من بعدهن عشر جوار أحسن منهن وعليهن الملبوس الفاخر فوقفن بالباب أيضا ثم خرج من الباب عشرون جارية وبينهن جارية اسمها شمس النهار كانها القمر بين النجوم وهي متوشحة بفاضل شعرها وعليها لباس أزرق وازار من الحرير بطرازات من الذهب وفي وسطها حياصة مرصعة بانواع الجواهر ولم تزل تتبختر حتى جلست على السرير فلما رآها على بن بكار أنشد هذه الاشعار

ان هذي هي ابتداء سقامي * وتمادي وجدي وطول غرامي

عندها

عندها قد رأيت نفسي ذابت * من ولوعي بها وبري عظامي

فلما فرغ من شعره قال لابي الحسن لو عملت معي خيرا كنت أخبرتني بهذه الامور قبل الدخول هنا لاجل أن أوطن نفسي وأصبرها على ما أصابها ثم بكى وأن واشتكى فقال له أبو الحسن يا أخي أنا ما أردت لك الا الخير ولكن خشيت أن أعلمك بذلك فيلحقك من الوجد ما يصدك عن لقائها ويحيل بينك وبين وصالها فطب نفسا وقر عينا فهي بسعدك مقبلة ولقائك متوصلة فقال على بن بكار ما اسم هذه الصبية فقال له أبو الحسن تسمى شمس النهار وهي من محاظي أمير المؤمنين هرون الرشيد وهذا المكان قصر الخلافة ثم ان شمس النهار جلست وتأملت محاسن على بن بكار وتأمل هو حسنها واشتغلا بحب بعضهما وقد أمرت الجواري أن تجلس كل واحدة منهن في مكانها على سرير فجلست كل واحدة قبال طاقة وأمرتهن بالغناء فتسلمت واحدة منهن العود وأنشدت تقول

أعد الرسالة ثانيه * وخذ الجواب علانيه

واليك يا ملك الملا * ح وقفت أشكو حاليه

مولاي يا قلبي العزيز وياحياتي الغاليه

انعم على بقبلة * هبة والاعاريه

وأردها لك لا عدمت بعينها وكما هيه

واذا أردت زيادة * خذها ونفسك راضيه

يا ملبسي ثوب الضنى * يهنيك ثوب العافيه

فطرب على بن بكار وقال لها زيديني من مثل هذا الشعر فحركت الاوتار وأنشدت هذه الاشعار

من كثرة البعد يا حبيبي * علمت طول البكا جفوني

يا حظ عيني ويامناها * ومنتهى غايتي وديني

ارث لمن طرفه غريق * في عبرة الواله الحزين

فلما فرغت من شعرها قالت شمس النهار لجارية غيرها انشدي فاطربت بالنغمات وأنشدت هذه الابيات

سكرت من لحظه لا من مدامته * ومال بالنوم عن عيني تمايله

فما السلاف سلتني بل سوالفه * وما الشمول شلتني بل شمائله

لوى بعزمي أصداغ لوين له * وغال عقلي بما تحوي غلائله

فلما سمعت شمس النهار انشاد الجارية تنهدت وأعجبها الشعر ثم أمرت جارية أخرى أن تغني

فانشدت هذه الابيات

وجه لمصباح السماء مباه * يبدو الشباب عليه رشح مياه
رقم العذار غلائله باحرف * معنى الهوى فى طيها متناه
نادى عليه الحسن حين لقيته * هذا المنمنم فى طراز الله

فلما فرغت من شعرها قال على بن بكار لجارية قريبة منه انشدى أنت أيتها الجارية فاخذت العود وأنشدت هذه الابيات

زمن الوصال يضيق عن * هذا التمادى والدلال
كم من صدود متلف * ما هكذا أهل الجمال
فاستغنموا وقت السعو * د بطيب ساعات الوصال

فلما فرغت من شعرها تنهد على بن بكار وأرسل دموعه الغزار فلما رأته شمس النهار قد بكى وأن واشتكى أحرقها الوجد والغرام وأتلفها الوله والهيام فقامت من فوق السرير وجاءت الى باب القبة فقام على بن بكار وتلقاها وتعانقا ووقعا مغشيا عليهما فى باب القبة فقام الجوارى اليهما وحملنهما وأدخلنهما القبة ورششن عليهما ماء الورد فلما أفاقا لم يجدا أبا الحسن وكان قد اختفى فى جانب سرير فقالت الصبية أين أبو الحسن فظهر لها من جانب السرير فسلمت عليه وقالت أسأل الله أن يقدرنى على مكافأتك ياصاحب المعروف ثم أقبلت على على بن بكار وقالت له ياسيدى ما بلغ بك الهوى الى غاية الا وعندى أمثالها وليس لنا الا الصبر على ما أصابنا فقال على بن بكار والله ياسيدتى ليس جمع شملى بك يطيب ولا ينطفئ اليك ما عندى من اللهيب ولا يذهب ما تمكن من حبك فى قلبى الا بذهاب روحى ثم بكى فنزلت دموعه على خده كأنها المطر فلما رأته شمس النهار يبكى بكت لبكائه فقال أبو الحسن والله انى عجبت من أمركما واحترت فى شأنكما فان حالكما عجيب وأمركما غريب هذا البكاء وأنتما مجتمعان فكيف يكون الحال بعد انفصالكما ثم قال هذا ليس وقت حزن وبكاء بل هذا وقت سرور وانشراح فاشارت شمس النهار الى جارية فقامت وعادت ومعها وصائف حاملات مائدة صحافها من الفضة وفيها أنواع الطعام ثم وضعت المائدة قدامهم وصارت شمس النهار تأكل وتلقم على بن بكار حتى اكتفوا ثم رفعت المائدة وغسلوا أيديهم وجاءتهم المباخر بانواع العود وجاءت القماقم بماء الورد فتبخروا وتطيبوا وقدمت لهم أطباق من الذهب المنقوش فيها من أنواع الشراب والفواكه والنقل ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم جاءت لهم بطشت من العقيق ملآن من المدام فاختارت شمس النهار عشر وصائف أوقفتهم عندهم وعشر جوار من المغنيات وصرفت باقى الجوارى الى أماكنهن وأمرت بعض

الحاضرين

الحاضرين من الجوارى أن يضربن بالعود ففعلن ما أمرت به وأنشدت واحدة منهن

بنفسى من رد التحية ضاحكا * فجدد بعد اليأس فى الوصل مطمعى
لقد أبرزت أيدى الغرام سرائرى * وأظهرن للعذال ما بين أضلعى
وحالت دموع العين بينى وبينه * كأن دموع العين تعشقه معى

فلما فرغت من شعرها قامت شمس النهار وملأت الكاس وشربته ثم ملأته وأعطته لعلى بن بكار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن شمس النهار ملأت الكاس وأعطته لعلى بن بكار ثم أمرت جارية أن تغنى فانشدت هذين البيتين

تشابه دمعى اذ جرى ومدامتى * فمن مثل ما فى الكاس عينى تسكب
فوالله لا أدرى أبالخمر أسبلت * جفونى أم من أدمعى كنت أشرب

فلما فرغت من شعرها شرب على بن بكار كاسه ورده الى شمس النهار فملأته وناولته لابى الحسن فشربه ثم أخذت العود وقالت لا يغنى على قدحى غيرى ثم شدت الاوتار وأنشدت هذه الاشعار

غرائب الدمع فى خديه تضطرب * وجدا ونار الهوى فى صدره تقد
يبكى مع القرب خوفا من تباعدهم * فالدمع ان قربوا جاروان بعدوا

وقول الشاعر

تفداك ساقيا قد كساك الحسن من فرقك المضىء لساقك
تشرق الشمس من يديك ومن فيك الثريا او البدر من أطواقك
ان أقداحك التى تركتنى * غير صاح تدار من أحداقك
أوليس العجيب كونك بدرا * كاملا والمحاق فى عشاقك
الله تميت أنت وتحيى * بتلافيك من تشا وفراقك
خلق الله من خليقتك الحسن وطيب النسيم من أخلاقك
لست من هذه البرية بل أنت مليك أرسلت من خلاقك

فلما سمع على بن بكار وأبو الحسن والحاضرون شعر شمس النهار كادوا أن يطيروا من الطرب ولعبوا وضحكوا فبينما هم على هذا الحال واذا بجارية أقبلت وهى ترتعد من الخوف وقالت يا سيدتى قد وصل أمير المؤمنين وها هو بالباب ومعه عفيف ومسرور وغيرهما فلما سمعوا كلام الجارية كادوا أن يهلكوا من الخوف فضحكت شمس النهار وقالت لا تخافوا ثم قالت للجارية ردى عليهم الجواب بقدر ما نتحول من هذا المكان ثم انها أمرت بغلق باب القبة وارخاء الستور

على أبوابها وهم فيها وأغلقت باب القاعة ثم خرجت الى البستان وجلست على سريرها وأمرت جارية أن تكبس رجليها وأمرت بقية الجوارى أن يمضين الى أماكنهن وأمرت الجارية أن تدع الباب مفتوحا ليدخل الخليفة فدخل مسرور ومن معه وكانوا عشرين وبأيديهم السيوف فسلموا على شمس النهار فقالت لهم لأى شئ جئتم فقالوا ان أمير المؤمنين يسلم عليك وقد استوحش لرؤيتك ويخبرك انه كان عنده اليوم سرور وحظ زائد وأحب أن يكون ختام السرور بوجودك فى هذه الساعة فهل تأتين عنده أو يأتى عندك فقامت وقبلت الارض وقالت سمعا وطاعة لامر أمير المؤمنين ثم أمرت باحضار القهرمانات والجوارى فحضرن وأظهرت لهن انها مقبلة على ما أمر به الخليفة وكان المكان كاملا فى جميع أموره ثم قالت للخدام امضوا الى أمير المؤمنين وأخبروه أننى فى انتظاره بعد قليل الى أن أهيئ له مكانا بالفرش والامتعة فمضى الخدام مسرعين الى أمير المؤمنين ثم ان شمس النهار قلعت ودخلت الى معشوقها على ابن بكار وضمته الى صدرها وودعته فبكى بكاء شديدا وقال ياسيدتى هذا الوداع فتعينى به لعله يكون عونا على تلف نفسى وهلاك روحى فى هواك ولكن أسأل الله أن يرزقنى الصبر على ما بلانى به من محبتى فقالت له شمس النهار والله ما يصير فى التلف الا أنا فانك قد تخرج الى السوق وتجتمع بمن يسليك فتكون مصونا وغرامك مكنونا وأما أنا فسوف أقع فى البلاء خصوصا وقد وعدت الخليفة بميعاد فربما يلحقنى من ذلك عظيم الخطر بسبب شوقى اليك وحبى لك وتعشقى فيك وتأسفى على مفارقتك فبأى لسان أغنى وبأى قلب أحضر عند الخليفة وبأى كلام أنادم أمير المؤمنين وبأى نظر أنظر الى مكان ما أنت فيه وكيف أكون فى حضرة لم تكن بها وبأى ذوق أشرب مداما ما أنت حاضره فقال لها أبو الحسن لا تتحيرى واصبرى ولا تغفلى عن منادمة أمير المؤمنين هذه الليلة ولا ترى به تهاونا فبينما هم فى الكلام واذا بجارية قدمت وقالت ياسيدتى جاء غلمان أمير المؤمنين فنهضت قائمة وقالت للجارية خذى أبا الحسن ورفيقه واقصدى بهما أعلى الروشن المطل على البستان ودعيهما هناك الى الظلام ثم تحيلى فى خروجهما فأخذتهما الجارية وأطلعتهما فى الروشن وأغلقت الباب عليهما ومضت الى حال سبيلها وصارا ينظران الى البستان واذا بالخليفة قدم وقدامه نحو المائة خادم بأيديهم السيوف وحواليه عشرون جارية كأنهن الاقمار وعليهن أفخر ما يكون من الملبوس وعلى رأس كل واحدة تاج مكلل بالجواهر واليواقيت وفى يد كل واحدة شمعة موقودة والخليفة يمشى بينهن وهن محيطات به من كل ناحية ومسرور وعفيف ووصيف قدامه وهو يتمايل بينهم فقامت له شمس النهار وجميع من عندها من الجوارى ولاقينه من باب البستان وقبلن الارض بين يديه ولم يزلن سائرات امامه

الى

الى أن جلس على السرير والذين في البستان من الجوارى والخدم وقفوا حوله والشموع موقودة والآلات تضرب الى ان أمرهم بالانصراف والجلوس على الاسرة فجلست شمس النهار على سرير بجانب سرير الخليفة وصارت تحدثه كل ذلك وأبو الحسن وعلى بن بكار ينظران و يسمعان والخليفة لم يرهما ثم ان الخليفة صار يلعب مع شمس النهار وأمر بفتح القبة ففتحت وشرعوا طيقانها وأوقدوا الشموع حتى صار المكان وقت الظلام كالنهار ثم ان الخدم صاروا ينقلون آلات المشروب فقال أبو الحسن ان هذه الآلات والمشروب والتحف ما رأيت مثلها وهذا شيء من أصناف الجواهر ما سمعت بمثله وقد خيل لى انني في المنام وقد اندهش عقلى وخفق قلبى وأما على بن بكار فانه لما فارقته شمس النهار لم يزل مطروحا على الارض من شدة العشق فلما أفاق صار ينظر الى هذه الفعال التي لا يوجد مثلها فقال لابي الحسن يا أخى أخشى أن ينظرنا الخليفة أو يعلم حالنا وأكثر خوفى عليك وأما أنا فاني أعلم ان نفسي من الهالكين وما سبب موتى الا العشق والغرام وفرط الوجد والهيام ونرجو من الله الخلاص مما به بلينا ولم يزل على ابن بكار وأبو الحسن ينظران من الروشن الى الخليفة وما هو فيه حتى تكاملت الحضرة بين يدى الخليفة ثم ان الخليفة التفت الى جارية من الجوارى وقال هاتى ما عندك يا غرام من السماع المطرب فأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الابيات

وما وجد اعرابية بان أهلها * فحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده
بأعظم من وجدى بحبى وانما * يرى انني أذنبت ذنبا بوده

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر وقعت مغشيا عليها من فوق الكرسى الذى كانت عليه وغابت عن الوجود فقام الجوارى واحتملنها فلما نظر اليها على بن بكار من الروشن وقع مغشيا عليه فقال أبو الحسن ان القضاء قسم الغرام بينكما بالسوية فبينما هما يتحدثان واذا بالجارية التى أطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت يا أبا الحسن انهض أنت ورفيقك وانزلا فقد ضاقت علينا الدنيا وأنا خائفة أن يظهر أمرنا فقوما فى هذه الساعة والا متنا فقال أبو الحسن فكيف ينهض هذا الغلام معى ولا قدرة له على النهوض فصارت الجارية ترش ماء الورد على وجهه حتى أفاق فحمله أبو الحسن هو والجارية ونزلا به من الروشن ومشيا قليلا ثم فتحت الجارية بابا صغيرا من الحديد وأخرجت أبا الحسن هو وعلى بن بكار على مصطبة ثم صفقت بيديها فجاء زورق فيه انسان يقدف فأطلعتها الجارية في الزورق وقالت للذى فى الزورق أطلعهما فى ذلك البر فلما نزلا في الزورق وفارقا البستان نظر على بن بكار الى القبة والبستان وودعهما بهذين البيتين

مددت الى التوديع كفاضعيفة ❊ واخرى على الرمضاء تحت فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد بيننا ❊ ولا كان هذا الزاد آخر زادى

ثم ان الجارية قالت للملاح اسرع بهما فصار يقدف لاجل السرعة والجارية معهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

❊فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائة❊ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملاح صار يقدف لاجل السرعة والجارية معهم الى ان قطعوا ذلك الجانب وعدوا الى البر الثانى ثم انصرفت الجارية وودعتهما وطلعا فى البر وقالت لهما كان قصدى أن لا أفارقكما لكننى لا أقدر أن أسير الى مكان غير هذا الموضع ثم ان الجارية عادت وصار على بن بكار مطروحا بين يدى أبى الحسن لا يستطيع النهوض فقال له أبو الحسن ان هذا المكان غير أمين ونخشى على أنفسنا من التلف فى هذا المكان بسبب اللصوص وأولاد الحرام فقام على بن بكار يتمشى قليلا وهو لا يستطيع المشى وكان أبو الحسن له فى ذلك الجانب أصدقاء فقصد من يثق به ويركن اليه منهم فدق بابه فخرج اليه مسرعا فلما رآهما رحب بهما ودخل بهما الى منزله وأجلسهما وتحدث معهما وسألهما أين كانا فقال أبو الحسن قد خرجنا فى هذا الوقت وأحوجنا الى هذا الامر انسان عاملته فى دراهم وبلغنى انه يريد السفر بمالى فخرجت فى هذه الليلة وقصدته واستأنست برفيق هذا على بن بكار وجئنا لعلنا ننظره فتوارى منا ولم نره وعدنا بلا شىء وشق علينا العود فى هذا الليل ولم نر لنا محلا غير محلك فجئنا اليك على عوائدك الجميلة فرحب بهما واجتهد فى اكرامهما واقاما عنده بقية ليلتهما فلما أصبح الصباح خرجا من عنده ولم يزالا يمشيان حتى وصلا الى المدينة ودخلاها وجازا على بيت أبى الحسن فحلف على صاحبه على بن بكار وأدخله بيته فاضطجعا على الفراش قليلا ثم افاقا فأمر أبو الحسن غلمانه أن يفرشوا البيت فرشا فاخرا ففعلوا ثم ان أبا الحسن قال فى نفسه لا بد أن أوانس هذا الغلام وأسليه عما هو فيه فانى أدرى بأمره ثم ان على بن بكار لما أفاق استدعى بماء فحضروا له بالماء فقام وتوضأ وصلى مافاته من الفروض فى يومه وليلته وصار يسلى نفسه بالكلام فلما رأى منه ذلك أبو الحسن تقدم اليه وقال ياسيدى على الاليق بما أنت فيه أن تقيم عندى هذه الليلة لينشرح صدرك وينفرج مابك من كرب الشوق وتتلاهى معنا فقال على بن بكار افعل يا أخى مابدالك فانى على كل حال غير ناج مما أصابنى فاصنع ما أنت صانع فقام أبو الحسن واستدعى غلمانه وأحضر أصحابه وأرسل الى أرباب المغانى والآلات فحضروا وأقاموا على أكل وشرب وانشراح باقى اليوم الى المساء ثم أوقدوا الشموع ودارت بينهم كؤس المنادمة وطاب لهم الوقت فاخذت المغنية العود وجعلت تقول

رميت

رميت من الزمان بسهم لحظ * فاصماني وفارقت الحبايب
وعاندني الزمان وقل صبري * واني قبل هذا كنت حاسب

فلما سمع علي بن بكار كلام المغنية خر مغشيا عليه ولم يزل في غشيته الى أن طلع الفجر ويئس منه أبو الحسن ولما طلع النهار افاق وطلب الذهاب الى بيته فلم يمنعه أبو الحسن خوفا من عاقبة أمره فأتاه غلمانه ببغلة واركبوه وسار معه أبو الحسن الى أن أدخله منزله فلما اطمأن في بيته حمد الله أبو الحسن على خلاصه من هذه الورطة وصار يسليه وهو لا يتمالك نفسه من شدة الغرام ثم ان أبا الحسن ودعه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ودعه فقال له علي بن بكار يا أخي لا تقطع عني الاخبار فقال سمعا وطاعة ثم ان أبا الحسن قام من عنده واتى دكانه وفتحها وصار يرتقب خبرا من الصبية فلم يأته أحد بخبر فبات تلك الليلة في داره فلما أصبح الصباح قام الى أن أتى دار علي بن بكار ودخل عليه فوجده ملقى على فراشه وأصحابه حوله والحكماء عنده وكل واحد يصف له شيأ ويجسون يده فلما دخل أبو الحسن ورآه تبسم ثم ان أبا الحسن سلم عليه وسأله عن حاله وجلس عنده حتى خرج الناس فقال له ما هذا الحال فقال علي بن بكار قد شاع خبري اني مريض وتسامع بذلك أصحابي وليس لي قوة استعين بها على القيام والمشي حتى اكذب من جعلني ضعيفا ولم أزل ملقى مكاني كما تراني وقد أتت أصحابي الى زيارتي لكن يا أخي هل رأيت الجارية أو سمعت بخبر من عندها فقال ما جاءتني من يوم فارقتنا على شاطئ الدجلة ثم قال له أبو الحسن يا أخي احذر الفضيحة وتجنب هذا البكاء فقال علي بن بكار يا أخي لا أملك نفسي ثم صعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

نالت على يدها مالم تنله يدي * نقش على معصم أوهت به جلدي
خافت على يدها من نبل مقلتها * فالبست يدها درعا من الزرد
جس الطبيب يدي جهلا فقلت له * ان التألم في قلبي فخل يدي
قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لومات من ظما * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
فاسقطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

فلما فرغ من شعره قال قد بليت بمصيبة كنت في أمن منها وليس لي أعظم راحة من الموت فقال له أبو الحسن اصبر لعل الله يشفيك ثم نزل أبو الحسن من عنده وتوجه الى دكانه وفتحها فما جلس غير قليل حتى أقبلت عليه الجارية وسلمت فرد عليها السلام ونظر اليها فوجدها خافقة القلب

يظهر عليها أثر الكآبة فقال لها أهلا وسهلا كيف حال شمس النهار فقالت سوف أخبرك بحالها كيف حال علي بن بكار فاخبرها أبو الحسن بجميع ما كان من أمره فتأسفت وتأوهت وتعجبت من ذلك الامر ثم قالت ان حال سيدتي أعجب من ذلك فانكم لما توجهتم رجعت وقلبي يخفق عليكم وما صدقت بنجاتكم فلما رجعت وجدت سيدتي مطروحة في القبة لا تتكلم ولا ترد على أحد وأمير المؤمنين جالس عند رأسها لا يجد من يخبره بخبرها ولم يعلم ما بها ولم تزل في غشيتها الى نصف الليل ثم أفاقت فقال لها أمير المؤمنين ما الذي أصابك يا شمس النهار وما الذي اعتراك في هذه الليلة فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت اقدامه وقالت له يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك انه خامرني خلط فاضرم النار في جسدي فوقعت مغشيا علي من شدة ما بي ولا أعلم كيف كان حالي فقال لها الخليفة ما الذي استعملته في نهارك قالت افطرت على شيء لم آكله قط ثم أظهرت القوة واستدعت بشيء من الشراب فشربته وسألت أمير المؤمنين أن يعود الى انشراحه فعاد الى الجلوس في القبة فلما جئت اليها سألتني عن أحوالكما فاخبرتها بما فعلت معكما وأخبرتها بما أنشده علي بن بكار فسكتت ثم ان أمير المؤمنين جلس وأمر الجارية بالغناء فانشدت هذين البيتين

ولم يصف لي شيء من العيش بعدكم * فياليت شعري كيف حالكم بعدي

يحق لدمعي أن يكون من الدما * اذا كنتم تبكون دمعا على بعدي

فلما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيا عليها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لابي الحسن ان سيدتي لما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيا عليها فأمسكت يدها ورششت ماء الورد على وجهها فافاقت فقلت لها ياسيدتي لا تهتكي نفسك ومن يحويه قصرك بحياة محبوبك أن تصبري فقالت هل في الامر أكثر من الموت فانا أطلبه لان فيه راحتي فبينما نحن في هذا القول اذ غنت جارية بقول الشاعر

وقالوا لعل الصبر يعقب راحة * فقلت وأين الصبر بعد فراقه

وقد أكد الميثاق بيني وبينه * بقطع حبال الصبر عند عناقه

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشيا عليها فنظرها الخليفة فاتى مسرعا اليها وأمر برفع الشراب وأن تعود كل جارية الى مقصورتها وأقام عندها باقي ليلته الى ان أصبح الصباح فاستدعى الاطباء وأمرهم بعلاجها ولم يعلم بما هي فيه من العشق والغرام وأقمت عندها حتى ظننت انه قد اصلح حالها

وهذا

وهذا الذى عاقنى عن المجىء اليكما وقد خلفت عندها جماعة من خواصها لما أمرتنى بالمسير اليكما لآخذ خبر على بن بكار واعود اليها فلما سمع أبو الحسن كلامها تعجب وقال لها والله انى أخبرتك بجميع ما كان من أمره فعودى الى سيدتك وسلمى عليها وحثيها على الصبر وقولى لها اكتمى السر واخبريها أنى عرفت أمرها وهو أمر صعب يحتاج الى التدبير فشكرته الجارية ثم ودعته وانصرفت الى سيدتها هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر أبى الحسن فانه لم يزل فى دكانه الى آخر النهار فلما مضى النهار قام وقفل دكانه وأتى الى دار على بن بكار فدق الباب فخرج له بعض غلمانه وادخله فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه وقال له يا أبا الحسن أوحشتنى لتخلفك عنى فى هذا اليوم وروحى متعلقة بك باقى عمرى فقال له أبو الحسن دع هذا الكلام فلو أمكن فداك كنت أفديك بروحى وفى هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار وأخبرتنى انه ما عاقها عن المجىء الا جلوس الخليفة عند سيدتها واخبرتنى بما كان من أمر سيدتها وحكى له جميع ما سمعه من الجارية فتأسف على بن بكار غاية التأسف وبكى ثم التفت الى أبى الحسن وقال له بالله أن تساعدنى على ما بليت به وأخبرنى ماذا تكون الحيلة وانى أسألك من فضلك المبيت عندى هذه الليلة لاستأنس بك فامتثل أبو الحسن أمره واجابه الى المبيت عنده وباتا يتحدثان فى تلك الليلة ثم ان على بن بكار بكى وأرسل العبرات وأنشد هذه الابيات

خفرت بسيف اللحظ ذمة مغفرى * وفرت برمح القد درع تصبرى
وجلت لنا من تحت مسكة خالها * كافور فجر شق ليل العنبر
فزعت فضرست العقيق بلؤلؤ * سكنت فرائده غدير السكر
وتنهدت جزعا فاثر كفها * فى صدرها فنظرت مالم أنظر
اقلام مرجان كتبن بعنبر * بصحيفة البلور خمسة أسطر
ياحامل السيف الصحيح اذارنت * اياك ضربة جفنها المتكسر
وتوق يارب لقناة الطعن ان * حلت عليك من القوام باسمر

فلما فرغ على بن بكار من شعره صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فظن أبو الحسن أن روحه خرجت من جسده ولم يزل فى غشيته حتى طلع النهار فافاق وتحدث مع أبى الحسن ولم يزل أبو الحسن جالسا عنده على بن بكار الى ضحوة النهار ثم انصرف من عنده وجاء الى دكانه وفتحها واذا بالجارية جاءته ووقفت عنده فلما نظر اليها أومأت اليه بالسلام فرد عليها السلام وبلغته سلام سيدتها وقالت له كيف حال على بن بكار فقال لها يا جارية لاتسألى عن حاله وماهو فيه من شدة الغرام فانه لاينام الليل ولايستريح بالنهار وقد أنحله السهر وغلب عليه الضجر وصار فى حال

لا يسر حبيبا فقالت له ان سيدتى تسلم عليك وعليه وقد كتبت له ورقة وهى فى حال أعظم من حاله وقد سلمتنى الورقة وقالت لا تأتينى الا بجوابها وافعلى ما أمرتك به وهاهى الورقة معى فهل لك أن تسير معى الى على بن بكار ونأخذ منه الجواب فقال لها أبو الحسن سمعا وطاعة ثم قفل الدكان وأخذ معه الجارية وذهب بها من مكان غير الذى جاء منه ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى دار على ابن بكار ثم أوقف الجارية على الباب ودخل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ذهب بالجارية الى دار على بن بكار وأوقفها على الباب ودخل البيت فلما رآه على بن بكار فرح به فقال له أبو الحسن سبب مجيئى أن فلانا أرسل اليك جاريته برقعة تتضمن سلامه عليك وذكر فيها أن سبب تأخره عنك عذر حصل له والجارية واقفة بالباب فهل تأذن لها بالدخول فقال على ادخلوها وأشار له أبو الحسن انها جارية شمس النهار ففهم الاشارة فلما رآها تحرك وفرح وقال لها بالاشارة كيف حال السيد شفاه الله وعافاه فقالت بخير ثم أخرجت الورقة ودفعتها له فأخذها وقبلها وقرأها وناولها لأبى الحسن فوجد مكتوبا فيها هذه الابيات

يـنبيك هذا الرسول عن خبرى * فاستغن فى ذكره عن النظر
خلفت صبا بحبكم دنفا * وطرفه لا يزال بالسهر
أكابد الصبر فى البلاء فما * يدفع خلق مواقع القدر
فقر عينا فلست تبعد عن * قلبى ولا يوم غبت عن بصرى
وانظر الى جسمك النحيل وما * قد حله واستدل بالأثر

وبعد فقد كتبت لك كتابا بغير بنان ونطقت لك بغير لسان وجملة شرح حالى ان لى عينا لا يفارقها السهر وقلبا لا تبرح عنه الفكر فكأنى قط ما عرفت صحة ولا فرحة ولا رأيت منظرا بهيا ولا قطعت عيشا هنيا وكأننى خلقت من الصبابة ومن ألم الوجد والكآبة فعلى السقام مترادف والغرام متضاعف والشوق متكاثر وصرت كما قال الشاعر

القلب منقبض والفكر منبسط * والعين ساهرة والجسم متعوب
والصبر منفصل والهجر متصل * والعقل مختبل والقلب مسلوب

واعلم ان الشكوى لا تطفئ نار البلوى لكنها تعلل من أعله الاشتياق وأتلفه الفراق وانى أتسلى بذكر لفظ الوصال وما أحسن قول من قال

اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضى * فأين حلاوات الرسائل والكتب

قال

قال أبو الحسن فلما قرأتها هيجت ألفاظها بلابلى وأصابت معانيها مقاتلى ثم دفعتها الى الجارية فلما أخذتها قال لها على بن بكار ابلغى سيدتك سلامى وعرفيها بوجدى وغرامى وامتزاج المحبة بلحمى وعظامى واخبريها أننى محتاج الى من ينقذنى من بحر الهلاك وينجينى من هذا الارتباك ثم بكى فبكت الجارية لبكائه وودعته وخرجت من عنده وخرج أبو الحسن معها ثم ودّعها ومضى الى دكانه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ودع الجارية ورجع الى دكانه فلما جلس فيه وجد قلبه انقبض وضاق صدره وتحير فى أمره ولم يزل فى فكر بقية يومه وليلته وفى اليوم الثانى ذهب الى على بن بكار وجلس عنده حتى ذهبت الناس وسأله عن حاله فاخذ فى شكوى الغرام ومابه من الوجد والهيام وأنشد قول الشاعر

شكا ألم الغرام الناس قبلى * وروع بالنوى حى وميت
وأما مثل ماضمت ضلوعى * فانى لاسمعت ولارأيت

وقول الشاعر

ولقيت من حبيك مالم يلقه * فى حب لبنى قيسها المجنون
لكننى لم أتبع وحش الفلا * كفعال قيس والجنون فنون

فقال له أبو الحسن أنا مارأيت ولاسمعت بمثلك فى محبتك كيف يكون هذا الوجد وضعف الحركة وقد تعلقت بحبيب موافق فكيف اذا تعلقت بحبيب مخالف مخادع فكان أمرك ينكشف قال أبو الحسن فركن على بن بكار الى كلامى وشكرنى على ذلك وكان لى صاحب يطلع على أمرى وأمر على بن بكار ويعلم اننا متوافقان ولايعلم أحد مابيننا غيره وكان يأتينى فيسألنى عن حال على ابن بكار وبعد قليل سألنى عن الجارية فقلت له قد دعته اليها وكان بينه وبينها الامر يدعليه وهذا آخر ماانتهى من أمرهما ولكننى دبرت لنفسى أمراً أريد عرضه عليك فقال له صاحبه ماهو قال أبو الحسن اعلم انى رجل معروف بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء وأخشى أن ينكشف أمرهما فيكون ذلك سبباً للهلاك وأخذ مالى وهتك عيالى وقد اقتضى رأيى أن أجمع مالى وأجهز حالى وأتوجه الى مدينة البصرة وأقيم بها حتى أنظر مايكون من أحوالهما بحيث لايشعر بى أحد فان المحبة قد تمكنت منهما ودارت المراسلة بينهما والحال ان الماشى بينهما جارية وهى كاتمة لاسرارهما وأخشى أن يغلب عليها الضجر فتبوح بسرهما لاحد فيشيع خبرهما ويؤدى ذلك الى هلاكى ويكون سبباً للتلف وليس لى عذر عند الناس فقال له صاحبه قد أخبرتنى بخبر خطير يخاف من مثله العاقل الخبير كفاك الله شر ماتخافه وتخشاه ونجاك مما تخاف عقباه

وهذا الرأى هو الصواب فانصرف أبو الحسن الى منزله وصار يقضى مصالحه ويتجهز للسفر الى مدينة البصرة فما مضى ثلاثة أيام حتى قضى مصالحه وسافر الى البصرة فجاء صاحبه بعد ثلاثة أيام ليزوره فلم يجده فسأل عنه جيرانه فقالوا له انه توجه من مدة ثلاثة أيام الى البصرة لان له معاملة عند تجارها فذهب ليطالب أرباب الديون وعن قريب يأتى فاحتار الرجل فى أمره وصار لايدرى أين يذهب وقال ياليتنى لم أفارق أبا الحسن ثم دبر حيلة يتوصل بها الى على بن بكار فقصد داره وقال لبعض غلمانه استأذن لى سيدك لادخل أسلم عليه فدخل الغلام وأخبر سيده به ثم عاد اليه وأذن له فى الدخول فدخل عليه فوجده ملقى على الوسادة فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به ثم ان الرجل اعتذر اليه فى تخلفه عنه تلك المدة ثم قال له ياسيدى ان بينى و بين أبى الحسن صداقة وانى كنت أودعه أسرارى ولا أنقطع عنه ساعة فغبت فى بعض المصالح مع جماعة من أصحابى مدة ثلاثة أيام ثم جئت اليه فوجدت دكانه مقفولة فسألت عنه الجيران فقالوا انه توجه الى البصرة ولم أعلم له صديقا أوفى منك فبالله أن تخبرنى بخبره فلما سمع على بن بكار كلامه تغير لونه واضطرب وقال لم أسمع قبل هذا اليوم خبر سفره وان كان الامر كما ذكرت فقد حصل لى التعب ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

قد كنت أبكى على مافات من فرح * وأهل ودى جميعا غير اشتات

واليوم فرق ماينى و بينهم * دهرى فأبكى على أهل المودات

ثم ان على بن بكار أطرق رأسه الى الارض يتفكر و بعد ساعة رفع رأسه الى خادم له وقال له امض الى دار أبى الحسن واسأل عنه هل هو مقيم أو مسافر فان قالوا سافر فاسأل الى أى ناحية توجه فمضى الغلام وغاب ساعة ثم أقبل الى سيده وقال انى لما سألت عن أبى الحسن أخبرنى أتباعه انه سافر الى البصرة ولكن وجدت جارية واقفة على الباب فلما رأتنى عرفتنى ولم أعرفها وقالت لى هل أنت غلام على بن بكار فقلت لها نعم فقالت ان معى رسالة اليه من عند أعز الناس عليه فجاءت معى وهى واقفة على الباب فقال على بن بكار ادخلها فطلع الغلام اليها وأدخلها فنظر الرجل الذى عند ابن بكار الى الجارية فوجدها ظريفة ثم ان الجارية تقدمت الى ابن بكار وسلمت عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الجارية لما دخلت على على بن بكار تقدمت اليه وسلمت عليه وتحدثت معه سرا وصار يقسم فى أثناء الكلام و يحلف انه لم يتكلم بذلك ثم ودعته وانصرفت وكان الرجل صاحب أبى الحسن جوهريا فلما انصرفت الجارية وجد للكلام محلا فقال لعلى بن بكار لاشك ولاريب ان لدار الخلافة

عليك

عليك مطالبة أو بينك و بينها معاملة فقال ومن أعلمك بذلك فقال معرفتي بهذه الجارية لانها جارية شمس النهار وكانت جاءتني من مدة برقعة مكتوب فيها انها تشتهي عقد جوهر فارسلت اليها عقدا ثمينا فلما سمع علي بن بكار كلامه اضطرب حتى خشي عليه التلف ثم راجع نفسه وقال يا أخي سألتك بالله من أين تعرفها فقال له الجوهري دع الالحاح في السؤال فقال له علي بن بكار لا أرجع عنك الا اذا أخبرتني بالصحيح فقال له الجوهري أنا أخبرك بحيث لا يدخلك مني وهم ولا يعتريك من كلامي انقباض ولا أخفي عنك سرا وأبين لك حقيقة الامر ولكن بشرط أن تخبرني بحقيقة حالك وسبب مرضك فأخبره بخبره ثم قال والله يا أخي ما حملني على كتمان أمري عن غيرك الا المخافة ان الناس تكشف أستار بعضها فقال الجوهري لعلي بن بكار وأنا ما أردت اجتماعي بك الا لشدة محبتي لك وغيرتي عليك وشفقتي على قلبك من ألم الفراق عسى أ كون لك مؤنسا نيابة عن صديقي أبي الحسن مدة غيبته فطب نفسا وقر عينا فشكره علي بن بكار على ذلك وأنشد هذين البيتين

ولو قلت اني صابر بعد بعده ✽ لكذبني دمعي وفرط نحيبي
وكيف أداري مدمعا جريانه ✽ على صحن خدي من فراق حبيبي

ثم ان علي بن بكار سكت ساعة من الزمان و بعد ذلك قال للجوهري أتدري ما أسرتني به الجارية فقال له لا والله يا سيدي فقال انها زعمت أني أشرت على أبي الحسن بالمسير الى مدينة البصرة وأني دبرت بذلك حيلة لاجل عدم المراسلة والمواصلة فحلفت لها ان ذلك لم يكن فلم تصدقني ومضت الى سيدتها وهي على ماهي عليه من سوء الظن لانها كانت تصغي الى أبي الحسن فقال الجوهري يا أخي اني فهمت من حال هذه الجارية هذا الامر ولكن ان شاء الله تعالى أ كون عونا لك على مرادك فقال له علي بن بكار وكيف تعمل معها وهي تنفر كوحش الفلاة فقال له لابد أن أبذل جهدي في مساعدتك واحتيالي في التوصل اليها من غير كشف ستر ولا مضرة ثم استأذن في الانصراف فقال له علي بن بكار يا أخي عليك بكتمان السر ثم نظر اليه و بكى فودعه وانصرف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

✽ فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد المائة ✽ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجوهري ودعه وانصرف وهو لا يدري كيف يعمل في اسعاف علي بن بكار ومازال ماشيا وهو متفكر في أمره اذ رأى ورقة مطروحة في الطريق فأخذها ونظر عنوانها وقرأه فاذا هو من المحب الاصغر الى الحبيب الا كبر ففتح الورقة فرأى مكتوبا فيها هذين البيتين

جاء الرسول بوصل منك يطمعني ✽ وكان أكثر ظني انه وهما

فما فرحت ولكن زادني حزنا * علمي بان رسولي لم يكن فهما

وبعد فاعلم ياسيدي انني لم أدر ماسبب قطع المراسلة بيني وبينك فان يكن صدر منك الجفاء فانا أقابله بالوفاء وان يكن ذهب منك الوداد فانا أحفظ الود على البعاد فانا معك كما قال الشاعر

تِهْ أحتمل واستطل اصبر وعز أهن * وول أقبل وقل أسمع ومر أطع

فلما قرأها اذا بالجارية أقبلت وهي تتلفت يمينا وشمالا فرأت الورقة في يده فقالت له ياسيدي ان هذه الورقة وقعت مني فلم يرد عليها جوابا ومشى ومشت الجارية خلفه الى أن أقبل على داره ودخل والجارية خلفه فقالت له ياسيدي رد لي هذه الورقة فانها سقطت مني فالتفت اليها وقال ياجارية لاتخافي ولا تحزني ولكن أخبريني بالخبر على وجه الصدق فاني كتوم للاسرار وأحلفك يمينا أنك لاتخفي عني شيأ من أمر سيدتك فعسى الله أن يعينني على قضاء أغراضها ويسهل الامور الصعاب على يدي فلما سمعت الجارية كلامه قالت ياسيدي ماضاع سر أنت حافظه ولا خاب أمر أنت تسعى في قضائه اعلم ان قلبي مال اليك فانا أخبرك بحقيقة الامر لتعطيني الورقة ثم أخبرته بالخبر كله وقالت الله على ما أقول شهيد فقال لها صدقت فان عندي علما باصل الخبر ثم حدثها بحديث علي بن بكار وكيف أخذ ضميره وأخبرها بالخبر من أوله الى آخره فلما سمعت ذلك فرحت واتفقا على انها تأخذ الورقة وتعطيها لعلي بن بكار وجميع مايحصل ترجع اليه وتخبره به فاعطاها الورقة فاخذتها وختمتها كما كانت وقالت ان سيدتي شمس النهار أعطتها الي مختومة فاذا قرأها ورد لي جوابها آتيك به ثم ان الجارية ودعته وتوجهت الى علي بن بكار فوجدته في الانتظار فاعطته الورقة وقرأها ثم كتب لها ورقة ورد الجواب وأعطاها لها فاخذتها ورجعت بها الى الجوهري حكم الاتفاق ففض ختمها وقرأها فرأى مكتوبا فيها

ان الرسول الذي كانت رسائلنا * مكتومة عنده ضاعت وقد غضبا

فاستخلصوا الى رسولا منكم ثقة * يستحسن الصدق لايستحسن الكذبا

وبعد فانني لم يصدر مني جفاء ولا تركت وفاء ولا نقضت عهدا ولا قطعت ودا ولا فارقت أسفا ولا لقيت بعد الفراق الاتلفا ولا علمت أصلا بما ذكرتم ولا أحب غير ما أحببتم وحق عالم السر والنجوى ماقصدي غير الاجتماع بمن أهوى وشأني كتمان الغرام وان أمرضني السقام وهذا شرح حالي والسلام فلما قرأ الجوهري هذه الورقة وعرف مافيها بكى بكاء شديدا ثم ان الجارية قالت له لاتخرج من هذا المكان حتى أعود اليك لانه قد اتهمني بأمر من الامور وهو معذور وأنا أريد أن أجمع بينك وبين سيدتي شمس النهار بأي حيلة فاني تركتها مطروحة وهي تنتظر مني رد الجواب ثم ان الجارية مضت الى سيدتها وبات الجوهري

مشوش

مشوّش الخاطر فلما أصبح الصباح صلى الصبح وقعد ينتظر قدومها واذا بها أقبلت وهي فرحانة الى ان دخلت عليه فقال لها ما الخبر ياجارية فقالت مضيت من عندك الى سيدتي ودفعت لها الورقة التي كتبها علي بن بكار فلما قرأتها وفهمت معناها تحيرفكرها فقلت لها ياسيدتي لاتخشي من فساد الامر بينكما بسبب غياب أبي الحسن فاني وجدت من يقوم مقامه وهو أحسن منه وأعلى مقدارا وأهل لكتمان الاسرار وقد حدثتها بما بينك و بين أبي الحسن وكيف توصلت اليه والى علي بن بكار وكيف سقطت تلك الرقعة مني ووقعت أنت عليها واخبرتها بما استقر عليه الامر بيني و بينك فتعجب الجوهري غاية العجب ثم قالت له انها تشتهي أن تسمع كلامك لاجل أن تؤ كد عليه فيما بينك و بينه من العهود فاعزم في هذا الوقت على المسير معي اليها فلما سمع الجوهري كلام الجارية رأى ان الدخول عليها أمر عظيم وخطر جسيم ولا يمكن الدخول فيه ولا التهجم عليه فقال الجوهري للجارية يا أختي اني من أولاد العوام ولم أكن كأبي الحسن لان أبا الحسن كان رفيع المقدار معروفا بالاشتهار مترددا على دار الخلافة لاحتياجهم الى بضاعته وأما أنا فان أبا الحسن كان يحدثني وأنا أرتعد بين يديه واذا كانت سيدتك رغبت في حديثي لها فينبغي أن يكون ذلك في غير دار الخلافة بعيدا عن محل أمير المؤمنين لان جناني لا يطاوعني على ما تقولين ثم انه امتنع من المسير معها وصارت تضمن له السلامة وتقول له لا تخش ولا تخف فبينما هما في هذا الكلام اذ لعبت رجلاه وارتعشت يداه فقالت له الجارية ان كان يصعب عليك الرواح الى دار الخلافة ولا يمكنك المسير معي فأنا أجعلها تسير اليك فلا تبرح من مكانك حتى أرجع اليك بها ثم ان الجارية مضت ولم تغب الا قليلا وعادت الى الجوهري وقالت له احذر أن يكون عندك جارية أو غلام فقال ما عندي غير جارية سوداء كبيرة السن تخدمني فقامت الجارية وأغلقت الابواب بين جارية الجوهري و بينه وصرفت غلمانه الى خارج الدار ثم خرجت الجارية وعادت ومعها جارية خلفها ودخلت دار الجواهري فأعبقت الدار من الطيب فلما رآها الجوهري نهض قائما ووضع لها مخدة وجلس بين يديها فمكثت ساعة لا تتكلم حتى استراحت ثم كشفت وجهها فخيل للجوهري ان الشمس أشرقت في منزله ثم قالت لجاريتها هذا الرجل الذي قلت لي عليه فقالت الجارية نعم فالتفتت الى الجواهري وقالت له كيف حالك قال بخير ودعا لها فقالت انك حملتنا المسير اليك وأن نطلعك على ما يكون من سرنا ثم سألته عن أهله وعياله فأخبرها بجميع أحواله وقال لها ان لي دارا غير هذه الدار جعلتها للاجتماع بالاصحاب والاخوان ليس لي فيها الا ما ذكرته لجاريتك ثم سألته عن كيفية اطلاعه على أصل القصة فأخبرها بما سألته عنه من أول الامر الى آخره فتأوهت على فراق أبي الحسن وقالت يافلان اعلم

ان أرواح الناس متلائمة فى الشهوات والناس بالناس لايتم عمل الابقول ولايتم غرض الابمعين ولاتحصل راحة الابعد تعب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان شمس النهار قالت للجوهرى لاتحصل راحة الابعد تعب ولايظهر نجاح الامن ذوى مروءة وقد أطلعتك الآن على أمرنا وصار بيدك هتك سترنا ولازيادة لما أنت عليه من المروءة فأنت قد علمت ان جاريتى هذه كاتمة لسرى وبسبب ذلك لها رتبة عظيمة عندى وقد اختصصتها بالمهمات أمورى فلا يكن عندك أعز منها وأطلعها على أمرك وطب نفسا فأنت آمن مما تخافه من جهتنا ومايسدّ عليك موضع الاوتفتحه لك وهى تأتيك من عندى بأخبار على بن بكار وتكون أنت الواسطة فى التبليغ بينى بينه ثم ان شمس النهار قامت وهى لاتستطيع القيام ومشت فتمشى بين يديها الجوهرى حتى وصلت الى باب الدار ثم رجع وقعد فى موضعه بعد ان نظر من حسنها مابهره وسمع من كلامها ماحير عقله وشاهد من ظرفها وأدبها ماأدهشه ثم استمر يتفكر فى شمائلها حتى سكنت نفسه وطلب الطعام فأكل مايمسك رمقه ثم غير ثيابه وخرج من داره وتوجه الى على بن بكار فلاقاه غلمانه ومشوا بين يديه الى ان أوصلوه الى سيدهم فوجدوه ملقى على فراشه فلما رأى الجوهرى قال له أبطأت على فزدتنى هما على همى ثم صرف غلمانه وأمر بغلق أبوابه وقال له والله ماغمضت عينى من يوم فارقتنى فان الجارية جاءتنى بالامس ومعها رقعة مختومة من عند سيدتها شمس النهار وحكى له ابن بكار على جميع ماوقع له معها ثم قال لقد تحيرت فى أمرى وقل صبرى وكان لى أبو الحسن أنيسا لانه يعرف الجارية فلما سمع الجوهرى كلام ابن بكار ضحك فقال له ابن بكار كيف تضحك من كلامى وقد استبشرت بك واتخذتك عدة للنائبات ثم بكى وأنشد هذه الابيات

وضاحك من بكائى حين أبصرنى * لو كان قاسى الذى قاسيت أبكاه
لم يرث للمبتلى مما يكابده * الاشج مثله قد طال بلواه
وجدى حنينى أنينى فكرتى ولهى * الى حبيب زوايا القلب ماواه
حلّ الفؤاد مقيما لايفارقه * وقتا ولكنه قد عز لقياه
مالى سواه خليل أرتضى بدلا * وما اصطفيت حبيبا قط الاه

فلما سمع الجوهرى منه هذا الكلام وفهم الشعر والنظام بكا لبكائه وأخبره بماجرى له مع الجارية من حين فارقه فصار ابن بكار يصغى الى كلامه وكلما سمع منه كلمة يتغير لون وجهه من صفرة الى احمرار ويقوى جسمه مرة ويضعف أخرى فلما انتهى الى آخر الكلام بكى ابن بكار

وقال

وقال له يا أخى أنا على كل حال هالك فليت أجلى قريب وأسألك من فضلك أن تكون ملاطفى فى جميع أمورى الى ان يقضى الله ما يريد وأنا لا أخالف لك قولا فقال الجوهرى لا يطفىء عنك هذه النار الا الاجتماع بمن شغفت بها ولكن فى غير هذا المكان الخطر وانما يكون ذلك عندى فى بيت جنب بيتى جاءتنى فيه الجارية هى وسيدتها وهو الموضع الذى اختارته لنفسها والمقصود اجتماعكما ببعضكما وفيه تشكوان لبعضكما ما قاسيتما فقال على بن بكار افعل ما تريد والذى تراه هو الصواب قال الجوهرى فأقمت عنده تلك الليلة أسامره الى ان أصبح الصباح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى قال فأقمت تلك الليلة عند على بن بكار أسامره الى ان أصبح الصباح ثم صليت الصبح وخرجت من عنده وذهبت الى منزلى فما استقريت الا قليلا حتى جاءت الجارية وسلمت علىّ فرددت عليها السلام وحدثتها بما كان بينى و بين على بن بكار فقالت الجارية اعلم ان الخليفة توجه من عندنا وان مجلسنا لا أحد فيه وهو أستر لنا وأحسن فقلت لها كلامك صحيح ولكنه ليس كمنزلى هذا فانه أستر لنا وأليق بنا فقالت الجارية ان الرأى ما تراه أنت وأنا ذاهبة الى سيدتى لاخبرها بما ذكرت وأعرض عليها ما قلت ثم ان الجارية توجهت الى سيدتها وعرضت عليها الكلام وعادت الى منزلى وقالت لى ان سيدتى رضيت بما قلته ثم ان الجارية أخرجت من جيبها كيسا فيه دنانير وقالت لى ان سيدتى تسلم عليك وتقول لك خذ هذا واقض لنا به ما نحتاج اليه فأقسمت انى لا أصرف شيأ منه فأخذته الجارية وعادت الى سيدتها وقالت لها انه ما قبل الدراهم بل دفعها الىّ وبعد رواح الجارية ذهبت الى دارى الثانية وحولت اليها من الآلات والفرش ما يحتاج اليه الحال ونقلت اليها أوانى الفضة والصينى وهيأت جميع ما نحتاج اليه من المأكل والمشرب فلما حضرت الجارية ونظرت ما فعلته أعجبها وأمرتنى باحضار على بن بكار فقلت ما يحضر به الا أنت فذهبت اليه وأحضرته على أتمّ حال وقد راقت محاسنه فلما جاء قابلته ورحبت به ثم أجلسته على مرتبة تصلح له ووضعت بين يديه شيأ من المشموم فى بعض الاوانى الصينى والبلور وصرت أتحدث معه نحو ساعة من الزمان ثم ان الجارية مضت وغابت الى بعد صلاة المغرب ثم عادت ومعها شمس النهار ووصيفتان لا غير فلما رأت على بن بكار ورآها سقطا على الارض مغشيا عليهما واستمرا ساعة زمانية ولما أفاقا أقبلا على بعضهما ثم جلسا يتحدثان بكلام رقيق و بعد ذلك استعملا شيأ من الطيب ثم انهما صارا يشكران صنعى معهما فقلت لهما هل لكما فى شئ من الطعام فقالا نعم فأحضرت شيأ من الطعام فأكلا حتى اكتفيا ثم غسلا أيديهما ثم نقلتهما الى مجلس آخر

وأحضرت لهما الشراب فشربا وسكرا ومالا على بعضهما ثم ان شمس النهار قالت لي ياسيدي كمل جميلك وأحضر لنا عودا أو شيأ من آلات الملاهي حتى اننا نكمل حظنا في هذه الساعة فقلت على رأسي وعيني ثم اني قمت وأحضرت عودا فأخذته وأصلحته ثم انها وضعته في حجرها وضربت عليه ضربا بليغا ثم أنشدت هذين البيتين

أرقت حتى كأني أعشق الارقا * وذبت حتى تراءى السقم لي خلقا

وفاض دمعي على خدي فأحرقه * ياليت شعري هل بعد الفراق لقا

ثم انها أخذت في غناء الاشعار حتى حيرت الافكار بأصوات مختلفات واشارات رائقات وكاد المجلس أن يطير من شدة الطرب لما أتت فيه من مغانيها بالعجب ثم قال الجوهري ولما استقر بنا الجلوس ودارت بيننا الكؤس أطربت الجارية بالنغمات وأنشدت هذه الابيات

وعد الحبيب بوصله ووفى لي * في ليلة سأعدها بليالي

ياليلة سمح الزمان لنا بها * في غفلة الواشين والعذال

بات الحبيب يضمني بيمينه * من فرحتي فضممته بشمالي

عانقته ورشفت خمرة ريقه * وحظيت بالمعسول والعسال

ثم ان الجوهري تركهما في تلك الدار وانصرف الى دار سكناه وبات فيها الى الصباح ولما أصبح الصبح صلى فرضه وشرب القهوة وجلس يفكر في المسير اليهما في داره الثانية فبينما هو جالس اذ دخل عليه جاره وهو مرعوب وقال يا أخي ماهان علي الذي جرى لك الليلة في دارك الثانية فقلت له يا أخي وأي شئ جرى فاخبرني بما حصل في داري فقال له ان اللصوص الذين جاؤا الى جيراننا بالامس وقتلوا فلانا وأخذوا ماله قد رأوك بالامس وأنت تنقل حوائجك الى دارك الثانية فجاؤا اليها ليلا وأخذوا ما عندك وقتلوا ضيوفك قال الجوهري فقمت انا وجاري وتوجهنا الى تلك الدار فوجدناها خالية ولم يبق فيها شئ فتحيرت في أمري وقلت اما الامتعة فلا أبالي بضياعها وان كنت استعرت بعض أمتعة من أصحابي وضاعت فلا بأس بذلك لانهم عرفوا عذري بذهاب مالي ونهب داري واما علي بن بكار ومحظية أمير المؤمنين فأخشى أن يشتهر الامر بينهما فيكون ذلك سبب رواح روحي ثم ان الجوهري التفت الى جاره وقال له أنت أخي وجاري وتستر عورتي فما الذي تشير به علي من الامور فقال الرجل للجوهري الذي أشير به عليك أن تتربص فان الذين دخلوا دارك وأخذوا امتاعك قد قتلوا أحسن جماعة من دار الخليفة وقتلوا جماعة من دار صاحب الشرطة وأعوان الدولة يدورون عليهم في جميع الطرق فلعلهم يجدونهم فيحصل مرادك

مرادك بغير سعي منك فلما سمع الجوهري هذا الكلام رجع الى داره التي هو ساكن بها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الجوهري لما سمع هذا الكلام رجع الى داره التي هو ساكن بها وقال في نفسه ان الذي حصل لي هو الذي خاف منه أبو الحسن وذهب الى البصرة وقد وقعت فيه ثم ان نهب داره اشتهر عند الناس فاقبلوا اليه من كل جانب ومكان فمنهم من هو شامت به ومنهم من هو حامل همه فصار يشكو لهم ولم يأكل طعاما ولم يشرب شرابا فبينما هو جالس متندم واذا بغلام من غلمانه دخل عليه وقال له ان شخصا بالباب يدعوك لم أعرفه فخرج اليه الجوهري وسلم عليه فوجده انسانا لم يعرفه فقال له الرجل ان لي حديثا بيني وبينك فأدخله الدار وقال له ما عندك من الحديث فقال الرجل امض معي الى دارك الثانية فقال الجوهري وهل تعرف داري الثانية فقال ان جميع خبرك عندي وعندي أيضا ما يفرج الله به همك فقلت في نفسي انا أمضي معه حيث أراد ثم توجهت الى أن أتينا الدار فلما رأى الرجل الدار قال انها بغير بواب ولا يمكن القعود فيها فامض بي الى غيرها فلم يزل الرجل يدور بي من مكان الى مكان وأنا معه حتى دخل علينا الليل ولم أسأله عن أمر من الامور ثم انه لم يزل يمشي وأنا أمشي معه حتى خرجنا الى الفضاء وهو يقول اتبعني وصار يهرول في مشيه وأنا أهرول وراءه حتى وصلنا الى البحر فطلع بنا في زورق وقذف بنا الملاح حتى عدانا الى البر الثاني فنزل من ذلك الزورق ونزلت خلفه ثم انه أخذ بيدي ونزل بي في درب لم أدخله طول عمري ولم أعلم هو في أي ناحية ثم ان الرجل وقف على باب دار وفتحها ودخل وأدخلني معه وأغلق بابها بقفل من حديد ثم مشى بي في دهليزها حتى دخلنا على عشرة رجال كأنهم رجل واحد وهم اخوة فلما دخلنا عليهم سلم عليهم ذلك الرجل فردوا عليه السلام ثم أمروني بالجلوس فجلست وكنت ضعفت من شدة التعب فجاؤا الي بماء ورد ورشوه على وجهي وسقوني شرابا وقدموا الي طعاما فقلت لو كان في الطعام شيء مضر ما أكلوا معي فلما غسلنا أيدينا عاد كل منا الى مكانه وقالوا هل تعرفنا فقلت لا ولا عمري عرفت موضعكم بل ولا أعرف من جاء بي اليكم فقالوا اطلعنا على خبرك ولا تكذب في شيء فقلت لهم اعلموا ان حالي عجيب وأمري غريب فهل عندكم شيء من خبري قالوا نعم نحن الذين أخذنا أمتعتك في الليلة الماضية وأخذنا صديقك والتي كانت تغني فقلت لهم أسبل الله عليكم ستره أين صديقي هو والتي كانت تغني فأشاروا الي بايديهم الى ناحية وقالوا ههنا ولكن والله يا أخي ما ظهر على سرهما أحد منا ومن حين أتينا بهما لم نجتمع بهما ولم نسألهما عن حالهما لما رأينا عليهما من الهيبة والوقار وهذا هو الذي منعنا عن قتلهما فأخبرنا

عن حقيقة أمرهما وأنت فى أمان على نفسك وعليهما قال الجوهرى فلما سمعت هذا الكلام كدت أن أهلك من الخوف والفزع وقلت لهم اعلموا أن المروءة اذا ضاعت لم توجد الا عندكم واذا كان لى سر اخاف افشاءه فلا يخفيه الا صدوركم وصرت عندى أبالغ فى هذا المعنى ثم انى وجدت المبادرة لهم بالحديث أنفع من كتمانه فحدثتهم بجميع ما وقع لى حتى انتهيت الى آخر الحديث فلما سمعوا حكايتى قالوا وهل هذا الفتى على بن بكار وهذه شمس النهار واعتذروا لهما ثم قالوا لى ان الذى أخذناه من دارك ذهب بعضه وهذا ما بقى منه ثم ردوا الى أكثر الامتعة والتزموا أنهم يعيدونها الى محلها فى دارى ويردون لى الباقى ولكنهم انقسموا نصفين فصار قسم منهم معى وقسم منهم على ثم خرجنا من تلك الدار هذا ما كان من أمرى وأما ما كان من أمر على بن بكار وشمس النهار فانهما قد أشرفا على الهلاك من الخوف ثم تقدمت الى على بن بكار وشمس النهار وسلمت عليهما وقلت لهما يا ترى ما جرى للجارية والوصيفتين وأين ذهبن فقالا لا علم لنا بهن ولم نزل سائرين الى أن انتهينا الى المكان الذى فيه الزورق فاطلعونا فيه واذا هو الزورق الذى عدينا فيه بالامس فقذف بنا الملاح حتى أوصلنا الى البر الثانى فانزلونا فما استقر بنا الجلوس على جانب البر حتى جاءت خيالة وأحاطوا بنا من كل جانب فوثب الذين معنا عاجلا كالعقاب فرجع لهم الزورق فنزلوا فيه وسار بهم فى البحر وبقيت انا وعلى بن بكار وشمس النهار على شاطئ البحر لا نستطيع حركة ولا سكونا فقال لنا الخيالة من أين أنتم فتحيرنا فى الجواب قال الجوهرى فقلت لهم ان الذين رأيتموهم معنا لا نعرفهم وانما رأيناهم هنا وأما نحن فمغنون فأرادوا أخذنا لنغنى لهم فما تخلصنا منهم الا بالحيلة ولين الكلام فافرجوا عنا فى هذه الساعة وقد كان منهم ما رأيتم من أمرهم فنظر الخيالة الى شمس النهار والى على بن بكار ثم قالوا لى لست صادقا فى كلامك فان كنت صادقا فاخبرنا من أنتم ومن أين أنتم وما موضعكم وفى أى الحارات أنتم ساكنون قال الجوهرى فلم أدر ما أقول فوثبت شمس النهار وتقدمت الى مقدم الخيالة وتحدثت معه سرا فنزل من فوق جواده وأركبها عليه وأخذ بزمامها وصار يقودها وكذلك فعل بعلى بن بكار وفعل بى أيضا ثم ان مقدم الخيالة لم يزل سائرا بنا الى موضع على جانب البحر وصاح بالرطانة فأقبل له جماعة من البرية فطلعنا المقدم فى زورق وطلع أصحابه فى زورق آخر وقذفوا بنا الى أن انتهينا الى دار الخلافة ونحن نكابد الموت من شدة الخوف ولم نزل سائرين الى أن انتهينا الى المحل الذى نتوصل منه الى موضعنا فنزلنا على البر ومشينا ومعنا جماعة من الخيالة يؤانسوننا الى أن دخلنا الدار وحين دخلناها ودعنا من كان معنا من الخيالة ومضوا الى حال سبيلهم وأما نحن فقد دخلنا مكاننا ونحن لا نقدر أن نتحرك من مكاننا ولا ندرى الصباح من المساء

المساء ولم نزل على هذه الحالة الى أن أصبح الصباح فلما جاء آخر النهار سقط على بن بكار مغشيا عليه و بكى عليه النساء والرجال وهو مطروح لم يتحرك فجاءني بعض أهله وقالوا احدثنا بما جرى لولدنا وأخبرنا بسبب الحال الذي هو فيه فقلت لهم ياقوم اسمعوا كلامي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

❋فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائة❋ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الجوهري قال لهم ياقوم اسمعوا كلامي ولا تفعلوا بي مكروها واصبروا وهو يفيق و يخبركم بقصته بنفسه ثم شددت عليهم وخوفتهم من الفضيحة بيني و بينهم فبينما نحن كذلك واذا بعلى بن بكار تحرك في فراشه ففرح أهله وانصرف الناس عنه ومنعني أهله من الخروج من عنده ثم رشوا ماء الورد على وجهه فلما أفاق وشم الهواء صاروا يسألونه عن حاله فصار يخبرهم ولسانه لا يرد جوابا بسرعة ثم أشار اليهم أن يطلقوني لاذهب الى منزلي فاطلقوني فخرجت وأنا لا أصدق بالخلاص وأتيت الى داري وأنا بين رجلين حتى وصلت الى أهلي فلما رأوني على تلك الحالة لطموا على وجوههم فأومأت اليهم بيدي أن اسكتوا فسكتوا وانصرف الرجلان الى حال سبيلهما وانقلبت على فراشي بقية ليلتي ولم أفق الى وقت الضحى فوجدت أهلي مجتمعين حولي يقولون ما الذي دهاك و بشره رماك فقلت ائتوني بشيء من الشراب فجاؤا الى بشراب شربت منه حتى استكفيت ثم قلت لهم قد كان ما كان فانصرفوا الى حال سبيلهم ثم اعتذرت الى أصحابي وسألتهم عن الذي ذهب من داري هل عاد شيء منه فقالوا عاد البعض وسببه انه جاء انسان ورماه في باب الدار ولم ننظره فسليت نفسي وأقمت في مكاني يومين وأنا لا أقدر على القيام من محلي ثم قويت نفسي ومشيت حتى دخلت الحمام وأنا قلبي مشغول من جهة ابن بكار وشمس النهار ولم أسمع لهما خبرا في تلك المدة ولم أستطع الوصول الى دار على بن بكار ولم يستقر لي قرار في مكاني خوفا على نفسي ثم تبت الى الله تعالى عما صدر مني وحمدته على سلامتي و بعد مدة حدثتني نفسي أن أقصد تلك الناحية وارجع في ساعة فلما أردت المسير رأيت امرأة واقفة فتأملتها واذا هي جارية شمس النهار فلما عرفتها سرت وهرولت في سيري فتبعتني فداخلني منها الفزع وصرت كلما أنظرها يأخذني الرعب منها وهي تقول لي قف حتى أحدثك بشيء وأنا لم ألتفت اليها ولم أزل سائرا الى مسجد في موضع خال من الناس فقالت لي ادخل هذا المسجد لاقول لك كلمة ولا تخف من شيء وحلفتني فدخلت المسجد ودخلت خلفي فصليت ركعتين ثم تقدمت اليها وأنا أتأوه وقلت لها ما بالك فسألتني عن حالي فحدثتها بما وقع لي وأخبرتها بما جرى لعلى بن بكار وقلت لها ما خبرك فقالت اعلم انى لما رأيت الرجال كسروا باب دارك ودخلوا خفت منهم وخشيت أن يكونوا من عند

الخليفة فيأخذونى أنا وسيدتى فنهلك من وقتنا فهربت من السطوح أنا والوصيفتان ورمينا أنفسنا من مكان عال ودخلنا على قوم فهربنا عندهم حتى وصلنا لى قصر الخلافة ونحن على أقبح صفة ثم أخفينا أمرنا وصرنا نتقلب على الجمر الى أن جن الليل ففتحت باب البحر واستدعيت بالملاح الذى أخرجنا تلك الليلة وقلت له ان سيدتى لم نعلم لها خبرا فاحملنى فى الزورق حتى أفتش عليها فى البحر لعلى أقع على خبرها فحملنى فى الزورق وسار بى ولم أزل سائرة فى البحر حتى انتصف الليل فرأيت زورقا أقبل الى جهة الباب وفيه رجل يقذف ومعه رجل آخر وامرأة مطروحة بينهما ولا زال يقذف حتى وصل الى البر فلما نزلت المرأة تأملتها فاذا هى شمس النهار فنزلت اليها وقد اندهشت من الفرح لما رأيتها بعد ما قطعت الرجاء منها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهرى فنزلت اليها وقد اندهشت من الفرح بعد ان قطعت الرجاء منها فلما تقدمت بين يديها أمرتنى أن أدفع الى الرجل الذى جاء بها ألف دينار ثم حملتها أنا والوصيفتان الى ان ألقيناها على فراشها فأقامت تلك الليلة على حالة مكدرة فلما أصبح الصباح منعت الجوارى والخدم من الدخول عليها والوصول اليها ذلك اليوم وفى ثانى يوم أفاقت مما كان بها فوجدتها كأنها قد خرجت من مقبرة فرششت على وجهها ماء الورد وغيرت ثيابها وغسلت يديها ورجليها ولم أزل ألاطفها حتى أطعمتها شيأ من الطعام وأسقيتها شيأ من الاشربة وهى ليس لها قابلية فى شئ من ذلك فلما اشمت الهواء وتوجهت اليها العافية قلت لها يا سيدتى ارفقى بنفسك فقد حصل لك من المشقة ما فيه الكفاية فانك قد أشرفت على الهلاك فقالت والله يا جارية الخير ان الموت عندى أهون مما جرى لى فانى كنت مقتولة لا محالة لان اللصوص لما خرجوا بنا من دار الجوهرى سألونى وقالوا من أنت وما شأنك فقلت أنا جارية من المغنيات فصدقونى ثم سألوا على بن بكار عن نفسه وقالوا له من أنت وما شأنك فقال أنا من عوام الناس فأخذونا وسرنا معهم الى أن انتهوا بنا الى موضعهم ونحن نسرع فى السير معهم من شدة الخوف فلما استقر وا بنا فى أماكنهم تأملونى ونظروا ما على من الملبوس والعقود والجواهر فانكروا أمرى وقالوا ان هذه العقود لم تكن لواحدة من المغنيات ثم قالوا أصدقينا وقولى لنا الحق ما قضيتك فلم أرد عليهم جوابا بشئ وقلت فى نفسى الآن يقتلوننى لاجل ما على من الحلى والحلل فلم أنطق بكلمة ثم التفتوا الى على بن بكار وقالوا له من أين أنت فان رؤيتك غير رؤية العوام فسكت وصرنا نكتم أمرنا ونبكى فحنن الله علينا قلوب اللصوص فقالوا لنا من صاحب الدار التى كنتما فيها فقلنا لهم صاحبها فلان الجوهرى

فقال

فقال واحد منهم أنا أعرفه حق المعرفة وأعرف أنه ساكن فى داره الثانية وعلى أن آتيكم به فى هذه الساعة واتفقوا على أن يجعلونى فى موضع وحدى وعلى بن بكار فى موضع وحده وقالوا لنا استريحا ولا تخافا أن ينكشف خبركما وأنتم فى أمان منا ثم ان صاحبهم مضى الى الجوهرى وأتى به وكشف أمرنا لهم واجتمعنا عليه ثم ان رجلا منهم أحضر لنا زورقا وأطلعونا فيه وعدوا بنا الى الجانب الثانى ورمونا الى البر وذهبوا فأتت خيالة من أصحاب العسس وقالوا من تكونوا فتكلمت مع مقدم العسس وقلت له أنا شمس النهار محظية الخليفة فانى سكرت وخرجت لبعض معارف من نساء الوزراء فجاءنى اللصوص فأخذونى وأوصلونى الى هذا المكان فلما رأوكم فروا هاربين وأنا قادرة على مكافأتك فلما اسمع كلامى مقدم الخيالة عرفنى ونزل عن مركوبه وأركبنى وفعل كذلك مع على بن بكار والجوهرى وفى كبدى الآن من أجلهما لهيب النار لاسيما الجوهرى رفيق ابن بكار فامضى اليه وسلمى عليه واستخبر يه عن على بن بكار فلمتها على ماوقع منها وحذرتها وقلت لها ياسيدتى خافى على نفسك فصاحت على وغضبت من كلامى ثم قمت من عندها وجئت فلم أجدك وخشيت من الرواح الى ابن بكار فصرت واقفة أرتقبك حتى أسألك عنه وأعلم ما هو فيه فاسألك من فضلك أن تأخذ منى شيأ من المال فانك ربما استعرت أمتعة من أصحابك وضاعت عليك فتحتاج أن تعوض على الناس ماذهب لهم من الامتعة عندك قال الجوهرى فقلت سمعا وطاعة ثم مشيت معها الى أن أتينا الى قرب محلى فقالت لى قف هنا حتى أعود اليك

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائة ﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهرى قف هنا حتى أعود اليك ومضت ثم عادت وهى حاملة المال فاعطته للجوهرى وقالت له ياسيدى نجتمع بك فى أى محل قال الجوهرى فقلت لها أتوجه الى دارى فى هذه الساعة وأتحمل الصعوبة لاجل خاطرك وأتدبر فيما يوصلك اليه فانه يتعذر الوصول اليه فى هذا الوقت ثم ودعتنى ومضت فحملت المال وأتيت به الى منزلى وعددت المال فوجدته خمسة آلاف دينار فاعطيت أهلى منه شيأ ومن كان له عندى شئ أعطيته عوضا عنه ثم انى أخذت غلمانى وذهبت الى الدار التى ضاعت منها الامتعة وجئت بالنجارين والبنايين فاعادوها الى ما كانت عليه وجعلت جاريتى فيها ونسيت ماجرى لى ثم تمشيت وأتيت الى دار على بن بكار فلما وصلت اليها أقبل غلمانه على وقال لى واحد منهم ان غلمان سيدى فى طلبك ليلا ونهارا وقد وعدهم ان كل من أتاه بك يعتقه فهم يفتشون عليك ولم يعرفوا لك موضعا وقد رجعت الى سيدى عافيته وهو تارة يفيق وتارة يستغرق فلما يفيق يذكرك ويقول لابد أن تحضروه لى لحظة ويعود الى حال سبيله قال

الجوهري فمضيت مع الغلام الى سيده فوجدته لايستطيع الكلام فلما رأيته جلست عند رأسه ففتح عينيه فلما رآني بكى وقال لى أهلاومرحبا ثم أسندته وأجلسته وضممته الى صدري فقال لى اعلم يا أخي اني من حين رقدت ماجلست الافى هذه الساعة فالحمد لله على مشاهدتك قال الجوهري فلم أزل أسنده حتى أوقفته على رجليه ومشيته خطوات وغيرت أثوابه وشرب شرابا فلما رأيت عليه علامة العافية حدثته بما كان من الجارية ولم يسمعني أحد ثم قلت له شد حيلك فأنا أعرف مابك فتبسم فقلت له انك لاتجد الامايسرك ويداويك ثم ان علي بن بكار أمر باحضار الطعام فأحضروه وأشار الى غلمانه فتفرقوا ثم قال لى يا أخي هل رأيت ما أصابنا واعتذر لى وسألني عن حالي فى هذه المدة فأخبرته بجميع ماجرى لى من الاول الى الآخر فتعجب ثم قال للخدم ائتوني بكذا وكذا فأتوه بفرش نفيس وغير ذلك من تعاليق الذهب والفضة أكثر من الذي ضاع لى وأعطاني جميع ذلك فأرسلته الى منزلي وأقمت عنده ليلتي فلما أسفر الصبح قال لى اعلم ان لكل شئ نهاية ونهاية الهوى الموت أو الوصال وأنا الى الموت أقرب فياليتني مت قبل الذي جرى ولولا ان الله لطف بنا لافتضحنا ولا أدري ما الذي يوصلني الى الخلاص مما أنا فيه ولولا خوفى من الله لعجلت على نفسي بالهلاك واعلم يا أخي انني كالطير فى القفص وان نفسي هالكة من الغصص ولكن لها وقت معلوم وأجل محتوم ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

شكا ألم الفراق الناس قبلي * وروع بالنوى حي وميت
وأما مثل ماضمت ضلوعي * فاني ماسمعت ولا رأيت

فلما فرغ من شعره قال له الجوهري ياسيدي اعلم انى عزمت على الذهاب الى داري فلعل الجارية ترجع الي بخبر فقال علي بن بكار لا بأس بذلك ولكن أسرع بالعود عندنا لاجل أن تخبرني قال الجوهري فودعته وانصرفت الى داري فلم يستقر بي الجلوس حتى رأيت الجارية أقبلت وهي فى بكاء ونحيب فقلت لها ماسبب ذلك فقالت ياسيدي اعلم أنه حل بنا ماحل من أمر نخافه فاني لما مضيت من عندك بالامس وجدت سيدتي مغتاظة على وصيفة من الوصيفتين اللتين كانتا معنا تلك الليلة وأمرت بضربها فخافت من سيدتها وهربت فلاقاها بعض الموكلين بالباب وأراد ردها الى سيدتها فلوحت له بالكلام فلاطفها واستنطقها عن حالها فأخبرته بما كنا فيه فبلغ الخبر الى الخليفة فأمر بنقل سيدتي شمس النهار وجميع مالها الى دار الخلافة ووكل بها عشرين خادما ولم أجتمع بها الى الآن ولم أعلمها بالسبب وتوهمت انه بسبب ذلك فخشيت على نفسي واحترت ياسيدي ولم أدر كيف احتال فى أمري وأمرها ولم يكن عندها أحفظ لكتمان السر مني وأدرك شهرزاد

شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجوهري ان سيدتي لم يكن عندها أحفظ لكتمان السر مني فتوجه ياسيدي الى علي ابن بكار سريعاً وأخبره بذلك لاجل أن يكون على أهبة فاذا انكشف الامر تتدبر في شئ نفعله لنجاة أنفسنا قال الجوهري فأخذني من ذلك هم عظيم وصار الكون في وجهي ظلاما من كلام الجارية وهمت الجارية بالانصراف فقلت لها وما الرأى فقالت لي الرأى أن تبادر الى علي بن بكار ان كان صديقك وتريد له النجاة وأنت عليك تبليغ هذا الخبر له بسرعة وأنا عليَّ أن أتقيد باستنشاق الاخبار ثم ودعتني وخرجت فلما خرجت الجارية قمت وخرجت في أثرها وتوجهت الى علي بن بكار فوجدته يحدث نفسه بالوصال ويعللها بالمحال فلما رآني رجعت اليه عاجلا قال لي اني أراك رجعت اليَّ في الحال فقلت له اقصر من التعلق البطال ودع ما أنت فيه من الاشتغال فقد حدث حادث يفضي الى تلف نفسك ومالك فلما سمع هذا الكلام تغير حاله وانزعج وقال للجوهري يا أخي أخبرني بما وقع فقال له الجوهري ياسيدي اعلم انه قد جرى ماهو كذا وكذا وانك ان أقمت في دارك هذه الى آخر النهار فأنت تالف ولا محالة فبهت علي بن بكار وكادت روحه ان تفارق جسده ثم استرجع بعد ذلك وقال له ماذا أفعل يا أخي وما عندك من الرأى قال الجوهري فقلت له الرأى أن تأخذ معك من مالك ما تقدر عليه ومن غلمانك ما تثق به وان تمضي بنا الى ديار غير هذه قبل أن ينقضي هذا النهار فقال لي سمعا وطاعة ثم وثب وهو متحير في أمره فتارة يمشي وتارة يقع وأخذ ما قدر عليه واعتذر الى أهله وأوصاهم بمقصوده وأخذ معه ثلاثة جمال محملة وركب دابة وقد فعلت أنا كما فعل ثم خرجنا خفية وسرنا ولم نزل سائرين باقي يومنا وليلتنا فلما كان آخر الليل حططنا حمولنا وعقلنا جمالنا ونمنا فخل علينا التعب وغفلنا عن أنفسنا واذا باللصوص أحاطوا بنا وأخذوا جميع ما كان معنا وقتلوا الغلمان لما أرادوا أن يمنعوا عنا ثم تركونا مكاننا ونحن في أقبح حال بعد ان أخذوا المال وساروا فلما قمنا مشينا الى أن أصبح الصباح فوصلنا الى بلد فدخلناها وقصدنا مسجدها ونحن عرايا وجلسنا في جنب المسجد باقي يومنا فلما جاء الليل بتنا في المسجد تلك الليلة ونحن من غير أكل ولا شرب فلما أصبح الصباح صلينا الصبح وجلسنا واذا برجل داخل فسلم علينا وصلى ركعتين ثم التفت الينا وقال ياجماعة هل أنتم غرباء قلنا نعم وقطع اللصوص علينا الطريق وعرونا ودخلنا هذه البلد ولم نعرف فيها أحداً نأوي عنده فقال لنا الرجل هل لكم أن تقوموا معي الى داري قال الجوهري فقلت لعلي ابن بكار قم بنا معه فننجو من أمرين الاول اننا نخشى أن يدخل علينا أحد يعرفنا في هذا المسجد

فنفتضح والثانى اننا ناس غرباء وليس لنا مكان نأوى اليه فقال على بن بكار افعل ما تريد ثم ان الرجل قال لنا ثانى مرة يافقراء أطيعونى وسيروا معى الى مكانى قال الجوهرى فقلت له سمعا وطاعة ثم ان الرجل خلع لنا شيأ من ثيابه وألبسنا ولاطفنا فقمنا معه الى داره فطرق الباب فخرج الينا خادم صغير وفتح الباب فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه ثم ان الرجل أمر باحضار بقجة فيها أثواب وشاشات فالبسنا حلتين وأعطانا شاشين فتعممنا وجلسنا واذا بجارية أقبلت الينا بمائدة ووضعتها بين أيدينا فأكلنا شيأ يسيرا ورفعت المائدة ثم أقمنا عنده الى أن دخل الليل فتأوه على بن بكار وقال للجوهرى يا أخى اعلم اننى هالك لا محالة وأريد أن أوصيك وصية وهو أنك اذا رأيتنى مت تذهب الى والدتى وتخبرها أن تأتى الى هذا المكان لاجل أن تأخذ عزائى وتحضر غسلى وأوصها أن تكون صابرة على فراق ثم وقع مغشيا عليه فلما أفاق سمع جارية تغنى من بعيد وتنشد الاشعار فصار يصغى اليها ويسمع صوتها وهو تارة يسكر وتارة يصحو وتارة يبكى شجنا وحزنا مما أصابه فسمع الجارية تطرب بالنغمات وتنشد هذه الابيات

عجل البين بيننا بالفراق * بعد الف وجيرة واتفاق

فرقت بيننا صروف الليالى * ليت شعرى متى يكون التلاقى

ما أمر الفراق بعد اجتماع * ليته ما أضر بالعشاق

غصة الموت ساعة ثم تقضى * وفراق الحبيب فى القلب باق

لو وجدنا الى الفراق سبيلا * لاذقنا الفراق طعم الفراق

فلما سمع ابن بكار انشاد الجارية شهق شهقة ففارقت روحه جسده قال الجوهرى فلما رأيته مات أوصيت عليه صاحب الدار وقلت له اعلم اننى متوجه الى بغداد لاخبر والدته وأقاربه حتى يأتوا اليجهزوه ثم انى توجهت الى بغداد ودخلت دارى وغيرت ثيابى وبعد ذلك ذهبت الى دار على بن بكار فلما رآنى غلمانه أتوا الى وسألونى عنه وسألتهم أن يستأذنوا الى والدته فى الدخول عليها فأذنت لى بالدخول فدخلت وسلمت عليها وقلت ان الله اذا قضى أمرا فلا مفر من قضائه وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا فتوهمت أم على بن بكار من هذا الكلام ان ابنها قد مات فبكت بكاء شديدا ثم قالت بالله عليك أن تخبرنى هل توفى ولدى فلم أقدر أن أرد عليها جوابا من كثرة الجزع فلما رأتنى على تلك الحالة تخنقت بالبكاء ثم وقعت على الارض مغشيا عليها فلما أفاقت من غشيتها قالت ما كان من أمر ولدى فقلت لها اعظم الله أجرك فيه ثم انى حدثتها بما كان من أمره من المبتدا الى المنتهى قالت هل أوصاك بشئ فقلت لها نعم وأخبرتها بما أوصانى به وقلت لها اسرعى فى تجهيزه فلما سمعت أم على بن بكار

كلامى

كلامى سقطت مغشيا عليها فلما أفاقت عزمت على ما أوصيتها به ثم انى رجعت الى دارى وصرت فى الطريق أتفكر فى حسن شبابه فبينما أنا كذلك واذا امرأة قد قبضت على يدى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى قال واذا بامرأة قد قبضت على يدى فتأملتها فرأيتها الجارية التى كانت تأتى من عند شمس النهار وقد علاها الانكسار فلما تعارفنا بكينا جميعا حتى أتينا الى تلك الدار فقلت لها هل علمت بخبر على بن بكار فقالت لا والله فأخبرتها بخبره وما كان من أمره ثم انى قلت لها فكيف حال سيدتك فقالت لم يقبل فيها أمير المؤمنين قول أحد لشدة محبته لها وقد حمل جميع أمورها على المحامل الحسنة وقال لها يا شمس النهار أنت عندى عزيزة وأنا أتحملك على رغم أعدائك ثم أمر لها بفرش مقصورة مذهبة وحجرة مليحة وصارت عنده من ذلك فى قبول عظيم فاتفق انه جلس يوما من الايام على جرى عادته للشراب وحضرت المحاظى بين يديه فاجلسهن فى مراتبهن وأجلسها بجانبه وقد عدمت صبرها وزاد أمرها فعند ذلك أمر جارية من الجوارى أن تغنى فأخذت العود وضربت به وجعلت تقول

وداع دعانى للهوى فأجبته ❊ ودمعى يخط الوجد خطا على خدى
كأن دموع العين تخبر حالنا ❊ فتبدى الذى اخفى وتخفى الذى ابدى
فكيف أروم السر أو اكتم الهوى ❊ وفرط غرامى فيك يظهر ما عندى
وقد طاب موتى عند فقد احبتى ❊ فياليت شعرى ما يطيب لهم بعدى

فلما سمعت شمس النهار انشاد تلك الجارية لم تستطع الجلوس ثم سقطت مغشيا عليها فرمى الخليفة القدح وجذبها عنده وصاح وضجت الجوارى وقلبها أمير المؤمنين فوجدها ميتة فحزن أمير المؤمنين لموتها وأمر أن يكسر جميع ما كان فى الحضرة من الآلات والقوانين وحملها فى حجرة بعد موتها ومكث عندها باقى ليلته فلما طلع النهار جهزها وأمر بغسلها وتكفينها ودفنها وحزن عليها حزنا كثيرا ولم يسأل عن حالها ولا عن الامر الذى كانت فيه ثم قالت الجارية للجوهرى سألتك بالله أن تعلمنى بوقت خروج جنازة على بن بكار وأن تحضرنى دفنه فقال لها أما أنا ففى أى محل شئت تجدينى وأما أنت فمن يستطيع الوصول اليك فى المحل الذى أنت فيه فقالت له ان أمير المؤمنين لما ماتت شمس النهار أعتق جواريها من يوم موتها وأنا من جملتهن ونحن مقيمات على تربتها فى المحل الفلانى فقمت معها وأتيت الى المقبرة وزرت شمس النهار ثم مضيت الى حالى ولم أزل أنتظر جنازة على بن بكار الى أن جاءت فخرجت له أهل بغداد وخرجت

معهم فوجدت الجارية بين النساء وهى أشدهن حزنا ولم أر جنازة ببغداد أعظم من هذه الجنازة وما زلنا فى ازدحام عظيم الى أن انتهينا الى قبره ودفناه وصرت لا أنقطع عن زيارته ولا عن زيارة شمس النهار هذا ما كان من حديثهما وليس هذا بأعجب من حديث الملك شهرمان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(حكاية قمر الزمان ابن الملك شهرمان)

﴿فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان ملك يسمى شهرمان صاحب عسكر وخدم وأعوان الا انه كبر سنه ورق عظمه ولم يرزق بولد فتفكر فى نفسه وحزن وقلق وشكا ذلك لبعض وزرائه وقال انى أخاف اذا مت أن يضيع الملك لانه ليس لى ولد يتولاه بعدى فقال له ذلك الوزير لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا فتوكل على الله أيها الملك وتوضأ وصل ركعتين ثم جامع زوجتك لعلك تبلغ مطلوبك فجامع زوجته فحملت فى تلك الساعة ولما كملت أشهرها وضعت ولدا ذكرا كأنه البدر السافر فى الليل العاكر فسماه قمر الزمان وفرح به غاية الفرح وزينوا المدينة سبعة أيام ودقت الطبول وأقبلت البشائر وحلته المراضع والدايات وتربى فى العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشرة سنة وكان فائقا فى الحسن والجمال والقد والاعتدال وكان أبوه يحبه ولا يقدر أن يفارقه ليلا ولا نهارا فاشتكى الملك شهرمان لاحد وزرائه فرط محبته لولده وقال أيها الوزير انى خائف على ولدى قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان وأريد أن أزوجه فى حياتى فقال له الوزير اعلم أيها الملك ان الزواج من مكارم الاخلاق ولا بأس أن تزوج ولدك فى حياتك فعند ذلك قال الملك شهرمان علىّ بولدى قمر الزمان فحضر وأطرق رأسه الى الارض حياء من أبيه فقال له أبوه يا قمر الزمان اعلم أنى أريد أن أزوجك وأفرح بك فى حياتى فقال له اعلم يا أبى اننى مالى فى الزواج أرب وليست نفسى تميل الى النساء لانى وجدت فى مكرهن كتبا بالروايات وبكيدهن وردت الآيات وقال الشاعر

فان تسألونى بالنساء فاننى * خبير باحوال النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أوقل ماله * فليس له من ودهن نصيب

﴿وقال الآخر﴾

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنه * فلن يفوز فتى يعطى النسا رسنه
يعقنه عن كمال فى فضائله * ولو سعى طالبا للعلم ألف سنه

ولما

ولما فرغ من شعره قال يا أبى ان الزواج شئ لا أفعله أبدا ولو سقيت كأس الردى فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واغتم غما شديدا على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان لما سمع من ولده هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واغتم على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له ومن محبته له لم يكرر عليه الكلام فى ذلك ولم يغضبه بل أقبل عليه وأكرمه ولاطفه بكل ما يجلب المحبة الى القلب كل ذلك وقمر الزمان يزداد كل يوم حسنا وجمالا وظرفا ودلالا فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة حتى صار كامل الفصاحة والملاحة وتهتكت فى حسنه الورى وبروى لطفه كل نسيم سرى وصار فتنة للعشاق وروضة للمشتاق عذب الكلام يخجل وجهه بدر التمام صاحب قد واعتدال وظرف ودلال كأنه غصن بان أو قضيب خيزران ينوب خده عن شقائق النعمان وقده عن غصن البان ظريف الشمائل كما قال فيه القائل

بدا فقالوا تبارك الله * جل الذى صاغه وسواه
مليك كل الملاح قاطبة * فكلهم أصبحوا رعاياه
فى ريقه شهدة مذوبة * وانعقد الدر فى ثناياه
مكملا بالجمال منفردا * كل الورى فى جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته * أشهد أن لا مليح الا هو

فلما تكاملت سنة أخرى لقمر الزمان ابن الملك شهرمان دعاه والده اليه وقال له يا ولدى أما تسمع منى فوقع قمر الزمان على الارض بين يدى أبيه هيبة واستحى منه وقال له يا أبى كيف لا أسمع منك وقد أمرنى الله بطاعتك وعدم مخالفتك فقال له الملك شهرمان اعلم يا ولدى انى أريد أن أزوجك وأفرح بك فى حياتى وأسلطنك فى مملكتى قبل مماتى فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام أطرق رأسه ساعة وبعد ذلك رفع رأسه وقال يا أبت هذا شئ لا أفعله أبدا ولو سقيت كأس الردى وأنا أعلم ان الله فرض على طاعتك فبحق الله عليك لا تكلفنى أمر الزواج ولا تظن انى أتزوج طول عمرى لاننى قرأت فى كتب المتقدمين والمتأخرين وعرفت جميع ما جرى لهم من المصائب والآفات بسبب فتن النساء ومكرهن غير المتناهى وما يحدث عنهن من الدواهى وما أحسن قول الشاعر

من كاده العاهرات * فلا يرى من خلاص
ولو بنى ألف حصن * مشيدة بالرصاص

فليس يجدى بناها * ولا تفيد الصياصى
ان النسا خائنات * لكل دان وقاص
مخضبات بنان * مضفرات عقاص
مكحلات جفون * مجرعات غصاص

﴿وما أحسن قول الآخر﴾

ان النساء وان دعين لعفة * رمم تقلبها النسور الحوم
فى الليل عندك سرها وحديثها * وغدا لغيرك ساقها والمعصم
كالخان تسكنه وتصبح راحلا * فيحل بعدك فيه من لا تعلم

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام لم يرد عليه جوابا من فرط محبته له وزاده من انعامه واكرامه وانفض ذلك المجلس من تلك الساعة وبعد انفضاض ذلك المجلس طلب الملك شهرمان وزيره واختلى به وقال له أيها الوزير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان طلب وزيره واختلى به وقال له أيها الوزير قل لى ما الذى أفعله فى قضية ولدى قمر الزمان فانى استشرتك فى زواجه قبل ان اسلطنه فأشرت علىّ بذلك وأشرت علىّ أيضا أن أذكر له فى أمر الزواج فذكرته له فخالفنى فشر علىّ الآن بما تراه حسنا فقال له الوزير الذى أشور به عليك الآن أيها الملك أن تصبر عليه سنة أخرى فاذا أردت أن تكلمه بعدها فى أمر الزواج فلا تكلمه سرا ولكن حدثه فى يوم حكومة ويكون جميع الامراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفين فاذا اجتمع هؤلاء فارسل الى ولدك قمر الزمان فى تلك الساعة وأحضره فاذا حضر فخاطبه فى أمر الزواج بحضرة جميع الامراء والوزراء والحجاب والنوّاب وأرباب الدولة والعساكر وأصحاب الصولة فانه يستحى منهم وما يقدر أن يخالفك بحضرتهم فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحا شديدا واستصوب رأى الوزير فى ذلك وخلع عليه خلعة سنية وصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة وكلما مضى عليه يوم من الايام يزداد حسنا وجمالا وبهجة وكمالا حتى بلغ من العمر قريبا من عشرين عاما وألبسه الله حلل الجمال وتوجه بتاج الكمال وصار طرفه أسحر من هاروت وماروت وغنج الحاظه أضل من الطاغوت وأشرقت خدوده بالاحمرار وازدرت جفونه بالصارم البتار وبياض غرته حكى القمر الزاهر وسواد شعره كأنه الليل العاكر وخصره أرق من خيط هميان وردفه أثقل من الكثبان تهيج البلابل على

اعطافه

أعطافه ويشتكي خصره من ثقل أردافه ومحاسنه حيرت الورى كما قال فيه بعض الشعرا

فبما بوجنته وباسم ثغره * وباسهم قد راشها من سحره
وبلين عطفيه ومرهف لحظه * وبياض غرته وأسود شعره
وبحاجب حجب الكرى عن صبه * وسطا عليه بنهيه وبأمره
وعقارب قد ارسلت من صدغه * وسعت لقتل العاشقين بهجره
وبورد خديه وآس عذاره * وعقيق مبسمه ولؤلؤ ثغره
وبطيب نكهته وسلسال جرى * فى فيه يزرى بالرحيق وعصره
وبردفه المرتج فى حركاته * وسكونه وبرقة فى خصره
وبجود راحته وصدق لسانه * وبطيب عنصره وعالى قدره
ما المسك الامن فضالة خاله * والطيب يروى ريحه عن نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه * وأرى الهلال قلامة من ظفره

ثم ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة أخرى حتى حصل يوم موسم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد المائتة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة أخرى حتى حصل يوم موسم تكامل فيه مجلس الملك بالامراء والوزراء والحجاب وأرباب الدولة والعساكر وأصحاب الصولة ثم ان الملك أرسل خلف ولده قمر الزمان فلما حضر قبل الارض بين يديه ثلاث مرات ووقف مكتفا يديه وراء ظهره قدام أبيه فقال له أبوه ياولدى انى ما أحضرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع العساكر حاضرون بين أيدينا الالاجل أن آمرك بأمر فلا تخالفنى فيه وذلك أن تتزوج لانى أشتهى أن أزوجك بنت ملك من الملوك وافرح بك قبل موتى فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام أطرق برأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى أبيه ولحقه فى تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة وقال له أما أنا فلا أتزوج أبدا ولو سقيت كؤس الردى وأما أنت فرجل كبير السن صغير العقل أليس انك سألتنى قبل هذا اليوم مرتين غير هذه المرة فى شأن الزواج وأنا لا أجيبك الى ذلك ثم ان قمر الزمان فك كتاف يديه وشمر عن ذراعيه قدام أبيه وهو فى غيظه فخجل أبوه واستحى حيث حصل ذلك قدام أرباب دولته والعساكر الحاضرين فى الموسم ثم ان الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصرخ على ولده فارعبه وصرخ على المماليك وأمرهم بامساكه فأمسكوه وأمرهم أن يكتفوه فكتفوه وقدموه بين يدى الملك وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل وقد كلل وجهه وجبينه

بالعرق واشتد به الحياء والخجل فعند ذلك شتمه أبوه وسبه وقال له ويلك ياولد الزنا وتربية الخنا كيف يكون هذا جوابك لى بين عساكرى وجيوشى ولكن أنت الى الآن ماأدبك أحد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان ولكن أنت الى الآن ماأدبك أحد أما تعلم ان هذا الامر الذى صدر منك لو صدر من عامى من العوام لكان ذلك قبيحا منه ثم ان الملك أمر المماليك أن يحلوا كتافه ويحبسوه فى برج من أبراج القلعة فعند ذلك دخل الفراشون القاعة التى فى البرج فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا فيها سريرا لقمر الزمان وفرشوا له على السرير طراحة ونطعا ووضعوا له مخدة وفانوسا كبيرا وشمعة لان ذلك المكان كان مظلما فى النهار ثم ان المماليك أدخلوا قمر الزمان فى تلك القاعة وجعلوا على باب القاعة خادما فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتب نفسه وندم على ماجرى منه فى حق أبيه حيث لاينفعه الندم وقال خيب الله الزواج والبنات والنساء الخائنات فياليتنى سمعت من والدى وتزوجت فلوفعلت ذلك كان أحسن لى من هذا السجن هذا ما كان من أمر قمر الزمان وأما ما كان من أمر أبيه فانه أقام على كرسى مملكته بقية اليوم الى وقت الغروب ثم خلا بالوزير وقال له اعلم أيها الوزير انك كنت السبب فى هذا الذى جرى بينى وبين ولدى كله حيث أشرت على بما أشرت فما الذى تشور به على الآن فقال له الوزير أيها الملك دع ولدك فى السجن مدة خمسة عشر يوما ثم أحضره بين يديك وأومره بالزواج فانه لايخالفك أبدا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير قال للملك شهرمان دع ولدك فى السجن مدة خمسة عشر يوما ثم أحضره بين يديك وأومره بالزواج فانه لايخالفك أبدا فقبل الملك رأى الوزير فى ذلك ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لانه كان يحبه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه وكان الملك شهرمان كل ليلة لم يجئه نوم حتى يجعل ذراعه تحت رقبة قمر الزمان وينام فبات الملك تلك الليلة وهو متشوش الخاطر من أجله وصار يتقلب من جنب الى جنب كانه نائم على جمر اللظى ولحقه الوسواس ولم يأخذه نوم فى تلك الليلة بطولها وذرفت عيناه بالدموع وأنشد قول الشاعر

لقد طال ليلى والوشاة هجوع ✱ وناهيك قلب بالفراق مروع
أقول وليلى زاد بالهم طوله ✱ أمالك ياضوء الصباح رجوع

وقول

﴿وقول الآخر﴾

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافرا * أيقنت ان صباحهم قد ماتا

هذا ما كان من أمر الملك شهرمان وأما ما كان من أمر قمر الزمان فانه لما قدم عليه الليل قدم له الخادم الفانوس وأوقد له شمعة وجعلها فى شمعدان وقدم له شيأ من المأكل فأكل قليلا وصار يعاتب نفسه حيث أساء الادب فى حق أبيه الملك شهرمان وقال لنفسه ألم تعلم ان ابن آدم رهين لسانه وان لسان الآدمى هو الذى يوقعه فى المهالك ولم يزل يعاتب نفسه ويلومها حتى غلبت عليه الدموع واحترق قلبه المصدوع وندم على ما خرج من لسانه فى حق الملك غاية الندم وأنشد هذين البيتين

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه تقضى بحتفه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من الاكل طلب أن يغسل يديه فغسل يديه من الطعام وتوضأ وصلى المغرب والعشاء وجلس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان قمر الزمان ابن الملك شهرمان صلى المغرب والعشاء وجلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وآل عمران ويس والرحمن وتبارك الملك والمعوذتين وختم بالدعاء واستعاذ بالله ونام على السرير فوق طراحة من الاطلس المعدنى لها وجهان وهى محشوة بريش النعام وحين أراد النوم تجرد من ثيابه وخلع لباسه ونام فى قميص حرير رفيع وكان على رأسه مقطع مروزى أزرق فصار قمر الزمان فى تلك الليلة كأنه البدر فى ليلة أربعة عشر ثم تغطى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقد تحت رجليه والشمعة موقودة فوق رأسه ولم يزل نائما الى ثلث الليل الاول ولم يعلم ما خبئ له فى الغيب وما قدره عليه علام الغيوب واتفق ان القاعة والبرج كانا عتيقين مهجورين مدة سنين كثيرة وكان فى تلك القاعة بئر رومانى معمور بجنية ساكنة فيه وهى من ذرية ابليس اللعين واسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان اسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين فلما استمر قمر الزمان نائما الى ثلث الليل الاول طلعت تلك العفريتة من البئر الرومانى وقصدت السماء لاستراق السمع فلما صارت

فى أعلى البئر رأت نوراً مضيئاً فى البرج على خلاف العادة وكانت تلك العفريتة مقيمة فى ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت فى نفسها أنا ما عهدت هنا شيأ من ذلك وتعجبت من هذا الامر غاية العجب وخطر ببالها انه لابد لذلك من سبب ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجا من القاعة فدخلتها ووجدت الخادم نائما على بابها ولما دخلت القاعة وجدت سريرا منصوبا وعليه هيئة انسان نائم وشمعة مضيئة عند رأسه وفانوس مضيء عند رجليه فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدمت اليه قليلا قليلا وأرخت أجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجهه ونظرت اليه واستمرت باهتة فى حسنه وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالبا على نور الشمعة وصار وجهه يتلألأ أنوارا وقد غازلت عيناه واسودت مقلتاه واحمر خداه وفترت جفناه وتقوس حاجباه وفاح مسكه العاطر كما قال فيه الشاعر

قبلته فاسودت المقل التى * هى فتنتى واحمرت الوجنات
ياقلب ان زعم العواذل انه * فى الحسن يوجد مثله قل هاتوا

فلما رأته العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت تبارك الله أحسن الخالقين وكانت تلك العفريتة من الجن المؤمنين فاستمرت ساعة وهى تنظر الى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسنه وجماله وقالت فى نفسها والله انى لا أضره ولا أترك أحدا يؤذيه ومن كل سوء أفديه فان هذا الوجه المليح لا يستحق الا النظر اليه والتسبيح ولكن كيف هان على أهله حتى نسوه فى هذا المكان الخرب فلو طلع له أحد من مردتنا فى هذه الساعة لعطبه ثم ان تلك العفريتة مالت عليه وقبلته بين عينيه وبعد ذلك أرخت الملاءة على وجهه وغطته بها وفتحت أجنحتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة وصعدت ولم تزل صاعدة فى الجو الى أن قربت من سماء الدنيا واذا بها سمعت خفق أجنحة طائر فى الهواء فقصدت ناحية تلك الاجنحة فلما قربت من صاحبها وجدته عفريتا يقال له دهنش فانقضت عليه انقضاض الباشق فلما أحس بها دهنش وعرف انها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه واستجار بها وقال لها أقسم عليك بالاسم الاعظم والطلسم الاكرم المنقوش على خاتم سليمان أن ترفقى بى ولا تؤذينى فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام حن قلبها عليه وقالت له انك أقسمت على بقسم عظيم ولكن لا أعتقك حتى تخبرنى من أين مجيئك فى هذه الساعة فقال لها أيتها السيدة اعلمى ان مجيئى من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر وأخبرك باعجوبة رأيتها فى هذه الليلة فان وجدت كلامى صحيحا فاتركينى أروح الى حال سبيلى واكتبى لى بخطك فى هذه الساعة انى عتيقك حتى لا يعارضنى أحد من أرهاط الجن الطيارة العلوية والسفلية والغواصة قالت له ميمونة فما الذى رأيته فى هذه

الليلة

الليلة يا دهش فاخبرني ولا تكذب علي وتريد بكذبك أن تنفلت من يدي وأنا أقسم بحق النقش المكتوب على فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ان لم يكن كلامك صحيحا نتفت ريشك بيدي ومزقت جلدك وكسرت عظمك فقال لها العفريت دهش بن شمهورش الطيار ان لم يكن كلامي صحيحا فافعلي بي ماشئت ياسيدتي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ولما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دهشا قال اني خرجت في هذه الليلة من الجزائر الداخلة في بلاد الصين وهي بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت لذلك الملك بنتا لم يخلق الله في زمانها احسن منها ولا أعرف كيف أصفها لك ويعجز لساني عن وصفها كما ينبغي ولكن اذكر لك شيأ من صفاتها على سبيل التقريب أما شعرها فكليالي الهجر والانفصال وأما وجهها فكأيام الوصال وقد أحسن في وصفها من قال

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها ❊ في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها ❊ فأرتني القمرين في وقت معا

ولها أنف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الارجوان ولها خد كشقائق النعمان وشفتاها كالمرجان والعقيق وريقها أشهى من الرحيق يطفئ مذاقه عذاب الحريق ولسانها يحركه عقل وافر وجواب حاضر ولها صدر فتنة لمن رآه فسبحان من خلقه وسواه ومتصل بذلك الصدر عضدان مدملجان كما قال فيها الشاعر الولهان

وزندان لولا أمسكا أساور ❊ لسالا من الاكمام سيل الجداول

ولها نهدان كأنهما من العاج حقان يستمد من اشراقهما القمران ولها بطن بأعكان مطوية كطي القباطي المصرية وينتهي ذلك الى خصر مختصر من وهم الخيال فوق ردف ككثيب من رمال يقعدها اذا قامت ويوقظها اذا نامت كما قال فيه بعض واصفيه

لها كفل تعلق في ضعيف ❊ وذاك الردف لي ولها ظلوم
فيوقفني اذا فكرت فيه ❊ ويقعدها اذا همت تقوم

يحمل ذلك الكفل فخذان كأنهما من الدر عمودان وعلى حمله ما أقدرهما الا بركة الشيخ الذي بينهما وأما غير ذلك من الاوصاف فلا يحصيه ناعت ولا وصاف ويحمل ذلك كله قدمان لطيفان صنعة المهيمن الديان فعجبت منهما كيف يحملان ما فوقهما وأما ما وراء ذلك فاني تركته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان العفريت

دهنش بن شمهورش قال للعفريتة ميمونة وأما ماوراء ذلك فانى تركته لانه تقصر عنه العبارة ولا تفى به اشارة وأبو تلك الصبية ملك جبار فارس كرار يخوض بحار الاقطار فى الليل والنهار لايهاب الموت ولا يخاف الفوت لانه جائر ظلوم وقاهر غشوم وهو صاحب جيوش وعساكر وأقاليم وجزائر ومدن ودور واسمه الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور وكان يحب ابنته هذه التى وصفتها لك حبا شديدا ومن محبته لها جلب أموال سائر الملوك وبنى لها بذلك سبعة قصور كل قصر من جنس مخصوص القصر الاول من البلور والقصر الثانى من الرخام والقصر الثالث من الحديد الصينى والقصر الرابع من الجزع والفصوص والقصر الخامس من الفضة والقصر السادس من الذهب والقصر السابع من الجواهر وملأ السبعة قصور من أنواع الفرش الفاخر وأوانى الذهب والفضة وجميع الآلات من كل ما تحتاج اليه الملوك وأمر ابنته أن تسكن فى كل قصر مدة من السنة ثم تنتقل منه الى قصر غيره واسمها الملكة بدور فلما اشتهر حسنها وشاع فى البلاد ذكرها أرسل سائر الملوك الى أبيها يخطبونها منه فراودها فى أمر الزواج فكرهت ذلك وقالت لابيها ياوالدى ليس لى غرض فى الزواج أبدا فانى سيدة وملكة أحكم على الناس ولا أريد رجلا يحكم على وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطاب فيها ثم ان جميع ملوك جزائر الصين الجوانية أرسلوا الى أبيها الهدايا والتحف وكاتبوه فى أمر زواجها فكرر عليها أبوها المشاورة فى أمر الزواج مرارا عديدة فخالفته وغضبت منه وقالت له ياأبى ان ذكرت لى الزواج مرة أخرى أخذت السيف ووضعت قائمه فى الارض وذبابه فى بطنى واتكأت عليه حتى يطلع من ظهرى وقتلت نفسى فلما سمع أبوها منها هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واحترق قلبه عليها غاية الاحتراق وخشى أن تقتل نفسها وتحير فى أمرها وفى أمر الملوك الذين خطبوها منه فقال لها ان كان لابد من عدم زواجك فامتنعى من الدخول والخروج ثم ان أباها أدخلها البيت وحجبها فيه واستحفظ عليها عشر عجائز قهرمانات ومنعها من أن تذهب الى السبع قصور وأظهر انه غضبان عليها وأرسل كاتب الملوك جميعهم وأعلمهم انها أصيبت بجنون فى عقلها ولها الآن سنة وهى محجوبة ثم قال العفريت دهنش للعفريتة وأنا ياسيدتى أتوجه اليها فى كل ليلة فانظرها وأتملى بوجهها وأقبلها وهى نائمة بين عينيها ومن محبتى لها لا أضرها ولا أركبها لان جمالها بارع كل من رآها يغار عليها من نفسه وأقسمت عليك ياسيدتى أن ترجعى معى وتنظرى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وبعد هذا ان شئت أن تعاقبينى أو تأسرينى فافعلى فان الامر أمرك والنهى نهيك ثم ان العفريت دهنشا أطرق رأسه الى الارض وخفض أجنحته الى الارض فقالت له العفريتة ميمونة بعد ان ضحكت من كلامه وبصقت فى وجهه أى شئ هذه البنت

البنت التي تقول عنها فما هي الا فوارة بول فكيف لو رأيت معشوقي والله اني حسبت ان معك أمرا عجيبا أو خبرا غريبا يا ملعون اني رأيت انسانا في هذه الليلة لو رأيته ولو في المنام لانفلجت عليه وسال ريالتك فقال دهنش وما حكاية هذا الغلام فقالت له اعلم يا دهنش ان هذا الغلام قد جرى له مثل ما جرى لمعشوقتك التي ذكرتها وأمره أبوه بالزواج مرارا عديدة فأبى فلما خالف أباه غضب عليه وسجنه في البرج الذي أنا ساكنة فيه فطلعت في هذه الليلة فرأيته فقال لها دهنش يا سيدتي أريني هذا الغلام لانظر هل هو أحسن من معشوقتي الملكة بدور أم لا لاني ما أظن أن يوجد في هذا الزمان مثل معشوقتي فقالت له العفريتة تكذب يا ملعون يا أنحس المردة وأحقر الشياطين فأنا أتحقق انه لا يوجد لمعشوقي مثيل في هذه الديار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان العفريتة ميمونة قالت للعفريت دهنش أنا أتحقق انه لا يوجد لمعشوقي مثيل في هذه الديار فهل أنت مجنون حتى تقيس معشوقتك بمعشوقي فقال لها بالله عليك يا سيدتي ان تذهبي معي وتنظري معشوقتي وأرجع معك وأنظر معشوقك فقالت له ميمونة لابد من ذلك يا ملعون لانك شيطان مكار ولكن لا أجيء معك ولا تجيء معي الا برهن فان طلعت معشوقتك التي أنت تحبها وتتغالى فيها أحسن من معشوقي الذي أنا أحبه وأتغالى فيه فان ذلك الرهن يكون لك وان طلع معشوقي أحسن فان ذلك الرهن يكون لي عليك فقال لها العفريت دهنش يا سيدتي قبلت منك هذا الشرط ورضيت به تعالي معي الى الجزائر فقالت له ميمونة ان موضع معشوقي أقرب من موضع معشوقتك وها هو تحتنا فانزل معي لننظر معشوقي ونروح بعد ذلك الى معشوقتك فقال لها دهنش سمعا وطاعة ثم انحدرا الى أسفل ونزلا في دور القاعة التي في البرج وأوقفت ميمونة دهنشا بجنب السرير ومدت يدها ورفعت الملاءة عن وجه قمر الزمان ابن الملك شهرمان فسطع وجهه وأشرق ولمع وزها فنظرته ميمونة والتفتت من وقتها الى دهنش وقالت له انظر يا ملعون ولا تكن أقبح مجنون فنحن بنات وبه مفتونات فعند ذلك التفت اليه دهنش واستمر يتأمل فيه ساعة ثم حرك رأسه وقال لميمونة والله يا سيدتي انك معذورة ولكن بقي شيء آخر وهو ان حال الانثى غير حال الذكر وحق الله ان معشوقك هذا أشبه الناس بمعشوقتي في الحسن والجمال والبهجة والكمال وهما الاثنان كأنهما قد أفرغا في قالب الحسن سواء فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاما ولطمته بجناحها على رأسه لطمة قوية كادت أن تقضي عليه من شدتها وقالت له قسما بنور وجه جلاله أن تروح يا ملعون في

هذه الساعة وتحمل معشوقك الذي تحبها وتجيء بها سريعا الى هذا المكان حتى يجمع بين الاثنين وننظرهما وهما نائمان بالقرب من بعضهما فيظهر لنا أيهما أملح وان لم تفعل ما أمرتك به فى هذه الساعة ياملعون أحرقتك بنارى ورميتك بشرر أشرارى ومزقتك قطعا فى البرارى وجعلتك عبرة للمقيم والسارى فقال لها دهنش ياسيدتى لك على ذلك وأنا أعرف ان محبوبتى أملح وأحلى ثم ان العفريت دهنش طار من وقته وساعته وطارت ميمونة معه من أجل المحافظة عليه وغابا ساعة زمانية ثم أقبل الاثنان بعد ذلك وهما حاملان تلك الصبية وعليها قميص بندقى رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات ومكتوب على رأس كميه هذه الابيات

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما * حوت معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلى تنزعه ما حيلة العرق

ثم انهما نزلا بتلك الصبية ومدداها بجانب الغلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان العفريت والعفريتة نزلا بتلك الصبية ومدداها بجانب الغلام وكشفا عن وجوه الاثنين فكانا أشبه الناس ببعضهما فكأنهما توأمان أو اخوان منفردان وهما فتنة للمتقين كما قال فيهما الشاعر المبين

ياقلب لاتعشق مليحا واحدا * تختار فيه تدللا وتذللا
واهو الملاح جميعهم تلقاهم * ان صد هذا كان هذا مقبلا

وصار دهنش وميمونة ينظران اليهما فقال دهنش ان معشوقتى أحسن فقالت له ميمونة بل معشوقى أحسن ويلك يادهنش هل أنت أعمى أما تنظر الى حسنه وجماله وقده واعتداله فاسمع ما أقوله فى محبوبى وان كنت محبا صادقا لمن تعشقها فقل فيها مثل ما أقول فى محبوبى ثم ان ميمونة قبلت قمر الزمان قبلات عديدة وأنشدت هذه القصيدة

مالى وللاحى عليك يعنف * كيف السلو وأنت غصن أهيف
لك مقلة كحلاء تنفث سحرها * ما للهوى العذرى عنها مصرف
تركية الالحاظ تفعل بالحشى * ماليس يفعله الصقيل المرهف
حملتنى ثقل الغرام وانني * لأعجز عن حمل القميص لاضعف
وجدى عليك كما علمت ولوعتى * طبع وعشقى فى سواك تكلف

لو أن قلبي مثل قلبك لم أبت * والجسم مني مثل خصرك منحف

وبلاه من قمر بكل ملاحة * بين الأنام وكل حسن يوصف

قال العواذل في الهوى من ذا الذي * أنت الكئيب به فقلت لهم صفوا

يا قلبه القاسي تعلم عطفة * من قده فعسى يرق ويعطف

لك يا أميري في الملاحة ناظر * يسطو علي وحاجب لا ينصف

كذب الذي ظن الملاحة كلها * في يوسف كم في جمالك يوسف

الجن تخشاني اذا قابلتها * وأنا اذا ألقاك قلبي يرجف

أتكلف الاعراض عنك مهابة * واليك أصبو جهد ما أتكلف

والشعر أسود والجبين مشعشع * والطرف أحور والقوام مهفهف

فلما سمع دهنش شعر ميمونة في معشوقها طرب غاية الطرب وتعجب كل العجب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائة * قالت بلغني أيها الملك السعيد ان دهنشا لما سمع شعر ميمونة في معشوقها طرب غاية الطرب وقال لها أنشدت فيمن تعشقينه هذا الشعر الرقيق مع ان بالك مشغول به ولكن أنا أبذل الجهد في انشاد الشعر على قدر فكري ثم ان دهنشا قام الى معشوقته بدور وقبلها بين عينيها ونظر الى العفريتة ميمونة والى معشوقته بدور وجعل ينشد هذه القصيدة وهو بلا شعور

أقوت معاهدهم بشط الوادي * فبقيت مقتولا وشط الوادي

وسكرت من خمر الغرام ورقصت * عيني الدموع على غناء الحادي

أسعى لاسعد بالوصال وحق لي * ان السعادة في بدور سعاد

لم أدر من أي الثلاثة أشتكي * ولقد عددت فأصغ للاعداد

من لحظها السياف أم من قدها الرماح أم من صدغها الزراد

قالت وقد فتشت عنها كل من * لاقيته من حاضر أو بادي

أنا في فؤادك فارم طرفك نحوه * ترني فقلت لها وأين فؤادي

فلما فرغ من شعره قالت العفريتة أحسنت يا دهنش ولكن أي هذين الاثنين أحسن فقال لها محبوبتي بدور أحسن من محبوبك فقالت له كذبت يا ملعون بل معشوقي أحسن من معشوقتك ثم انهما لم يزالا يتعارضان بعضهما في الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وأرادت أن تبطش به فتذلل لها ورقق كلامه وقال لها لا يصعب عليك الحق فابطلي قولك وقولي

فان كلا منا يشهد لمعشوقه انه أحسن فنعرض عن كلام كل واحد منا ونطلب من يفصل الحكم بيننا بالانصاف ونعتمد على قوله فقالت له ميمونة وهو كذلك ثم ضربت الارض برجلها فطلع لهما من الارض عفريت أعور أجرب وعيناه مشقوقتان فى وجهه بالطول وفى رأسه سبعة قرون وله أربع ذوائب من الشعر مسترسلة الى الارض ويداه مثل يدى القطرب وله أظفار كأظفار الاسد ورجلان كرجلى الفيل وحوافر كحوافر الحمار فلما طلع ذلك العفريت ورأى ميمونة قبل الارض بين يديها وتكتف وقال لها ما حاجتك ياسيدتى يابنت الملك فقالت له ياقشقش انى أريد أن تحكم بينى وبين هذا الملعون دهنش ثم انها أخبرته بالقصة من أولها الى آخرها فعندها نظر العفريت قشقش الى وجه ذلك الصبى ووجه تلك الصبية فرآهما متعانقين وهما نائمان ومعصم كل منهما تحت عنق الآخر وهما فى الحسن والجمال متشابهان وفى الملاحة متساويان فنظر وتعجب المارد قشقش من حسنهما وجمالهما والتفت الى ميمونة ودهنش بعد ان أطال الى الصبى والصبية الالتفات وأنشد هذه الابيات

زرمن تحب ودع مقالة حاسد * ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضى * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا صفالك من زمانك واحد * فهو المراد وعش بذاك الواحد
واذا تألفت القلوب على الهوى * فالناس تضرب فى حديد بارد
يامن يلوم على الهوى أهل الهوى * هل يستطاع صلاح قلب فاسد
يارب يارحمن تحسن ختمنا * قبل الممات ولو بيوم واحد

ثم ان العفريت قشقش التفت الى ميمونة والى دهنش وقال لهما والله مافيهما أحد أحسن من الآخر ولادون الآخر بل هما أشبه الناس ببعضهما فى الحسن والجمال والبهجة والكمال ولا يفرق بينهما الا بالتذكير والتأنيث وعندى حكم آخر وهو أن تنبه كل واحد منهما من غير علم الآخر وكل من التهب على رفيقه فهو دونه فى الحسن والجمال فقالت ميمونة نعم هذا الرأى الذى قلته فأنا رضيته وقال دهنش وأنا أيضا رضيته فعند ذلك انقلب دهنش فى صورة برغوث ولدغ قمر الزمان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن دهنشا انقلب فى صورة برغوث ولدغ قمر الزمان فى رقبته فى موضع ناعم فمد قمر الزمان يده على رقبته وهرش موضع القرصة من شدة ما أحرقته فتحرك بجنبه فوجد شيأ ناعما بجنبه ونفسه أذكى

من

من المسك وجسمه أبين من الزبد فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب ثم قام من وقته قاعدا ونظر الى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجده صبية كالدرة السنية أو القبة المبنية بقامة ألفية خماسية القد بارزة النهد موردة الخد كما قال فيها بعض واصفيها

بدت قمرا ومادت غصن بان ✻ وفاحت عنبرا ورنت غزالا

كأن الحزن مشغوف بقلبي ✻ فساعة هجرها يجد الوصالا

فلما رأى قمر الزمان السيدة بدور بنت الملك الغيور وشاهد حسنها وجمالها وهي نائمة في طوله وجد فوق بدنها قميصا بندقيا وهي بلا سروال وعليها كوفية من ذهب مرصعة بالجواهر وفي عنقها قلادة من الفصوص المثمنة لا يقدر عليها أحد من الملوك فصار مدهوش العقل من ذلك ثم انه حين شاهد حسنها تحركت فيه الحرارة الغريزية وألقى الله عليه شهوة الجماع وقال في نفسه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ثم قلبها بيده ثاني مرة وفتح طوق قميصها فبان له بطنها ونظر اليها والى نهودها فازداد فيها محبة ورغبة فصار ينبهها وهي لا تنتبه لان دهنشا ثقل نومها فصار قمر الزمان يهزها و يحركها و يقول ياحبيبتي استيقظي وانظري من أنا فأنا قمر الزمان فلم تستيقظ ولم تحرك رأسها فعند ذلك تفكر في أمرها ساعة زمانية وقال في نفسه ان صدق حذري فهذه الصبية هي التي يريد والدي زواجي بها ومضى لي ثلاث سنين وأنا أمتنع من ذلك فان شاء الله اذا جاء الصبح أقول لابي زوجني بها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

✻ فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد المائة ✻ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان قال في نفسه ان شاء الله اذا جاء الصبح أقول لابي زوجني بها ولا أترك نصف النهار يفوت حتى أفوز بوصلها وأتملى بحسنها وجمالها ثم ان قمر الزمان مال الى بدور ليقبلها فارتعدت ميمونة الجنية وخجلت وأما العفريت دهنش فانه طار من الفرح ثم ان قمر الزمان لما أراد أن يقبلها في فمها استحى من الله ولفت وجهه وقال في نفسه أنا أصبر لئلا يكون والدي لما غضب على وحبسني في هذا الموضع جاء لي بهذه العروسة وأمرها بالنوم جنبي ليمتحنني بها وأوصاها أني اذا نبهتها لا تستيقظ وقال لها أي شيء فعل بك قمر الزمان فاعلميني به وربما يكون والدي مستخفيا في مكان بحيث يطلع على وأنا لا أنظره فينظر جميع ما أفعله بهذه الصبية واذا أصبح يوبخني و يقول لي كيف تقول لي مالي أرب في الزواج وأنت قبلت تلك الصبية وعانقتها فأنا أكف نفسي عنها لئلا ينكشف أمري مع والدي فأنا لا ألمس هذه الصبية من تلك الساعة ولا ألتفت لها غير اني آخذ لي منها شيأ تكون أمارة عندي وتذكرة لها حتى يبقى بيني و بينها اشارة ثم ان قمر الزمان رفع كف الصبية وأخذ خاتمها من خنصرها وهو يساوي جملة من المال لان فصه من

نفيس الجواهر ومنقوش فى دائرته هذه الابيات

لاتحسبوا أنى نسيت عهودكم * مهما أطلتم فى الزمان صدودكم
ياسادتى جودوا على تعطفا * فعسى أقبل ثغركم وخدودكم
والله انى لست أبرح عنكم * ولو اعتديتم فى لغرام حدادكم

ثم ان قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه فى خنصره وأدار ظهره اليها ونام ففرحت ميمونة الجنية لما رأت ذلك وقالت لدهنش وقشقش هل رأيتما محبوبى قمر الزمان وما فعله من العفة عن هذه الصبية فهذا من كمال محاسنه فانظرا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يلمس بيده عليها بل أدار ظهره اليها ونام فقالا لها قد رأينا ما صنع من الكمال فعند ذلك انقلبت ميمونة وجعلت نفسها برغوثا ودخلت ثياب بدور محبوبة دهنش ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت تحت سرتها مقدار أربعة قراريط ولدغتها ففتحت عينيها واستوت قاعدة فرأت شابا نائما بجانبها وهو يغط فى نومه وله خدود كشقائق النعمان ولواحظ تخجل الحور الحسان وفم كأنه خاتم سليمان وريقه حلو المذاق وأنفع من الترياق كما قال فيه بعض واصفيه

سلا خاطرى عن زينب ونوار * بوردة خد فوق آس عذار
أنيسى فى النادى وفى خلوتى معا * خلاف أنيسى فى قرارة دارى
وأصبحت بالظبى المقرطق مغرما * ولا رأى لى فى عشق ذات سوار
فيالائمى فى هجر هند وزينب * وقد لاح عذرى كالصباح السارى
أترضى بأن أمسى أسيرا أسيرة * محصنة أو من وراء جدار

ثم ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان أخذها الهيام والوجد والغرام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة بدور لما رأت قمر الزمان أخذها الهيام والوجد والغرام وقالت فى نفسها وافضيحتاه ان هذا شاب غريب لا أعرفه ما باله راقدا بجانبى فى فراش واحد ثم نظرت اليه بعيونها وحققت النظر فيه وفى ظرفه ودلاله وحسنه وجماله ثم قالت وحق الله انه شاب مليح مثل القمر الا أن كبدى تكاد أن تتمزق وجدا عليه وشغفا بحسنه وجماله فيا فضيحتى منه والله لو علمت أن هذا الشاب هو الذى خطبنى من أبى ما رددته بل كنت أتزوجه وأتملى بجماله ثم ان الملكة بدور تطلعت من وقتها وساعتها فى وجه قمر الزمان وقالت له ياسيدى وحبيب قلبى ونور عينى انتبه من منامك وتمتع بحسنى وجمالى

وجمالى ثم حركته بيدها فأرخت عليه ميمونة الجنية النوم وثقلت على رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فهزته الملكة بدور بيديها وقالت له بحياتى عليك أن تطيعنى فانتبه من منامك وانظر النرجس والخضرة وتمتع ببطنى والسرة وهارشنى وناغشنى من هذا الوقت الى بكرة قم ياسيدى واتكئ على المخدة ولاتنم فلم يجبها قمر الزمان بجواب ولم يرد عليها خطابا بل غط فى النوم فقالت الملكة بدور مالك تائها بحسنك وجمالك وظرفك ودلالك فكما أنت مليح أنا الاخرى مليحة فما هذا الذى تفعله هل هم علموك الصد عنى أو أبى الشيخ النحس منعك من أن تكلمنى فى هذه الليلة ففتح قمر الزمان عينيه فازدادت فيه محبة وألقى الله محبته فى قلبها ونظرته نظرة أعقبتها ألف حسرة فخفق فؤادها وتقلقلت أحشاؤها واضطربت جوارحها وقالت لقمر الزمان ياسيدى كلمنى ياحبيبى حدثنى يامعشوقى رد على الجواب وقل لى ما اسمك فانك سلبت عقلى كل ذلك وقمر الزمان مستغرق فى النوم ولم يرد عليها بكلمة فتأوهت الملكة بدور وقالت مالك معجبا بنفسك ثم هزته وقبلت يده فرأت خاتمها فى أصبعه الخنصر فشهقت شهقة وأتبعتها بغنجة وقالت أوه أوه والله أنت حبيبى وتحبنى ولكن كأنك تعرض عنى دلالا مع انك جئتنى وأنا نائمة وما أعرف كيف عملت أنت معى ولكن ما أنا قالعة خاتمى من خنصرك ثم فتحت جيب قميصه ومالت عليه وقبلت رقبته وفتشت على شئ تأخذه منه فلم تجد معه شيأ ورأته بغير سروال فمدت يدها من تحت ذيل قميصه وجست سيقانه فزلقت يدها من نعومة جسمه وسقطت على ايره فانصدع قلبها وارتجف فؤادها لان شهوة النساء أقوى من شهوة الرجال وخجلت ثم نزعت خاتمه من أصبعه ووضعته فى أصبعها عوضا عن خاتمها وقبلته فى ثغره وقبلت كفيه ولم تترك فيه موضعا حتى قبلته وبعد ذلك أخذته فى حضنها وعانقته ووضعت احدى يديها تحت رقبته والاخرى من تحت ابطه ونامت بجانبه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة بدور نامت بجانب قمر الزمان وجرى منها ماجرى فلما رأت ذلك ميمونة فرحت غاية الفرح وقالت لدهنش هل رأيت ياملعون كيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشوقى وكيف فعل معشوقى من التيه والدلال فلاشك أن معشوقى أحسن من معشوقتك ولكن عفوت عنك ثم كتبت له ورقة بالعتق والتفتت الى قشقش وقالت له ادخل معه واحمل معشوقته وساعده على ايصالها الى مكانها لان الليل مضى وفاتنى مطلوبى فتقدم دهنش وقشقش الى الملكة بدور ودخلا تحتها وحملاها وطارا بها وأوصلاها الى مكانها وأعاداها الى فراشها واختلت ميمونة بالنظر الى قمر الزمان وهو نائم حتى لم يبق من الليل الا القليل ثم توجهت الى حال سبيلها فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من

منامه والتفت يميناوشمالافلم يجد الصبية عنده فقال فى نفسه ماهذا الامر كان أبى يرغبنى فى الزواج بالصبية التى كانت عندى ثم أخذها سرا لاجل أن تزداد رغبتى فى الزواج ثم صرخ على الخادم الذى هو نائم على الباب وقال له ويلك ياملعون قم فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم ثم قدم له الطشت والابريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح وقضى حاجته وخرج وتوضأ وصلى الصبح وجلس يسبح الله ثم نظر الى الخادم فوجده واقفا فى خدمته بين يديه فقال له ويلك ياصواب من جاء هنا وأخذ الصبية من جنبى وأنا نائم فقال الخادم ياسيدى أى شيء الصبية فقال قمر الزمان الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة فانزعج الخادم من كلام قمر الزمان وقال له لم يكن عندك صبية ولا غيرها ومن أين دخلت الصبية وأنا نائم وراء الباب وهو مقفول والله ياسيدى مادخل عليك ذكر ولا أنثى فقال له قمر الزمان تكذب ياعبد النحس وهل وصل من قدرك أنت الآخر انك تخادعنى ولا تخبرنى أين راحت هذه الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة ولم تخبرنى بالذى أخذها من عندى فقال الطواشى وقد انزعج منه والله ياسيدى مارأيت صبية ولا صبيا فغضب قمر الزمان من كلام الخادم وقال له انهم علموك الخداع ياملعون فتعال عندى فتقدم الخادم الى قمر الزمان فأخذ بأطواقه وضرب به الارض فضرط ثم برك عليه قمر الزمان ورفصه برجليه وخنقه حتى غشى عليه ثم بعد ذلك ربطه فى سلبة البئر وأدلاه فيه الى أن وصل الى الماء وأرخاه وكانت تلك الايام أيام برد وشتاء قاطع فغطس الخادم فى الماء ثم نشله قمر الزمان وأرخاه ولازال يغطس ذلك الخادم فى الماء وينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول له والله ياملعون ما أطلعك من هذه البئر حتى تخبرنى بخبر هذه الصبية وقضيتها ومن الذى أخذها وأنا نائم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله الليلة السابعة والثمانون بعد المائة﴾

﴿فهرست الجزء الاول من كتاب ألف ليلة وليلة﴾

صحيفة

﴿تمت﴾